



عصر المأمون

بقلم

الدكتور

أحمد فرید زفای

المفتش بوزارة الداخلية

المجلد الثاني

(حقوق الطبع محفوظة للأول)

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٤٦ - ١٩٢٧ م

فهرست

المجلد الثاني من عصر المأمون

ملحق الكتاب الأول — عصر بنى أمية

باب المشور :

رسالة أبي بكر وعمر	١
كلام عائشة رضي الله عنها في الانتصار لأبيها	١٢
كلمة أم الحسير بنت الحريش	١٤
كلمة الزرقاء بنت عدية	١٧
كلمة عكرمة بنت الأضرش	١٨
رسالة لعبد الحميد الكاتب كتبها عمر مروان بن محمد لبعض من ولاة	٢٠
رسالة ثانية لعبد الحميد الكاتب أوصى فيها الكتاب	٥٣
رسالة ثالثة لعبد الحميد الكاتب في الشطرنج	٥٧
رسالة رابعة لعبد الحميد الكاتب في وصف بها العيد	٦٠

باب المنظوم :

أنواع القول وزعم كل نوع	٦٣
القول الإباحي — عمر بن أبي ربيعة	٦٤
القول العذري — جميل	١٠٣
القول الصاعى — كثير	١٢٤
القول القصصى — قيس بن الملقح (المجنون)	١٣٨
قيس بن ذريح	١٥٢
الشعر اليمامى — النعمان بن بشير	١٦٤

ملحق الكتاب الثاني — عصر بنى العباس

باب المشور :

مشاورة المهدي لأهل بيته في حرب خراسان	١٦٩
رسالة أبي الربيع محمد بن الليث التي كتبها الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم	١٨٨

صفحة	
٢٣٧	رسالة يحيى بن زياد فى تقرير الرشد
٢٤٤	كتب الرشد
٢٤٤	كتاب عهد اليمه
٢٤٧	نسخة الشرط الذى كتب عبد الله بن أمير المؤمنين بخط يده فى الكعبة
٢٤٩	نسخة كتاب الرشد الى العمال
	باب المنظوم :
٢٥٢	بشار بن برد
٢٧٧	حاجد بن عمرو
٢٨٧	مروان بن أبي حفصة
٣٠٠	أبرد لامة
٣١٧	أبان بن عبد الحميد اللاحق
٣٢٦	أعبار حمدان بن أبان
٣٣٣	مصور النوى
٣٣٩	السيد الجوى
٣٤٩	سلم بن عمرو الطامس
٣٥٤	ربيعه الرق
٣٥٩	الرقاقى
٣٦١	أبو العاتية
٣٧٤	سلم بن الوليد
٣٩٣	العباس بن الأحف
٤٠٠	ابن مناذر
٤٠٣	صالح بن عبد القدوس
٤٠٧	سعيد بن وهب
٤١١	الحسن بن وهب
٤١٩	أشجع السلى
٤٢٣	على بن الجهم
٤٣١	على بن جبلة

ملحق الكتاب الأول

باب المشور

ذكرنا في مقدمة المجلد الأول من "عصر المأمون" أننا قسمنا المجلد الثاني الى ملحقات للكتب الثلاثة عن العصور الثلاثة، وعُتبتنا عناية خاصة الى جانب ذلك بذكر جملة صالحة من آثار كاتب خاص وشاعر خاص لتمثيل عصرهما . واتخذنا من عبد الحميد الكاتب وعمر بن أبي ربيعة أنموذجا أمويًا ، ومن أبي الربيع محمد بن الليث وبشار بن برد مثالا عباسيا ، ومن عمرو بن مسعدة وأبي نؤاس نموذجا لتصوير الحياة الكتابية والشعرية في عصر الأمين والمأمون، الى غير ذلك من التماذج والآثار مما يستدعيه المقام، وقد أوردناها من غير أن نعرض لها بتحليل أو بيان — اللهم إلا تفسير بعض ألفاظها الغريبة وشرح كلماتها الغامضة — فهي في وضوحها ودلالاتها على ما أردنا من إيرادها غير محتاجة الى شيء .
وها نحن أولاء نذكر ما وعدناك به .

١ — رسالتنا أبي بكر وعلى

قال أبو حيان على بن محمد التوحيدى البغدادي : سَمَرْنَا لَيْلَةً عند القاضي أبي حامد أحمد بن بشر المروزي ببغداد، فتصرف في الحديث كل متصرف، وكان غزير الرواية،

(١) انظر كتاب صبح الأعشى ص ٢٣٧ ج ١

لطيف الدّراية، بغرى حديث السّقيفة، فركب كلُّ حرباً، وقال قولاً، وعرض بشيء،
وترجّح إلى قرن . قال : هل فيكم من يحفظ رسالة لأبي بكر الصّدّيق، رضى الله عنه، إلى
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وجواب علي عنها، ومبايعته لإياه حبيب تلك المناظرة ؟
فقال الجماعة : لا والله ؛ فقال : هي والله من بنات الحقائق، وخبّات الصناديق، ومنذ
حفظتها ما رويتها إلا لأبي محمد المهلب في وزارته، فكتبها على يده . وقال : لا أخزب
رسالة أعقل منها ولا آيّن، وإنها لتدل على علم وعلم، وفصاحة ونباهة، وبُعد غور، وشدة
غوص . فقال له المبدائي : أيها القاضي، فلواتممتِ المنّة علينا بروايتها ! أسمعناها،
فنحن أوعى لك من المهلب، وأوجبُ ذمّاً عليك؛ فاندفع وقال :

حدّثنا أنزعجى بمكة عن أبي ميسرة، قال حدّثنا محمد بن أبي قُليج عن عيسى بن
دوّاب بن المتّاح، قال سمعت مولاي أبا حبيّدة يقول : لما استقامت الخلافة لأبي بكر
رضى الله عنه بين المهاجرين والأنصار، بعد فتنة كاد الشيطان بها، فدفع الله شرّها ويسر

(١) هو أبو بكر عبد الله بن أبي خنافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة صاحب رسول
الله وأوّل خليفة له في الإسلام وخطيب يوم السقيفة .

ويجتمع فيه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب . ولد بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بستين وبنّة أشهر . ونشأ من أكرم قريش خلقاً، وأرجهم حلماً، وأسمهم بداً، وأشدّهم حفة . وكان أطهرهم بالأنساب
وأيام العرب ومفانرها . صحب رسول الله قبل النبوّة . وكان أوّل من آمن به من الرجال وصدّقه في كل ما جاء به،
ولذلك سمى الصّدّيق، وأتقأ أمواله في تأييد دعوته، وهاجر معه إلى المدينة مؤثراً صحبة على كل أهله وولده، وشهد معه
أكثر الفترات . وما زال يثق بالله وقوته في مساعدة رسول الله حتى انتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعل .
واخلقت العرب، وارتدت عن الإسلام، ومنعت الزكاة إلا أهل المدينة ومكة وتخيّف بالطائف، فجرد عليهم
الجوش حتى قمعهم، وجمع العرب على الإسلام، وساقهم قوا إلى فتح ممالك كسرى وقبصر . وما مات إلا وجيوشه
تهزم جيوش الفرس والروم وتستول على مدائنهم وحصونهم . وكان رحمه الله فصيحاً يلينا، خطيباً مفعوفاً، حاضر
البديهة، قوى الحجّة، شديد التأثير، يشهد بذلك خطبه يوم السقيفة، وذلك أنه لما مات رسول الله اخلقت الصعابة
فيمن يياهمونه خليفة له عليهم، فأبى الأصهار إلا أن يكون الخليفة منهم، وأبى المهاجرون من قريش إلا أن يكون
منهم . واشتدّ النزاع حتى كادت تنفج الفتنة، فخطبهم خطبة لم يلبث الجميع بعدها أن بايعوه خليفة . وكانت وفاته
سنة ١٣ هـ وخلفه ستين وثلاثة أشهر وعشر ليال .

غيرها، بلغ أبا بكر عن عليّ تلْكُؤٌ وشِمَاسٌ، وتهم ونِفَاسٌ، فكَرِهَ أَنْ يَمَادِيَ الْحَالُ قَبْدُو العورة، وتَسْتَعْلُ الجرة، وتُتَفَرَّقُ ذَاتُ الْيَتِيمِ، فَعَدَانِي بِحَضْرَتِهِ فِي خَلْوَةٍ، وَكَانَ عِنْدَهُ جَمْرُ ابْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، مَا أَتَيْنَ نَاصِيَتَكَ، وَأَتَيْنَ الْخَيْرَيْنِ عَيْدِكَ، وَطَلَبْنَا أَهْرَ اللَّهِ بِكَ الْإِسْلَامَ وَأَصْلَحَ شَأْنَهُ عَلَى يَدَيْكَ، وَلَقَدْ كُنْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَكَانِ الْمَحْضُوطِ، وَبِالْحَلِّ الْمَغْبُوطِ، وَلَقَدْ قَالَ فَيْكُ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ: «كُلُّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ»، وَلَمْ تَزَلْ لِلدِّينِ مُتَجَبِّهًا، وَلِلْوَثَنَيْنِ مُرْتَجِّيًا، وَلَا هَلَاكَ رِكَائِي، وَلَا خَوَانُكَ يَدْمَا. قَدْ أَرَدْتُكَ لِأَمْرِ خَطَرِهِ مَخُوفٍ، وَإِصْلَاحِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَعْرُوفِ، وَلَقَدْ لَمْ يَنْدِمَلْ جَرْحُهُ يَسَارَكَ وَرِفْقَكَ، وَلَمْ تُجِبْ حَيْثُ بُرْفَيْتَكَ، وَقَعَ الْيَأْسُ، وَأَعْضَلَ الْيَأْسُ، وَأَحْتِيجُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا هُوَ أَمْرٌ مِنْهُ وَأَعْلَى، وَأَعْسَرُ مِنْهُ وَأَضْلَى، وَاللَّهُ أَسَالُ تَمَامَهُ بِكَ، وَنَظَامَهُ عَلَى يَدَيْكَ. فَتَأْتِ لَهُ أَبَا عُبَيْدَةَ وَتَلَطَّفْ فِيهِ، وَأَنْصَحْ لَهُ عَزْ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِهَذِهِ الْعِصَابَةِ غَيْرَ آلِي جَهْدَا، وَلَا قَالِي حَمْدَا، وَاللَّهُ كَالْتِلْكَ وَنَاصِرُكَ، وَهَادِيكَ وَمُبْصِرُكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ. امْضِ إِلَى عَلِيٍّ وَاخْفِضْ لَهُ جَنَاحَكَ، وَأَغْضُضْ عِنْدَهُ صَوْتَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ سَلَالَةُ أَبِي طَالِبٍ، وَمَكَانُهُ مِمَّنْ فَقَدْنَاهُ بِالْأَمْسِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — مَكَانُهُ، وَقُلْ لَهُ: الْبَحْرُ مَفْرَقَةٌ، وَالْبَرُّ مَفْرَقَةٌ، وَالْجَوُّ أَكْلَفٌ، وَاللَّيْلُ أَضْفٌ، وَالسَّمَاءُ جُلُوءٌ، وَالْأَرْضُ صَلْمَاءٌ، وَالصُّعُودُ مَتَعَدِّرٌ، وَالْهَبُوطُ مَتَعَسِّرٌ، وَالْحَقُّ عَطُوفٌ رَعُوفٌ، وَالْبَاطِلُ عَنُوفٌ عَصُوفٌ، وَالْمُعْجَبُ قَدَاحَةُ الشَّرِّ، وَالضُّغْنُ رَائِدُ الْبَوَارِ، وَالتَّعْرِيزُ شِجَارُ الْفِتْنَةِ، وَالْقِيَّةُ تَقُوبُ الْعَدَاوَةِ، وَهَذَا الشَّيْطَانُ مَتَكِيٌّ عَلَى شِمَالِهِ، مَتَحِيلٌ بَيْنَهُ، نَافِعٌ حِصْنِيهِ لِأَهْلِهِ، يَنْظُرُ الشَّتَاتِ وَالْفُرْقَةَ، وَيَدْرِبُ بَيْنَ الْأُمَّةِ بِالشُّخْنَاءِ وَالْعَدَاوَةِ، عَنَادًا لِقَدَرِ اللَّهِ عَزْ وَجَلَّ

- (١) التماس: المعادة والمعاودة . (٢) تهم الشيء: طلبه وتحسسه . (٣) نَافَسَ فِي الشَّيْءِ: منافسة: وغب فيه على وجه المباراة والمقاتلة . (٤) تَجَبَّجٌ: يتعجل . (٥) تَأَتَّى فَلَانٌ لِفُلَانٍ: تَبَيَّأَ لَهُ وَأَتَاهُ مِنْ وَجْهِهِ .
- (٦) الْجَوُّ أَكْلَفٌ: أسود تلوذ حمرة . (٧) اللَّيْلُ أَضْفٌ: مريخ سدود مظلم . (٨) السَّمَاءُ جُلُوءٌ: صحبة . (٩) خَالِيَةٌ لَا شَجَرُ فِيهَا . (١٠) أَيْ مُسْتَعْدٌ لِأَنْ يَعْمَلَ عَمَلَهُ مِنَ الشَّرِّ .

أولاً، ولآدم ثانياً، ولعليه — صلى الله عليه وسلم — وبينه ثالثاً، يوسوس بالشُّجُور، ويُدلي بالغرور، ويحیی أهل الشرور . يُوحى إلى أوليائه زُخُوفُ القول غُرُوراً بالباطل، دأباً له مُتدَكِّناً على عهد أدينا آدم صلى الله عليه وسلم، وحادّة له منذُ أهانته الله تعالى في سالف الدهر، لا متّجى منه إلا بعضُ الناجذ على الحق، وَغُصُّ العُرف من الباطل، ووطءُ هامة صدوقه بالأشدّ فالأشدّ، والأكدّ فالأكّد، وإسلام النفس لله عز وجل في ابتغاء رضاه . ولا بدّ الآن من قول ينفع لنا ضراً السكوت ويخفّ غيبه ؛ ولقد أُرشدك من آفاه ضالّتك، وصافاك من أحيا مودته بمتابك، وأراد لك الخير من أثر البقاء معك ؛ ما هذا الذي تُسوّل لك نفسك، ويتوى به قلبك، ويتوى عليه رأيك، ويتجاوز دونه حرّكك، ويتبى فيه ظلمتك، ويتراّد معه نفسك، وتكثر عنده صعداؤك، ولا يفيضُ به لسائك . ألعجبة بعد إفصاح ! أليس بعد إفصاح ! أدين غير دين الله ! أخلق غير خلق القرآن ! أهدي غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم ! أمثل "تمثلي له الضراء وتدب له الخمر" أم مثلك يتفيض عليه الفضا، ويكشف في عينه القمر ! ما هذه القمعة بالشّتان^(١) ! وما هذه الوصوة باللسان ! إنك والله جدّ عارف بأستجابتنا لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، وبمخرجنا عن أوطانتنا وأموالنا وأولادنا وأحبّتنا، هجرة إلى الله عز وجل، ونصرة لدينه في زمان أنت فيه في كفن الصّبا، وخدر القرارة، وعقوان الشّيبية، غافل عما يُصيب ويريب، لا تعي ما يُراد ويُناد، ولا تحصل ما يُساق ويُقاد، سوى ما أنت جارٍ عليه إلى ظانك التي إليها حيل بك، وعندها حط رحلك، غير مجهول القدر ولا مجهود الفضل؛ ونحن في أثناء ذلك نماني أحوالاً تُزيل الرّواى، ونقاسي أحوالاً تُصيب النّواى، خاضعين غمارها، راكبين تيارها، تقزع صابها، ونُشرج عيائها، ونُحْكِم آسامها، ونبرم

(١) آفاه : أريج . (٢) يخاوص : ينص من بصره . (٣) الضراء : الاستخفاء . والخمر : ما واداك من خمر، وهو مثل يضرب لمن يخذع صاحبه . (٤) الشّتان جمع شن وهو القرية التي خلق الصّبية . والقمعة : الصوت، يريد أنه لا يخوف بمن هذا . (٥) نشرج عيائها : نفضها ونضم بعضها إلى بعض . والعياب : جمع عية ، وهي زئيل من آدم تجعل فيه اللّياب .

أمرأتها^(١)، والميؤن تَحْدِجُ بالحسد، والأنوفُ تَعْبَسُ بالكِبَر، والصدورُ تَسْتَبِرُ بالنيظ، والأهناقُ تَطاولُ بالفخر، والشِّقَارُ تُشْبَعُ بالْمَكْر، والأرضُ تَمِيدُ بالخوف، لا تَنْظُرُ عند المساء صباحا، ولا عند الصباح مساء، ولا تدفع في نحرٍ أمر إلا بعد أن تَحْصُو الموت دونه، ولا تبلغ مُرَادًا إلا بعد الإياس من الحياة بعده، فآدين في جميع ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالأب والأُم، والخال والم، والمال والنَّسَب، والسَّيِّد والْبَد، والهِلَّة والْبِلَّة، يَطِيبُ أَنْفُسَ، وَقَرَّةُ أَعْيُنَ، وَرَحْبُ أَعْيُنَ، وَثَبَاتُ مَرَاتِمَ، وَصَحَّةُ عُقُولَ، وَطَلَاةُ أَوْبَحَ، وَذَلَاةُ أَلْسُنَ، هذا مع خَفِيَّاتِ أسرار، ومَكْنُونَاتِ أخبار، كُنْتُ عنها غافلا، ولولا مَنِيكَ لم تكن عن شيء منها نَكَلًا، كيف وقَّادُكَ مَشْهُومٌ، وَحُدُوكَ مَعْجُومٌ ! .
والآن قد بلغ الله بك وأنقض الخبيرك، وجعل مرادك بين يديك، وعن علم أقول ما تسمع، فارتب زمانك، وقُلِّصْ أَرْدَانَكَ، ودَعْ النَفْسَ والتَّجَسُّسَ لِمَنْ لَا يَطْلُعُ لك إذا خطبا، ولا يترجح منك إذا عطا^(٢)، فالأمر قَضَ، والنَّفْسُ فيها مَضَ، وإنك أَدِيمُ هذه الأمة فلا تَحْمِلْ لِحَاجًا، وَسِقْهَا الْمَضْبَ، فلا تَنْبُ أَوْجَاعًا، وماؤها العَذْبُ فلا تَحْمِلْ أَسْجَاعًا .
والله لقد سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الأمر، فقال لي : « يا أبا بكر هو لمن يرغب عنه لا لمن يُحَاسِحُ عليه^(٣)، ولن يتضامل عنه لا لمن يَنْتَفِجُ إليه^(٤)، هو لمن يقال هو لك لا لِمَنْ يقول هو لي » .

ولقد شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم في العَهر، فذكر قِيَانًا من قريش، فقلت : أين أنت من عليّ ! فقال صلى الله عليه وسلم : إني أكره لقاطمة مَبْعَةَ شَبَابِهِ، وَحَدَاثَةِ سَنَةِ . فقلت له : متى كَفَنْتَهُ بِكَ، وَرَعَتَهُ حَيْكُ، حَقَّتْ بِهِمَا الْبَرَكَةُ، وَأَسْبَغَتْ عَلَيْهِمَا النِّعْمَةُ، مع كلام كثير خاطبته به رغبة فيك، وما كنت عرفت منك في ذلك لا حَوَاجًا

(١) جمع مرس ككف وهو الحبل . (٢) السد : الشعر . والبد : الصوف . (٣) يقال : جاءنا ملان ظم يأتا بهلة ولا بهلة أي لم يأتا بشيء . قاله من الفرح والاستبلال، والبهلة من الليل والخير . (٤) مشهور بالشين المحبة) : ذكرى متوقفة . (٥) صلا : مَدَّ اليك حقه وأقبل نحوه . (٦) حلم الجله (من باب فرح) : مُدَّ وَتَقَبَّلَ . (٧) أي طلبه ويدافع عنه . (٨) يطلع إليه ويختبره . (٩) أي ما كنت عرفت منك شيئا .

ولا لوجه، قلت ما قلت وأنا أرى مكانَ ضيقك، وأجد رائحةَ سواك؛ وكنت إذ ذاك خيراً لك منك الآن لى . ولئن كان عرض بك رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر، فلم يكن مُرضاهن ضيقك؛ وإن كان قل فيك لما سكنت من سواك؛ وإن طُلجَ في نفسك شيء فهُلِمَ، فالحكم مرضى، والصواب مسموع، والحق مُطاع . ولقد نُقِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل، وهو عن هذه العصابة راض، وطيباً حزين، يسره ما سرها ويسومه ما سامها، ويكده ما كادها، ويرضيه ما أرضاها، ويُسيّطه ما أخطأها. أما تعلم أنه لم يدع أحداً من أصحابه وأقاربه ومُجرّائه، إلا أبانه بفضيلة، وخَصَّه بمزية، وأفرده بحالة! أظن أنه صلى الله عليه وسلم ترك الأمة سُدىً بئداً، جاهِلٌ مَبْهَلٌ، طَلَسَ مفتونةً بالباطل، مغبونةً عن الحق، لا رائد ولا قائد، ولا ضابط ولا حائط، ولا ساق ولا واق، ولا هادئ ولا حادئ! كلا! والله ما أشناق إلى ربه تعالى ولا سألَه المصير إلى رضوانه وقربه، إلا بعد أن ضربَ المُنَى، وأوضح الهدى، وأبان الصُّوَى، وأتمن المسالك والمطارج، وسهلَ المبارك والمهاجيع، وإلا بعد أن شَدَّخَ يافوخَ الشُّركِ بإذن الله، وشَرَمَ وجهَ التناق لوجه الله سبحانه، وجَدَّخَ أنفَ الفتنة في ذات الله، ونَهَلَ في عين الشيطان بعون الله، وصَدَّخَ بملء فيه ويده بأمر الله عز وجل .

وبعد، فهؤلاء المهاجرون والأنصار عندك ومعك في بقعة واحدة ودار جامعة، إن استقالوني لك وأشاروا عندى بك، فأنا واضح يدى في يدك، وصائر إلى رأيهم فيك . وإن تكن الأخرى فأدخل فيما دخل فيه المسلمون، وكن العونَ على مَصَالِحِهِم، والقاتِحَ لَمَغَالِقِهِم، والمرشدَ لضآلتهم، والراذعَ لغَوَايَتِهِمْ . فقد أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى، والتأصّر على الحق . ودَحْنَا قِصَى هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من النفل، ونلقَى الله تعالى بقلوب سليمة من الضغن .

(١) مجراه: أسدائه . (٢) جاهل مباهل (بالباء الموحدة في الكلمتين): مهلة . (٣) الصوى:

الأعلام . (٤) المهاج: الطرق . (٥) يافوخ (يسر ولا يهز) جن: الرأس الذى يهز في الطفل .

(٦) في صبح الأُصْحَى: «فهذه» .

وبعد فالتاس ثمانية فارتقى بهم وأحسن عليهم وإن لم ، ولا تشق نفسك بنا خاصة فيهم ، وأترك تابعي الخلد حصيدا ، وطائر الشر واقعا ، وباب الفتنة مغلقا ، فلا قال ولا قيل ولا لوم ولا تبيح ، والله على ما نقول شهيد ، وبما نحن عليه بصير .

قال أبو حنيفة : فلما تأهبت للنهوض ، قال عمر رضي الله عنه : كُنْ لَدَى الْبَابِ هُنَيْئَةً فَلَ مَعَكَ دَوْدُ مِنَ الْقَوْلِ ، فَوَقَفْتُ وَمَا أَدْرَى مَا كَانَ بَعْدِي ، إِلَّا أَنَّهُ لِحَقِّي بُوْجِهَ يَنْدَى تَهْلًا ، وَقَالَ لِي : قُلْ لِمَنْ : الرَّاكِدُ عَمَلُهُ ، وَالْمُحَوَّى مَقْصَمُهُ ، وَمَا نَا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ، وَحَقٌّ مَشَاعٌ أَوْ مَقْصُومٌ ، وَبِنَا ظَاهِرٌ أَوْ مَكْتُومٌ ، وَإِنْ أَكْهَسَ الْكَهْنُ مِنْ مَتَّحِ الشَّارِدِ تَأَلَّمَا ، وَقَارَبَ الْبَعِيدَ تَلَطَّفَا ، وَزَنَبَ كُلُّ شَيْءٍ بِيَزَانِهِ ، وَلَمْ يَخْلُطْ خَبْرَهُ بِيَانِهِ ، وَلَمْ يَحْمِلْ قَرْنَهُ مَكَانَ شِجْرِهِ ، دِينًا كَانَ أَوْ دُنْيَا ، ضَلَالًا كَانَ أَوْ هُدًى . وَلَا خَيْرَ فِى عِلْمِ مُسْتَعْمِلٍ فِى جَهْلٍ ، وَلَا خَيْرَ فِى مَعْرِفَةٍ مَشْوِيَةٍ بُنْكَرٍ . وَلَسْنَا بِكَلِمَةٍ رَفَعَ الْبَعِيرُ بَيْنَ السَّجَانِ وَالذَّنْبِ . وَكُلُّ صَالٍ فِتْنَانُهُ ، وَكُلُّ سَلِيلٍ قَرَارُهُ . وَمَا كَانَ سَكُوتُ هَذِهِ الْمَعْصَابَةِ إِلَى هَذِهِ النَّسَايَةِ لَيْتِي وَنَيْتِي ، وَلَا كَلَامُهَا الْيَوْمَ لَفَرْقِي أَوْ رَفْقِي . وَقَدْ جَدَعَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْفَ كُلِّ ذِي كِبَرٍ ، وَقَعَمَ ظَهْرُ كُلِّ جَبَّارٍ ، وَقَطَعَ لِسَانَ كُلِّ كَذُوبٍ ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ . مَا هَذِهِ الْخُتْرَانَةُ الَّتِي فِى قَرَارِشِ رَأْسِكَ ! مَا هَذَا الشَّيْبُ الْمَعْرُضُ فِى مَذَارِجِ أَفْكَاسِكَ ! مَا هَذِهِ الْقَدَاةُ الَّتِي تَفَشَّتْ نَظَرُكَ ! وَمَا هَذِهِ الْوَحْرَةُ الَّتِي أَكَلَتْ شَرَامِيكَ ! وَمَا هَذَا الَّذِي لَيْسَتْ بِسَبِيهِ جِلْدَ النَّمْرِ ، وَأَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ بِالشَّعْثَةِ وَالنُّكْرِ ! وَلَسْنَا فِى كِسْرِيَّةٍ كِسْرِيٍّ ، وَلَا فِى قَيْصَرِيَّةٍ قَيْصَرٍ ! تَأْمَلُ لِمَخْوَانِ فَارَسٍ وَأَبْنَاءِ الْأَصْفَرِ ! قَدْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ جَرَّارًا لِسُيُوفِنَا ، وَدُرَّةً لِمَاحِنَا ، وَمَرْحَى لِمِطْعَانَا ، وَتَبْعًا لِسُلْطَانِنَا ، بَلْ نَحْنُ فِى نُورِ نُبُوَّةٍ ، وَضِيَاءِ رِسَالَةٍ ، وَثَمَرَةِ حِكْمَةٍ ، وَأَثَرَةِ رَحْمَةٍ ، وَعُتْوَانِ نِعْمَةٍ ،

(١) الرفق : أصل الفخذ من باطن . والمجان : الاست . يريد أن منزلتهم بين الأحياء والمشار ليست حقيرة مهيبة . (٢) التي بالكسر إتياع لى . (٣) الخترة : الكبر . (٤) الوحرة (الصبرك) : والحقد العداوة والشراسيف : جمع شرسوف ، والشرسوف مقط الصلح .

وخلَّ غصمة، بين أمة مهيبة بالحق والصدق، مأمونة على الرقى والفتق، لها من الله قلب
أبي، وساعد قوي، ويد ناصرة، ومين باصرة. أظن لنا يا حل أن أبا بكر وثب على هذا
الأمر مقتاناً على الأمة خادماً لها أو مستظلاً عليها! أترأه حل عقودها وأحل حقوقها! أترأه
جعل نهارها ليلاً، ووزنها كيلاً، ويقظتها رقاداً، وصلاحتها فساداً! لا والله! سلا عنها قولت
له، وقطامن لها قصبقت به، ومال عنها قالت إليه، وأشماز دونها فاشمقت عليه، حبة
حباه الله بها، وطافية بلفه الله إليها، ونعمة سربله بها بما، ويد أوجب الله عليه شكرها،
وأمة نظر الله به إليها. والله أعلم بحلقه، وأرف بعباده، يختار ما كان لهم الخيرة. وإنك
بميت لا يجهل موضعك من بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ولا يحدد حقل فيما آتاك الله،
ولكن لك من يراحمك بمنكك أضخم من منكك، وقرب أسس من قربتك، وسن أعلى من
سنتك، وشية أروع من شيتك، وسيادة لها أصل في الجاهلية وفرع في الإسلام،
ومواقف ليس لك فيها جمل ولا ناقة، ولا تذكر منها في مقسمة ولا ساق، ولا تضرب فيها
بذراع ولا اصبع، ولا تخرج منها بياض ولا هيج. ولم يزل أبو بكر حبة قلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلاقة نفسه، وحية سيرة، ومقزع رأيه ومشورته، وراحة كفه،
وصرمق طرفه. وذلك كله بمحض المصادر والوارد من المهاجرين والأنصار، شهرته مغنية
عن الدليل عليه. ولعمري إنك أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة، ولكنه
أقرب منك قرابة، والقرابة لحم ودم، والقرابة نفس وروح. وهذا فرق عرفه المؤمنون،
ولذلك صاروا إليه أجمعون. ومهما شككت في ذلك، فلا تشك أن يد الله مع الجماعة،
ورضوانه لأهل الطاعة. فادخل فيما هو خير لك اليوم وأتم لك غدا، وألفظ من فيك
ما يتعلق بلهاتك، وأفقت سقيمة صدرك عن ههناك، فإن يك في الأمد طول، وفي الأجل
فُسحة، فستأكل مريثاً أو غير مريء، وستشربه هيتاً أو غير هنيء، حين لا راد لقولك إلا
من كان آيساً منك، ولا تابع لك إلا من كان طامعاً فيك، يعض إهابك، ويعرك أديمك،

(١) البازل: الجمل القوي الذي دخل في سنة التاسعة. والهج: التفصيل الذي ينتج في الصيف فيكون ضعيفاً.

(٢) يعض إهابك: يحرق جلدهك. (٣) يرك: يهلك.

ويُزَيِّدُ عَلَى هَذِهِكَ . هَذَاكَ قَرَعَ السَّنَّ مِنْ لَدُنْهُ ، وَبَجَرَ الْمَاءَ عَزَاجًا بَيْنَهُ ، وَخِيفَظَ تَأْسَى
عَلَى مَا مَضَى مِنْ عَمَلِكَ وَدَارِجِ خَوَلِّكَ ، فَهَوَّ أَنْ لَوْ سُقِيَتْ بِالْكَأْسِ الَّتِي أَيْتَهَا ، وَرُدِدَتْ
إِلَى حَالَتِكَ الَّتِي اسْتَوَيْتَهَا . وَفِي تَعَالَى فِينَا وَفِيكَ أَمْرٌ هُوَ بِاللَّهِ ، وَغَيْبٌ هُوَ شَاهِدُهُ ، وَطَاقَةُ
هُوَ الْمَرْجُو لَمَرَاتِهَا وَضَرَاتِهَا ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ، الْتَفَوُّرُ الْوُدُودِ .

قَالَ أَبُو عِيَّةَ : فَتَشَبَّهَتْ مَثَرًا أَنْوَ كَمَا أَخْطُو عَلَى رَأْسِي ، قَرَقًا مِنَ الْفَرْقَةِ ، وَشَفَقًا
عَلَى الْأُمَّةِ ، حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خَلَاءٍ ، فَأَبْتَلْتُهُ بِقِي كَلَمَةٍ ، وَبَرِثْتُ إِلَيْهِ مِنْهُ ،
وَرَفَقْتُ بِهِ . فَلَمَّا سَمِعَهَا وَوَطَّأَهَا ، وَبَرِثْتُ فِي مَفَاصِلِهِ حَيَاتَهَا ، قَالَ : « سَلْتُ مَعْلُومَةً ^(١) ،
وَوَلَّتْ مَعْرُومَةً ^(٢) ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ : ^(٣)

إِحْدَى لِإِلَيْكَ فَيَهْبِئِي هَيْبِي • لَا تَتَّعِي الْبِلَّةَ بِالْتَّعْرِيسِ ^(٤)

نَهْمٌ يَا أَبَا عِيَّةَ ، أَكُلُّ هَذَا فِي أَنْفُسِ الْقَوْمِ ، وَيُحْصَنُونَ بِهِ ، وَيَضْطَظُّونَ حُلًّا ^(٥) ! قَالَ
أَبُو عِيَّةَ : قُلْتُ : لَا جَوَابَ لَكَ عِنْدِي ، إِنَّمَا أَنَا قَائِضٌ حَقَّ الدِّينِ ، وَدَائِقُ فِتْنِ الْمُسْلِمِينَ ،
وَسَادُّ ثُلَّةِ الْأُمَّةِ ، يَعْلَمُ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ جُلُجْلَانٍ قَلْبِي ، وَقَرَارَةٍ نَفْسِي . ^(٦)

(١) هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . وَابْنُ مَرْسُومٍ رَوَى أَنَّ اللَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَزَوْجُ
ابْنِهِ . وَرَأْيُ انْطِقَاءِ الرَّاشِدِينَ . وَإِمَامُ الْخَطْبَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَلَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَدِينَةِ الْمَدِينَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَتْنِ عَشْرِينَ وَثَلَاثِينَ سَنَةً . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ مِنَ الصَّيَّانِ . وَكَانَ
مُجَاهِدًا لَا يَشُقُّ لَهُ غَارٌ . أَيْدَا جَلِيدًا . شَهِدَ الْغَزَاةَ كُلَّهَا مَعَ النَّبِيِّ لَا غَزَاةَ تَبُوكَ . وَأَبْلَى فِي فَصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَلِهِ أَحَدٌ . وَلَمَّا قَتَلَ عِمَّانَ بِأَمْرِ النَّاسِ بِالْجَهَازِ وَاشْتَرَعَ مِنْ بَيْعِهِ مَعَاوِيَةَ وَأَهْلَ النَّسَابِ شَيْعَةً
بَنَى أُمِّيَةً ضَخْمًا مِنْهُمْ لِقَتْلِ عِمَّانَ وَقَتْلَهُ تَابَتِ بِهِ الْبَحْثُ عَنْ الْفِتْنَةِ عَلَى حَسَبِ احْتِفَادِهِمْ ، لِحَدَّثَتْ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ
الْفِتْنَةِ الظُّلْمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَضْرَاقَهُمْ إِلَى طَائِفَتَيْنِ فَضَارِبَا مَدَّةَ مَنْ غَيْرَ أَنْ يَسْكَبَ الْأَمْرَ لِعَلٍّ أَوْ مَعَاوِيَةَ حَتَّى يَحْتَمِلَ
أَحَدُ الْخَوَارِجِ طَائِفَةً مِنْهُمْ بِمَسْجِدِ الْكُوفَةِ . وَكَانَ كَرَمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَضْحَحَ النَّاسَ بِمَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ . وَأَكْثَرَهُمْ طَائِفَةً وَزَعْدًا
رَشَدَةً فِي الْحَقِّ . وَهُوَ إِمَامُ الْخَطْبَاءِ مِنَ الْعَرَبِ عَلَى الْإِطْلَاقِ بِمَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَكَانَتْ وَقَاتُهُ سَنَةً ٤ هـ وَهِيَ خَلِيفَةُ خَمْسِ سِنِينَ إِلَّا ثَلَاثَةً أَشْهُرَ .

(٢) مَعْلُومَةٌ : مَقْتَنَةٌ مِنْ غَيْرِ رُويَةٍ . (٣) مَعْرُومَةٌ : سِرَّةٌ . (٤) هَيْبِي : سِرِّي أَيْ سِرِّكَانَ .

(٥) أَيْ يَنْطَرُونَ عَلَى الضَّغْنِ وَهُوَ الْحَقْدُ . (٦) جُلُجْلَانٌ قَلْبِي ، أَيْ حَبِي .

قال علي رضي الله عنه : والله ما كان قُعودي في بيتي هتفاً للبيت قصداً للخلاف ، ولا إنكاراً للعروف ، ولا زياريةً علي مسلم ، بل لما قد وقَّذني به رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرقه ، وأودعني من الحزن لفقده . وذلك أني لم أشهد بعده مشهداً إلا جئته حزناً ، وذكري شهناً . وإن الشوق إلى الخلق به كافٍ عن الطمع في غيره . وقد عكفت علي عهد الله أنظر فيه ، وأجمع ما تفرق ، رجاء ثواب مُدٍّ من أخلص لله عمله ، وأسلم لعلمه ومشيئته ، وأمره ونبيه . علي أني ما علمت أن التظاهر علي واقع ، ولا عن الحق الذي سبق إلى دافع . وإذا قد أقيم الوادي بي ، وحشد النادى من أجلي ، فلا مرجحاً بما ساء أحدنا من المسلمين ومروني . وفي النفس كلامٌ لولا سابق عقد ومسالف عهد ، لَشَقِيتُ غيظي بخصمي ونصري ، وخُضْتُ بِلَهْتِ بَانْعِي ومُفِرْقِي ، ولكني مُلِجٌ إلى أن ألقى الله ربي ، وعنده أحتسب ما نزل بي . وإني غادٍ إلى جماعكم ، فبإيع صاحبكم ، صابرٍ علي ما ساءني ونسركم ، لِيَقْضِيَ الله أمراً كان مفعولاً .

قال أبو عبيدة : فعلتُ إلى أبي بكر رضي الله عنه قصصتُ عليه القول على غره^(١) ، ولم أحتل شيئاً من حُلوه ومُره ، وبكرتُ غُدوةً إلى المسجد ، فلما كان صباح يومئذ وإذا علي مخترق الجماعة إلى أبي بكر رضي الله عنهما فبايعه ، وقال خيراً ، ووصف جيلاً ، وجلس زميناً^(٢) ، وأستاذن للقيام لمضي وتبعه عمر مكرماً له ، مستأثراً لما عنده .

فقال علي رضي الله عنه : ما فعلتُ عن صاحبكم كارهاً ، ولا أئيتُهُ فرقاً ، ولا أقول ما أقول لعلّة . وإني لأعترف منتهى طرقي ، وعطّ قَدَمي ، ومتَرَجَّ قوسي ، وموقع سهمي ، ولكن قد أُرِمتُ علي قَاسِي نِقَّة^(٣) برى في الدنيا والآخرة .

فقال له عمر رضي الله عنه : كَفَيْكَ غَرَبُكَ ، وأستوقِف سِرِّكَ ، ودَعِ البصيرَ يلحاثها ، والدلاءَ على رِشاتها . فلأن من خلفها ووراثها ، إن قدحنا أوروينا ، وإن متعنا أروينا ،

(١) على غره ، أي كما هو وكافس علي . (٢) زميناً : حلياً وقوراً . (٣) يقال :

أزيم الفرس على فأس الجاه إذا ضربه وقبض عليها . وفأس الجاه : الحديد المخرقة منه في الحنك . يريد أنه أبلغ منه نقة الخ .

وإن قرّحنا أدينا . ولقد سمعتُ أمانيك التي لفّزت بها عن صدور كلِّ الجحوى ، ولو شئت
لقلتُ على مقاليتك ما إن سمعته نيمت على ما قلت . وزعمت أنك فعلت في كُنْ يركب
لما وقفت به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبله ، فهو وقفتك ولم يقف عليك ! بل
مصابه أعظم وأعم من ذلك ، وإن من حق مصابه ألا تصدع عقل الجماعة بقرينة لا عصام
لها ، ولا يؤمن كيد الشيطان في بقائها . هذه العرب حولنا ، والله لو قد أمت علينا في صبح
نهار لم نلتقي في مسائه . وزعمت أن الشوق إلى الخلق به كافي عن الطمع في غيره ! فمن
علامة الشوق إليه نصرته دينه ، وبمؤازرة أوليائه ومعاونتهم . وزعمت أنك عكفت على
عهد الله فجمع ما تنزق منه ، فمن المكوف على عهد الله النصيحة لبقاء الله ، والرافة على خلق
الله ، وبذل ما يصلحون به ، ويرثون عليه . وزعمت أنك لم تعلم أن الظاهر واقع عليك ،
وأى حق لظ^(١) دونك ! . قد سمعتَ وعلمتَ ما قال الأنصار بالأسر سراً وجهاً ، وتقلبتَ
عليه بطناً وظهراً ، فهل ذكرت أو أشارت بك ، أو وجدت رضاهم منك ؟ هل قال أحد منهم
بلسانه إنك تصلح لهذا الأمر ؟ أو أوما بينه أوهم في نفسه ؟ أتظن أن الناس ضلوا من
أجلك ، وطردوا كفاراً زهداً فيك ، وباعوا الله محاملاً عليك ؟ . لا والله ! لقد جاعني حَقيل
ابن زياد الخزرجي في تغير من أصحابه ومعهم شرحبيل بن يعقوب الخزرجي وقالوا : إن
علياً ينتظر الإمامة ، ويؤمن أنه أولى بها من غيره ، ويُتكر على من يتقد الخلافة ، فأنكرت عليهم ،
ورددت القول في تحريم حيث قالوا : إنه ينتظر الوحي ويتوَكَّف^(٢) مناجاة الملك ، فقلت :
ذاك أمر طواه الله بعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أكان الأمر معقوداً بالأسوطة^(٣) ،
أو مشدوداً بأطراف ليطقة^(٤) ؟ كلا ! والله لا عمية بحمد الله إلا أنصحت ، ولا شوكة إلا وقد
نفتحت . ومن أعجب شأنك قولك : « ولولا سالف عهد وسابق عقد ، لشقيتُ خيلى »
وهل ترك الدين لأهله أن يسفوا غيظهم بيد أو لسان ؟ تلك جاهلية وقد استأصل الله شأقتها
وأقتل جُرماتها ، وهزل ليلها ، وغور سيلها ، وأبدل منها الروح والريحان ، والمهدي والبرهان .

(١) لط : عهد . (٢) يتوَكَّف : يخطر . (٣) الأسوطة : حدة يسبل انضلالاً ،

إذا أخذ بأحد طرفيها اقتضت . (٤) اليطقة فتحة القصة التي تلبس بها أى تنزق .

وزعمت أنك ملهم، ولعمري إنك من أنبي الله، وآثر رضاه، وطلب ما حمله، أمسك لسانه وأطبق فاه، وجعل معيه لما وراه .

فقال هل رضى الله عنه : مهلاً يا أبا حفص، والله ما بذلت ما بذلت وأنا أريد نكته، ولا أقررت ما أقررت وأنا أبتنى جواً عنه . وإن أخسر الناس صفقة عند الله من آخر الثفاق، وأحضرن الشقاق، وفي الله سلاوة من كل حادث، وعليه التوكل في جميع الحوادث . ارجع يا أبا حفص الى مجلسك نافع القلب، مبرور الفيل، فسيح اللبان^(١)، فصيح اللسان، فليس وراء ما سمعت وقلت إلا ما يشد الأزر، ويحط الوزر، ويضع الإصر، ويجمع الألفة بمشيئة الله وحسن توفيقه .

قال أبو حيلة رضى الله عنه : فانصرف على وعمر رضى الله عنهما . وهذا أصعب ما صر على بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .



٢ - ومن كلام عائشة^(٢) رضى الله عنها في الانتصار لأبيها

يروى أنه بلغ عائشة رضى الله عنها أن أقواماً يتناولون أبا بكر رضى الله عنه، فأرسلت الى أزفلة^(٣) من الناس، فلما حضروا، أسدلت أستارها، وعلت ويسادها، ثم قالت : أبى، وما أبىة ! أبى والله لا تعطوه الأيدي، ذاك طود منيف، وفرع مديد، هيات، كذبت الظنون ! ألجم إذ أكذبتم، وسبق إذ وثمتم، وسبق الجواد إذا استولى على الأمس . فقى

(١) اللبان : الصدر . (٢) هي عائشة بنت أبى بكر الصديق بن أبى ثحافة، فقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهي بنت ست سنين، ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع، وكان مولدها سنة أرجح من النبوة، وأما أم رومان بنت عامر بن عويمر، وكان صداقتها أربعمائة درهم، وكانت أحبها إليه، وكنيتها أم عبد الله، كنيته بأبن عنها أسماء، ولما خطب ودائع . وكانت من أكبر العائلات في وقته الجبل المشهورة في الاسلام محبة الزبير وطاعة . وكانت أصح أهل زمانها وأزهم مطلقاً وأحفظهم لحديث وأقدهم . توفيت سنة سبع وخمسين ودفنت ليلاً بالبحر وصل عليها أبو هريرة رضى الله عنه . راجع ترجمتها في طبقات ابن سعد (ج ٨ ص ٢٩) .

(٣) الأزقة : الجماعة . (٤) لا تعطوه : لا تاتله .

فريش ناشئا، وكهفها كهلا، يهلك ما فيها، ويريش ثملها، ويراب شعبها، ولم شعبها، حتى
 حليت قلوبها، ثم استشرى في دين الله لا يرحم شريكه في ذات الله عز وجل حتى اتخذ
 بفنائهم مسجداً يحيى فيه ما إمامات المبطون . وكان رحمه الله عزيزاً للجمعة، وقبلاً للجوامع،
 يحيى النشيج، فانتقضت إليه نساء مكة وولداها يسعون منه ويستزبون به (الله يستزى)
 يوم يعلمهم في طغيانهم يعمهون) فأكبرت ذلك رجالاً من فريش لغت قيسياً، ونوقت
 سهامها، وانتقلوه غرضاً، لما قلوا له صفاء، ولا قصفوا له قناة، ومر على سبائه، حتى
 اذا ضرب الدين بجرانه، ورست أوتاده، ودخل الناس فيه أفواجا، ومن كل فرقة أرسالا
 وأشتاتا، اختار الله لنيته ما عنده، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان
 رواقه، ومد طنبه، وقصب حباله، وأجلب بحبله ورجله، وأضطرب حبل الإسلام،
 ومرج عهده وواج أهله، وبني الفوال، وظنت رجال أن قد أكتفت أطاعهم نزعها،
 ولات حين الذي يرجون، وأنى والشدقي بين أظهرهم ! فقام حاسراً مشعراً، بجمع
 حاشيته ورفع قطريه، فرد رمن الإسلام على غربه، ولم شعثه بطيه، وأتاش الدين
 فنعشه، فلما أراح الحق على أهله، ونور الرعوس على كواهلها، وحقق النماء في أمها،
 أنه ميتة، فسدت ثلثته بنظيره في الرحمة، وشقيقه في السيرة والمملكة، ذلك ابن الخطاب،
 لله دز أتم حملت به ودرت عليه ! لقد أوجدت به، ففخج الكفرة وديحها، وشرذم الشرك
 شذر مكر، وبسج الأرض وبجعه، فقامت أكلها، ولقظت خباها، تزامه ويصيف منها،
 وتصدى له ويأبها . ثم وزع فيها فيثا وودعها كما صحها . فاروى ماذا ترتشون، وأى
 يومى أرى تقيمون : أيوم إقامته اذ صل فيكم، أم يوم علمته اذ نظر لكم ؟ أقول قولى هذا
 وأستغفر الله لى ولكم . ثم أقبلت على الناس بوجهها فقالت : أشدكم الله هل أنكرتم ما
 قلت شيئا ؟ قالوا : اللهم لا .

(٢) خباها :

(٢) فنج : ظ وقهر .

(١) حل سبائه، أى حل دأبه ومادة .

ما طاب عنها .

٣ - كلمة أم الخير بنت الحريش^(١)

ومن كلام أم الخير بنت الحريش البارقية يوم صُغين في الانتصار لعل رضى الله عنه :
يُروى أن معاوية كتب إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش البارقية
برحلتها، وأعلمه أنه مجازية بقولها فيه بالخير خيرا وبالشر شرا . فلما ورد عليه كتابه ، ركب
إليها فأقرأها الكتاب ، فقالت : أنا أنا فغير زائفة عن طاعة ولا معتلة بكتب ! ولقد كنتُ
أحب لقاء أمير المؤمنين لأمر تخرج في صدرى . فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها :
يا أم الخير، إن أمير المؤمنين كتب إلى أن يجازيني بقولك في بالخير خيرا وبالشر شرا ،
لما عندك ؟ قالت : يا هذا لا يُطعمتك رُك في أن أسرك بباطل ، ولا تؤنسك معرفتي بك
أن أقول فيك غير الحق . فسارت خير مسير حتى قُبلت على معاوية ، فأنزلها مع حريمه ثلاثا ،
ثم أدخلها عليه في اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين
ورحمة الله وبركاته ؟ قال لها : وطبك السلام يا أم الخير ، وبالرغم منك دعوتى بهذا الاسم ؟
قالت : مه يا أمير المؤمنين ! فإن بئس السُلطان منخضة لما يجب عليه ولكل أجل كتاب ؟
قال : صدقت ، فكيف حالك يا خالة ؟ وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت : لم أزل في مافية
وسلامية حتى صرتُ إليك فأنا في مجلس أنيق ، عند ملك رفيق ؟ قال معاوية : بحسن نيق
ظفرتُ بكم ، قالت : يا أمير المؤمنين أبعثك بالله من دحس المقال وما تُردى عاقبتُه ،
قال : ليس هذا أردنا ، أخبريني كيف كان كلامك يوم قُبلت حمار بن ياسر ؟ قالت :
لم أكن واقفه زورته قبل ولا رويته بعد ، وإنما كانت كلمات قَتْمَن لسانى حين الصدمة ،
فإن شئت أنت أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت ؟ قال : لا أشاء ذلك . ثم التفت إلى
أصحابه فقال : أيكم يحفظ كلام أم الخير ؟ فقال رجل من القوم : أنا أحفظه يا أمير المؤمنين
كحفظي سورة الحمد ؟ قال : هايت ؟ قال : نعم كأتى بها يا أمير المؤمنين في ذلك اليوم عليها

(١) مقولة من صبح الأضواء ج ١ ص ٢٤٨ (٢) زور الكلام في قسه : مباء .

بِرَدِّ زَيْدِيٍّ كَثِيفَ الْحَاشِيَةِ، وَهِيَ عَلَى جَمَلِ أَرْمَكَ وَقَدْ أَحْيَيْتَ جَرْمًا، وَبَيَّنَّهَا سَوَاطِ مَشْتَبِهٍ الضُّفْرِ، وَهِيَ كَالْفَعْلِ يَهْدِي فِي شِقَاقَتِهِ يَقُولُ :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) ! إِنْ اللَّهُ قَدْ أَوْضَحَ الْحَقَّ، وَأَبَانَ الدَّلِيلَ، وَبَوَّزَ الضَّلِيلَ، وَرَفَعَ الظُّلْمَ، فَلَمْ يَنْصَحْكُمْ فِي عَمِيَاءِ عَمِيَّةٍ ! وَلَا سَوَادِ مَبْطِلَةٍ، فَالْفِي أَيْنَ تَرِيدُونَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ! إِفْرَارًا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَمْ إِفْرَارًا مِنَ الرَّحْفِ، أَمْ رَغْبَةً مِنَ الْإِسْلَامِ، أَمْ ارْتِدَادًا عَنِ الْحَقِّ ! أَمَّا سَمِعْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : (وَاتَّبِعُوا نَبِيَّكُمْ حَتَّى تَنْصَلُوا إِلَى الْبَاهِغِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُغُوا أَخْبَارَكُمْ) .

ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ يَقُولُ :

قَدْ عَيَّلَ الْعَبْرَ، وَضَعَفَ الْيَقِينَ، وَانْتَشَرَ الرَّعِبَ، وَبَيَّنَّكَ يَا رَبُّ أَرِزَةَ الْقُلُوبِ، فَاجْمَعْ الْكَلِمَةَ عَلَى التَّقْوَى، وَأَلَّفَ الْقُلُوبَ عَلَى الْهُدَى . هَلِّمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَالْوَصِيِّ الْوَفِيِّ، وَالصَّدِّيقِ الْأَكْبَرِ ! إِنَّمَا أَحْسَنُ بَذَرِيَّةٍ، وَأَحْقَادُ جَاهِلِيَّةٍ، وَضَفَائِنُ أُحُدِيَّةٍ، وَتَبَّ بِهَا مَعَاوِيَةَ حِينَ الْفُتْلَةَ لِيُذَرِّكَ بِهَا ثَارَاتُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ .

ثُمَّ قَالَتْ : قَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُتَّقُونَ . صَبْرًا مَعَشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، قَاتِلُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَثَبَاتٍ مِنْ دِينِكُمْ، وَكَأَنِّي بَيْنَكُمْ غَدًا قَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ كَحُمُرٍ مُسْتَنْفِرَةٍ، قَوَتْ مِنْ قَسْوَةِ، لَا تَدْرِي أَيْنَ يُسَلِّكُ بِهَا مِنْ جَفَاجِ الْأَرْضِ، بِأَعْوَا الْأَثَرَةِ بِالْدُنْيَا، وَاشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى، وَبَاعُوا الْبَصِيرَةَ بِالْعَمَى، وَعَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْهِرُنَّ قَادِمِينَ، حِينَ تُحْمَلُ بِهِمُ النَّدَامَةُ، فَيَطْلُبُونَ الْإِقَالَةَ ! إِنَّهُ وَاللَّهِ مَنْ ضَلَّ عَنْ الْحَقِّ وَقَعَ فِي الْبَاطِلِ، وَمَنْ لَمْ يَسْكُنِ الْجَنَّةَ نَزَلَ فِي النَّارِ . أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْإِكْيَاسَ اسْتَقْصَرُوا عَمَرَ الدُّنْيَا فَرَفَضُوهَا وَاسْتَبْطَئُوا مَدَّةَ الْآخِرَةِ فَسَمَوْا لَهَا . وَاللَّهِ أَيُّهَا النَّاسُ لَوْلَا أَنْ تَبَطَّلَ الْحَقُّ، وَتَعَطَّلَ الْحُدُودُ، وَبُظْهَرَ الظَّالِمُونَ، وَتَقَوَّى كَلِمَةُ الشَّيْطَانِ، لَمَا اخْتَرْنَا وَرُودَ الْمَنَآيَا عَلَى خَفَضِ الْعَيْشِ وَطَيْبِهِ، فَالِي أَيْنَ تَرِيدُونَ — رَحِمَكُمُ اللَّهُ — عَنْ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وزوج ابنته وأبى أبنيه؟ خلق من طيبته، وتفرغ عن تبعته، وخصه ببره، وجعله باب مدينته، وأطمح به المسلمين، وأبان بيقضه المنافقين . فلم يزل كذلك يؤيده الله بموته، ويمضى على سنن استقامته، لا يعرج لراحة اللذات . وهو مقلق الهام، ومكسر الأصنام، إذ صلب الناس مشركون، وأطاع والناس مرتابون . فلم يزل كذلك حتى قتل مبايضى بئر، وأقن أهل أحد، وفزع جمع هوازن، فإلها وقائع زرعت في قلوب قوم ثقافا، وريذة وشقاقا . وقد أجهت في القول، وبالف في النصيحة، وبالله التوفيق . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقال معاوية : والله يا أم الخير ما أردت بهذا إلا قتلى ! والله لو قتلتك ما خرجت في ذلك .

قالت : والله ما يسوءنى يا بن هند أن يُجرى الله ذلك على يدى من يُسدنى الله بشقائه؛ قال : هيات يا كريمة الفضول، ما تهولين في عثمان بن عفان؟ قالت : وما عصيتُ أن أقول فيه، استخلفه الناس وهم كارهون، وقتلوه وهم راضون؛ فقال : ليها يا أم الخير، هذا والله أصلك الذى تبين عليه؛ قالت : لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا، ما أردتُ عثمان نقصا، ولقد كان سبأقا إلى الخيرات، وإنه لرفع الدرجة . قال : لما تهولين في طلحة بن عبيد الله؟ قالت : وما عسى أن أقول في طلحة، إغثيل من مأمته، وأقن من حيث لم يحتذر، وقد وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة . قال : لما تهولين في الزبير؟ قالت : يا هذا لا تدعنى كرجيع الصبيغ يمرُّ في المِرْكُن^(١)، قال : حقاً لتقولن ذلك وقد عزمْتُ عليك؛ قالت : وما عصيتُ أن أقول في الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، ولقد كان سبأقا إلى كل مكرمة في الإسلام . وإني

(١) المِرْكُن : الإجابة وهي إناة تفصل فيه الثياب . ومِرْك : يحك . والرجيع المردود . أى لا تهتلقى كالثرثوب المصيرغ يحك في الإناة . مرة بعد أخرى لإخراج صبته منه . تشبه معاوية لما رواه لما مرة بعد مرة لاستخراج ما في قسما بما يضل من الثياب المصيرة لاستخراج صبغها منها .

أسألك بحق الله يا معاوية، فإن قرينا تحتك أنك من أحبيها، أن تستني بفضل حملك، وأن تمنيني من هذه المسائل، وأيضاً لما شئت من غيرها، قال: نعم وكرامة، قد أحضيتك، وودعها مكرمة إلى بلدها.



٣ — كلمة الزرقاء بنت عدى

ومن كلام الزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية ما قالته يوم صفين أيضاً :

يروى أنها ذكرت عند معاوية يوماً، فقال لجلسائه : أيكم يحفظ كلامها؟ قال بعضهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين، قال : فأشيروا على من أمرها، فأشار بعضهم بقتلها، فقال : بئس الرأي ! أيجسُنُ بمثل أن يقتل امرأة ! ثم كتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع هبة من ذوى محرمها وعتة من فرسان قومها، وأن يهد لها وطاءً لينا، ويستترها بستر خفيف، ويوسع لها في النفقة . فلما دخلت على معاوية، قال : مرحباً بك وأهلاً ! فقدمت خير مقدم قلعه وأقد، كيف حالك؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين، أدام الله لك النعمة ! قال : كيف كنت في مسيرك؟ قالت : ربيبة بيت أو طفلة ممهداً، قال : بذلك أمرناهم . أتدريين فيم بعثت إليك؟ قالت : وأنى لي أعلم ما لم أعلم؟ وما أعلم الغيب إلا الله عز وجل، قال : ألسيت الراكبة الجمل الأحمر، والواقفة بين الصفيين بصفيين تحضين الناس على القتال، وتوقدين الحرب؟ فما حملك على ذلك؟ قالت : يا أمير المؤمنين، مات الرأس، وبُتر الذنب، ولن يعود ما ذهب، والدهر فوغي، ومن تفكر أبصر، والأمر يحلُّت بعده الأمر، قال

(١) هي الزرقاء بنت عدى بن غالب بن قيس الهمدانية، كانت من أهل الكوفة، وكانت ذات عجايزة فاقته، وبلاهة نادرة، حدثت مع قومها وائمة صفين، ولما عدا غلبت محرض الناس فيها على القتال ضد معاوية . وبعد أن تم لمعاوية ما أراد كتب الى عامله بالكوفة باستدائها، فأحضرت اليه، وبعد محاورته بينه وبينها سألها حاجتها، فقالت : « يا أمير المؤمنين، أليت على نفسي إلا أسأل أميراً أحتط عليه أبداً » ثم انصرفت، وبعد ذلك أرسل لها معاوية جائزة . (٢) خفيف : غليظ .

لها معاوية: أتحفظين كلامي يومئذ؟ قالت: لا والله، ولقد أنسيتُهُ، قال: لكني أحفظه،
 لله أبوك حين تقولين:

أيها الناس، إرحموا وأرحموا! إنكم أصبحتم في فتنة خَشْتُمْ جلايبَ الظلم، وجارت
 بكم من قصد النجبة. فيا لها فتنة عياء، سماء بكاء، لا تسمع لنا عبقها، ولا تَسْلُسُ لقائناها.
 إن المصباح لا يُضيء في الشمس، والكواكب لا تُشِير مع القمر، ولا يقطع الحديد
 إلا الحديد. ألا من أسترشد أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه.

أيها الناس، إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها! فصبراً يامعاشر المهاجرين والأنصار
 على الفُصص، فكان قد آتَمَل شُعبُ الشَّات، وأكثمت كلمة التقوى، ودَمَغ الحق باطله!
 فلا يجهلن أحدٌ فيقول: كيف العدل وأنى! ليقضى الله أمراً كان مفعولاً، ألا وإن خضاب
 النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء! ولهذا اليوم ما بعده، والصبر خيرٌ في حوائب
 الأمور. ليها إلى الحرب قُدماً غيرنا كصين ولا مُقشاكين.

ثم قال لها: يا زرقاء، لقد شَرِكْتُ طياً في كل دم سَفَكه، قالت: أحسن الله بشارتك،
 وأدام سلامتك، فثلك من بشر بخير وسرّ جليسه، قال: وبُشرك ذلك؟ قالت: نعم مُبرِئتُ
 بالخبر فأتى لي بتصديق الفعل! فضحك معاوية وقال: لو فارقكم له بعد موته أعجب عندي
 من حُكم له في حياته! أذكرك حاجتك؟ قالت: يا أمير المؤمنين، آليتُ على نفسي ألا
 أسأل أميراً أعتت عليه أبداً، ومثلك من أعطى من غير مسألة، وجاد من غير طلبه، قال:
 صدقت، وأمر لها وللذين جاؤوا معها بيوائر وكسا.

٤ — عكرشة بنت الأطرش

ومن كلام عكرشة بنت الأطرش ما قالته يوم صَفَيْن أيضاً:

يُروى أنها دخلت على معاوية متوكئة على حُكَّاز لها، فسأمت عليه بالخلافة ثم جلست،
 فقال لها معاوية: الآن صرْتُ عندك أمير المؤمنين؟ قالت: نعم إذ لا على حق! قال:

أليس المتقلدة حائل السيف يصقون وأنت واهة بين الصقين تقولين : أيتها الناس ، عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا أعتديت . إن الجنة لا يحرز من قطعها ، ولا يهرم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم هوئها . وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم ، مستظليين جل حقهم ؛ إن معاوية دلف إليكم بسجم العرب ، لا يفقهون الإيمان ، ولا يدرون ما الحكمة . داهم إلى الباطل فأجابوه ، واستندطهم إلى الدنيا فلبوه . فافقه الله عباد الله في دين الله ! وإياكم والتواكل فإن ذلك ينتقض عرى الإسلام ، ويطفى نور الحق . هذه بئر الصغرى ، والعقبة الأخرى . يامعشر المهاجرين والأنصار ، أمضوا على بصيرتكم ، وأصبروا على عزيمتكم ، فكأنى بكم فداً وقد لقيتم أهل الشام كالمتر الناهقة تقصع^(١) قصع البعير .

ثم قال : فكأنى أراك على عصاك هذه قد انكفا عليك المسكران يقولون هذه عكرشة بنت الأعرس ، فإن كديت لتفليين أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فما حملك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، يقول الله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ﴾ الآية ، وإن الليب إذا كره أمراً لا يحب إبطته ؛ قال : صليت ، فاذ كرى حاجتك ؛ قالت : كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا ، وقد فقدنا ذلك ، فما يُعبر لنا كسير ، ولا يُنعش لنا فقير ؛ فإن كان عن رأيك فتلك من أنتبه من الغفلة وراجع التوبة ، وإن كان عن غير رأيك فما مثلك من استعانة بالخونة ، ولا استعمل الظلمة ؛ قال معاوية : يا هذه ، إنه ينوبنا من أمور رعبتنا ثغور شتى ، وبحور شتى ؛ قالت : سبحان الله ! والله ما فرض الله لنا حقاً بفعل فيه ضرراً لغيرنا وهو علام الغيوب ؛ قال معاوية : هيات يا أهل العراق ، نهكم على فلن تطأقوا . ثم أمر برده صدقاتهم فيهم وإنصافهم .

(١) يقال : قصع البعير بجزته يقصع قصاً : مضنها .

٦ - رسالة لعبد الحميد الكاتب^(١)

كتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب من مروان بن محمد لبعض من ولده^(٢) :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين - عند ما أقرم عليه من توجيهك الى صدق الله الخلف
الجليل الاعرابي ، المتسبح في سيرة الجاهلية ، وعلم الفتنه ، ومهاوى الملكة ، ورعايه الذين
طأوا في أرض الله فسادا ، وآتوكوا حرمة الإسلام استخفافا ، وبنلوا نعمة الله كفرا ،
واستحلوا دماء أهل سلمه جهلا - أحب أن يهتد اليك في لطائف أمورك ، وعوام
شؤورك ، ودخائل أحوالك ، ومضطرب تنفلك عهدا يحملك فيه أدبه ، ويشرع لك به

(١) هذه الرسالة منقولة عن صبح الأعيى ج ١٠ ص ١٩٥ (٢) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد
العامري ولده ، الشافى دارا ، شيخ الكتاب الأوائل ، وأول من أطال الرسائل .

كان عبد الحميد من أهل الشام من موالى بنى عامر ، وتخرج في البلاغة والكتابة على ختة أبي السلاء سالم مولى
هشام بن عبد الملك وكاتب دوله وأحد علماء العالم والثقة من اليونانية . وكان عبد الحميد في أول أمره معلم صبيان
يتنقل في البلدان حتى ظن له مروان بن محمد أيام توليه أرمينية واستدابه لتسكين ختبا ، فكتب له مئة ولاية ،
حتى إذا بلغه مباينة أصل الشام له بالخلقة سجد مروان لله شكرا وسجد أصحابه إلا عبد الحميد ، فقال له مروان
لم لا تسجد ؟ فقال : ولم أجد ؟ أعل أن كنت معنا فطرت عنا ! قال : إذا علمت منى ، قال : الآن طاب لى السجود
وسجد ، فاحتفظ مروان كاتب دوله ، فصدرته من الرسائل ما صار نموذجيا يحاكم به من بعده من الخلفاء .

ولما دهم مروان بجيوش خراسان أنصار الدعوة العباسية وتوالت طيه الهزائم كان عبد الحميد يلازمه في كل
هذه الشدة ، فقال له مروان : قد أحجبت أن تصير مع طوى وتظهر الفلدي ، فإن إيجابهم بأدبك ، وحاجتهم
الى كتابتك ، نحوهم الى حسن الظن بك ، فإن استطعت أن تنقضى في حياق وإلام تعجز عن حفظ حرمي بعد
وفائي ، فقال له : إن الذى أشرت به على أفعع الأمرين لك وأقبحهما بي ، وما حشدى إلا الصبر حتى يفتح الله
عليك أو أهلك ملك . وأشد :

أمر واه ثم أظهر غسدة * فنزل بلبديوسح الناس ظاهره

وبين منه حتى قتل مروان سنة ١٣٢ هـ فمروا غلبا عند صدقته ابن المقفع ضاحيا الطالب وهو في يده ، قال
الذين دخلوا عليها : أيكأ عبد الحميد ؟ فقال كل منها : أنا ، شوقا على صاحبه ، وخاف عبد الحميد أن يصرخوا
الى ابن المقفع فقال : ترقوا بنا فإن كلا ما له علامات ، فوكوا بنا بعضهم وبعض كثر ويذكر تلك
الصلوات لمن ويحكم قتلوا وأخذ عبد الحميد الى السفاح فقتله سنة ١٣٢ هـ . انظر ترجمه في ابن خلكان
(ج ١ ص ٤٣٦) . (٣) هو عبد الله بن مروان أرسله لقتال الضمك بن قيس الشيباني الخاريجي .

مِثْلَهُ ، وإن كنتَ بحمدِ الله من دينِ الله وخِلافِهِ بحيثَ أمْطعتك اللهُ لولايةِ العهدِ مَحْضًا
لكَ بِذلكَ دونَ ثَمَنِكَ وَنَبِيٍّ أَيْسَكَ . ولولا ما أَمَرَ اللهُ تعالى بهِ ذالًا عليه ، وهَتَمْتُ فِيهِ
الحُكْماءُ أَمِيرِينَ بهِ : من تَقْدِيمِ المِثْلَةِ ، والتذكيرِ لأهلِ المعرفةِ ، وإن كانوا أَوْلَى سَابِقَةٍ
في الفضلِ وَخِصْبِماءِ في العلمِ ، لأَحْتَمَدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ على أَمْطِئاعِ اللهِ إِيَّاكَ وَتَهْنِئَتِهِ لَكَ
بِمَا ذاكَ أَهْلُهُ في عَمَلِكَ من أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسَبِّغَكَ إلى رِغَابِ أخلاقِهِ ، وَأَتْرَافِكَ بِمُحَوِّدِ شِمِهِ ،
وَأَمْبِيالِكَ على مِثَالِهِ تَدِيرِهِ . ولو كانَ الْمُؤَدِّيونَ أَخَذُوا العلمَ من عِنْدِ أَفْهِيهِمْ ، أَوْ لَقَّنُوهُ
إِلْهَامًا من تِلْقَائِهِمْ وَلَمْ يُصِيبْهُمْ تَعَلُّمُوا شَيْئًا من فِعْلِهِمْ ، لَعَلَّنَاهُمْ عِلْمَ الْغَيْبِ ، وَوَضَعْنَاهُمْ بِمِثْلَةِ
قَصْرِهَا عَنْهُمْ خَالَفَهُمُ الْمَسْتَأْثِرُ بِعِلْمِ الْغَيْبِ عَنْهُمْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ فِي فِرْدَانِيَّتِهِ وَسَلْبِ لَاهُوتِيَّتِهِ ،
أَحْتِجَابًا مِنْهُمْ لَتَعْظِيفِ فِي حِكْمِهِ ، وَتَنْثِيَةٍ فِي سُلْطَانِهِ وَتَفْخِيزِ إِرَادَتِهِ ، على سَابِقِ مَشِيئَتِهِ .
ولكنَ الْعَالِمَ الْمُوقِفَ بِخَيْرِ الْخُصُوصِ بِالْفَضْلِ ، الْمَهْبُوءَ بِمِزْيَةِ الْعِلْمِ وَصِفْوَتِهِ ، أَدْرَكَهُ مُعَانًا عَلَيْهِ
بِلُطْفِ بَحْثِهِ ، وَإِذْلالِ كَفِّهِ ، وَصِحَّةِ فَهْمِهِ ، وَهَجَرِ سَامِيَتِهِ .

وقد تَهْتَدِمُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، آخِذًا بِالْحُجَّةِ عَلَيْكَ ، مُؤَدِّيًا حَقَّ اللهِ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ
فِي إِرْشَادِكَ وَقَضَاءِ حَقِّكَ ، وَمَا يَنْظُرُ بِهِ الْوَالِدُ الْمَعْنَى الشَّفِيقُ لَوْلَاهُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَرْجُو أَنْ
يَتَرَكَّ اللهُ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ يَهْشُرُ لَهُ طَمَعٌ ، وَأَنْ يَعِصَمَكَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ حَاقٍ بِأَحَدٍ ، وَأَنْ
يَحْصُنَكَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ اسْتَوْلَتْ عَلَى أَمْرِيٍّ فِي دِينٍ أَوْ خُلُقٍ ، وَأَنْ يَبْلُغَهُ فَيْكَ أَحْسَنَ مَا لَمْ يَزَلْ
يَسُودُهُ وَيُرِيهِ مِنْ آثارِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكَ ، سَامِيَةً بِكَ إِلَى ذِرْوَةِ الشَّرَفِ ، مَتَبَجِّحَةً بِكَ بِسُطَّةِ
الْكَرَمِ ، لَأُثَمَّةً بِكَ فِي أَزْهَرِ مَعَالِي الْأَدَبِ ، مُورِثَةً لَكَ أَفْسَ ذَخَائِرِ الْعِزِّ ، وَأَقْبَرَ اسْتِخْلَافِ
عَلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَبِسْأَلِ حَيَاطَتِكَ ، وَأَنْ يَعِصَمَكَ مِنْ زَيْغِ الْهَوَى ، وَيُحْضِرَكَ دَائِعَى
التَّوْفِيقِ ، مُعَانًا عَلَى الْإِرْشَادِ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُعِينُ عَلَى الْخَيْرِ وَلَا يُوَفِّقُ لَهُ إِلَّا هُوَ .

إِعلمُ أَنَّ الْحِكْمَةَ مَسَالِكُ تُفْضِي مَضَائِقُ أَوَائِلُهَا بَيْنَ أَهْلِهَا ، وَرَكِبَ أخطارَهَا
قَاصِدًا ، إِلَى سَعَةِ طَائِفَتِهَا ، وَأَمِنَ سَرَحَهَا ، وَشَرَفَ عِزَّهَا . وَأَنَّا لَا تُعَارِ بِسُخْفِ الْخَلْفَةِ ،
وَلَا تُنْشَأُ بِتَفْرِيطِ الْفَقْلَةِ ، وَلَا يُتَمَدَّى فِيهَا بِأَمْرِيٍّ حُدُّهُ . وَرَبِّمَا أَظْهَرْتَ بِسُطَّةِ الْفِي

مستور العيب . وقد تلقّنتك أخلاق الحكمة من كل جهة بفضلها ، من غير تمب البحث في طلبها ، ولا متطاويل المناوأة ذروتها ؛ بل تأملت منها أكرم نبتاتها ، واستخلصت منها أحقّ جواهرها ؛ ثم سموت إلى لباب مصاصها ، وأحرزت مئوس ذخائرها ، فاقبض ما أحرزته ، ونافس فيما أصبت .

وأعلم أن احتواك على ذلك وسبقك إليه بإخلاص تهوى الله في جميع أمورك مؤثراً لها ، وإظهار طاعته متطوياً عليها ، وإعظام ما أنعم الله به عليك شاكراً له ، مرتبطاً فيه للزيد بحسن الحياطة له واللب عنه من أن تتخلك منه سامة ملال ، أو غفلة ضياع ، أو سعة تهاون ، أو جهالة معرفة ، فإن ذلك أحق ما يبدى به ونظرفه ، معتمداً عليه بالقوة والآلة والمئدة والأفراد به من الإصحاب والحائنة . فتمسك به لاجئاً إليه ، واحتد طيه مؤثراً له ، وألجئ إلى كنفه متحيزاً إليه : فإنه أبلغ ما طُلب به رضا الله وأنجسه مسألة ، وأجزله ثواباً ، وأعوده قهراً ، وأتمه صلاحاً ، أرشدك الله لحظك ، وفهمك سداده ، وأخذ بقلبك إلى محمود . ثم أجعل له في كل صباح يُنم عليك بيلوذه ، ويُظهر منك السلامة في إشرافه ، من نفسك نصيباً يجعله له شكراً على إبلاضه لإياك يومك ذلك يصحّة جوارح وعافية بدن ، وسبوغ فم ، وظهور كرامة ، وأن تقرأ فيه من كتاب الله — تبارك وتعالى — جزءاً تُرقد رأيك في آيه ، وترتل لفظك بقراءته ، وتُحضره عقلك فاعرف في مُحكمه ، وتُفهمه مفكراً في مُتشابهه : فإن في القرآن شفاء الصدور من أمراضها ، وجملاء وساوس الشيطان وصعاصبه ، وضياء معالم النور ، تياناً لكل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون . ثم تهذ نفسك بمجاهدة هواك ، فإنه مِخلَق الحسنات ، ومِفْتَاح السيئات ، وخَصَم العقل .

وأعلم أن كل أهوائك لك عدو يحاول هلكتك ، ويمتريض ظفرك ، لأنها خُدع إبليس ، وخَوَاتِل مكره ، ومصابد ميكيدته ؛ فاحذرهما مجانباً لها ، وتوقها عترياً منها ؛ وأستعد

(١) الخاص : خالص كل شيء .

(٢) كذا في صبح الأعي في مفتاح الأفكار (ص ٢٨٢) وغيره « وترين » . (٣) الصامع :

جمع صمع وهو طائر أذهب يصيد الجنادب ، شبه وسوسة الشيطان به . وفي بعض المؤلفات « وسواسه » .

بأخيه عز وجل من شرها، وبإيادها إذا تناصرت عليك بعزم صادق لا وثية فيه، وحزم نافذ لا مشيئة لرأيك بعد إصداره، وصدق ظالم لا مطمع في تكنيته، ومضاهية صارمة لا أناة معها، ونية صحيحة لا خلعة شك فيها: فإن ذلك يظهر صدقك على ردها عنك، ولعمري دون ما نتطلع إليه منك، فهي واقية لك من خطئة ربك، داعية إليك رضا العائنة جنك، سارة عليك صعب من دونك، فازدبن بها متحلياً، وأصب بأخلاقك مواضعها الحميدة منها، وتوق عليها الآفة التي تهبطك عن بلوغها، وتقتصر بك دون شأوها: فإن الملوثة إنما أشتلت مستصيبة، وقدحت باهظة أهل الطلب لأخلاق أهل الكرم المستحيلين سمو القدر، بمجالة مواضع ذم الأخلاق ومجودها، حتى توط أهل التصديق في بعض أمورهم، فدخلت عليهم الآفات من جهات أمتوها، فأسبوا إلى الضريط، ورضوا بليل المنزل، فأقاموا به جاهلين بموضع الفضل، صميين عن درج الشرف، ساقطين دون منزلة أهل الجاه. فحاول بلوغ غايتها محمراً لها بسبق الطلب إلى إصابة الموضع، محصناً أفعالك من العجب: فإنه رأس الهوى، وأول النواية، ومقادير الملكة، حارساً أخلاقك من الآفات المتصلة بمساوي الألقاب وفيهم تأزرها، من حيث أنت الغفلة، وأنشر الضياع، ودخل الوهن: فوق قلوب الآفات على حقلك، فإن شواهد الحق ستظهر بأماراتها تصديق آرائك عند ذوى الجاه حال الرأي وتحص النظر. فاجتنب لنفسك محمود الذكر وباقى لسان الصديق بالحذر لما تقدم إليك فيه أمير المؤمنين، متحزراً من دخول الآفات عليك من حيث أمتك وقلة يفتك بمحكها: من ذلك أن تملك أمورك بالقصد، وتدارى جندك بالإحسان، وتصور سيرك بالكتمان، وتدارى حقدك بالإتصاف، وتذل نفسك بالعدل، وتحصن عيوبك بتقويم أودك، وتمنع عقلك من دخول الآفات عليه بالعجب المردى. وأنتك فوقها الملال وفوت العمل، ومضاهاتك قدرها روية النظر واكتشفها بأناة الحليم. وغلوتك فاحرمها من الغفلة وأعمال الراحة، وصمتك

فَأَتَيْتُ عَنْهُ عَنِ الْفَلْظِ ، وَخَفَّ سَوَاءُ الْقَالَةِ ، وَأَسْتَمَاتِكَ فَارِيهِ حُسْنُ الْفَهْمِ ، وَقُوَّةُ الْإِسْهَادِ
الْفِكْرِ ، وَطَمَاحُكَ فَأَمْتَدَّ لَهُ بَيِّنَاتِ الشَّرَفِ وَنُبُوَى الْحَسَبِ ، وَتَحَوُّزُ فِيهِ مِنَ الْبَرْفِ وَأَسْتَطَالَةِ
الْبَدَخِ وَأَمْتِنَانِ الصَّلِيحَةِ ، وَجِيَاكَ فَاغْتَمَعَهُ مِنَ الْبَحْلِ وَبِلَادَةِ الْحَصْرِ ، وَحِلْسُكَ فَرَزَهُ عَنِ
الْبَهَائُونَ وَأَحْضَرَهُ قُوَّةَ الشَّيْخَةِ ، وَعَقُوبَتِكَ فَقَصَّرَ بِهَا عَنِ الْإِقْرَاطِ ، وَتَعَدَّدَ بِهَا أَهْلُ
الْإِسْتِحْقَاقِ ، وَعَفْوُكَ فَلَا تُخْطِلُهُ تَطْيِيلُ الْحَقُوقِ ، وَخَذُّهُ وَاجِبَ الْمَقْرُضِ ، وَأَقِيمَ بِهِ أَوْدَ
الَّذِينَ ، وَأَسْتِئْثَنَّاكَ فَاغْنِ مِنْهُ الْبَدَاءَ وَسَوَاءُ الْمُنَاقَفَةِ . وَتَمَهَّدَكَ أُمُورُكَ لِهَيْئَةِ أَوْقَاتِهَا ، وَقَدَّرَهُ
مَسَاهِلَ لَا تَسْتَفْرِغُ قُوَّتَكَ ، وَلَا تَسْتَدْعِي سَامَتَكَ ، وَعَزَمَاتِكَ فَأَتَيْتُ عَنْهَا عَجَلَةَ الرَّأْيِ ،
وَبَلَاغَةَ الْإِقْدَامِ ، وَفِرَاحَتِكَ فَاشْكُتُهَا مِنَ الْبَطَرِ ، وَقَيْدَهَا عَنِ الزُّهْوِ ، وَرَوَاعَتِكَ لِحُطَّهَا مِنْ
دَهْشِ الرَّأْيِ وَأَسْتِئْثَنَّاكَ الْمَخْضُوعِ ، وَحَدَرَاتِكَ فَاغْنِهَا مِنَ الْجَبَنِ ، وَأَعْمِدَ بِهَا الْحَزْمِ ،
وَرِجَالِكَ فَغَيَّدَهُ بِخُوفِ الْفَاتَةِ ، وَأَمْتَعَهُ مِنْ أَمْنِ الْطَلَبِ .

هذه جوامعٌ خلالَ ، دَخَّالُ النَّصِصِ مِنْهَا وَاصِلٌ إِلَى الْعَقْلِ بِطَائِفِ أَتْبَتِهِ ، وَتَصَارِيفِ
حَوِيلِهِ ، فَأَحْكِمَهَا طَارِقًا بِهَا ، وَتَقَدَّمَ فِي الْحِفْظِ لَهَا ، مَعْتَرِمًا عَلَى الْأَخْذِ بِمَرَاشِدِهَا وَالْإِتْنَاءِ مِنْهَا
إِلَى حَيْثُ بَلَفَتْ بِكَ صِفَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَبُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَمِنْ لَتَكُنْ بِطَانَتِكَ وَجَلَسَاتُوكَ فِي خُلُوتِكَ وَدَخْلَاتُوكَ فِي سِرِّكَ ، أَهْلُ الْفِقْهِ وَالْوَرَعِ مِنْ
خَاصَّةِ أَهْلِ بَيْتِكَ ، وَطَامَةُ قَوَادِكُ مَنْ قَدْ حَنَّكَهُ السَّنُ بِتَصَارِيفِ الْأُمُورِ ، وَخَبَطَتْهُ فِصَالُهَا
بَيْنَ فَرَاسِنِ الْبُزْلِ مِنْهَا ، وَقَلْبَتَهُ الْأُمُورُ فِي فَنُونِهَا ، وَرَكِبَ أَطْوَارَهَا ، طَارِقًا بِحَاسِنِ الْأُمُورِ
وَمَوَاضِعِ الرَّأْيِ وَعَيْنِ الْمَشُورَةِ ، مَامُونِ النَّصِيحَةِ ، مَنطُوبِ الضَّمِيرِ عَلَى الطَّاعَةِ . ثُمَّ أَحْضَرَهُمْ
مَنْ تَفَسَّلَ وَقَارَأَ يَسْتَدْعِي لَكَ مِنْهُمْ الْهَيْبَةَ ، وَأَسْتِئْثَنَّاكَ بِعَطْفِ إِلَيْكَ مِنْهُمْ الْمَوَدَّةَ ، وَإِنصَاتَا
يُثَلِّ إِفَاضَتَهُمْ لَهُ عِنْدَكَ بِمَا تَكْرَهُ أَنْ يُنْشَرَّعَنَّكَ مِنْ مَخَاطَفَةِ الرَّأْيِ وَضَيَاعِ الْحَزْمِ . وَلَا يَنْقَلِبَنَّ
عَلَيْكَ هَوَاكَ فَيَصْرِفَكَ عَنِ الرَّأْيِ وَيَقْتَطِعَنَّكَ دُونَ الْفِكْرِ . وَتَعَلَّمْ أَنَّكَ وَإِنْ خَلُوتَ بِسِرِّ

(١) يقال : نأثت فلان فلانًا بالكلام : آذاه . (٢) الحويل : الخلق والقدرة على الصِّرف .

(٣) الفراسن : واحدًا فرسن وهو طرف خفيف البعير .

فَالْقَيْتَ دُونَهُ سُتُورَكَ، وَأَضَلَّتْ طِيَهُ أَبْوَابَكَ، فَذَلِكَ لَا عَالَةَ مَكشُوفٍ لِلْعَامَّةِ، ظَهَرَ
 عَنْكَ وَإِنْ أَسْتَرْتَ بَرِيًّا وَلَعَلَّ وَمَا أَرَى إِذَامَةَ ذَلِكَ وَأَحْلَمَ، بِمَا يَرُونَ مِنْ جَلَالَتِكَ مِنْ
 يَتَقَطِّعُ بِهِ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ . فَتَقَدَّمَ فِي إِحْكَامِ ذَلِكَ مِنْ قَسْكَ، وَأَسَدُّ خَلِّهِ عَنْكَ : فَإِنَّهُ
 لَيْسَ أَحَدٌ أَسْرَعُ إِلَيْهِ سِوَهُ الْقَالَةِ وَلَفْطُ الْعَامَّةِ بَخِيرٌ أَوْ شَرٌّ مِنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِكَ وَمَكَانِكَ
 الَّذِي أَصْبَحْتَ بِهِ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَالْأَمَلِ الْمَرْجُوِّ الْمُنْتَظَرِ فَيْكَ . وَلِمَاكَ أَنْ يَغِيْزَ فَيْكَ أَحَدٌ
 مِنْ حَافَتِكَ وَيَطْلُبَ خَدَمَتِكَ بِضَعْفَةٍ يَحْدُ بِهَا مَسَافًا إِلَى التَّلَاقِ عِنْدَكَ بِمَا لَا يَتَقَرَّكَ صِيَهُ،
 وَلَا تَخْلُو مِنْ لَأَمَتِهِ، وَلَا تَأْمَنُ سِوَهُ الْأَحْدُوثَةِ فِيهِ، وَلَا يَرْخُصُ سِوَهُ الْقَالَةِ بِهِ إِنْ نَجَّمَ ظَاهِرًا
 أَوْ عَلَنَ بَادِيًا، وَلَنْ يَحْتَرِثُوا عَلَى تِلْكَ عِنْدَكَ إِلَّا أَنْ يَرَوْا مِنْكَ إِصْخَاءً إِلَيْهَا وَقَبُولًا لَهَا
 وَتَرْخِيصًا لِمَنْ فِي الْإِفَاضَةِ بِهَا . ثُمَّ لِمَاكَ وَأَنْ يُقَاضَ عِنْدَكَ بَنِيٌّ مِنَ الْفُكَاهَاتِ وَالْحِكَايَاتِ
 وَالْمِزَاجِ وَالْمُضَاحِكِ الَّتِي يَسْتَحِفُّ بِهَا أَهْلُ الْبَطَالَةِ، وَيَتَسَرَّعُ بِحُوحَا ذُو الْجَهَالَةِ، وَيَجِدُ فِيهَا
 أَهْلُ الْحَسَدِ مَقَالًا لِعَيْبٍ يُدْبِعُونَهُ، وَطَعْنًا فِي حَقِّ يَجْعُدُونَهُ، مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ قُصَصِ الرَّأْيِ،
 وَدَرَنَ الْعِرْضِ، وَهَدَمَ الشَّرَفِ، وَتَأْتِيلَ الْغَفْلَةِ، وَقُوَّةَ طِبَاجِ السُّوءِ الْكَامِنَةِ فِي بَنِي آدَمَ
 كَكُؤُونِ النَّارِ فِي الْجَمْرِ الصَّلْدِ، فَإِذَا قُدِّحَ لَاحَ شَرُّهُ، وَتَلَهَّبَ وَمِيشُهُ، وَوَقَدَ تَضَرُّعُهُ .
 وَلَيْسَتْ فِي أَحَدٍ أَقْوَى سَطْوَةً، وَأَظْهَرَ تَوْفِدًا، وَأَعْلَى كُؤُونًا، وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ بِالْعَيْبِ وَتَطَشُّقِ
 الشَّيْنِ مِنْهَا لَمَنْ كَانَ فِي مِثْلِ سِنِّكَ : مِنْ أَغْفَالِ الرِّجَالِ وَذَوَى الْعُقُوفَانِ فِي الْحَمَامَةِ الَّذِينَ
 لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِمْ سِيَّمَاتُ الْأُمُورِ، نَاطِقًا طَلِيمًا لَا يُحْمَا، ظَاهِرًا فِيهِمْ وَمُتَمَّا، وَلَمْ تَحْتَضِهِمْ شَهَامَتَهَا،
 مَظْهَرَةً لِلْعَامَةِ فَضْلَهُمْ، مُذِيعةً حَسَنَ الذِّكْرِ عَنْهُمْ؛ وَلَمْ يُلْغِ بِهِمُ الْعَبِيَّتُ فِي الْحُنُكَةِ مُسْتَجَبًا
 يَدْفَعُونَ بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ نَوَاطِقَ السُّنَنِ أَهْلِ الْبَنَى، وَمَوَادَّ أَبْصَارِ أَهْلِ الْحَسَدِ .

ثُمَّ تَعَهَّدَ مِنْ نَفْسِكَ لَطِيفٍ عَجِبَ لَكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ السُّلْطَانِ وَالْقُدْرَةِ : مِنْ
 إِبْطَارِ الذَّرْعِ وَنُحُوَّةِ الشَّرَفِ وَاجْتِهَادِ الصَّلَافِ ؛ فَإِنَّهَا تُسْرِعُ بِهِمْ إِلَى فُسَادٍ وَتَهْلِكُ

(١) الأغفال جمع غفل وهو الذي لم يهبر الأمور . (٢) يقال : أبطله ذرعه إذا حله فوق

ما يعلق . وفي صحيح الأعمش (ج ١٠ ص ٢٠١) «أبطال الذرع» . وقد توقف فيها مصحح .

عقولهم في مواطنَ بَمة، وأنحاءَ مُصْطَرَفَةٍ، منها قِلَّةُ اقْتِدَارِهِمْ عَلَى ضَبْطِ أَنْفُسِهِمْ فِي مَوَاقِعِهِمْ
وَمُسَايَرَتِهِمْ الْعَامَّةَ : فَمِنْ مُقْبِلٍ شَخْصَةٍ بِكَثْرَةِ الْإِتِّفَاتِ عَنْ بَيْنِهِ وَشِمَالِهِ، تَرْدِيهِهِ الْخَلْقَةَ،
وَيُطِيطُهُ لِجَلَابُ الرِّجَالِ حَوْلَهُ ؛ وَمِنْ مُقْبِلٍ فِي مَوَاقِعِهِ عَلَى مَدَابِحِ مُسَايَرِهِ بِالْمَغَاكِهِ لِه
وَالْتَضَاكِ إِلَيْهِ، وَالْإِيحَافِ فِي السَّيْرِ مَرَّحًا ، وَمَحْرِكِ الْجَوَارِحِ مَنْسَرَجًا بِخَالِ أَنْ ذَلِكَ
أَمْرٌ لَهُ وَاحِدٌ لِحَيْثِيهِ . فَتُحْصَنُ فِي ذَلِكَ هَيْئَتُكَ، وَتُجَنَّبُ فِيهِ دَهْشَتُكَ ؛ وَلَيَقْلُ عَلَى
مُسَايَرِكَ إِبْقَالُكَ إِلَّا وَأَتَ مَطَرِيقَ النَّظَرِ، غَيْرُ مُلْتَصِفٍ إِلَى عَدَّتِ، وَلَا مُقْبِلٍ عَلَيْهِ بِوَجْهِكَ
فِي مَوَاقِعِكَ لِمُحَادَثَتِهِ، وَلَا مُوجِفٍ فِي السَّيْرِ مُقْبِلٍ لِمُحَارَكِ بِالتَّحْرِيكِ وَالْإِسْتِنَاضِ ؛ فَإِنْ
حَسَنَ مُسَايَرَةَ الْوَالِي وَأَتْلَفَهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ دَلِيلٌ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ غُيُوبِ أَمْرِهِ وَمُسْتَتَرِ أحواله .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَقْوَامًا يَتَمَرَّحُونَ إِلَيْكَ بِالسَّعَايَةِ، وَيَأْتُونَكَ عَلَى وَجْهِ التَّيْبِيعَةِ ، وَيَسْتَمِيلُونَكَ
بِإِظْهَارِ الشَّفَقَةِ، وَيَسْتَدْعُونَكَ بِالْإِعْرَاءِ وَالشُّبْهِ، وَيُوطِنُونَكَ حَشْوَةَ الْحَيَرَةِ : لِيَجْعَلُوكَ لَهُمْ
ذَرِيعةً إِلَى اسْتِكْثَالِ الْعَامَةِ بِمَوْضِعِهِمْ مِنْكَ فِي الْقَبُولِ مِنْهُمْ وَالتَّصَدِيقِ لَهُمْ عَلَى مَنْ قَرَفُوهُ
بِهَمَّةٍ، أَوْ أَسْرَعُوا بِكَ فِي أَمْرِهِ إِلَى الظَّنِّ ؛ فَلَا يَصِلُ^(١) إِلَى مَشَافَهَتِكَ سَاجٍ شُبْهَةٍ،
وَلَا مَعْرُوفٍ بِهَمَّةٍ ، وَلَا مَسْنُوبٍ إِلَى بَهْمَةٍ فَيَعْرِضُكَ لِإِيْتَاغِ^(٢) دِينِكَ، وَيَهْلِكُ عَلَى رِعْيَتِكَ
بِمَا لَاحِقِيقَةٍ لَهُ عِنْدَكَ ، وَيُطْعِمُكَ أَمْرًا قَوْمٌ لَا عِلْمَ لَكَ بِدَخْلِهِمْ ، إِلَّا بِمَا أَقْدَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ
سَاحِيًا وَأَظْهَرَ لَكَ مِنْهُمْ مُتَّصِحًا . وَلَيْكِنْ صَاحِبُ شُرْطَتِكَ الْمُتَوَلَّى لِإِنْهَاءِ ذَلِكَ هُوَ الْمُنْصَوَّبُ
لِأُولَئِكَ، وَالْمُسْتَمِيعُ لِأَقْوَالِهِمْ، وَالْفَاحِصُ عَنْ نَصَائِحِهِمْ ؛ ثُمَّ لِيُنْهَ ذَلِكَ إِلَيْكَ عَلَى مَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ
مِنْهُ لِتَأْمُرَهُ بِأَمْرِكَ فِيهِ، وَيَقِفَهُ عَلَى رَأْيِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ لِلْعَامَةِ : فَإِنْ كَانَ صَوَابًا نَالَتْكَ
خَيْرَتُهُ، وَإِنْ كَانَ خَطَأً أَقْدَمَ بِهِ عَلَيْكَ جَاهِلٌ، أَوْ قَرُطَةً سَمَى بِهَا كَاذِبٌ، فَتَالَتْ السَّاعِيَّ
مِنْهَا أَوْ الْمَظْلُومَ حَقُوبَةً ، أَوْ بَدَرَ مِنْ وَآلِكَ إِلَيْهِ عَقُوبَةً وَنَكَالٌ، لَمْ يَعْصِبْ^(٣) ذَلِكَ انْخِلَاطًا بِكَ
وَلَمْ تُنْسَبْ إِلَى تَضَرُّعٍ، وَخَلُوتٍ مِنْ مَوْضِعِ الذَّمِّ فِيهِ مُحَضَّرًا إِلَيْهِ ذِعْنُكَ وَصَوَابَ رَأْيِكَ .

(١) أَرَفَعَ دِينَهِ بِالْإِثْمِ : أَفْسَدَهُ . (٢) أَلْجَأَهُ عَرْضَ ظُلَانٍ : أَمَكَّهُ مَعَهُ يَشْتَبَهُ . (٣) دَخَلَ

الرَّجُلُ (بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ) : نَبِهَ وَمَذْهَبَهُ . (٤) لَمْ يَعْصِبْ أَيُّ لَمْ يَلْحَقْ .

وتَقَدَّم إلى من تَوَلَّى ذلك الأمرَ وتعتمد عليه فيه ألا يُقَدِّم على شيء ناظرًا فيه ، ولا يحاول أخذ أحد طارِقًا له ، ولا يَاقِب أحدًا مُنْكَلا به ، ولا يُخَلِّ سبيلَ أحدٍ صَاحِبًا عنه لِإِمْضَارِ^(١) براءته وصِحَّة طَريقَتِهِ ، حتى يَرَفَعَ إِلَيْكَ أمره ، وَيُنْهِى إِلَيْكَ قَضِيَّتَهُ على جِهَةِ الصَّدَق ، وَمَتَّحَى الحق ، وَيَقِين الخبر ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ عليه سبيلًا تَهْتَس أو مجازًا لعقوبة ، أمرته بتَوَلَّى ذلك من غير إدخاله عليك ، ولا مشافهة لك منه ؛ فَكَانَ التَوَلَّى لذلك ولم يَخِرْ على يَدَيْكَ مَكْرُوهٌ رَأَى ولا غِلْظَةٌ عَقُوبَةٍ . وَإِنْ وَجَدْتَ إلى العفو عنه سبيلًا ، أو كَانَ مما قُرِفَ به خَلِيًا ، كُنْتَ أَنْتَ التَوَلَّى لِلْإِنْعَامِ عَلَيْهِ بِخَفِيَّةٍ سَبِيلِهِ ، وَالصَّفِيعِ عَنْهُ بِإِطْلَاقِ أَمْرِهِ ؛ فَتَوَلَّيْتَ أَجْرَ ذَلِكَ وَأَسْخَفَقْتَ ذَنْبَهُ ، وَأَنْطَقْتَ لِسَانَهُ بِشُكْرِكَ ، وَطَوَّقْتَ قَوْمَهُ بِحَمْدِكَ ، وَأَوْجَبْتَ عَلَيْهِمْ حَقَّكَ ؛ فَقَرَّرْتَ بَيْنَ خَصَمَتَيْنِ ، وَأَحْرَزْتَ حُظُوتَيْنِ : ثَوَابَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ ، وَمَحْمُودَ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا .

ثم إِيَّاكَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِكَ وَجِلَاسِكَ وَخَاصَّتِكَ وَبَطَانَتِكَ بِمَسْأَلَةٍ يَكْشِفُهَا لَكَ ، أَوْ حَاجَةٍ يَسْتَعْلِكُ بِطَلِبِهَا ، حَتَّى يَرْفَعَهَا قَبْلَ ذَلِكَ إِلَى كَاتِبِكَ الَّذِي أَهْدَقْتَهُ لذلك وَنَصَبْتَهُ لَهُ ، فَيَعْرِضُهَا عَلَيْكَ مُنْهِيًا لَهَا عَلَى جِهَةِ الصَّدَقِ عَنْهَا ، وَتَكُونَ عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنْ قَدْرِهَا : فَإِنْ أَرَدْتَ إِسْعَافَهُ بِهَا وَبِحَاجَ مَا سَأَلَ مِنْهَا ، أَذِنْتَ لَهُ فِي طَلِبِهَا ، بِأَسْطًا لَهُ كَتَمْتَكَ ، مُقْبِلًا عَلَيْهِ بِوَجْهِكَ ؛ مَعَ ظَهْوَرِ سُرُورِكَ بِمَا سَأَلَكَ ، وَفُسُحَةٍ رَأَى وَبَسْطَةِ ذَرْعٍ ، وَطِيبِ نَفْسٍ . وَإِنْ كَرِهْتَ قَضَاءَ حَاجَتِهِ ، وَأَحْبَبْتَ رَدَّهُ عَنْ طَلِبَتِهِ ؛ وَثَقُلَ عَلَيْكَ إِجَابَتُهُ إِلَيْهَا وَإِسْعَافُهَا بِهَا ، أَمَرْتَ كَاتِبَكَ فَصَفَحَهُ عَنْهَا ، وَمَنَعَهُ مِنْ مُوَاجَهَتِكَ بِهَا ؛ فَخَفَّتْ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ الْمُؤُونَةُ ، وَحَسَنَ لَكَ الذِّكْرُ ، وَلَمْ يَنْشُرْ عَنْكَ تَجَهُمُ الرَّدِّ ، وَيَنْلِكَ سُوءَ الْفَالَةِ فِي الْمَنْعِ ، وَيُحْمِلَ عَلَى كَاتِبِكَ فِي ذَلِكَ لَأَثْمَةً أَنْتَ مِنْهَا بِرِيءٌ السَّاحَةِ .

وكذلك فليكن رأيك وأمرك فيمن طرأ عليك من الوفود وأتاك من الرُّسُلِ ، فلا يَصِلَنَّ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بَعْدَ وَصُولِ عَلَيْهِ إِلَيْكَ ، وَعِلْمَ مَا قَدِمَ لَهُ عَلَيْكَ ، وَجِهَةً مَا هُوَ مَكْتُمٌ

(١) أى لوضوح براءته ، ففى حديث على : «أعصر لعدوك ، أى كن من أمره على أمر راضح .

(٢) صفحه عنها ، رده عنها .

به، وقدّر ما هو مالهك إياه إذا هو وصل إليك، فأصدرت رأيك في حوائجه، وأجلت فكرك في أمره، وأخترت مصيراً على إرادتك في جوابه، وأقدمت مصدر رويته في مرجوع بماله قبل دخوله عليك، وعليه بوصول حاله إليك؛ فرفضت عنك مؤونة البدنية، وأرغبت عن نفسك غنائق الروية، وأقدمت على ردّ جوابه بعد النظر وإزالة الفكر فيه. فإن دخل إليك أحد منهم فكلمك بخلاف ما أنهى إلى كاتيك وطوى عنه حاجته قبلك، دفعته عنك دفعا جميلا، ومنعه جوابك منها وديسا؛ ثم أسرت حاجتك بإظهار الجفوة له والغلظة عليه، ومنعه من الوصول إليك؛ فإن صَبَّكَ لذلك مما يحكم لك تلك الأسباب، صارفاً عنك مؤونتها، ومسهلاً عليك مُستصحبها.

احذر تضيق رأيك وإهمالك أدبك في مسالك الرضا والقبض واعتوارها إياك، فلا يزيديك إفراطٌ تحب تستخفك روائعه، ويستهيوك منظره، ولا يسدرك منك ذلك خطاً وتزقي خفة لذكوره إن حل بك، أو حاديت إن طرأ عليك. ولكن لك من نفسك ظهري ممجا تعوزه من آفات الردي، وتستعصده في مهم نازل، وتستعقب به أمورك في التدبير. فإن أحججت إلى مائة من عقلك، وروية من فكرك، أو أنيسايت من منطقك، كان أحياراك إلى ظهريك مُزداداً مما أحبت الإتيان منه والامتيار؛ وإن استدبرت من أمورك بواحد جهل أو مضى زلل أو معاندة حق أو خلل تدبير، كان ما أحججت إليه من رأيك حذرا لك عند نفسك، وظهرياً قويا على ردّ ما كرهت، وتخفيفاً لمؤونة الباغيين عليك في القالة وأنتشار الذكر؛ وحصنا من ضلوب الآفات عليك، واستعلاها على أخلاقك.

وأمّن أهل بطانتك وخاصة خديمك من استلحام أعراض الناس عنك بالنية، والتعزيب اليك بالسعاية، والإغراء من بعض ببعض؛ أو التهمة اليك بشيء من أحوالهم

(١) في صبح الأضي : « تستعصده في يوم النازل » - وفي رسائل البهاء : « تستعصده في مهم نازل » .
وأخترنا من المبارزين ما يناسب المقام . (٢) كذا في صبح الأضي والفتاح ورسائل البهاء ، ولعله وإن ابتدأت ... الخ .

المستترية منك ، أو التحميل لك على أحد منهم بوجه النصيحة ونذهب الشفقة : فإن ذلك أبلغ بك سماعاً إلى مثالة الشرف ، وأجود لك على محمود الذكر ، وأطلق لسان الفضل في بحالة الرأي وشرف الهمة وقوة التدبير .

وأملك نفسك من الانبساط في الضحك والافهاق ، وعن القلوب بإظهار الغضب وتخلله : فإن ذلك ضعف عن ملك سيرة الجهل ، وخروج من اتصال آسم الفضل .
وليكن صمتك تسماً أو كسراً في أحيان ذلك وأوقاته ، وعند كل رافع مستغف مطرب ، وقطوبك إطرافاً في مواضع ذلك وأحواله ، بلا عجلة إلى السطوة ، ولا إسراع إلى الطيرة ، دون أن تكثفها روية الحلم ، وتملك عليها بإدرة الجهل .

إذا كنت في مجلس ملك ، وحيث حضور العاقبة مجلسك ، فإياك والرمي بنظرك إلى خاص من قوادك ، أو ذى أثر عندك من حشمك . وليكن نظرك مقسوماً في الجميع ، وإراعتك سمعك ذا الحديث بدعة هادئة ، ووقار حسن ، وحضور فهم جميع ، وقلة تضجر بالحدث . ثم لا يرح وجهك إلى بعض حرمك وقوادك متوجها بنظر ركين ، وعقيد عض . وإن وجه اليك أحد منهم نظره محمداً ، أو رماك ببصره ملحاً ، فانخفض عنه إطرافاً جيلاً . باتداع وسكون . وإياك والتسرع في الإطراق ، والخلقة في تصريف النظر ، والإلحاح على من قصد اليك في مخاطبته إياك رافقاً بنظره .

واعلم أن تصفحك وجوه جلسائك وتفقدك مجالس قوادك من قوة التدبير ، وشهادة القلب ، وذكاء الفطنة ، وآتياء السنة . فتفقد ذلك عارفاً بمن حضرك وغاب عنك ، طالما بمواضعهم من مجلسك ، ثم أعددهم عن ذلك سائلاً لهم عن أشغالهم التي منتهم من حضور مجلسك ، وعاقبتهم بالخلط عنك .

إن كان أحد من حشمك وأعوانك يتقى منه بنيب خبير ، ويعرف منه لين طاعة ، ومشرف منه على حصة رأي ، وتأمينه على مشورتك ، فإياك والإقبال عليه في كل حادث يرد عليك ، والتوجه نحوه بنظرك عند طوارق ذلك ، وأن تربيته أو أحداً من أهل مجلسك أن

بك حاجة إليه مُحِشَّة ، أو أن ليس بك عنه عَنِّي في التدبير ، أو أنك لا تحب ، دونه رأياً ،
إشراكاً منك له في رويتك ، وإدخالاً منك له في مشورتك ، وأضطراباً منك الى رأيه
في الأمر يبرؤك : فإن ذلك من دخائل العيوب التي ينتشر بها سوءُ القالة عن نظرائك ، فافهمها
عن نفسك خاتماً لاحتلاقها ذِكْرَكَ ، وأجيبها عن رويتك قاطعاً لأطماع أوليائك عن مثلها
عندك ، أو غلوهم عليها منك .

وأعلم أن للشورة موضعَ الخلوة وأفراد النظر ، ولكل أمرٍ غاية يُحيط بمحدوده ، ويجمع
معامله . فافهمها تحريزاً لها ، وزمها طالباً لنيلها ؛ وإياك والقصور عن فائتها أو العجز عن
دركها ، أو التضريط في طلبها . إن شاء الله تعالى .

إياك والإغرامَ عن حديث ما أعجبك ، أو أمرٍ ما أزدحاك بكثرة السؤال ، أو القَطْعَ
لحديث من أراذك بمحدثه حتى تنقُضه عليه بالخوض في غيره أو المسألة عما ليس منه : فإن
ذلك عند العامة منسوب الى سوء الفهم وقصر الأدب عن تناول محاسن الأمور والمعرفة
بمساوئها ، ولكن أنصت لمحدثك وأزمه سمحك حتى يعلم أن قد فهمت حديثه ، وأحطت
بمعرفة بقوله ؛ فإن أردت إجابته فمن معرفة بحاجته وبعد علم بطليته ؛ وإلا كنت عند
أقفضاء كلامه كالتحجب من حديثه بالتبسم والإغضاء ، فأجزي عنك الجواب ، وقطع عنك
اللسن المتب .

إياك وأن يظهر منك بزم بطول مجلسك ، أو تفجّر ممن حضرك ؛ عليك بالثبوت
عند سورة الغضب ، وحسية الأنف ، ومَلَل الصبر : في الأمر تستعجل به والعمل تأمر
بإفادته ؛ فإن ذلك تخف شائن ، وخفة مُردية ، وجهالة بادية . وعليك بثبوت المنطق ،
ووقار المجلس ، وسكون الريح ، والرفض لحشو الكلام ، والترك لفضوله والإغرام
بالزيادات في منطقتك ، والترديد للفتك : من نحو أسمع ، وأفهم حتى ، ويا هناء ، وألا ترى ،
أو ما يُلحج به من هذه الفضول المقصرة بأهل العقل ، الشائنة لذوى الجها في المنطق ،
المنسوبة إليهم بالي ، المُردية لهم بالذكر . وخصال من معائب الملوك ، والسوقة عنها غيبة

النظر إلا من عرفها من أهل الأدب ، وقلما حامل لها ، مضطلع بها ، صابر على تحملها ، أخذ لنفسه بجوامعها ، فأنفها عن نفسك بالتحفظ منها ، وأملك عليها أحيائك لإياها معنيها بها ، منها كثرة التنعم ، والتبصق ، والتشفع ، والتؤباء ، والتعطى ، والجشأء ، ومحرك القدم ، وتنقيض الأصابع ، والنبث بالوجه واللبة أو الشارب أو المخفضة أو ذؤابة السيف ، أو الإيماض بالنظر ، أو الإشارة بالطرف إلى بعض خدمك بأمر إن أردته ، أو السرار في مجلسك ، أو الاستعجال في طعمك أو شريك . وليكن طعمك متدعا ، وشريك أنفاسا ، وبرك مصا . وإياك والتسرع إلى الإيمان فيما صغر أو كبر من الأمور ، والشئمة بقول : يأبن الهناه ، أو الفمزة لأحد من ^(١) خاصتك بتسويتهم مقارفة الفسوق بحيث محضرك أو دأرك وفناؤك : فإن ذلك كله مما يقبح ذكره ، ويسوء موقع القول فيه ، وتحمل عليك معاييسه ، وينالك شينته ، ويتشتر عليك سوء النبأ به . فاعرف ذلك متوقيا له ، وأحذره بحاجبا لسوء عاقبته .

أستكثر من فوائد الخير : فإنها تنشر المحمدة ، وتحيي العثرة ، وأصبر على كظم الغيظ : فإنه يورث الراحة ، ويؤمن الساحة ، وتعهد العامة بمعرفة دخلهم ، وتبطن أحوالهم ، وأستتار دفاتهم ، حتى تكون منها على رأي عين ، ويقين خبرة ، فتنبش عديهم ، وتجبر كيديهم ، وتقيم أودهم ، وتعلم جاهلهم ، وتستصلح فاسدهم : فإن ذلك من فلك بهم يورثك العزة ، ويقدمك في الفضل ، ويبقى لك لسان الصدق في العاقبة ، ويحيز لك ثواب الآخرة ، ويرد عليك عواطفهم المستنفرة منك ، وقلوبهم المتنجبة عنك .

قس بين منازل أهل الفضل في الدين وإيجها والرأى والعقل والتدبير والصيت في العامة ، وبين منازل أهل النقص في طبقات الفضل وأحواله ، وانحول عند مباحاة النسب ، وأنظر بصحبة أيهم تال من مودته الجميل ، وتستجمع لك أقاويل العامة على التفضيل ، وتبلغ درجة الشرف في أحوالك المتصرف بك . فاعتمد عليهم مديخلا لهم في أمرك ، وأثرهم بمجالستك لهم مستمعا منهم ، وإياك وتضييعهم مفترطا ، وإهمالهم مضيقا .

(١) يقال : أقض أصابه : موت بها وليس في كتب اللغة قض بالتصنيف . (٢) الفمزة : المطن .

هذه جوامع خصال قد تلخصها لك أمير المؤمنين مفسراً، وجمع لك شواذها مؤلفاً، وأهداها إليك مرشداً، يقف عند أوامرها، ويتأه عن زواجرها، وتثبت في مجامعها، وتحذ برئائى عمرها، تسلم من معاطب الردى، وتسل أنفس الحظوظ وريغب الشرف، وأعل درج الذكرا، وتأكل سطر العز. والله يسأل لك أمير المؤمنين حسن الإرشاد، وثبات المزيد، وبلوغ الأمل، وأن يجعل طاعة ذلك بك الى غبطة يسوئك إياها، ومافية يملك أكثافها، ونعمة يملك شكرها : فإنه الموفق للخير، والمعين على الإرشاد، منه تمام الصالحات، وهو مؤق الحسنت، عنده مفاتيح الخير، وبيده الملك وهو على كل شيء قدير.

فإذا أفضيت نحو طوك، وأعتمت على لغائهم، وأخذت أهبة قتالهم، فاجعل دمايتك التي تلجأ إليها، وفتحك التي تأمل النجاة بها، وركك الذي تريعى مثالة الظفر به وتكتف به لمال الحذر، وهوى الله مستشعراً لها بمراقبته، والاختصاص بطاحته متباً لأمره، محتباً لسخطه، محتباً سخته، والتوقى لمناصيه فى تعطيل حدوده، أو تمدى شرائعه، متوكلاً عليه فيما صمدت له، وأتقأ بنصره فيما توجهت نحوه، متبرئاً من الخول والقوة فيما نالك من ظفر وثقائك من عز، راعباً فيما أهاب بك أمير المؤمنين إليه من فضل الجهاد، ورمى بك إليه محمود الصبر فيه عند الله من قتال عدو المسلمين، أكلهم عليه وأظهره حداوة لهم، وأفدحه يفلأ لماتهم، وأخذ به برقيهم، وأعلاه عليهم بغيا، وأظهره عليهم فسقا وبغورا، وأشداه على قيتهم الذى أصاره الله لهم وقتحه عليهم مؤونة وكلا. والله المستعان عليهم، والمستنصر على جماعتهم، عليه يتوكل أمير المؤمنين، وإياه يستصرخ عليهم، وإليه يفوض أمره، وكفى بالله ولياً وناصراً ومعيناً، وهو القوى العزيز.

ثم خذ من معك من تباطك وجندك بكف معرتهم، ورد مشتعل جهلهم، وإحكام ضياع عملهم، وضم مقتر قواصيمهم، ولم شعت أطرافهم، وتحييدهم عن مروا به من

(١) تأكل : يبت . (٢) اكنت الكهف : دخله . (٣) أهاب بك : دلك .

(٤) من قولهم كلب الله على أهله إذا اشتد وألح . (٥) الكل : القل .

أهل ذِمَّتِكَ ومِلَّتِكَ بِحَسَنِ السَّيْرِ، وَعَفَافِ الطَّعْمَةِ، وَدَعَةِ الْوَقَارِ، وَهَدَى الدَّعَةِ، وَجَمَامِ الْمُسْتَجِمِّ، بِحِكْمِ ذَلِكَ مِنْهُمْ، مُتَقَدِّمًا لَمْ تَقْعُدْكَ إِيَّاهُ مِنْ نَفْسِكَ . ثُمَّ أَحْمَدُ لِمَدْرُكَ الْمُسْتَقْبَلِ بِالْإِسْلَامِ، الْخَارِجِ مِنْ جَمَاعَةِ أَهْلِهِ، الْمُتَحَلِّيلِ لَوَلَايَةِ الدِّينِ مُسْتَعْلًا لِمَاءِ أَوْلِيَائِهِ، طَاعَتًا عَلَيْهِمْ، رَاضِيًا عَنْ سُلُتِهِمْ، مُفَارِقًا لَشِرَائِعِهِمْ، بَيِّنُهُمِ الْفَوَائِلَ، وَيَنْصِبُ لِمِ الْمَكَائِدِ، أَضْمَرُ حَقِّدًا عَلَيْهِمْ، وَأَرْصَدُ مَدَاوِعَ لَمْ، وَأَطْلُبُ لِقَوَاتِ قُرُصِهِمْ مِنَ التُّرْكِ وَأُمِّ الشُّرْكِ وَطَوَاغِي الْمَلَلِ، يَدْعُو إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَالْفِرْقَةِ، وَالْمُرُوقِ مِنْ دِينِ اللَّهِ إِلَى الْفِتْنَةِ، عَخْرَطَا بِهَوَاهِ لِلذَّيَّانِ الْمُتَشَمَّلَةِ وَالْبِدْعِ الْمُتَفَرِّقَةِ خَسَارًا وَتَحْصِيرًا، وَضَلَالًا وَتَضَلُّلًا، بِغَيْرِ هَدًى مِنْ اللَّهِ وَلَا بَيَانٍ .
سَاءَ مَا كَسَبَتْ لَهُ يَدَاهُ وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ، وَسَاءَ مَا سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ، وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِ بِالْمِرْصَادِ : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

حَصَّنَ جَنْدَكَ، وَأَشْكَمَ نَفْسَكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي مَجَاهِدَةِ أَعْدَائِهِ، وَأَرْجَحُ نَصْرَهُ، وَتَهَجَّرُ مَوْعُودُهُ، مُتَقَدِّمًا فِي طَلَبِ ثَوَابِهِ عَلَى جِهَادِهِمْ، مُعْتَرِمًا فِي ابْتِغَاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ عَلَى لِقَائِهِمْ :
فَإِنْ طَاعَتِكَ إِيَّاهُ فِيهِمْ، وَمَرَاتِبَتِكَ لَهُ وَرَجَاءُكَ نَصْرَهُ مُسَهِّلٌ لَكَ وَهُوَ، وَعَاصِمُكَ مِنْ كُلِّ سُبَّةٍ، وَمُنْجِيكَ مِنْ كُلِّ هُوَةٍ، وَنَاصِعُكَ مِنْ كُلِّ صَرْمَةٍ، وَمُقِيلُكَ مِنْ كُلِّ كِبُورَةٍ، وَدَارِيٌّ عَنْكَ كُلَّ شَبْهَةٍ، وَمُذْهِبُ عَنْكَ لَظْخَةَ كُلِّ شَكٍّ، وَمُقَوِّدُكَ بِكُلِّ أَيْدٍ وَمِكِيدَةٍ، وَمُعِزُّكَ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ قِتَالٍ، وَمُوَيْدُكَ فِي كُلِّ تَجَمُّعٍ لِقَاءٍ، وَكَالِئِكَ عِنْدَ كُلِّ فِتْنَةٍ مُنْشِئَةٍ، وَحَاطِئِكَ مِنْ كُلِّ شَبْهَةٍ مُرِيدَةٍ، وَاللَّهُ وَلِيُّكَ وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَيْكَ، وَالْمُسْتَخْلَفُ عَلَى جَنْدِكَ وَمِنْ مَعَكَ .

اعْلَمْ أَنَّ الظُّفَرَ ظَفَرَانِ : أَحَدُهُمَا — وَهُوَ أَمُّ مَنُغَّةٌ، وَأَبْلَغُ فِي حَسَنِ الذِّكْرِ قَالَةً، وَأَحْوَطُهُ سَلَامَةٌ، وَأَتَمُّهُ عَافِيَةٌ، وَأَحْسَنُهُ فِي الْأُمُورِ وَأَعْلَاهُ فِي الْفَضْلِ شَرْقًا، وَأَحْمَهُ فِي الزُّوْتَةِ حَزْمًا، وَأَسْلَمُهُ عِنْدَ الْعَامَةِ مُصَدِّرًا — مَا نَبِيلُ بِسَلَامَةِ الْجُنُودِ، وَحُسْنِ الْحِيلَةِ، وَلُطْفِ الْمِكِيدَةِ، وَمِنْ الْقِيَمَةِ، وَأَسْتَزَالُ طَاعَةَ ذَوِي الصُّدُوفِ بِغَيْرِ إِخْطَارِ الْجِيُوشِ فِي وَقْدَةِ جَهْرَةِ الْحَرْبِ،

(١) الأيد : القوة . (٢) أى بدلة سوداء، من غرلم : أعتى الليل إذا أظلم .

ومبارزة الفرسان في معترك الموت؛ وإن ساعدتك طُلُوقُ الظفر، وثالك مزيدُ السعادة في الشرف، ففى مُحاطرة التلّف مكرهُ المصائب، وعضاضُ السيوف وآلم الجراح، وقصاصُ الحروب ومجالحها بُغَاوَرُ أبطالها . على أنك لا تدري لأى يكون الظفر فى البلية ، ومن المغلوب بالدولة، ولعلك أن تكون المطلوب بالتمحيص . لحاول إصابة أبلغيهما فى سلامة جندك ورجيتك، وأشهرهما صيتاً فى بذو تدبيرك ورأيتك، واجمعهما لألفة وليك وعدوك، وأهونيهما على صلاح رجيتك وأهل ملتك، وأقوامهما شكيمة فى حركك، وأبعديهما من وضم عزمك ، وأعلقيهما بزمام النجاة فى آخرتك ، وأجزليهما ثواباً عند ربك .

وأبدأ بالإعذار إلى عدوك ؛ والدعاء لهم إلى مراجعة الطاعة وأمر الجماعة وعزّ الألفة، أَخِذْ بِالْحِجَةِ طَهِيم ، متسلماً بالإندار لهم ، باسماً أمانك لمن لجأ إليك منهم ، داعياً لهم إليه بالآين لفظك واللف حيلك ، متعطفاً برأفك طهيم ، مترقفا بهم فى دُعَاكَ ، مشفقاً طهيم من غلبة القوَاية لهم وإحاطة الهلكة بهم ، مغذاً رُسْلَكَ إليهم بعد الإندار : تَعِدُّهُمْ إعطَاءَ كُلِّ رَغْبَةٍ يَشْتَلِيهَا طَمَعُهُمْ فى موافقة الحق ، وبَسْطِ كُلِّ أَمَانٍ سَأَلُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ وَمَنْ مَعَهُمْ ومن يَتِمُّهُمْ ؛ موطناً نَفْسَكَ فيما تَبْسُطُ لهم من ذلك على الوفاء بهمدك ، والصبر على ما أعطيتهم من وثائق عقدك ؛ قابلاً توبة تَارِضَهُمْ عن الضلالة ، ومُراجعة مُسِيئَتِهِمْ إلى الطاعة ؛ مُرْصِداً لَتُنَازِلَ إِلَى نِشَةِ الْمَسْلَمِينَ وجماعتهم لإجابة إلى مادعوته إليه وبصرته إياه من حَقِّ وطاعتك ، بفضل المنزلة ، وإكرام المتوى ، وتشريف الجاه . ويظهر من أثرك عليه وإحسانك إليه ما يَرْغَبُ فى مثله الصادقُ علك ، المُصِرُّ على خِلَافِكَ ومعصيتك ؛ ويدعو إلى آتلاق حبل النجاة وما هو أملك به فى الاكتصام طاجلاً ، وأنجي له من العقاب أجلاً ، وأحوطه على دينه ومهجته بدءاً ومآقية ؛ فإن ذلك مما يَسْتَدْعَى به من الله نصره طهيم ، ويعتضدُّ به فى تقديمه الجمّة إليهم ، مُعِذِراً أو مُنْذِراً ، إن شاء الله .

(١) المناورة : المقاتلة . (٢) كذا فى صبح الأعشى ويظهر أن السياق يقتضى ممسولاً لهذا الفعل

أما ضميراً أو اسماً ظاهراً .

ثم أَذَكَّ حيوتك على عدوك متعلماً لِمِ أحوالهم التي يتقلبون فيها، ومنازلهم التي هم بها، ومطامعهم التي قد مثوا أعتاقهم نحوها، وأى الأمور أَدعى لهم إلى الصلح، وأقوُّها لرضاهم إلى العافية، وأسهلها لاستئصال طاعتهم، ومن أى الوجوه مآلهم : أَمِنْ قَبْلِ الشَّدَّةِ والمُنافَرَةِ والمَكِيدَةِ والمُبَادَةِ والإرهاب والإبعاد، أم التَّريُّبِ والإطعام، متنبِّهاً في أمرك، متخبراً في رويتك، مستميكاً من رأيك، مستشيراً لنوى النصيحة الذين قد حنكهم السَّنُّ، وخبطتهم التجربة، ونجذبتهم الحروب، ^(١)مقشَّراً في حرك، أخذنا بالحزم في سوء الظن، مُعَدّاً للخطر، محترساً من الغرة، كَأَنَّكَ في مَسِيرِكَ كُلِّهِ وتزويك أجمع مَوَاقِفَ لعدوك رَأَى مِنْ تَنْظُرِ حملاتهم، وتَحَقُّوفِ كراتهم، مُعَدّاً أقوى مكائيدك، وأرهَبَ حَتَائِدِكَ، وأَكْبَرَ جُنْدِكَ، وأجَدَّ تَسْمِيرِكَ، معطلاً أمر عدوك لأعظم مما بَلَغَكَ، حَذْراً يكاد يُفْرِط : تُنَبِّهُ له من الاحتراس خطيأ، ومن المَكِيدَةِ قِيَّماً، من غير أن يفتاك ^(٢)ذلك عن إحكام أمورك، وتدير رأيك، وإصدار رويتك، والتأهب لما يَمْزِيك، مصغراً له بعد استشعار الحذر، وأَضْعَافِ الحزم، وإعمال الزوينة، وإعداد الأُتْبَةِ . فإن أَلْفَيْتَ عدوك كَيْلَ الحَذَرِ، وقَمَّ الحَزْمُ ، نَضِيبُ ^(٣)الْوَقْرِ، لم يَضُرَّكَ ما اعتدَّتْ له من قُوَّةٍ وأخذتْ له من حزم، ولم يَزِدْكَ ذلك إلا جُرْأَةً عليه، وقسراً إلى لِقَائِهِ . وإن أَلْفَيْتَهُ متوقِّدَ الحرب، مُسْتَكِنِفَ الجمع، قَوِيَّ التَّبَعِ، مُسْتَعْلِي سَوْرَةِ الجَهْلِ، معه من أحوالِ الفتنَةِ وتَبَعِ إبليس من يُوقِدُ لَهَبِ الفتنَةِ مُسْعِراً، ويتقدَّم إلى لِقَاءِ أبطالها منسجراً، كنت لأخذك بالحزم، وأستعدادك بالقوة، غير مُهَيِّينِ الجند، ولا مفرط في الرأى، ولا متلهِّفٍ على إضاعة تدبير، ولا محتاج إلى الإعدادِ وعجالةِ التَّأَهُّبِ مبادرةً تَمْشِيكَ، وخَوْفاً يُقْلِقُكَ . ومتى تَفَتَّرَ بِتَرْقِيقِ المَرْقِيقِينَ ، وتَأَخَذَ بِالْهُوَيْنَا في أمر عدوك لتصغيرِ المصغرين، يَنْتَشِرَ عَلَيْكَ رَأْيُكَ، ويكون فيه استقاضُ أمرِكَ ووهنُ تدبيرِكَ، وإهمالُ الحزم في جندك،

(١) كثرة الأثر : استله .

(٢) يفتاك (بالفاء والتاء المثلثة) أى يترك ويؤثر . (٣) كذا في صبح الأضنى . ولعلها

موقوم الحزم أى مقهورة أو لعلها محرة من كلمة أخرى بمعنى الضعف أو القلة . (٤) نضيب : قليل . والوفر : المال .

وتضيئ له وهو يُمكن الإحصار، رَحْب المَطْلَب، قِيَمُ العِصْمَةِ، فسيح المضطرب، مع ما يَدْخُل رَحِيَّتِكَ من الاغترار والنفلة عن إحكام أحراسهم، وضبط مراكرهم، لما يرون فيه من استنامتك الى العِزَّة، ورُكُوتك الى الأمن، وتهاونك بالتدبير، فيعود ذلك عليك في أنفشار الأطراف، وضياح الأحكام، ودخول الوهن بما لا يُستقال محذوره، ولا يُدْفَع عُشْوُهُ.

احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من أخبار عدوك. وإياك ومعاينة أحدٍ منهم على خبر إن أتاك به أتهمته فيه أو سُوتَ به ظناً وأتاك غيره بخلافه، أو أن تكذِّبه فيه فترده عليه، ولعله أن يكون قد عَصَّكَ النصيحة وصدقك الخبر وكذَّبَكَ الأول، أو نخرج جاسوسك الأول متقدماً قبل وصول هذا من عند عدوك، وقد أبرموا لك أمراً، وحاولوا لك ميكة وأرادوا منك عِزَّةً فازدلفوا إليك في الأُعبى، ثم انتقض بهم رأيهم وأختلف عنه جماعتهم، فأرادوا رأياً، وأحدثوا ميكة، وأظهروا قوَّة، وضربوا موعداً، وأموا مسلحاً لمدِّ أنامهم، أو قوَّة حدث لهم، أو بصيرة في ضلالةٍ شغلتهم؛ فالأحوال بهم متقلبة في الساعات، وطوارق الحادثات. ولكن ألتئمهم جميعاً على الانتصاح، وأرتخ لهم بالمطامع، فإنك لن تستعيهم بمثلها. ويصدُّهم جزالة المتأوِّب، في خير ما استنامية منك إلى تريقهم أمرَ عدوك، والاغترار إلى ما يأتونك به دون أن تُعمل ريويتك في الأخذ بالحزم، والاستكثار من العِنة. وأجعلهم أوثق من تقدر عليه، وآمن من تسكن إلى ناحيته، ليكون ما يُبرم عدوك في كل يوم وليلة عندك إن استطعت ذلك، فتتقض طيهم برأيك وتديرك ما أبرموا، وتأتيهم من حيث أُنُوا، وتأخذ لهم أهبه ما عليه أقدموا، وتستعد لهم بمثل ما حذروا.

وأعلم أن جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما خشوك، وربما كانوا لك وطيك: فنصحوا لك وخشوا عدوك، وخشوك ونصحوا عدوك؛ وكثيراً ما يصدقونك ويصدِّقونه. فلا تبترن منك قرطة عقوبة إلى أحد منهم، ولا تسجل بسوء الظن إلى من أتهمته على

ذلك، واستترل نصائحهم بالمياحة^(١) والمثالة، وأبسط من آمالهم فيك من غير أن يرى أحد منهم أنك أخذت من قوله أخذ العامل به والمتبع له، أو عملت على رأيه عمل الصادر عنه، أو ردّدته عليه ردّ المكذب به، المتهم له، المستخفّ بما أتاك منه، ففسد بذلك نصيحته، وتستدعي غشسه، وتجتهد عداوته. وأحذر أن يعرفوا في حركك أو ينسار إليهم بالأصابع. وليكن متركم على كاتب رسائلك وأمين مترك، ويكون هو الوجه لهم، والمداخل إليك من أردت مشافهته منهم.

وأعلم أن لدوك في حركك حيوتا راصدة، وجوايس متجسّسة، وأنه لن يقع رأيه^(٢) عن ميكدتك بمثل ما تكايد به، وسيحتال لك كآخياك له، ويعدّ لك كامدايك فيما تزاوله منه، ويحاولك كحاوليك إياه فيما تقارعه عنه، فأحذر أن يُشهر رجل من جواسيسك في حركك فيبلغ ذلك عدوك ويعرف موضعه، فيعدّ له المراسد، ويحتال له بالمكايد. فإن ظفّر به فظهر عقوبته، كثر ذلك يقات حيوتك، وخذلّم عن تطلب الأخبار من معادنها، واستقصائها من حيونها، واستغذاب أجتائها من يناسبها، حتى بصيروا إلى أخذها مما عرّض من غير الثقة ولا المماناة، لقطا لها بالأخبار الكاذبة، والأحاديث المرفجة. وأحذر أن يعرف بعض حيونك بعضا: فإنك لا تأمن تواطؤهم إليك، وبمالاتهم عدوك، واجتماعهم على غشك، وتطابقتهم على كذبك، وإصفاقتهم^(٣) على خيائتك، وأن يورط بعضهم بعضا عند عدوك. فاحكم أمرهم فإنهم رأس ميكدتك، وقوام تدبيرك، وعصم مدار حركك، وهو أول ظفرك. فاعمل على حسب ذلك وحيث رجاؤك به، تتلّ أملك من عدوك، وقوتك على قتاله، وأخياك لإصانة غرائه وأتهاز فرصه، إن شاء الله.

فإذا أحكمت ذلك وتقدّمت في إتمامه، واستظهرت بالله وعونه، فوّل شرطتك وأمر حركك أوثق قوادك عندك، وأظهرهم نصيحة لك، وأغذهم بصيرة في طاعتك، وأقوامهم

(١) المياحة : الإحاطة .

(٢) في مفتاح الأفكار ورسائل البقاء : « كاشنة » . (٣) في رسائل البقاء : « وأن رأيه

في ميكدتك مثل ما تكايد به » . (٤) إصفاقتهم : اجتماعهم .

شكيمة في أمرك، وأمضاهم صريعة^(١)، وأصدقهم غفارا، وأجزأهم غفاه، وأكفاهم أمانة، وأصحهم ضميرا، وأرضاهم في العاقبة ديناً، وأحمدهم عند الجماعة خلقاً، وأعطفهم على كآبتهم رافة، وأحسنهم لهم نظراً، وأشدنهم في دين الله وحقه صلابة. ثم فوض إليه مقويا له، وأبسط من أمله مظهرها عنه الرضا، حاملاً منه الابتلاء. وليكن عالماً بمراكز الجنود، بصيرا بتقدم المنازل، مجرباً، ذا رأى وحزم في الميكنة، له نباهة في الذكر، وصيت في الولاية، معروف البيت، مشهور الحسب. وتقدم إليه في ضبط معسكره، وإذا كاه أحراره في آناء ليله ونهاره، ثم حذره أن يكون منه إذن لجنوده في الانتشار والاضطراب، والتقدم لطلالكم، فتصاب لهم غزاة يعترئ بها عدوك طيك، ويسرع إقداما إليك، ويكسر من إياد جندك ويوهن من قوتهم: فإن الصوت في إصابة عدوك الرجل الواحد من جندك أو عبيدكم مطيع لم فيك، مقو لم على تحذير أتباعهم عليك وتصغيرهم أمرك، وتوحيدهم بتدبيرك. فحذره ذلك وتقدم إليه فيه، ولا يكون منه إفراط في التضييق عليهم، والخصم لهم، فيصمهم أذلة، ويسلمهم ضنك، وتسوء عليهم حاله، وتشتد به المؤونة عليهم، وتخبث له ظنونهم. وليكن موضع إنزاله إياهم ضاماً لجماعتهم، مستديراً بهم جامعاً لهم، ولا يكون منبسطة منتشرة متبذرا، فيشقى ذلك على أصحاب الأحرار، وتكون فيه النهضة للعدو، والبعد من المسادة إن طرق طارق في بقاء الليل وبقائه. وأوعز إليه في أحراره، وتقدم إليه فيهم كأشد التقدم وأبلغ الإيعاز. ومرة فليؤل عليهم رجلا ركبنا مجرباً جرى الإقدام، ذاكي الصرامة، جلد الجوارح، بصيراً بمواضع أحراره، غير مصانع ولا مشفع للناس في التضييق إلى الرقابة والسعة، وتقدم العسكر والتأثر عنه، فإن ذلك مما يضعف الوالي ويؤهنه لاستقامته إلى من وآلاه ذلك وأمنه به على جيشه.

وأعلم أن مواضع الأحرار من معسكرك، ومكانها من جندك، بحيث الغناء ضهم والرد عليهم، والحفظ لهم، والكلاءة لمن يهتم طارفاً، أو أرادهم خائلاً، ومرادها المثلل

(١) الصريعة: الزينة. (٢) في مفتاح الأفكار وغيره: «أفدة». وإياد كل شيء: ما يقوى به من جانبه ومنه إياد العسكر وما يمتد ويسيره. (٣) الصوت: كالصيت والصات: الذكر والشهرة. (٤) الأذل: الضيق والشدة. (٥) المادة: كل مدد تستعين به في حرب أو غيره.

منها والآتي من أرفائهم وأحبهم، وحفظها من العيون والجواسيس من عدوم. وأحذر أن تضرب على يديه أو تشكك عن الصرامة بمؤامراتك في كل أمر حادث وطارئ إلا في المهم النازل والحادث العام : فإنك إذا فعلت ذلك به ، دعوته إلى نصحك ، وأستوليت على حصول ضميمه في طاحيك ، وأجهدت نفسه في ترتيبك ، وأحصل رأيه في بلوغ موافقتك وإعانتك ، وكان همتك وريذاك وقوتك وديامتك ، وفتوتك أنت لمكايبة مدوك ، مريحا لشكك من هم ذلك والعناية به ، مقيبا عنك مؤونة باهظة وكلفة فادحة .

وأعلم أن القضاء من الله بمكان ليس به شيء من الأحكام ، ولا بمثل عمله أحد من الولاة : لما يجرى على يديه من متاليف الأحكام ويجارى الحدود . فليكن من توليه القضاء في عسكريك [من ذوى] ^(١) الخير والقناعة والعفاف والتزامة والفهم والوقار والعصمة والورع ، والبصر بوجوه القضايا ومواقعها ، قد حنكته السن وأيدته التجربة وأحكمه الأمور ، بمن لا يتصنع للولاية ويستعبد للتهرة ، ويعتري على الحساب في الحكم ، والمداهنة في القضاء ، مثل الأمانة ، ^(٢) حفيظ الطعمة ، حسن الإنصاف ، فهم القلب ، ورع الضمير ، متخشع السم ، يادى الوقار ، محتسبا للخير . ثم أجرطه ما يكفيه ويسعه ويصلحه ، وفرغه لما حمله ، وأعينه على ما وليته : فإنك قد عرضته لملكة الدنيا وبوار الآخرة ، أو شرف الدنيا وحظوة الآجلة ، إن حسنت نيته ، وصدقت رويته ، وصحت سريره ، وسلط حكم الله على رعيته ، مطلقا عنه ، متفذا قضاء الله في خلقه ، حاملا بسنته في شرائعه ، أخذًا بحدوده وفرائضه .

وأعلم أنه من جندك بحيث ولايتك ، الجارية أحكامهم عليهم ، النافذة أفضيته فيهم ؛ فأعرف من توليه ذلك وتسنده إليه . ثم هتم في طلائعك فإنها أول ميكيدتك ، ورأس حربك ، وديامة أمرك ، فأختب لها من كل قادة ومحابة رجالا ذوى تجدة وبأس ، وصرامة وخبرة ، حمة كفاة ، قد صلوا بالحرب وذاقوا مصيلا ، وشيروا مراما كؤوسها ، وتجزعوا

(١) الزيادة عن مفتاح الأفكار (ص ٢٥٠) وغيره . (٢) الطعمة بالضم والكسر وجه الكبير .

(٣) في مفتاح الأفكار وغيره : « بحيث ولايتك في الموضع الجارية » الخ .

فَصَصَ دِيْنَهَا، وَزَيَّنَتْهُمْ بِتَكَرُّرِ حَوَاطِفِهَا، وَحَمَلَتْهُمْ عَلَى أَصْحَابِ مَرَاكِبِهَا، وَفَلَّتْهُمْ بِحَقَافِ
 أَوْدِهَا . ثُمَّ أَتَتْهُمْ عَلَى حَيْكٍ، وَأَعْيَزَتْ كُرَاهِمَهُمْ بِنَفْسِكَ، وَتَوَخَّعَتْ فِي آتِنَاكَ ظُهُورَ الْجَلَدِ،
 وَشَهَامَةَ الْخَلْقِ، وَكَالَ الْآلَاةِ . وَإِلَّاكَ أَنْ تَقْبَلَ مِنْ دَوَابِّهِمْ إِلَّا الْإِبَاطَةَ مِنَ الْخَلِيلِ الْمَهْلُوبَةِ^(١)،
 فَلَنْهَنْ أَسْرَحُ طَلِبَاءَ، وَأَنْجِي مَهْرَبَاءَ، وَأَلِيْن مَعْطَفَاءَ، وَأَبْسُدُ فِي الْمَقْشُوقِ قَايَةَ، وَأَصْبِرُ فِي مَعْرَكِ
 الْأَبْطَالِ إِقْدَامَاءَ . وَخُذْهُمْ مِنَ السَّلَاحِ بِأَبْدَانِ الدَّرُوعِ، مَا فِيهِ الْحَدِيدُ، شَاكَّةَ النَّسِجِ، مِتْقَارِيَةَ
 الْحَلِيقِ، مِتْلَاحِيَةَ الْمَسَاطِيرِ وَأَسْرُوقِ الْحَدِيدِ، مُمَوَّعَةَ الرِّكَبِ، مُحْكَمَةَ الطَّبْعِ خَفِيفَةَ الصَّوْغِ،
 وَسَوَاعِدَ طَبْعُهَا هِنْدِيَّةً، وَصَوْنُهَا فَارِسِيَّةً، رِقَاقِ الْمَعَاطِفِ بِأَكْثَرِ وَاقِيَةٍ وَعَمَلِيٍّ مُحْكَمٍ .
 وَيَلْبَسُ الْبَيْضَ مُدْعَبَةً وَمَجْرَدَةً، فَارِسِيَّةَ الصَّوْغِ، خَالِصَةَ الْجَوْهَرِ، سَائِفَةَ الْمَلْهَسِ، وَاقِيَةَ
 الْجَنْنِ، مَسْتَدِيرَةَ الطَّبْعِ، مُبْتَهَمَةَ الْمَرْدِ، وَاقِيَةَ الْوِزْنَ كَثْرَتِكَ^(٢) النَّعَامِ فِي الصَّنْعَةِ وَأَسْتِنَادَةِ
 التَّقْيِيبِ، وَأَسْتَوَاءِ الصَّوْغِ، مُعَلَّمَةً بِأَصْنَافِ الْحَرِيرِ وَالْوَلَوَانِ الصَّنِيعِ، فَإِنَّمَا أَهْبَبُ لِعَدُوِّهِمْ،
 وَأَمْتُ لَأَعْضَادِ مَنْ لَقِيَهُمْ، وَاللَّعْمُ مَحْنِيٌّ مَحْذُورٌ، لَهُ يَدِيَّةٌ رَادِمَةٌ، وَهِيَّةٌ هَائِلَةٌ، مَعَهُمْ
 السَّيُوفُ الْهِنْدِيَّةُ، وَدُكُورُ الْبَيْضِ الْإِمْبَانِيَّةِ، رِقَاقُ الشَّقَرَاتِ، مَسْنُونَةُ الشَّحَذِ، مَشْطَبَةُ^(٣)
 الضَّرَائِبِ . مَعْتَدِلَةُ الْجَوَاهِرِ، صَافِيَةِ الصَّفَائِحِ، لَمْ يَدْخُلْهَا وَهْنُ الطَّبْعِ، وَلَا طَابَهَا أَمْتُ^(٤)
 الصَّوْغِ، وَلَا شَانَهَا خِفَةُ الْوِزْنِ، وَلَا فَدَحَ حَامِلُهَا بُهُورُ الثَّقَلِ، قَدْ أَشْرَعُوا لَدُنَّ الْقَنَا،
 طَوَالَ الْمَوَادِي، مَقُومَاتِ الْأَوْدِ، زُرْقِ الْأَيْسَنَةِ، مَسْتَوِيَةِ الثَّالِبِ، وَمِيضُهَا مَتَوَقَّدٌ،
 وَسِنْخُهَا مِتْلَهَّبٌ^(٥)، مَعَاقِصُ عَقْدِهَا مَنَحُوتَةٌ، وَوُصُومُ أَوْدِهَا مَقُومَةٌ، وَأَجْنَامُهَا مَخْفَلِفَةٌ،
 وَكُومُهَا جَعْدَةٌ، وَعُقْدُهَا حَبْكَةٌ، شَطْبَةُ الْأَسْنَانِ، مُمَوَّعَةُ الْأَطْرَافِ، مَسْتَحْلَمَةُ الْجَنْبَاتِ،
 دِقَاقُ الْأَطْرَافِ، لَيْسَ فِيهَا آيَتُوهُ أَوْدٌ، وَلَا أَمْتُ وَصَمٌ، وَلَا بِهَا مَسْقَطُ عَيْبٍ، وَلَا عَنَّا

(١) المهلوبة : المنقوبة الملب، وهو شعر الذنب أو الشعر كله . (٢) أي خالصة وحيدة .

(٣) الليق : القبا المحشو . (٤) التريك : بيضة النعام خاصة، ومنه قوله :

* وَطَلَّ بِهَا بَيْضُ النَّعَامِ تَرَاكُمًا *

(٥) سيف شطب : ذو شطب وهي طراجه التي في منته . (٦) الأمت : العوج والاختلاف .

(٧) الشطب : طرف الخ الداخل في جبة السنان . (٨) في مفتاح الأفكار وغيره : «ومجدها مطلب»

وسنخ النصل : الحديد التي تدخل في رأس السهم . (٩) المعاقص : السهام الموجهة .

وقوع أمنية؛ مُستَغْنِي كِلَانِ النَّبْلِ وَيَسَى الشَّوْطُ^(١) والنَّعْبُ؛ أَمْرًا يَسَى التَّعْطِيبُ، وَوَيْمَةُ النَّصُولِ، مَسْمُومَةُ الصَّوْغِ؛ وَلَتَكُنْ سِيَاهَا عَلَى نَحْسٍ قَبْضَاتِ سِوَى النَّصُولِ، لِأَنَّهَا أُلْبِغُ فِي الْغَايَةِ، وَأَخَذْتُ فِي الدَّرُوعِ، وَأَشَكَّ فِي الْحَدِيدِ؛ سَامِعِينَ حَقَائِبَهُمْ عَلَى مَتُونِ خِيُولِهِمْ، مُسْتَحْفِينَ مِنَ الْآلَةِ وَالْأَمْتَةِ وَالزَّادِ، [إِلَّا مَا لَا غَنَاءَ بِهِمْ عَنْهُ]^(٢).

وأحذر أن يَكِلَ مباشرة عَرَضِهِمْ وَأَتْفَافِهِمْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ أَعْوَانِكَ وَتَحَابِكَ : فَإِنَّكَ إِنْ وَكَلْتَهُ إِلَيْهِمْ أَضَعْتَ مَوَاضِعَ الْحَزْمِ، وَفَوَّطْتَ حَيْثُ الرَّأْيِ، وَوَقَفْتَ دُونَ حَزْمِ الرُّوْيَةِ، وَدَخَلَ حَمْلُكَ ضَيَاعُ الْوَهْنِ، وَخَلَصَ إِلَيْكَ حَيْبُ الْحَابَةِ، وَثَالَهُ فُسَادُ الْمُدَاهَنَةِ، وَظَلَبَ عَلَيْهِ مِنْ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ طَلِيعَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا عُدَّةً وَلَا حِصْنًا يَدْرُونَ بِهِ، وَيَكْتَهِفُونَ بِمَوْضِعِهِ. وَالطَّلَاحُ حَصُونُ الْمُسْلِمِينَ وَصِيُونُهُمْ، وَهُمْ أَقْلُ مَكِيدَتِكَ، وَهَرُوءُ أَمْرِكَ، وَزِمَامُ حَرْكِكَ. فَلْيَكُنْ أَحْتَاؤُكَ بِهِمْ، وَأَتَقَاؤُكَ إِيَّاهُمْ بِحَيْثُ هُمْ مِنْ مِثْمَ حَمْلِكَ، وَمَكِيدَةِ حَرْكِكَ؛ ثُمَّ أَتَحْيَبُ لِلْوِلَايَةِ عَلَيْهِمْ رَجُلًا بَعِيدَ الصَّوْتِ، مَشْهُورَ الْإِسْمِ، طَاهِرَ الْفَضْلِ، نَبِيهَ الذِّكْرِ؛ لَهُ فِي الْعَدُوِّ وَقَعَاتُ مَعْرُوفَاتٍ، وَأَيَّامٌ طَوَالُ وَصُولَاتٍ مُتَقَدِّمَاتٍ؛ قَدْ عَرِفَتْ نَكَابَتَهُ، وَحُدِرَتْ شَوْكَتُهُ، وَهَيَّبَ صَوْتُهُ، وَتَشَكَّبَ لِقَاؤُهُ؛ أَمِينَ السَّرِيرَةِ، نَاصِحَ الْحَيِّبِ؛ قَدْ بَلَوْتَ مِنْهُ مَا يَسْتَحْكُكَ إِلَى نَاحِيَتِهِ : مِنْ لَيْنِ الطَّاعَةِ، وَخَالِصِ الْمَوَقَّةِ، وَرَسَكَاةِ الصَّرَامَةِ، وَظُلُوبِ الشَّهَامَةِ، وَاسْتِجْبَاعِ الْقُوَّةِ، وَحَصَافَةِ التَّدِيرِ. ثُمَّ تَهْتَدِمْ إِلَيْهِ فِي حَسَنِ مِيَسَاتِهِمْ، وَاسْتِئْزَالَ طَاعَتِهِمْ، وَاجْتِنَابِ مَوَدَّاتِهِمْ وَاسْتِعْمَادِ ضَمَائِرِهِمْ؛ وَأَجْرِ طَلِيعِ وَطْلِهِ أَرْزَاقًا تَسْمُهُمْ، وَتُعَدُّ مِنْ أَطْعَامِهِمْ سِوَى أَرْزَاقِهِمْ فِي الْعُسَاةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْقُوَّةِ لَكَ عَلَيْهِمْ، وَالْإِسْتِنَامَةِ إِلَى مَا قَبْلَهُمْ.

وَأَعْلَمْ أَنَّهُمْ فِي أَمْرِ الْأَمَاكِنِ لَكَ، وَأَعْظَمُهَا غَنَاءُ عَنْكَ وَعَمَّنْ مَعَكَ، وَأَلْقِيهَا كَبْتًا مُخَادَكَةً، وَأَعْجَابَهَا حَيْظًا لَعْدُوكَ : وَمَنْ يَكُنْ فِي الثَّقَةِ وَالْجَلَدِ، وَالْبَاسِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْقُوَّةِ، وَالنَّصِيحَةِ وَالْعُدَّةِ، وَالْتَجِدَهُ حَيْثُ وَصَفَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمْرُكَ بِهِ، يَضَعُ عَنْكَ مَوْثِقَةَ الْحَمْدِ، وَيُرِيخُ

(١) الشَّوْطُ : شَجَرٌ تَقْطَعُهُ مِنَ الْقِسِيِّ . (٢) الزِّيَادَةُ مِنْ مَفْتَاحِ الْأَفْكَارِ (ص ٢٥١) .

(٣) يُقَالُ : فَلَانٌ نَاصِحٌ الْجَبِيبِ يَرَادُ بِذَلِكَ ظَنُّهُ وَصَدْرُهُ أَيْ أَمِينٌ .

من خناتك روح الخوف ، وتنجي إلى أمر منيع ، وتظهر قوتى ، وبأى حازم ، تأمن به
بقات مدوك ، ويضرات بقاتهم ، وطوارق أحداثهم ؛ ويصير إليك علم أحوالهم ، ومتقدمات
خيولهم ؛ فانتقمهم رأى عين ، وقومهم بما يصلحهم من المنال والاطماع والأرزاق ، وأجعلهم
منك بالمثل الذى هم به من محارز ملائكتك ، وحصانة كهوفك ، وقوة سيارة عسكريك .
ولائك أن تدخل فيهم أحدا بشفاة ، أو تحمله على هودة ، أو تقدمه لأثرة ، أو أن يكون
مع أحد منهم بقل ثقيل ، أو فضل من الظهر ، أو ثقل فادح ، قشنت عليهم مؤونة أنفسهم ،
ويدخلهم كلال السامة فيما يعالجون من أفعالهم ، ويستغلون به عن عدوهم إن دهمهم منه
رائع ، أو بقاتهم منه طليعة . فتفقد ذلك محكما له ، وتقدم فيه أخذنا بالحزم فى إمضائه ؛
أرشدك الله لإصابة الحلفاء ، ووفقك لئى التدبير ، وقصد بك لأسهل الرأى وأعوذه نفعاً
فى العاجل والآجل ، وأكثبه لمدوك وأصحابه لم ، وأردمه لعاديتهم .

ول دراجة عسكريك وإخراج أهله إلى مصافهم ومراكبهم رجلاً من أهل بيوتات
الشرف ، محمود الخبرة ، معروفاً بالنجدة ، ذا سن وتجربة ، لئى الطاعة ، قديم النصيحة ،
مأمون السرية ، له بصيرة بالحق نافذة تقدمه ، ونية صادقة عن الإدهان تحجزه . وأحتم
إليه مدة نقر من فترات جندك وذوى أسنانهم يكونون شرطاً معه ، ثم تقدم إليه فى إخراج
المصاف ، وإقامة الأحرار وإذكاء العيون ، وحفظ الأطراف ، وشدة الحذر ، ومرة
فليضج القواد بأنفسهم مع أصحابهم فى مصافهم ، كل قائد بإزاء مكانه ، وحيث منزله ،
قد سد ما بينه وبين صاحبه بالرمح شارعة ، والترسة موضونة ، والرجال راصدة ، ذاكية
الأحرار ، ويلة الروع ، خاتمة طوارق العدو وبياته . ثم مره فليخرج ككل ليلة قائداً
فى أصحابه أو عدة منهم إن كانوا كثيراً ، على علوة أو اثنتين من عسكريك ، متنبهاً عنك محيطاً
بمترك ، ذاكية أحراره ، قلعة التردد ، مقرطة الحذر ، معدة الروع ، متأهبة للقتال ، أخذة
على أطراف المسكر ونواحيه ، متفرقين فى اختلافهم كدوسا كدوسا ؛ يستقبل بعضهم بعضاً

(١) الضلحمة : التهمة والهة . (٢) القتل : متاع المسافر . (٣) الإدهان : المداينة وهو أن يظهر
الإنسان خلاف ما يعنى . (٤) الترسه موضونة ، أى منسوجة حلقتين حلقتين . (٥) أى كتيبة كتيبة .

[في الاختلاف^(١)] وَيَكْسَعُ نَالٍ مُتَقَلِّبًا فِي التَّرْقُدِ ، وَأَجْمَلُ ذَلِكَ بَيْنَ قُوَادِكَ وَأَهْلِ عَسْكَرِكَ قُرْبًا مَعْرُوفَةً ، وَحَصَصًا مَقْرُوضَةً ، لَا تُعْرِ مِنْهَا مُزْدَلِفًا مِنْكَ بِمَوْقَةٍ ، وَلَا تَحْمِلُ فِيهِ عَلَى أَحَدٍ بِمَوْجِدَةٍ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَوْضٌ إِلَى أَمْرَاءِ أَجْنَادِكَ وَقُوَادِ خَيْلِكَ أُمُورَ أَعْمَالِهِمْ ، وَالْأَخْذُ عَلَى قَافِيَةِ أَيْدِيهِمْ ، رِيَاضَةٌ مِنْكَ لَهُمْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَمْرَائِهِمْ ، وَالِاتِّبَاعِ لِأَمْرِهِمْ ، وَالْوُقُوفُ عِنْدَ نَهْيِهِمْ ، وَتَهَدُّمٌ إِلَى أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ فِي النَوَائِبِ الَّتِي أَلَزَمَتْهُمْ إِيَّاهَا ، وَالْأَعْمَالُ الَّتِي أَسْتَعِجَلَتْهُمْ لَهَا ، وَالْأَسْلُحَةُ وَالْكَرَاعُ الَّتِي كَتَبَتْهَا عَلَيْهِمْ ، وَاحْتَدَرُ احْتِلَالِ أَحَدٍ مِنْ قُوَادِكَ عَلَيْكَ بِمَا يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ تَأْدِيبِ جُنْدِكَ ، وَتَقْوِيمِهِمْ لِعَاطَاكَ ، وَقَعْمِهِمْ عَنِ الْإِخْلَالِ بِمَرَاكِمِهِمْ لَشَيْءٍ مِمَّا وَكَلَّوْا بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَقْسَدٌ لِلْجُنْدِ ، مَقْتَدَةٌ لِلْقُوَادِ عَنِ الْجَدِّ وَالِإِيثَارِ لِلنَّاصِحَةِ ، وَالتَّعَدُّمِ فِي الْأَحْكَامِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي اسْتِخْفَافِهِمْ بِقُوَادِهِمْ وَتَضْيِيقِهِمْ أَمْرَ رُؤَسَائِهِمْ دُخُولًا لِلضِّيَاعِ عَلَى أَعْمَالِكَ ، وَاسْتِخْفَافًا بِأَمْرِكَ الَّذِي يَأْتَمِرُونَ بِهِ وَرَأْيِكَ الَّذِي تَتَنَبَّأُ . وَأَوْعِزْ إِلَى الْقُوَادِ إِلَّا يُقَدِّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى عَقُوبَةِ أَحَدٍ مِنْ أَعْمَالِهِ ، إِلَّا عَقُوبَةً تَأْدِيبٍ فِي تَهْوِيمِ مَيْلٍ ، وَتَقْبِيفِ أَوْدٍ ، فَإِنَّمَا عَقُوبَةُ تَبْلِغُ تَلَفِ الْمُهْجَةِ ، وَإِقَامَةُ حَدٍّ فِي قَطْعٍ ، أَوْ إِفْرَاطٍ فِي ضَرْبٍ ، أَوْ اخْذُ مَالٍ ، أَوْ عَقُوبَةُ فِي شَعَرٍ ، فَلَا يَلِيَنَّ ذَلِكَ مِنْ جُنْدِكَ أَحَدٌ غَيْرُكَ ، أَوْ صَاحِبُ شُرْطَتِكَ بِأَمْرِكَ وَعَنِ رَأْيِكَ وَإِذْنِكَ ، وَمَنْ لَمْ تُدَلِّلِ الْجُنْدَ لِقُوَادِهِمْ ، وَتَضْيِيقَهُمْ لِأَمْرَائِهِمْ ، تُوجِبْ لَهُمْ عَلَيْكَ الْهَجَةَ بِتَضْيِيقِ - إِنْ كَانَ مِنْهُمْ - لِأَمْرِكَ ، أَوْ خَلَلَ - إِنْ تَهَاوَنُوا بِهِ - مِنْ عَمَلِكَ ، أَوْ عَجَزَ - إِنْ قَرَطَ مِنْهُمْ - فِي شَيْءٍ مِمَّا وَكَلَّمْتَهُمْ بِهِ أَوْ أَسْنَدْتَهُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا تَجِدْ إِلَى الْإِقْدَامِ عَلَيْهِمْ بِاللُّومِ وَعَقْصِ الْعَقُوبَةِ عَلَيْهِمْ عَجَازًا تَصِلُ بِهِ إِلَى تَضْيِيقِهِمْ ، بِتَفْرِيطِكَ فِي تَذْلِيلِ أَعْمَالِهِمْ لَهُمْ ، وَإِفْسَادِكَ إِيَّاهُمْ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ . فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا مُحْكَمًا ، وَتَهَدَّمْ

(١) الزيادة من مفتاح الأفكار (ص ٢٥٢) . (٢) أى يعمد بهم من الجند الخ .

فيه يرقك تقمًا يليغاً، وإياك أن يدخل حزمك وهنٌ، أو يشوب عزمك إيثارة، أو يخلط رأيك ضياعٌ، والله يستودعُ أمير المؤمنين همك ودينك .

إذا كنت من صدوك على مسافة دانية وسنّ لقاءٍ مختصراً، وكان من عسرك مقترباً قد شامت طلائعك مقدمات ضلّاته ومخافة فتته، فتأهب أهبة المناجز، وخُذ اعتداد الحذر، وكُتِبْ خيولك، وصَبَّ جندك . وإياك والمسير إلا في مقدمة وتجنّة ومهسرة وساقية، قد شهِروا الأسلحة، ونشروا البنود والأعلام . وعرف جندك مراكرهم سائرین تحت أليوتهم قد أخذوا أهبة القتال، واستعدوا للقاء؛ ملتجئين إلى موافقهم، عارفين بمواضعهم في مسيرهم ومُعسكرهم . وليكن ترسلهم وتزلفهم على راياتهم وأعلامهم وفي مراكرهم، قد عرّف كلُّ قائد منهم أصحابه موافقهم : من الميمنة والميسرة والقلب والساقية والعلّيقة، لازمين لها، غير مُخلّين بما استنجدوا له، ولا مُتجاوزين فيما أُهيب بهم إليه؛ حتى تكون عساكرُك في منهلٍ تصل إليه، ومسافة تختارها، كأنها عسكراً واحداً في اجتماعها على العدو، وأخذها بالحزم، ومسيرها على راياتها، وزولها في مراكرها، ومعريقها بمواضعها : إن ضلّت دابةً من مواضعها، عرف أهلُ العسكر من أي المراكز هي، ومن صاحبها، وفي أي المحلّ حلّولُه منها، فُرِدت إليه، هداية معروفة بِسَمْتِ صاحب قيادتها؛ فاق تقدّمك في ذلك وإحكامك له طارحاً عن جندك مؤونة الطلب، وعناية المعرفة، وأبتغاء الضالة .

ثم أجمع على ساقطك أو تقى أهل عسرك في نفسك صرامةً ونفاذاً ورضاً في العامة، وإنصافاً من نفسه للرجية، وأخذاً بالحق في المعدلة، مستشعراً تقوى الله وطاعته؛ أخذاً بهديك وأدبك، واثقاً عند أمرِك ونهيك، معتزماً على مناصحتك وتزيينك، نظيراً لك في الحال، وشبيهاً بك في الشرف، وعديلاً في الموضع، ومقارباً في السبب؛ ثم أكثف معه الجمع، وأيدّه بالقوة، وقوّه بالظهور، وأعنه بالأموال، وأعمده بالسلاح، وصره بالتمطّف على ذوى الضعف من جندك ومن أزحفَتْ به دابّته وأصابته نكبة : من مريض أو رجله أُوّية،

(١) كتب الجيش أو الخليل : جعلها تكتب . (٢) في مفتاح الأفكار ويرى : « في الصيت » .

(٣) الرجل بالضم : أن يشكويه وقد رجع كفرح أصحابه في رجله ما يكره .

من غير أن يأذن لأحد منهم في التنصّي عن عسكره، أو التخلّف بعد ترحّله، إلا ليهود سقما، أو لمطروق بأفة جائحة . ثم تقدّم إليه محمّدا، ومُره زاجرا، وأنه مُغلظا في الشّنة على من مرّ به منصرفا عن معسكره من جنده بغير جوازك، شادا لم أسرا، وموقرهم حديدا، ومُعاقبهم مُوجعا، وموجّههم إليك فتنهكهم عقوبة، وتجعلهم لغيرهم من جنده حفلة .

وأعلم أنه إن لم يكن بذلك الموضع من تسكن إليه واتّقا بنصيحته قد بلوت منه أمانة تُسكّك إليه، وصرامة تؤمّنك مهاتته، وهذا في أمرك يُرمي عنك خنثاق الخوف في إخاضته - لم يأمّن أمير المؤمنين تسلّل الجند عنك لوأذا، ودفعهم مراكرهم، وإخلاصهم بمواضعهم، وتخلّفهم عن أعمالهم، آمين تغيير ذلك عليهم، والشّنة على من آجرته منهم، فأوشك ذلك في وهنك، وخلل من قوتك، وقُلّ من ثروتك .

اجعل خلف سائلك رجلا من وجوه قوادك، جليدا، ماضيا، عفيقا، صارما، شهما الرأي، شديد الحذر، شيكّم القوة، غير مُداهن في عقوبة، ولا مهين في قوة، في خمسين فارما يحسّر إليك جنده، ويلحق بك من تخلف عنك بعد الإبلاغ في عقوبتهم، والنّكّ لهم، والتّنكيل بهم . وليكن بمقوتك في المنزل الذي ترحل عنه، والمنهل الذي تنقوض منه، مُفرطا في النّفيض له، والتّتبّع لمن تخلف عنك به، مشتدا في أهل المنزل وسائكه بالتّقدّم، موعزا إليهم في إزجاج الجند عن منازلهم، وإخراجهم عن مكائهم، وإبعاد العقوبة الموجعة والنّكال المُيسل في الأشعار والأبشار، وأسْتِصْفَاءِ الأموال وهدم القار لمن أوى منهم أحدا أو ستر موضعه، أو أخفى عمله . وحلّره عقوبتك إياه في الترخيص لأحد، والحفاة لدى قرابة، والأخصاص بذلك لدى أثرة وهّادة . ولكن فرسانه متّخّين في القوّة، معروفين بالنّجدة، عليهم سوايخ الدروع دونها شعار الحشو وجبب الاستعنان، متقلّدين سيوفهم، سامطين كتابهم، مستعدين لفتح إن بدّهم [أو كين إن يظهر لهم] . وإياك

(١) لوأذا : مراوغة أى مستحقين يستتر بعضهم ببعض . (٢) القوة : ماحول القرار وساحته .

(٣) سامطين : ساطين . (٤) الزيادة من مفتاح الأفكار وغيره .

أن تقبل منهم في دوابهم إلا فرسا قويا أو يردونا^(١) ويحيا : فإن ذلك من أقوى القوة لهم ، وأعون الظهري على عدوهم ، إن شاء الله .

ليكن رحيلك إيانا واحدا ، ووقتاً معلوما : ليخف المؤونة بذلك على جندك ، ويعلموا أولان رحيلهم ، فيقدموا فيما يريدون من معالجة أطعمتهم ، وأطراف دوابهم ، وتسكن قلوبهم الى الوقت الذي وقفوا عليه ، ويطمئن ذؤو الرأي الى إبان الرحيل . ومتى يكن رحيلك غتيفا ، تعظم المؤونة عليك وعلى جندك ولا يزال ذؤو السفه [والترق] يترحلون بالإرجاف ويتركون بالثوم ، حتى لا يتفزع ذؤو رأي بنوم ولا طمأينة .

إياك أن تظهر استيلا ، أو تُنادى برحيل من منزل تكون فيه ، حتى تأمر صاحب تعبئك بالوقوف بأصحابه على مُسرك آخذاً بيمينتي فوخته ، بأسلحتهم حدة لأمر إن حضر أو مفاجأة من طليعة للمدو إن رأت منكم نهزة ، أو هتت عندكم غيرة . ثم مري الناس بالرحيل وخيلك واقية ، وأهبتك معدة ، وجنتك واقية ، حتى اذا استقلتم من معسكركم ، ونوجهتم من منزلكم ، يترجم على تعبئك بسكون ريج ، وهدو حمله ، وحسن دعة . فاذا انتهيت الى منزل أردت نزوله أو همت بالمسكبه ، فإياك ونزوله إلا بعد العلم بأهله ، والمعرفة بمواقفه ، ومري صاحب طليعتك أن يعرف لك أحواله ، ويستبشرك علم دفينه ، ويستبين علم أموره ثم يُنبها اليك على ما صارت اليه : لتعلم كيف احتاله لمسرك ، وكيف ماؤه وأعلامه وموضع مُسرك منه ، وهل لك — إن أردت مقاماً به ، أو مطاوله عدوك أو مكايده فيه — قوة تملك ومدد يأتيه ، فإنك إن لم تفعل ذلك ، لم تأمن أن تهجم على منزل يعجزك ويزعجك عنه ضيق مكانه ، وقلة مياهه ، وانقطاع موائده ، إن أردت بعدوك ميكيدة ، أو أخرجت من أمورهم الى مطاوله ، فإن ارتفعت منه كنت غرضاً لعدوك ، ولم تجد الى المحاربة والإخطار سبيلا ، وإن أقمت به أقمت على مشقة وحصر وفي أزل

(١) يردونا ويحيا : كثير الم

(٢) كذا في صبح الأضي (ج ١٠ ص ٢٢٦) ولعل فيه تحريفا صوابه : قوة تصلك ومدد يأتيك .

وضيق ، فأعيرف ذلك وتعلم فيه . فإن أردت نزولا أمرت صاحب الخيل التي وكلت بالناس فوقفت خيله متعجة من معسرك ، عتة لأمري إن ظلك ، ومقرقا لبسها إن راعك ، فقد أمنت بحمد الله وقوته بغاة عدوك ، وعرفت موقعها من حركك ، حتى يأخذ الناس منازلهم ، وتوضع الأتقال مواضعها ، ويأتيك خبر طلائعك ، وتخرج دبابتك من معسرك دزاجة ودبابا يحيطين بمعسرك ، وعدة إن أحضرت إليها . وتكن دبابات جندك أهل جليد وقوة ، قائما أو اثنين أو ثلاثة بأصحابهم ، في كل ليلة ويوم نوباً بينهم . فإذا غربت الشمس وجب^(١) نورها ، أخرج اليهم صاحب بعيتك أبدالهم ، عسسا بالليل في أقرب من مواضع دبابي النهار ، يتعاور ذلك قوادك جميعا بلا محابة لأحد فيه ولا إدهان .

إياك وأن يكون معرك إلا في خندق وحسن تأمن به بيأت عدوك وتستسلم فيه إلى الحزم من مكيدتك . إذا وضعت الأتقال وحطت أبنية أهل المعسكر ، لم يمدد طنب ، ولم يرفع خباء ، ولم ينصب بناء حتى تقطع لكل قائد ذرعا معلوما من الأرض بقدر أصحابه ، فيحفره عليهم خندقا يطبقونه بعد ذلك بخنادق الحسك^(٢) ، طارحين لها دون أشجار الرماح ، ونصب الرمة ، لها بابان قد وكلت بحفظ كل باب منهما رجلا من قوادك في مائة رجل من أصحابه ، فإذا فرغ من الخندق كان ذاك الرجلان القائدان بمن معهما من أصحابهما أهل ذلك المركز ، وموضع تلك الخيل ، وكانوا هم البوابين والأحراس لذيتك الموضعين ، قد كفؤهما وضبطوهما وأعفوا من أعمال المعسكر ومكروهه غيرهما .

وأعلم أنك إذا كنت في خندق ، أمنت بإذن الله وقوته طوارق عدوك وبغائهم ، فإن راموا تلك منك ، كنت قد أحكت ذلك وأخذت بالحزم فيه ، وتقدمت في الإحدا له ، ورتقت مخوف الفتق منه ، وإن تكن العافية استحققت حمد الله عليها ، وأرسلت شكره بها ، ولم يضررك أخطك بالحزم : لأن كل كلفة ونصب ومؤنة إنفاق ومشقة عمل مع

(١) أي ذهب وغاب . (٢) الحسك : أسلاك كالشوك تعمل من الحديد تلقى حول المعسكر لتشتب

في رجل من يدومها من الخيل والناس الطارقين له ، وهي المروقة الآن : « بالأسلاك الشاككة » .

السلامة ثمّ غير خطرك بالعاقبة، إن شاء الله . فإن أبليت ببيات عدوك أو طرقت رايها في ليالك، فليُفك حذرًا مشمًا عن ساقك، حاسرًا عن ذراعك، متشترًا^(١) لحريك؛ قد تقدّمت دؤاجتك إلى مواضعها على ما وصفه لك أمير المؤمنين، ودبابتك في أوقاتها التي قدر لك، وطلاعتك حيث أمرتك، وجنتك على ما عبأ لك، قد خطرت عليهم بنفسك، وتقدّمت إلى جنتك، إن طرقهم طارق أو ناجاهم عدو، ألا يتكلم منهم أحد رافعًا صوته بالتكبير مُفرقًا في الإجلاب، مُعلنًا بالإرهاب لأهل الناحية التي يقع بها العدو طارفا، وليشرعوا رماحهم ناشين بها في وجوههم، ويرشقوهم بالنبل مكتئين بترجمهم، لا يمين لمراكرهم، غير مُزِيل قدم عن موضعها، ولا متجاوزين إلى غير مراكزهم، وليكبروا ثلاث تكبيرات متواليات وسائر الجند هادون، لتعرف موضع عدوك من معسكرك، فتمت أهل تلك الناحية بالرجال من أعوانك وشرطتك، ومن آتقت قبل ذلك صدّة للشدائد بحضورتك، وتقدّم إليهم الشاب والراح .

ولما كان يشهروا سيقًا بمجالدون به، وتقدّم إليهم ألا يكون قتالهم في تلك المواضع لمن طرقهم إلا بالراح مُسندين لها إلى صدورهم، والشاب راشقين به وجوههم؛ قد ألبدوا بالترسة، واستجنوا بالبيض، وألقوا عليهم سوابغ الدروع وجباب الحشو . فإن صد العدو عنهم حاملين على جهة أخرى، كبر أهل تلك الناحية التي يقع فيها كفعل الناحية الأولى، وبقية المعسكر سكوتًا والناحية التي صد عنها العدو لازمة مراكرهم متطرفة الهدى ساكنة الريح، ثم عملت في تقويتهم وإمدادهم بمثل صليحك في إخوانهم .

ولما كان يُخدّ نار رواقك؛ وإذا وقع العدو في معسكرك فأججها سائرًا لها وأوقدها حطبًا بحرًا يعرف به أهل المعسكر مكانك وموضع رواقك، فيسكن نافر قلوبهم، ويقوى واهي قوتهم، ويشدّ منخذي ظهورهم، ولا يرجعون بك الظنون، ويعملون لك آراء

(١) متشترًا : متجهزًا .

السوء، ويُرْجفون بك آتاء الخوف؛ وذلك من فعلك رَأَدَ عدوكَ بغيظه لم يستغل منك ظُفُرا، ولم يبلغ من نيكاتك سرورا . وإن أنصرف عنك عدوك وتكل عن الإصابة من جندك وكانت بجيك قوة على طلبه أو كانت لك من فرسانك خيلٌ معدةٌ وكنية متخبة، [و] قدرت على أن تركب بهم أكسامهم^(١)، وتعلمهم على سننهم؛ فأتهمهم بجريدة خيل عليها الثقات من فرسانك وأولو العجدة من حماك؛ فإنك ترقى عدوك وقد أمن من بيناتك، وشغل بكآله عن الصحرز منك والأخذ بأبواب معسكره والضبط لمخاريسه عليك، مؤنة مُحانتهم لنبية أبطالهم : لما ألقوكم عليه من التشمير والخذ، قد حقر الله فيهم، وأصاب منهم، وجرح من مقاتلتهم، وكثر من أمانى ضلالهم، ورد من مستعبل جماحهم .

وتقدم إلى من توجهه في طلبهم، وتنبه أكسامهم : في سكون الريح، وقلة اللفت، وكثرة التسيج والتليل، وأسند نصارك عن وجل بالستهم وقلوبهم سيرا وجهرا، بلا لحب خفة، ولا ارتفاع ضوضاء، دون أن يردوا على مطلبهم، ويتهزوا فرسنتهم . ثم ليشتروا السلاح، ويتنصوا السيوف، فإن لها هبة رائعة، ونبية مخوفة، لا يقوم لها في همة الليل وحندسه إلا البطل المحارب، وذو البصيرة المحامي، والمستنيت المقاتل، وقليل ما هم عند تلك الحمية وفي ذلك الموضع .

ليكن أول ما تتقدم به في التهيؤ لعدوك، والاستعداد للقاءه، انتظابك من فرسان عسكريك وحماة جندك ذوى البأس والحنكة والجلد والصرامة، ممن قد اعتاد طراد الكفا، وكثر عن ناجذه في الحرب، وقام على ساق في منازل الأحرار، تحف الفروسية، مجتمع القوة، مستحصد الميرة، صبوراً على هول الليل، عارفاً بمناهزة القوس، لم تمهته الحنكة ضعفاً، ولا بلغت به السن كلالاً، ولا أسكرته غيرة الحداثة جهلاً، ولا أبطرتة نجدة الأغمار صلفاً، جريئاً على مخاطرة التلف، مقبلاً على أذراع الموت، مكابراً لمييب الهول، متعجها مخشئ الخوف، خائفاً غرات المهالك؛ برأى يؤيده الحزم، ونية لا يحلجها الشك،

(١) الأكسام : الأمار، واحداً كس . (٢) ترقى عدوك : تنشأ .

وأهواء مجتمعة، وقلوب مؤتلفة؛ طارقين بفضل الطاعة وعِزًّا وشرفًا، وحيث محل أهلها من التأييد والظفر والحقين؛ ثم أمرهم رأى عين على كراعهم وأسلحتهم. ولتكن دوابهم إناث حثاق الخيل، وأسلحتهم سوايق الدروع وكال آلة الحارب، متقلدين سيوفهم المستخلصة من جيد الجوهر وصافي الحديد، المتخيرة من معادن الأجناس، هندية الحديد يمانية الطبع، رفاق المضارب، مسمومة الشد، مشطبة الضربة؛ ملبدين بالترسة الفارسية، صيلية التعقيب، معلمة المقايض يخلق الحديد، أمحاؤها مربعة، وغارزها بالتجليد مضاعفة، تحملها مستخف؛ وكائن النبل ويجعاب القيس قد استحقبوها، وقيس الثريان والنبح أعراية الصنعة، مختلفة الأجناس، مُحَكَّمة العمل، مقومة التحيف؛ ونصول النبل مسمومة، وعملها مصبغة، وتركيبها عراقي، وتريشها بدوي؛ غليفة الصوغ في الطبع، شق الأعمال في التشطيب والتجنيح والإستدارة. ولتكن الفارسية مقلوبة المقايض، منبسطة السية، سهلة الانعطاف، مقربة الانحناء، ممكنة المرمى، واسعة الأسهم؛ فرضها سهلة الورد، ومعايطها غير مقربة المواتاة. ثم ول على كل مائة رجل منهم رجلاً من أهل خاصتك وعتاك ونصصاك، له صيت في الرياسة، وقدم في السابقة، وأولية في المشايمة. وتقدم إليه في ضبطهم، وكف متزتهم، وأستتال نصائحهم، وأستعداد طاعتهم، وأستخلاص ضمائرهم، وقماهد كراعهم وأسلحتهم: مقيمًا لهم من النوايب التي تلزم أهل عسكري وعاقة جندك؛ وأجعلهم مدة لأمر إن حربك، أو طارق إن أذاك؛ ومرهم أن يكونوا على أهبة معنة، وحذر نافي لسة النقلة عنهم؛ فإنك لا تدري أي الساعات من ليك ونهارك تكون إليهم حاجتك. فليكونوا كرجل واحد في التشمير والتأردف وسرعة الإجابة؛ فإنك عسيت ألا تجد عند جماعة جندك في مثل تلك الروعة والمباغة — إن أحتجت إلى ذلك منهم — معونة كافية، ولا أهبة معنة. بل ذلك كذلك فليكن هؤلاء القوم الذين تنتخب عدتك وقوتك، بعونًا قد وطفتها على القواد الذين وليتهم أمورهم، فسميت أولًا وثانيًا وثالثًا ورابعًا وخامسًا وسادسًا؛ فإن أكتفيت فيما يطركك ويسدحك

يَبَيْتٍ وَاحِدٍ، كَانَ مُعَدًّا لَمْ تَمْنَحْ إِلَى اتِّعَابِهِمْ فِي سَاعَتِكَ تِلْكَ، قَطَّعَ الْبَيْتَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ مَا يَرْتَهِّقُ . وَإِنْ أَحْبَبْتَ إِلَى اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ، وَجَّهْتَ مِنْهُمْ إِرَادَتَكَ أَوْ مَا تَرَى قُوَّتَكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَكُلُّ بِخْرَاتِكَ وَدَوَائِيكَ رَجُلًا نَاصِحًا أَمِينًا، ذَا وَرَعٍ حَاجِزٍ، وَدِينٍ فَائِضٍ، وَطَاعَةِ خَالِصَةٍ، وَأَمَانَةٍ صَادِقَةٍ، وَاجْعَلْ مَعَهُ خِيَلًا يَكُونُ مَسِيرَهَا وَمَقِيلَهَا وَمَرْحَلَهَا مَعَ خِرَاتِكَ وَحَوْلًا . وَتَهْتَمُ إِلَيْهِ فِي حِفْظِهَا، وَالتَّسَوُّقِ عَلَيْهَا، وَأَتَاهُمُ كُلُّ مَنْ تُسَيِّدُ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْهَا عَلَى إِضَاعَتِهِ وَالتَّهَوُّنِ بِهِ، وَالشَّدَّةِ عَلَى مَنْ دَنَا مِنْهَا فِي مَسِيرٍ، أَوْ ضَامَهَا فِي مَقِيلٍ، أَوْ خَالَطَهَا فِي مَنَهِلٍ . وَلِيَكُنْ طَائِفَةُ الْجُنْدِ وَالْجِيْشِ — إِلَّا مَنْ اسْتَخْلَصْتَ لِلْسَّيْرِ مَعَهَا — مُتَّحِينَ عَنْهَا، مُجَانِبِينَ لَهَا فِي الْمَسِيرِ وَالْمَقِيلِ؛ فَإِنَّهُ رُبَّمَا كَانَتْ الْجَوْلَةُ وَحَدَّثَتِ الْقَرْصَةَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَخْرَازِنٍ مَنْ يُؤَكِّلُ بِهَا أَهْلَ حِفْظِهَا وَقَدْبُ عَنْهَا، وَحِيَاطَةِ دُونِهَا، وَقُوَّةٍ عَلَى مَنْ أَرَادَ اتِّعَابَهَا، أَسْرَعَ الْجُنْدُ إِلَيْهَا وَتَدَاعَوْا بِخَوِّهَا، حَتَّى يَكَادُ يَرَى ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى اتِّعَابِ الْعَسْكَرِ وَأَضْيَاطِهِ الْفِتْنَةِ؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْفِتَنِ وَسُوءِ السَّيْرِ كَثِيرٌ، وَإِنَّمَا هُمُتُهُمُ الشَّرُّ؛ فَإِذَا كَانَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ فِي خِرَاتِكَ وَدَوَائِيكَ وَبُيُوتِ أَمْوَالِكَ مَطْمَعٌ، أَوْ يَجِدُ سَبِيلًا إِلَى اغْتِيَالِهَا وَمَرْذَأَتِهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَحْسَنَ مَكِيدَتِكَ أَثَرًا فِي الْعَامَةِ، وَأَبْعَدَهَا حَيْثًا فِي حَسَنِ الْقَالَةِ؛ مَا نَلْتَ الظَّفَرَ فِيهِ بِحِزْمِ الرُّوِيَّةِ، وَحَسَنِ السَّيْرِ، وَلَطْفِ الْحَيْسِلَةِ . فَتَكُنْ رِيَّيْتُكَ فِي ذَلِكَ وَجَرُّكَ عَلَى إِصَابَتِهِ بِالْحَيْلِ لَا بِالْقِتَالِ وَأَخْطَارِ التَّلَفِ؛ وَأَدْمُسْ إِلَى عَدُوِّكَ، وَكَاتِبْ رُؤْسَهُمْ وَقَادَتَهُمْ وَصُنُفَ الْمَنَآلَاتِ، وَمِنْهُمْ الْوِلَايَاتِ، وَسَوْفَهُمُ الثَّرَاثُ، وَضَعْ ضَمِّهِمُ الْإِحْنَ، وَأَقْطَعْ أَعْنَاقَهُمْ بِالْمَطَامِعِ، وَأَسْتَدِجِهِمُ بِالْمَتَابِ؛ وَأَمْلَأْ قُلُوبَهُمْ بِالْتَرْتِيبِ إِنْ أَمَكَّتَكَ مِنْهُمْ الدَّوَاوِيرُ، وَأَصَارَتَهُمْ إِلَيْكَ الرُّوَايَجِ؛ وَأَدْعُهُمْ إِلَى الْوُثُوبِ بِصَاحِبِهِمْ أَوْ أَعْرَاجِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَمْ بِالْوُثُوبِ عَلَيْهِ طَاقَةٌ؛ وَلَا طَلِيكَ أَنْ تَطْرَحَ إِلَى بَعْضِهِمْ كِتَابًا كَأَنَّهَا جَوَابُ كِتَابٍ لَمْ إِلَيْكَ، وَتَكْتُبْ عَلَى أَلْسِنِهِمْ كِتَابًا إِلَيْكَ تَدْفَعُهَا إِلَيْهِمْ وَتَحْمِلُ بِهَا صَاحِبَهُمْ طِيْهًا، وَتُتْرَكُ عَنْهُ بِمَقِيلَةِ التُّهْمَةِ وَمَحَلِّ

القلعة ، فعمل ميكيدتك في ذلك أن يكون فيها اقتراق كلتهم ، وتشيت جاعتهم ، وإحن قلوبهم ، وسوء الظن من والهم بهم ، فيوحشهم منه خوفاً لهم لآء على أنفسهم إذا اقتنوا بآتهم إياهم ، فان بسط يده قتلهم ، وأولع سيقه في دعاتهم ، وأسرع الوئوب بهم ، أشعرهم جميعا الخوف ، وشملهم الرعب ، ودعاهم إليك الحرب ، قتهاقوا نحوك بالنصيحة وأموك بالطلب . وإن كان متأثراً عتلاً رجوت أن يستميل إليك بعضهم ، ويستدعي الطمع ذوى الشره منهم ، وتنال بذلك ما يجب من أخبارهم ، إن شاء الله .

إذا تدانى الصفان ، وتواقف الجمعان ، وأحضر الحرب ، وعبأت أصحابك لقتال عدوهم ، فاكثروا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، والتوكل على الله عز وجل والتفويض إليه ، ومسايله توفيقك وإرشادك ، وأن يعزيم لك على الرشد المتجى ، والعصبة الكائنة ، والحيطة الشاملة . ومزج جندك بالقسم وقلة التلفت عند المصاولة ، وكثرة التكبير في أنفسهم والتسبيح بضايرهم ، ولا يظهر تكبيراً إلا في الكرات والحملات ، وعند كل زلعة يذوقونها ، فأما وهم وقوف فان ذلك من الفضل والجن ، وليذكروا الله في أنفسهم ويسألوه نصرهم وإعزازهم ، وليكثروا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، اللهم أنصرنا على عدوك وعدونا الباغي ، وأكفنا شوكتة المستحدة ، وأيدنا بملائكتك الغالين ، وأعصمنا بعونك من الفضل والعجز إنك أرحم الراحمين .

ولكن في معسكر المكبرون في الليل والنهار قبل الموقعة ، وقوم موقوفون يحضونهم على القتال ويحرضونهم على عدوهم ، ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم ، ويذكرونهم الجنة ودرجاتها ، ونعيم أهلها وسكانها ، ويقولون : أذكروا الله يذكركم ، وأستنصروه ينصركم ، وألجئوا إليه بمنعكم . وإن استطعت أن تكون أنت المباشرة بجمعة جندك ووضعهم مواضعهم من رأيك ، ومعك رجال من يقات فرسانك ذووسن وتجربة وتحدة على التمية التي أمير المؤمنين وأصفها لك في آخر محابك فافعل ، إن شاء الله تعالى .

آيَك الله بالتصر، وقلب لك على القسوة، وأعانك على الرشد، وعصمك من الزيف، وأوجب لن استشهد معك ثواب الشهداء ومنازل الأصفياء، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب سنة تسع وعشرين ومائة .

٧ - رسالة ثانية لعبد الحميد الكاتب

ومن رسائل عبد الحميد الرسالة التي أوصى فيها الكاتب^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، حَفِظَكُمُ اللهُ يَا هَلْ صِنَاعَةُ الْكَاتِبَةِ ، وَحَاطَكُمُ وَوَقَّعَكُمُ وَأَرْشَدَكُمُ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ النَّاسَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَمِنْ بَعْدِ الْمُلُوكِ الْمَكْرُمِينَ أَصْنَافًا ، وَإِنْ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ سَوَاءً ، وَصَرَّفَهُمْ فِي صُنُوفِ الصِّنَاعَاتِ ، وَضُرُوبِ الْمَحَاوِلَاتِ ، إِلَى أَسْبَابِ مَعَاشِهِمْ ، وَأَبْوَابِ أَرْزَاقِهِمْ ، بِفِعْلِكُمْ مَعَشَرَ الْكَاتِبِ فِي أَشْرَفِ الْجِهَاتِ ، أَهْلَ الْأَدَبِ وَالْمُرُوءَاتِ وَالْعِلْمِ وَالرِّزَانَةِ ، بِكُمْ تَنْظِيمُ لِمَخْلَقَةِ تَحَاسُّنِهَا ، وَتَسْتَقِيمُ أُمُورِهَا ، وَبِنَصَائِحِكُمْ يُصْلِحُ اللَّهُ لِمَخْلَقِ سُلْطَانَتِهِمْ ، وَتَعْمُرُ بِلَدَانِهِمْ ، لَا يَسْتَفْنِي الْمَلِكُ عَنْكُمْ ، وَلَا يُوجَدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ ، فَوَقَّعَكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْقِعَ أَتْمَاعِهِمْ الَّتِي بِهَا يَسْتَمْعُونَ ، وَأَبْصَارِهِمُ الَّتِي بِهَا يُبْصِرُونَ ، وَالسُّتَهْمُ الَّتِي بِهَا يَنْطِقُونَ ، وَأَيْدِيهِمُ الَّتِي بِهَا يَبْتَغُونَ ، فَأَمْتَعَكُمُ اللَّهُ بِمَا خَصَّصَكُمْ مِنْ فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ ، وَلَا تَزَعْ عَنْكُمْ مَا أَضْفَاهُ مِنَ النِّعْمَةِ طَيْعِكُمْ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصِّنَاعَاتِ كُلِّهَا أَخْوَجَ إِلَى أَجْتِمَاعِ خِلَافِ الْمَعْمُودَةِ ، وَخِصَالِ الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ الْمَعْدُودَةِ مِنْكُمْ . أَيُّهَا الْكَاتِبُ إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ صِفَتِكُمْ ، فَإِنَّ الْكَاتِبَ يَحْتَاجُ فِي نَفْسِهِ ، وَيَحْتَاجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي يَتَّقِي بِهِ فِي مُهِمَّاتِ أُمُورِهِ ، أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحِلْمِ ، فَهِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ ، يَفْقَدَانَا فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ ، يَحْتَبَانَا فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ ، مُؤَنِّزَانَا

(١) هذه الرسالة من مقدمة ابن خلدون (ص ٢٠٦ طبعة بلادي) . (٢) أضفناه ١ أنه .

للبحاف والعدل والإصاف، كثوما للأشعار، وفيما عند الشدائد، عالم بما يأتي من التوازل؛
يضع الأمور مواضعها، والعلوارق في أملاكها؛ قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحسها،
وإن لم يُمكنه أخذ منه بمقدار ما يكتفى به؛ يعرف بفراسة عقله، وحسن أدبه، وفضل
تجربته، ما يرد عليه قبل وروده، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره؛ فيعد لكل أمر عُدته
وعتاده، ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته. فتأفكروا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب،
وتفهموا في الدين، وأبدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والقرآن، ثم العربية فإنها ثقاف
ألسنتكم، ثم أجبذوا الخط فإنه حلية كُتبتكم، وأزودوا الأشعار وأعرفوا غريبها ومعانيها،
وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها؛ فإن ذلك مُعين لكم على ما تَسْمُو إليه هممكم،
ولا تُضيّعوا النظر في الحساب، فإنه قوام كُتّاب الخراج، وأزغبوا بأنفسكم عن المطامع سَلْبًا
ودنيا، وسفاسف الأمور ومخاقرها؛ فإنها مثلة للرقاب، مفسدة للكُتّاب، وتزوها صناعتكم
عن الدعاة، وأربّثوا بأنفسكم عن السعاية والتميمة وما فيه أهل الجهالات .

وإياكم والكبر والسُخف والمظنة، فإنها عداوة مُجتبة من غير إحنة؛ وتُحاربوا في الله
عز وجل في صلاتكم، وتواصوا عليها بالذي هو أليق لأهل الفضل والعدل والنبل من
سلفكم؛ وإن نَبَأَ الزمانُ برجلٍ منكم، فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع إليه حاله، ويثوب إليه
أمره، وإن أقعد أحدًا منكم الكبير عن مكسبه ولقاء إخوانه، فزوروه وعظموه وشاوروه؛
واستظفروا بفضل تجربته، وقديم معرفته؛ وليكن الرجل منكم على من أضلّته واستظفروا
به ليوم حاجته إليه أخوكم منه على ولده وأخيه، فإن عَرَضَتْ في الشغل مُجْدَّةٌ فلا يعرّفها
إلا إلى صاحبه، وإن عَرَضَتْ مَذْنَعَةٌ فليحملها هو من دونه؛ وليحذر السُقطة والزلة والمَلَل
عند تنغير الحال، فإن العيب اليكم معشر الكُتّاب أسرع منه إلى الفِرَاء، وهو لكم أفسد منه
بها؛ فقد صلبتم أن الرجل منكم إذا صحبه من يثقل له من نفسه، ما يجب له عليه من حقه؛
فواجب عليه أن يستغفر له من وفائه وشكره، وأحتماله ونصيحته، وكتبان سره وتدير أمره،

ما هو جزاء لحقه ، ويصدق ذلك فعله عند الحاجة اليه ، والأخطار إلى ما لديه ، فاستشعروا ذلك — وفقكم الله — من أنفسكم في حالة الرخاء ، والشدة والحزن والمؤاساة والإحسان والسرور والضراء ، فتمت الشيمة هذه لمن وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة ، وإذا ولي الرجل منكم أو صير إليه من أمر خلق الله وحيا أمر ، فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته ، وليكن على الضعيف رفيقا ، وللطالوم منصفا ، فإن الخلق عيال الله ، وأحبهم إليه أرفقهم بهاله ، ثم ليكن بالعدل حاكما ، والأشراف مكرما ، والفقراء مؤثرا ، وللبلاء طامرا ، وللرجية مثاقفا ، وعن أذاهم متخلفا ، وليكن في مجلسه متواضعا حلما ، وفي مجالات خراجة وأستقضاء حقوقه دقيقا ، وإذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلقه ، فإذا عرّف حسنًا وقيسها أعانه على ما يوافق من الحسن ، وأحتال على صرفه عما يتواء من القبيح بالطف حيلة وأجل وسيلة .

وقد علمت أن سائس البهيمة إذا كان بصيرا بسياسة النفس معرفة أخلاقها ، فإن كانت رموحا لم يبعها إذا ركبها ، وإن كانت شيوخا آتاهها من بين يديها ، وإن خاف منها شرودا تواقها من ناحية رأسها ، وإن كانت حرونا قمع برفق هواها في طرفها ، فإن استمرت عطفها يسيرا ، فيسلس له قيادها ، وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس واملتهم وجرهم وداخلهم .

والكاتب لفضل أدبه وشريف صنعه ولطيف حيلته ، ومعاملته لمن يحاوله من الناس وينظره ، ويقهم عنه أو يخاف سطوته ، أو لى بالرفق لصاحبه ومدايراته وتوهم أوده ، من سائس البهيمة التي لا تحير جوابا ، ولا تعرف صوابا ، ولا تفهم خطاها ، إلا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها ، ألا فارقوا رحمكم الله في النظر ، وأنملوا ما أمكنكم فيه من الروية والفكر ، تأمنوا بإذن الله من محبتهمو النبوة والاستقلال بالحقوة ، ويصير منكم الى الموافقة ، وتصيروا منه الى المؤاخاة والشفقة ، إن شاء الله ، ولا يهاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه ، وملبسه ومركبه ، ومطعمه ومشربه وخدمه ، وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه ، فإنكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم ، تدمية لا تحلون في خدمتكم على التقصير . وحفظه

لَا تَحْتَمِلُ مِنْكُمْ أَهْأَالُ التَّضْيِيعِ وَالتَّبْذِيرِ، وَأَسْتَعِينُوا عَلَى أَهْأَالِكُمْ بِالْقَصْدِ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْتُمْ لَكُمْ، وَقَصَصْتُهُ عَلَيْكُمْ، وَأَحْذَرُوا مَنَآلِفَ السَّرَفِ، وَسُوءَ عَاقِبَةِ التَّرَفِ، فَإِنَّهُمَا يُقْبِلَانِ الْفَقْرَ، وَيُذَلِّلَانِ الرِّقَابَ وَيَفْضَحَانِ أَهْلَهُمَا، وَلَا سِوَا الْكُتَّابِ وَأَرْبَابِ الْأَدَابِ . وَالْأُمُورُ أَشْبَاهُ وَبَعْضُهَا دَلِيلٌ عَلَى بَعْضٍ، فَاسْتَدْلُوا عَلَى مُؤْتَفِّ أَعْمَالِكُمْ، بِمَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ تَجَرُّبَتُكُمْ، ثُمَّ اسْكُتُوا مِنْ مَسَالِكِ التَّدِيرِ أَوْصَحَّهَا حُجَّةٌ، وَأَصْدَقُهَا حُجَّةٌ، وَأَحْمَدُهَا عَاقِبَةٌ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ لِلتَّدِيرِ آفَةً مُتَلَفَةً، وَهُوَ الْوَصْفُ الشَّاهِلُ لِصَاحِبِهِ، عَنْ إِنْفَازِ حُلْمِهِ وَرَوِيَّتِهِ، فَلْيَقْصِدِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي جُلُوسِهِ، قَصْدَ الْكَافِي فِي مَنْطِقِهِ، وَلْيُوجِزْ فِي أَبْتِدَائِهِ وَجَوَابِهِ، وَلْيَأْخُذْ بِجَمَاعِ حُجَّتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِفَعْلِهِ، وَمَدَقَّةٌ لِلشَّاهِلِ مِنْ إِثْكَارِهِ، وَلْيَضَرِّعْ إِلَى اللَّهِ فِي صَلَاةِ تَوْفِيقِهِ، وَإِمْدَادِهِ بِتَسْدِيدِهِ، غَخَافَةً وَقُوعِهِ فِي الْفَلْطِ الْمُضَرِّ بِيَدِنِهِ، وَعَقْلَهُ وَأَدَبَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَنَّ مِنْكُمْ ظَانًّا أَوْ قَالَ قَائِلًا: إِنَّ الَّذِي بَرَزَ مِنْ جَمِيلِ صَنَعَتِهِ وَقُوَّةِ حَرَكَتِهِ، إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ حِيلَتِهِ وَحُسْنِ تَدْيِيرِهِ، فَقَدْ تَمَرَّضَ بِحُسْنِ ظَنِّهِ أَوْ مَقَاتَلَتِهِ إِلَى أَنْ يَكَلِّهَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ إِلَى نَفْسِهِ، فَيَصْبِرُ مِنْهَا إِلَى غَيْرِكَافٍ، وَذَلِكَ عَلَى مَنْ تَأَمَّلَهُ غَيْرُ خَافٍ، وَلَا يَقُلُّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنَّهُ أَنْصَرَّ بِالْأُمُورِ، وَأَحْمَلْ لِأَهْوَائِ التَّدِيرِ، مِنْ مُرَاقَقَتِهِ فِي صَنَاعَتِهِ، وَمُصَاحَبَتِهِ فِي خِدْمَتِهِ، فَإِنَّ أَهْلَ الرُّجُلَيْنِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَنْ رَحَى بِالْحُجْبِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَرَأَى أَنَّ أَصْحَابَهُ أَعْقَلُ مِنْهُ وَأَجْمَلُ فِي طَرِيقَتِهِ، وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ التَّرِيقَيْنِ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نِعَمِ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ مِنْ غَيْرِ اقْتِرَارِ بَرَاءَتِهِ، وَلَا تَرْكِيَةِ لِنَفْسِهِ، وَلَا يُكَاتِرْ عَلَى أَخِيهِ أَوْ نَظِيرِهِ، وَصَاحِبِهِ وَصَنِيْعِهِ، وَحَمْدُ اللَّهِ وَاجِبٌ عَلَى الْجَمِيعِ .

وَذَلِكَ بِالْإِضَاحِ لِعَظَمَتِهِ، وَالتَّذَلُّلُ لِعِزَّتِهِ، وَالتَّحَلُّلُ بِنِعْمَتِهِ، وَأَنَا أَقُولُ فِي كِتَابِي هَذَا مَا سَبَقَ بِهِ الْمَثَلُ: "مَنْ تَلَزَمَ النَّصِيحَةَ يَلْزِمَهُ الْعَمَلُ" وَهُوَ جَوْهَرُ هَذَا الْكِتَابِ وَغُرَّةُ كَلَامِهِ، بَعْدَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ، فَلِذَلِكَ جَعَلْتُهُ آخِرَهُ وَنِعْمَتُهُ بِهِ . تَوَلَّانا اللَّهُ وَلِيَاكُمْ بِأَحْسَنِ الْعُلُوبَةِ وَالْكِتَابَةِ بِمَا يَتَوَلَّى بِهِ مَنْ سَبَقَ عِلْمُهُ بِإِسْمَاعِهِ وَإِرْشَادِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَبِهِدِهِ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

٨ — رسالة ثلاثة لعبد الحميد الكاتب

ومن رسائل عبد الحميد رسالة في الشطرنج^(١) :

أما بعد ، فإن الله شرع دينه بإنهاج سُبُلِهِ ، وإيضاح مَعَالِهِ بإظهار فرائضه ، وبعث رسَلَهُ إلى خلقه دلالةً لهم على ربوبيته ، واحتجاجاً عليهم برسالاته ، ومقدماتاً اليهم بإنذاره ووَعِيدِهِ ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ؛ ثُمَّ خَتَمَ بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْيَهُ ، وَقَفَّى بِهِ رِسَالَهُ ، وَأَبْنَعَتْهُ لِإِحْيَاءِ دِينِهِ الدَّارِسَ مَرْضِيّاً لَهُ عَلَى حِينِ انْظَمَسَتْ الْأَعْلَامُ غَمْغَمَةً ، وَتَشَتَّتَتِ السُّبُلُ مَنَفُوقَةً ، وَحَقَّتْ آثَارُ الدِّينِ دَارِسَةً ، وَسَطَعَ رَجَحُ الْفِتَنِ ، وَأَحْتَلَى قَتَامُ الظُّلَمِ ، وَاسْتَهْدَى الشُّرُكُ ، وَأَسْدَفَ الْكُفْرُ ، وَظَهَرَ أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ لَطْمُوسِ الْأَعْلَامِ ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الْبَاطِلِ بِسَكْنَةِ الْحَقِّ ، وَاسْتَطَرَّقَ الْجَوْرُ وَأَسْتَنَجَعَ الصُّدُوفُ عَنِ الْحَقِّ ، وَأَقْعَطَ سَلْتَهُ الْفِتْنَةُ ، وَاسْتَضْمِرَ لِقَاحُهَا ، وَطَبَّقَتْ الْأَرْضُ ظِلْمَةً كُفْرٍ وَغِيَاةَ فُسَادٍ ؛ فَصَدَعَ بِالْحَقِّ مَأْمُورًا ، وَأَبْلَغَ الرِّسَالَةَ مَعْصُومًا ، وَنَصَحَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ ، دَالًّا لَهُمْ عَلَى الْمُرَاشَدِ ، وَقَائِمًا لَهُمْ إِلَى الْهُدَايَةِ ، وَمُنِيرًا لَهُمْ أَعْلَامَ الْحَقِّ ضَاحِيَةً ، مُرْشِدًا لَهُمْ إِلَى اسْتِفْتَاكِ بَابِ الرَّحْمَةِ وَإِعْلَاقِ حُرُوفِ النَّجَاةِ^(٢) ؛ مُؤَمِّنًا لَهُمْ سُبُلَ الْقَوَايِ ، زَاجِرًا لَهُمْ عَنْ طَرِيقِ الضَّلَالَةِ ، مُحَذِّرًا لَهُمْ الْمَلَكَةَ ، مُوعِزًا إِلَيْهِمْ فِي التَّعْذِيبَةِ ، ضَارِبًا لَهُمْ الْحُدُودَ عَلَى مَا يَتَّقُونَ مِنَ الْأُمُورِ وَيَخْشَوْنَ ، وَمَا إِلَيْهِ يَسَارِعُونَ وَيَطْلُبُونَ ؛ صَابِرًا نَفْسَهُ عَلَى الْأَذَى وَالتَّكْذِيبِ ، دَاعِيًا لَهُمْ بِالْتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ ؛ حَرِيصًا عَلَيْهِمْ ، مُتَحَنِّنًا عَلَى كَافَّةِهِمْ ،

(١) هذه الرسالة من كتاب « اختيار المنظوم والمنثور » لأبي طيمور المصنوع بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٨١ هـ أدب) ومراجعة على نسخة أخرى من محفوظة برقم (١٨٦٠ هـ أدب) .

(٢) وردت هذه الجملة في رسائل البلغاء هكذا : « على حين انظمت له الأعلام ... » بزيادة « له » وليس لها محل من السياق قلها من زيادات النسخ .

(٣) أسدف الكفر : أظلم ومن التواحي والأرجاء كالليل . (٤) أقطر : اشتد .

(٥) النهاية : ما أظلم الإنسان من فرق كالسحابة والنهرة ومهرما .

(٦) في رسائل البلغاء بإعلاء ما للفرق بدل القافض ، وهو من .

عزيرًا عليه عَثَمٌ ، رموقًا بهم رحيا ، تقدمه شفقتة عليهم وعنايته برشدهم الى تجريد الطلب الى ربه فيما فيه بقاء النعمة عليهم ، وسلامة أديانهم ، وتخفيف آصار الأوزار عنهم ، حتى قبضه الله اليه - صلى الله عليه وسلم - ناصحا منتصبا ، أمينا مأمونا ، قد بلغ الرسالة ، وأدى النصيحة ، وقام بالحق ، وعمل عمود الدين ، حتى احتدل ميله ، وأذل الشرك وأهله ، وأنجز الله له وعده ، وأراه صدق أنبائه في إكمالهِ للمسلمين دينه ، واستقامة سنته فيهم ، وظهور شرائعه عليهم . قد أبان لهم موبقات الأعمال ، ومفطحات الذنوب ، ومهبطات الأوزار ، وظلم الشبهات ، وما يدعو اليه قصص الأديان ، وتستوهم به القوايات ، وأوضح لهم أعلام الحق ، ومنازل المرائد ، وطرق الهدى ، وأبواب النجاة ، ومعالق العصمة ، غير منخرٍ لهم نصحا ولا مبيغ في إرشادهم عُثْمًا . فكان مما قدم اليهم فيه نيته ، وأعلمهم سوء عاقبته ، وحذرهم أصره ، وأوعز اليهم ناهيا وواعظا وذاجرا ، الاحتكف على هذه التنايل من الشَّلَاحِج والمواصلة عليها ، لما في ذلك من عظيم الإثم ، وموقب الوزر ، مع مشغلتها من طلب المعاش ، وإضرارها بالمعول ، ومنعها من حضور الصلوات في مَوَاقِيتِها مع جميع المسلمين .

وقد بلغ أمير المؤمنين أن ناسا ، ممن قبلك من أهل الإسلام ، قد ألجهم الشيطان بها ، وجمهم عليها ، وألف بينهم فيها ، فهم متكفون عليها من لَدُنْ صُبْحِهِمْ الى مُنْصَاهِمْ ، مُلْكِيَّةٌ لهم عن الصلوات ، شاغلة لهم عما أُمرُوا به من القيام بسُنَنِ دينهم ، وأتَرَضَ عليهم من شرائع أعمالهم ، مع مداعبتهم فيها ، وسوء لفظهم عليها . وإن ذلك من نعلهم ظاهراً في الأئدية والمجالس ، غير متكرٍ ولا مَعِيب ولا مُسْتَغْفَل عند أهل الفقه ، وذوى الورع والأديان والأستاذ منهم ، فأكبر أمير المؤمنين ذلك وأعظمه ، وكرهه

(١) آصار : جمع أصر وهو القتل . وفي رسائل البلاء : واختار المنظوم والمتنوع لابن طيفور « أواصر » بدل آصاره وهو مخرج . (٢) في رسائل البلاء : واختار المنظوم والمتنوع لابن طيفور « أسبابه » وهو مخرج .

وأستكبره ، وعلم أن الشيطان عندما يئس منه من بلوغ إرادته في معاصي الله عز وجل ، يحصر المسلمين ويجمعهم صُراخاً ويجهاراً ، أقدم بهم على شبهة مُهلكة ، وزيّن لهم وَرطة مُوبقة ، وغرّم بمكيكة حيلة ، إرادة لاستهوائهم بالخدع ، وأجثأهم بالشبه والمراصد الخفية المشكلة . وكلّ مقيم على محصية الله ، صغرت أو كبرت ، مستحلاً لها مُشيداً بها ، مظهرًا لأرتكابه إياها ، غير حذير من عقاب الله عز وجل عليها ، ولا خائف مكرهاً فيها ، ولا راضٍ من حلول مَطْوونه عليها ، حتى تلحقه المنية ، فتختلجه وهو مُصرّ عليها ، غير تائب الى الله منها ، ولا مستغفر من ارتكابه إياها ، فكَم من أقام على مَوَاقَات الآثام وكبائر الذنوب ، حتى مدته ومحرم أيامه .

وقد أحب أمير المؤمنين أن يتقدم اليهم ، فيما بلغه عنهم ، وأن يُنذرهم ويُوعز اليهم ، ويُعلمهم ما في أعناقهم عليها ، وما لهم في قبول ذلك من الخط ، وعليهم في تركه من الوزر ، فَأَذِنَ بِلُك فِهم ، وَأَشَدَّه في أسواقهم وجميع أُنديتهم ، وأوعز اليهم فيه . وتقدّم الى عامل شُرتك في إنهاك العقوبة لمن رُفِع اليه : من أهل الاحتكاف عليها والإظهار للعب بها ، وإطالة حبسه في ضيق وضنك ، وطرح اسمه من ديوان أمير المؤمنين . وأفطمهم عما يَبعُجوا به من ذلك . وألتمس بشدتك عليهم فيه وإنهاكك بالعقوبة عليه ، ثواب الله وجزاءه ، وأتباع أمير المؤمنين ورايه . ولا يحدّث أحد عندك هواة في التقصير في حق الله عز وجل ، والتعدّي لأحكامه ، فتُحلّ بنفسك ما يسوءك عاقبة مقبته ، وتعرض به لغير الله عز وجل ونكاله . واكتب الى أمير المؤمنين ما يكون منك ، إن شاء الله والسلام .

(١) اجتأهم : حوّلهم عن طريق تصدّم ويحتل أن يكون : واحتياهم ، والاحتبال : الاصطياد .

(٢) آذنه الأمر به : أمّله .

رسالة رابعة لعبد الحميد الكاتب

٩ - ومن رسائل عبد الحميد هذه الرسالة التي وصف بها الصيد^(١) :
 أطال الله بقاء أمير المؤمنين مؤيداً بالعز، مخصصاً بالكرامة، ممتناً بالنعمة، لأنه لم يلق^(٢)
 أحد من المقتضيين ، ولا منح مطرّف من المتصيدين ، إلا دون ما لقانا الله به من
 اليمن والبركة ، ومنحنا من الظفر والسعادة في مسيرنا من كثرة الصيد ، وحسن المقتنص ،
 وتمكين الجلاسة ، وقرب الفاية ، وسهولة المورد ، وعموم القدرة^(٣) ، إلا ما كان من محاولة
 الطلب ، وشدة النصب ، لنافر الصيد ، وقائد الطريدة التي أمتعنا في الطلب لها ، وأعجزنا
 البهر عن الحقائق بها ، تفاوت سبقها ، ومنقطع هربها ، ومتفرق سبلها ، ثم آل بنا ذلك الى
 حسن الظفر ، وتناوب الأرب ، ونهاية الطرب .

ولاني أخبر أمير المؤمنين أنا خرجنا الى الصيد بأعدى الجوارح ، وأهف الضواري ،
 أكرمها أجناساً ، وأعظمها أجساماً ، وأحسنها ألواناً ، وأحدثها أطرافاً ، وأطولها أعضاء ،
 قد تفتت بحسن الأدب ، وعودت شدة الطلب ، وسبرت أعلام المواقف ، وخبرت المجاثم ،
 مجبولة على ما عودت ، ومقصورة على ما أدبت . ومعنا من نفائس الخيل المخبورة القراحة^(٤) ،
 من الشهيرة الموصوفة بالنجابه ، والجرى والصلابة . فلم نزل بأخفض سير ، وأقف طلب ،
 وقد أمطرتنا السماء مطراً متداركاً ، قربت منه الأرض ، وذهر البقل ، وسكن القتائم من منار^(٥)
 السناك ، ومتشعبات الأعاصير ، مهلة أن يسرنا غلوات ، ثم برزت الشمس طالعة ،
 وأنكشفت [من] السحاب مسفرة ، فتلألأت الأنهار ، وضحك النوار ، وأجملت الأبصار ،
 فلم نرمظلوا أحسن حسناً ، ولا مرموفا أشبه شكلاً ، من آبتسام نور الشمس عن أخضرار

(١) هذه الرسالة من كتاب « اختيار المظوم والمشور » لابن طيفور .

(٢) في الأصل : " يلف " . (٣) في الأصل : " القانا " . (٤) كذا في الأصل ولعلها

محررة من الحباله . (٥) القدرة : القدرة ، وفي الأصل : " المقدرة " . (٦) الراحة :

النشاط في السمر . (٧) الشهيرة : البراهين . (٨) في الأصل : هكذا " بسا " .

(٩) في الأصل " مسحات " .

زهرة الرياض . والخيل تفرح بنا نشاطا ، وتجثثنا أعتنا أنبساطا ، ثم لم نلبث أن عشنا ضبابا ^(١) تقصر طرف الناظر ، ونحني سبل السلام ، نقشانا نارة وتكشف أنحرى ، ونحن بأرض دميثة التراب ، أشية الأطراف ، مُدَقِّعة الفجاج ، مملوءة صيدا من الطباء والتمالب والأرانب ؛ فأدانا المسير إلى غاية دونها مألَف الصيد ، ويجتمع الوحش ، ونهاية الطلب ، قد جاوزناها ونحن على سبيل الطلب ممعنون ، وبكل حرة ^(٢) جونة متفرقون ، فرجع بنا الموْد على البدء ، وقد أنجحت الضبابة ، وأمتد البصر ، وأمكن النظر ، فإذا نحن برحلة من ظباء ، وخِلقة آرايم يرتعن آسفات ، قد أحالتن الضبابة عن شخصنا ، وأذهلن أنيق الرياض عن أسماع حسنا ، فلم نرج إلا والضيوارى لاثمة لهن من بُعد الغاية ، ومتهى نظر الشاخص ؛ ثم ملئت الجوارح أجنتها ، وأجذبت الضوارى مقاويها ، فأمرت بإرسالها على الثقة بمحضرها ، وسرعة الجوارح في طلبها ، فزت ثمغ حفيف الريح عند هبوبها ، تُسِف الأرض سقا ، كاشفة عن آثارها ، طالبة ليليارها ، حارشة باظفارها ، قد مرزقتها تمزيق الريح الجواد ؛ فن صائح بها وناهر ، وهاتيف بها وناعق ، يدعو الكلب بأسمه ، ويفديه بأبيه وأمه ؛ وراكض تحت مُفره ، وخافق يطلبه الريح ، وطالع يمنعه ، وسائح قد عارضه بارح ، قد حيرتنا الكثرة ، وألهجتنا القدرة ، حتى أملتأت أيلينا من صنوف الصيد ، واهه المنم الوهاب .

ثم ملنا يا أمير المؤمنين بهداية دليل قد أحكته التجارب ، وخبر أعلام المذائب ، إلى غدير أفيح ، وروضة خضرة ، مستاحية بتلاوين الشجر ، ملتفة بصنوف ^(٣) الخمر ، مملوءة من أنواع الطير ، لم يذهرن صائد ، ولا اقتصرن قاصص ، نقيق لها بطبول ، وصُفر بنفير الحلف ، فنار منها ما ملأ الأفق كثرتها ، وراعت الجوارح شَفَقَاتُ أجنتها ؛ ثم أنبرت البراة

(١) في الأصل : "تقصر" . (٢) في الأصل : "ويحيى" .

(٣) الأشبة : اللثة الشجر . وفي الأصل «آسه» . (٤) الحرة : أرض ذات حجارة غرة سود ،

وفي الأصل «حر» . (٥) الجونة : السوداء ، وفي الأصل هكذا : «حوه» . (٦) رحلة : جماعة

مفرقة . (٧) في الأصل : «يجع» . (٨) الخمر : الشجر .

لها صائكة، والصقور كاسرة، والشواهي ضارية، برعن الطلب لها، ويخفيهن الظفر بها،
حتى ستمنا من الذبح، وأمتلأنا من النضيج،^(١) كأننا كتيبة غلفت ببغيتها، وسرية نصرت على
عدوها، وألحقت ضيعتها بهويتها، وظلت عيناها بمسيتها، لا نملك أنفسنا مراحا،
ولا نستغنى من الجدل بها فرحا، بقية يومنا، واهه المنعم الوهاب .

ثم غدونا يا أمير المؤمنين إلى أرض وُصف لنا صيدها بالكثرة، ورياضها بالزهوة،
فزّل واصفها عن الطريقة، وأحمد بنا على غير الحقيقة، فأتيناها فلم نر صيدا ولا حشبا،
ولا زهوة ولا حسنا، فجلسنا نسلك منها حزننا ووعورا، وجئوبنا وقفرا، حتى قصرتنا اليأس
عن الطلب، وقطع بنا عن الطمع النصيب . فيينا نحن كذلك، إذ بدا لنا جاب قد أوفى^(٢)
بنا على حائل دل على غابة من ورائها حير وحش كثيرة، فأمتمناها، فلما تطرقنا مشيا وهربا^(٣)
إلى غاباته، توالى نهيقه، وكثر شقيقه، فالتفتن إليه، فرمقن بأعينهن منا ما استكثرن شخصه،
وأستهلون أمره، حتى إذا كنا بمرأى وسمع أنجذبن موليّات، وهربن مسيات، فاجهدنا
الركض في طلبهن، نتبع آثارهن، ونستشف بلاء بين أحفاري ودكايد^(٤) وخناذيد^(٥)، حتى أشفى
بنا الطلب لها على وادٍ هائل سائل، يجنبه غابة أشبه قد سبقن إليها، وأستخفين فيها،
فنظلمناها بالخيال نظم الخرز، ثم أوظفت علة قمران في نفيضا ومعرفة أحوالها، والطلبول
خافقة، والأصوات شاهقة، فكان وكان؛ والحمد لله على كل حال .

(١) النضيج : العرق .

(٢) في الأصل : "غب" . (٣) الجباب : الغليظ من حر الوحش . (٤) في الأصل :

"مسيما" . (٥) القريب : ضرب من الطور . (٦) المانة : القطيع من حر الوحش .

(٧) الأحار جمع حر وهو التراب الخارج من الحفور . (٨) الدكايد : جمع دكلك ودكاك وهو أرض فيها

غلق . (٩) الخناذيد : جمع خنذيد وهو رأس الجبل المشرف ، والقي يمتن والسياق "أحاديد" ،

وهي جمع أخلد : الحفرة المستطيلة في الأرض .

باب المنظوم

الغزل

ذكرنا في المجلد الأول حالة الغزل في العصر الأموي، وكثرة ما نجد فيه من لوائح الحب ولقحاته، وشكايات الصب وأثامه، وزفرات العاشق وعبراته. وبيننا أنواعه المتباينة التي قسمناها الى أربعة أقسام :

(١) غزل إياحي : ويصح لنا أن نتخذ من عمر بن أبي ربيعة زعياً لهذا النوع الذي يجمع الى وصف المرأة والتشبيب بها، معاني الحب والاستمتاع باللذة المادية مما ينفرد منه الأدب الجاهل، وما حظره عليه الكثيرون من خلفاء الاسلام وأئمة. وقد كانت مكة والمدينة مسرحاً لهذا النوع في العصر الأموي. وقد شرحنا سبب ذلك في المجلد الأول فراجعه ثمة.

(ب) غزل عذري : وهو غزل الحب الصادق، والعوطف المتأججة، والنفس المتألمة المعناة، تلك النفس التي تجدد لذتها في الكلف بمن تحب والتعلق بها والشعور بالسعادة في الفناء في حبها، حباً يملك عليه لبه ويمدب روحه ويثني جسمه، كغزل جميل زعيم هذا النوع. وليس أدل على صدق حبه مما أثبتناه عن تحلب الأغاني اذ حاول أبوه أن يصرفه عن حبه وحاجته في ذلك أجمل حاجة، فكان من جميل ما كان مما تجده مفصلاً في هذا الباب.

(ج) غزل صناعي : بين هذا وذاك، همه الإيجاد في الشعر من حيث هو شعر، لا في الحب من حيث هو حب، ولنا في كثير عزة زعيم لهذا النوع الثالث.

(د) غزل قصصي : خلقه الرواة لأنهم رأوا ميل الناس الى الغزل والى حياة القصف وما يتبع حياة القصف، فنظموا قصائد تحلوها لشعراء لا نستطيع أن نحتمل تبعه

القول بوجودهم في الحياة، أو القول بأنهم أشخاص خياليون خلقهم الرواة، أو زادوا من عندهم مقطعات نسبوها لهم وأضافوها إلى شعرهم . وزعموا هذا النوع : قيس بن الملوّح وليلاه ، وقيس بن ذريح وليّناه .

ولإيضاح بما وعدناك به نذكر زعيم كل نوع من هذه الأنواع مع ذكر ترجمته والمختار من شعره .

(١) الغزل الاباحي

عمر بن أبي ربيعة^(١)

« راقَّ عمرُ بنُ أبي ربيعةِ النَّاسَ وَفاقَ نُظَرَاءِهِ وَبَرَّعَهُمْ بِسَهولةِ الشعرِ وَشدَّةِ الأَسْرِ ، وَحُسْنِ الوَصْفِ ، وَدَقَّةِ المعْنَى ، وَصوابِ المَصْدَرِ ، وَالْقَصْدِ لِلْحَاجَةِ ، وَاسْتِنطاقِ الرُّعْ ، وَإِنطِاقِ

(١) هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي الخزرجي ، أشهر فريش راق أصحاب الغزل ، وأوصف الشعراء لأحوال النساء .

ولد بالمدينة ليلة مات عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، وكانت أمه نصرانية ، وكان أبوه تاجرا مومرا ، وعاملا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللعطاء الثلاثة من بعده ، فشب في صمم وترّف ، وقال الشعر صغيرا ، وسلك فيه طريق الغزل ، ووصف أحوال النساء وتراورهنّ ومداحية بضعن لبعض ، وما يمتدّن قوله من الكلام ، بما يتوقّر الشعراء الفحول عن الخوص فيه ، ولذلك لم يجعلوا بشعره وطّره من هذا صلاء المدينة ، فما زال يخالج الشعر والشعر يتقاده ، حتى ملك تاصيه ، وقبض على زمامه ، وبزّ الشعراء ، وقال رأيته المشهورة على طريقته المبتكرة وهي التي أولها :

أمن آل من أنت عاد فبكر * عداة عد أم راع فهجر

والتي قال فيها جرير حين سمعها : ما زال هذا القرشي يعلّي حتى قال الشعر .

ثم استطار شعره في التشبيب بالنساء : من يعرفها ومن لا يعرفها ، وتعرض لخصائص المتصفقات من نساء قومه ومن غيرها ، فوقع منه في بلاء عظيم وصرن يحضن الخروج إلى الحج لأنه كان يتفانن بمكة ، ويترقب خروجهن لطواف والسعي ويصفهن وعن محرمات . وحلّت عليه رجالات قريش لمكانة نسبه منهم ولتوقّف توبته وإفلاحه ، فلما تمادى في أمره وشبّ بنات السادات والحفّاء ، غضب عليه عمر بن عبد العزيز ونهّاه إلى ذلك : (وهي جزيرة أمام مدينة مصق) ، ثم رأى ابن أبي ربيعة أن يكثر من سيئاته بالثوبة والجهاد فزاع في البحر فاحترقت السفينة التي كان فيها واحترق هو أيضا سنة ٩٣ هـ وقد اقتبسنا تصدير بحثنا عنه من أبي العرج الأصفهاني ونجد ترجمته مطوّلة في الألفاظ ج ١ ص ٦١ — ٢٤٨ (طبعة دار الكتب المصرية) والشعر والشعراء ص ٣٤٨ وابن خلكان (ج ١ ص ٣٧٨) والدميري (ج ١ ص ٣٢٦) والقد القريدي (ج ٣ ص ١٣٢) وله ديوان مطبوع في ليدزج سنة ١٨٩٣ وفي مصر سنة ١٣١١ ومه نسختان خطيتان بدار الكتب المصرية .

القلب، وحسن العزاء، ومخاطبة النساء، وعفة المقال، وقلة الانتقال، وإثبات المجته،
وتبريج الشك في موضع اليقين، وطلاوة الاختصار، وفتح الغزل، ونهج الليل . وعطف
المساءة على المدال، وحسن التفعيع، وبُحْل المنازل، واختصار الخبر، وصدق الصفاء،
إن قدح أورى، وإن أعذر أبرأ، وإن تشكى أظفى، وأقدم عن خبرة، ولم يتنذر بمنزلة،
وأسر النوم، وغم الطير، وأقد السير، وسير ماء الشبَاب، وسهل وقول، وقاس الهوى
فأزبى، وعصى وأخل، وحالف بسنعه وطرفه، وأبرم نعت الرُسل وسنر، وأعلن الحب
وأسر، ويطرب به وأظهر، وألح وأسف، وأنكح النوم، وجنى الحديث وضرب ظهره
لبطنه، وأذل صَبْه، وقنع بالرجاء من الوفاء، وأخل قاتله، وأسبى طائله، ونقض النوم،
وأغلق رَهَن مَنَى وأهدر قتلاه، وكان بعد هذا كله فصيحا .

فمن سهولة شعره وشدة أسرِه قوله^(١) :

فلما توافقنا وسألتُ أشرقتُ • وجوه زَهاها الحسنُ أن تتفتحا
تَبالغنَ بالعرفان لما رأيته • وظنُ أسروا باغِ أكلٍ وأوصفا^(٢)

ومن حُسن وصفه قوله :

لها من الرِّيم عيناها ولقنته^(٣) • ونحوه السابق المختلِ إذ صهلا

ومن دقة معناه وصواب مَصْدَره قوله :

عُوجاً نحى الطَّلَلُ المَحْصُولُ^(٤) • والرَّيْعُ من أسماء والمتزلا
بسايغ البوابة لم يحد^(٥) • تقادم المهدِ بأن يؤهلا

(١) المراد من شدة الأسرها إحكام النسيج وماتة التركيب . (٢) أكل : أها وأرضع : أسرع
في السير . (٣) الرِّيم : الظبي . (٤) حرجا : قها . (٥) المحول والمحول : الذى أنت
عليه أحوال كثيرة فغيره . (٦) البداية : الغلالة واسم لصحراء أرض تهامة اذا خرجت من أعلى
وادی النخلة الجمانية إلى بلاد بنى سعد بن بكر بن هوازن . (معجم البلدان لياقوت) .

ومن قصيدته الحاجة قوله :

أيها المنكح الثريا سبيلا • عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت • وسبيلا إذا استقل يمان

ومن استنطاقه الربع قوله :

سأفلا الربع بالبلى^(١) وقولا • هجت شوقا لي الغداة طويلا
أين حتى حلوك إذ أنت محفو • ف بهم أهل أراك جميلا
قال ساروا فامتنوا واستقلوا • وبرئعي ولو وجدت سبيلا
سئفونا وما سئفنا جوارا • وأحبوا دماثة^(٢) وسهولا

قال إسحاق : أتتد جرير هذه الأبيات فقال : إن هذا الذي كنا ندور عليه فأخطأناه .

ومن إنطافه القلب قوله :

قال لي فيها حقيق مقالا • بخرت مما يقول الدموع
قال لي ودع سلمي ودعها • فأجاب القلب : لا أستطيع

ومن حسن عزائه قوله :

أالحق إن دار الرباب تباعدت • أو أتت جبل أن قلبك طائر^(٣)
أفنى قد أفاق العاشقون وفارقوا ال • هوى واستمرت بالرجال المرائر^(٤)
زع النفس واستيق الحياء فأتما • تباعد أو تكدي الرباب المقادر^(٥)
أيت حبها وأجعل قديم وصالحا • وعشرتها كشيل من لا تعاشر

- (١) هي الثريا أبت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف الأموية . تزوجها سبيل ابن عبد الرحمن بن عرف الزمري رضي الله عنه ونقلها إلى مصر فقال عمر هذا الشر . (٢) الليل — يضم وفتح وياء مشددة — تل قصير أسفل حاذية بينها وبين ذات عرق (ياقوت) . (٣) استقلوا : واصلوا السير وجئوا في الأرجال . (٤) يقال : دمئت الأرض دماثة : سهلت ولانت . (٥) اتبت : انقطع . (٦) المراد أن الرجال قد أفاقوا واستحكمت عزائمهم وهو يريد أن يسلموا . (٧) زع النفس ، أي أزيحها وكفها عن هواها .

وعبها كشيء لم يكن أو كزنج • به الدار أو من حيث المقابر
وكالناس علقَت الرِّيابَ فلا تكن • أحاديث من يتدوون هو حاضر^(١)

وهذه الأبيات يرويها بعض أهل الجواز لكثير، ويرويها الكوفيون للكثير بن معروف
الأسدي ، وذكر بعضها الزُّبير بن بكار عن ابن صيدة لكثير في أخباره .

ومن حسن غزله في مخاطبة النساء - قال مُصعب الزُّبيري : وقد أجمع أهل بلدنا
مَنْ له علمٌ بالشعر أن هذه الأبيات أنزل ما سمعوا - قوله :

تقولُ غداةَ التقينا الرِّابَّ • أيأذا أقلتَ أقولُ السَّماكِ
وكفْتُ سوابقَ من صبرة • كما أرقضَ نظمُ مُضِعِفِ السَّلاكِ
فقلتُ لما مَنْ طلعَ في الصَّديسِ أعداءَه يَحْتَبِه كذاكِ
أغرَّك أني عصيتُ المَلَا • مَ فيك وأن هوانا هوالِ
وأن لا أرى لثةَ في الحياة • قَرَّبها العينُ حتى أراكِ
فكان من الذنْب لي عندكم • مُكَارِمي وأتباعي رِضاكِ
فليت الذي لآمَ في حُجكم • وفي أن تُزاري بقرينٍ وقاكِ^(٢)
مومَ الحياة وأسقامها • وإن كان حَتَفَ جَهِيزُ فذاكِ

ومن حِفَّة مقالِه قوله :

طال ليلى وأحاديثُ اليومِ سقمُ • وأصابتَ مَقَاتِلَ القلبِ نغمُ
حُرَّةُ الوجهِ والشَّمايلِ والجَمو • هير تَكليمُها لمن نال غُثمُ
وحديثُ بَمثله تُترَل العَص • سَم رَحيمُ يَشوبُ ذلكَ حِلْمُ^(٣)
هكذا وَصَف ما بدا لي منها • ليس لي بالذي تَقِيَّب عِلْمُ
إن تجودِي أو تجفلي فبحميد • لست يا نغمُ فيهما مَنْ يُلْمُ

(١) أي من قيم في البلد والمصر . (٢) المراد به قرن المنازل ، وكثيرا ما يذكره في شعره .
(٣) جهيز : سرج . (٤) الصم : جمع أصم وهو من الغباء والوعول ما في ذواحيه بياض ،
وهي تنصم غالبا بقتن الجبال .

ومن قلة انتقاله قوله :

أَيُّ الْقَائِلِ غَيْرَ الْعَصَابِ * أَمْسِكَ النَّصَمَ وَأَقْلِلْ عِثَابِي
وَأَجْتَنِبْنِي وَأَعْلَمْنِي أَنْ سَتُعَصَى * وَخَيْرُكَ لَكَ طَوْلُ أَجْتِنَابِي
إِنْ تَقُلْ نَصَمًا فَمِنْ ظَهْرِ غِشٍّ * دَائِمُ الْغَمِيرِ بَعِيدُ الْكُثَابِ^(١)
لِمَنْ بِي عِيٍّ بِمَا قُلْتُ إِنِّي * عَالِمٌ أَقْبَهُ رَجَعَ الْجَوَابِ
إِنَّمَا قُرَّةُ عَيْنِي هَوَاها * فَدَعِ السُّومَ وَكُنْ بِي لِمَا بِي
لَا تَلْمِزْنِي فِي الرَّبَابِ وَأَمْسَتْ * عَدَلْتُ لِلغَيْسِ بَرْدَ الشَّرَابِ^(٢)
هِيَ وَاقِهِ الَّذِي هُوَ رَبِّي * صَادَقًا أَحْلَفُ غَيْرَ الْكِذَابِ
أَكْرَمُ الْأَحْبَاءِ طَرًّا عَلَيْنَا * عِنْدَ قَرِيبٍ مِنْهُمْ وَأَجْتَنِبِ
خَاطِبَتِي سَاعَةً وَهِيَ تَبْكِي * ثُمَّ عَزَزْتُ خُلُقِي فِي الْخُطَابِ^(٣)
وَكُنْ بِي مِثْرَهَا لِمُصَوِّمٍ * لِسَوَاهَا عِنْدَ حَدِّ تَبَايِ^(٤)

ومن إثباته الجملة قوله :

خَلِيلٌ بَعْضُ الْيَوْمِ لَا تَزَلَّ بِهِ * وَفَيْقَا حَتَّى تَقُولَا عَلَى عِلْمِ
خَلِيلٍ مَنْ يَكْتَفِ بِأَخْرِ كَالَّذِي * كَفَيْتُ بِهِ يَدْمَلُ فَوَادًا عَلَى مُقِيمِ^(٥)
خَلِيلٍ مَا كَانَتْ تُصَابُ مَقَاتِلِي * وَلَا غِرَّتْ قِي حَتَّى وَقَعْتُ عَلَى نَعِيمِ
خَلِيلٍ حَتَّى لُفَّ حَيْلِي بِمَخَادِجِ^(٦) * مُوقٍ إِذَا يُرْمَى صَبُودٍ إِذَا يُرْمَى
خَلِيلٍ لَوْ يُرْمَى خَلِيلٌ مِنَ الْهَوَى * رُقِيتُ بِمَا يَذْنِي النَّوَارُ مِنَ الْعُصَمَى^(٧)
خَلِيلٍ إِنْ بَاعَدْتُ لَا تَنْتَ وَإِنْ أَيْنَ * تُبَاعِدُ فَلَمْ أَنْبِلْ بِحَرْبٍ وَلَا سَلَمِ^(٨)

- (١) الغمر (بكسر التين) : الخلد والغل . والعمر (فتح التين) : الماء الكثير ، وكلا المعنيين يحتله البيت .
(٢) عدلت : سامت . (٣) أى طيبتى صدقتى فى الخطاب قال تعالى : (ومزنى فى الخطاب) .
(٤) يريد : حسى طالبا لكل نعم سواء الى حد هلاكى . (٥) يقال : رجل فلان فلانا بما يكره ، والمراد أنه يشقه بإسماحه إياه . (٦) يذمل : يطوى . قال فى اللسان : ويقال : آدمل القوم ، أى أطروهم على ما فهم . (٧) يكنى بهذا عن الوقوع فى شركها . (٨) النوار : النافرة من الطلاء .
(٩) لم أنبل : لم أصب ، أو لم أحسن الرى .

ومن ترجيعه الشك في موضع اليقين قوله :

نظرتُ إليها بالهتَّاب من متى • ولي نظراً لولا التحرج عارم^(١)
فقلت : أشمس أم مصابيح بيمة • بدت لك خلف السجف أم أنت حالم^(٢)
بعيدة مهوى القسط إذا لنو قل • أبوها وإما عبد ثمين وهاشم^(٣)
ومد طيبا السجف يوم لقيتها • على عجل تباعها وانحوادم^(٤)
فلم استطعها غير أن قد بدا لنا • عشة راحت وجهها والمعاصم^(٥)
معاصم لم تضرب على البهم بالضحي^(٦) • عصاها ووجه لم قلعه السائم^(٧)
نصار ترى فيه أساربع مائه • صبيح تناديه الأكف النواعم^(٨)
إذا مادت أنزاهها فأكتنفها • تمايلن أو مالت بهن المائكم^(٩)
طلبن الصبا حتى إذا ما أصبته • تزمن وهن الميامات الظوالم^(١٠)
ومن طلاوة اعتذاره قوله :

عاود القلب بعض ما قد شجاه • من حبيب أمتى هوانا هواه
يا أقوى فكيف أصبر عن • لا ترى النفس طيب عيش سواه
أرسلت إذ رأت سادى ألا • يقبلن بي محرشا إن أناه^(١١)
دون أن يسمع المقالة منا • وليطعنني إناك عندي رضاء
لا تطع بي قد تمك قيسى عدوا • لحديث على هواه أفراه
لا تطع بي من لو رآني ولأ • لك أسيرى ضرورة ما عناه
ما ضرارى قيسى بهجرى من يد • حس مسيتا ولا بعيدا ثراه^(١٢)
وأجتنبني بيت الحبيب وما الخلط • مد بأشهى إلى من أن أراه

(١) عارم : حاذق . (٢) السجف : السرير . (٣) تكلية عن طول العلق ، وبه فسر في الملح
الساخر (طبعة بولاق ص ٢٨٢) . (٤) البهم : جمع بهمة ، وهي الصغير من أولاد الصان والمحرز والبقر .
(٥) لم قلعه : لم تخرجه . (٦) أساربع الماء : طراجه . والمراد أنه يترقق فيه ماء الشاب .
(٧) المائكم : جمع مائة وهي السحرة . (٨) المحرش : المغرى ، من التحريش وهو الاغراء والافساد .
(٩) الثرى : الخير .

ومن نهجه العَلَلُ قوله :

وَأَيَّةُ ذَلِكَ أَنْ تَسْمَعِي * إِذَا جِئْتُكُمْ نَاشِدًا يَنْشُدُ
فُرْحَنَا سِرَاعًا وَرَاحَ الْمَوَى * دَلِيلًا إِلَيْهَا بِنَا يَقْصِدُ
فَلَمَّا دَنَوْنا بِحُرْسِ النَّبَا * حِجَابِ الصَّوْتِ، وَالْحَيُّ لَمْ يَرْقُدُوا
بَعَثَا لَهَا بِأَفْيَا نَاشِدًا * وَفِي الْحَيِّ يُنْفِئُ مَنْ يَنْشُدُ

ومن قنعه الغزلُ قوله :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعَشْقِي وَلَمْ تَدْرِ مَا أَلْهَوَى * فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلَمَدًا
وَمِنْ عَطْفِهِ الْمَسَاءَةَ عَلَى الْعُدَالِ قَوْلُهُ :

لَا تَلْمِئِي حَقِيقُ حَسْبِي الَّذِي بِي * إِنْ بِي يَاعْتَبِقُ مَا قَدْ كَفَّانِي
لَا تَلْمِئِي وَأَنْتَ زَيْتَنَاتِي * أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ

ومن حُسنِ تفضُّحه قوله :

هَجَرَتِ الْحَبِيبَ الْيَوْمَ مِنْ غَيْرِ مَا أَجْتَرَمَ * وَقَطَعْتَ مِنْ ذِي وَدَّكَ الْحَبْلَ فَاَنْصَرَمَ
أَطْمَتِ الْوُشَاةُ الْكَاشِصِينَ وَمِنْ يُطْلَعُ * مَقَالَةَ وَايَشَ يَقْرَعُ السَّنَّ مِنْ نَتَمَ
أَتَانِي رَسُولٌ كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّهُ * شَفِيقٌ لِمَنَّا نَاصِحٌ كَالَّذِي زَمَ
فَلَمَّا تَبَايَأْنَا الْحَدِيثَ وَصَرَحْتَ * سَرَّائِرُهُ عَنْ بَعْضِ مَا كَانَ قَدْ كَتَمَ
تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْمُحَرَّشَ كَاذِبٌ * فَعِنْدِي لَكَ التُّنْبُ عَلَى رَغَمٍ مِنْ رَغَمِ
لِمَلَّانَ لَمْتُ الْفُحْشَ بَعْدَ الَّذِي مَعَى * وَبَعْدَ الَّذِي آلَتْ وَأَلَيْتُ مِنْ قَمَمِ
ظَلَمْتَ وَلَمْ تُعْتَبِ وَكَانَ رَسُولُهَا * إِلَيْكَ سَرِيحًا بِالرَّضَا لَكَ إِذْ ظَلَمَ

(١) الجرم : الصوت . (٢) بث الحديث : إنشائه . (٣) المحرش : المغري ، يقال :

حَرَشَ بِنِ الْقَوْمِ : أَفْسَدَ بَيْنَهُمْ .

ومن تحضيله المنازل قوله :

ألم تسال الأطلالَ والمتربِّعا • يطرب حليَّاتِ دَوَارِسَ بَلَقَا
إلى السَّرحِ من وادي المغمِسِ بَدَلَتْ • معالِها وَبَلَا وَتَكْبَاءَ زَعَزَمَا^(١)
فِيحْظَنَ أَوْ يُحْشِرَنَّ بِالْعِلْمِ بَعْدَ مَا • نَكَانَ فَوَادَا كَانَ قِنْدًا مَجْجَا^(٢)

ومن اختصاره انلجبر قوله :

أَمِنْ آلِ نَعِيمٍ أَنْتَ غَايَ لُبِّكَرُ • غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحُ فُهَجَرُ
بِحَاجَةِ نَعِيمٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا • قُبِّلِغَ عَذْرًا وَالْمَقَالَةُ تُعْزِرُ
أَشَارَتْ بِمُدْرَاهَا وَقَالَتْ لِرَبِّهَا • أَهَذَا الْمُتَغَيِّرُ الَّذِي كَانَ يُذَكِّرُ
لَنْ كَانَ لِزَاهٍ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا • عَنِ الْعَهْدِ وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ

قال الزبير حدثني إصحاق الموصلي قال : قلت لأعرابي : ما معنى قول ابن أبي ربيعة :

بِحَاجَةِ نَعِيمٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا • قُبِّلِغَ عَذْرًا وَالْمَقَالَةُ تُعْزِرُ^(٣)

فقال : قام كما جلس .

ومن صيغته الصفاء قوله :

كُلُّ وَصِيلٍ أَسَى لَدَيْكَ لِأَنْتَى • غَيْرِهَا وَصَلُهَا إِلَيْهَا أَدَاءُ
كُلُّ أَنْتَى وَإِنْ دَنَتْ لِوَصَالٍ • أَوْ نَأَتْ فَهِيَ لِلرَّيَابِ الْفِدَاءُ

- (١) حليات (بضم الحاء المهملة وفتح اللام وتشديد الياء) : اسم موضع ذكره البكري وياقوت ولم يبيناه ، ولعله موضع قرب مكة بقرية ذكره مع الغمس الوارد في البيت بعده .
(٢) السرح : موضع .
(٣) المغمس (تشديد الميم وضمها كما في ياقوت ، وضبطه البكري في معجمه بكسر الميم وتشديدها) : موضع قرب مكة في طريق الطائف ، مات فيه أبو رغال وقبره يرسم لأنه كان دليل أربعة أصحاب القيل .
(٤) البكاء : الريح التي تنكب عن مهاب الرياح .
(٥) يقال : ريح زعزع ، أي شديدة ، وكذلك زعزاع وزعزوع .
(٦) يقال : نكأ الجرح : قشره قبل أن يئثم .
(٧) الهدى والمرأة : حديدة يحك بها الرأس .
(٨) أي هي في غاية من السر لا يجاب عليها إذا سئل عنها ، والإطدار : نهي المنذر .

وقوله :

أَحِبُّ لِحُبِّكَ مَنْ لَمْ يَكُنْ • صِفِيًّا لِنَفْسِي وَلَا صَاحِبًا
وَابْتُلُ مَالِي لِرِضَايَاكُمْ • وَأُعِيبُ^(١) مِنْ جَاءَكُمْ طَائِبًا
وَارْغُبْ فِي وَدِّ مَنْ لَمْ أَكُنْ • إِلَى وَدِّهِ قَبْلَكُمْ رَاغِبًا
وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ فِي جَانِبِ • مِنْ الْأَرْضِ وَأَعْتَزَلْتُ جَانِبًا
يَلْمُتُ طَائِبَهَا^(٢) لَأَنْتَى • أَرَى قُرْبَهَا الْعَجَبَ الْعَاجِبًا
وَمَا قَدَحَ فِيهِ فَأَوْدَى قَوْلُهُ •

طَالَ لَيْلِي وَمَتَانِي الطَّرِبُ^(٣) • وَأَعْتَزَانِي طَوْلُ هَمٍّ وَوَصَبُ
أَرْسَلْتُ أَسْمَاءَ فِي مَتْنِيَّةٍ • حَتَّتَهَا وَهِيَ أَحْلَى مِنْ عَتَبِ
أَنْ أَتَى مِنْهَا رَسُولٌ مُوَهَّنًا^(٤) • وَجَدَ الْحَيَّ نِيَامًا فَأَقْلَبُ
ضَرَبَ الْبَابَ فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ • أَحَدٌ يَفْتَحُ بَابًا إِذَا ضَرَبَ
قَالَ : أَبْقَاطُ، وَلَكِنْ حَاجَةٌ • عَرَّضْتُكُمْ مَنَا فَأَحْجِبْ
وَلَعَمْرُأُ وَدَّنِي، فَاجْتَهَدْتُ • يَمِينُ حَلَقَةٍ عِنْدَ الْغَضَبِ
يَشْهَدُ الرَّحْمَنُ لَا يَجْعَلُنَا • سَقْفُ بَيْتٍ رَجَبًا بَعْدَ رَجَبِ
قُلْتُ حَلًّا فَأَقْبَلَ مُصْدِرِي • مَا كَذَا يَمْجِزِي حُبُّ مَنْ أَحَبُّ
إِنْ كَفَى لَكَ رَهْنٌ بِالرَّضَا • فَأَقْبَلِي يَا هُنْدُ، قَالَتْ قَدْ وَجَبُ

قالوا : ومن شعره الذي اعتذر فيه فأبرأ قوله :

فَأَلْقَيْنَا فَرَجَبَتْ حِينَ سَلَّمُ • سَتُوكَفَّتْ دَمْعًا مِنَ الْعَيْنِ مَارَا^(٥)
ثُمَّ قَالَتْ عِنْدَ الْعِتَابِ رَأَيْنَا • مِنْكَ عَنَّا تَجَسُّلًا وَأَزْوَارَا^(٦)

(١) يقال : أحبه إذا أعلاه العنى وأرضاه • (٢) طائبا : ناحيتها وقصدتها • (٣) تمناني : أوفىنى فى الماء • (٤) الطرب : خفة تسمى الإنسان عند شدة الفرح أو الحزن والم • (٥) المومن : نحو من نصف الليل • (٦) مار : جرى وسال • (٧) الازدوار : الإمراس •

قُلْتُ كُلًّا لِأَنَّ عَمَلِي بِلِخْفٍ * نَا أُمُورًا نَحْنًا بِهَا أَهْمَارًا^(١)
 بَعَلْنَا الصَّدُودَ لَنَا خَشِينَا * قَالَةَ النَّاسِ لِلْهُوَى أَسْتَارَا
 لَيْسَ كَالْمَهْدِ إِذْ عَهَدْتِ وَلَكِنْ^(٢) * أَوْقَدَ النَّاسُ بِالْفَيْعَةِ نَارَا
 فَلَذَلِكَ الْإِعْرَاضُ عَلَيْكَ وَمَا آ * تَرَقَّلِي عَلَيْكَ أَنْعَى اخْتِيَارَا
 مَا أَبَايَ إِذَا النَّوَى قَرَّبْتِكُمْ * فَدَنُوتُمْ مَن حَلَّ أَوْ مَن صَارَا
 فَالْيَالَى إِذَا تَأَيَّبَ طَوَّالٌ * وَأَرَاهَا إِذَا قُرْبَيْتِ قِصَارَا

وَمَنْ تَسْكِبُهُ الَّذِي أَشْجَى فِيهِ قَوْلُهُ :

لَعَمْرُكَ مَا جَاوَرْتُ عُثْدَانُ^(٣) طَائِمًا * وَقَصَرَ شُعُوبٌ^(٤) أَنْ أَكُونَ بِهِ صَبَاً
 وَلَكِنْ حُمَى أَضْرَعْتَنِي ثَلَاثَةً^(٥) * جُجْرَمَةٌ^(٦) ثُمَّ أَسْفَرْتُ بِنَا غَيْبًا^(٧)
 وَحَقٌّ لَوْ أَنَّ الْخُلْدَ يَبْرُضُ إِنْ مَشَتْ * إِلَى الْبَابِ رَجُلِي مَا نَقَلْتُ لَهَا إِرْبَاً^(٨)
 فَإِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَ يَوْمَ سَوَيْقَةٍ^(٩) * مُتَأَنِّى وَحَنِّى الْيَمِينِ دَائِمَةً حَذْبًا^(١٠)
 وَمَضْرَعٌ إِخْوَانٌ كَانَ أَتَيْنَهُمْ * أَتَيْنَ مَكَاكِي فَارَقْتُ بِلْدًا يَخْضَبَا^(١١)
 إِذَا لَا تَشْعُرُ الْخُلْدُ مِنْكَ صَبَابَةً * وَلَا تَسْفِرُغْتَ عَيْنَاكَ مِنْ عِبْرَةٍ سَجَا

وَمَنْ إِقْدَامِهِ عَنْ خَبْرَةٍ وَلَمْ يَتَذَرَّ بِغَيْرِهِ قَوْلُهُ :

صَرَمْتُ وَوَاصَلْتُ حَتَّى عَرَفَ * تَأْتِ أَيْنَ الْمَصَادِرُ وَالْمَوْرِدُ
 وَجَرَبْتُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى عَرَفَ * تَأْتِ مَا أَتَوَقَّى وَمَا أَعْمَدُ

(١) لاه بمعنى لله . (٢) الفدر (بضم الفاء) يضم التين وقصها مع سكون الميم ، وضحين ، وفتح فكسر) :

المرابحاهل الذى لم يجزب الأمور . (٣) أى ليس الأمر كما تعلمين من قبل .

(٤) عُثْدَان : قصر باليمن بناء « يشرح بن يعصب » . (٥) قصر شعوب : قصر مال مرتفع باليمن .

(٦) أضْرَعْتَنِي : أضغضت وأذلتنى . (٧) جُجْرَمَةٌ كقطعة : ثامة ، يريد ثلاثة أحوال كاملة .

(٨) القلب من الحى : ما تأخذ يوماً وتدع يوماً . (٩) أى ما حركت له عضواً . (١٠) سويقة :

موضع . (١١) حذبا جمع حذباء ، وأصل الحذب : ما أرتفع من الأرض ، يريد أنه أعياها السير فهو دامية

متقزمة الظهور هزالا . (١٢) المككاكى : جمع مككا ، وهو طير يشبه القبرة إلا أن في جناحيه بلقا ، وهو حسن

الصوت فى تغريده .

ومن أميره النوم قوله :

نام صحبي وبات نومي أسيرا * أرقب النجم موهنا أن يسودا

ومن غمه الطير قوله :

فرحنا وقلنا للسلام أقض حاجة * لنا ثم أدرنكا ولا نتغير

سراما نغم الطير^(١) إن سححت لنا * وإن تقفنا الرجان^(٢) لا تتغير

نتغير من قولهم : غبر فلان ، أى لث .

ومن إغذائه السير قوله :

قلتُ سيرا ولا تهيأ بيضرى^(٤) * وخفير^(٥) فأحب خفيرا

وإذا ما مررتما بجمان^(٦) * فأقلا به الشواء وسيرا

إنما قصرتا إذا حسر السب^(٧) * رُبعيرا أن تستجد بغيرا

ومن تحميره ماء الشباب قوله :

أبرزوها مثل المهاة تهادى * بين خميس كواعب أتراب

ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد القطر والحصى والتراب

وهى مكنونة تحير منها * فى أديم الخدين ماء الشباب

ومن تقويله وتسهيله قوله :

قالت على رقية يوما بلاريتها * ما تأمرين فإن القلب قد تملأ^(٩)

وهل لى اليوم من أخت مواخية * منكش أشكو إليها بعض ما فعلا

(١) لعله يريد : يحزننا بالسقى ، أرنيها وتغلبها ، من قولهم : غم القمر النجوم : يهرها وكاد يستر ضوءها .

(٢) الخبير : السؤال عن الخبر . (٣) أعذ السير وأغذيه : أسرع . (٤) بصرى : يلد بالشأم .

(٥) خفير : نهر بالأردن يولد بالشأم . (٦) معان : مدينة فى طرف بادية الشام تلقاها الجواز من نواحي

اللقاء . (٧) قصرتا ، أى قصارانا وطائنا . (٨) حسر السير بغيرا : أجهده وأعياه .

(٩) المتبول : من أسقمه الهوى وغلبه الحب على أمره .

فراجعتها حصاناً غير فاحشية ^(١) * برجع قول ولُبُّ لم يكن خطلاً ^(٢)
 لا تذكري حبه حتى أراجعه * إني سأكفيك إن لم أمت عجلاً
 فأفنى حياك في ستر وفي كرم ^(٣) * فليس أقل أني علقت رجلاً
 وأما ما قاس فيه الهوى فقله :

وقربن أسباب الهوى لمنم * يقبس ذراعا كلما قسن أصبما
 ومن عصيانه وإخلائه قوله :

وأفنى ^(٤) المطى يتبعن بالرد * سب سراً نوايم الأطلان
 فنصيد الغير من بحر الوح ^(٥) * ش وتلهو بلدة الفتيان
 في زمان لو كنت فيه حبيبي * غير شك عرفت لي عصياني
 وتقلب في الفراش ولا تد * رين إلا الظنون أين مكاني
 ومن مخالفته بسمعه وطرفه قوله :

سمي وطرفي حليفاً على جسدي * فكيف أصبر عن سمي وعن بصري
 لو طأطأت على ألا أكلمها * إذا لقضيت من أوطارها وطري
 ومن إبراهيم نعت الرسل قوله :

فبعثت كاتمة الحديد * حث رقيقة بجواها
 وحشية إنسية * نراجة من باها
 فرق فتسلت المعاً * رض من سبيل قهاها
 ومن تحذيره قوله :

لقد أرسلت جاريتي * وقلت لها خذي حذرَكَ
 وقولي في ملاطفة * لزينب نولي عمرَكَ

(١) حصان : خفيفة . (٢) الخطل : الفاسد المضطرب . (٣) اتى حوامك : الزميه .
 (٤) نص المطى : استخراج أقصى ما اعتدها من السير . (٥) الغرير : الغافل .

فَإِنْ دَاوَيْتَ ذَا سَقَمٍ * فَأَنْزَى اللَّهُ مِنْ كَفَرِكَ

فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَبًا * وَقَالَتْ مَنْ بَدَا أَمْرُكَ

أَهَذَا يَحْمُرُكَ النَّسْوَا * نَ، قَدْ خَبَرْتَنِي خَبْرَكَ

وَقُلْنَا إِذَا قَفَى وَطَرًا * وَأَذْرَكَ حَاجَةً هَمْرَكَ

ومن إعلانه الحب وإسرايه قوله :

شَكَوْتُ إِلَيْهَا الْحُبَّ أَطْلُنْ بَعْضَهُ * وَأَخْفَيْتُ مِنْهُ فِي الْفَوَادِ قَلِيلًا

وما أبطن فيه وأظهر قوله :

حُبُّكُمْ يَا آلَ لَيْلَى قَاتِلِي * ظَهَرَ الْحُبُّ بِحُصْنِي وَبَطْنِي

لَيْسَ حُبٌّ فَوْقَ مَا أَحْبَبْتُمْ * غَيْرَ أَنْ أَقْتُلَ نَفْسِي أَوْ أَجُنَّ

وما أَلَحَّ فيه وَأَسَفَ قوله :

لَيْتَ حَقْلِي كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا * وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمُتَمَنَّا

أَوْ حَدِيثٌ عَلَى خَلَاءٍ يُسَلَّى * مَا يُجِئُ الْفَوَادُ مِنْهَا وَمِنَّا

كَبُرَتْ رَبِّ نِعْمَةٌ مِنْكَ يَوْمًا * أَنْ أَرَاهَا قَبْلَ الْمَوَاتِ وَمِنَّا

ومن إنكاحه النِّوَمَ قوله :

حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ ظِلَامُهُ * وَنَظَرْتُ خَفَلَةً كَاشِحَ أَنْ يَغْفُلَا

وَاسْتَنْجَعَ النَّوْمُ الَّذِينَ تَخَافُهُمْ * وَسَقَى الْكَرَى بَوَائِبَهُمْ فَاسْتَنْجَلَا ^(١)

نَجَرَجَتْ تَأَطَّرُ فِي الثِّيَابِ كَانَهَا * أَيْمٌ يَسِيبُ عَلَى كَتِيبٍ أَهْمِلَا ^(٢)

ومن جَنِيهِ الْحَدِيثَ قوله :

وَجَوَارٍ مُسَاعِقَاتٍ عَلَى اللَّهِ * وَمُسِيرَاتٍ بَاطِنِ الْأَضْغَانِ

صَيْدٌ لِلرِّجَالِ يَرْشُقْنَ بِالطَّرْ * فِي حِصَانٍ تَحْدِلُ الْغِزْلَانِ ^(٣)

(١) يقال : أظفله النوم فهو مستقل بصيغة المفعول . (٢) تأطر أصله تأطر ثم غلظت إحدى تاءيه ومعناه

نثني . والأيم : الأضي . ويسيب : يمشي . والكتيب الأهيل : الرمل المتهال . (٣) الحذل : جمع خاذل وهي الغلية تختلف عن صواحبها أو أولادها .

قد دعاني وقد دعاهن لله • هو محجور مهملة الأتجان
فأجنتنا من الحديث ثمارا • ما جنى مثلها لعمرك جاني
ومن ضربه الحديث ظهره لبطنه قوله :

في خلا من الأتيس وأني • فبتنا غليلنا وأشتفتنا
وضربنا الحديث ظهرًا لبطن • وأتينا من أمرنا ما أشتبتنا
فكثنا بذاك عشر ليال • ففضينا ديوننا وأقتضينا

ومن إذلاله صعب الحديث قوله :

فلما أفضنا في الهوى نستينته • وعاد لنا صعب الحديث ذلولًا
شكوت إليها الحب أظهر بمضه • وأخفيت منه في الفؤاد غليلا
ومن قناعته بالرجاء من الوفاء قوله :

فعدى نائلًا وإن لم يُنيل • إنه ينفع الحب الرجاء

قال الزبير : هذا أحسن من قول كثير :

ولست براض من خليل بنائل • قليل ولا أرضى له بقليل

ومن إعلائه قائله قوله :

فبعثت جاريتي وقلت لها أذهبي • فأشكي إليها ما طميت وسألي
قولي يقول تمحرجي في عاشتي • تكلف بكم حتى المات مني
ويقول إنك قد طميت بأنكم • أصبحتم يا بشر أوجه ذي دم
فكفي ريبته فإن لم تفعل • فأعلي على قتل ابن عمك وأسلي
فتضاكت عجبًا وقالت حقه • ألا يعلمنا بما لم نعلم

(١) أي مثيرة الأتجان • (٢) أي كفى من المخرج والاثم

(٣) أي أحق إنسان أخذه منه دس •

علي به واقه بغفر ذنبه • فيما بنا لي ذوهوى متقسم
طريف^(١) ينازعه الى الأدنى الهوى • ويبت خلة ذى الوصال الأقدم

ومن تنفيذه النوم قوله :

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت • مصابيح شئت بالعشاء وأزور
وظاب لمركنت أرجو غيوبه • وروح رحيات ونوم سمر^(٢)
وقضت عنى النوم أقبلت مشية الى • حجاب وركني خشية القوم أزور^(٣)

ومن إغلاقه رهن منى وإهداره قتلاه قوله :

فكم من قبيل ما يبأ به دم • ومن خالق رهنًا إذا لقاه منى^(٤)
ومن مالى عليه من شيء غيره • اذا راح نحو الجمره البيض كالدمى^(٥)
وكان بعد هذا كله فصيحاً شاعراً مقولاً^(٦) .

ومن شعره المشهور قوله :

أمن آل نعيم أنت غايب فبكرك • خداة غيد أم رانح فهجرك
لحاجة نفس لم تقل فى جوايها • فتبلغ عنذرا والمقالة تُعذر
أشارت بمذراها وقالت لأختها • أهذا المغيرى الذى كان يدكر
فقالتم نعم لا شك غير لونه • سرى الليل يطوى نصه والتهجرك^(٧)
رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت • فيضحي وأما بالعيش فيخصر

(١) الطرف : من لا يثبت على امرأة ولا صاحب . (٢) روج من الرواح وهو وقت الضحى . والرميان :

جمع راح كالزواة والراء . ونوم الرجل تويما : مبالغة فى نام . (٣) الحباب : الحية . وأزور

كأحسن : مائل من زور يزور إذا مال . (٤) يقال : أبا القاتل بالقتيل : قتله به ، والمراد هنا : فكم

من قتل يمل دمه ولا يرغله بتار . (٥) يقال : غلق الرهن فى يد المرتين يلقى طلقا : لم يقدر

الراهن على أفكاكه فى الوقت المشروط . يريد : وكمن قلوب أسيرة لا يقدر أصحابها على أفكاكها .

(٦) الدمى : جمع دمية وهى الصورة المقتضة من الحاج ونحوه . (٧) المقول : الحسن القول المصح المين .

(٨) نص السرى : إسرعه ، وأصله حث الدابة واستخراج أقصى ما عندها من السير .

أخا سفر جَوَابَ أَرْضٍ تَقَاذَفَتْ * به فَلَوَاتُ فَهَوَ أَشْمَتْ أَفْضَرُ
 قَلِيلًا عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيَّةِ ظِلُّهُ * يَسْوَى مَا قَى عَنْهُ الرِّدَاءُ الْمُخْبِرُ^(١)
 وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ * وَرَيَانُ مُتَشِّفِ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ
 وَوَلَّى كَفَّاهَا كُلَّ شَيْءٍ يَهْمُهَا * فَلَيْسَتْ لَشَيْءٍ أَنْتَرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ
 وَلَيْلَةٌ ذِي دَوْرَانٍ جَسْمَتْنِي الشَّرَى^(٢) * وَقَدْ يَحْشُمُ الْهَوَلُ الْمُهْبُ الْمَفْرَرُ^(٣)

ومن شعره قوله في فاطمة بنت محمد بن الأشعث الكندي :

تَشِطُّ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا * وَلَلدَّارُ بِغَدٍ غَدٍ أَبْعَدُ^(٤)
 إِذَا سَلَكَتُ عَمْرُ ذِي كِنْدَةٍ * مَعَ الرَّكْبِ قَصْدُهَا الْفَرْقَدُ^(٥)
 وَحَثَّ الْحِدَاةُ بِهَا صِيرَهَا * سِرَاعًا إِذَا مَا وَنَتْ تَطْرُدُ^(٦)
 هُنَاكَ إِمَّا تُعْزَى الْفُؤَادُ * وَإِنَّمَا عَلَى إِثْرِهَا تَحْكُمُ^(٧)
 وَلَيْسَتْ يَسْذُجُ إِذَا دَارَهَا * نَأَتْ وَالْعَزَاءُ إِذَا أَجْلَدُ
 صَرِمْتُ وَوَاصَلْتُ حَتَّى عَمِدَ * تَأْتِ أَيْنَ الْمَصَادِرُ وَالْمَوْرِدُ
 وَجَرَيْتُ مِنْ ذَاكَ حَتَّى عَرَفَ * تَأْتِ مَا أَتَوَقَّى وَمَا أَحْمَدُ
 فَلَمَّا دَتُونَا بِلَحْسِ النَّبَا * حِجَّ وَالضُّمُورِ وَالْحَيِّ لَمْ يَرْقُدُوا^(٨)
 نَائِبًا عَنِ الْحَيِّ حَتَّى إِذَا * تَوَدَّعَ مِنْ نَارِهَا الْمَوْقِدُ^(٩)
 وَنَامُوا بَهْتًا لَهَا نَاشِدًا * وَفِي الْحَيِّ يَنْفِيَةٌ مِّنْ يَنْشُدُ

(١) المهر : المزين الحسن . (٢) ذودوران — يفتح أوله وبعد الواء راء مهملة وآخره

نون — : موضع بين قديد والجبلة (ياقوت) . (٣) أى كلفنى السير ليلًا .

(٤) تشط : تبعه . (٥) عمردى كندة : موضع وراء واحة بينه وبين مكة مسيرة يومين .

(٦) كذا في ديوانه ، وفي الأَخافى « الصبح » . (٧) الفرقد : نجان في السماء من نجوم الدب الأصفر

وهي في الشمال ، ويقال لها : الفرقد بالإفراد ، والفرقدان بالثنية . ولعله يريد أنها تسير جهته ، لأن العراق التي

تقصده في الشمال الشرقى من مكة . (٨) الحداة : جمع حاد وأصله الخفى للابل لتشيط في السير ، وقد يراد به

الزاجر والسائق . والدير : الإبل ، ولا واحد له من لفظه . ووت : صغفت وتباطأت . وتطرد : تساق .

(٩) الحرس : الصوت . (١٠) تودع : سكنت ناره وأطفأته .

أَتَيْنَا تَهَادَى عَلَى رِقْبَةٍ • مِنْ الْخُوفِ أَحْشَاؤُهَا تَرَعَدُ
تَقُولُ وَتُظْهِرُ وَجْدًا بِنَا • وَوَجِدِي وَإِنْ أَظْهَرْتُ أَوْجَدُ
لَمَّا شَقَايَ تَعَلَّقْتُكُمْ • وَقَدْ كَانَ لِي عَنْكُمْ مَقْعَدُ^(٤)
وَكَفْتُ مَسَاقِي مِنْ صَبْرَةٍ • عَلَى الْخَدِّ جَالٌ بِهَا الْإِمْعَدُ^(٥)
فَإِنَّ الَّتِي شَبَعْنَا الْفَدَاةَ • مَعَ الْفَجْرِ قَلْبِي بِهَا مُقْصَدُ^(٦)

وَشَبَّ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ زَيْنَبَ بِنْتِ مُوسَى الْجَحِيحَةِ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

يَا خَلِيلٌ مِنْ مَلَامِ دَعَايَ • وَأَيُّهَا الْفَدَاةُ بِالْأَطْعَامِ
لَا تَلُومُوا فِي آلِ زَيْنَبَ إِكَّالَ • قَلْبَ رَهْنٍ بِآلِ زَيْنَبَ حَايَ
مَا أَرَى مَا بَقِيَتْ أَنْ أَذْكُرَ الْمَو • قَفَّ مِنْهَا بِالْخَلِيفِ^(٧) إِلَّا شَجَايَ
لَمْ تَدْعَ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي حَفْلًا • غَيْرَ مَا قُلْتُ مَا زِحًا بِلِسَانِي
هِيَ أَهْلُ الصَّفَاءِ وَالْوَدِّ مَنَى • وَإِلَيْهَا الْمَوَى فَلَا تَعْدُلَانِي
حِينَ قَالَتْ لِأَخْتِهَا وَلَا عَمْرَى • مِنْ قَطْلِينَ^(٨) مُؤَلَّدٍ : حَدَّثَانِي
كَيْفَ لِي الْيَوْمَ أَنْ أَرَى عُمَرَ الْمُرَّ • يَسْلُ سِرًّا فِي الْقَوْلِ أَنْ يَلْقَانِي
قَالَتَا : نَبَخْنِي رَسُولًا إِلَيْهِ • وَثُمْتُ الْحَدِيثَ بِالْعِكْمَانِ
إِنَّ قَلْبِي بَعْدَ الَّذِي نِلْتُ مِنْهَا • كَالْمَعْمَى عَنْ سَائِرِ النَّسْوَانِ^(٩)

- (١) تهادى : تمشى في تمايل وسكون . (٢) الرقبة : التحفظ والفرق . (٣) الوجد : الشدة
والشوق الشديد . (٤) المراد : قد كان لي غنى من حبكم . (٥) الإمعد : هجر التكمل وأجوده بأصحابه
(٦) أقصده : رماه بهم فقتله . (٧) الخليف : ما أرتفع عن محرى السيل وأجدر عن غلط الجبل
قال ابن سيده : وخيف مكة موضع فيها عند منى ، سمى بذلك لأنه داره عن الخط وأرتفعه عن السيل .
(٨) القطلين : الخادم والأتباع والحشم ، والمولد من السيد والإماء : من ولد بين العرب ونشأ مع أولادهم
(٩) كذا في الأغاني . وفي ديوانه " كالمعمى " أى المأسور المحبوس من عيها .

وكان سبب ذكره لها أنه ابن أبي حنيفة ذكرها عنده يوما فأطراها ووصف من عفاها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله اليها ، فقال فيها الشعر وشبب بها ، فبلغ ذلك ابن أبي حنيفة ، فلامه فيه وقال له : أَسْطَلِقُ الشعرَ في ابنة عمي ؟ فقال عمر :

لا تَلْمِني حَبِيقُ حَسبي الذي بي • لك بي يا حنيفة ما قد كَفَّناي
لا تَلْمِني وأنت زَيْبَتها لي • أنت مثل الشيطان للإنسان
لك بي داخلا من الحب قد أب • لي عظامي مكنونه وبراني
لو بعيليك يا حنيفة نَفَرنا • ليلة السَّمْع قَرِيت العيان
إذ بدا الكَشْحُ والوشاح من الله ز • وقَصَلُ فيه من المرجان^(١)
وقل قلبى النساء سواها • بعد ما كان مُقرِّما بالنفوانى
لم تَدْع للنساء عندى نصيبا • غير ما قلت ما زحاً بلسانى

وأشد ابن أبي حنيفة قول عمر :

من لَسَمي يَكْتُم الناس ما به • لزَيْبَ تَجَوَّى صدره والوساوسُ^(٢)
أقول لمن يَبْغى الشفاء متى تَجِيء • بزَيْبَ تُدْرِكُ بعض ما أنت لا ميسُ
فإنك إن لم تُشِف من سَقَمي بها • فإني من طِبِّ الأطباء آيسُ
ولست بناس ليلة الدار مجلسا • لزَيْبَ حتى يَسْلُو الرأسَ رَامِسُ^(٣)
خَلَاءَ بَدَتْ قَرَأُوهُ ونَكَشَفَتْ • دُجَّتُهُ وَاغَابَ من هو حَارِسُ^(٤)
وما نلتُ منها محرماً غير أنتا • كَلانا من التوب المَسْوِدِ لايسُ^(٥)
تَجِيئُ قَضِي الهوى غير ما ثم • وإن رَغِمَتْ عَمَّ الكاشحين المَعْلَسُ

(١) الكشح : ما بين العجبة — وهى رأس الورك الذى يشرف على الخاصرة — إلى الإبط . والوشاح :

شبه قلادة ينسج من أديم عريض يرمع بالجواهر تشبه المرأة بين ما عليها .

(٢) هذا البيت دخل عليه الحرم وهو حذف الفاء من قولن . (٣) الراس : الدافن فى الرمس وهو القبر .

(٤) الموزد : الذى صبغ على لون الوردة .

قال : فقال ابنُ أبي حَتِيْق : أَيْتَا يَسْخَرُ ابْنُ أَبِي زَيْنَبٍ ؟ فَأَيُّ حَرَمٍ بَقِيَ ! ثُمَّ أَتَى عَمْرَ فَقَالَ لَهُ : يَا عَمْرُ ، أَلَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّكَ مَا أَتَيْتَ حَرَامًا قَطُّ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ :

• كَلَانَا مِنَ التَّوْبِ الْمُرْدِّ لَا بُسْ •

مَا مَعْنَاهُ ؟ قَالَ : وَاقِعَهُ لِأَخْبَرْتِكَ : خَرَجْتُ أُرِيدُ الْمَسْجِدَ وَخَرِجْتُ زَيْنَبُ تَرِيدُهُ ، فَالتَقِينَا فَاتَّعَدْنَا لِبَعْضِ الشَّعَابِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطْنَا الشَّجَبَ أَخَذْنَا السَّمَاءَ ، فَكِرِهْتُ أَنْ يَرَى بَثْيَابَهَا بَلَلُ الْمَطَرِ ، فَيَقَالَ لَهَا : أَلَا أَسْتَرْتُ بِسَقَائِفِ الْمَسْجِدِ إِنْ كُنْتُ فِيهِ ! فَأَمَرْتُ خِدْمَانِي فَسَتَرُونَا بِكَسَاءٍ نَزَّكَانَ عَلَيْنَا ، فَذَلِكَ حِينَ أَقُولُ :

• كَلَانَا مِنْ آثَوَابِ الْمَطَارِفِ لَا بُسْ •

فَقَالَ لَهُ : ابْنُ أَبِي حَتِيْق : يَا حَاهِرُ ! هَذَا الْبَيْتُ يَحْتَاجُ إِلَى حَاضِنَةٍ !
وَمِنْ جَيِّدِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ فِي زَيْنَبَ بِنْتُ مُوسَى :

يَا مَنْ لَقِيتُ مُسَيِّمَ كَلِيفٍ ^(١) يَهْدِي بِمُحَوِّدٍ ^(٢) إِلَى النَّظَرِ
تَمْشِي الْهُوَيْنَا إِذَا شَتَّ قُضْلًا ^(٣) • وَهِيَ كَيْتِلُ الصَّلُوحِ فِي الشَّجَرِ
مَا زَالَ طَرْفِي يَحَارُ إِذَا بَرَزْتُ • حَتَّى رَأَيْتُ النِّصْفَانَ فِي بَصَرِي
أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنِسْوَتَهَا • يَمْشِينَ مِنَ الْمَقَامِ وَالْجَهْرِ
مَا إِنْ طَمِعْتُنَا بِهَا وَلَا طَمِعْتُ • حَتَّى أَلْتَقِينَا لَيْلًا عَلَى قَدَرٍ ^(٤)
يَضِيحُ حِسَانًا نَحْرَانِدَا قُطْلًا ^(٥) • هَوْنًا كَشِيَةَ الْبَهْ
قَدْ فُزْنَ بِالْحَسَنِ وَالْجَمَالِ مَعَا • وَفُزْنَ رِسَالًا ^(٦) بِالذِّلِّ وَالْخَفْرِ

(١) الخلود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة مالم تهرن نصفًا ، والنصف : المرأة بين الحدة والمسة .

(٢) المضل بضمتين : المختلة التي تفضل من ذليها . ويروي : « قفلا » والمراد به تقارب الخطو .

(٣) الصلوح : النصف الذين الأخضر . (٤) على قدر : على غير موعد . والوجه فيه أن التقاءهما كأنه مقدر في الأزل لأم لم له به ولا سعى إليه كما قيل :

جاء النسلقة أو كانت له قدرا • كما أتى ربه موسى على قدر

(٥) جمع مخلوف وهي البطيخ في السير . (٦) الرسل بالكسر : الرق والوثدة . والخفر : شدة الاستحياء .

يُصِيبَن يَوْمًا لَهَا إِذَا نَظَلَتْ * كَنَّا يُشْرِقُهَا عَلَى الْبَشَرِ
 قَالَتْ لَنَرِي لَهَا ثَمَحَتْهَا * لَنُشِيدَكَ الطَّوَافَ فِي عُمَرِ
 قَوْمِي تَصَدَّى لَهُ لِيَعْرِفَنَا * ثُمَّ أَعْمِزِهِ يَا أختَ فِي خَفَرِ
 قَالَتْ لَهَا قَدْ عَمَزَتْهُ فَاي * ثُمَّ أَسْبَطْتُ^(١) تَسَى عَلَى أَثَرِي
 مِنْ يُسْقَى بَعْدَ الْمَنَامِ رِيْقَهَا * يُسْقَى بِمَسِّكَ وَبَارِدِ خَيْرِ^(٢)

وقوله فيها أيضا :

أَلَيْمَ بَرِيذَ إِنْ الْيَتَمَ قَدْ أَفَدَا * قَلَّ التَّوَاءُ لَيْنَ كَانَ الرِّجِلُ خَدَا
 قَدْ حَلَقْتُ لَيْلَةَ الصَّوَرَيْنِ جَاهِدَةً * وَمَا عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا الْحِلْفُ بِجَهْدَنَا
 لِأُخْتِهَا وَلَا أُخْرَى مِنْ مَنَاصِفِهَا * لَقَدْ وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدَا
 لَوْ جَمَعَ النَّاسُ ثُمَّ اخْتِيرَ صَفُوهُمْ * شَخْصًا مِنْ النَّاسِ لَمْ أُعِدَلْ بِهِ أَحَدَا

ومن شعر عمر في تشوقه الى مكة بعد أن خرج منها الى اليمن قوله :

هِيَا تَ مِنْ أُمَةِ الْوَهَابِ مِثْلُنَا * إِذَا حَلَلْنَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ مَدِينِ^(٦)
 وَأَحْتَلَّ أَهْلُكَ أَجْيَادًا وَلَيْسَ لَنَا * إِلَّا التَّذْكَرُ أَوْ حِفْظُ مِنَ الْحَزَنِ^(٧)
 لَوْ أَنهَا أَبْصَرَتْ بِالْخَزْعِ عَبْرَتَهُ * مِنْ أَنْ يُفَرَّدَ قُرَيْشٌ عَلَى فَنَنِ
 إِذَا رَأَتْ غَيْرَ مَا ظَنَنْتَ بِصَاحِبِهَا * وَأَيَقُنْتُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْسٌ مِنْ وَطَنِ
 مَا أَتُسَّ لَا أَتُسَّ يَوْمَ الْخَلِيفِ مَوْفَقَهَا * وَمَوْفَقِي وَكَلَانَا تَمَّ ذَوْ قَبْحِنِ^(٨)
 وَقَوْلَهَا لِلْكَثْرِيَا وَهِيَ بِأَكْبَرِ * وَالِدَمْعُ مِنْهَا عَلَى الْخَلْدَيْنِ ذَوْ سُنَنِ^(٩)

(١) اسبطرت : أسرعت . (٢) انصر : البارد . (٣) أهد كنفج : جعل وأسرع .

(٤) الصوران : موضع بالمدينة بالبحر ، وقد ذكره ياقوت وأستشهد بالبيت . (٥) المصنف كثير ومقعد : الخادم ، والأثنى بالهاء ، جمع مناصف .

(٦) سيف البحر : ساحله . (٧) أجياد : موضع بمكة ، سمي بذلك لأن تبا لها قدم مكة ربط

خوله فيه فسمى بذلك ، وهما موضعان : أجياد الكبير وأجياد الصغير . (٨) الخليف : موضع بني وهب

سمى مسجد الخليف . (٩) ذوسنن : ذوطراقي .

بأنه قولى له في غير معتبة • ماذا أردت بطول المكث في اليمن
إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها • فما أخذت بترك الحج من ثمين

وقال أيضا :

خيلت ما بال المكايأ كأما • نأها على الأدبار بالقوم تنكس^(١)
وقد قطعت أعضاؤهن صبابه • فأقستا مما يلاقين فقص
وقد أتمب الحادى سراهن وأتقى • بهن فما يألوه عجول مقلص^(٢)
يزدن بنا قريبا فيزداد شوقنا • إذا زاد طول العهد والبعد ينقص

ومن شعره قوله :

جرى ناصح بالود يبنى وينها • فقرني يوم الحصاب إلى قتلي^(٣)
فطارت بعد من فوادي وقارنت • قريتها جبل الصفاء إلى حبل
فلما توافقنا عرفت الذي بها • كمثل الذي بي حدوك النعل بالنعل
فقلن لها هذا عشاء وأهلنا • قريب المأ تسمى متركب البغل
فقلت فما شئت قلن لما أنزلى • فلأرض خير من وقوف على رمل
نجوم درارى تكفن صورة^(٤) • من البدر وافت غير هوج ولا عجل^(٥)
فسألت واستأنست خيفة أن يرى • عدو مقامى أو يرى كاشع فعلي
فقلت وأرخت جانب السترايما • معي فكلم غير ذى رقية أهلي
فقلت لها ما بي لهم من تركب • ولكن سري ليس يجهله مثلي
فلما أقمنا دونهن حديثنا • وهن طيبات بحاجة ذى الشكلي
عرفن الذى تهوى فقلن آئذنى لنا • نطلف ساعة في برد ليل وفي سهل

(١) تنكس : تربع وتولى وتحمى • (٢) مقلص : مشرجاد في السير • (٣) الحصاد

كالصعب : موضع رى الجمار • (٤) درارى منوعة من الصوف وقوت لضرورة الشعر • (٥) هوج

جمع هوجاء وهى المتجيلة في السير كأن يها هوجا وحقا •

فَقَالَتْ فَلَا تَلْبِثَنَّ قُلْنَ تَحَدَّثِي • أَيْمَانِكَ، وَأَنْتِ بَيْنَ أَنْسَابِ مَهْ الرِّيلِ
فَقَمْنَنَ وَقَدْ أَهْمَنَ ذَا اللَّبِّ أَمَّا • أَتَيْنَ الَّذِي يَأْتِيَنَ مِنْ ذَاكَ مِنْ أَجْلِ

وقد كان عمر حين أنس حلف ألا يقول بيت شعر إلا احتق رقبة، فأنصرف عمر
إلى منزله يحدث نفسه، ففعلت جارية له تكلمه فلا يرد عليها جوابا، فقالت له : إن لك
لأمرأ، وأراك تريد أن تهول شعرا، فقال :

تَقُولُ وَلِيَدِي لِمَا رَأَيْتِي • طَرِبْتُ وَكُنْتُ قَدْ أَقْصَرْتُ حِينَا
أَرَاكَ الْيَوْمَ قَدْ أَحْدَثْتَ شَوْقًا • وَهَاجَ لَكَ الْمَوَى دَاءً دَفِينَا
وَصَكَنْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ ذُو عَزَاءٍ • إِذَا مَا شَلَّتْ فَارَقْتَ الْقَرِيْبَا
بِرَبِّكَ هَلْ أَتَاكَ لَهَا رَسُولٌ • فَشَاقَكَ أُمَ لَقِيتَ لَهَا خَدِينَا^(١)
فَعَلْتُ شَكَا إِلَى أَخٍ حُبٍّ • مَضَى زَمَانُنَا إِذْ تَعَابِينَا
فَقَصَّ عَلَيَّ مَا يَلْقَى بَهْنَدٍ • فَذَكَرَ بَعْضُ مَا كُنَّا نَسِينَا
وَذُو الشُّوقِ الْقَدِيمِ وَإِنْ تَمَزَّى • مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقِينَا
وَكَمْ مِنْ خُلَّةٍ أَعْرَضَتْ عَنْهَا • لَغِيْرِ قَلْبِي وَصَكَنْتُ بِهَا ضَبِينَا^(٢)
أَرَدْتُ بِمَادَهَا فَصَلَدْتُ عَنْهَا • وَلَوْ جُنَّ الْقَوَادُ بِهَا جُنُودَا
فَمِ دَمَا تَسْمَعُ مِنْ رَفِيقِهِ فَاعْتَقَهُمْ بِكُلِّ بَيْتٍ وَاحِدًا •

وله :

يَقُولُونَ : إِنِّي لَسْتُ أَصْدُقُكَ الْمَوَى • وَأَنَا لَا أُرَاكَ حِينَ أَغِيبُ
لِمَا بِالْ طَرَفِي عَفَّ عَمَّا تَسَاقَطُ • لَهُ أَعْيُنٌ مِنْ مَعَشَرٍ وَقُلُوبُ
عَشِيَّةٍ لَا يَسْتَنِيكَفُ الْقَوْمُ أَنْ يَرَوْا • سَفَاهَ أَمْرِي عَنْ يَقَالَ لِيْبُ

(١) الحدين : الصديق الذي يتبادلك فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن، ومنه خدن الجارية : محبتها،
وكان العرب في الجاهلية لا يمتنعون من خدن يحدث الجارية بها - الاسلام يهدمه - وفي النزيل العزيز : (اليوم أحل
لكم العليات) الى قوله : (والحصنات من الذين أدنوا الكتاب من قبلكم إذا أتجمعون أجودون محصبين غير مساهلين
ولا متعدي أحدان) الآية . (٢) الخلة : الخلية .

ولا قنّة من ناسك أو مضّت له ^(١) • بين الصبا كسل القيام لمؤب
 تروح يرحوان تحط ذنوبه • فآب وقد زيدت عليه ذنوب
 وما ألتسك أسلاني ولكن للهوى • على العين منى والنفاد رقيب
 وله :

ألم تسأل المنزل المتفيرا • بيانا فيكم أو يخبيرا
 ذكرت به بعض ما قد شجلك • وحق لدى الشجر أن يذكرا
 ميت الحيين قد ظاهرا ^(٢) • كساء وبردين أن يخطرا
 ومثى الثلاث به موها • نرجس إلى زائر زورا
 إلى مجلس من وراء القبا • يب سهل الربى طيب أضرا ^(٣)
 غفلن عن الليل حتى بدت • تبشير من واضح أسفرا
 فمن يعين آثارا • بأحسية الخزان تحفرا ^(٤)
 مهاتين شيئا جودرا ^(٥) • أسبلا مقلده أخورا
 وقن وقن لو أن نها • رمد له الليل فاستنرا
 قضينا به بعض ألباسنا • وكان الحديث به أجدر

وله :

أفي رسم دار دمعك المترق ^(٦) • سقاها ! وما استنطاق ما ليس ينطق !
 بحيث ألتقى ^(٧) "جمع" وأقصى ^(٨) "مخير" • معاليه كادت على العهد تخليق
 ذكرت به ما قد مضى من زماننا • وذكرك رسم الدار مما يسوق

(١) أوضحت له : سارقه النظر .

(٢) يقال : ظاهر بين الثوبين إذا لبس أحدهما على الآخر . (٣) آخر : ذي رمل أحمر .

(٤) يقال : ففر الأثرهرا : اقتضاه وتبعه . (٥) الجلودر (ضم أوله وضم الدال وفتحها) : ولد البقرة .

والررب : القطيع من بقرة الوحش وقيل من الغناء ، ولا واحد له من لفظه . (٦) المقلد : موضع القلادة

ويراد به الجيد . (٧) ترقق الدمع : سال . (٨) جمع ، هي المزدقة . (٩) محمر : موضع

بين منى والمزدقة .

لَيْلَى مِنْ دَمِيرٍ إِذْ الْحَى جِيرَةٌ • وَإِذْ هُوَ مَا هُوَ الْغَيْبِلَةُ مَوْقُ
مَقَامًا لَنَا عِنْدَ الْعِشَاءِ وَجَلَسَا • بِهِ لَمْ يُكْذِرْهُ طِينًا مَعَوْقُ^(١)
وَمَتَشَى قَنَاقَةً بِالْكَسَاءِ تَكُنُّنَا • بِهِ تَحْتَ عَيْنٍ بِرَقْعِهَا يَتَأَلَّقُ^(٢)
يَبُلُّ أَعْلَى التَّوْبِ قَطْرًا وَنَحْنَهُ • شُمَاعٌ بَدَا يَعِشِي الْعَبُونَ وَيُشْرِقُ
فَاحْسُنْ شَيْءَ بَدَأُ أَوَّلَ لَيْلِنَا • وَأَنْوَرُهُ حُرْنُ إِذَا تَتَفَرَّقُ

وروى أن ليلي كانت جالسة في المسجد الحرام، فرأت عمر بن أبي ربيعة فوجهت إليه موقاً لما بلغها به، فقالت له : يَا بَنَ ابْنِ رَبِيعَةَ، حَتَّى مَتَى لَا تَزَالُ سَادِرًا فِي حَرَمِ اللَّهِ تُشَبِّهُ بِالنِّسَاءِ وَتُشِيدُ بِذِكْرِهِنَّ ! أَمَا نَحَافُ اللَّهُ ! قَالَ : دَمِيرِي مِنْ ذَلِكَ وَأَسْمَى مَا قُلْتُ ، قَالَتْ : وَمَا قُلْتُ ؟ فَأَنْشَدَهَا الْآيَاتَ الْمَذْكُورَةَ ، قَالَتْ لَهُ الْقَوْلَ الَّذِي تَقْدِّمُ أَنَّهَا أَجَابَتْهُ بِهِ . قَالَ : وَقَالَ لَهَا : أَسْمَى أَيْضًا مَا قُلْتُ فَيْكَ ، ثُمَّ أَنْشَدَهَا قَوْلَهُ :

أَمِنْ الرِّمِّ وَأَطْلَالِ الدَّمَنِ • طَادَ لِي وَجَدِي وَمَا وَدْتُ الْحَزْنَ
إِنْ حَيَّ آلَ لَيْلَى قَانِلِ • ظَهَرَ الْحُبُّ بِمِصْرِي وَطَرْنِ
يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي طَائِرٌ • فَأَتَمَّرَ أَمْرَ رَشِيدٍ مَوْثَمِنِ^(٣)
إِتْمَسَ لِلْقَلْبِ وَصَلًّا عِنْدَهَا • إِنْ خَيْرَ الْوَصْلِ مَا لَيْسَ يَمْنِ^(٤)
صَلَقَ الْقَلْبُ ، وَقَدْ كَانَ صَحَا ، • مِنْ بَنِي بَكْرِ غَزَا لَقَدْ شَدَنَّ^(٥)
أَحْوَرَ الْمُقْلَةِ كَالْبَدْرِ ، إِذَا • قُلْدُ الدَّرِّ قَلْبِي مُتَمَحِّنِ^(٦)
لَيْسَ حُبٌّ فَوْقَ مَا أَحْبَبْتُمْ • غَيْرَ أَنْ أَقْتَلَ نَفْسِي أَوْ أَجُنَّ
خُلِقْتُ لِلْقَلْبِ مَنَى قِنَّةً • هَكَذَا يُخَالِقُ مَعْرُوضُ الْفَتَنِ

(١) مَوْقُ : مَاتِقٌ وَمَانِعٌ • (٢) الْعَيْنُ : السَّجَابُ •

(٣) السَّادِرُ : الْقَتْلُ لَا يَهْمُ وَلَا يَأَلُ مَا صَنَعَ •

(٤) كَذَا فِي الدِّيَوَانِ ، وَمَعْنَاهُ مَا لَيْسَ يَقْطَعُ ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَإِنْ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرُ مَعْنُونٍ) •

(٥) شَدَنَّ : شَبَّ وَتَرَمَرَعَ • (٦) مَتَمَحَّنٌ : رَافِعٌ فِي مَحْضَةٍ •

وفيها يقول :

إِنَّ لَيْلِي وَقَدْ بَلَغْتُ الْمَشْيَا * لَمْ تَدْعِ لِلنَّسَاءِ حُنْدِي نَصِيحًا
هَاجِرٌ يَبْتَهِا لِأَنْفِي عَنْهَا * قَوْلِي ذِي الْعَيْبِ إِنْ أَرَادَ حَيَوَا

وله في النّوادر وقد شغلت قلبه :

عَلَى النَّوَارِ فَنَوَادُهُ جَهْلًا * وَصَبَا فَمِ تَرَكْ لَهُ عَفْلًا
وَتَعَرَّضْتُ لِي فِي الْمَسِيرِ لَهَا * أَمْسَى الْفَوَادُ يَرَى لَهَا مِثْلًا
مَا نَعْبَةٌ مِنْ وَحْشٍ ذِي بَقِيرٍ * تَقْدُو بِسَقَطِ صَرِيمَةٍ طِفْلًا^(٢)
بِأَلَدٍ مِنْهَا إِذْ تَقُولُ لَنَا * وَأَرَدْتُ كَشْفَ قِنَاعِهَا مَهْلًا
دَعْنَا فَإِنَّكَ لَا مُكَارَمَةَ * تَجْزِي وَلَسْتَ بِوَاصِلِ حَبْلًا
وَطَيْكَ مِنْ تَبَلِ الْفَوَادِ وَإِنْ * أَمْسَى لِقَلْبِكَ ذِكْرُهُ شُغْلًا
فَأَجِبْتُهَا إِنْ الْمَحَبَّ مَكْلَفٌ * فَدَعِيَ الْعِتَابَ وَأَحْدِثِي بَدْلًا^(٣)

اجتمع نسوة من أهل المدينة من أهل الشرف فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وطرّفه وحسن حديثه فتشوّفن إليه وتميّنته ، فقالت سَكِينَةُ بنت الحسين عليهما السلام : أنا لكنّ به ، فأرسلت إليه رسولا وواعدته الصّورين ، وسمّيت له الليلة والوقت وواعدت صواحباتها ، فوافاهنّ عمر على راحلته ، فخلّشنّ حتى أضاء الفجر وحن أنصرافهنّ ، فقال لهنّ : والله إنّي محتاج الى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده ولكن لا أخلط بزيارتهنّ شيئاً ، ثم أنصرف الى مكة وقال :

(١) ذو بقر : موضع . (٢) سقط الصريّة : متبها . والصريّة : الرملة المنصرمة من الرمال ذات الشجر . (٣) مكلف : ملج بالحب ، يقال : كلف بالشيء كلفاً ، أى ملج به فهو كلف ومكلف ، والأبيات من الكامل الأخذ ، وهو ما حذف من عروضه وضربه الوند المجهوج «طن» من «مقاطن» . وقد جاء عروض هذا البيت تاماً على خلاف بقية الأبيات ، وظاهر أن حذف الوند في أمطلاح علماء العروض طية ، والعلّة إذا خلقت بعروض أو ضرب لزم استعمالها في سائر الأبيات ولو قال : * فأجبتهإلى بكم كلف * خلّط القصيدة من هذا العيب .

قالت سَكِينَةُ وَالصَّوْغُ ذَوَارِفُ • منها على الخلدَيْنِ وَالْجَلْبَابِ ^(١)
 لَيْتَ الْمُنِيرَى لَدَى لَمْ أَجْزِهِ • فِيهَا أَطَالُ تَصِيدِي وَطَلَايَ
 كَانَتْ تَرُدُّ لَنَا أَلْمَنَى إِيَامَنَا • إِذْ لَا تَلَامُ عَلَى هَوَى وَتَصَابِي
 خُبْرْتُ مَا قَالَتْ فَبِتْ كَأَنَّمَا • رُمِيَ الْحَشَا بِنَوَافِذِ النَّشَابِ ^(٢)
 أَسْكِنِي مَا مَاءُ الْهَرَاثِ وَطَيْئِهِ • مَنِّي عَلَى ظَمِيٍّ وَقَدْ شَرَابِ
 بِاللَّهِ مِنْكَ وَإِنْ نَأَيْتِ وَقَلْبَا • تَرَعَى النَّسَاءُ أَمَانَةَ الْغِيَابِ ^(٣)

وقال فيها :

أَحِبُّ لِحَبْسِكَ مِنْ لَمْ يَكُنْ • صَفِيًّا لِنَفْسِي وَلَا صَاحِبًا
 وَأَبْذُلُ نَفْسِي لِمَرْضَاتِكُمْ • وَأُعْتَبُ ^(٣) مِنْ جَاءَكُمْ طَائِبًا
 وَأَرْغَبُ فِي وَدِّ مَنْ لَمْ أَكُنْ • إِلَى وَدِّهِ قَبْلَكُمْ رَاقِبًا
 وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ فِي جَانِبِ • مِنْ الْأَرْضِ وَأَعْتَلَّتْ جَانِبَا
 لِيَمْنْتُ طَيْبَتَا ، إِنْسَى • أَرَى قَرِيْبَهَا الْعَجَبُ الْعَاجِبَا
 فَا ظَلِيَّةٌ مِنْ ظَبْيَاءِ الْأَرَا • لَكَ تَقَرُّو دَمِيثِ الرُّبَى ^(٤) ^(٥) عَاشِبَا
 بِأَحْسَنَ مِنْهَا غَدَاةَ الْغَنِيمِ • وَقَدْ أَبَدْتَ الْخَلْدَ وَالْحَاجِبَا ^(٦)
 غَدَاةَ تَقُولُ عَلَى رِقْبَةٍ • خَلَامِهَا : يَا أَحْيَيْسَى الرَّاجِبَا ^(٧)
 فَقَالَتْ لَهَا : فِيمَ هَذَا الْكَلَامُ • وَأَبَدْتَ لَهَا عَابِسًا قَاطِبَا ^(٨)
 فَقَالَتْ صَكْرِيْمٌ أَتَى زَائِرًا • يُؤَرِّ بِكُمْ هَكَذَا جَانِبَا
 شَرِيفٌ أَتَى رَبْعَنَا زَائِرًا • فَأَكْرَهُ رَجْعَتَهُ خَائِبَا

- (١) الجلباب : القميص أو هو الخمار ، وهو ما تغطي به المرأة رأسها • (٢) النشاب : النبل •
 (٣) أحب : أزال سبب العتب ، فالهزمة للسلب - والمخى أطهر • (٤) قرأه بقروه : تبعه •
 (٥) دميث الربى : محلها ولينها • (٦) التميم كأمير : موضع بين مكة والمدينة • (٧) الخلام :
 واحد الخلد غلاما كان أو جارية • (٨) قاطبا من القطوب : وهو ترقى ما بين العينين من العيوس •

وقال في جاريته بغوم :

صرمت حبلك البغوم وصدت * عنك في غير رية أسماء
والقواني اذا رأيتك كهلا * كان فيهن عن هواك أنواء
حبذا أنت يا بغوم وأسماء * وعيص يكنتا وخلاء
ولقد قلت ليلة الجزل لما * أخضلت ريطتي على السماء^(١)
ليت شعري وهل يردن ليت * هل لهذا عند الرباب جزاء
كل وصل أمتى لدى لاني * غيرها وصلها إليها أداء
كل خلق وإن دنا لوصال * أو نأى فهو للرباب الفداء
فيمدني نائلا وإن لم تليل * إنما يتفع الحب الرجاء

وكان يهوى حميدة جارية ابن قفاحة؛ وفيها يقول :

حمل القلب من حميدة نقلا * إن في ذاك للفؤاد لشغلا
إن فعلت الذي سألت فقول * حمد خيرا وأتبعي القول فعلا
وصليني وأشهد الله أنني * لست أضفي سواك ماعشت وصلا

وفيها يقول :

ياقلب هل لك عن حميدة زاجر * أم أنت مذكر الحياء فصابر
فالقلب من ذكرى حميدة موجع * والدمع منعدر وعظمى فائر
قد كنت أحسب أنني قبل الذي * فعلت على ما عند حمدة قادر
حتى بدأ لي من حميدة خلقي * بين وكنت من الفراق أحاذر

(١) الجزل : موضع قرب مكة . وأخضلت : مل . والريطة : ملاء كلها نسج واحد وقطعة

وله في هند :

أَرَبْتُ إِلَى هِنْدٍ وَتَرَيْنِ مَرَّةً * لَهَا إِذْ تَوَاقَفْنَا بَرْعَ الْمُقَطَّعِ
لِتَمْرِجَ يَوْمَ أَوْ لَتَمْرِسَ لَيْلَةً * عَلَيْنَا بَجَمْعِ الشَّمْلِ قَبْلَ التَّصَدُّعِ
فَقُلْنَا لَهَا لَوْلَا أَرْقَابُ صَحَابَةٍ * لَنَا خَلْقُنَا عَجْنًا وَلَمْ تَسَوِّعِ
قَالَتْ فَتَاهُ كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّهَا * مُقْفَلَةٌ فِي مَرَدٍّ لَمْ تَكْزِعِ
لَهْنٌ - وَمَا شَاوَرْتَهَا - لَيْسَ مَا أَرَى * بِمُحْسِنٍ جَزَاءَ لَهْلَبِ الْمَوْدِعِ
فَقُلْنَا لَهَا لَا شَبَّ قَرْنُكَ فَاقْتَحَى * لَنَا بَابٌ مَا يَخْتَجِي مِنَ الْأَمْرِ تَسْمَعِ

- (١) يقال : أرب بكذا : كلف به ، وأرب إلى كذا : احتاج إليه . ولعل المراد : دعاني الشوق إليك .
(٢) التمريس : قيل هو نزول القدم في السفر آخر الليل يستريحون قليلا ثم يرحلون مع الصبح . وقيل : هو النزول أول الليل . وقيل : النزول في أى وقت كان من ليل أو نهار . والمراد هنا : لإقامة يوم أو لإقامة ليلة .
(٣) لم تزدج : لم تلبس الدرع ، يقال : دزجت الصبية إذا ألبست الدرع ، والدرع : جبة مشقوفة المقدم .
(٤) قال الأصمى : يقال أشبه الله وأشبه الله قرنه بمعنى واحد (وهو الدماء له بأن يشب ويكبر) ، والقرن زيادة في الكلام . والقرن : الضفيرة . والمراد الصجب من حديثها كما يقال في هذا المقام : لانتك الله .
(٥) البابة : الوجه والطريق ، قال تميم بن مقبل :

بني حامر ما تأمرون بشامر * تخير بابات الكتاب عجائبا

أى تخير عجائبا من وجوه الكتاب ، كما فسره صاحب اللسان . وللبابة شأن أنرى لا بأس من إيرادها وهى : القليل والنوع - كما قال الجاحظ في «كتاب الحيوان» ج ٢ ص ٤٥ : «فليس الديك من بابة الكلب لأنه إن ساوره قتله قتلا ذريعا» وقال أيضا في ح ٧ ص ٤٣ : «وقد أيقنا أنهما ليسا من بابته» . وقال في كتاب البلاء ص ٤٥ ، ١٤٣ : «أنت من ذى البابة ... وأما سائر حديث هذا الرجل فهو من هذه البابة» . ومثل ذلك في فتح الطيب ج ١ ص ٥٥٩ طبع لندن ، ج ١ ص ٣٩٨ طبع بولاق سنة ١٢٧٩ هـ قول القاضي محمد بن بشر الأندلسي :

إنما أرى يقدرى أنى * لست من بابة أهل البلد

وإذا قال الناس : «من بابتي» فعناه من الوجه الذى أريده ويصلح لى .

والشرط - ومثله ما فى «تاج المروس» : هذا بابته أى شرطه .

والغاية - ويستعمل ذلك فى الحساب والحسود . وهى «شعاع الليل» أنهم يقولون لعب خيال الظل بابة فيقولون : بابات خيال الظل ، وعلى ذلك قول آبن يماس المؤرخ المصرى : فكانوا مثل بابات خيال الظل فتشبه به . وهى : روح (بدائع الزهور فى وقائع الدهور ج ١ ص ٣٤٧) .

ويجوز أن يسمى به كل فصل من فصول التمثيل المباهة الآن فصول الرواية . (انظر كتاب التاج للجاحظ ص ٣٨

لَيْتَ هَذَا الْهَزْزَتَا مَا تَصِدُّ • وَشَقَّتْ أَهْسَتَا مَا تَجِدُّ^(١)
وَأَسْبَلْتُ مَرَّةً وَاحِدَةً • إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ^(٢)
وَلَقَدْ قَالَتْ لِبَارَاتٍ لَهَا • فَاتَ يَوْمٌ وَقَعَرَتْ تَبَرَّدُ^(٣)
أَكْمَا يَتَعْنَى تَبْصُرَتِي • عَمَّرَكُنَّ اللَّهُ أَمَّ لَا يَقْتَصِدُ^(٤)
قَتَاهُنَّ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا • حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ^(٥)
حَسَدًا حُمَلَتْهُ مِنْ أَجْلِهَا • وَقَدْ يَأْكُلُ النَّاسُ الْحَسَدُ

وله :

يَأْمَنْ لِقَلْبٍ دَنِيْفٍ مُفَرِّمٍ • هَامٌ إِلَى هِنْدٍ وَلَمْ يَنْظُرْ^(٦)
هَامٌ إِلَى رِيمٍ هَضِيمٍ الْحَشَى • صَدَّبِ الثَّنَا طَيْبُ الْمُبْسَمِ^(٧)
لَمْ أَحْسِبِ الشَّمْسَ بِلَيْلٍ بَدَتْ • قَبْلِي لَذَى لَحْمٍ وَلَا ذَى دَمٍ^(٨)

- (١) وجد به يجد وجدا : أحبه حبا شديدا ، وجد عليه يوجد وجدا : حزن . (٢) تبترد : تفصل بالماء البارد . (٣) كذا في الكامل ليرد طبع ليزح ص ٩٤ • وهي رواية جيدة . والتأنيف كالأهتاف والمهاقعة : ضحك به فتور كضحك المستهزئ . وفي الأغاني والديوان : « فتضا حكن » . وقد رجها الرواية الأولى لأنها كودى تمام المعنى المراد . (٤) هَامٌ تَعْدَى بِالْيَاءِ وَقَدْ صَحَّحْتُ هَذَا مَعْنَى صَبَا وَهَذَا تَعَدَّتْ بِأَلِ . (٥) كذا في الأغاني ، وفي ديوانه : « رزم » بالهمز . والرزم : الظبي الأبيض الخالص البياض ، وقيل ولد الظبي ، يميز ولا يميز . (٦) كذا في الأغاني ، وبين هذا البيت والذي قبله في ديوانه :

كَالشَّمْسِ بِالْأَسَدِ إِذَا شَرِقَتْ • فِي يَوْمٍ دَجَنَ بَارِدٍ مَقْسَمٌ

يريد بالأسد هنا سعد النجوم ، وهي عشرة : أربعة منها في برج الجدي والدلو يزها القمر وهي سعد الدجاج وسعد بلع وسعد الأحمية وسعد السعد وهو كوكب مفرد تير . وأما السعة التي ليست من المنازل فسعد ناضرة وسعد الملك وسعد الهام وسعد الهام وسعد البارع وسعد مطر . وكل سعد من هذه السعة كوكبان بين كل كوكبين في رأى العين قدر ذراع وهي متناسقة . وأما سعد الأحمية فتلافة أنجم كأنها أغافى ورايح تحت واحد منها . أنظر المرتضى والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للإمام العيني المطبوع بياض انخراجه ج ١ ص ٨ • في الكلام على البيت : إذا دبَّان منك يوما لقيه • أوتل أن ألقاك غدرا بأسد

وقال في اللسان في مادة «سعد» بعد أن ذكر هذه السعد : فأحسن ما تكون الشمس والقمر والنجوم في أيامها لأنك لا ترى فيها غيرة ، وقد ذكرها النابغة الذبياني فقال :

قَامَتْ تَرَامِي يَوْمَ يَبْغِي كَذِبٌ • كَالشَّمْسِ يَوْمَ طَلَعَهَا بِالْأَسَدِ

وقد ضبط خطأ في اللسان بفتح العين . وقال :

يَبْضَاهُ كَالشَّمْسِ وَافَتْ يَوْمَ أَسَدِهَا • لَمْ تَوْذَأْ أَهْلًا وَلَمْ تَحْمَسْ عَلَى حَارِ

قالت ألا إنك ذو مَلَّةٍ • يصيرُك الأذى عن الأقدم

قلت لها بل أنتِ ممتلئة • في الوصل باهندلُكي نصيري

بينما عمرُ بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، وهي تريد الركن تستلمه ، فُبِتَ لها رآها ورأته ، وعلت أنها قد وقعت في نفسه ، فبمَثَّ إليه بجارية لها وقالت : قولى له : أئني الله ولا تَقُلْ مُجرأ ، فإن هذا مقام لا بد فيه مما رأيت ، فقال للجارية : أقرئها السلام وقولى لها : ابنُ عمك لا يقول إلا خيرا ، وقال فيها :

لعائشة ابنة التيمي عندي • يمي في القلب ، لا يُرعى حماها

يُدُّ كُرْنِي ابنة التيمي ظبي • يروُدُ بروضة سهل رباها

فقلت له وكاد يرأغ قلبي • فلم أر قط كالיום أشبهاها

سوى حميش بساقك مستبين ^(١) • وأن شواك لم يُشبه شواها ^(٢)

وأنك عاطل حار وليس • ببارية ولا عطلي يداها

وأنك غير أفرع ^(٣) وهي تدلي • على المتبين ^(٤) أنهم قد كساها

ولو قعدت ولم تكلف بود • سوى ما قد كلفت به كفها

أظلل إذا أكلتها كاني • أكلم حية غلبت رقاها

تبيت إلى بعد النوم تبرى • وقد أسيبت لا أخشى سراها

ولنه :

لأني وأول ما كلفتُ بجها • عجب وهل في الحب من متعجب

فنت النساء قلت لستُ بمبصر • شبا لها أبدا ولا بمقرب

(١) الحبش : دقة الساقين • (٢) الثوى : الأطراف • (٣) الأفرع : طويل شعر الرأس •

(٤) الأهم : الأسود ، يريد به الشعر •

لَكُنَّ حِينَئِذٍ قُلْنَ تَوَجَّهَتْ * فَحُجَّ، مَوَدَّعًا لِقَاءَ الْأَخْشَبِ^(١)
أَقْبَلْتُ أَظُنُّ مَا زَعَمَنَ وَقُلْنَ لِي * وَالْقَلْبُ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكْذِبٍ
فَقَبِيضُهَا تَمِثُّ بِهَا بَقْلَاهَا * تَرَى الْجَارَ عَشْبَةً فِي مَوْكِ
غَرَاءَ يَمِثُّ النَّاطِرِينَ بِيَاضِهَا * حَوْرَاءَ فِي فُلُوَاءٍ عَيْشٍ مُجِيبِ^(٢)
إِنَّ الَّتِي مِنْ أَرْضِهَا وَسَمَائِهَا * جُلِيتَ لِحَنِكَ لَيْتَا لَمْ تُجَلِّبِ

وكان عمر بن أبي ربيعة يهوى كَلَمَ بنتَ سعدِ الخزَرميَّة، فأرسلَ إليها رسولا فضرَبَها وحلَقَها وأحلَقَها ألا تُعَاوِدَ، ثم أأدعها ثانية ففعلتَ بها مثلَ ذلك، فصاعَماها رُسُلُهُ؛ فابتاع أمة سوداءَ لطيفةَ رقيقةَ وأتى بها منزله فأحسنَ إليها وكساها وآسها وعرفها خبره وقال لها: إن أوصِلَ لي رُقعةً إلى كَلَمَ فقرأتها فانتِ حرةٌ ولكِ معيشتُك ما يَقيتُ؛ فقالت: اكْتُبْ لي مَكْتَبَةً^(٣) وأكُتِبْ حاجَتُك في آخرها، ففعلَ ذلك، فأخذتها ومضتَ بها إلى بابِ كَلَمَ فاستاذنتَ فخرجتَ إليها أمةٌ لها فساتنها عن أمرها؛ فقالت: مَكْتَبَةٌ لبعضِ أهلِ مولاتِكَ جئتُ أَسْتَعِينُها في مَكَاتِبِي، وحادثتها واشتدَّتْ حتى ملأتْ قلبها، فدخلتْ إلى كَلَمَ وقالت: إن بالبَّابِ مَكْتَبَةً لم أَرُ قَطُّ أَجَلْ منها ولا أكلَ ولا آدَبَ؛ فقالت: ائْذَنِي لها، فدخلتْ، فقالت: من كاتِبِكَ؟ قالت: عمرُ بنُ أبي ربيعةَ الفاسقُ! فأقرئني مَكَاتِبِي، فلدتَ يَدَها لتأخذها فقالت لها: لي عليك عهدُ الله أن تَقْرَئَها، فإن كان منك إلى شيءٍ أجمُ أحيُّه وإلا لم يَلْحَقَنِي منك مكرُوهٌ؛ فعاهدتها وقِطَنتُ وأعطيتها الكُتَّابَ، فإذا أوَّلُهُ:

من عاشقٍ صَبَّ يُسِرُّ الهوى * قد شَفَّهَ الوجدُ إلى كَلَمَ
وأَمَكَ عَيْنِي فدعاني الهوى * إِلَيْكَ لِلْحَيْنِ ولم أعلمْ

(١) الأخشب: مفرد الأخشين وهما جيلان بكه أحدهما أبو قيس والآخر قبيعان، ويقال: هما أبو قيس والجليل الأحمر المشرف هناك، وقد تمرد هذه للتنية فيقال لكل واحد منهما: الأخشب، قال ساعدة بن جؤبة.

ومقامهن إذا حبسن بمازم * ضيق ألف ومدهن الأخشب

(٣) في فلواء عيش: في أنضره وأرضه. (٣) المَكْتَبَةُ: أن يكتب الرجل عهده على مال يؤدِّيه إليه منجبا (مقسطاً) فإذا آذاه صار حراً، وصيحت كذلك لأنه يكتب على نفسه لمولاه عنه، ومولاه يكتب له عليه عهده.

قَتَلْنَا ، يَا جَبْدَا أُنْتُمْ • فِي غَيْرِ مَا جُرِمَ وَلَا مَاتُمْ
وَأَقْبَهُ قَدْ أَتَزَلَّ فِي وَحْيِهِ • مُيِّنَا فِي آيَةِ الْمُحْكَمِ
مَنْ يَقْتُلِ النَّفْسَ كَمَا ظَالِمًا • وَلَمْ يَقْدَحْ نَفْسَهُ بِظُلْمِ
وَأَنْتَ تَأْرِي قَتْلَاقَ دَمِي • ثُمَّ أَجْعَلِيهِ نِعْمَةً تُنْعِمِي
وَحَكْمِي عَدْلًا يَكُنُّ بَيْنَنَا • أَوْ أَنْتِ فِيهَا بَيْنَنَا فَأَحْكُمِي
وَجَالِسِي مَجْلِسًا وَاحِدًا • مِنْ غَيْرِ مَا طَارَ وَلَا عَصَرَمَ
وَخَبْرِي مَا الَّذِي عِنْدَكُمْ • بَالِقِهِ فِي قَتْلِ أَمْرِي مُسْلِمَ

فلما قرأت الشعر قالت لها : إنه خداع مليق وليس لما شكاه أصل ، قالت : يا مولائي ،
لما طلعك من أمتحانه ؟ قالت : قد أدت له وما زال حتى ظفر يفتته ! فقول له : إذا كان
المساء فليجلس في موضع كذا وكذا حتى يأتيه رسول ، فأنصرف الجارية فأخبرته فتأهب لها ،
فلما جاء رسولها مضى معه حتى دخل إليها وقد تبيأت أجل هيئة ، وزينت نفسها وجملمها
وجلست له من وراء ستر ، فسلم وجلس ، فتركته حتى سكن ثم قالت له : أخبرني هناك
يا فاسق ! ألسنت القائل :

هَلَّا أَرْعَوَيْتَ قَدْرِي صَبَا • صَدْيَانِ لَمْ تَدْعِي لَهُ قَبَا
جَسَمَ الزَّيَارَةِ فِي مَوَدَّتِكُمْ • وَأَرَادَ إِلَّا تُرْهِقِي ذَنْبَا
وَرَجَا مُصَالَحَةً فَكَانَ لَكُمْ • سَلَا وَكَيْتَ تَرْتِنَهُ حَرْبَا
يَا أَيُّهَا الْمُصْنِفِي مَوَدَّتَهُ • مَنْ لَا يَرَاكَ مُسَابِقًا خُطْبَا^(١)
لَا تَجْعَلْنِي أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا • أَحْبَبْتَهُ وَهَوَيْتَهُ رَبًّا
وَصِلِ الْحَيِّبَ إِذَا شَفِقتَ بِهِ • وَأَطِيعِي الزَّيَارَةَ دُونَهُ غِيَا
فَلَذَلِكَ أَحْسَنُ مِنْ مُوَاطَّئِهِ • لَسْتُ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبَا
لَا بَلْ يَمْلِكُ عِنْدَ دَعْوَتِهِ • يَقُولُ هَاهُ وَطَالَمَا لَسِي^(٢)

(١) الخطب : الخطاب . (٢) رهاه : كلمة وحيد ، وحرك لضرورة الشعر وقد روى البيت في ديوانه :

لَا بَلْ يَمْلِكُ ثُمَّ تَكُونُ يَسْمَعُ • يَقُولُ هَاهُ وَطَالَمَا لِي

ورأى عمر لِبَابَةَ بنت عبد الله بن العباس امرأة الوليد بن حُبَّة بن أبى سفيان تَطُوفُ
باليث فرأى احسنَ خلق الله ، فكلد عقله يذهب ، فسأل عنها فأخبر بنسبها ، فَنَسَبَ بها
وقال فيها :

وَدَّعَ لِبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَهْرَجَلا • وَأَسْأَلَ فَإِنَّ قُلَّالَهُ أَنْ تَسْأَلَ
الْبَثَ بِعَمْرٍكَ سَاعَةً وَتَأْتِيَهَا • فَلَمَّ مَا بَجَلَتْ بِهِ أَنْ يُسْأَلَ
قَالَ أَتَمَّرَ مَا شِئْتَ خَيْرُ خَالَفٍ • فَمَا هَوَيْتَ فَإِنَّا لَنْ تَجِبَلَ
لَسْنَا نُبَالِي حِينَ تَقْضِي حَاجَةً • مَا بَاتَ أَوْ ظَلَّ الْمَطَى مُعَقَّلًا
حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ ظَلَامُهُ • وَرَقِبْتُ غَفْلَةً كَأَنَّمَا أَنْ يَجْهَلَ
خَرَجْتُ تَأْطُرُ فِي الثِّيَابِ كَأَنَّمَا • أَيْمٌ يَسِيبُ عَلَى كَيْفٍ أَهْيَلًا
رَجَبْتُ حِينَ رَأَيْتُهَا تَهَسَّتْ • لَتَحْيَى لِمَا رَأَيْتُ مُقْبِلًا
وَجَلَّ الْقِنَاعُ بِحَبَابَةٍ مَشْهُورَةٍ • غَرَّاءُ تُغْنِي الطَّرْفَ أَنْ يَتَمَلَّأَ
فَلَبِثْتُ أَرْقِيهَا بِمَا لَوْ طَافِلُ^(١) • يُرْقَى بِهِ مَا أَسْطَاعَ إِلَّا يَزَلَا

وَجَحَّتْ رَمْلَةً بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ الْخَزَاعِيَّةُ فَقَالَ فِيهَا :

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحِبَالِ رَهِينًا • مُقْصِدًا يَوْمَ قَارَقَ الطَّاعِنِينَ
عَجَلْتُ حُمَةً الْقِرَاقِ عَلَيْنَا • بِرَحِيلٍ وَلَمْ يَخْفَ أَنْ تَبْهِنَا
لَمْ يَرْغَبْنِي إِلَّا الْفَتَاةُ وَإِلَّا • دَمْعُهَا فِي الرَّدَائِ بِهَا سَيْنَا
وَلَقَدْ قُلْتُ يَوْمَ مَكَّةَ سِرًّا • قَبْلَ وَشِكِّكَ مِنْ بَيْنِكُمْ تَوَلَّيْنَا
أَنْتِ أَهْوَى الْعَبَادِ قُرْبًا وَدَلًّا • لَوْ تُنِيلِينَ طَاشِقًا مَحْزُونًا
قَادَهُ الطَّرْفُ يَوْمَ مَرٍّ إِلَى الْحِيَةِ • مِنْ جِهَارًا وَلَمْ يَخْفَ أَنْ يَجِيَنَّا

(١) القلال كغراب وصحاب : القليل . (٢) اتهم ما شئت : افضل ما شئت فإننا لا نعصى لك أمرا .

(٣) تأطر : مخلوقة إحدى تاديه ، أى تتلى . (٤) الأيم : الحية . (٥) يقال : عقل الومل

يقطع عقولا : استمع في الجبل ، وبه سمى الومل ما قلا على حد التسمية بالصفة ، ومنه المثل : « إنما هو بجراح

الأروى قليلا ما يرى » . والأروى : جمع أروية وهى تيموس الجبل البرية .

فإذا نَجْمٌ تَرَاوَى نِجَابًا * وَمَهَا جُجَجُ الْمُنَاطِرِ عَيْنًا
 قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَلَّتْ وَقَالَتْ * أُمِّدْ سِوَالِكَ الْعَالَمِينَ^(١)
 قُلْتُ بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالَةِ لِمَا * أَنْ تَبْلُغَ الْفُؤَادَ أَنْ تَصْلُقِيَا
 أَيْ مِنْ تَجَمُّعِ الْمَوَاسِمِ قَوْلِي * وَأَبْنِي لَنَا وَلَا تَكْثُبِينَا
 نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ وَكُنَّا * قَبْلَهُ قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
 قَدْ صَدَقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَنَازَ * سَتَ عَسَى أَنْ يَخْرُشَأَنَّ شُرُونَا
 وَتَرَى أَنَا عَرَفْنَاكَ بِالْعَمَى * سِتَ بَطْنٌ وَمَا قَتَلْنَا يَقِينَا
 بِسَوَادِ الثَّيْبَيْنِ وَتَبْتَ * قَدْ تَرَاهُ لَنَاظِرٍ مُسْتَبِينَا
 وَقَالَ فِي الثَّرِيَا وَقَدْ صَرَّمَتْهُ .

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَوَيْ * ضِغْتُ دَرَقًا يَهْجُرُهَا وَالْكَثَابِ
 سَلَبْتِي بِجَاجَةِ الْمَسْكِ عَقْلِي * فَسَلُّوْهَا مَاذَا أَحَلَّ أَفْثَصَابِي
 وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحِيرُ مِنْهَا * فِي أَدِيمِ الْخُدَيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
 بَرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى * بَيْنَ تَعْمِينَ كَوَاصِبِ أَثْرَابِ^(٢)
 نَمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ يَهْرًا * عَدَدَ الْقَطَرِ وَالْحَصَى وَالتَّرَابِ
 أَزْهَقْتُ أَمْ تَوْفَلِي إِذْ دَعَّيْتُهَا * مُهْجَنِي ، مَا لِقَائِي مِنْ مَتَابِ^(٣)
 حِينَ قَالَتْ لِمَا أَحْبَبِي فَقَالَتْ * مَنْ دَعَانِي قَالَتْ أَبُو الْخَطَّابِ
 فَاسْتَجَابَتْ عِنْدَ الدَّعَاءِ كَمَا لَحِي * رَجَالٌ يَرْجُونَ حَسَنَ الثَّوَابِ

(١) قَالَ فِي الْبَدَاءِ مَادَّةٌ يَدْبِدُ أَنْ أَوْرَدَ هَذَا الشُّطْرَ : «مَعْنَاهُ أَمَقِّمِ أَنْتِ سِوَالِكَ عَلَى النَّاسِ وَاحِدًا وَاحِدًا حَتَّى تَصِفِيَهُمْ» . مِنْ الْبَدَاءِ وَهُوَ أَنَّ يَدُ الْمَالِ الْقَوْمِ يَقْسِمُ بَيْنَهُمْ ، وَأَيُّهُمْ الْمَالُ وَالْعِلَاقَةُ : فَرَفَهُ فَعِيْمُ ، وَالْمُرَادُ : لِمَاذَا سَأَلْنَا ! أَلَمْ تَكُنْ سِوَالًا عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ ! . أَوْ مَعْنَاهُ : «أَنْتِ تَلْمِزُ سِوَالِكَ النَّاسِ» ، مِنْ قَوْلِهِ : مَا لَكَ مِنْ يَدٍ ، وَالْمُرَادُ : أَنْتِ تَلْمِزُنَا الْإِجَابَةَ مِنْ سِوَالِكَ ! إِنَّا لَا نَحْبِيكُ . (٢) حِجَابَةُ الْمَسْكِ ، يَرِيدُ بِذَلِكَ وَصْفَهَا بِطَبِيبٍ رَقِيْقًا وَبِأَنَّهُ كَالْمَسْكِ . (٣) تَهَادَى ، يَرِيدُ يَدِي بِصَحْبَا فِي مِثْلَيْهَا (الْكَامِلُ لِلْبَرْدِ طَبِيعُ لِيَزِجُ ص ٣٧٩) . (٤) فِي الْكَامِلِ لِلْبَرْدِ طَبِيعُ لِيَزِجُ ص ٣٧٩ : أَزْهَقْتُ : أَجْلَلْتُ وَأَذْهَبْتُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (يُذِيقُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) اهـ . يَرِيدُ : أَذْهَبْتُ أَمْ تَوْفَلِي إِذْ دَعَيْتِ الثَّرِيَا لَوْصَالِي فَلَمْ تَجِبْهَا .

ومن شعره :

كَبِهْتُ إِلَيْكَ مِنْ بِلْدِي * كَتَابَ مُؤَلَّهِ تَحْمِيدِ
كَيْفَ وَأَكْفَ الْعَيْدِ * نِ بِالْحَسَرَاتِ مَنْفَرِدِ
يُورِقُهُ لَيْبُ أَلْشَوِ * قِي بَيْنَ السَّحْرِ وَالْكَدِ
فِيُسِيكَ قَلْبَهُ بَيْدِ * وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ بَيْدِ

لما تزوج سُهَيْلُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الثُّرَيَّا وقلها الى الشام، بلغ عمرَ بَنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْخُبَرُ، فَأَتَى لِلتَّرْلِ الَّذِي كَانَتْ الثُّرَيَّا تَتَرَّلُهُ، فَوَجَدَهَا قَدْ رَحَلَتْ مِنْهُ يَوْمِيذًا، فخرَجَ فِي أَثَرِهَا فَالْحَقَهَا عَلَى مَرَحَتَيْنِ، وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ مُهَاجِرَتَهُ لِأَمْرِ أَنْزَلَتْهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُمْ زَلٌّ عَنْ فَرَسِهِ وَدَفَعَهُ إِلَى غَلَامِهِ وَمَشَى مُتَنَكِّرًا حَتَّى مَرَّ بِالْخَلِيمَةِ، فَعَرَفَتْهُ الثُّرَيَّا وَأَثْبَتَتْ حَرَكَتَهُ وَمِشْيَتَهُ، فَقَالَتْ لِحَاضَتِهَا : كَلْبِي، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ وَعَاتَبْتُهُ عَلَى مَا بَلَغَ الثُّرَيَّا عَنْهُ، فَاعْتَذَرَ وَبَكَى، فَبَكَتِ الثُّرَيَّا، فَقَالَتْ : لَيْسَ هَذَا وَقْتُ الْعِتَابِ مَعَ وَشَكِ الرَّحِيلِ، فَخَادَتْهَا إِلَى وَقْتِ طُلُوعِ الْفَجْرِ ثُمَّ وَدَعَهَا وَبَكَيًا طَوِيلًا، وَقَامَ فَرَكِبَ فَرَسَهُ وَوَقَّفَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَرْحَلُونَ، ثُمَّ أَتَبَعَهُمْ بِصَرَةٍ حَتَّى غَابُوا، وَأَنشَأَ يَقُولُ :

يَا صَاحِبِي قِفَا نَسْتَخِيرُ الطَّلَلَا * عَنْ حَالِ مَنْ حَلَّهَ بِالْأَمِيسِ مَا فَعَلَا
فَقَالَ لِي الرَّيُّ لَمَّا أَنُفَ وَقَفْتُ بِهِ * إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَ الْبَيْنِ فَاحْتَمَلَا^(٦)
وَخَادَعْتُكَ النَّوَى حَتَّى رَأَيْتَهُمْ * فِي الْفَجْرِ يَحْتَثُّ حَادِي عِيَسِهِمْ زَجَلَا^(٨)

(١) يقال : وكفت العين : سالت دموعها . (٢) السحر : الرقة .

(٣) أى مرقتها حتى المرقعة . (٤) لحاضتها : لمريتها . (٥) يرحلون يشدون على إلهم الرجال . (٦) أجدة البين : اعترته . (٧) احتمل : ارتحل . (٨) النوى : الفراق والبعد . ويحث : يسوق . وزجلا : راضا صوته في حذاء الإبل لتسرع في السير، وأصل الزجل الجلبة ورفع الصوت ونحس به الصلرب، وأشد سبويه في وصف حمار وحش :

له زجل كأنه صوت حاد * إذا طلب الوسيقة أو زعيم

وذكره في باب ما يحتمل الشعر من استباحة الضرورة، وهى هنا حلف الوار الميعة لحركة الهاء في قوله : كأنه . والوسيقة : أثناء التى يضيها ويجمعها، من وسقت الشيء : جمعه .

لما وقفنا نحيمهم وقد صرخت * هواتف البين وأسولت بهم أصلا^(١)
صلت زنادا وقالت لاقى معها * بالله لوييه في بيض الذي فعلا
وحديثه بما حدثت وأسئمتي * ماذا يقول ولا تعي به جدلا^(٢)
حتى يرى أن ما قال الوشاة له * فينا لديه إلينا كله فعلا
وصرفيه به كالمزول وأحفظي * في بعض معتبة أن تنفي الرجل
فإن عهدي به والله يحفظه * وإن أتى الذنب ممن يكره العذلا
لو عندنا أغيب أو نيكث نقيصته * ما أبى مقابله من عندنا جدلا
قلت أسئمتي فلقد أبلغت في لعلي^(٣) * وليس يخفى على ذي اللب من هزلا
هذا أردت به بخلا لأعذرهما * وقد أرى أنها لن تقدم العذلا
ما شئى القلب إلا من قلبه * ولا الفؤاد فؤادا غير أن عقلا^(٤)
أما الحديث الذى قالت أبيت به * لما عبات به إذ جاءنى حولا
ما إن أطلعت بها بالغيب قد علمت * مقالة الكاشع الواشى إذا محلا
إنى لأزججه فيها بسخطنه * وقد يرى أنه قد غرى زلا
وهى قصيدة طويلة مذكورة فى شعره .

(١) فى ديوانه :

لما وقفنا نحيمهم وقد شطت * نامة البين فأسولت بهم أصلا

وشطت نامة البين : ارتحلوا وكثرهم البين ، وفى اللسان مادة ضم وشال : يقال للقوم إذا ارتحلوا عن منزلهم
أو تفرقوا : قد حفت نائمهم وشالت نائمهم ، والأصل : جمع أصيل وهو العشى وقيل هو مفرد ، أشد نمل :
ومضرت نفسى لذلك ولم أزل * بدلا نهارى كله حتى الأصل

قوله : بدلا نهارى لله ، يدل على أن الأصل هاهنا واحد . (٢) لا تعي به جدلا : لا تسبى فى مجادله .
(٣) اللطف لفة فى اللطف . (٤) قال فى السان : والضود : التوقد ، والفؤاد : القلب لتوقده
وتوقده . وقال فى القاموس وشرحه : والضود : التحرق والتوقد ، ومنه الفؤاد للقلب ، لأن عقل الفؤاد للعلومات
نتيجة اشتغاله وتوقده وتحركه وجعله فيها حتى يحصها ، ويميز الصحيح من الفاسد والحق من الباطل .

وله :

هل تعرف الدار والأطلال والدمنا * زينت الفؤاد على علامته حزنا
دار لا سماء قد كانت تحمل بها * وأنت إذ ذاك قد كانت لكم وطنا
لم ينجب القلب شيئا مثل حبكم * ولم تر العين شيئا بعدكم حسنا
ما لبث أبالي أدام الله قربكم * من كان شط من الأحياء أو ظعنا
فإن تأيتم أصاب القلب تأيكم * وإن دنت داركم كنتم لنا مسكنا
إن ينجلي لا يسأل القلب بجلكم * وإن تجودى فقد عنتني زما
أسمى الفؤاد بكم يا هند مرثنا * وأنت كنت الهوى والهم والوسنا
إذ تستيك بمصقول عوارضه * ومقلتي جودير لم يعد أن شدنا

وقال :

أعبد ما ينسى مودتك القلب * ولا هو يسليه رخاء ولا كرب
ولا قول وإش كاشع ذى عداوة * ولا بعد دار إن تأيت ولا قرب
وما ذاك من نعى لديك أصابها * ولكن حب ما يقاربه حب
فإن تقبلي يا عبد توبة تأيب * يتب ثم لا يوجد له أبدا ذنب
أذل لكم يا عبد فيما هويتم * وإنى إذا ما راضى غيركم صعب
وأعد نفسي فى الهوى فتعوقني * ويأصرنى قلب بكم كلف صب
وفى الصبر عمن لا يؤاتيك راحة * ولكنه لا صبر عندى ولا لب
وعبد بيضاء المحار طفلة * متعة نفسي الحليم وما تصبو
قطوف من الحور الأوانس بالضحى * متى تمش قيس الباع من بهرها تربو
فلست بناس يوم قالت لأريج * نوايم غر كلهم لها تربو
أليت شعرى فيم كان صدوده * أعلق أخرى ! أم علم به

وقال :

إِنَّ طَيْفَ الْجِبَالِ حِينَ أَلَمَا * هَاجَ لِي دُكْرَةٌ وَأَخَذَتْ مَهْمَا
 جَدْدِي الْوَصْلَ بِاسْكَيْنَ وَجُودِي * لِيَحِبُّ رَجِيلُهُ قَدْ أَحْمَا
 لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا * أَنْ يَرُدُّوا جَمَاهُمْ فَرَمَا
 وَلَقَدْ قَلْتُ خُفْيَا لِفَرِيضٍ * هَلْ تَرَى ذَلِكَ الْفَزَالَ الْأَحْمَا
 هَلْ تَرَى فَوْقَهُ مِنَ النَّاسِ خُفْيَا * أَحْسَنَ الْيَوْمِ صُورَةً وَأَحْمَا
 إِنْ تُبْلِي أَعَشَ بِحَيْرٍ وَإِنْ لَمْ * تَبْذُلِ الْوَدَّ مَتَّ بِالْهَمِّ غَمَا

وله أيضا :

أَيَا مَنْ كَانَ لِي بَصَرًا وَتَمَحَّا * وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْ بَعِيرِي وَتَمَيَّ
 وَعَمَّنْ حِينَ يَذْكُرُهُ فُؤَادِي * يَفِيضُ كَمَا يَفِيضُ الْقَرْبُ دَمَيَّ
 يَقُولُ الْعَاذِلُونَ نَأَتْ قَدَعَهَا * وَذَلِكَ حِينَ تَهَيَّأِي وَوَلِيَّ
 أَأَهْجُرُهَا فَأَقْعُدُ لَا أَرَاهَا * وَأَقْطَعُهَا وَمَا هَمَّتْ بِقَطْطِي
 وَأَصْرِمُ جَبَلَهَا لِقَبَالٍ وَاشِ * وَأَجْمَعُهَا وَمَا هَمَّتْ بِفَجْجِي
 وَأَقِيمُ لَوْ خَلَوْتُ بِهِجْرٍ هِنْدٍ * لَفَضَاقَ بِهِجْرُهَا فِي النَّوْمِ قَذْرِي

وهو القائل :

مَا كُنْتُ أَشْعُرُ إِلَّا مُدَّ عَرَقَتُكُمْ * أَنَّ الْمَصَاحِجَ تُنْمِي ثُبُوتَ الْإِبْرَا
 لَقَدْ شَقِيقُ وَكَانَ الْحَيْنُ لِي سَبِيًّا * أَنْ عَلَّقَ الْقَلْبُ قَلْبًا يُسْبِيهِ الْجُجْرَا
 قَدْ كُنْتُ قَلْبِي فَأَعْيَانِي بِوَاحِدَةٍ * وَقَالَ لِي لَا تُكْمِنِي وَأَدْفَعِ الْقَدْرَا
 إِنْ أُنْكَرَ الطَّرْفَ بِمَحْزُونٍ غَيْرِكُمْ * وَلَسْتُ أَحْسِنُ إِلَّا نَحْوَكِ النَّظْرَا
 قَالُوا صَبَوْتُ فَلَمْ أَكْذِبْ مَقَالَتَهُمْ * وَلَيْسَ يَنْسَى الْعَبَا إِنْ وَالِهَ كِبْرَا

وقال أيضا :

أَلَا لَيْتَ قَبْرِى يَوْمَ تُقْضَى مَنَاقِى * بَتَكَ الِى مِن بَيْنَ عَيْتَيْكَ وَالنِّمِ
وَلَيْتَ طُهُورِى كَانَ رِيْقِكَ كَلَّةً * وَلَيْتَ حَنُوطِى مِنْ مُشَاشِكَ وَالْدَمِ
أَلَا لَيْتَ أُمَّ الْفَضْلِ كَانَتْ قَرِيْقَى * هُنَا أَوْ هُنَا فِي جَنَّةٍ أَوْ جَهَنَّمَ

نظر عمر بن أبى ربيعة فى الطواف الى امرأة شريفة فرأى أحسن خلق الله صورةً
فذهب عقله عليها وكلها فلم يُجِبْهُ ؛ فقال فيها :

الرِّيحُ تَسْحَبُ أَذْيَالًا وَتَنْشُرُهَا * يَا لَيْتَى كُنْتُ مِمَّنْ تَسْعَبُ الرِّيحُ
كَمَا تَجْرُبُنَا ذِيلاً فَتَطْرَحُنَا * عَلَى الِى دُونَهَا مُسْبِرَةٌ سُوحُ^(١)
أَيُّ بُرْصِكُمْ أَمْ كَبَفَ لِي بِكُمْ * هَيَاتَ ذَلِكَ مَا أَمَسْتُ لَنَا رُوحُ^(٢)
فَلَيْتَ ضِعْفُ الَّذِى أَلْقَى يَكُونُ بَهَا * بَلْ لَيْتَ ضِعْفُ الَّذِى أَلْقَى تَبَارِيحُ^(٣)
أَحْدَى بُنْيَاتِ عَمِّى دُونَ مَرَلَهَا * أَرْضُ بَقِيعَاتِهَا الْقَيْصُومُ وَالشَّيْحُ^(٤)

فلَبَّهَا شعره جَزَعَتْ منه ، فقبل لها : اذكريه لزوجك ، فإنه سيُنكِرُ عليه قوله ، فقالت :
كَلَّا وَاللَّهِ لَا أَشْكُوهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ ، ثم قالت : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ نَوَّهَ بِاسْمِي ظَالِمًا فَاجْعَلْهُ طَعَامًا
لِلرِّيحِ ، فَضَرَبَ الدَّهْرُ مِنْ ضَرْبِهِ ؛ ثم إنه غدا يوماً على فرس فهبَّتْ رِيحٌ فَتَزَلَّ فَاسْتَرَجَعَ^(٥)
بَسَامَةً ، فَصَصَفَتِ الرِّيحُ فَعَدَّشَهُ غَضَنٌ مِنْهَا ، فَدَمِيَ وَوَرِمَ بِهِ وَمَاتَ مِنْ ذَلِكَ .

(١) هذا أحد الوجهين فى العمل الواقع بعد كذا : الرِّيحُ عَلَى أَنْ مَا كَافَتْهَا مِنَ الْعَمَلِ ، وَالنَّصَبُ عَلَى أَنْتَ
مَا زَائِدَةٌ وَكَيْ عَامِلَةٌ فِيهَا بَعْدَهَا ، وَقَدْ رَوَى بِالْوَجْهِينِ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعِ فَصَرَّ فَإِنَّمَا : يَرْجَى الْعَلَى كَمَا يَضُرُّ وَيَنْعَمُ

(٢) مسبرة ، يريد بها القفلة المجدبة . (٣) سوح : جمع ساحة وهى الفضاء . (٤) تباريح
الشوق : توجبه ، قال السيد محمد مرتضى : قال شيخنا وهو من الجملوع الذى لا مفرد لها وقيل : مفردة تدرج
وأستعمله المحدثون وليس بثبت . (٥) قال فى اللسان : القيصوم : ما طال من العشب ، ثم قال :
والقيصوم من نبات السهل قال أبو حنيفة : القيصوم من الذكور ومن الأمراء وهو طيب الرائحة من رياحين البر
ودرقه هذب وله نورة صفراء وهى تنهض على ساق وتطول .

(ب) الغزل العذري

حمل^(١)

قال نُصَيْب مولى عبد العزيز بن مروان: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَسَأَلْتُ عَنْ أَمَلِ أَهْلِهَا بِالشَّعْرِ، فَقِيلَ لِي: الْوَلِيدُ بْنُ سَعِيدِ الْأَشْجَعِيِّ، فَوَجَدْتَهُ بِشُعْبٍ سَلَّمَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَزْهَرَ، فَإِنَّا بِلُحُوسٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ طَوِيلٌ بَيْنَ الْمَتَكَيْنِ يَقُودُ رَاحِلَةً

(١) هو جميل بن عبد الله بن معمر من عذرة، وكان شاعرا فصيحاً مقدماً جامعاً للشعر والرواية. اشتهر بحبه بئنة ابنة حمه، ولذلك عرف بجميل بئنة، وكانا يقفان في وادي القرى، وكان أول عهدهما وهي صغيرة. ومن أرائل نظمها فيها قوله:

وأول ما قاد المودة بيننا * يروا دى بغيض يا بئنين سباب

وقلت لها قولاً بلغات بمنته * لكل كلام يا بئنين جواب

ولم يحسن يراها حتى صارت شابة، فأخذ ينظم القصائد فيها حتى اشتهر أمره. وأتفق مرة أن توبة بن الحميز صاحب ليل مر بئنة عذرة فراهته بئنة فجعلت تنظر إليه وجميل حاضر فثارت الغيرة في قلب جميل، فقال لتوبة: من أنت؟ قال: أنا توبة بن الحميز، قال: هل لك في الصراع؟ قال: ذلك إليك، فأعطته بئنة ملاءة حمراء فأترربها، ثم صارده فصره جميل. ثم قال: هل لك في النضال؟ قال: نعم، ففاضله فضله جميل. ثم قال: هل لك في السباق؟ قال: نعم. فسابقه سبقه جميل. فقال له توبة: يا هذا، إنما فعل ذلك بريح الجلالة، ولكن اهبط بنا الوادى، فهبط، فصره توبة ونضله وسبقه.

وكان عند بئنة مثل ما عند جميل، ولما رأت ما ضلته عنها زادت شعفاً، ولكنهما لم يكونا يجتمعان إلا لحمة على موعد. ولم يكن جميل يحل من الرقباء، لكنهم لم يستطيعوا دمه بريئة. وأغباره معها كثيرة لا يسما هذا المقام. ولم يزل يجتمع بها سرا عن أهلها، فألحوا بالشكوى منه إلى العامل، فقرر إلى اليمن حتى عزل العامل. وانقطع أهل بئنة الشام، فرحل جميل إليهم، فقصده وشكوه إلى عشيرته، فصنع أهله وهددوه، فأقطع عنها، وأغبرها بطلاً إلى مصر، وعاملها عبد العزيز بن مروان، فأحسن وفادته، ومرص هناك ومات. وكان طويل القامة عريض بين المتكئين جميل الخلق حسن البرة. توفي سنة ٨٢ هـ.

ولجميل ديوان شعر كبير كان مشهوراً في أيام ابن خلكان ولم ينف على حده، ولكن من أشعارها مجموعة في كتاب من نسخة خطية في مكتبة برلين.

أنظر الكلام على جميل في الأغاني ج ٧ ص ٧٧ وح ١ ص ٨٠ وابن خلكان ج ١ ص ١١٥ ونزارة

الأدب ج ١ ص ١٩١ والشعر والشعراء ص ٢٦٠

عليها بزة حسنة، فقال عبد الرحمن بن حسان لعبد الرحمن بن أذهر : يا أبا جبرة هذا جميل فادعه لعله يُنشدنا؛ فصاح به عبد الرحمن : هيا جميل؛ فألثفت فقال : من هذا ؟ فقال : أنا عبد الرحمن بن أذهر؛ فقال : قد علمت أنه لا يحترى على إلا مملك، فأتاه، فقال له : أنشدنا؛ فأنشدهم :

ونحن منمتا يوم أول نساءنا * ويوم أقي والأمنة ترعف^(١)
يُحبّ الغواني البيض ظلّ لوائنا * اذا ما أمانا الصارخ المتلهف
نسير أمام الناس والناس خلفنا * فإن نحن أومانا الى الناس وقفوا
فأى معد كان في رماحه * كما قد أفانا والمفانير ينصف
وصكنا اذا ما معشر نصبوا لنا * ومرت جوارى طيرهم وتميفوا^(٢)
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة * بما سوف تُوفيها اذا الناس طقفوا^(٣)
اذا استبق الأتواء مجدا وجدنا * لنا معروفا مجيد وللناس معروف

ثم قال له : أنشدنا هزجا؛ قال : وما الهزج ؟ لعله القصير؛ قال : نعم، فأنشده :

رسم داي وقت في طلله * كدت أفضى الحياة من جلله^(٤)
موحشا ما ترى به أحدا * تنسج الرشح ترب معتديه
وصريعا بين الثمام ترقى * عازفات المدب في أسله
بين علباء رائش قبل^(٥) * فالغسيم الذي الى جيله
واقفا في ديار أم جسير * من صحى يومه الى أصله
يا خليل لمت أم جسير * حين يدنو الضجيج من غلله^(٦)
روضة ذات حنوة ونزاعى * جاد فيها الربيع من سبله^(٦)
بيننا نحن بالأراك معا * اذ بدا راكب على جماله

- (١) ترعف : قطردما . (٢) تميفوا : من العيافة، وهى زجر الطير والاعتبار بأسمائها ومساقطها وأصواتها، فيتمدد أريشام . (٣) التلطف : قص الكيل . (٤) من أحله . (٥) الغلال : جمع غلة، وهى ما يتوارى فيه أورشار تحت الثوب . (٦) السبل : المطر .

فَنَاطَرْتُ^(١) ثُمَّ قَلْتُ لَهَا • أَكْرِمِهِ خُبَيْتٍ فِي نَزَلِهِ
 فَظَلَمْنَا بِنَعْمَةٍ وَأَتَمَّكَانَا • وَشَرِينَا الْحَلَالَ مِنْ قُلَلِهِ
 قَدْ أَصَوْنُ الْحَدِيثَ تَوْنُ أَيْج • لَا أَخَافُ الْأَذَاةَ مِنْ قَبْلِهِ
 غَيْرَ بِنِضٍ لَهُ وَلَا مَلِيقٍ • غَيْرَ أَنِّي أَتَمَّحْتُ^(٢) مِنْ وَجَلِهِ
 وَخَلِيلٍ صَافِيَتْ مَرْتَضِيَا • وَخَلِيلٍ فَارَقْتُ مِنْ مَلَلِهِ

ثم افتاد راحته موليا؛ فقال ابن الأزهري : هذا أشعر أهل الإسلام؛ فقال ابن حسان :
 نعم والله وأشعر أهل الجاهلية، والله ما لأحد منهم مثلُ هجائه ولا نسييه؛ فقال عبد الرحمن
 ابن الأزهري : صدقت .

قال محمد بن مسلام : كان لكثير في النسيب حظاً وافر، وجميلٌ مقدم عليه وعلى
 أصحاب النسيب في النسيب ، وكان جميلٌ صادق الصَّباة والعشق ، ولم يكن كثيرٌ بعاشق
 ولكنه كان يتقَوَّل ، وكان الناس يستحسنون بيت كثير في النسيب ، وهو :

أُرِيدُ لَا نَسِي ذَكَرَهَا فَكَأَنَّمَا • تَمَثَّلُ لِي لَيْسَ بِكُلِّ سَبِيلِ

ورأيت من يفضل عليه بيت جميل :

خَلِيلٌ فَمَا عَشْتَا هَلْ رَأَيْتُمَا • قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي

قيل إن بشينة وأعدت جميلاً أن يلتقيا في بعض المواضع ، فأتى لوطدها، وجاء أعرابي
 يستضيف القوم ، فأنزلوه وقروه ، فقال لهم : قد رأيتُ في بطن هذا الوادي ثلاثة نفر متفرقين
 متوارين في الشجر وأنا خائفٌ عليكم أن يسلبوا بعض إبلكم ، فمروا أنه جميل وصاحبه ،
 فحرسوا بشينة ومنعوها من الوفاء بوعده ، فلما أسفر له الصبح انصرف كئيباً سيئ الظن بها
 ورجع إلى أهله ؛ فجعل نساء الحى يقرعنه بذلك ويقلن له : إنما حصلت منها على الباطل
 والكذب والفدر، وغيرها أولى بوصلك منها ، كما أن غيرك يحظى بها ؛ فقال في ذلك :

فأجبتُها بالقول بمد تستر • حتى بُثِّنتَ عن وصالِكِ شاعِل
أُبَيِّنُ إنك قد ملكتِ فاصِحِي ^(١) • وخُذِي بحظِّك من كريم واصل
فلرب عارضية علينا وصلها • بالحدِّ تحيطه بقول المازل
لو كان في صدرى كقدر قَلَامِي • فضلاً وصلِّك أو أئتِكِ رسائلي
ويقلن إنك قد رضيت بياطل • منها فهل لك في اجتناب الباطل
ليُزِلَنَّ عنك هَوَايَ ثم يَصِلَنِي • وإذا هَوَيْتُ فما هَوَايَ بزال
صادت فَوَادِي يَا بُنَيَّ حبالكم • يوم الجُمُونِ وأخطائكِ حبال
مَتَّيْنِي قَلَوِيَّ ما مَتَّيْنِي • وجعلتِ عاجل ما وعدتِ كآجل
وتناقلتِ لما رأتِ كلَّيَّ بها • أحِبِّ الـ بذاك من متناقل
وأطعتِ في عواذِلَا فهجرتني • وعصيتُ فيك وقد جهَدَنَ عواذِل
حاولتُني لأبُتَّ حبلَ وصالكم • مني ولستُ وإن جهَدَنَ بفافل
فرددتُهنَّ وقد سَعَيْنَ بهجركم • لما سعين له بأفوق ناصِل ^(٢)
يَعْضُضْنَ من غِيْظٍ على أناملًا • ووددتُ لو يَعْضُضْنَ صُمَّ جَنَادِل
ويقلن إنك يا بُنَيَّ بخيلةٌ • نفسى فدائِكِ من ضيئين باخل

وقال جميل في وعد بثينة بالطلاق وتأثرها قصيدةً أولها :

يا صاحِبَ عن بعض الملامة أَفْصِر • إن المُنَى لَلِقَاءِ أُمِّ الْمَسُورِ

ومنها :

وكانت طارِقها على طَلِّ الكَرَى • والنجمُ وهنا قد دنا لتغور
يَسْتَأْفِ رِيحُ مَدَامِيَّةٍ مَعْجُونَةٍ • بذِكِّي مسِكٍ أو يَحْيِي العنبر ^(٣)

(١) أجبني : أحسن العو . (٢) الأفوق : السهم الذي كسره ، وهو مشق رأس السهم

يقع الوتر . واصل : لا فصل فيه . (٣) يستاف : يشم .

ومنها :

إني لأحفظ غيبكم ويسرنى * اذ تذكرين بصلاح أن تذكرى
ويكون يوم لا أرى لك مرسلاً * أو تلتقى فيه على كاشهر
يا ليتنى ألقى المنيّة بقتة * إن كان يوم لقائكم لم يقدر
أو أستطيع تجلداً عن ذكركم * فيفنيق بعض صباحى ونفكري

وفيه يقول :

لو قد نجت كما أجت من الهوى * لمذرت أو لظلمت إن لم تمذر
والله ما للقلب من علم بها * غير الظنون وغير قول الخير
لا تحسب أنى هجرتك طامعا * حدثت لعمرك راع أن تهجرى
فلبيكن البايات وإن أجت * يوما بسرّك مُعلنا لم أعذر
يهواك ما عشت القواد فإن أمت * يتبع صدأى صدك بين الأقر
إنى اليك بما وعدت لناظر * نظر الفقير إلى الفنى المكثّر
بعد الديون وليس يُجز موعدا * هذا الغريم لنا وليس بمُسير
ما أنت والوعد الذى تعديتى * إلا كبريى محابة لم تُطسر
قلبي نصحت له فردت نصيحتى * متى هجرتيه فنه تكثرى

وقال فى إخلاؤها إياه هذا الموعد :

ألا ليت ريعان الشباب جديداً * ودهراً نولاً يا بُنَيَّ يعود
فتفتنى كما كنا نكون وأنتم * قريباً واذ ما تبدكين زهيدا
وما أنس ملاءشياء لا أنس قولها * وقد قربت نصوى أمصر تريد
ولا قولها لولا العيون التى ترى * أيتسك فاعذرنى فدتك جود
خيلتى ما أخفى من الوجد ظاهر * ودمعى بما قلت الغداة شهيد

ألا قد أرى والله أن ربَّ حَبْرَةٍ * إذا الدار شَطَطَتْ بَيْنَنَا سَتْرِيَد
 إذا قُلْتُ مَا بِي يَا بَشَنَةً قَاتِلِي * من الحبَّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيد
 وإن قُلْتُ رُدِّي مَعْصَ عَقْلِي أَحْشَبْ بِهِ * مع النَّاسِ قَالَتْ ذَاكَ مِنْكَ بَعِيد
 فلا أَنَا مَرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا * ولا حُبُّهَا فِيمَا يَيْدُ يَيْدُ
 جَزَيْكَ الْجَوَازِي يَا بَشِينَ مَلَامَةً * إذا مَا خَلِيلٌ بَانَ وَهُوَ حَمِيد
 وَقُلْتُ لَهَا بَتْنِي وَيَبْنِيكَ فَاعْلَمِي * من الله مِيثَاقٌ لَهُ وَعَهْدُ
 وَقَدْ كَانَتْ حَيِّكُمْ طَرِيقًا وَثَالِمًا * وما الحبُّ إِلَّا طَارِفٌ وَتَلِيد
 وَإِنْ عَرَوْضُ الْوَصْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا * وَإِنْ سَهَبَتْهُ بِالْمَنَى لَصَّعُود
 فَأَنْفَيْتُ عَيْشِي بِانْتِظَارِي نَوَالِمَا * وَأَبْلَيْتُ ذَاكَ الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيد
 فَلَيْتَ وَشَاءَ النَّاسِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا * يَدُوفٌ لَمْ شَمَّا طَاطِمٌ سُود^(٢)
 وَلَيْتَ لَمْ فِي كُلِّ ثُمْتِي وَشَارِقِي * تَضَاعَفُ أَكْبَالُ لَمْ وَقَبُود
 وَيَحْسَبُ نِسْوَانٌ مِنَ الْجَهْلِ أَنِّي * إذا جِئْتُ لِأَيَّاهُنْ كُنْتُ أُرِيد
 فَأَقِيمُ طَرَفِي بَيْنَهُنَّ فَيَسْتَوِي * وَفِي الصَّدْرِ بَوْتُ بَيْنَهُنَّ بَعِيد
 أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً * بَوَادِي الْقُرَى لِي إِذَا لَسَعِيد
 وَهَلْ أَهْطَنْ أَرْضًا تَظَلُّ رِيَاحُهَا * لَهَا بِالثَّنَايَا الْقَاوِيَاتِ وَيُئِيد^(٣)
 وَهَلْ أَلْقَيْنَ سَعْدِي مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً * وَمَا رَثَ مِنْ حَبْلِ الصَّفَاءِ جَدِيد
 وَقَدْ تَلَقَّى الْأَهْوَاءُ مِنْ بَعْدِ يَأْسِيَةٍ * وَقَدْ تُطَلَّبُ الْحَاجَاتُ وَهِيَ بَعِيد
 وَهَلْ أَزْجَرُنْ حَرْقًا صَلَاةً شَيْمَلَةً * بِحَرْقِ ثُبَارِيهَا سَوَاهُمُ قُود^(٤)
 عَلَى ظَهْرِ مَرْهُوبٍ كَأَن تَشْوَرَهُ * إذا جَازَ هُلَاكُ الطَّرِيقِ رُقُود

(١) العروض : الطريق في عرض الجبل في معيق ، يريد الطريق إلى وصلها . (٢) يدوف
 يحلظ . وطاطم : جمع ططم وهو من في لسانه عجمة ، وأراد بالطاطم هنا : الحواري . (٣) القاويات
 انطاقيات . (٤) الوئيد : الصوت العالي الشديد . (٥) الحرف : الناقة الضامرة الصلبة . والعلاة
 المشقة الصلبة . والشملة : الرمية . والحرق : الأرض الواسعة . والسامة : الناقة الصامرة .

سَهْتَنِي بِمَعْنَى جَوِّدَ وَسَطَ رَبِّ رَبِّ • وَصَدِرَ كِفَاوَرُ الْجَبِينِ وَجِيدٌ ^(٢)
 تَرِيْفٌ كَمَا زَاغَتْ إِلَى سَيْلِفَاتِهَا ^(٣) • مُبَاهِيَةٌ طَيًّا الْوِشَاحِ مَبْدُودٌ
 إِذَا جَهَّتْهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ زَائِرًا • تَعَرَّضَ مَقْوُضُ الْيَدَيْنِ صَدُودٌ
 يَصُدُّ وَيُنْفِضُ مِنْ هَوَايَ وَيَعْتَنِي • دُنُوبًا عَلَيْهَا إِنَّهُ لَمُنُودٌ
 فَأَصْرِمُهَا خَوْفًا كَأَنِّي مُجَانِبٌ • وَيَنْفُلُ عَنَّا مَرَّةً فَنَعُودُ
 فَمَنْ يُعْطَ فِي الدُّنْيَا قَرِينًا كَثَلَهَا • فَذَلِكَ فِي عَيْشِ الْحَيَاةِ رَشِيدٌ
 يَمُوتُ الْمَهْزُومُ مَتَى إِذَا مَا لَقِيَتْهَا • وَيَحْيَا إِذَا فَارَقَتْهَا فَيَعُودُ
 يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِفَرْوَةٍ • وَأَيُّ جِهَادٍ غَيْرُهُنَّ أَرِيدُ
 لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ • وَكُلِّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَيْدٌ
 وَمَنْ كَانَ فِي حَيٍّ بُتَيْنَةً يَمْتَرِي • فَبَرَقَاءُ ذِي ضَالٍ عَلَى شَيْدٍ
 أَلَمْ تَمْلَسْ يَا أُمُّ ذِي الْوَدَّعِ أُنَى • أَضَاحَكَ ذِكْرَاكُم وَأَنْتِ صَلُودٌ

بعثت أمةً لبينة إلى أبيها وأخيها وقالت لهما: إن جميلاً عندها الليلة، فأتياها مشتملين على سيفين، فرأياه جالساً منها حجوةً يحذنها ويشكو لها بئس، ثم قال لهما: يا بئنة، أرايت ودي إياك وشغفتي بك ألا تعجزينني؟ قالت: بماذا؟ قال: بما يكون من المتحايين، فقالت له: يا جميل، أهذا تبني! والله لقد كنت عندى بعيداً منه، ولئن طردت تعريضاً بريئة لا رأيت وجهي أبداً! فضحك وقال: والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك فيه، ولو علمت أنك تعجيبيني لعلمت أنك تعجيبين غيري، ولو رأيت منك مساعدة لضربتك بسيفي ما استمسك في يدي، ولو أطاحني نفسي لهجرتك هجرة الأبد، أو ما سمعت قولي:

وإني لأَرْضَى مِنْ بُتَيْنَةٍ بِالَّذِي • لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَائِي لَقَرَّتْ بِلَايُهُ
 بِلَا وَيَالَا أَسْمَطِيعَ وَبَالْتَنَى • وَبِالْأَمَلِ الْمَرْجُو قَدْ خَابَ أَمَلُهُ
 وَبِالنَّظَرَةِ الْعَجَلِ وَبِالْحَوْلِ يَنْقُضِي • أَوَاخِرُهُ لَا نَلْتَقِي وَأَوَائِلُهُ

(١) القانود: الخوان من رغام أو خضف أو ذهب. (٢) في البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الزوى

بالرفع والدحر. (٣) زاف: يهتتر. (٤) أي تاحية.

فقال أبوها لآخيهما : قم بنا ، فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نجمع هذا الرجل من لقائهما ،
فانصرفا وتركاهما .

ومن قول جميل :

إنَّ المنازلَ هَبَّجَتْ أَطْرَافِي * وَأَسْتَجَمَتْ آيَاتُهَا يَحْوَايِي
فَقَرًّا تَلَوُّحُ بَذَى الْجَلِينِ كَانَتْهَا * أَنْضَاءُ رَسِيمٍ أَوْ سَطُورُ كِتَابِ
لَمَّا وَقَفْتُ بِهَا الْقُلُوصَ تَبَادَرْتُ * مِنْ الدَّمُوحِ لَفْرِقَةِ الْأَحْبَابِ
وَذَكَرْتُ عَصْرًا يَا بَشِينَةَ شَاقِي * وَذَكَرْتُ أَيَّامِي وَشَرَحَ شَبَابِي

لَمَّا نَذَرَ أَهْلُ بَشِينَةَ دَمَ جَمِيلٍ وَأَهْدَرَهُ لِمَ السُّلْطَانُ ضَاغَتِ الدُّنْيَا بِجَمِيلٍ ، فَكَانَ يَصْعَدُ
بِاللَّيْلِ عَلَى قَوْزٍ رَمَلٍ يَتَنَسَّمُ الرِّيحَ مِنْ نَحْوِ حَيٍّ بِشِينَةَ وَيَقُولُ :

أَيَا رِيحَ الشِّبَالِ أَمَا تَرَنَّنِي * أَهْمٌ وَأَنْتِي بِإِدَى النُّحُولِ
هَيَّ لِي نَسْمَةً مِنْ رِيحِ بَنِي * وَهَيَّ بِالْمُبْسُوبِ إِلَى جَمِيلِ
وَقُولِي يَا بَشِينَةَ حَسْبُ نَفْسِي * قَلِيلُكَ أَوْ أَقْلُ مِنَ الْقَلِيلِ

ومن قوله :

يَحْيِكَ جَمِيلٌ كُلُّ سُوءٍ أَمَّا لَهُ * لَدَيْكَ حَدِيثٌ أَوْ إِلَيْكَ رَسُولٌ
وَقَدْ قُلْتُ فِي حُبِّي لَكُمْ وَصَبَّابِي * عَاسَنَ شَعْرٌ ذَكَرْهُنَّ يَطُولُ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَوْلِي رِضَاكَ فَعَلَيْي * هُبُوبَ الْعَصَا يَا بَنِي كَيْفَ أَقُولُ
فَمَا غَابَ عَنْ عَيْنِي خَيَالُكَ لَحْظَةً * وَلَا زَالَ عَنْهَا وَالْخِيَالُ يَزُولُ

ومنه :

خَلِيلِي هُوَجَا الْيَوْمَ حَتَّى تُسَلِّمًا * عَلَى عَذْبَةِ الْأَنْبِيَاءِ طَبِيبَةِ النَّشِيرِ
أَلِمَّا بِهَا ثُمَّ اشْفَعَا لِي وَسَلِّمًا * عَلَيْهَا سَقَاها اللَّهُ مِنْ سَائِغِ الْقَطْرِ

إذا ما دنتِ زِدْتَ اشتياقا وإن نأتِ
أبى القلب إلا حُبَّ بثنة لم يرد

وفيها يقول :

سلى الركب هل نَجَّنا لَمَنَّاكِ مرة
وهل فاضتِ العينُ الشُّرُوقُ بمائها
وإني لَأَسْتَجِرِي لَكَ الطيرَ جاهداً
وإني لَأَسْتَبِيكِ إذا الركبُ فَرَدُوا
فهل تَجِزِيْنِي أم عمرو بوقها
وكلَّ حُبٍّ لم يَزِدْ فوق عهدِه
ومن قوله فيها :

لها في سواد القلب حُبٌّ ومنمَّةٌ
وما ذكركِ النفسُ يا بَثْنُ مرة
وإلا اعترفتي زَفَرَةً واستكانةً
وما استطرفتِ نفسِي

وأول هذه القصيدة :

مَزِلَ قَفِيرُ تَعَفَّتْ
شَمَالُ تُفَادِيهِ وَنَجَاءُ حَـ^(١)
فأصبح قفراً بعد ما كان أهلاً
وجُمْلُ الْمُنَى تَشْتَوِيهِ وَتُصَيِّفُ
من العين لما عَجَّتْ بالدار ينزف
إذا حكَّتْ والحاكم العدلُ يُنصف
تعلقتُها والجسمُ مني مصححُ •
فما زال يَتَنِي حُبُّ جَمِيلٍ وَأَضْعَفُ

(١) موقرة : محملة الوقور وهو الحمل . وخدى البحر يخدى : أسرع وزج بقوامه .

(٢) المرحف : الريح الباردة الشديدة المهبوب .

الى اليوم حتى مُسَلَّ جسمي وَشَفَنِي * وَأَنْكَرْتُ مِنْ نَفْسِي الَّذِي كُنْتُ أَهْرَفُ
قَنَاءً مِنَ الْمَزَانِ مَا فَوْقَ حَقْوَاهَا ^(١) * وَمَا تَحْتَهُ مِنْهَا قَلْبًا يَتَقَصَّفُ ^(٢)
لَهَا مُقَلَّتًا رِيمَ وَجِيدُ جَلْدَايَةِ ^(٣) * وَكَشَحْتُ كَطَلِي السَّابِرَةَ أَهْيَفُ
وَلَسْتُ بِنَاسٍ أَهْلَهَا حِينَ أَقْبَلُوا * وَجَالُوا طِينًا بِالسُّيُوفِ وَطَوَّفُوا
وَقَالُوا بِجَمِيلٍ بَاتَ فِي الْحَيِّ عِنْدَهَا * وَقَدْ جَرَّدُوا أَسْيَافَهُمْ لَمْ يَقْفُوا
وَفِي الْبَيْتِ لَيْثُ الْغَايِبِ لَوْلَا غَفَاةٌ * عَلَى نَفْسٍ جَمِيلٍ وَالْإِلَهِ لِأَرْحَفُوا
هَمَمْتُ وَقَدْ كَادَتْ مَرَارًا تَطْلُعُ * إِلَى حَرِيمِهِمْ نَفْسِي وَفِي الْكَفِّ مُرْهَفُ
وَمَا سَرَّتْنِي غَيْرُ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ * وَمَنِي وَقَدْ جَاءُوا إِلَى وَأَوْجَفُوا
فَكَمْ مُرْتَبِجٍ أَمْرًا أُتِيحَ لَهُ الرَّدَى * وَمَنْ خَائِفٌ لَمْ يَتَّقِصْهُ التَّخَوُّفُ
وَمِنْهَا :

أَلَنْ هَمَمْتُ وَرَقَاءُ ظَلَّتْ سَفَاهَةً * تُبَكِّي عَلَى جَمِيلٍ لَوْرَقَاءُ تَهْتَفُ
فَلَوْ كَانَتْ لِي بِالْعَرَمِ بِاصِلَ طَاقَةٍ * صَرَمْتُ وَلَكِنِّي عَنِ الْعَرَمِ أَضْعَفُ

قيل : إن مروان طلب الى جميل أن يزل فيرجز به ، وهو يريد أن يمدحه ، فنزل

جميل فقال :

أَنَا جَمِيلٌ فِي السَّنَامِ الْأَعْظَمِ * الْفَارِجُ النَّاسِ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمِ
أَحْيَى ذِمَارِي وَوَجَدْتُ أَقْرَمِي ^(١) * كَانُوا عَلَى غَارِبٍ طَوْدٍ يَخْضَرُ ^(٢)
* أَجِبَا عَلَى النَّاسِ فَلَمْ يَهْتَمِ *

فقال : عدَّ عن هذا ؛ فقال جميل :

لَهَا عَلَى الْبَيْتِ الْمَعْدَى لَهَا * مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ قَدْ اسْتَكْفَا
وَلَوْ دُمَا أَفَّهَ وَمَدَّ الْكُفَا * لَرَجَفَتْ مِنْهُ الْبِلَادُ رَجْفَا

(١) الخفو : انصرم . (٢) يتقصف : يتهيل ويتقطع بعنه عن مضى . (٣) الجداية :

الغزاة . والسابرة : ثوب من أجود الثياب منسوب الى سابور على غير قياس . (٤) يرجزه : ينشده

أرجوزة . (٥) أقرم : جمع قرم (بالفتح) وهو السيد العظيم . (٦) خضرم : عظيم .

وطلب ذلك إليه الوليد فقال :

أنا جميل في السنام من بعدد * في الذروة العليا والركن الأشد
والبيت من سعد بن زيد والمدد * ما يتخى الأعداء مني ، ولقد
أضيرى بالشتم لساني ومرد * أهود من شئت وصعب لم أقد
فقال له الوليد : اركب لاحلك الله ! وما مدح جميل أحدا قط .

ومن قول جميل في مرابحة جراس بن قطبة ، وكان ذلك بوادي القرى :

يا أُم عبد الملكِ آصيريني * فيئني صريري أو صيلني
أبكي وما يدريك ما يُكيني * أبكي حذار أن تُفارِقني
وتجعل أبعَدَ مني دوني * إن بني عمك أوصدوني
أن يقطعوا رأسي إذا لقوني * ويقتلونني ثم لا يدُوني^(١)
كلا ورب البيت لو لقوني * شقفاً وورثاً ثواكلوني^(٢)
قد علم الأعداء أن دوني * ضرباً كإزاح الخاض الجُون^(٣)
ألا أسب القوم إذ سبوني * بلى وما مرّ على دفين
وسابحات يلوى المجنون * قد جربوني ثم جربوني
حتى إذا شابوا وشبوني * أنزاهم الله ولا يخزوني
أشبه أحيار على معين * أحسن حس أسيد حروين
فهن يضرطن من اليقين * أنا جميل فتصرفوني
وما تقنعت فتذكروني * وما أعتبكم لتسالوني

(١) يدوني : من الهدية وهي ما يسلى لولى القتل من المال ملك النسر . (٢) ثواكلوني : تركوني

(٣) أرزقت الافة ببوها : رمت به دصة دفعة . ومنه العلة توزغ بالدم أي ترمي به كذلك .

أُمِّي إِلَى عَادِيَّةٍ طَحُونٌ • يَنْشَقُّ عَنْهَا السَّيْلُ ذُو الشُّوْنِ
 غَمْرُ يُزِفُ رُبَّجِ السَّيْفِينِ • ذُو حَدَبٍ إِذَا يُرَى مَجْمُونٌ ^(٢)
 • تَحْمِلُ أَحْقَادُ الرِّجَالِ دُونِي • ^(٣)

ومن قوله يمدح أخواله من جذام :

جُذَامُ سَيْوْفُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ • إِذَا أَرِزْتَ يَوْمَ اللِّقَاءِ أَزَامُ
 هُمْ مَنَعُوا مَا بَيْنَ مِصْرَ فَذِي الْقُرَى • إِلَى الشَّامِ مِنْ حِلٍّ بِهِ وَحَرَامِ
 بِضَرْبِ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سَكَاتِهِ • وَطَمَنِي كَيْزَاغُ الْخَفَاضِ قُوَامِ
 إِذَا قَصُرَتْ يَوْمًا أَكْثُ قَبِيلَةٍ • عَنْ الْمَجْدِ فَالْتَهُ أَكْثُ جُذَامِ

اجتمع جميل وعمر بن أبي ربيعة بالأبطح، فأنشده جميل قصيدته :

لَقَدْ فَرِحَ الْوَاشُونَ أَنْ صَرَمْتَ حَبْلِي • بُئْسَ أَوْ أَبَدْتُ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ
 يَقُولُونَ مَهْلًا يَا جَمِيلَ وَإِنِّي • لِأُقْسِمَ مَا بِي عَنْ بُشَيْتَةَ مِنْ مَهْلٍ
 أَحَلًّا قَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ أَوَانُهُ • أُمِّ أَخْتِي قَبْلَ الْيَوْمِ أُوعِدْتُ بِالْقَتْلِ
 لَقَدْ أَنْكَحُوا حَرْبِي نُبَيْهَا ظَلَمِينَةً • لَطِيفَةً طَى الْبَطْنِ ذَاتَ شَوَى جَزَلٍ
 وَكَمْ قَدْ رَأَيْتُ سَاعِيًا بَنِيمَةً • لِأَخْرَلَمْ بَعِيدَ بَكْفٍ وَلَا رَجُلٍ
 إِذَا مَا تَرَجَعْنَا الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا • جَرَى الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي بَشِينَةً بِالْكُمْلِ
 كِلَانَا بَنَى أَوْ كَادَ بَيْنِي صَبَابَةً • إِلَى الْفَيْهِ وَأَسْتَعَجَلْتُ عِبْرَةً قَبْلِي
 فَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِي مَا طَلَبْتُهَا • وَلَكِنْ طَلَايِيهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي
 فَيَا وَجْهِ نَفْسِي حَسْبَ نَفْسِي الَّذِي بَهَا • وَيَا وَجْهِ أَهْلِي مَا أَصِيبَ بِهِ أَهْلِي
 وَقَالَتْ لَا تَرَايَ لَهَا لَا زَعَانِفَ • قِصَارٌ وَلَا كُفْسٌ الثَّنَايَا وَلَا تُعْلِلُ ^(٥)

(١) يزف : يحملها أسرع • (٢) ذو حدب : ذو موج • (٣) جهون : موج

(٤) أزم : اشتدت • (٥) الكس محرك : قصر الأسنان أو صفرها أو لمعها بسنوها

وعلت سه ولته فهي فعلا : تراكت أسنانها •

إذا حَيْثُ شَمْسُ النَّهَارِ أَهْمَتْهَا • بأكسبة اليبساج وانلُزْدَى التلجَلِ
تداعَيْنَ فاستَجمنَ مَشْيَا بَذَى الغَضَى • دَيْبَ القَطَا الكُدْرَى في الدَّمثِ السهلِ
إذا آرتمَنَ أوْ قُرْعَنَ فَمَنْ حَوَالَهَا • قِيَامَ بَنَاتِ المَاءِ في جَانِبِ الضُّفَلِ^(١)
أَجْدُكَ لَا أَلْقَى بُثْنَةً مَرَّةً • مِنَ الذَّهَرِ إِلَّا خَائِفًا أوْ عَلَى رِجْلِ
خِلِيٍّ نِيَا مِشْتَا هَلْ رَأَيْتَا • قَبِيلًا بَكِيٍّ مِنْ حَبِّ قَائِلِهِ قَبْلُ
أَيُّتُ مَعَ المَلَاكِ ضَيْقًا لِأَهْلَهَا • وَأَهْلٍ قَرِيبٍ مُوسِعُونَ دَوُو فَضْلِ
أَلَا أَيُّهَا البَيْتُ الَّذِي حِيلَ دُونَهُ • بِنَاتٍ مِنْ بَنِي وَأَهْلِكَ مِنْ أَهْلِ
ثَلَاثَةِ أَيْيَاتٍ فَيَنْتُ أَجَبَهُ • وَيَتَانِ لَيْسَا مِنْ هَوَايَ وَلَا شَكْلِي

وقال في هجرة هجرته إياها بئينة :

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبَّ القَوَاءَ فَيَنْطِقُ • وَهَلْ تُخْبِرُنَاكَ الْيَوْمَ بِبَدَاءِ سَمَائِكِ^(٢)
وَقَفْتُ بِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ عَمَائِي • وَمَلَّ الوُقُوفَ الأَرْحَى المُنْتَوِقِ^(٣)
تَعَزَّوَانِ كَانَتْ عَلَيْكَ كَرِيمَةٌ • لَعَلَّكَ مِنْ رِقٍّ لَبْنَةً تُعْتَقُ
لَعَمْرُكَ إِنَّ العِبَادَ لَشَائِنِي • وَبَعْضُ بَعَادِ الْبَيْنِ وَالنَّأْيِ أَشَوْقُ
لَعَلَّكَ عَزُوزٌ وَمُبْدٍ صَبَابَةٍ • وَمُظْهِرٌ شَكْوَى مِنْ أَنَاسٍ تَفَرَّقُوا
وَبَيْضُ غَرِيرَاتٍ تُنَنِّي خُصُورَهَا • إِذَا فَمَنْ أَعْجَازُ نِهَالٍ وَأَسْوَاقُ
عَزَائِرُ لَمْ يَلْقَيْنِ بَرْسَ مَعِيشَةٍ • يُحَيِّنُ بَيْنَ النَّاظِرِ المُنْتَوِقِ^(٤)
وظَلَمْتُ مَنْ وَجَدَ إِلَيْنِ بَعْدَ مَا • سَرَيْتُ وَأَحْشَانِي مِنَ الخُوفِ تَحْتَفِقُ
مَعِي صَارِمٌ قَدْ أَخَاصَ القَيْنُ صَقْلَهُ • لَهُ حِينَ أَغْشِيهِ الضَّرِيَّةَ رَوْنِي
فَلَوْلَا أَحْتِبَالِي ضَمْنُ دَرَّحَا بَزَائِرِ • بِهِ مِنْ صَبَابَاتِ إِلَيْنِ أَوْلَقِ^(٥)

(١) بنات الماء : ما يأتى الماء من السمك والطير والصفادع (أظهر المصنف والمضاد إليه) .

(٢) الضمل : الملح القليل على الأرض لا عمق له . (٣) الملاك : الصمالك . (٤) السماق : القاع الصفص . (٥) الأرحى : الفعل النجيب نسبة إلى أرحب وهي قبيلة من همدان تهلبها النجائب الأرحية . والمتوق : المحسن المزير . (٦) ألقى : جنون .

تُسوك بفضبان الأراك مُفلجاً • يُسَمِّعُ فِيهِ الْفَارِسِيُّ الْمَرْوُوقِ
أَبْنَةُ الْوَصْلُ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا • نَضَامُ مِثْلَ مَا يَنْضَوِ الْخَضَابِ فَيَخْلُقُ
أَبْنَةُ مَا تَتَأَيَّنَ إِلَّا كَأَنِّي • بِنَجْمِ الثَّمَرِ مَا نَأَيْتَ مُعَلَّقُ

قال الرشيد لإسحاق الموصلي : أنشدني أحسن ما يُحِبُّ في كتاب يُحِبُّ وهو ظالم
مُتَعَبٌ ، فأنشده قول جميل :

رِيدَ الْمَاءَ مَا جَاءَتْ بِصَفْوِ ذَنَابِيهِ • وَدَعَهُ إِذَا خِيضَتْ بِطَرَقِ مَشَارِبِهِ
اعَاتِبُ مَنْ يَحْمِلُ لَدَى عَتَابِهِ • وَأَتْرُكُ مَنْ لَا أَشْتَهِي وَأَجَابِيهِ
وَمِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَإِنْ كُنْتَ ظَالِمًا • عَنَّاكَ مَظْلُومًا وَأَنْتَ تَعَاتِبُهُ
وَمِنْ قَوْلِهِ فِي زِيَارَةِ لَهُ :

زُورًا بِبَهْنَةٍ فَالْحَيْبُ مَرْوَرٌ • إِنِ الزِّيَارَةُ لِلْحَبِّ يَسِيرُ
إِنِ التَّرْتِلُ أَنْ تَلْبَسَ أَمْرُنَا • وَأَعْتَقْنَا قَدْرَ أَحْمَ بِمَكُورٍ
إِنِّي عَشِيَّةٌ رُحْتُ وَمَيَّ حَزِينَةٌ • تَشْكُو إِلَى صَبَابَةٍ لَصَبُورٍ
وَيَحْمِلُ مِنْ عِنْدِي فِدَيْتِكَ لَيْلَةً • أَشْكُو إِلَيْكَ فَإِنْ ذَاكَ يَسِيرُ
خَرَاءُ مَسَامٍ كَأَنْ حَدِيثَهَا • دُرٌّ تَحْدَرُ تَقْلُمُهُ مَشُورُ
مَخْطُوطَةُ الْمُتَيْنِ مُضْمَرَةُ الْحَقْنَى • رِيَا الرِّوَايَةِ خَلَقَهَا تَمَكُورُ
لَا أَحْسِنُهَا حُسْنٌ وَلَا كَدَلَامُهَا • دَلٌّ وَلَا كَوَقَارَهَا تَوْقِيرُ
إِنِ اللِّسَانُ بِذِكْرِهَا لَمَوْكَلٌ • وَالْقَلْبُ صَادٍ وَالْخَوَاطِرُ مُصَوَّرُ
وَلَوْ أَنَّ جَزَيْتِ الْوَدَّ مَنَى مِثْلَهُ • إِنِّي بِذَلِكَ يَا بَيْتِي

وَعَدْلَهُ فِيهَا أَبْنِ عَمَهُ رَوْقٌ ، قَالَ :

لَقَدْ لَأَمَنِي فِيهَا أَخٌ ذُو قَرَابَةٍ • حَيْبٌ إِلَيْهِ فِي مَلَامَتِهِ رُشْدِي
وَقَالَ أَفَقَى حَتَّى مَتَى أَنْتَ هَانِمٌ • بَيْتُنِي فِيهَا قَدْ تُعِيدُ وَقَدْ تُبْدِي

(١) الطرق : الماء الذي خوضته الأبل وبولت فيه وبهرت .

(٢) مخطوطة المتين : ممدودتهما . والمكورة : المطوية الخلق .

قلتُ له فيها قضى الله ما ترى * على وهل فيما قضى الله من رد
 فإن بك رُشدًا حبًّا أو غواية * قد جئتُه، ما كان متى على عهد
 لقد لجّ ميثاقُ من الله بيننا * وليس لمن لم يُوفِّ الله من عهد
 فلا وأيها الخيّر ما خنتُ عهدًا * ولا لي عِلْمٌ بالذي فعلتُ بعدى
 وما زادها الواشون إلا كرامة * على وما زالت مودّتها ضدّى
 أفى الناس أمثالى أحبّ لحالم * ككلى أم أحبّت من بينهم وعدى
 وهل هكذا يلقى المحبون مثل ما * لقيتُ بها أم لم يجد أحدٌ وجدى

وقال فيها :

خيلٌ حوجا اليوم حتى نُسَلِّما * على عَذْبَةِ الْأَنْبِيَاءِ طَيِّبَةِ الْفُشْرِ
 أليّا بها ثم آشفعا لي وسَلِّما * طيبا سَقَمًا الله من سائغ القطر
 وبُوحا بذكري عند بثنة وأنظرا * ارتاح يوما أم تهش لي ذكري
 فإن تلك لم تقطع قُوَى الودّ بيننا * ولم تنس ما أسلفتُ في سالف الدهر
 فكيف يرى منها أشتياقٌ ولوعة^(١) * بينَ وغرب من مدامعها يحرى
 وإن تلك قد حالت عن العهد بعدنا * وأصفت إلى القول المؤنب والمزوى
 فسوف يرى منها صُدودٌ ولم تكن * - بنقمتي - من أهل الخيانة والغدر
 أعودُ بك اللهم أن تَسْحَطَ التوى * ببثنة في أدنى حياتي ولا حشري
 وجاور إذا ما مِثَّ بيني وبينها * فيا حبذا موتى إذا جاورت قبري
 عِدَمَتِكَ من حبٍّ أَمَا منك راحة * وما بك عني من تَوَانٍ ولا قَرٍ
 ألا أيها الحب المبرح هل ترى * أخا كَلِّفَ يُغْرِى بحبٍّ كما أغرى
 أجلك لا يَبْلُ وقد بَلَى الهوى * ولا يَتَمَى حتى بشينة للزجر

(١) هكذا وردت «فكيف» ولعلها فسوف ليستقيم بها السياق

ومن قوله فيها :

فِي تَسْلُوكِ نَفْسٍ بِالْخَطَّةِ الَّتِي * تُطِيلِينَ تَخَوِيفِي بِهَا وَوَصْدِي
فَقَدْ طَالَ مِنْ غَيْرِ شَكْوَى قِيَمَةٍ * رَضِينَا بِحُكْمِ مَنْكَ غَيْرَ مَسِيدِ

ومنه :

بُشَيْنٌ مَسْلِينٌ بَعْضَ مَالِي فَإِنَّمَا * سِينٌ عِنْدَ الْمَالِ كُلِّ بِخِيلِ
فَإِنِّي وَتَعَكُّرَارَ الزَّيَارَةِ نَحْوَكُمْ * كَبِينٌ يَدِي هَجَرِ بُشَيْنَ طَوِيلِ
فِيَالَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَهْوِلِينَ بَدَنًا * إِذَا- نَحْنُ أَزْمَعْنَا فِدَاً لِرَحِيلِ
أَلَا لَيْتَ أَيَّامًا مَضَيْنَ رَوَاجِعُ * وَلَيْتَ النَّوَى قَدْ سَاعَدَتْ بِجِيلِ

ومنه :

أَتَعْجَبُ أَنْ طَرِبْتُ لَصَوْتِ حَادٍ * حَلَا بَرْلاً يَسْرَنَ يَطْعَنِي وَادٍ
فَلَا تَعْجَبْ فَإِنَّ الْحَبَّ أَمْسَى * لَبْنَةُ فِي السَّوَادِ مِنَ الْقَوَادِ

ومنه :

خَلِيلٌ حَوْجًا بِالْحَلَّةِ مِنْ جُمْلِ * وَأَثَرُهَا يَنْ الْأَصْفَرِ وَالْخَلِ
تَقِفْ بِمَفْصَلٍ قَدْ عَا رَسَمَهَا إِلِي * تُعَاقِبُهَا الْإِيَّامُ بِالرَّيْحِ وَالْوَبْلِ
فَلَوْ دَرَجَ الثَّمَلُ الصَّبَاؤُ بِحِلْدِهَا * لِأَتَنَّبَ أَعْلَى جِلْدِهَا مَدْرَجُ الثَّمَلِ
وَأَحْسَنُ خَلْقٍ اللَّهُ جِيدًا وَمُقَلَّةً * تُشَبِّهُ فِي النَّسْوَانِ بِالشَّادِنِ الطُّفْلِ^(١)

ومن قوله :

أَمْنِكَ سَرَى يَا بَقِيَّةَ طَيْفٍ تَأْوِيَا * هُدًوًا فَهَاجَ الْقَلْبَ شَوْقًا وَأَنْعَبَا
عَجِبْتُ لَهُ أَنْ زَارَنِي النَّوْمَ مَضْجَعِي * وَلَوْ زَارَنِي مُسْتَقِظًا كَانَتْ أَعْجَبَا

لما قِيمَ جَبِيلٍ مِنَ الشَّامِ بَلَغَ بَشِينَةَ خَبْرِهِ ، فَرَأَسْتَهُ مَعَ بَعْضِ نِسَاءِ الْحَيِّ تَذَكُّرُ شَوْقِهَا
إِلَيْهِ وَوَجَدَهَا بِهِ ، وَطَلَبَهَا لِلْمِيسَلَةِ فِي لِقَائِهِ ، وَوَاعَدَتْهُ لِمَوْضِعٍ يَلْتَقِيَانِ فِيهِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَحَدَّثَهَا

(١) الطفل : الرخص الناعم من كل شيء .

طويلاً وأخبرها خبره بعدها ، وقد كان أهلها رَصَدوها ، فلما فَقدوها تَبِعها أبوها وأخوها
 حتى هِما عليهما ، فوثبَ جميلٌ فانتضى سيفه وشدَّ طليهما ، فَأَتَقِيَاهُ بالحرب ، وناشدتهُ بئينة
 اللهَ إِلَّا أَنْصَرَفَ ، وقالت له : إنْ أَقَمْتَ ففضحتني ، ولملَّ الحيتَ يَلْحَقُونَكَ ، فأبى وقال :
 أنا مقيمٌ وأمضي أَنيتَ وليصنعوا ما أَحَبُّوا ، فلم تزل تَتَاشِدُهُ حتى أَنْصَرَفَ وقال في ذلك ،
 وقد هَجَرته وأَقَطَعَ التَّلَاقَ بينهما مَدَّةَ :

هي البدرُ حُسْنًا والنساءُ كَوَاكِبُ * وَشَتَانُ مَا بَيْنَ الْكَوَكِبِ وَالْبَدْرِ
 لَقَدْ قُضِلَتْ حُسْنًا عَلَى النَّاسِ مِثْلُ مَا * عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ قُضِلَتْ لَيْلَةُ الْقَدَرِ

وقال :

لَقَدْ خِفْتُ أَنْ يَتَلَاقَى الْمَوْتُ عَنَوَةً * وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتُ إِلَيْكَ كَمَا هِيَ
 وَإِنِّي لَتُتَيْنِي الْخَفِيزَةُ كَلِمًا * لَقَيْتُكَ يَوْمَا أَنْ أَبْتُكَ مَا يَبَى
 أَلَمْ تَعْلَمْ يَا عَذْبَةَ الرِّيقِ أَنِّي * أَظَلَّ إِذَا لَمْ أُسْقَ رَيْقُكَ صَادِيَا

ورحل الى مصر فأدركته بها منيته ، فزعموا أنه قال حين حضرته الوفاة :

صَدَعَ النَّيُّ وَمَا كُنْتُ بِجَبِيلٍ * وَتَوَى بِمِصْرَ ثَوَاءَ غَيْرِ قُفُولٍ
 وَلَقَدْ أَجْرَ الذِّلِّ فِي وَادِي الْقُرَى * نَشْوَانٍ بَيْنَ مَزَارِعٍ وَغُخِيلٍ
 قَوْمِي بئينة فَأَنْدَبُ بِبَوِيلٍ * وَأَبْكِي خَلِيلَكَ دُونَ كُلِّ خَلِيلٍ

ولما أَتَيْتُ بِبئينة قولَ جميلٍ قالت :

وإنْ سُلُوِي عَنْ جَبِيلٍ لِسَاعَةٍ * مِنَ التَّحَرُّ مَاحَاتٍ وَلَا حَانَ جِبْهَتُهَا
 سَوَاءٌ طَلَبْنَا يَا جَبِيلُ بَنَ مَعْمَرٍ * إِذَا مَتَّ بِأَسَاءِ الْحَيَاةِ وَلَيْتُهَا

وقال :

رَحَلَ الْخَلِيطُ بِجَاهِلٍ بِسُودٍ * وَحَدَا عَلَى أَثَرِ الْبَخِيلَةِ حَادِي
 مَا إِنْ شَعَرْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِبَيْنِهِمْ * حَتَّى سَمِعْتُ بِهِ الْغَرَابَ يَنَادِي

لَمَّا رَأَيْتَ الْبَيْتَ قُلْتَ لِمَصَاحِي • صَدَعْتَ مُصَدِّمَةَ الْقُلُوبِ فَوَادَى
بَانُوا وَغُرُودَ فِي الدِّيارِ مُتَمِّمٌ • كَلَّفَ بِذِكْرِكَ يَا بُشَيْنَةُ صَادَى

وقال أيضا :

خَلِيلِي هَلْ فِي نَظَرَةٍ بَعْدَ تَوْبَةٍ • أَدَاوِي بِهَا قَلْبِي عَلَى الْغُورِ
إِلَى رُجْحِ الْأَكْفَالِ هَيْفَ خُصُورُهَا • عَذَابِ النَّسَايَا رِيْقُهُنَّ طُهُورُ
تَذَكَّرْتُ مَنْ أَمَحَّتْ قُرَى اللَّذْدُونَةِ • وَهَضَبُ لَيْثِيَا وَالْهَضَابُ وَغُورُ
فَقُلْتُ لِعَيْنِكَ الْجُوجَيْنِ عَبْرَةٌ • يَهْجِجُهَا بَرْحُ الْمَوَى قَتْمُورُ
عَلَى أُنَى بِالْبَرْقِ مِنْ تَحْوِ أَرْضِهَا • إِذَا قُصِرَتْ عَنْهُ الْعِيُونُ بِصِيرُ
وَلَمَّا إِذَا مَا الرِّجْ يَوْمًا تَلَسَّمَتْ • شَامِيَّةٌ حَادَ الْعِظَامَ قُتُورُ
أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْتِ لَوْ نَكَّ شَاغِبٌ • وَأَنْتَ بِرَوَاتِ الْفِرَاقِ جَدِيرُ
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَحْوِلُ فَاصْبَحْتَ • هُمُوكَ شَقَى وَالْجَنَاحُ كَسِيرُ
وَدُرْتَ بِأَعْدَاءِ حَبِييبِكَ فِيهِمْ • كَمَا قَدْ تَرَانِي بِالْحَبِيبِ أَدُورُ
وَكَيْفَ بِأَعْدَاءِ كَأَنَّ عِيُونَهُمْ • إِذَا حَانَ لِيثْيَانِي بُشَيْنَةُ عُورُ
فَإِنِّي وَإِنْ أَصْبَحْتَ بِالْحَبِّ مَالًا • عَلَى مَا بَعَيْتَنِي مِنْ قَدَى تَلْخِيرِ

وله أيضا :

فَلَوْ أَرْسَلْتُ يَوْمًا بُشَيْنَةَ تَبْنِي • يَمْنِي وَلَوْ عَزَّتْ عَلَى يَمْنِي
لَأَعْطَيْتُهَا مَا جَاءَ يَتْنِي رَسُولُهَا • وَقُلْتُ لَهَا بَعْدَ الْعَيْنِ سَلِينِي
سَلِينِي مَالِي يَا بُشَيْنُ فَاِنَّمَا • يَتْنِي عِنْدَ الْمَالِ كُلِّ ضَبْنِي
فَمَا لَكَ لَمَّا خَبَرَ النَّاسُ أُنَى • أَسَأْتُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ لَمْ تَسَلِينِي
فَأُتِلِّي عُدْرًا أَوْ أَجَىءَ بِشَاهِدٍ • مِنَ النَّاسِ عَدْلٍ أَنَّهُمْ ظَلَمُونِي
وَلَسْتُ وَإِنْ عَزَّتْ عَلَى بَقَائِلِ • لَهَا بَعْدَ صَرْمٍ يَا بَشِينَ صِلِينِي

وَبُنَيْتُ قَوْمًا فِيكَ قَدْ تَذَرُونِي ■ فليت الرجال المؤمنين لقوى
إذا ما رأوني مُقْبِلًا من جنابة ■ يقولون من هذا وقد عرفوني

وله أيضا :

تَتَادَى أَلْ بَلَنَّةٍ بِالرَّوَّاحِ ■ وقد تَرَكُوا فَوَادَكَ فِرَ صَاحِ
فِي أَلَكِ مَنَظَرًا وَمَسِيرَ رَكِبِ ■ تَجَانِي حِينَ أَمَّعَنَ فِي الْفِيَّاحِ
وَيَا لَكِ حُلَّةٍ ظَفِيرَتْ بِعَقْلِ ■ كَمَا ظَفِيرَ الْمُقَامِرِ بِالْقِدَاحِ
أُرِيدُ صِلَاحَهَا وَتُرِيدُ قَتْلِي ■ فَتَشْقَى مِنْ قَتْلِي وَالصِّلَاحِ
لَعَمْرُ أَيْبِكَ لَا تَجِيدِينَ عَهْدِي ■ كَعَهْدِكَ فِي الْمَوَدَّةِ وَالسَّلَاحِ
وَلَوْ أَرْسَلْتَ تَسْتَهْدِينَ نَفْسِي ■ أَتَاكَ بِهَا رَسُولُكَ فِي سَرَاحِ

وله أيضا :

فَإِنْ يَكُ جُنْهَانِي بَارِضٍ سِوَاكُمْ ■ فَإِنَّ فَوَادِيَّ عِنْدَكَ الْبَهْرَ أَجْمَعُ
إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُو وَأَجْتَرِي ■ عَلَى صِرْمِهَا ظَلَّتْ لَهَا النَّفْسُ تَشْفَعُ
وَأِنْ رُمْتُ نَفْسِي كَيْفَ آتَى لَصْرْمِهَا ■ وَرُمْتُ صِدُودًا ظَلَّتْ الْعَيْنُ تَلْمَعُ

وله أيضا :

أَلَمْ تَعْلَمْ بِإَصْدَبَةِ الْمَاءِ أَنِّي ■ أَظَلُّ إِذَا لَمْ أَسْقَ مَاءِيكَ صَادِيَا
وَمَا زِلْتُ بِي يَابِثُنْ حَتَّى لَوْ أَنِّي ■ مِنْ الْوَجْدِ اسْتَبَيْكِي الْجَمَامَ بَكِي لِيَا
وَدِدْتُ عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ لَوَ أَنِّي ■ يُزَادُ لَهَا فِي عَمْرِهَا مِنْ حَيَاتِيَا

وله أيضا :

وَقُلْتُ لَهَا أَعْتَلَّتْ بِغَيْرِ ذَنْبِ ■ وَشَرُّ النَّاسِ ذُو أَلْعَالٍ الْبَخِيلُ
فَقَاتِنِي إِلَى حَكَمٍ مِنْ أَهْلِي ■ وَأَهْلِكَ لَا يَجِيفُ وَلَا يَمِيسِلُ
فَقَالَتْ أَتَبْتَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِي ■ وَلَا يَذَرِي بَنَى الْوَأَشَى الْمُحُولُ
فَوَلَّيْنَا الْحُكُومَةَ ذَا يُجْبُوفِ ■ أَخَا دُنْيَا لَهُ طَرَفٌ كُلِيلُ

قتلنا ما قضيت به ورضينا * وأنت بما قضيت به كفيلا
 فضالك مانذ فأحكم علينا * بما تهوى ورأيك لا يقبل
 فقلت له قُلتُ بغير جرم * وغبُ الظلم مرثمه ويطيل
 فسل هذى متى قضى ديونى * وهل يقضيك ذو العلل المطول
 فقالت إن ذا كذب وبطل * وشر من خصومته طويل
 أأقتله ومالى من سلاح * وما بى لو أقاتله حويل^(١)
 ولم أخذ له مالا فيلقى * له دين على كذا يقول
 وعند أميرنا حكم ومذل * ورأى بعد ذلك أصل
 فقال أميرنا هاتوا شهودا * فقلت شهيدنا الملك الجليل
 فقال يمينها وبذاك أفيى * وكل قضائه حسن جميل
 فبنت حلقه ما لى لىها * قير أدعيه ولا قيل
 فقلت لها وقد قلب التمرى * أما يقضى لنا يا بن سؤل
 فقالت ثم زجت حاجيها * أطلت ولست فى شيء يطيل
 فلا يبيدك الأعداء عندى * فتشكلى وإياك التكلول
 وله أيضا :

حلفت يميناً يا بئنة صادقا * فإن كنت فيها كاذبا فعميت
 إذا كان جلد خبر جلدك مسني * وبأشرنى دون الشعار شريت^(٢)
 ولو أن راق الموت يرتى جنازتى * بمنطقها فى الناطقين حيث
 وقال أيضا :

فقد لأن أيام الصبا ثم لم يكد * من الدهر شيء بعدن يلين
 طعائن ما فى قرين لدى هوى * من الناس إلا شقوة وقتون

(١) الحويل : القوة والخلق والقدرة على التصرف . (٢) يقال : شرى جلد : خرج عليه الشرى ،

وهو بنور مسمار حر حكاكة مكرية تحدث دفعة واحدة غالبا وتستند لئلا لبحار حار يثور فى البطن دفعة .

وواكلته والمم ثم تركته * وفي القلب من وجد بهن رهين
 فواحسرتا إن حيل بيني وبينها * وياحين تقسى كيف فيك تحين
 فشيب روعات الفراق مفارق * وأنشزن تقسى فوق حيث تكون
 شهنت بأن لم تقير مودتي * وأنى بكم حق المات ضنين
 وأت فؤادي لا يلين إلى هوى * سواك وإن قالوا إلى سليلين
 وأنى لأستغشى وما بى نسة * لعل لقاء فى المنام يكون
 ولما علوت اللابتين تشوقت * قلوب إلى وادى القرى وحيون
 كأن دموع العين يوم تحلكت * بثينة يسقىها الرشاش معين
 ورحن وقد ودعن عندى لبانه * لبثنة سرف فى الفؤاد كين
 كسر الترى لم يعلم الناس أنه * توى فى قرار الأرض وهودفين
 فإن دام هذا الصرم منك فأننى * لأخبر هادى الجانين رهين
 لكما يقول الناس مات ولم أهن * عليك ولم تهت منك قرون

(ج) الغزل الصناعي

(١)

كثير

قال أبو الفرج قال محمد بن عبد العزيز: ما قصيد القصيدة ولا نعت المملوك مثل كثير.
وقال إبراهيم بن سعد: إني لأروى لكثير ثلاثين قصيدة لو رُقي بها مجنونٌ لأفاق، وكان
بعض أصحاب الحديث يأتونه، وهو خبيث النفس، فيسألونه عن شعر كثير فتطيب نفسه
ويحدثهم. وقال عبد الله بن أبي عبيدة: من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع
شعره. وكان ابن أبي عبيدة يملئ شعره بثلاثين ديناراً، وسئل مُضْعَب: مَنْ أشعر الناس؟
فقال: كثير بن أبي جمة، وقال: هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وطائمتهم، يعني الشعراء.
ولم يدرك أحد في مدح المملوك ما أدرك كثير. وقال محمد بن سلام: كان كثير شاعر أهل
الجباز، وهو شاعر غل ولكنّه منقوص حفظه بالعراق. وقال يونس النحوي: كثير أشعر

(١) هو كثير بن عبد الرحمن من خراة، ويعرف بكثير عزة، نسبة إلى مشيخته التي كان يشب بها. وكان يدخل
على عبد الملك وينشده، وكان راضياً شديد الصب لآل أبي طالب، وكان عبد الملك يعرف ذلك فيه فلا يكرهه،
فاذا أراد أن يسلطه بشئ، حلقه بلى. وكان له صديق اسمه خندق الأسدي، شديد التشيع مثله، وبلغ من جرأة خندق
هذا أنه وقف مرة في الموسم والناس مزدحمون وقال: «أيها الناس، إنكم على غير حق، قد تركتم بيت نبيكم والحق
لم وهم الأئمة» فوثب عليه الناس، فصر يوه ورموه حتى قتلوه، ودفع خندق بقضو، فقال إذ ذاك كثير يريه.

أصادرة هجاج كعب ومالك * على كل عمل ضامر البطن محق

بمرثية فيها ثناء محبر * لأزهر من أولاد مرة مرق

والقصيدة طويلة. أما مشروقة عزة فهي بنت حميد بن وقاص من خيرة، وكانت من أحسن النساء وأدبين
وأعقلهن. ويقال إنه لم ير لها وجهاً إلا أنه استبهم بها عليه لما ذكر له عنها. وطالبه بعض أهلها فقالوا: «قد شبرت
قسك وشبرت صاحبنا فأكفف قسك» فقال: «إني لا أذكرها بما تكرهون».

وأفصح خروجهم إلى مصر في عام الجلاء، فجمعهم على راحته فرجوه فأبى إلا أن يلحقهم، فمرس له بمصر
في بعض الطريق وقبضوا عليه وبصلوه في جمعة حار ورطوها عليه فزبه صديقه خندق فأطلقه وألحقه ببلاده. وكان
كثير دميماً قليلاً أحمر أنيشر عظيم الهامة قيسياً. وأكثر أشارته في عزة هذه. توفي سنة ١٠٥ هـ، وأحبابه كثيرة
تمجدها في الأغانى (ج ١١ ص ٤٦) و(ج ٨ ص ٢٧) و(ج ٧ ص ٧٨) والشعر والشعراء (ص ٣١٦) وابن
خلكان (ج ١ ص ٤٣٣) والمقد الفريد (ج ١ ص ١١٥ و ٢٠٣) ونزاة الأدب (ج ٢ ص ٣٨١) وله ديوان
شرحه أبو عبد الله الرشيدى من نسخة خطية في الاسكوريال.

أهل الإسلام، وكان ابن أبي خَفْصَةَ يسجبه منجبه في المديح جدا، ويقول: كان يستغنى المديح، وكان فيه مع جودة شعره خُطَل وعُجِب. وقال المِسُور بن عبد الملك: ما ضَرَّ مَنْ يَروى شعر كثير وجميل. ألا تكون عنده مغنيتان مطربتان .

وكان قصيرا، قال الواقسي: رأيت كثيرا يطوف بالبيت، فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذبه . وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول: طَأْطِءُ رَأْسَكَ لَا يُصِبه السَّقْفُ . وقال كثير: في أي شيء أعطى هؤلاء الأخوص عشرة آلاف دينار؟ قالوا: في قوله فيهم:

وما كان مال طارِقاً من تجارة * وما كان ميراثاً من المال مُتسلماً
ولكن عطايا من إمام مبارك * ملأ الأرض معروفاً وجوداً وسوددا
فقال كثير: إنه لَصَرِيحٌ قَبَّحه الله! ألا قال بما قلت:

دع عنك سَأَى إذ فلت مَطْلُبُها * وأذكر خَلِيلَكَ من بنى الحُكْمَ
ما أعطيتني ولا سألتهما * ألا وإني لحاجزى حَكْرَى
إني متى لا يمكن نوالهما * عندي بما قد فعلتُ أحْتَمَمُ
مُبْدَى الرضا عنهما ومنصرف * عن بعض ما لو فعلتُ لم أَلَمْ
لا أُنْزِرُ النَّائِلُ انْخِلِيلَ إذا * ما أحصل نَزْرُ الظُّؤُودِ لم تَرَم

وطلب من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان أرضاً له يقال لها: غُرْب، وقسم بين يدي طلبه تلك الأبيات:

بَرَّتْكَ الجَوَازِي من صديقك نَضْرَةٌ * وأدناك رَبِّي في الرِّسْقِ المَقْرَبِ
فإنك لا يُعْطَى عليك غُلَامَةٌ * علو ولا تنأى من المنقَرِبِ
وإنك ما تَمْنَحُ فإنك ما نَعُ * بحسق وما أعطيت لم تَعْقِبِ
فقال له: أترغب غُرْباً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: آكتبوها له، ففعلوا.

(١) يقول: لا أَلْجِطُ به بالمائة؟ يقال: نَزْرته أُنْزَره إذا ألحت عليه. والظُّؤُور: العاطة على أولاد صيرها. ولم تَرَم: لم تَرَام.

وُسِبَ كثير لكثرة نسبه بَعَزَة الضَّمْرِيَّة اليها، وصُرف بها قَبِيل : كثير عَزَة، وهى عَزَة أبنَة حميد بن وقاص. وكان ابتداء عشقه لإياها أنه مر بنسوة من بنى صَمْرَة ومعه جَلَب غنم، فأرسلن اليه عَزَة وهى صغيرة، فقالت : يقلن لك النسوة : إِنَّا كَبَشْنَا من هذه الغنم وَأَنَسْنَا بَنَمْنَه الى أن ترجع، فأعطاهَا كَبَشًا، وأعجبته، فلما رجع جاءته امرأة منهن بدرامه، فقال : وأين الصبيَّة التى أخذت منى الكَبَش ؟ قالت : وما تصنع بها وهذه دراهمك ؟ قال : لا آخذ دراهمى إلا ممن دفعْتُ الكَبَش اليها، ونخرج وهو يقول :

قَفَى كُلُّ ذى دين فَوْقَى غَرِيمَةٍ * وعَزَة مَطْلُوقٌ مُعْنَى غَرِيمَةٍ

فكان أول لقائه لإياها . ثم قال فيها :

نَظَرْتُ اليها فَظَلَرَةٌ وهى مَاتِيَّةٌ * على حين أن شَبَّتْ وبان نُحُودُهَا
وقد دَرَّعُوهَا وهى ذات مُؤَصَّدٍ * ^(١)جُوبٍ وَلَمَّا يَلِيسَ الدَّرْعَ رِيْدُهَا
من الخَيْفَرَاتِ الْبَيْضِ وَذَ جَلِيسُهَا * اذا مَا أَتَقَضَتْ أَحْشَوْنَهُ لَوْ تَعِيْدُهَا
نَظَرْتُ اليها فَظَلَرَةٌ مَا يَسْرُنِي * بها حُمُرُ أَمَامِ الْبِلَادِ وَسُودُهَا
وَكُنْتُ اذا مَا جِئْتُ سَعْدَى بِأَرْضِهَا * أرى الْأَرْضَ تَطْوِي لِي وَيَدْنُو بِعِيدُهَا
ثم أحبته بعد ذلك عَزَة أَشَدَّ من حبه لإياها .

قال محمد بن صالح الأسلمى : دخلت عَزَة على عبد الملك بن مروان وقد عَجَزَتْ ؛ فقال لها : أأَنْتِ عَزَة كثير؟ فقالت : أنا عَزَة بنت حميد ؛ قال : أَنْتِ التى يقول لك كثير : لَعَزَة نَارٌ مَا تَبُوحُ كَأَنُهَا * ^(٢)اذا مَا رَمَقْنَاها من الْبَعْدِ كَوَكُوبُ

فما الذى أعجبه منك ؟ قالت : كَلَّا يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لقد كُنْتُ فى عَهْدِهِ أَحْسَنَ من النار فى اللَّيْلَةِ الْقَرَّةِ . وَيُرَوى أَنُها قالت له : أعجبه منى ما أعجب المسلمين منك حين صَبْرُوكَ خَلِيفَةً، وكانت له سِنٌّ سوداء يَخْفِئُها، فضحك حتى بدت، فقالت له : هذا الذى أَرَدْتُ أَنْ أَبْدِيه، فقال لها : هل تَرَوِينَ قَوْلَهُ :

(١) مؤصد : البس الأصداء (بالعم) وهى قبس صغير يلبس تحت الخوب . والجوب : القميص ذو الجلب والرد (يسمى ولا يسم) : الترب . (٢) تبوح : عخذ .

وقد زَعَمْتُ أَنى تَغَيَّرتَ بعدها * ومن ذا الذى يَأْخُذُ عَنَّا لا يَتَغَيَّرُ
تَغَيَّرَ جَسْمى وَالْخَلِيقَةُ كَالْأَنفُسِ * عَهْدَتِ وَلَمْ يُخَيَّرْ بِمَرْكُ مَجَرَّ

قالت : لا أروى هذا، ولكنى أروى قوله :

كَأَنى أَنادى حَفْرَةً حين أَعْرَضْتُ * من العَمِّ لو تَمَشَّى بِهَا العُمُّ زَلْتُ
صَفُوحًا فَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ * فن مل منها ذلك الوصل ملت

فأمر بها ، فأدخلت على عاتكة بنت يزيد؛ فقالت لها : أرايت قول كثير :

فَضَى كُلِّ ذِي دَيْنٍ فَوْقَ غَرِيمَةٍ * وَعِزَّةٌ تَمْكُولُ مَعْنَى غَرِيمِهَا

ما هذا الذى ذكره؟ قالت : قُبَلَةٌ وَعِدَّتُهُ لَهَا، قالت : أنجزها وعلى إثمها .

وما قال فيها

خَلِيلِي هَذَا رَمَمَ عِزَّةً فَأَعْفَلَا * قَلُوصَيْكَا ثُمَّ أَبْيَا حَيْثُ حَلَّتْ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ عِزَّةٍ مَا الْبُكَاءُ * وَلَا مُوْجَعَاتِ الْقَلْبِ حَتَّى تَوَلَّتْ
فَقَدْ حَلَفْتُ جَهْدًا بِمَا تَحَرْتُ لَهُ * فَرِيضُ غَدَاةِ الْمَأْزَمِينَ ^(١) وَصَلَّتْ
أُنَادِيكَ مَا حَجَّ أَيْجُ وَكَبَّرَتْ * بَقِيْعًا غَزَالٍ رُقُقَةً وَأَهَلَّتْ ^(٢)
وَكَانَتْ لَقَطْعِ الْحَبْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا * كَكَادِرَةِ تَلْرًا وَقَتْ فَأَحَلَّتْ
فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلِّ مَصِيْبَةٍ * إِذَا وَطُنْتُ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
وَلَمْ يَلْقَ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَبِّ مَبِيعَةً * تَمُّ وَلَا عَمَلُهُ إِلَّا تَجَلَّتْ
كَأَنى أَنادى حَفْرَةً حين أَعْرَضْتُ * من العَمِّ لو تَمَشَّى بِهَا العُمُّ زَلْتُ
صَفُوحًا فَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ * ^(٣) فن مل منها ذلك الوصل ملت
أَبَاحَتْ حِمِّى لَمْ يَرَعَهُ النَّاسُ قَبْلَهَا * وَحَلَّتْ تِلَاحًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتْ

(١) المأزمان : بين حرة والخزقة . (٢) فيفا غزال : بمكة حيث يزل الناس فيها

الى الأبطح . وأناديك : أجاللك ، مأخوذ من التنى والنادى جرما ومما المجلس .

(٣) الصفوح : المعرضه .

فَلَيْتَ قُلُوبِي عِنْدَ عِزَّةٍ قَيِّدَتْ • بِجِئِلٍ ضَعِيفٍ عَزَّ مِنْهَا فَجَبَلَتْ
 وَغُرُودِي فِي الْحَيِّ الْمُتَقِيمِينَ رَحَلُهَا • وَكَانَتْ لَهَا بَايَعٌ سِوَايَ قُبَلَتْ^(١)
 وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ بِرَجُلٍ صَحِيحَةٍ • وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَجَلَتْ
 وَكُنْتُ كَذَاتِ الظَّلْعِ لَمَّا تَحَامَلَتْ • عَلَى غَلْمِهَا بَعْدَ الْعِثَارِ اسْتَقَلَتْ
 أُرِيدُ التَّوَّاءَ عِنْدَهَا وَأُظْنَهَا • إِذَا مَا أَطْلَنَّا عِنْدَهَا الْمُكْتَمَلَتْ
 فَمَا انْقَضَتْ، أَنَا النِّسَاءَ فَبَقَّضَتْ • إِلَيَّ وَأَنَا بِالنَّوَالِ فَضَلَتْ
 يَكْثِفُهَا النَّفِيرَانُ شَفَى وَمَا بَهَا • هَوَانِي وَلَكِنْ لِيكَ اسْتَذَلَتْ
 هَيْبَتَا مَرِيئًا خَيْرَ دَاءٍ عُجَامِيرِ • لَعَزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَعَلَتْ
 فَنَوَالِهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدْتُ • بِضُرْمٍ وَلَا أَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلْتُ
 فَإِنْ تَكُنِ الْعُنْبَى فَاهْلًا وَمَرْحَبًا • وَحَقَّتْ لَهَا الْعُنْبَى لَدَيْنَا وَقَلَّتْ
 وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَلَنْ وَرَاءَنَا • مَتَادِحٌ لَوْ سَارَتْ بِهَا الْعَيْسُ كَلَّتْ^(٢)
 خَلِيلٌ إِنْ الْحَاجِيَّةُ طَلَعَتْ • قُلُوبُنَا وَنَاقَى قَدْ أَكَلَتْ^(٣)
 فَلَا يَبْعَدُنْ وَصْلٌ لَعَزَّةٍ أَصْبَحَتْ • بِعَاقِبَةِ أَسْبَابِهِ قَدْ تَوَلَّتْ
 أَسِئْتُ بِنَا أَوْ أَحْسَنِي لَا مَلُومَةٍ • لَدَيْنَا وَلَا مَقِيلَةٍ إِنْ تَقَلَّتْ
 وَلَكِنْ أُنِيلِي وَأَذْكَرِي مِنْ مَوْتَةٍ • لَنَا خُلَّةٌ كَانَتْ لَدَيْكُمْ فَطَلَّتْ^(٤)
 فَإِنِّي وَإِنْ صَدَّتْ لَمْ تُنِ وَصَادِقٌ • عَلَيْهَا بِمَا كَانَتْ إِلَيْنَا أَزَلَّتْ^(٥)
 فَمَا أَمَا بِالْدَاعِي لِعِزَّةٍ بِالْجَوَى • وَلَا شَامِتٌ إِنْ نَعَلُ عِزَّةٍ زَلَّتْ
 فَلَا يَحْسِبُ الْوَاشُونَ أَنَّ صَبَابِي • بِعِزَّةٍ كَانَتْ غَمْرَةً فَجَلَّتْ
 فَأَصْبَحْتُ قَدْ أَبْلَأْتُ مِنْ دَنْفٍ بَهَا • كَمَا أُدْفِنَتْ هَيَاءً ثُمَّ اسْتَبَلَّتْ^(٦)

(١) بَلَتْ : ذَهَبَتْ . (٢) الْعُنْبَى : الْإِطْبَاقُ ، يُقَالُ : طَابَتْنِي فَلَانُ فَأَعْبَيْتُهُ إِذَا تَزَمَّتْ عِمَامَتُكَ عَلَيْهِ ، وَالْعُنْبَى الْأَسْمُ وَالْإِطْبَاقُ الْمَصْدَرُ (٣) الْمَتَادِحُ : الْحَاوِزُ . (٤) الطَّلُوحُ : الْحَيُّ الَّذِي يَقْطَعُ مِنَ الْأَهْيَاءِ . (٥) طَلَّتْ : هَدَرَتْ . (٦) أَزَلَّتْ : اصْطَلَحَتْ . (٧) يُقَالُ : بَلَ مِنْ مَرَضِهِ وَأَبَلَ وَاسْتَبَلَ إِذَا بَرَأَ . وَالْهَيَاءُ : الَّتِي أَحْصَاهَا دَاءُ الْهَيَاءِ ، وَهُوَ دَاءٌ يَصِيبُ الْإِبِلَ مِنْ مَاءٍ تَشْرَبُهُ مُسْتَقْبَعًا تَهْمُ فِي الْأَرْضِ لَا تَرعى .

فَنَوَّاهُ ثُمَّ اللَّهُ مَا حَلَّ قَبْلَهَا * وَلَا بَعْدَهَا مِنْ خُلَّةٍ حَيْثُ حَلَّتْ
وَمَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَى كَيَوْمِهَا * وَإِنْ عَظُمَتْ أَيَّامٌ أُخْرَى وَجَلَّتْ
وَأَضَحَّتْ بِأَعْلَى شَاهِقٍ مِنْ فُؤَادِهِ * فَلَا الْقَلْبُ يَسْلَاهَا وَلَا الْعَيْنُ مَلَّتْ
فِيَا عَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ أَفْرَاقُهُ^(١) * وَالنَّفْسُ لِمَا وَطُنَتْ كَيْفَ ذَلَّتْ
وَإِنِّي وَتِيَّامِي بِعِزَّةٍ بَعْدَ مَا * تَخَلَّيْتُ عَمَّا بَيْنَنَا وَتَحَلَّيْتُ
لِلْكَأَلْمِ الرَّيْحِيِّ ظِلُّ الْعَامَةِ كَلِمَا * تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْقِيلِ أَصْحَابُهَا
كَأَنِّي وَإِيَّاهَا مَعْنَابَةٌ تُجْعَلُ * رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزْتَهُ أَسْتَهْلِكُ
فَإِنْ سَأَلَ الْوَأَثُسُونَ فِيمَ هَجَرْتَهَا * قُلْتُ قَسْرٌ حُرٌّ سُلِّتَ قَسْرَتُ
قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : كَانَ كَثِيرَ مَدْعِيَا وَلَمْ يَكُنْ عَاشِقًا ، وَكَانَ جَمِيلٌ صَادِقُ الصَّبَابَةِ وَالْعَشْقِ .
وَأَخْبَرْتَهُ حِرَّةَ ذَاتِ مَرَّةٍ فَوَجَدْتَ عِلَامَةَ ذَلِكَ ، وَكَانَتْ مُتَقَبَّةً فَأَسْفَرْتُ ، فَأَبْلَسَ^(٢) وَلَمْ يَنْطَلِقْ
وَبُيِّتَ ، فَلَمَّا مَضَتْ أَتَيْنَا يَقُولُ :

أَلَا لَيْتَنِي قَبْلَ الَّذِي قُلْتُ شَيْبَ لِي * مِنَ السَّمِ خَضَخَضَ بِمَا أَلْدَارِخُ^(٣)
فَلَمْ تَعْلَمْ عَلَى خِيَانَتِهِ * وَكَمْ طَالِبٌ لِلرَّيْحِ لَيْسَ بِرَاحٍ
أَبُوءُ بِذَنْبِي ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُهَا * وَإِنِّي يَسَاقُ سَرَّهَا غَيْرَ بِأَمَحٍ
وَمِنْ قَوْلِهِ يَمْدَحُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

وَلَيْتَ فَلَمْ تَنْسَ عُلْيَاً وَلَمْ تُخَفْ * بَرِيًّا وَلَمْ تَتَّبِعْ مَقَالَةَ مُجْهِرٍ
وَقَلَّتْ فَصَدَقْتَ الَّذِي قُلْتَ بِالَّذِي * فَعَلْتَ فَاحْضَى رَاضِيًا كُلَّ مُسْلِمٍ
أَلَا إِنَّمَا يَكْفِي الْفَتَى بَعْدَ زَيْنِهِ * مِنَ الْأَوْدِ الْبَاقِي يَتَقَافُ الْمَقُومُ
لَقَدْ لَيْسَتْ لِهَؤُلَاءِ الْمَلُوكِ بِيَابِهَا * تَرَامَى لَكَ الدُّنْيَا يَكْفَى وَمِعْصَمُ
وَتَوَيْمُضُ أَحْيَانًا بَيْنَ مَرِيضَةٍ * وَتَيْمَمُ عَنْ مِثْلِ الْجَمَانِ الْمُنْتَظَمِ

(١) افراده : اصطباره ، يقال : نزلت به مصيبة فوجد عروفا ، أى صبروا .

(٢) أبلس : انكسروا . (٣) الدراح : دويصة حراء مطقة بسواد تطير ، وهى من السوم

القائلة ، والدراح جمع . والنخصاض : حظ أسود لا خشوة فيه تنها به الإبل الجرب .

فَأَعْرَضَتْ عَنْهَا مُشْمِئًا كَأَنَّمَا * سَقَمْتُكَ مَدُونًا مِنْ سِيَامٍ وَمَقَمٍ
وَقَدْ كُنْتَ مِنْ أَجْجَالِهَا فِي مُتَمِّعٍ * وَمِنْ بَحْرَهَا فِي مُزِيدِ الْجُودِ مُقَمِّمٍ
وَمَا زِلْتَ سَبَاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ * صَبَدْتَ بِهَا أَعْلَى الْبِنَاءِ الْمَقْدَمِ
فَلَهَا أُنَاكَ الْمُلْكُ حَقَّقُوا وَلَمْ يَكُنْ * لَطَالِبِ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمٍ
تَرَكْتَ الَّذِي يَقْنَى وَإِنْ كَانَ مُوَقَّعًا * وَأَثَرَتْ مَا يَتَّبِقُ بِرَأْيِ مُصَمِّمٍ
فَأَضْرَبْتَ بِالْقَانِي وَشَمَرْتَ لِلذِّي * أَمَامَكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْهَوْلِ مَظْلَمٍ
وَمَالِكَ أَنْ كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعٌ * سَوَى اللَّهِ مِنْ مَالٍ رَغِيبٍ وَلَا دَمٍ
سِوَاكَ هُمْ فِي الْفُؤَادِ مُؤَرِّقٌ * صَبَدْتَ بِهِ أَعْلَى الْمَعَالِي بِسُلْمٍ
فَإَيْنَ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كُلِّهَا * مُنَادٍ يَنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
يَقُولُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَلَمْتَنِي * بِأَخِيذٍ لِدِينَارٍ وَأَخِيذٍ لِدِرْهَمٍ
وَلَا بَسِطَ كَفٌّ لَأَعْمَرَى ظَالِمٌ لَهُ * وَلَا السَّفِكُ مِنْهُ ظَالِمًا مَلَّ نَجْمٍ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ الْمَسْلُومُونَ تَقَسَّمُوا * لَكَ الشَّطْرُ مِنْ أَعْمَارِهِمْ غَيْرَ تَكْدَمٍ
فَمِشَتْ بِهِ مَا حَجَّ اللَّهُ رَاكِبٌ * مُنْغِدٌ مُطِيفٌ بِالْمَقَامِ وَزَمَنِمٍ
فَارْجُحْ بِهَا مِنْ صَفْقَةٍ يُبَايَعُ * وَأَعْظِمُ بِهَا أَعْظَمُ بِهَا ثُمَّ أَعْظِيمُ
وَمِنْ نَسِيهِ بَعْرَةٌ لَهَا أَتْرَجَتْ إِلَى مِصْرَ :

لَعِزَّةٌ مِنْ أَيَّامِ ذِي الْقِنَاصِ شَافِي * بِضَاحِي قَرَارِ الرُّوضَتَيْنِ رُسُومُ
هِيَ الدَّارُ وَحَشًا غَيْرَ أَنْ قَدْ يَحْتَلُّهَا * وَيَقْنَى بِهَا شَخْصٌ عَلَى كَرِيمٍ
فَمَا يَرِيسُومُ الدَّارَ لَوْ كُنْتُ عَالِمًا * وَلَا بِاتِّسَالِ الْمَقْصُورِيَّاتِ أَهْمٍ
سَأَلْتُ حَكِيمًا أَيْنَ شَطَطَتْ بِهَا التَّوَى * نَحْبَرُنِي مَا لَا أَحَبُّ حَكِيمٍ
أَجَدُّوْا فَمَا آلُ عِزَّةٍ غُنْدُوَّةٌ * فَبَانُوا وَأَمَّا وَاسِطُ فَقِيمٍ
لِعَمْرَى لَنْ كَانَ الْفُؤَادُ مِنَ الْهَوَى * بَنَى سَقَمًا إِنِّي إِذَا لَسَقِيمٍ

(١) مدونًا : مخلوطًا ، داف الدواء ، والزعران يدوه : حلقه . (٢) مدد : سارع

(٣) أقرت الدار : حلت من ساكنها . (٤) هو أبو السائب بن حكيم .

وفنها :

ولستُ بِرَأْيٍ نَحْمُو مَصْحَابَهُ * وَإِنْ بُمَدَّتْ إِلَّا قَعْبَتْ أَشِيمُ
 قَدْ يَقَعْدُ النَّكْسُ الَّذِي عَنْ الْهَوَى * عَزُّوْقًا وَيَصْبُو الْمَرْءُ وَهُوَ كَرِيمُ
 وَقَالَ خَلِيلٌ مَا لَهَا إِذْ لَقِيْتَهَا * فِدَاةَ السَّنَا فِيهَا عَلَيْكَ وَجُومُ
 قُلْتُ لَهُ إِنْ الْمَوْتَةَ بَيْنَنَا * عَلَى غَيْرِ غَيْشٍ وَالصَّفَاءُ قَدِيمُ
 وَإِنِّي وَإِنْ أَعْرَضْتُ عَنْهَا تَجَلَّدَا * عَلَى الْعَهْدِ فَيَا بَيْنَنَا لِمَقِيمُ
 وَإِنْ زَمَانًا فَرَّقَ الدَّعْرُ بَيْنَنَا * وَبَيْنَكُمْ فِي صَرْفِهِ لَمَشُومُ
 أَفَى الْحَقِّ هَذَا أَنْ قَلْبِكَ سَالِمٌ * صَحِيحٌ وَقَلْبِي فِي هَوَاكِ سَقِيمُ
 وَأَنْ يَجْسِمَ مِنْكَ دَاءٌ عَنَّا مَرَا * وَجَسْمُكَ مَوْفُورٌ عَلَيْكَ سَلِيمُ
 لَعَنُوكَ مَا أَنْصَفْتَنِي فِي مَوَدَّتِي * وَلَعَنَتْنِي بِأَعَزِّ عَنْكَ حَلِيمُ
 فَمَا تَرَبُّيَ الْيَوْمَ أَبَدَى جَلَادَةً * فَإِنِّي لَمَعْرَى تَحْتَ ذَاكَ كَلِيمُ
 وَلَسْتُ أَبْنَةَ الضَّمْرِىَ مِنْكَ بِنَاقِمٍ * ذُنُوبَ الْمَدَى إِنِّي إِذَا لَقَطْلُومُ
 وَإِنِّي لَنُوٍّ وَجِيدٍ إِذَا عَادَ وَصْلُهَا * وَإِنِّي عَلَى رَبِّي إِذَا لَكْرِيمُ

ومن نسيه بها :

لَمَزَةٌ أَطْلَلْتُ أَبْتَ أَنْ تَكَلَّمَا * تَبِيجُ مَغَانِيهَا الْفُؤَادَ الْمُكَلَّمَا
 وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ أَجْلَلَنَّ مَجْلِسِي * وَأَظْهَرَنَّ مِنِّي هَيْئَةً لَا تَجْهَلُهَا
 يُحَاذِرُنَّ مِنِّي غَيْبَةً قَدْ عَرَفْنَاهَا * قَدِيمًا فَمَا يَضْحَكُنَّ إِلَّا تَبْسُمَا

ومنه :

خَلِيلٌ عَوَجًا مِنْكَ سَاعَةً مَعِي * عَلَى الرَّعِّ قَقْضُ سَاعَةٍ وَنُودِيعُ
 وَلَا تُعِيلَانِي أَنْ أَلِمَّ يَدِمْنَةً * لَمَزَةٌ لَاحَتْ لِي بِبَيْدَاءِ بَلَقِيعُ
 وَقَوْلَا لِقَلْبِي قَدْ سَلَا رَاجِعُ الْهَوَى * وَلِلْعَيْنِ أَذْرَى مِنْ دُمُوعِكَ أَوْدَعِي
 فَلَا عَيْشَ إِلَّا مِثْلَ عَيْشِ مَضَى لَنَا * مَصِيفًا أَقْنَا فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَرْبِيعُ

ومنه :

يلبى وجارات ليلى كأنها • فَمَاجُ الفلا تُنْجِدُنِي مِنَ الأَبَاعِ
أَمْتَقِطُغُ يَاعِزَّ مَا كَانَ بَيْنَنَا • وَشَا جَرْنِي يَاعِزَّ فَيْكَ الشَّوَابِرُ
لِذَا قَبِلَ هَذَا بَيْتُ عِزَّةٍ قَادِنِي • إِلَيْهِ الْهَوَى وَأَسْتَجِلُنِي الْبَوَادِرُ
أُصَدِّ وَبِى مِثْلَ الْجَنُونِ لَكِي يَرَى • رُؤَاةُ انْقِلَابِنَا أَنَى لَيْتِكَ هَاجِرُ
أَلَا لَيْتَ حَقْلِي مِنْكَ يَاعِزَّ أَنَى • إِذَا بَنَيْتَ بَاعَ الصَّبْرِ لِي عَنْكَ تَاجِرُ

وما زلتُ من ليلٍ لَدُنْ طَرَّ شَارِبِي • إِلَى الْيَوْمِ أُخْنِي حَبَّهَا وَأَدَا جُنِّي
وَأَحْمِلُ فِي لَيْلٍ ضَغَائِنَ مَعَشَرٍ • وَتُحْمَلُ فِي لَيْلٍ عَلَى الضَّغَائِنِ

ومنه :

وَلَمَّا لَأَرَى قَوْمَهَا مِنْ جَلَالِهَا • وَإِنْ أَظْهَرُوا غِشًّا نَصَبْتُ لِمِ جَهْدِي
وَلَوْ حَارَبُوا قَوْمِي لَكُنْتُ لِقَوْمَهَا • صَدِيقًا وَلَمْ أَحْمِلْ عَلَى حَرْبِهَا حَقْدِي

ومنه :

هَلَا سَأَلَتْ مَعَالِمَ الْأَطْلَالِ • بِالْخُرُوجِ مِنْ حُرُصٍ وَهَنْ بَوَالِ
سَقِيًّا لِعِزَّةٍ خُلَّةٍ سَقِيًّا لَهَا • إِذْ نَحْنُ بِالْمَهْضَبَاتِ مِنْ أَمَلَالِ^(٢)
إِذَا لَا تَكَلَّمْنَا وَكَانَ كَلَامُهَا • فَفَلَا تَوَمَّلْهُ مِنَ الْأَنْفَالِ

ومنه :

أَلَا حَيًّا لَيْلَى أَجَدَّ رَجُولِي • وَأَدْنَى أَصْحَابِي غَدًا يَقُولُ^(٣)
تَبَنَيْتُ لَهُ لَيْلَى تُذْهِبُ عَقْلَهُ • وَشَاقَّتْكَ أُمُّ الصَّلْتِ بَعْدَ دُهُولِ
أُرِيدُ لِأَنْتَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا • تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ
إِذَا ذُكِرْتَ لَيْلَى تَفَشَّشْتَكَ عَصْرَةٌ • تُعَلِّ بِهَا الْعَيْنَانِ بَعْدَ دُهُولِ

(١) حُرُص : واد من وادى قناة ، من المدينة على ميلين .

(٢) أراد أملا ، وهو مرسل على طريق المدينة من مكة . (٣) يقول : رجوع

وكم من خليل قال لي هل سألتها * فقلت له ليس أضرب خليل
وأبعده نبلاً وأوشكه^(١) قسلاً * وإن سئلت عرقاً فشرّ مسؤل
حلفت برب الراقصات الى منى * خلال الملايمئذن كل جديل
تراها رفاقاً بينهم ثماوت * ويمئذن بالإهلال كل أصيل^(٢)
تواهقن بالهجاج من بطن نخلة * ومن عزّور وانلبت خبت طفيل^(٣)
بكل حرام خاشع متوجه * الى الله يدعوه بكل قيل
على كل مدّعين الرواح مبيدة * ونخشيّة ألا نبيد هزبل
شوايد قد أرتعن دون أجنة * وهوّج تبارى في الأزيمة حول^(٤)
يمين امرئ مستغليظ من ألية^(٥) * ليكذب قلا قد ألح قيل
لقد كذب الواشون ما بحث عندهم * بليل ولا أرسلتهم برسول^(٦)
فإن جائك الواشون غنى بكذبة * فروها ولم يأتوا لها بحويل^(٧)
فلا تجعل باليل أن تفهمي * بنصح أتى الواشون أم يحبول^(٨)
فإن طبت نفسا بالعطاء فأجزلي * وغير العطا باليل كل جزيل
والا فأجمال الى فأنسى * أحب من الأخلاق كل جميل
وإن تبذل لي منك يوماً مودة * فقدما تحذت القرض عند بئول
وإن تبغلي باليل غنى فأنسى * تؤكلى نفسى بكل بخيل
ولست براض من خليل بنائيل * قليل ولا راض له بقليل

- (١) أوشكه : أسره . والقتل : البض . (٢) الراقصات : الابل ، والملا : العصاة ، والجديل : زمام محدود أى مصمور . (٣) الأصيل : المشو . (٤) تواهقن : تدارين ، وبطن نخلة : مكان فى عامر ، وعزور : ثنية الجحفة . والحبت ، الحطش من الأرض . وطفيل : موضع (٥) الطفيل : الطريق . (٦) المدّعين : المدّلة . ومبيدة : قد داودت السفر . (٧) الشوايد : الشائعات الأذباب ، وأرتعن : أعطنز أرحامهن على أولادهن . والحول : جمع حائل وهو التى لا تفتح . (٨) الألية : البير . (٩) فروها من "مرية" يقال مرى مرى . والحويل : المحاولة . (١٠) الحبول : الدواهي .

وليس خليل بالكلول ولا ألقى * إذا غبت عنه باهى بالخليل
 ولكن خليل من يديم وصاله * ويحفظ سرى عند كل دُخيل^(١)
 ولم أر من لى نوالا أهده * ألا ربما طالبت غير مُيَسِّل
 يلومك في ليل وعقلك ضدها * رجالٌ ولم تلحّب لهم بمقول
 يقولون ودّع عنك ليل ولا نهم * بقاطعة الأقران فأت حليل
 لما قصت قصي بما أسروا به * ولا عجت من أقوالهم بفصيل^(٢)
 تذكّرت أترابا لمزة كلمها * حين يليط ناعم وقبول
 وكنت إذا لاقيتهن كائن * محالطة على سلاف شمول
 فأطرت^(٣) حتى قلت لسن بوارها * رباء الأمانى أن يخلن مقيل
 فأبدن لي من بينين تجهما * وأخفن ظني إذ ظننت وقيل
 فلما يلاي يلاي ما قضين لبانة * من الدار وأستقلن بعد طويل
 فلما رأى وأستيقن البين صاحي * دعا دعوة يا جتربن سلول
 فقلت وأمررت الندامة ليتي * وكنت أسراً أفتش كل عدول
 سلكت سبيل الرامحات عشية * تخارم^(٤) نضج أو سلكن سبيل
 فأسعدت نفسا بالهوى قبل أن أرى * هوادي^(٥) تأتي بيننا وشغول
 نيمتُ صل ما فاتني يوم بنم * فباحسرتا ألا يرين عويل
 كأن دموع العين وإهية الكلى^(٦) * وعث ماء غرب يوم ذاك تبيل

- (١) الدخيل : الذي ينسب الى قوم وليس منهم . (٢) أى ما رويت . (٣) الأتراب :
 الأقران . والليط : اللون وهو الجلد أيضا . (٤) أطرت : تلجّن ، وأصل الطارت : التحطف .
 (٥) ألاى : البله . واللبانة : الحاجة .
 (٦) الخارم : جمع خرم وهو منقطع أف الجبل . وضع : حبلى أسود بين الصقرا . ويضع : (٧) هوادي :
 الصوارف . (٨) الكل : جمع كلة وهو الرقة تكون في أصل عروة المزداد . والغرب : الدنو العظيمة .
 وجبيل : صمم .

تَكْفُفُهَا تُرْقَى تَوَافُلُ تَحَرَّزَهَا * فَأَيَّجَلْتَهُ وَالسَّيْرَ غَيْرَ يَجْمَلُ^(١)
 أَيْقَمِي فُلَانُ الْفُؤَادَ يَعْرِ بِعَدَمِ * أَلَى إِذَا مَا بُنْتُ غَيْرَ بَحْمِلِ
 كَفَى حَزَنًا لِلْعَيْنِ أَنْ رَدَّ طَرَفَهَا * لَمَزَةٌ عَيْرٌ أَذْنَتْ بِرَحِيلِ
 وَقَالُوا نَأَتْ فَأَخَذَ مِنَ الصَّبْرِ وَالْبُكََا * فَقُلْتُ الْبُكََا أَشْفَى إِذَا لَقِيلِ
 تَوَلَّيْتُ عَمَزُونًا وَقُلْتُ لِمَصَاحِبِي * أَفَأَتَلِقَى لَيْلَى بِغَيْرِ قَتِيلِ
 لَمَزَةٌ إِذَا يَحْتَمِلُ بِالْخَلِيفِ أَهْلُهَا * فَأَوْحَشَ مِنْهَا الْخَلِيفُ بَعْدَ حُلُولِ
 وَبَدَّلَ مِنْهَا بَعْدَ طُولِ إِقَامَةٍ * تَبَعْتُ نَكَبَاءَ الْعَيْشِ جَفُولُ^(٢)
 لَقَدْ أَكْثَرَ الْوَاشُونَ فِينَا وَفِيكُمْ * وَمَالُ بَنِي الْوَاشُونَ كُلِّ يَمِيلِ
 وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيْلٍ لَدُنْ طَرُ شَارِبِي^(٣) * إِلَى الْيَوْمِ كَالْمُقَصَّى بِكُلِّ سَبِيلِ

وله :

إِذَا مَا أَرَادَ الْغَزْوَ لَمْ تَنْهَ مَهْمَ * حَصَانٌ طَلِبَهَا تَطْلُمُ دُرٌّ يَزِينُهَا
 نَهْتُهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ طَافَهُ * بَكَتْ فَبَكَى مِمَّا تَجَاهَا قَطِينُهَا^(٤)
 وَلَمْ يَنْتَبِهْ يَوْمَ الْعَصَابَةِ بَشْأَ * فِدَاءَ آسْتَهَلَّتْ بِالْمَدْمُوعِ سُؤُونُهَا
 وَلَكِنْ مَعْنَى ذُو مِرَّةٍ مُتَهَلِّئُ * بِسُنَّةِ حَقٍّ وَاضِحٍ مُسْتَبِينُهَا
 وله في مدح عبد الملك بن مروان :

أَحَاطَتْ يَدَاهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَا * أَرَادَ رِجَالُ آخَرُونَ اغْتِيَالَهَا
 فَاسْتَلَمُوهَا عَتَوَةً عَنْ مَوَدَّةٍ * وَلَكِنْ يَحْمَدُ الْمَشْرِقُ اسْتِغْلَالَهَا
 وَكُنْتُ إِذَا نَابَتْكَ يَوْمًا مُلِمَّةٌ * نَبَلْتُ لَهَا أَبَا الْوَلِيدِ نِيَالَهَا^(٥)
 سَمَوْتُ فَأَدْرَكْتَ الْعَلَاءَ وَإِنَّمَا * يُلْقَى عَلَيَاتِ الْعُلَا مِنْ سَمَا لَهَا
 وَصَلْتَ فَتَالَتْ كَعْمُكَ الْمَجْدُ كُلَّهُ * وَلَمْ تَبْلُغِ الْإَيْدَى السَّوَامِي مَصَالَهَا

(١) حرق : جمع حرقاء . وهي التي لا تحبس العمل . وأعجلته : أوسعه . والجيزيل العليظ : يريد أنه

أعلن الإنسان رادق السير . (٢) النكاه : الرجاء . تَبَعْتُ : تَبِعْتُ . وهي ريجين . والحقول : التي تذهب التراب .

(٣) طرور الشارب : شاته . (٤) القطن : الخدم . (٥) سلت : أعددت

وله أيضا :

أهَاجَكَ بَرْقُ آتَرِ اللَّيْلِ وَاصِبٌ * تَضَمَّنَتْهُ قَرْنُ الْجَبَا فَلَمْسَا يَرْبُ
يَحْمُرُ وَيَسْتَأْنِي نَشَاصًا كَأَنَّهُ * بِضَيْقَةِ حَادٍ جَلَّجُلُ الصَّبُوتِ جَالِبُ
تَأَلَّقَى وَأَتَحَمَّوْنِي وَخَمَّ بِالرَّأْيَا * أَحْمُ الدَّرَى ذُو هَيْدَبٍ مُتَرَاكِبُ
إِذَا حَرَكْتَهُ الرِّيحُ أَرْزَمَ جَانِبُ^(١) * بَلَا هَزَقٍ مِنْهُ وَأَوْمَضُ جَانِبُ
كَمَا أَوْمَضَتْ بِالْعَيْنِ ثُمَّ تَبَسَّمتْ * خَرَجَ^(٢) بَدَا مِنْهَا جَيْشٌ وَحَاجِبُ
يَمِجُّ النَّدَى لَا يَذْكُرُ السَّيْرَ أَهْلُهُ * وَلَا يَرْجِعُ الْمَاشِي بِهِ وَهُوَ جَادِبُ

وله أيضا :

سَبَّلَكَ فِي الدُّنْيَا شَفِيقٌ عَلَيْكَ * إِذَا غَالَهُ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ غَالُهُ
وَيُخَيِّنِي لَكُمْ حُبًّا شَدِيدًا وَرَهْبَةً * وَلِلنَّاسِ أَشْغَالٌ وَحُبٌّ شَاغِلُهُ
وَحُبُّكَ يُبَيِّنُنِي مِنَ الشَّيْءِ فِي يَدِي * وَيُذِلُّنِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَزَاوِلُهُ
كَكْرِيمٍ يُبَيِّتُ السَّرَّ حَتَّى كَانَهُ * إِذَا اسْتَبَحُّنَا عَنْ حَدِيثِكَ جَاهِلُهُ
يَوَدُّ بَانَ بِمِيسَى سَقِيًّا لَهَا * إِذَا تَمَعَّتْ عَنْهُ بِشَكْوَى رَأْسَهُ
وَيَرْتَاحُ لِلْعُرُوفِ فِي طَلَبِ الْعِلَا * لِيُحْمَدَ يَوْمًا عِنْدَ أَيْلَى شِمَائِلُهُ
فَلَوْ كُنْتُ فِي كَيْلٍ^(٣) وَبُحْتُ بِلَوْحِي * إِلَيْهِ لَأَنْتَ رَحْمَةً لِي سَلَايِلُهُ

وله أيضا :

أَقُولُ لِمَاءِ الْعَيْنِ أَمِينٌ لَعَلَّهُ * بِمَا لَا يُرَى مِنْ غَائِبِ الْوَجْدِ يَشْهَدُ
فَلَمْ أَدْرُ أَنَّ أَلْعَيْنَ قَبْلَ فِرَاقِهَا * غَدَاةَ الشَّبَابِ مِنْ لَاجِ الْوَجْدِ تَجِدُ
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْعَيْنِ ضَلَّتْ بِمَائِهَا * عَلَى وَلَا مِثْلِي عَلَى السَّمْعِ يُحْسَدُ

(١) النشاص : السحاب المرتفع بعضه فوق بعض . (٢) أَرَزَمَ : صَوَّت . (٣) الهزق

شدة صوت الرعد . (٤) خرج : امرأة حسنة . (٥) كَلَّ : تَعَدَّ شَدِيدًا .

وله أيضا :

تَسْمَعُ الرِّعْدَ فِي الْهَيْلَةِ مِنْهَا * مِثْلَ هَزَمِ الْقُرُومِ فِي الْأَشْوَالِ^(١)
وَتَرَى الْبَرْقَ عَارِضًا مُسْتَطِيرًا * مَرَحَ الْبُلْقِ جُلْنَ فِي الْأَجْلَالِ
أَوْ مَصَابِيحَ رَاهِبٍ فِي يَفَاجٍ * سَمَّمَ الزَّيْتَ سَاعِطَاتِ الدُّبَالِ

وله أيضا :

فِيَا عَزَّ إِنِّ وَايِسَ وَشَى فِي عِنْدِكُمْ * فَلَا تُكْرِمِيهِ أَنْ تَقُولِي لَهُ أَهْلًا
كَمَا لَوْ وَشَى وَايِسَ بَعِزَّةً عِنْدَنَا * لَقُلْنَا تَزَحَّجْ لَا قَرِيْبًا وَلَا سَهْلًا

(١) القروم : الفحول التي أحضيت من الحمل عليها وتركت للفتلة .

(٢) الأشوال : الإبل التي مضى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وبخف لبنها

(د) الغزل القصصى

١ - أخبار قيس بن الملقح (المجنون)^(١)

قال الأصمغاني عن محدثيه عن ابن دأب قال : قلت لرجل من بنى عامر : أتعرف المجنون وتروى من شعره شيئا ؟ قال : أوقد فرغنا من شعر العقلاء حتى تروى أشعار المجانين ! إنهم لكثير ! قلت : ليس هؤلاء أعنى ، إنما أعنى مجنون بنى عامر الشاعر الذى قتله العشق ، فقال : هيات ! بنو عامر أغلفوا أكبادنا من ذاك ، إنما يكون هذا فى هذه الجمالية الضعاف قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصلبة رءوسها ، فأما تزار فلا .

وقال الرياشى سمعت الأصمغاني يقول : رجلان ما عرفا فى الدنيا قط إلا بالاسم : مجنون بنى عامر ، وابن القرية^(٢) ، وإنما وضعهما الرواة .

وقال المدائنى : المجنون المشهور بالشعر عند الناس صاحب ليل قيس بن معاذ من بنى عامر ، ثم من بنى حنبل ، أحد بنى بئير بن عامر بن حنبل ، قال : ومنهم رجل آخر يقال له : مهدي بن الملقح من بنى جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وقال ابن الكلبي : حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه قتي من بنى أمية كان يهوى أبنه عم له ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التى يروها الناس للمجنون ونسبها إليه .

(١) هو قيس بن الملقح ، ويقال : ابن معاذ بن مزاحم من بنى عامر بن صعصعة ، ويعرف بمجنون ليل ، نسبة الى ليل التى كان يتمشقا وهو مشهور ، ولكن بعض أهل النقد من طلب الشعر يرون أن قصته موضوعة ، وضعا رجل من بنى أمية كان يحب أبنه عم له ويكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التى يلقبها الناس بالمجنون ، وقد زاد الناس فيه بعدد . ويؤيد ذلك أن كثيرا مما ينسب اليه من الأشعار رويت لغيره ، فقصته اذا من قبيل الشعر التمثيل (درام) الذى يراد به تمثيل بعض الفضائل . وهى تمثل العشق مع الصنف ، أو لعل لها أصلا قديما وزاد فيه الرواة كما علوا بقصة عترة التى تمثل الشجاعة والعشق ، وهل كل حال فان بين الأشعار المسبوبة الى المجنون طائفة تمثل شاعر المصين كما هى على طبيعتها . وأخبار المجنون فى الأغاني (ج ١ ص ١٦٧) والشعر والشعراء (ص ٣٥٥) ونزاة الأدب (ج ٢ ص ١٧٠) . (٢) الصلحة : صفر الرأس . (٣) هو أيوب ابن زيد بن قيس والقزوة أمه قتله الهلاج لاتباعه بالليل لان الأشعث .

وعن حماد بن طالوت بن عباد : أنه سأل الأصمعي عنه ، فقال : لم يكن مجنوناً ، بل كانت به لؤمته أحدها العشق فيه ، كان يهوى امرأة من قومه يقال لها ليلى ، وأسمه قيس ابن معاذ .

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبَانِيّ عن أبيه أنَّ اسمه قيس بن معاذ .
وذكر شُعَيْبُ بْنُ السَّكَنِ عَنْ يُونُسَ النَّحْوِيِّ أَنَّ اسْمَهُ قَيْسُ بْنُ الْمُتَوَحِّجِ ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيّ : وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَحْنِ أَنَّهُ رَأَاهُ وَلَقِيَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ اسْمِهِ وَنَسَبِهِ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ قَيْسُ بْنُ الْمُتَوَحِّجِ .

وذكر هشام بن محمد الكلبي أنه قيس بن المتوح ، وحدث أن أباه مات قبل اختلاطه ، فمقر على قبره ناقته وقال في ذلك :

عقرت على قبر المتوح فاقى * بلدى السرح لما أن جفاه الأقاربُ
وقلت لما كوني عقيراً فاقى * غداً راجلاً أمشى وبالأُمس راكبُ
فلا يُبعدنك الله يا بنَ مُزَاحِمٍ * فكلُّ بكأس الموت لاشكَّ شاربُ

وقال الأصمعي : سألت أهرابياً من بني طامر بن صمصة عن المجنون العاصري فقال :
عن أيهم تسألني ؟ فقد كان فينا جماعة رُموا بالمجنون ، فمن أيهم تسأل ؟ فقلت : عن الذي كان يُسبب بَيْلَى ، فقال : كلُّهم كان يُسبب بَيْلَى ، قلت : فأنشدني بعضهم ، فأنشدني لمزاحم بن الحارث المجنون :

ألا أيها القلبُ الذي لَجَّ هائمًا * بَيْلَى وَلَيْدًا لَمْ تُقَطَّعْ تَائِمَةٌ
أَفَيْقُ قَدْ أَفَاقَ الْمَاشِقُونَ وَقَدْ أَقَى * لَكَ الْيَوْمَ أَنْ تَلْقَى طَبِيئًا تُلَاقِمُهُ
أَجِدْكَ لَا تُتْسِيكَ لَيْلَى مِلَّةً * تُلْمُ وَلَا عَهْدٌ يَطْلُو تَقَادُمُهُ

(١) يقال : اخطأ عقله إذا تضرع وقصد .
(٢) عقيراً ، أي معقورة ، وأصل العقر : قطع القوائم ثم أطلق بمعنى الذعر . قال ابن الأثير : كانوا يعقرون الإبل على قبور الموتى أي يحرقونها ويقولون : يا صاحب القبر كان يعقر لأضياف أيام حياته فكافه بمثل صنيعه بعد وفاته . وإنما أطلق العقر على الحر لأهم كانوا إذا أرادوا حر العير عقروه ثلاثاً يشرده عند الحر اه من اللسان مادة عقر . (٤) أي : حان وقرب .

قلت : فأنشدني لغيره منهم ، فأنشدني لمعاذ بن كليب المجنون :

ألا طامأ لاعتبت ليل وقادني * إلى اللهو قلبٌ لحسان بوع
وطال أمراءُ الشوق عني كلاً * تزفت دُموعاً تستعيد دُموعُ
فقد طال إمساكي على الكجد التي * بها من هوى ليل الغداة صُدوعُ

قلت : فأنشدني لغير هذين ممن ذكرت ، فأنشدني لمهدي بن الملوّح :

لو آق لك الدنيا وما عدلت به * سواها وليس باتئ عنك بينها^(١)
لكنت إلى ليل فقيرا وإنما * يهود إليها ودّ نفسك حينها

قلت له : فأنشدني لمن بقي من هؤلاء ، فقال : حسبك ! فواجه إاق في واحد من هؤلاء
من يؤزّن بعقلكم اليوم .

وقال الجاحظ : ما ترك الناس شعرا مجهولَ القائل قيل في ليل إلا نسبوه إلى المجنون ،
ولا شعرا هذه سبيله قيل في لُبني إلا نسبوه إلى قيس بن ذريح .

قال أبو الفرج : وأنا أذكر مما وقع إلى من أخباره جملاً مستحسنة ، مُتبرِّكاً من العُهدَة
فيها ، فإن أكثر أشعاره المذكورة في أخباره ينسبها بعض الرواة إلى غيره وينسبها من
حكيت عنه إليه ، وإذا قدمت هذه الشريطة برئت من عيب طاعني ومُتَّبِعٍ للعيوب .

أخبرني بخبره في شفعه بلبلى جماعة من الرواة ، ونسخت ما لم أسمع من الروايات
وجمعت ذلك في مسافة خبره ما اتفق ولم يختلف ، فاذا اختلفت نسبته ككل رواية
إلى راويها .

فمن أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبى ، قالا :
حدثنا عمر بن شبة عن رجاله وإبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، ونسخت أخباره من
رواية خالد بن كلثوم وأبي عمرو الشيباني وابن دأب وهشام بن محمد الكلبي وإسحاق بن
الخصاص وغيرهم من الرواة .

(١) الامراء: الاستدار . (٢) بينها هنا معناه وصلها لأنه من أسماء الأضداد ، يطلق على الوصل والعراق .

قال أبو عمرو الشيباني وأبو حنيفة : كان المجنون يهوى ليل بنت مهدي بن سعد بن مهدي بن ربيعة بن الحارث بن كعب بن ربيعة بن طاهر بن صحصحة وتكنى أم مالك ، وهما حينئذ صبيان ، فلقى كل واحد منهما صاحبه وهما يريان مواشي أهلها ، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فعجبت عنه ، قال : ويدل على ذلك قوله :

تعلقت ليل وهي ذات ذؤابة^(١) * ولم يند للأتراب من ثيابها حمم
صغير بن رعي البهم ياليت أنا * إلى اليوم لم تكبر ولم تكبر البهم

وقال ابن الكلبي : كان سبب عشق المجنون ليل ، أنه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمة وعليه حلتان من حلل الملوك ، فتر بأمرأة من قومه يقال لها : كريمة ، وعندها جماعة نسوة يتحدثن ، فبين ليل ، فأعجبهن جماله وقائه ، فدعونه إلى التزول والحديث ، فنزل وجعل يتحدثن وأمر عبداً له كان معه فقرا لمن ناقة ، وظل يتحدثن بقية يومه ، فينا هو كذلك ، إذ طلع عليهم فنى عليه بردة من برد الأعراب يقال له : "منازل" يسوق يعزى له ، فلما رأيته أقبل عليه وترك المجنون ، فغضب ونرج من عنقه وأنا يقول :

أأعير من جرائمة ناقتي * ووصلت مفروش لوصل منازل
إذا جاء قعقن الحلي ولم أكن * إذا جئت أرقى صوت تلك الخلايل

مى ما أتفضلنا بالسهم فضله * وإن نزع رشقا عنها فهو ناخيل

قال : فلما أصبح ليس حلتها وركب ناقة له أخرى ومضى متعرجا لمن ، فالتى ليل قاعدة يفناء بيتها وقد علق حبه بقلبها وهويته ، وعندها جواريات يتحدثن معها ، فوقفت بين وسلم ، فدعونه إلى التزول وقان له : هل لك في محادثة من لا يسفله عنك منازل ولا غيره ؟ فقال :

(١) الذؤابة : شعر الناحية .

(٢) أى من أجل ، يقال : فلت ذلك من جزاك أى من أجلك وما أنشد على هذا :

أمن جرائم أسد عظيم * ولو شتم لكان لكم جوار

(٣) أى ترمينا بالسهم ، ونصته : عليه . (٤) الرشق : رى أهل الضال ما معهم من السهام

في جهة واحدة .

إلى لعمري ، فترى فعل مثل ما فعله بالأمس ، فأردت أن تعلم ، هل لها عنده مثل ما له عندها ، فجئت تُعرض عن حديثه ساعة بعد ساعة وتحدث غيره ، وقد كان على قلبه مثل حبها إياه وشغفته واستمليها ، فيناهي تحلته ، إذ أقبل قتي من الحى قد حته وسارته سرارا طويلا ، ثم قالت له : انصرف ، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغير وأنتقع لونه وشق عليه قلها ، فأنشأت تقول :

كلانا مظهر للناس بقضا * وكل عند صاحبه ميكن

تُبَلِّغنا العيون بما أردنا * وفي القليلين هم هوى دفين

فلما سمع البيتين شفق شفقة شديدة وأغمي عليه ، فكث على ذلك ساعة ، ونضحوا الماء على وجهه حتى أفاق وتمكن حب كل واحد منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كل مبلغ .

وعن أبي الهيثم العقيلي قال : لما شير أمر المجنون ولى وتناشد الناس شعره فيها ، خطبها وبذل لها خمسين ناقة حمراء ، وخطبها ورد بن محمد العقيلي وبذل لها عشرين من الإبل وراعيها ، فقال أهلها : نحن غيروها بينكما ، فبي اختارت تزوجته ، ودخلوا إليها فقالوا : والله لئن لم تختاري وردا لثمتن بك ، فقال المجنون :

ألا يا بِلَ إن مُلِّكتِ فينا * خيارك فانظري لمن الخيار

ولا تستبيلي متى دنيا * ولا برما إذا حث القنار^(١)

يهرول في الصغير إذا رآه * وتعجزه ملات بكار

فمثل تأيم منه نكاح * ومثل تموي منه انتقار

فاختارت وردا فترجته على كره منها .

وقال :

أيا ويح من أمسى تحلس عقله^(٢) * فأصبح مذهوبا به كل مذهب

خليا من الخللان إلا معدرا^(٣) * يضحكني من كان يسوى تحني

(١) البرم : التقييل . (٢) القنار : ربح العلم المشوى . (٣) تحلس : سلب .

(٤) هو المقصر الذي لا عدله ولكنه يتكلف العذر ، ومنه قوله تعالى : (وما المعدرون من الأمراء يؤذونهم) .

إِذَا ذُكِرْتُ لِي عَقَلْتُ وَوَجَعَتْ * رَوَّاعٌ عَقْلِي مِنْ هَوَى مُتَشَعِّبٍ
 وَقَالُوا صَحِّحْ مَا بِهِ طَيْفُ جَنَّةٍ * وَلَا أَلَمٌ إِلَّا بِافْتِرَاءِ التَّكْتِبِ
 وَشَاهِدُ وَجْدِي دَمْعٌ عَيْنِي وَحُبُّهَا * بَرَى أَلَمٌ عَنْ أَحْنَاءٍ عَظُمَى وَمِنْكَبِي
 تَجَنَّبْتُ لِي أَنْ يَلْسَجَ بِكَ الْهَوَى * وَهِيَاتَ كَانَ الْحُبُّ قَبْلَ التَّجَنُّبِ
 أَلَا إِنَّمَا فَادَرْتُ بِأَتَمِّ مَالِكٍ * صَدَى أَيْمَانَتُنْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَلْهَبُ
 فَلَمْ أَرِ لِي بَعْدَ مَوْقِفٍ سَاعَةٍ * بِخَيْفٍ مَنَى تَرِي جَارَ الْحَصْبِ
 وَيُسَيِّدِي الْحَقَى مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ * مِنَ الْبُعْدِ أَطْرَافَ الْبَيَانِ الْخُضْبِ
 فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَأَنِّي * مَعَ الصَّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجِيمٍ مُقَرَّبِ

قال أبو الفرج : أنشدني الأخفش عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب

للجنون :

فَوَاقِهِ ثُمَّ أَقْبَى لِدَانِبُ * أَفْكَرَ مَا ذَنَّبِي إِلَيْهَا وَأَعْجَبُ
 وَوَاقِهِ مَا أُدْرِى عِلَامَ قَتْلَيْنِي * وَأَيُّ أُمُورِي فِيكَ يَالِيْلَ أَرْكَبُ
 أَقَطَعُ حَبْلَ الْوَصِيلِ فَالْمَوْتُ دُونَهُ * أَمْ أَشْرَبُ رَقًّا مِنْكَ لَيْسَ يُشْرَبُ
 أَمْ أَهْرُبُ حَتَّى لَا أَرَى لِي مَجَاوِرَا * أَمْ أَصْنَعُ مَاذَا أَمْ أَبُوحُ فَأُغَيَّبُ
 فَأَيُّهَا يَالِيْلَ مَا تَرْضِيَنِي * فَأَيُّ الْمَظْلُومِ وَإِنِّي لَمُعْتَبُ

وقال :

عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي الْعَزَاءَ فَقَالَ لِي * مِنْ الْآنَ فَإِيَّاسُ لَا أَعَزَّكَ مِنْ صَبْرِ
 إِذَا بَانَ مَنْ تَهَوَّى وَأَصْبَحَ نَائِيًا * فَلَا شَيْءَ أَجْدَى مِنْ حُلُوكَ فِي الْقَبْرِ

(١) الروائع : جمع رائعة ، أى مرثاة . (٢) الأحباء : جمع حنو وهو كل شئ به أعوجاج كظم
 الإحجاج (العلم الذى ينبت طيه الحاجب) والهى والصلح . (٣) الصدى : الجسد من الآدمى بعد موته ،
 ويطلق على الرجل الخفيف الجسد ، كما أنه يطلق على الصوت الذى يسمعه المصوت عقب صياحه راجعا إليه من
 نحو الحبل والبناء المرتفع .

وداع دما إذ نحن بالخريف من منى * فهِجَّ أطراب الفؤاد وما يدرى
دما باسم ليلى غيرها فكأنا * أطار بللى طائرا كان فى صدرى
دما باسم ليلى ضلل الله سعيه * ولىل بارض عنه نازحة قفر

وقال :

أيا جبلى تملن بالله خليا * سبيل الصبا يخلص إلى تسيما^(١)
أجد بردها أو تشف منى حرارة * على كبد لم يبق إلا صيما^(٢)
فان الصبا ريح إذا ما تنسمت * على نفيس عزون تجلت هووما

وقال :

أيا حرجات الحى حيث تمحوا * بنى سلم لا جادكن ربيع^(٣)
وخياك اللاتى بمخرج اللوى * يكنى لى لم تبلى ربيع^(٤)
ندمت على ما كان منى ندامة * كما ينتم المغبون حين يبيع^(٥)
فقدتك من نفيس شعاع فأننى * نبيتك عن هذا وأنت جميع^(٦)
تقربت لى غير القريب وأشرفت * إليك ثايا ما لحن طلوع^(٧)
وله :

يا صاحبي أيا بى بمترلة * قد مر حين عليها أيما حين^(٨)
لانى أرى رجعات الحب تقتلى * وكان فى بنىها ما كان يكفينى^(٩)
لاخير فى الحب ليست فيه قارعة * كأت صاحبها فى تزج موتون

- (١) الأطراب : جمع طرب وهو خفة تعترى الشخص من شدة الفرح أو الحزن . (٢) صيما : أصلها .
(٣) الحرجات : جمع حرجة وهى النخعة ، وصيبت بذلك لصيقها ، وقيل : الشجر الملتف ، وهى أيضا الشجرة
تكون بين الأشجار لا تصل إليها الآلة وهى ما رعى من المال . (٤) ذوسلم : موضع بالحجاز .
(٥) يقال : نفس شعاع اذا انشردأيا فلم تقبه لأمر جرم . (٦) الجميع : ضمة المتفرق .
(٧) أشرفت : ظهرت وأدغمت . (٨) الثايا : جمع ثية وهى الطريقة فى الجبل ، وقيل : هى العقبة ،
وقيل : هى الطريق العالى فيه ، يريد أن الوصول الى لىل صعب لا يستطيعه . (٩) الموتون : المصروب على
الوتين ، وهو عرق معلق بباط القلب .

إِنْ قَالَ عَدَاؤُهُ مَهْلًا فَلَا نَ لَهُم * قَالَ الْمَوَى فَبِعِزِّهِ هَذَا الْقَوْلِ يَتَنَبَّئِي
أَلَنِي مِنَ الْيَاسَنِ تَارَاتٍ فَتَقَنَّي * وَلِلرَّجَاءِ بَشَاشَاتٌ تَقُحِّنِي

وله

أَسْتَقْبِلُ نَفْعَ الْعَبَا ثُمَّ شَانِي * يَرِدُ شَايَا أَمْ حَسَّانَ شَانِي
كَأَنَّ عَلَى أَنْبِيَائِهِ انْغَرَجَ هَجَاهُ * بِمَا هَلَّكَ مِنَ أَمْرِ اللَّيْلِ طَارِقُ^(١)
وَمَا شَيْئُهُ إِلَّا بَعِيْنِي تَقَرُّسًا * كَمَا شِيمَ فِي أَعْلَى السَّعَابَةِ بَارِقُ

وروى الأصمعي له قوله :

أَخَذْتُ عَاسَنَ كُلِّ مَا * ضَلَّتْ عَاسَتُهُ بِحُسْنِهِ
كَأَدِ الْغَزَالِ يَكُونُهَا * لَوْلَا الشَّوَى وَتَشَوُّزُ قَرْنِهِ

قال : وهو القائل :

وَلَمْ أَرْ لَيْلٍ بَسَدَ مَوْقِفٍ سَاعَةٍ * بِخَيْفٍ يَنْبِي تَرِي جِمَارَ الْمُهْصَبِ
وَيُبْدِي أَلْهَى مِنْهَا إِذَا قَدَفَتْ بِهِ * مِنَ السُّبْرِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخْضَبِ
فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلٍ الْفِدَاةَ نَاطِرٍ * مَعَ الصَّبْحِ فِي أَهْطَابِ نَجْمٍ مُغْرِبِ
إِلَّا إِنَّمَا ظَلَمْتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ * صَدَى أَيْمَانٍ تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبِ

وقال :

يَقُولُ أَنَا سَ عَلَى مَجْنُونٍ عَامِي * يَرُومُ سُكُوكَا قُلْتُ أَنِّي لِمَا يَأِي
وَقَدْ لَانِي فِي حُبِّ لَيْلٍ أَقَارِبِي * أَنِي وَأَبْنُ عَمِي وَأَبْنُ خَالِي وَخَالِيَا
يَقُولُونَ لَيْلِي أَهْلُ بَيْتِ مَدَاوِي * بِنَفْسِي لَيْلِي مِنْ عَدُوٍّ وَمَالِيَا
وَلَوْ كَانَ فِي لَيْلِي شِدَا مِنْ خُصُومِي * لَلَّوَيْتُ أَصْنَاقَ الْمِطَى الْمَلَاوِيَا^(٢)

(١) هجها : مزجها . (٢) العاتق : البركات لم تبين عن أهلها ، والظاهر أنها ليست مرادة

هنا وإن كلمة «عاتق» محزنة عن «عاق» وهو الساق في التبرق أي المشي .

(٣) الملاوي : جمع ملوى وهو مصدر ملى من لوى بمعنى خلف .

وقال :

ألا ما لبسلى لا ترمى عند مضجعى * بلسلى ولا يحسرى بذلك طائر
بلى إن عجم الطير تجسرى إذا جرت * بلسلى ولكن ليس للطير زاجر
أزالت عن العهد الذى كان بيننا * بذى الأثل أم قد غيرتها المقادر
فوالله ما فى القرب لى منك راحة * ولا البعد يُنبئنى ولا أنا حابر
وواقع ما أديى بأية حيلة * وأى مرام أو خطار^(١) أخطر
وثاقه إن الدهر فى ذات بيننا * على لها فى كل حال لحائر
فلو كنت إذ أزمعت هجرى تركتني * جميع القوى والعقل^(٢) منى وافر
ولكن أبهى بحقل عنيزة * وبالرغم أيام جناها التجاور^(٣)
وقد أصبح الود الذى كان بيننا * أمانى نفس والمؤمل حائر
لعمري لقد رقت يا أم مالك * حياتى وساقنى إليك المقادر^(٤)

وقال :

يا للرجال لهم بات يحسرونى * مستطرف وقديم كان يعينى
على غيرهم ملء غير ذى عديم * أبى فيمطلنى دنى ويؤينى^(٥)
لا يذكر البعض من دنى فينكره * ولا يُحدثنى أن سوف يقضينى
وما كسركى شكر لو يؤاقتنى * ولا منى حكمتاه إذ يمتننى

(١) الخطار : مصدر من خاطر بمعنى راهن .

- (٢) جميع : مجتمع . (٣) الحقل : المزرعة ويطلق على الموضع البكر الذى لم يزرع فيه نخل .
وعنيزة : موضع بين البصرة ومكة . وألرغم : موضع على ستة أميال من زبالة ، وزبالة : منزل معروف بطريق
مكة من الكوفة . (٤) رقت : كدرت ، والترقيق كما يطلق على التكدير يطلق على ضده الذى هو التصفية .
(٥) ملء بالهمز أى فقه غنى . قال صاحب اللسان : وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء .
(٦) عديم أى قرومته العدم بضم الميم وسكون الدال . قال صاحب اللسان : إذا ضمت أوله خففت فقلت :
الدم وإذا ضمت أوله قلت قلت : الدم . (٧) يملئ : يقال : لواء ديه وبدينه : مظه .

أطعته وعَصَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ * في أمره ثم يَأْتِي فهو يَعِصُنِي
خَيْرِي لِمَن يَتَّبِعِي خَيْرِي وَيَأْمُرُهُ * من دون شَرِّى وشَرِّى غيرُ مأمون
وما أَشَارِكُ في رأيي أَخَا ضَعِيفٍ ^(١) * ولا أَقُولُ أَنِي مَن لا يُوَاتِبُنِي ^(٢)

وله :

ألا أَيُّهَا الْيَتُّ الَّذِي لَا أَزُورُهُ * وإنَّ حَلَهُ شَخِصٌ إِلَى حَيْبُ
هَجْرَتِكَ إِشْفَاقًا وَزُرْتُكَ خَائِفًا * وفِيكَ عَلَى الدَّهْرِ مَنَّا رَقِيبُ
سَامِعَتُ الْآيَامَ فِيكَ لَحْلَهَا * بيوم سُورِدٍ فِي الزَّمَانِ قُرُوبُ

وبلغ المحزون أن أهل ليل يريدون نقلها إلى التقفي فقال :

كَانَ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى * بِلَيْلِ الْعَامِرِيَّةِ أَوْ بِرَاحُ
قَطَاءٍ عَزَّهَا شَرُّكَ فَبَاتَتْ * مُجَادِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ

فلما نقلت ليل إلى التقفي قال :

طَرِبْتَ وَشَاقَتَكَ الْحُمُولُ ^(٣) الدَّوَانِعُ * غَدَاةٌ دَعَا بِالْبَيْنِ أَسْفَعُ نَازِعُ ^(٤)
شَحَا ^(٥) فَاهُ نَعْبًا بِالْفَرَاقِ كَأَنَّهُ * حَرِيبٌ ^(٦) سَلِيبُ نَازِحُ الدَّارِ جَارِعُ
فَقُلْتُ أَلَا قَدِ بَيْنَ الْأَمْرِ فَانْصَرَفَ * فَقَدْ رَاعَنَا بِالْبَيْنِ قَبْلَكَ رَائِعُ
سُقِيتَ سُمُومًا مِنْ غَرَابٍ فَإِنِّي * تَبَيَّنْتُ مَا خَبَّرْتَ مَذْأَنَتَ وَاقِعُ

(١) الضعف هكذا بالحرك : لمة في الضعف بالفتح والسكون . ويستعمل في ضعف الرأي والعقل ،
وأشبه عليه ابن الأعرابي هذا البيت . ويستعمل في ضعف الجسم وأشد عليه :
ومن يبق غيراً يهتز الدهر عظمه * عل ضعف من حاله وخور

(٢) يواتيني : يساعدي .

(٣) الحمول في الأصل : الحوادث واحدها حل ثم اتسع فيها وصارت تستعمل في الإبل التي عليها الحوادث .
والدوانع : المتدفع في السير . (٤) كذا في أغلب النسخ وزر بين الأسواق . وفي ب ، س :
« أسمع » والأسفع والأسمع معانها واحد وهو الأسود . والنازع : المريع . والمراد بالأسفع النازع « الغراب » .
(٥) شحاهه يشعوه ويشعاه : تضعه . (٦) نعبا : صياحا وتصويتا . (٧) الحريب : من
سلب حريته وهي ماله الذي يقوم به أمره . (٨) بين بمعنى تين ، ومثله : « قد بين الصبح لتي صيتين » .

أَلَمْ تَسْرَأْنِي لِأَحِبِّ أَلُومِهِ • وَلَا يَسْدِيلُ بِسَدْمِ أَنَا قَانِعُ
 أَلَمْ تَرْدَا الْحَيَّ فِي رَوْقِ الضَّمْعِي • بِحَيْثُ أَلْمَحْتُ لِلْهَضْبَتَيْنِ الْأَجَارُعُ^(١)
 وَقَدْ يَتَنَاهَى الْإِثْفُ مِنْ بَعْدِ أَلْفَةٍ • وَيَصْدَعُ مَا بَيْنَ الْخَلِيطَيْنِ صَادِعُ
 وَكَمْ مِنْ هَوَى أَوْجِيَةٍ قَدْ أَلْقَتْهُمْ • زَمَانًا فَلَمْ يَنْتَهُمُ الْبَيْنَ مَانِعُ^(٢)
 كَأَنِّي غَدَاةُ الْبَيْنِ مَيِّتُ جَوِيَةٍ • أَخُو ظِلْمٍ سُلْتُ عَلَيْهِ الْمَشَارِعُ^(٣)
 تَخْلُسُ مِنْ أَوْشَالٍ مَاءٍ صُبَابَةٍ • فَلَا الشَّرْبُ مَبْنُوْلٌ وَلَا هُوَ نَافِعُ^(٤)
 وَبَيْضُ تَقَلُّبٍ بِالْبَيْرِ حَكَائِيهَا • نَعَاجُ الْمَلَأِ جِيَتْ عَلَيْهَا الْبَرَاقِعُ^(٥)
 تَقَعْنَ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ فَأَوْصَعَتْ • لَهْنَ بِأَطْرَافِ الْعَيُونِ الْمَدَائِعُ^(٦)
 فَأَيُّ مَنْ رَجَعَ الدَّارَ حَتَّى تَشَابَهَتْ • هَجَاتُهَا وَالْجُحُوفُ مِنْهَا الْخَوَاضِعُ^(٧)
 وَحَتَّى حَمَلْنَ الْحَوْرَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ • وَخَاضَتْ سُدُولَ الرَّقْمِ مِنْهَا الْأَكَارِعُ^(٨)

(١) الهضبتان : منى هضبة وهى الراجية أو الجبل المنبسط على الأرض أو الجبل المخلوق من صخرة واحدة ، والأجارع : جمع أبرج ، والأبرج كالجرعاء : الأرض ذات الحزوة تشاكل الرجل أو الرملة السهلة المستوية أو القطعة من الرمل لا تثبت شيئا (انظر اللسان فى ما ذقن هضب وجرع) . (٢) الهوى بمعنى المهورى وهو المحبوب ، ومنه قول الشاعر :

هَوَاىَ مَعَ الرِّكَبِ الْإِيمَانِ مُصَيِّدٌ • جَنِبٌ وَجُنَّتَانِ بِمَعْكَ مَوْثِقُ

(٣) الجسوية : فضاء أطلس سهل بين أرضين . (٤) تخلس الشيء : انته به وأخذته خلسة . (٥) الأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل . والصبابة : بقية الماء تبقى فى الآثاء والسقاء . (٦) هو من تقع بمعنى روى . (٧) الملا : الصحراء . (٨) أى قطعت . (٩) هو واد قرب مكة . (١٠) معناه ما برحن . يقال : ما رام المكان أى ما برحه . (١١) الهجائن : الابل البيضاء الكريمة واحدتها هجان . والجحون : جمع جون يفتح الجيم وهو الأسود الشرب بمجرة ، ويطلق على الأسود البهيمى وعلى الأبيض فهو من أسماء الأضداد . (١٢) الخواضع : الابل وإنما يقال لها خواضع لأنها تخضع أعناقها حين يجهذ بها السير ، قال جرير :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالْخَلَى خَوَاضِعٌ • وَكَانَتْ قَلَا فَلَائَةٍ بِجَهْلٍ

(١٣) الحور : جمع حوراء وهى البيضاء أو من فى عنها حور وهو شدة سواد القفلة فى شدة بياضها . (١٤) السدول : جمع سديل وهو ما يجال به المودج من الثياب . (١٥) الأكارع : جمع أكرع والأكرع جمع كراع ، أو الأكارع كما يقول سيويه جمع كراع على غير قياس . والكراع من الانسان : ما دون الركبة الى الكعب ، ومن الدابة قواعها مطلقا .

فَلَمَّا اسْتَوَتْ نَحْتُ الْخُدُورِ وَقَدْ جَرَى * غَسِيرٌ وَمَسْكٌ بِالرَّائِبِ رَادِعٌ^(١)
 أَشِيرٌ بَأَن جُثُوا الْجَمَالَ فَقَدْ بَدَا * مِنَ الصَّبِيفِ يَوْمٌ لَالُخُ الْحَرِّ مَا نَبِعُ^(٢)
 فَلَمَّا لَحِقْنَا بِالْحَمُولِ تَبَاثَرَتْ * بِنَا مَقْصِرَاتٌ غَابَ عَنْهَا الْمَطَامِعُ^(٣)
 يُمْرَضُنَ بِاللِّدْلِ الْمَلِيحِ وَابٌ يُرْدُ * جَنَاهُنَّ مَشْغُوفٌ فَهَتْ مَوَانِعُ
 فَقُلْتُ لِمَصْحَابِي وَدَمِيئِي مُسْبِلٌ * وَقَدْ صَدَعَ الشَّمْلُ الْمَشْتَتَّ صَادِعُ
 أَلَيْلٍ بِأَبْوَابِ الْخُسُودِ تَعَرَّضَتْ * لِعَيْنِي أَمْ قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ طَالِعُ
 وَرَوَى أَنَّ أَبَا الْهَيْثَمِ نَجَّحَ بِهِ لِيَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْمَوْقِفِ أَنْ يُعَايِنَهُ، فَسَارَ وَمَعَهُ ابْنُ
 عَمِّهِ زِيَادُ بْنُ كُثَيْبٍ بَنَ مُزَارِجِمٍ، فَتَرَجَّحَا تَدْعُو عَلَى أَيْكَةِ فَوْقَ بَيْكِي، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ:
 أَيْ شَيْءٌ هَذَا؟ مَا يُبَيِّنُكَ أَيْضًا؟ سَرَبْنَا نَلْحَقِي الرَّقَّةَ، فَقَالَ:

أَلَنْ هَتَفَتْ يَوْمًا بِوَادٍ حَمَامَةٌ * بَكَتَ وَلَمْ يَسْذِرْكَ بِالْجَهْلِ عَافِرُ
 دَعَتْ سَاقِ حَرْبٍ بَعْدَ مَا عَلَتِ الضُّحَى * فَهَاجَ لَكَ الْأَحْزَانُ أَنْ نَاحَ طَائِرُ^(٤)
 تَنَفَّى الضُّحَى وَالصَّبِيحُ فِي مُرْجَحَةٍ^(٥) * كَيْفَ الْأَعَالِي تَحْتَهَا الْمَاءُ حَائِرُ^(٦)
 كَانَ لَمْ يَكُنْ بِالْقِيلِ أَوْ بَطْنِي أَيْكَةٍ * أَوْ الْخُرْجِ مِنْ تَوَلَّى الْأَشَاءِ حَاضِرُ^(٧)

(١) المراد بالزاد هنا المردود به الجسد أو الثوب وهو العير والمسك . وأصل الردع الطعن بالخطب
 والضران، يقال : قميص رادع ومردوع أى فيه أثر الطيب والضران . وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما :
 « لم يبق من شئ من الأدوية إلا من المزفرة التى تردع الجلد » أى تخفض صبغها عليه . (٢) المانع :
 الطويل . (٣) مقصرات : جمع مقصرة أى داخلية فى القصر وهو العنق ، يقال : أَيْكَةُ قَصْرًا
 أى عشية ، وأقصرت أى دخلنا فى قصر العنق ، كما تقول أمينا من المساء من أعصرتِ الباردة إذا بلغت عصر شبابها ،
 أو من أعصرت أى دخلت فى العصر (انظر لسان العرب مادة قصر) .

(٤) تدعو : تصوت وتترجح . (٥) ساق حَرْبٍ : أصله صوت القمارى ويطلق على التكرار من
 القمارى تسمية له باسم صوته وهو المراد هنا (انظر لسان مادى سوق وحَرْ) . (٦) المرجحة : المهترئة
 المتأيلة . (٧) حائر : متردد . (٨) النيل : اسم لعدة مواضع والظاهر أن المراد هنا واد
 لبنى بجهة وهم قوم الهجنون . (٩) الأيكة : الفيضة المثقفة بالأشجار ولم نجد فى الكتب التى بأيدينا
 « أَيْكَةُ » ولا « بطن أَيْكَةٍ » اسمًا لموضع خاص كما هو المناسب للسياق . (١٠) الخرج : مطلف الوادى
 ولعله هنا اسم لموضع خاص وقد يكون جرح بن جواز وهو واد بالجمامة . (١١) الأشاءة : موضع بالجمامة
 فيه نخيل . ولعل كلمة « تول » معزاة عن « قال » والقال : صفاء النخل واحداه تالة .

يقول زيادٌ إذ رأى الحَيَّ هَجَرُوا ^(١) * أَرَى الحَيَّ قد ساروا فهل أنت سائرٌ
وإني وإن ظَلَّ التَّضَادُّ حاجتي * مُلِّمٌ على أوطان لَيْسَى قَنَاطِرُ

كان المجنون وليلى وهما صبيان يربيان غنما لأهلها عند جبل في بلادهما يقال له التوباد، فلما ذهب عقله وتوحش، كان يحمي إلى ذلك الجبل فيقيم به، فإذا تذكر أيام كان يطيّف هو وليلى به جزع جزعا شديدا وأستوحش فهام على وجهه حتى يأتي نواحي الشام، فإذا تاب إليه عقله رأى بلدا لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهم : أبى أتم، أين التوباد من أرض بنى عامر ؟ فيقال له : وأين أنت من أرض بنى عامر ! أنت بالشام عليك بنهم كذا قائم، فيمضى على وجهه نحو ذلك النجم حتى يقع بأرض اليمن، فيرى بلدا ينكرها وقوما لا يعرفهم فيسألهم عن التوباد وأرض بنى عامر، فيقولون : وأين أنت من أرض بنى عامر ! عليك بنهم كذا وكذا، فلا يزال كذلك حتى يقع على التوباد، فإذا رآه قال في ذلك :

وأجهشتُ للتوباد حين رأيته ^(٢) * وحكّبر للرحمن حين رأيته
وأذريتُ دمع العين لما عرفته * ونادى بأعلى صوته فدعاني
فقلتُ له قد كان حولك جيرة * وعهدى بذلك الصرم منذ زمان
فقال مضوا وأستودعوني بلادهم * ومن ذا الذي يبقى على الحدّان
وإني لأبكي اليوم من حذري غدا * فإراقك والحيارى مجتمعان
يبحالاً وتبتانا ووبلا وديمّة ^(٣) * وصحفاً وتسبجاً إلى هملات ^(٤)

- (١) هجروا : ساروا في وقت الهجرة . (٢) حال الشدة : ذهب . (٣) التوباد (بالذال المهملة) وهو المراض لما في معجم ما استعجم الكبرى إذ قال في ضبطه : هو جمع أوله راء مصحفة بواحدة ودال مهملة وأنشد عليه : وأجهشت للتوباد حين رأيته * البيت .
وضبطه ياقوت بالذال المعجمة فقال في معجمه : « توباد » بالفتح ثم السكون والاء موحدة وآخره ذال معجمة : جبل بنجد . (٤) أجهشت : تبيأت البكاء . (٥) يقال : هنت البها تهننت هنتا وتبتانا أي صبت . (٦) يقال : جمعت السحابة مطرها تسبجاً وتسبجاً إذا صبت . (٧) الحملان : فيض العين بالدموع .

وكان المجنون يسير مع أصحابه فسمع صائحا يصيح : يا ليلي في ليلة ظلماء أو توهم ذلك ، فقال لبعض من معه : أما تسمع هذا الصوت ؟ فقال : ما سمعت شيئا ، قال : لي ، والله هاتف يهتف بليلى ، ثم أنشأ يقول :

أقول لأدنى صاحبي كلمة * أشرت من الأقصى أجب ذا المناديا
إذا سرت في الأرض الفضاء رأيتي * أصابع رحي أن يميل حيالي
يمينا إذا كانت يمينا وإن تكن * شمالا ينزعني الهوى عن شماليا

خطب ليلي صاحبة المجنون جماعة من قومها فكرهتهم ، فخطبها رجل من قبيح مؤسر فرضيته ، وكان جميلا فتزوجها وخرج بها ، فقال المجنون في ذلك :

ألا إن ليلى كالنخلة أصبحت * تقطع إلا من قف حبالها
فقد حبسوها تحس البذن وأبتنى * بها الريح أقوام نساحت ماله
خيل لي هل من حيلة تعلمانها * يدني لنا تكلم ليلى أحبالها
إن أتما لم تعلمانها فلستأ * بأوي باغ حجة لا ينالها
كأن مع الركب الذين أغتلوا بها * غمامة صيف زهرتها شمائلها
نظرت بمضى سبل جوشن إذ غدوا * تحب بأطراف المخارم^(٥) آله
بشافية الأحزان هيج شوقها * مجامعة الألاف ثم زيا لها
إذا ألفت من خلقها وهي تمتلى * بها العيس جلى عبرة العين حائلها

(١) الرجل : ما يوضع على الجير لركوب ثم يبر به عن الجير .

(٢) النخلة في الأصل : الشاة أو الناقة يسلها صاحبها رجلا يشرب لبنها ثم يردّها إذا انقطع اللبن ، ثم كثر استعمالها في كل موهوب . (٣) يقال أصمت ماله : استأمله وأفسده ، وماله مسحوت ومسحت أي مذهب . وأصحت تجارتها : خبثت وحرمت ، ولم نجد في كتب اللغة « نساحت » على وزن تقاض من هذه المادة

(٤) لم نجد في بلاد العرب ما يسمى حوشن إلا جبلا في غربي حلب . (٥) المخارم (بالراء المهملة) :

جمع خرم وهو الطريق في الحبل أو الرمل .

وله :

وَأَحْيَيْسُ عِنْدَ النَّفْسِ وَالنَّفْسُ صَبِيَّةٌ • يَذْكُرُكَ وَأَلْهَمَنِي إِلَيْكَ قَرِيبُ
 خَافَةَ أَنْ تَسْمِيَ الْوُشَاةَ بَطْنِيَّةً • وَأَحْرَمُكُمْ أَنْ يَسْتَرِيبَ مُرِيبُ
 فَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي - وَأَنْتِ أَجَرْتِي • وَكُنْتِ أَهْرَ النَّاسِ - عِنْدَكَ تَطْلِبُ
 فَلَوْ شِئْتُ لَمْ أَغْضَبْ عَلَيْكَ وَلَمْ يَزَلْ • لَكَ الْبَحْرُ مَتَى مَا حَيْثُ نَصِيبُ
 أَمَّا وَالَّذِي يَتْلُو السَّرَائِرَ كُلَّهَا • وَيَعْلَمُ مَا تُبْدِي بِهِ وَتَغِيبُ
 لَقَدْ كُنْتَ مِنْ تَصْطَلِيهِ النَّفْسُ خُلَّةً • لَهَا دُونَ خُلَايِنِ الصَّفَاءِ مُجُوبُ

٢ - قيس بن ذريح^(١)

من شعر قيس :

يَقُولُونَ لَبْنَى فَتَنَةً كُنْتُ قَبْلَهَا • بِخَيْرٍ فَلَا تَنْدَمُ عَلَيْهَا وَطَلَّقِي
 فطالوتُ أَعْدَانِي وَعَصَيْتُ نَاصِي • وَأَقْرَرْتُ عَيْنَ الشَّامِتِ الْمُتَخَلِّقِ
 وَدِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنِّي عَصَيْتُهُمْ • وَحُمِلْتُ فِي رِضْوَانِهَا كُلِّ مُوَبِقِ
 وَكَلَّفْتُ خَوْضَ الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ زَانِرٌ • أَيْدِي عَلَى أَثْبَاجِ مَوْجٍ مَفْرَقِ

(١) هو قيس بن ذريح الكنانى من ليث بن بكر كان منزل قومه بظاهر المدينة . مر بعض حاجبه بخيام
 بن كعب بن خزيمة فرأى لبنى بنت الحباب الكعبية ، وكانت فتاة جميلة ، فطلبها ، فطلبها من أبيه فنهه إياها لمكانه من
 الثروة ، وكان يريد أن يزوجه من بنات عمومه حتى يحفظ تراثه في أهله ، فطارلب قيس وتقسمت نفسه وذهب ،
 فاستشفع بأخيه من الرصاع ، الحسين بن حل ، فوجد ما أحب وترجها ومكثا زمنا ولم يعقبا ، وشغل قيسا حب لبنى
 عن مواصلة أمه فاضلنعت حل وزوجه وسعت بها عند أبيه متغذة عدم الولد سلما ترقى به الى غيرها ، فطلب اليه أبوه
 أن يطلقها فأبى ، فإزال به بالوعد والوعد حتى أحابه الى طلبه ، وكان في ذلك القصاص الأخير على ما لقيس من حظ
 وهزل في هذه الحياة ولم يتفزع مزووجه غيرها ، وطارت نفسه شعاعا وذهب على وجهه ينتم أخبار لبنى ويمرغ خده
 في آثارها ، وفي طول حياته يساقط من فسه على شعره غير حائى بشقا . بدنه وإهدار دمه حتى لفظ النفس الأخير .
 وأخبار قيس كثيرة في الأمانى (ج ٨ ص ١٢٢) والشعر والشعراء (ص ٣٩٩) وله ديوان مشروح ، ومعه نسخة
 في مكتبة الاسكودالي وغيرها في برلين .

كَأَنِّي أَرَى النَّاسَ الْحَيِّينَ بَعْدَهَا * عُصَاةَ مَاءِ الْحَنْظَلِ الْمُتَنَاقِ
فَتَنَكَّرَ عَنِّي بَعْدَهَا كُلِّ مَنْظَرٍ * وَيَكْزُرُهُ سَمِي بَعْدَهَا كُلِّ مَنَظَرٍ

ونخرج قيس في فِجْية من قومه واعتل على أبيه بالصيد ، فأتى بلادَ لَبْنَى ، فجعل يتوقع أن يراها أو يرى من يُرْسِلُ إليها ، فأشتغل الفتیانُ بالصيد ، فلما قَضَوْا وطَرَمَ منه رجعا إليه وهو واقف ، فقالوا له : قد عَرَفْنَا مَا أَرَدْتَ بِإِخْرَاجِنَا مَعَكَ وَأَنَّكَ لَمْ تُرِدِ الصَّيْدَ وَإِنَّمَا أَرَدْتَ لِقَاءَ ابْنِي وَقَدْ تَمَثَّرَ عَلَيْكَ ، فَانصَرَفَ الْآنَ ؛ فَقَالَ :

وَمَا حَائِثَاتُ حُنَّ يَوْمًا وَلَيْلَةً * عَلَى الْمَاءِ يَنْشَيْنَ الْبَعْضُ حَوَائِي
حَوَائِي لَا يَصْدُرْنَ عَنْهُ لَوْجِيَّةٌ * وَلَا هُنَّ مِنْ بَرْدِ الْحِيَاضِ دَوَائِي
يَرَيْنَ حَبَابَ الْمَاءِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ * فَهِيَ لِأَصْوَاتِ السَّقَاةِ رَوَائِي
بِأَجْهِدَ مِنِّي حَرَّ شَوْقٍ وَلَوْعَةٍ * عَلَيْكَ وَلَكِنَّ الْمَدَقَّ عَدَائِي
خَلِيلَاتِي إِنِّي مَيِّتٌ أَوْ مَكْلَمٌ * لَبْنَى بِسَرِّي فَاغِيضِيَا وَذَرَايِي
أَنْتَ حَاجَتِي وَحَدِي وَيَأْرُبُ حَاجَتِي * قَضَيْتُ عَلَى هَوْلٍ وَخَوْفٍ جَنَانِي
فَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ أَلَّا تُحَاوِرَا * وَتَطْرِحَا مِنْ لَوْيْشَاءِ شِفَانِي
وَمَنْ قَادَنِي لِلْوَيْتِ حَتَّى إِذَا صَفْتُ * مَشَارِبَهُ السَّمِّ الذُّطَافُ سِفَانِي
فَأَقَامُوا مَعَهُ حَتَّى لَقِيَهَا .

لَمَّا أُلْحِ ذَرِيْعٌ عَلَى ابْنِهِ قَيْسٍ فِي طَلَاقِ لَبْنَى فَأَبَى ذَلِكَ قَيْسٌ ، طَرَحَ ذَرِيْعَ نَفْسِهِ فِي الرَّمْضَاءِ وَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَرِيكُمْ هَذَا الْمَوْضِعَ حَتَّى أَمُوتَ أَوْ يُحْلِيَهَا ، بِغَاءِهِ قَوْمُهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ فَمَنْظَمُوا عَلَيْهِ الْأَمْرَ وَذَكَرُوهُ بِاللَّهِ وَقَالُوا : أَتَفْعَلُ هَذَا بِأَبِيكَ وَأُمِّكَ ! إِنْ مَاتَ شَيْخُكَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ كُنْتَ مُعَيَّنًا عَلَيْهِ وَشَرِيكًا فِي قَتْلِهِ ، فَفَارَقَ لَبْنَى عَلَى رِغْمِ أَنَّهُ وَقَلَّةٌ صَبْرُهُ وَبَكَاءٍ مِنْهُ حَتَّى بَكَى لَهَا مِنْ حَضْرَتِهَا ؛ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَقُولُ نَلْتَمِى فِي غَيْرِ جُرْمٍ * أَلَا بِنِي ، بِنَفْسِي أَنْتَ ، بِنِي
فَوَاللَّهِ الْعَظِيمِ لَتَزْعُ نَفْسِي * وَقَطَعُ الرَّجُلَ مِنِّي وَالْهَيِّ

أَحِبُّ لِي يَا أَبْنَى فِرَاقًا * فَبَكَى لِلْفِرَاقِ وَأَسْعَدَنِي
ظِلْمَتِكَ بِالطَّلَاقِ بَغِيرِ جُرْإِمٍ * فَقَدْ أَذْهَبَتْ آخِرَتِي وَدِينِي

قال : فلما سمعت بذلك لبني بكت بكاء شديداً، وأنشأت تقول :

رَحَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِي وَأَهْلِي * بِخَازَانِي جِزَاءَ الْخَاسِيئِنَا
فَمَنْ رَأَى فَلَا يَفْتَرُ بَعْدِي * بِحُلُوِّ الْقَوْلِ أَوْ يَتَلَوُ الدُّنْيَانَا

فلما أتعففت عنتها وأرادت الشخوص إلى أهلها أتيتها براحلة لتحمل عليها ، فلما

رأى ذلك قيسٌ داخله أمر عظيم واشتد لهفه ، وأنشأ يقول :

بَانَتْ كَيْفِي فَاثَتِ الْيَوْمِ مَتَبُولٌ * وَإِنَّكَ الْيَوْمَ بَعْدَ الْحَزْمِ مَخْبُولٌ
فَأَصْبَحْتُ عَنْكَ لَيْلَى الْيَوْمِ نَازِحَةً * وَدُلَّ لَيْلَى - لَهَا الْخَبْرَاتُ - مَعْسُولٌ
هَلْ تَرِيحُنَّ قَوَى لَيْلَى بِعَاقِبَةٍ * كَمَا عَهَدْتُ لَيْلَى الْعَشَقُ مَقْبُولٌ
وَقَدْ أَرَانِي بَلْبِي حَقٌّ مَقْتَنَجٌ * وَالشَّمْلُ جَمْعٌ وَالْحَبْلُ مَوْصُولٌ
فَهَبْرْتُ مِنْ حَبِّ لَيْلَى حِينَ أَذْكُرُهَا * الْقَلْبُ مَرَّتَيْنِ وَالْعَقْلُ مَدْخُولٌ
أَصْبَحْتُ مِنْ حَبِّ لَيْلَى بَلْ تَذْكُرُهَا * فِي كُرْبَةٍ فَفَوَّادَى الْيَوْمَ مَشْغُولٌ
وَالْجَسْمُ مَتَى مِنْهُوْكَ لِفَرْقَتِهَا * يَرِيهِ طَوَّلُ سَقَامٍ فَهُوَ مَتَحْوَلٌ
كَأَنِّي يَوْمَ وَلْتُ مَا تَكُنُّنِي * أَخُوهُيَّامٍ مَصَابُ الْقَلْبِ مَسْلُولٌ
أَسْتَوْدِعُ أَقَّةَ لَيْلَى إِذْ تُفَارِقُنِي * عَنْ غَيْرِ طَوْعٍ وَأَمْرٍ الشَّيْخُ مَفْعُولٌ

ثم ارتحلت لبني ، فجعل قيس يقبل موضع رجلها من الأرض وحول خيائها ، فلما

رأى ذلك قومه أقبلوا على أبيه بالعدل واللوم ، فقال دَرِيحٌ لما رأى حاله تلك : قَدْ جَنَيْتُ
عَلَيْكَ يَا أَبْنَى ؟ فقال له قيس : قَدْ كُنْتُ أَخْبِرُكَ أَنِّي مَجْنُونٌ بِهَا فَلَمْ تَرْضَ إِلَّا بِقَتْلِي ، فَالله

حَسْبُكَ وَحَسْبُ أُمِّي . وأقبل قومه يعدُّونه في تقبيل التراب ، فأنشأ يقول :

فَا حُبِّي لِطَيْبِ تَرَابِ أَرْضٍ * وَلَكِنْ حَبٌّ مِنْ وَطَنِ التُّرَابِ
فَهَذَا فَعَلَ شَيْخَتَنَا جَمِيعًا * أَرَادَا لِي الْبَلِيَّةَ وَالْعَذَابَا

وله قصيدة طويلة في تطليقه لبي يقول فيها :

فَوَاكَيْدِي وَعَاوَدِي رُدَّاعِي * وَكَانَ رَأَى لَبْنِي كَالْبَحْدَاعِ^(٢)
 تَكْتَفِي الْوُشَاءُ فَازْجَحُونِي * فَيَاقَهُ لِلوَاشِي الْمَطْعَاعِ
 فَأَصْبَحْتُ الْغَدَاةَ الْوَمُ نَفْسِي * عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسَ بِمُسْتَطَاعِ
 كَقَبُورِي يَعْضُ عَلَى يَدِيهِ * تَيْنَ خَبْنِهِ بَعْدَ الْيَسَاعِ
 بَدَارَ مِضْبِيعَةٍ تَرْكَكَ لُبْنِي * كَذَاكَ الْحَيْنُ يُهْدِي لِلضَّاعِ
 وَقَدْ عَشْنَا نَلَذَّ الْعَيْشَ حِينًا * لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ لِلْإِنْسَانِ وَاعِي
 وَلَكِنِّي الْجَمِيعَ إِلَى اقْتِرَاقِي * وَأَسْبَابَ الْخُتُوفِ لَهَا دَوَّاعِي

واجتمع إليه نسوة فأطْلَنَ الجُلُوسَ عنده وحادثته وهو ساهٍ غنٍ، ثم نادى : يا لَبْنِي،
 فقلن له : ما لك ويحك ؟ فقال : خَدِرْتُ رَجُلِي « ويقال : إن دهاء الإنسان باسم أحب
 الناس إليه يُذْهِبُ خَدَرَ الرَّجُلِ ، فناديتها لذلك . وقال :

أَذَا خَدِرْتُ رَجُلِي تَذَكَّرْتُ مِنْ لَهَا * فَنَادَيْتُ لُبْنِي بِاسْمِهَا وَدَعَوْتُ
 دَعَوْتُ الَّتِي لَوْ أَنَّ نَفْسِي تُطْلَعُنِي * لِفَارَقَتُهَا مِنْ حَبَا وَقَضَيْتُ
 بَرَّتْ نَبْلَهَا لِلصَّبْدِ لُبْنِي وَرَبِّتُ * وَرَبِّتُ أُخْرَى مِثْلَهَا وَبَرِّتُ
 فَلَمَّا رَمَنِي أَقْصَدْتَنِي بِسَمِهَا * وَأَخْطَأْتُهَا بِالسَّمِّ حِينَ رَبِّتُ
 وَفَارَقْتُ لُبْنِي ضَلَّةً فَكَأَنِّي * قَرُبْتُ إِلَى الْعَيُوقِ ثُمَّ هَوَيْتُ^(٣)
 فَيَالَيْتَ أَنِّي مِتُّ قَبْلَ فِرَاقِهَا * وَهَلْ تَرِجَعُنْ فَوْتَ الْغَضْبَةِ لَيْتُ
 فَصَرْتُ وَشَبَحْتُ كَالَّذِي عَثَرْتُ بِهِ * غَدَاةَ الْوَعَى بَيْنَ الْعُدَاةِ كُيْتُ
 فَقَامْتُ وَلَمْ تَضُرْهُ زِلَالُ سَوِيَةٍ * وَفَارَسُهَا تَحْتَ السَّنَابِكِ مَيْتُ
 فَانْ يَكْ تَهَيَّأْ بِلُبْنِي غَوَايَةً * فَقَدْ يَأْذِيرُجُ بَنَ الْحَبَابِ غَوَيْتُ

(١) الرِّدَاعُ : الكس، وهو رِجْلُ الْمَرْضِ . (٢) الْبَحْدَاعُ : الموت . (٣) هُوَ نَحْمُ أَحْمَرِ مَضِيٍّ

فِي طَرَفِ الْهَجَرَةِ الْأَيْمَنِ يَتْلُو التَّرَايَا يُتَقَدَّمُهَا .

فلا أنت ما أثقلت في رأيتك * ولا أنا لبني والحياء حسيث
 فوطن لهلك منك نفساً فاني * كأنك بي قد يا ذريح قصيت
 ومرض قيس، فسأل أبوه قيات الحى أن يئذنه ويعفثه أو يعاقب بعضهن، ففعلن
 ذلك، ودخل إليه طبيب ليدأويه والفتيات معه، فلما اجتمعن عنده جعل يتحدث به وأطعن
 السؤال عن سبب علة، فقال :

تعلق روجي روحها قبل خلقنا * ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهد
 فزاد كما زدنا فأصبح نائماً * وليس اذا متنا بمنعير المهد
 ولعنه باق على كل حادث * وزارتنا في ظلمة القبر والحد
 فقال له الطبيب : إن مما يسليك عنها أن تذكر ما فيها من المساوى والمجايب ،
 فإن النفس تنبو حيث تد وتسلو ويخف ما بها .

فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوجه امرأة جميلة فلهذه يسلوبها
 عن لبني، فدفعه الى ذلك فأباه وقال :

لقد خفت ألا تقع النفس بعدها * بنىء من الدنيا وإن كان مقبلاً
 وأزجر عنها النفس اذ حيل دونها * وتأتى إليها النفس ألا تطلعا
 ولما تزوجت لبني بانحراى موضع خباثا فزل عن راحته وجعل يعمك موضعا^(١)
 ويمزغ خلع على ترابها ويكي أحر بكاء ثم قال :

إلى الله أشكو فقد لبني كما شكى * إلى الله فقد والوالدين يتيم
 يتيم جفاه الأقربون لجسمه * نخسل وعهد والوالدين قديم
 بكت دأرهم من نايهم فتهلت * دموى فاني الجازعين ألوم
 أمستعبريكي من الشوق والهوى * أم أنثريكي شجسوه ويسيم
 تهيفنى من حب لبني علائق * وأصناف حب هوطن عظيم

ومن يتعلق حبُّ لُبِّي فؤادَه * يمتُّ أويش ماعش وهو كليمُ
فألقِ وإن أجمعتُ عنك تجلُّنا * على العهدِ فيما بيننا لمقسمُ
وإن زمانا شئتَ الشملَ بيننا * وبينكمُ فيه العدا لمشومُ
أفِ الحقِ هذا أنَّ قلبك فارغُ * صحيحٌ وقلبي في هوائك سقيمُ

وقال في رحيل لُبِّي عن وطنها وانتقالها الى زوجها بالمدينة وهو مقيم في حبيها :
بانت لُبِّي فهاج القلبُ من بانا * وكان ما وعدتُ مطلا وليانا^(١)
وأخلفتك متى قد كنتُ تأملُها * فأصبح القلبُ بعد البين حيرانا
الله يدري وما يدري به أحدُ * ماذا أجمعُ من ذكراكُ أجنانا
يا أكل الناسِ من قرنٍ الى قديم * وأحسن الناسِ ذا ثوبٍ وعُمرانا
نعم الضجيع بَيد النومِ تجليه * اليك ممتلئاً نوما ويقظانا
لا بارك الله فيمن كان يحسبكم * إلا على العهدِ حتى كان ما كانا
حتى استغفقتُ أخيراً بعد ما نكحتُ * فبت للشوقِ أذرى الدمعِ تهنا
إن تصيرى الحبْل أو تمسى مفارقةً * فالدهرُ يحدثُ للإنسانِ ألوانا
وما أرى مثلكم في الناسِ من بَشر * قد رأيتُ به حياً ونسوانا

وشكا أبو لبني لمعاوية فعرض قيس لأبنته بعد طلاقها، فكتب معاوية الى الأمير
يُهدر دمه إن ألم بها، وأن يشتد في ذلك؛ فكتب مروان في ذلك الى صاحب الماء الذي
يترله أبو لبني كتاباً وكيداً، ووجهت لبني رسولا الى قيس تُعلمه ما جرى وتُحذره؛ وبلغ أباه
الخبر، فتابه وتجهّمه، وقال له : انتهى بك الأمر الى أن يهدر السلطان دمك ؛ فقال :
فان يجبروها أو يحسّل دون وصلها * مقالةً وائش أو وصيدُ أمير
فلن يمتنوا صني من دائم البكا * ولن يَكُهبوا ما قد أجرتُ ضميري
الى الله أشكو ما ألّاقى من الهوى * ومن حرقِ تعادنى وزفد

(١) القيان : اللّي والمطل، قال أبو الهيثم : لم يمتن من المصادر على فلاح إلا ليان .

ومن حرقٍ للقلب في باطن الحشى • وليس لي طويل الحزن غير قصير
 سأكى على نفسى بعين غزيرة • بكاء حزين في الوثاق أسير
 وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى • بأنهم حالى غبطة وسرور
 فما يروح الواشون حتى بدت لهم • بطون الهوى مقلوبة لظهور
 لقد كنت حسب النفس لودام وصلنا • ولعكنا الدنيا متاع غرور
 وقال في إهدار معاوية دمه إن هو زارها :

إن تك لئنى قد آتى دون قربها • حجاب منيع ما إليه سبيل
 فإن نسيم الجوى يجمع بيننا • وتبصر قرن الشمس حين تزول
 وأرواحنا بالليل في الحى تلتقى • ونسلم أياً بالنهار تقبل
 وجمعنا الأرض القرار وفوقنا • سماء زى فيها النجوم تجول
 إلى أن يعود الدهر سلباً وتتقضى • تراث بناها عندنا وذول^(١)

ولما أنصرف الناس من الحج مرض قيس مرضاً شديداً فلم يأته رسولها عائداً، فقال :

ألئنى لقد حلت عليك مصيبتى • غداة غدا إذ حل ما أتوقع
 ثمئنتى نيلاً وتلوينى قلى • فنضى شوقاً كل يوم تقطع
 وقلبك فقد لا يلبس لما يرى • فواكيدى قد طال هذا التضرع
 ألومك في شأنى وأنت ملزمة • لعمري وأجنى للحب وأقطع
 أخبرت أنى فيك ميت حسرى • فما فاض من عيذك للوجد مدح
 ولكن لعمري قد بكيتك جاهدا • وإن كان دأى كله منك أجمع
 صبيحة جاء العائدات يمدنى • فظلت على المائدات تقجع
 فقائلة جثنا إليه وقد قضى • وقائلة لا بل تركناه يزع
 فما غشيت عيذك من ذاك صبرة • وعينى على ما بى بذكراك تدع
 إذا أنت لم تبكى على جنازة • لديك فلا تبكى غدا حين أرفع

ومن شعره قوله :

أتبكي على لئى وأنت تركتها * وكنت عليها بالملأ أنت أقدر
فإن تكن الدنيا بلئى تقلبت * على فللدنيا بطون وأظهر
لقد كان فيها للأمانة موضع * وللکف مرئاد وللعين منظر
وللهم العطشان رى بريقها * وللريح المختال نحر ومسكر
كأنى لها أرجوحة بين أحبل * إذا ذكره منها على القلب تحطر

وقوله :

لقد عذبتنى يا حب لئى * ففزع إقام بموت أوجبة
فإن الموت أروح من حياة * تدوم على التباعد والشتات
وقال الأقربون تمر عنها * فقلت لهم إذا حانت وقاتي

وقالت له لئى : أنشدنى ما قلت فى ذلك، فأنشدها قوله :

أعالج من نفسي بقايا حشاشية * على رمي والعائدات تمود
فإن ذكرت لئى هشتت لذكرها * كما هت للشدى الدرور وليد
أجيب بلئى من دعائى تجلدا * وبى زفات نجلى وتمود
تعيد الى روى الحياة وإنى * بنفسي لو عايتنى لأجود

وفىها يقول :

ألا ليت أياماً مضيت تمود * فإن عنت يوماً لئى لسعيد
سقى دار لئى حيث حلت وخيمت * من الأرض منهل الغمام رعيد
على كل حال إن دنت أو تباعدت * فإن تدن متا فالدنو مزيد
فلا اليأس يسلى ولا القرب نافع * ولئى متسوع ما تكاد تجود
كأنى من لئى سليم مسهد * يظل على أيدى الرجال يمد
رمتى لئى فى الفؤاد بسهما * وسهم لئى للفؤاد صيود

سلا كل ذى شجيرة علمت مكانه * وقلبي للبنى ما حبيت ودود
وقائلة قد مات أو هو ميت * وللنفس منى أن تفيض رصيد

وعائجه على تزويجه، خلف أنه لم ينظر إليها ملء عينيه، ثم قال :

ولقد أودت الصبر منك فعاقتى * طلق بقلبي من هوائك قديم
بقى على حديث الزمان ورآيه * وعلى جفائك لانه لكريم
فصرمته ومصحته وهو بدائه * شتان بين مصحح وسقيم
وأرجه زمتا فعاذ بحلمه * إن المحب عن الحبيب حليم

فلم يزل معها يحتملها ويشكو إليها حتى أمسى، فانصرفت ووعدته الرجوع إليه من غد

فلم ترجع، وشاع خبره، فلم ترسل إليه رسولا، فكتب هذين البيتين :

بنفسى من قلبي له الدهر ذاكر * ومن هو عني معرض القلب صابر
ومن حبه يزداد عندى جدّة * وحنى لديه مخلقى المهيد دائر

وقال ابن أبي حنيق لقيس يوما : أنشدنى أحرا ما قلت فى لبنى؛ فأنشده :

وأنى لأهوى النوم فى غير حينه * لعل لقاء فى المنام يكون
تحدثنى الأحلام أنى أراكم * فيا ليت أحلام المنام يقين
شهدت بأنى لم أحل عن مودة * وأنى بكم لو تعلمين ضنين
وأن فزادى لا يلين إلى هوى * سواك وإن قالوا بلى سليل

وقال عبد الملك بن عبد العزيز : أنشدت أبا السائب المخزومي قول قيس :

أحبك أصنافا من الحب لم أجد * لها مثلا فى سائر الناس يوصف
فمنهن حب للحبيب ورحمة * بمصرفى منه بما يتكلف
ومنهن ألا يعرض الدهر ذكرها * على القلب إلا كادت النفس لتلف
وحب بدا بالجسم واللون ظاهر * وحب لدى نفسى من الروح أطف

وقصيدة قيس العبلية من جيد شعره وهي

عَفَا سِرْفٌ مِنْ أَهْلِهِ فُسْرَاوِجُ * لَجَنَبَا أَرِيكَ فَالتَّصْلَاعُ الدَّوَابِعُ^(٢)
 فَبَقِيَّةُ الْأَخْيَافِ أَخْيَافُ ظَلِيَّةٍ * بِهَا مِنْ لَبْنِي تَحْرَفُ وَصَرَاجُ^(٣)
 لَسَلُ لَبْنِي أَنْ يُنَمَّ لِقَاؤُهَا * بِيَعُضُ الْبِلَادِ إِنْ مَا حُمُ وَقَعُ^(٤)
 بِجَزَعٍ مِنَ الْوَادِي خِلَاءَ أُنَيْسَةٍ * عَفَا وَتَحَطَّطَ الْعَيُونُ الْخَوَادِعُ^(٥)
 وَلَمْ يَدَا مِنْهَا الْفِرَاقُ كَمَا بَدَا * بَطَّحَ الْعَمَقَا الصُّلْدُ الشَّقُوقُ الشَّوَالِ^(٦)
 تَمَنَّيْتُ أَنْ تَلْقَى لِبْنَاكَ ، وَالْمُنَى * تُعَاصِيكَ أَحِبَانًا وَجَبَانًا تَطَاوَعُ
 وَمَا مِنْ خَبِيثٍ وَامِقٍ لَحْيِيهِ * وَلَا ذِي هَوًى إِلَّا لَهُ الدَّعْرُ فَاجِعُ
 وَطَارَ غَرَابُ الْبَيْنِ وَأَنْشَقَّتِ الْعَصَا^(٧) * يَسِيرُ كَمَا شَقَّ الْأَدِيمُ الصَّبَاغُ
 أَلَا يَاضِرَابُ الْبَيْنِ قَدِ طَرَبَ بِالَّذِي * أَحَازِدُ مِنْ لَبْنِي فَهَلْ أَنْتَ وَاقِعُ
 وَإِنَّكَ لَوْ أَبْقَيْتَا قَيْمَكَ اسْلَبِي * طَوْتُ حَرَاً وَأَرْضُ مِنْهَا الْمَدَامُ^(٨)
 أَنْبَكِي عَلَى لَبْنِي وَأَنْتَ تَرْكَبُهَا * وَكُنْتَ كَأَيِّ غَبِيهِ وَهُوَ طَائِعُ
 فَلَا تَبْكِي فِي إِثْرِي نَدَامَةً * إِذَا تَرَفُّهُ مِنْ يَدِكَ النِّزَاعُ
 فَلَيْسَ لِأَمْرِ حَاقِلٍ جَمْعُهُ * مُشِتٌ^(٩) وَلَا مَا فَزَقَ أَقْبَهُ جَامِعُ
 كَأَنَّكَ لَمْ تَغْنَهُ إِذَا لَمْ تَلَاقِهَا * وَإِنَّهَا فَالْقَلْبَ رَاضٍ وَقَانِعُ

(١) وردت هذه القصيدة برمتها في كتاب الأمل لأبي علي القاسم (ج ٢ ص ٣١٤ - ٣١٨ طبعة

دار الكتب المصرية) (٢) سرف وسراوح وأريك : والطلع . وهي

ما ارتفع من الأرض إلى بطن الوادي . والدوايع : جمع دافعة وهي التي تدفع الماء . (٣) أخفاف

ظلية : موضع . والمخرق : المنزل الذي يقام فيه في الخريف . والمراج : جمع مربع وهو الموضع الذي يقام

فيه في الربيع . (٤) حم : قدر . (٥) جزع الوادي : منطقة . وضأ : درس . والخوادع

واحدة خادعة وهي التي لا تنام ، يقال : خدمت معه محمد إذا لم تنم ، وأتيانهم بمسد ما خدمت العين .

(٦) الصفا : الصخر . والصلد : الصلب الذي إذا أصابه شيء صلد أي صوّت . والشوابع : جمع شائمة وهي

الظاهرة . (٧) أي تحرفت الجماعة . (٨) أرض : سألوا يكون إلا سبالا مع تنزق .

(٩) مشت : مفرق .

فياقلبُ خبري، إذا شَطَلْتُ النوى * بُلِّغْني وصَدِّتْ عني، ما أنت صانع
 أتعبر للبين الميث مع الجوى * أم أنت أمرؤ نايب الحياء بغازع
 لما أنا إن بانْت بُلِّغْني بهاجع * إذا ما أَسْتَقَلْتُ بالنِّيام المَضْجَاجُ
 وكيف ينام المرءُ مستشعر الجوى * ضَجِيعَ الأَمْسِ فيه نِكَاسٌ رَوَّادِعُ
 فلا خير في الدنيا إذا لم تُؤانِسْنا * بُلِّغْني ولم يَجْعَ لنا الشَّمْلَ جامعُ
 أليست ليبي تحت سَقْفٍ يُكِنُّها * ولِإِذَى هذا إن نأت لي نافع
 وَيَلْبَسُنَا اللَّيْلُ البَهْمُ إذا دَجَا ^(١) * وَتُبْصِرُ ضَوْءَ الصَّبْحِ والفَجْرِ ساطِع
 تَطْلُ تحت رجلها بِساطاً وبعضه * أَطَّاهُ بِرِجْلِي لَيْسَ يَطْلُوهُ مانِعُ ^(٢)
 وأفرح إن تُنمِسَ بخير وإن يكن * بها الحَدَثُ العادِي تَرْغِي الرَواعِمُ
 كأنك يدعُ لم تر الناسُ قبلها * ولم يَطْلِعْكَ الدهرُ فِيمَنْ يَطالِعُ
 فقد كنتُ أبكى والنوى مطمئنة * بنا وبكم من علم ما البينُ صانعُ
 وأهجركم هجرَ البَيْضِ وجُحُم * على كبدِي منه كُلوْمٌ صَوادِعُ
 وأعجل للإشفاق حتى يَسْقِنِي * خُفَافَةُ شَحِيطِ الدَّارِ وَالشَّمْلُ جامعُ
 وأعيد للأرض التي من ورائكم * لِيَرَجِعَنِي يوماً عَلَيْكَ الرَواجِعُ
 فيا قلبُ صبراً وأعترافاً لما نرى * ويأحبُّها قَعٌ بالذِي أنت واقعُ
 لعمري لَمَنْ أَمْسَى وَأَنْتَ مَجْبُوعُهُ * من الناس ما اخْتِيرَتْ عَلَيْهِ المَضْجَاجُ
 ألا تلكَ لُبِّي قد تَرَأَيْتُ مَرَاوِها * وَلِلْبَيْنِ غَمٌّ ما يَزَالُ يَنازِعُ
 إذا لم يكن إلا الجوى فكفَى به * جَوَى حُرْقٍ قد حُمِّمَتْهَا الأَضَالعُ
 أبائتُ لَبِّي ولم تقطع المَدَى * بوَصْلِي ولا صرِمٍ فَيَأْسَ طامِعُ

(١) شطت : بدلت . (٢) المستشر : الذي لبس الشمار وهو الثوب الذي على الجسد . والجوى :

الهُوى الباطن . والأَمْسَى : الحزن . ونَكَاسٌ : جمع نَكَسٍ بالضم . وروادع : جمع رادعة وهي التي تردع عن الحركة والتصرف . (٣) دحا : ألبس بظلمة كل شيء . (٤) البساط : ما بسط من العرش .

(٥) ترضى : تفرغى . (٦) اصترف : ذل واقتاد .

يَقْلَلْ نَهَارَ الْوَالِهِينَ نَهَارَهُ وَتَهْدِيهِ^(١) فِي النَّائِمِينَ الْمُضْجِعُ
سِوَايَ قَلِيلٍ مِنْ نَهَارِي وَإِنَّمَا تُقَسِّمُ^(٢) بَيْنَ الْمَالِكِينَ الْمَصَارِعُ
وَلَوْلَا رِجَاءُ الْقَلْبِ أَنْ تَمِطِفَ النَّوَى لِمَا حَمَلْتَهُ بَيْنَهُنَّ الْأَضَالِعُ
لَهُ وَجَبَتْ^(٣) إِثْرُ بَنِي كَانَهَا شَقَائِي بَرَقَ فِي السَّحَابِ لَوَاعُ
نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا دَجَا لِيَ اللَّيْلِ هَزَّتْكَ إِلَيْكَ الْمُضْجِعُ
أَقْضَى نَهَارِي بِالْحَلِيتِ وَبِالْمَنَى وَيَجْعَلُنِي بِاللَّيْلِ وَالْهَسْمُ جَامِعُ
وَقَدْ نَشَأْتُ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَوْدَةٌ كَمَا نَشَأْتُ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ
أَبَى اللَّهُ أَنْ يَلْقَى الرَّشَادَ مِنْي أَلَّا كُلُّ أَمْرٍ حُجْمٌ لَا بَدَ وَاقِعُ
هِيَ بَرَحًا بِي مُعَوِّلِينَ كَلَامَهَا فَوَادُّ وَصِيٌّ^(٤) مَا قَمَّهَا الدَّهْرُ دَامِعُ
إِذَا نَحْنُ أَنْفَدْنَا الْبِكَاءَ عَشِيَّةً فَوَعْدُنَا قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ طَالِعُ
وَلَمَّحَ آيَاتٌ تَيَّنَّ بِالْفَتَى تُحَوِّبُ^(٥) وَتَعْرِى مِنْ يَدَيْهِ الْأَشْجَاعُ
وَمَا كُلُّ مَا مَتَكَ نَفْسُكَ خَالِيًا تَلَاقَى وَلَا كُلُّ الْهَوَى أَنْتَ تَابِعُ^(٦)
تَدَاعَتْ لَهُ الْأَحْزَانُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ لَحَقَ كَمَا حَرَّ^(٧) الْعُلُورُ السَّوَابُ
وَجَانِبَ قُرْبِ النَّاسِ يَخْلُو بِهِمْ وَطَاوَدَهُ فِيهَا هُبَامٌ مُرَاجِعُ
أَرَاكَ اجْتَنَبْتَ الْحَيَّ مِنْ غَيْرِ مُضْضَةٍ وَلَوْ شِئْتَ لَمْ تَجْمَعْ إِلَيْكَ الْأَصَابِعُ
كَأَنْتَ بِلَادَ اللَّهِ مَا لَمْ تَكُنْ بِهَا وَإِنْ كَانَ فِيهَا الْخَلْقُ قَفَرٌ بِلَاقِعُ
أَلَا إِنَّمَا أَبْكَى لِمَا هُوَ وَاقِعٌ وَهَلْ جَزَعُ مِنْ وَشَكٍ بَيْنَكَ نَافِعُ
أَحَالَ عَلَى الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * وَدَامَتْ وَلَمْ تُقْلِعْ عَلَى الْفَوَاجِعِ
فَمَنْ كَانَ عَزْوُنَا غَدًا لِفِرَاقِنَا فَلَا تَنْ فَلَئِنْ فَلَئِنْ لِيُفْكِ لِمَا هُوَ وَاقِعُ

(١) تهدي : تسكنه . (٢) ويجيات : خفقات . (٣) المأق من العين : الجانب الذى على
الأ . (٤) الأشابع : عروق ظاهر الكف . (٥) الطوار : جمع ظه وهو الذى صلت على
ولد غيرها . والسوابع : جمع سابعة وهو الذى تمد حنيتها على جهة واحدة .

الشعر السيامي

أوضحنا لك في المجلد الأول ما لاستعمال الشعر من أثر في كثير من الحركات السياسية وأستحداث العزّات وإنهاض الهمم في الانقلابات الاجتماعية، وبقينا مئزّة استعمال الشعر في الأغراض السياسية في عصر الدولة الأموية، وذكرنا عدّة أمثلة تبيّن ما وصل إليه هذا النوع الطريف، ووعدناك بذكر قصيدة النعمان بن بشير في هذا الباب . وها هي ذى :

النعمان بن بشير^(١)

قال أبو الفرج الأصفهاني :

لما كثرت الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحَكَم بن أبي العاصي وتفاحشّا، كتب معاوية إلى سعيد بن العاصي، وهو عامله على المدينة، أن يجلّد كلّ واحد منهما مائة سوط، وكان ابنُ حسان صديقاً لسعيد وما مدح أحداً غيره قطّ، فكّره أن يضربه أو يضرب ابن عمه، فأمسك ضمهما، ثم ولي مرءان، فلما قدّم أخذ ابن حسان فضربه مائة سَوط ولم يضرب أخاه، فكتب ابنُ حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشام، وكان كبيراً أثيراً^(٢) مكيّناً عند معاوية، قال :

(١) هو النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري، من الخزرج أهل يثرب، لكنه ساير معاوية، فكان معه في واقعة صفين، ولم يكن مع معاوية في تلك الواقعة من الأنصار سواء . وقد اجتنبه مسخّاه ودعاؤه وكان يراعى جانبه، وكثيراً ما سمع توسطه للأنصار عنده . وهاش النعمان المذكور إلى حلافة مروان بن الحكم، وكان يثربى حمص، فلما أنصفت الخلافة إلى مروان دعا إلى ابن الزبير وخالف على مروان بعد قتل الضحّاك، فلم يجهأ أهل حمص إلى ذلك، فهرب منهم فقبضوه وأدركوه وقتلوه . وكان على مسابرة بن أمية شديد التعصب للأنصار، ولذلك حد ما علم بقصيدة الأخطل في الطعن عليهم رد عليه . والنعمان بن بشير من الرقيقين في الشعر حلها عن سلف فإن جده وأباه وعمه وأولاده وأحفاده كلهم شعراء . وهو أوّل مولود ولد في الإسلام من الأنصار، وآثر من ولي الكوفة لمعاوية بن أبي سفيان . وله ديوان مطبوع في الهند . توفي سنة ٦٥ هـ . وروى أخبار النعمان بن بشير في الأغاني (ج ١٤ ص ١١٩) وأما في القالي (ج ٣ ص ٨) والعهدة الفريدة (ج ٣ ص ١١٢ طبع مصر سنة ١٣٠٥ هـ) روى سيرة ابن هشام وابن خلكان وابن الأثير وغيرهما . (٢) أثيراً : مكرّماً .

لَيْتَ شِعْرِي أَغَابْتُ أَنْتَ بِالنَّاسِ * مَخْلِيلٌ أَمْ رَاقِدٌ مُعْتَمِلٌ
 أَيْةٌ مَا يَكُنْ قَدْ يَرْجِعُ النَّاسُ * ثُبُّ يَوْمًا وَيُوقَفُ الْوَسَنَانُ
 إِنِّ عَمْرًا وَعَامرًا أَوْيْنَا * وَحَرَامًا قَدِمْنَا عَلَى الْعَهْدِ كَانُوا
 أَفْهَمُ مَا يَتَوَكَّلُ أَمْ قَلَّةُ الْكُتُبِ * أَنْتَ عَاتِبَ غَضَبَانِ
 أَمْ جَفَاءٌ أَمْ أَعْوَزْتُكَ الْقَرَامِطِيُّ * أَمْ أَمْرِي بِهِ عَلَيْكَ هَوَانُ
 يَوْمَ أُتَيْتَ أَنْ سَاقِي رُضْتُ * وَأَتَيْتُكُمْ بِذَلِكَ الرُّجَانُ
 ثُمَّ قَالُوا إِنِّ ابْنُ عَمِّكَ فِي بَلَدِي * أَمُورٌ أَتَى بِهَا الْحَدَثَانُ
 فَكَيْسَتْ الْأَرْحَامُ وَالْوُدُّ وَالصُّحُوبَةُ * فَمَا أَتَتْ بِهِ الْأَرْحَامُ
 إِنَّمَا الرَّحْمُ فَاعْلَمِي قَنَاءً * أَوْ كَبُضَ الْعِيدَانُ لَوْلَا السَّنَانُ
 قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِي :

دخل النعمان بن بشير على معاوية لما هاجم الأخطل الأنصار ، فلما مثل بين يديه
 أنشأ يقول :

مُعَاوِيَ إِلَّا تُعْطِنَا الْحَقَّ تَعْتَرِفُ * لِحَيِّ الْأَزْدِ مَشْدُودًا عَلَيْهَا الْعَاهُ
 أَيْتَمُّنَا عَبْدُ الْأَرَامِ ضَلَّةً ^(١) * وَمَاذَا الَّذِي تُجِدِي عَلَيْكَ الْأَرَامُ
 فَمَا لِي تَأْكُرُ دُونَ قَطْعِ لِسَانِهِ * فَدُونِكَ مَنْ يُرْضِيهِ عَكَ الدَّرَاهِمُ
 وَرَاجِعُ رُويْدَا لَا تُسَمِّنَا دَنِيَّةً * لَعَلَّكَ فِي غَيْبِ الْحَوَادِثِ نَادِمُ
 مَتَى تَلْقَ مِنْهَا عُصْبَةَ خَزْرَجِيَّةً * أَوْ الْأَوْسَ يَوْمًا تَحْتَرِمُكَ الْخَفَارِمُ
 وَتَلْقَاكَ خَيْلٌ كَالْقَطَا مُسْتَطِيرَةٌ * شَمَاطِيطُ ^(٢) أَرْسَالٍ عَلَيْهَا الشُّكَاثِمُ ^(٣)
 يُسَوِّمُهَا الْعَمْرَانُ : عَمْرُو بْنُ حَامِرٍ * وَعِمْرَانُ حَتَّى تُسَبِّحَ الْخَفَارِمُ
 وَيَسْأَلُ مِنَ الْخُلُودِ الْغَزِيرَةَ جِجْلَهَا * وَتَقِصُّ مِنْ هَوْلِ السِّيَوفِ الْمَقَادِمُ
 فَتَطْلُبُ شَعْبَ الصَّدْعِ بَعْدَ الْإِتْنَامِهِ * فَتُفْزِرِيهِ فَالْآنَ وَالْأَمْرُ سَالِمُ

(١) الأرام : حتى من بني تطلب . (٢) شماطيط : متعرة . (٣) الشكاثم : جمع

شكيمة وهي الحديدة المعترضة في فم العرس .

وَالَا فَهَوَى لَأَمَةٍ تُبْعِي * تَوَارِثُ آبَائِي وَأَبْيَضُ صَارِمِ
 وَأَسْمَرُ خَلْيُ كَانَ كُغُوبَهُ * قَوَى الْقَسْبَ فِيهَا لَهْذِي خُطَارِمِ
 إِنْ كُنْتَ لَمْ تَشْهَدْ بِسَدِيرِ وَقِيعَةٍ * أَذَلَّتْ قُرَيْشًا وَالْأَسُوفَ رَوَاغِمِ
 فَسَائِلُ بِنَا حَيٍّ لَوْيَ بْنَ غَالِبٍ * وَأَنْتَ بِمَا يَخْفَى مِنَ الْأَمْرِ عَالِمِ
 أَلَمْ تَقْبُدْ يَوْمَ بَدْرٍ سَيُوفُنَا * وَلَيْلِكَ عَمَّا قَابَ قَوْمَكَ قَامِ
 ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى تَفَرَّقَ جَمْعُكُمْ * وَطَارَتْ أَكْخَفُ مِنْكُمْ وَجَاهِمِ
 وَطَاذَتْ عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَرَّائِسُ * وَأَنْتَ عَلَى خَوْفٍ طِيكَ الثَّمَامِ
 وَعَقَبْتَ قُرَيْشٌ بِالْأَنَامِلِ بَفَضَةٍ * وَمِنْ قَبْلِ مَا عَضْتَ طِيكَ الْأَدَامِ
 فَكَا لَهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ نَكِيدُهُ * مَكَانَ الشَّجَا وَالْأَمْرِ فِيهِ تَهَامِمِ
 فَمَا إِنْ رَمَى رَايِمٌ فَأَوْهَى صَفَاتَنَا * وَلَا ضَامِنًا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ ضَامِمِ
 وَإِنِّي لِأَغْفِي عَنْ أَمُورٍ كَثِيرَةٍ * سَرَقَ بِهَا يَوْمًا إِلَيْكَ السَّلَامِ
 أَصَابِعَ فِيهَا عَبْدٌ شَمْسٍ وَإِنِّي * لِنُتْلِكَ النِّقَى فِي النَّفْسِ مِنْ أَلَكَمِ
 لَمَّا أَنْتَ وَالْأَمْرَ الَّذِي لَسْتَ أَهْلُهُ * وَلَكِنْ وَلَّى الْحَقُّ وَالْأَمْرُ هَائِمِ
 إِلَيْهِمْ يَصِيرُ الْأَمْرُ بَعْدَ شَفَاتِهِ * فَنَنْتَ لَكَ بِالْأَمْرِ الَّذِي هُوَ لَا زِمِ
 بِهِمْ شَرَعَ اللَّهُ الْهَدَى فَأَهْتَدَى بِهِمْ * وَمِنْهُمْ لَهُ هَادٍ إِمَامٌ وَخَاتِمِ

فلما بلغت القصيدة معاوية أمر بدفع الأخطل إليه ليقطع لسانه، فاستجار يزيد

ابن معاوية، فتمعه منه، وأرضى النعمان حتى كف عنه .

وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه : لما ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن

ابن حسان الخلد ، ولم يضرب أخاه حين تهاجبا وتقاذفا ، كتب عبد الرحمن الى النعمان

ابن بشير يشكو اليه ، فدخل الى معاوية ، وأنشأ يقول :

يَا بْنَ أَبِي سُفْيَانَ مَا مِثْلُنَا * جَارَ عَلَيْهِ مَلِكٌ أَوْ

أَذْكَرُنَا مُقَدِّمَ أَفْرَاسِنَا * بِالْخُلُو إِذْ أَنْتَ الْيَنَافِعِيرُ

واذكر غداة الساعدي الذي • أثركم بالأمر فيها بشي
 فاحذر عليهم مثل بذير وقد • مر بكم يوم بي
 إن ابن حسان له نائر • فاعطه الحق تصح الصدور
 ومثل أيام لنا شئت • ملكا لكم أمرك فيها صغير
 أما ترى الأزد وأشباعها • تحول خردا كاطلأت تزيير
 يصول حولي منهم معشر • إن صلت صالوا وهم لي نصير
 يابى لنا الغيم فلا يمتلى • عز منيع وعدد كثير
 وعنصر في عز جرؤمية • عادية تقل عنها الصخور

مُلْحَقُهُمُ

الكتاب الثاني

باب المنشور

شرحنا لك في المجلد الأول ما كانت عليه الكتابة في عصر العباسيين من جودة اللفظ، ومثانة الأسلوب، وجلاء المعنى، ووضوح القصد وبساطته . ووجدناك بذكر طرف من رسائل القوم في ذلك العصر الزاهي الزاهر، وإليك ما وجدناك به :

١ - مُشَاوَرَةُ المهديّ لأهل بيته في حرب نُرَّاسان

قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد :

هذا ما تراجع فيه المهديّ ووزرائه وما دار بينهم من تدبير الرأي في حرب نُرَّاسان أيام تحاملت عليهم الحال وأعضت، فغمتهم الدالة وما تقدّم لهم من المكانة على أن نكتوا ببعثهم، وتقضوا موثقتهم، وطرّدوا الحال، وآثروا بما عليهم من الخراج؛ وحل المهديّ ما يحبّ من مصلحتهم ويكره من عنتهم على أن أقال عثرتهم، وأغفر زلتهم، وأحتمل دأبتهم، تطوّلاً بالفضل وأقسا بالعفو، وأخذوا بالهجرة وريقا بالسياسة؛ ولذلك لم يزل مدحّمه الله أعباء الخلافة وقلده أمور الرعية رقيقا بمدار سلطانه، بصيرا بأهل زمانه، باسطا للعائلة في رعيته، تسكن الى كنفه وتأنس بعفوه وتثق بجلاله؛ فإذا وقعت الأقضية اللازمة والحقوق الواجبة، فليس عنده

هَوَادَة وَلَا إِغْضَاء وَلَا مُدَاهَنَة ، أَثَرَةً لِحَقِّ وَقِيَامَا بِالْعَدْلِ وَأَخْذًا بِالْحَزْمِ ؛ فَنَدَا أَهْلَ خِرَاسَانَ
الْإِقْتِرَارُ بِجَمَلِهِ وَالنَّجَّةُ بِمَفْوِهِ أَنْ كَسَرُوا الْخِرَاجَ ^(١) وَطَرَدُوا الْعِيَالِ وَسَلَّوُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ ،
ثُمَّ خَلَطُوا أَحْتِجَاجًا بِإِخْتِزَارٍ ، وَخُصُومَةً بِإِقْرَارٍ ، وَتَشَبُّلاً بِإِحْتِلَالٍ ؛ فَلَمَّا أَتَتْهُ ذَلِكَ إِلَى الْمَهْدِيِّ
خَرَجَ إِلَى مَجْلِسِ خَلَّائِهِ وَبَعَثَ إِلَى نَقِيرٍ مِنْ لَحْمَتِهِ وَوُزَرَائِهِ ، فَأَعْلَمَهُمُ الْحَالَ وَأَسْتَنْصَحَهُمُ
لِلرَّحْمَةِ ، ثُمَّ أَمَرَ الْمَوَالِي بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَقَالَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ : أَيَّ عَمَلٍ تَمَقِّبُ قَوْلَنَا وَكُنْ حَكَمًا
يُنْتَبَأُ ؛ وَأَرْسَلَ إِلَى وَلَدَيْهِ مُوسَى وَهَارُونَ ، فَأَحْضَرَهُمَا الْأَمْرَ وَشَارَكَهُمَا فِي الرَّأْيِ ، وَأَمَرَ
مُحَمَّدُ بْنُ أَلَيْثٍ ^(٢) بِحِفْظِ مَرَاجِعَتِهِمْ ، وَلِإِثْبَاتِ مَقَالَتِهِمْ فِي كِتَابٍ .

فَقَالَ سَلَامٌ ^(٣) صَاحِبُ الْمِظَالِ :

أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ ، إِنَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ غَايَةً ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ صِنَاعَةً ؛ أَسْتَفْرَعْتُ رَأْيَهُمْ ، وَأَسْتَفْرَعْتُ
أَشْفَاهَهُمْ ، وَأَسْتَفْنَدْتُ أَعْمَارَهُمْ ، وَذَهَبُوا بِهَا وَذَهَبَتْ بِهِمْ ، وَحَرُّفُوا بِهَا وَحُرِفَتْ بِهِمْ ؛ وَلِهَذَا
الْأُمُورُ الَّتِي جَعَلْنَا فِيهَا غَايَةً ، وَطَلَبْتَ مَعُونَتَنَا عَلَيْهَا أَقْوَامٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْحَرْبِ وَسَاسَةِ الْأُمُورِ
وَقَادَةِ الْجُنُودِ وَقُرَسَانِ الْهَزَائِمِ ^(٤) وَإِخْوَانِ التَّجَارِبِ ، وَأَبْطَالِ الْوَقَائِعِ ؛ الَّذِينَ رَتَقَتْهُمْ مِجَالُهُا ،
وَقَبَّأَتْهُمْ ظِلَالُهَا ، وَعَضَّتْهُمْ شِدَائِدُهَا ، وَقَرَّمَتْهُمْ نَوَاجِئُهَا ؛ فَلَوْ عَجَمْتَ مَا قَبْلَهُمْ ، وَكَشَفْتَ
مَا عِنْدَهُمْ ؛ لَوَجَدْتَ نَفَازًا تَرَوِّدُ أَمْرَكَ ، وَبِجَارِبَ تَوَافِقِ نَظَرِكَ ، وَأَحَادِيثَ تَقْوِي قَلْبَكَ ؛
فَأَمَّا نَحْنُ مَعَاشِرُ خَمَالِكَ ، وَأَصْحَابُ دَوَاوِينِكَ ، لِحَسْنِ بِنَا وَكَثْرَتِنَا أَنْ نَقُومَ بِثِقَلِ مَا حَمَلْنَا
مِنْ عَمَلِكَ ، وَأَسْتَوْدَعْتَنَا مِنْ أَمَانَتِكَ ، وَشَفَّلْتَنَا بِهِ مِنْ إِمْضَاءِ عَدْلِكَ ، وَإِنْفَازِ حُكْمِكَ ،
وإِظْهَارِ حَقِّكَ .

فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ : إِنَّ فِي كُلِّ قَوْمٍ حِكْمَةً ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ سِيَاسَةً ، وَفِي كُلِّ حَالٍ تَدْبِيرًا
يَبْطُلُ الْآخِرُ الْأَوَّلَ ، وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِزَمَانِنَا وَتَدْبِيرِ سُلْطَانِنَا .

(١) كَسَرُوا الْخِرَاجَ أَيَّ كَفَرُوا عَنْ أَدَانِهِ . (٢) هُوَ ابْنُ أَلَيْثِ بْنِ نَصْرِ بْنِ سِيَارٍ . وَكَانَ أَرْسَلَ
الْمَهْدِيَّ أَبَاهُ أَلَيْثَ لِمُحَارَبَةِ الْمُتَّقِعِ فَلَمْ يُمْكِنَ مِنْهُ . وَكَانَ أَبْنُو مُحَمَّدٍ هَذَا مِنْ تَحَابِّ الْمَهْدِيِّ وَلَمْ تَعْرِفْ سَبْعَةَ وَفَاتِهِ .
(٣) هُوَ سَلَامُ بْنُ الْأَبْرَشِ ، أَسْتَمْلَهُ النُّصُورُ ثُمَّ تَوَلَّى الْعُقُوبَاتِ فِي أَيَّامِ الْمَهْدِيِّ . (٤) الْهَزَائِمُ :
مَحْرَبُكَ الْبَلَاءُ وَالْحُرُوبُ فِي النَّاسِ .

قال : نعم أيها المهديّ، أنت مُتَّبِعُ الرَّأْيِ، وَشَيْقُ الْمُقَدَّةِ، قَوِيَّ الْمُنَّةِ^(١)، بَلِغَ الْفِطْنَةِ، مَعْصُومُ النَّبِيَّةِ، مَحْضُورُ الرُّوِيَّةِ، مُؤَيَّدُ الْبَدِيَّةِ، مُوَفَّقُ الْعَزِيمَةِ، مُعَانٌ بِالْظُّفَرِ، مَهْدِيٌّ إِلَى الْخَيْرِ، إِنْ هَمَّتْ قَى عِزْمِكَ مَوَاقِعَ الظَّنِّ، وَإِنْ اجْتَمَعَتْ صَدَعُ فُطْرِكَ مُتَّقِسَ الشَّكِّ، فَاهْزِمِ يَمِيدَ اللَّهِ إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ، وَقُلْ يُنْطَلِقُ اللَّهُ بِالْحَقِّ لِسَانَكَ، فَإِنَّ جُنُودَكَ بِحِمَّةٍ، وَخِرَاسَتِكَ حَامِيَّةٍ، وَنَفْسِكَ مَخِيَّةٍ، وَأَمْرَكَ نَافِذٌ.

فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ : إِنَّ الْمَشَاوِرَةَ وَالْمَسَاطِرَةَ بَابَا رَحْمَةٍ، وَمِفْتَاحَا بَرَكَةٍ ؛ لَا يَمْلِكُ عَلَيْهِمَا رَأْيٌ، وَلَا يَتَغَيَّلُ مَعَهُمَا حَزْمٌ، فَاشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ، وَقُولُوا بِمَا يَحْضُرُكُمْ، فَإِنِّي مِنْ وَرَائِكُمْ، وَتَوْفِيقُ اللَّهِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ .

قال الربيع :

أيها المهديّ، إِنَّ تَصَارِيفَ وَجْهِهِ الرَّأْيِ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّ الْإِشَارَةَ بِبَعْضِ مَعَارِضِ الْقَوْلِ يَسِيرَةٌ ؛ وَلَكِنْ خِرَاسَانُ أَرْضٍ بَعِيدَةِ الْمَسَافَةِ، مَتَرَاخِيَةِ الشَّقَةِ، مُتَفَاوِتَةِ السَّبِيلِ ؛ فَإِذَا أَرَأَيْتَ مِنْ مُحْكَمِ التَّدْيِيرِ، وَمُبَرِّمِ التَّقْدِيرِ، وَلُبَّابِ الصَّوَابِ، رَأْيًا قَدْ أَحْكَمَهُ نَظْرُكَ، وَقَلْبَهُ تَدْيِيرُكَ، فَلَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ طَاعِنٌ، وَلَا دُونُهُ مَعْلَقٌ لَخُصُومَةٍ عَائِبٍ ؛ ثُمَّ أَجَبَتْ الْبُرْدُ بِهِ، وَأَنْطَوَتْ الرُّسُلُ عَلَيْهِ، كَانَ بِالْحَرَى الْآلَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ مُحْكَمُهُ إِلَّا وَقَدْ حَدَثَ مِنْهُمْ مَا يَنْقُضُهُ ؛ فَمَا أَيْتَمَرَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكَ الرُّسُلَ، وَتَرُدَّ عَلَيْكَ الْكُتُبَ بِمَحَقَاتِي أَخْبَارِهِمْ، وَشَوَارِدِ آثَارِهِمْ، وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ، فَتُحَدِّثَ رَأْيًا غَيْرَهُ وَتَقْدِيعَ تَدْيِيرًا سِوَاهُ ؛ وَقَدْ أَفْرَجْتَ الْحِلَاقَ، وَتَحَلَّلْتَ الْمُعْقَدَ، وَأَسْتَرْخِي الْحِقَابَ^(٢)، وَأَمْتَدِ الزَّمَانَ، ثُمَّ لَعَلَّكَ مَوْقِعَ الْآخِرَةِ كَمَصْدَرِ الْأُولَى ؛ وَلَكِنْ الرَّأْيُ لَكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ — وَفَقَّكَ اللَّهُ — أَنْ تَصْرِفَ لِإِجَالَةِ النَّظَرِ، وَتَقْلِبَ الْفِكْرَ، فَمَا جَمَعْتُمَا لَهُ، وَأَسْتَشَرْتُمَا فِيهِ مِنَ التَّدْيِيرِ لِحُرْبِهِمْ، وَالْحِيلِ فِي أَمْرِهِمْ، إِلَى الطَّلَبِ لِرَجُلٍ ذِي دِينٍ

(١) المنّة : الفتوة . (٢) لَا يَتَغَيَّلُ : لَا يَضْفُفُ (٣) معارض الكلام ما حُضِرَ بِهِ

وَلَمْ يَصْرَحْ بِهِ التَّوْبَةُ بِالنَّبِيِّ عَنْ الشَّيْءِ . (٤) الْحِقَابُ شَيْءٌ تَلْقُوهُ الْمَرَأَةُ تَلَقُّ بِهِ مَعَالِيكَ الْحُلَّ تَسْتَدُهُ

عَلَى وَسْطِهَا .

فاضل، وعقل كامل، وورع واسع، ليس موصوفاً بهوى في سواك، ولا مثبها في أثره عليك، ولا ظليتها على دُخْلَةٍ مكروهة، ولا منسوباً الى بدعة محدورة؛ فيَقْدَحَ في مُلْكِكَ، وَيُرَبِّضُ^(٢) الأُمُورَ لغيرك؛ ثم تُسَيِّدُ اليه أمورهم، وتَفُوضُ اليه حُرْبَهُمْ، وتَأْمُرُهُ في عَهْدِكَ ووصيتك إياه بلزوم أمرك ما لزمه الحزم، وخلاف نهيك اذا خالفه الرأي عند استعالة الأمور، واشتداد الأحوال التي يُنْقَضُ أمر الغائب عنها، ويَثْبُتُ رأي الشاهد لها؛ فإنه اذا فعل ذلك فَوَاتَبَ أمرهم من قريب، وسَقَطَ عنه ما يَأْتِي من بعيد، ثَمَّتَ الحيلةُ وقَوِيَتِ المكيدةُ، وَتَقَدَّ العملُ وأَحْدَ النظرُ، إن شاء الله .

قال الفضل بن العباس :

أيها المهدي، إن وَلَّى الأُمُورَ وسائس الحروب ربما تَحْيَ جنوده، وتَفْرَقَ أمواله في غير ما يَضِيقُ أمرَ حَرْبِهِ، ولا ضَخْمَةُ حال أضطرتته؛ فيَقْعُدُ عند الحاجة إليها، وبعد التفرقة لها عَدِيماً منها فاقدًا لها، لا يَتَّقِي بِقُوَّةٍ، ولا يَصُوقُ بِعُدَّةٍ، ولا يَفْزَعُ الى ثِقَةٍ؛ فالرأي لك أيها المهدي — وفكك الله — أن تُعْنِيَ خزائنك من الإنفاق للأموال، وجنودك من مكابدة الأسفار، ومقارعة الأخطار، وتغيير القتال، ولا تُسْرِعَ للقوم في الإجابة الى ما يطلبون، والعطاء لما يسألون؛ فيفسد عليك أدبهم، وتُجْرِي من رعيته غيرهم؛ ولكن أغرهم بالحيلة، وقاتلهم بالمكيدة، وصارعهم باللين، وخاتلهم بالرفق، وأَبْرَقَ^(٣) لهم بالقول، وأَرْعَدَ^(٤) نحوهم بالفعل؛ وأَبْعَثَ البعوث، وجند الجنود، وكتب الكتاب، وأَحْقَدَ الألوية، وأنصب الرايات، وأظهر أنك موجه اليهم الجيوش مع أحق قوادك عليهم، وأسويهم أثراً فيهم؛ ثم أَدْسَسَ الرُّسُلَ، وأَبْلَثَ الكتب، وَضَعَ بَعْضَهُمْ على طَمَعٍ من وعدك، وبعضاً على خوف

(١) ظليتها : شيها . ودخلة مكروهة : أى نية سيئة . (٢) ربه أى أجه .

(٣) أبرق وأرعد بمعنى تهجد وتومد . (٤) البعث : الجيوش .

من وحيدك؛ وأوقد بذلك وأشباحه نيرانَ التعاسد فيهم ، وآخر من أشجار التنافس بينهم ،
حتى تملأ القلوب من الوحشة ، وتتطوى الصدور على البغضة ، ويدخل كلاً من كل الحذر
والهيبه ؛ فإن سرام الظفر بالفيلة ، والقتال بالحيلة ، والمناصبه بالكسب ، والمكايدة بالرسل ،
والمفارقة بالكلام اللطيف المدخل في القلوب ، القوى الموقوع من النفوس ، المعقود
بالجحجج ، الموصول بالحيل ، المبني على القين الذي يستميل القلوب ؛ ويستترق العقول والآراء ،
ويستميل الأمواء ، ويستدعي المواتاة ، أفسد من القتال بطلات السيوف وأسنة الرماح ؛
كما أن الوالي الذي يستترل طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة مدوه بالمكايدة ، أحكم عملاً
وألطف منقراً وأحسن سياسة من الذي لا ينال ذلك إلا بالقتال ، والإتلاف للأموال
والتفريغ والخطار^(١)

وليعلم المهدي أنه إن وجه لقتالهم رجلا لم يسر لقتالهم إلا يحنود كشيفة ، تخرج عن
حال شديدة ، وتقيم على أسفار ضيقية ، وأموال متفرقة ، وقواد هشة ؛ إن أمتهم
استندوا ماله ، وإن استنقجهم كانوا عليه لا له .

قال المهدي : هذا رأى قد أسفر نوره ، وأبرق ضوؤه ، وتمثل صوابه للميون ، ومجد
حقه في القلوب ، ولكن فوق كل ذي علم عليم ؛ ثم نظر الى أبنه علي فقال : ما تقول ؟

قال علي :

أيها المهدي ، إن أهل خراسان لم يتخلعوا عن طاعتك ، ولم ينصبوا من دونك أحداً
يقدر في تفسير ملكك ، ويرضى الأمور لفساد دولتك ؛ ولو فعلوا لكان الخطب أيسر ،
والشان أصغر والحال أدل ، لأن الله مع حقّه الذي لا يتخذله ، وعند مواعده الذي لا يُخلفه ،
ولكنهم قوم من رعيته ، وطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم ولياً ، وجعل العدل
بينك وبينهم حاكماً ، طلبوا حقاً ، وسألوا إنصافاً ، فإن أجبت الى دعوتهم ونفست عن^(٢)

(١) الخطار : الاعراف على ملكة

(٢) هست عنهم : فرحت عنهم .

قبل أن يتلاحم منهم حال، أو يحدث من عندهم فتق، أطعت أمر الرب، وأطاعت نائرة^(١) الحرب، ووقرت خزان المال، وطرحت تفرير القتال، ومن الناس تحمل ذلك على طبيعة جودك، وصبيّة حملك، وإجماع^(٢) خليقتك، ومعتلة نظرك، فأمنت أن تُسب إلى ضعف، وأن يكون ذلك فيما بقي ذرّبة، وإن منعتهم ما طلبوا ولم تُجيبهم إلى ما سألوا، احتدّت بك وبهم الحال، وساوتهم في ميدان الخطّاب، لما أربّ المهدي أن يمد إلى طائفة من رعيته، مقرّين بملكته، مدّعين لطاعته، لا يُخرجون أنفسهم عن قدرته، ولا يُدلوها من عبوديّته، فيملّكهم أنفسهم ويخلع نفسه عنهم، ويقف على الحيل معهم، ثم يحازيهم السوء في حدّ المنازعة ومضمار المخاطرة؛ أريد المهدي - وفقه الله - الأموال؟ فلمرى لا ينالها ولا يظفر بها إلا بإفراق أكثر منها، مما يطلب منهم وأضعاف ما يدعى قبلهم، ولو نالها لحملت إليه، أو وضعت بخرائطها بين يديه، ثم تجأى لهم عنها وطال طليهم بها، لكان مما إليه يُنسب وبه يُعرف من الجود الذي طبعه الله عليه، وجعل قوّة عينه ونهمة نفسه فيه؛ فإن قال المهدي: هذا رأى مستقيم سديد في أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا، وتحامل ولّنا؛ فأما الجنود الذين تقضوا مواعيق العهود، وأنطقوا لسان الإرجاف^(٤) وفتحوا باب المعصية، وكسروا قيد الفتنة، فقد ينبغي لهم أن أجمعهم نكالا لغيرهم وعظّة لسواهم؛ فيعلم المهدي أنه لو أُتي بهم مغلولين في الحديد، مقرّين في الأصفاة؛ ثم أوسع لحن دماثهم عفوّه، وإقالة عثرتهم صفّعه؛ واستبقاهم لما هم فيه من حربه، أولن يلازهم من عدوّه، لما كان بدعا من رأيه، ولا مُستنكرا من نظره، لقد صليت العرب أنه أعظم الخلقاء والملوك عفواً، وأشدّها وقفاً، وأصدقها صولة؛ وأنه لا يتعاضمه عفو،

(١) نائرة الحرب: ما اشتمل راحته منها.

(٢) الإجماع: مصدر أجمع الوالي. إذا أحسن العو.

(٣) الخريطة: وعاء من آدم وعيره.

(٤) الإرجاف: مصدر أريجف القوم إذا خاضوا في أخبار الفتن على أن يوقعوا في الناس الاضطراب من ميران

ولا يتكادّه صفح، وإن عظم الذنب وجّل الخطب، فالرأى للمهدى - وفقه الله تعالى - أن يحل عُقْدَةُ الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم، وأن يذكر أُولَى حالاتهم وضّيعة عيالاتهم، يرأ بهم وتوسّطاً لهم؛ فإنهم إخوان دولته، وأركان دعوته، وأساس حقّه الذين بعزّتهم يصول، وبحبّتهم يقول، وإنما مثّلهم فيما دخلوا فيه من مَسَاخِطه، وتعرّضوا له من معاصيه، وأنطووا فيه عن إجابته، ومثّله في قلة ما غير ذلك من رأيه فيهم، أو قِل من حاله لهم، أو تغير من نعمته بهم، كتّل رجلين أخوين متناصرين متنازعين، أصاب أحدهما خبيل عارض، ولمّا حدث، فنهض إلى أخيه بالأذى، وتحمّل عليه بالمكروه، فلم يزد أخوه إلا رقة له ولطفاً به، وأحياناً للمداواة مرضه ومراجعة حاله، عطفاً عليه ورأاً به ومرحمة له.

فقال المهدى: أما على فقد كوى سمّت اللبان، وقضّ القلوب في أهل خراسان، ولكل نَبَأ مُسْتَفَرٍّ، ثم قال: ما ترى يا أبا محمد؟ يعني موسى أبته.

فقال موسى:

أيها المهدى، لا تكسكن إلى حلاوة ما يحرى من القول على ألسنتهم، وأنت ترى الدماء تسيل من خَلل فعلهم؛ الحال من القوم ينادى بمضمرة شرّ، وخفية حقد؛ قد جعلوا المعاذير عليها سترًا، واتخذوا العِلل من دونها حجاباً؛ رجاء أن يُدَافِعُوا الأيام بالتأخير، والأمور بالتطويل؛ فيكسروا حبل المهدى فيهم، ويقتلوا جنوده عنهم حتى يتلاحم أمرهم، وتتلاحق مآذئهم، وتستعمل حربهم، وتستمر الأمور بهم؛ والمهدى من قولهم في حال غيرة ولباس أمانة، قد قتر لها وأنس بها وسكن إليها؛ ولولا ما اجتمعت به قلوبهم، وبردت عليه جلودهم من البُكَاة بالقتال، والإصرار للقراع عن داية ضلال، أو شيطان فساد، لرهبوا عواقب أخبار الولاة، وغبّ سكون الأمور؛ فليشد المهدى - وفقه الله -

أُزِّدَ لم ويكتَّب كُتِّبَ نحوهم ، وليضَع الأمر على أشد ما يحضره فيهم ، وليؤمِّن أنه لا يعطيهم خُطَّةً يريد بها صلاحهم إلا كانت دُرْبَةٌ إلى فسادهم ، وقوَّة على معصيتهم ، ودَافِعة إلى حودتهم ؛ وسبباً لفساد من يحضرته من الجنود ، ومن يبابه من الوفود ، الذين إن أقروهم وتلك العادة ، وأجروهم على ذلك الأرب ، ولم يترجَّح في فتحي حادثٍ وخلاف سَاحِرٍ ، لا يصلح عليه دين ، ولا تستقيم به دنيا ؛ وإن طَلَب تغييره بعد استحكام العادة ، واستقرار الدربة ، لم يصل إلى ذلك إلا بالعقوبة المفرطة ، والمؤونة الشديدة ، والرأى للمهدى وقفه الله — ألا يُقبل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم ، حتى تظلم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ، وتستحرجهم^(١) القتل ، ويخلق بهم الموت ، ويحيط بهم البلاء ، ويُطبق عليهم النذل ؛ فإن فعل المهدى بهم ذلك ، كان مَقْطَعَةً لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل بادرة شر منهم ، وأحتمال المهدى مؤونة غزواتهم هذه يَضَع عنه غزوات كثيرة ، ونفقات عظيمة .

قال المهدى : قد قال القوم فأحكم يا أبا الفضل .

فقال العباس بن محمد :

أيها المهدى :

أما الموالى فأخذوا بفُروع الرأى ، وسلَكوا جَنَبات الصواب ، وتعلَّوا أموراً قصَّر بنظرهم عنها أنه لم تأت تجارتهم عليها .

وأما الفضل فأشار بالأموال ألا تُتَفَق ، والجنود ألا تَفَرَّق ، وبألا يعطى القوم ما طلبوا ، ولا يئذل لهم ما سألوا ، وجاء بأمر يبين ذلك استصغاراً لأمرهم وأستهانةً بمرهم ؛ وإنما يبيح جسيماَت الأمور صغُلُها .

(١) يستحرج : يشد ويقوى .

وأما على فإشار بالآين وإفراط الرق، وإذا جرد الوالى لمن غمط أسرته وسفه حقه،
 الآين بحتا والخير تحضا، لم يخططهما بشدة تعطف القلوب عن لينه، ولا يشر بمحسبهم إلى
 خيره، فقد ملكهم الخلق لعُدَّهم^(٢) ووسع لهم الترجمة لئنى أعتاقهم؛ فإن أجابوا دعوته وقبِلوا
 لينه من غير خوف اضطهرهم ولا شدة، فترو^(٣) في رموسهم يستدعون بها البلاء إلى أنفسهم،
 ويستصرخون بها رأى المهدي فيهم؛ وإن لم يقبلوا دعوته ويسرعوا لإجابته بالآين المحض
 والخير الصراح، فذلك ما عليه الظن بهم والرأى فيهم، وما قد يُشبه أن يكون من مثلهم،
 لأن الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعم المقيم والمُلك الكبير ما لا يخطر على قلب
 بشر ولا تدركه الفكر ولا تَعْلَمه نفس؛ ثم دعا الناس إليها ورغبهم فيها، فلولا أنه خلق نارا
 جعلها لهم رحمة يسوقهم بها إلى الجنة، لما أجابوا ولا قبلوا.

وأما موسى فأشار بأن يعصبوا^(٤) بشدة لا لين فيها، وأن يرموا بشر لا خير معه، وإذا
 أصر الوالى لمن فارق طاعته، وخالف جماعته، الخوف مُفردًا، والشر مجردًا، ليس معهما
 طمع ولا لين يثنيهم، أشتت الأمور بهم، وأقطعت الحال منهم إلى أحد أمرين : إما أن
 تمخلهم الحمية من الشدة، والأفقة من الذلة، والأعماض من القهر؛ فيدعهم ذلك إلى
 التمادى في الخلاف، والاستبسال في القتال، والاستسلام للوت؛ وإما أن يتقاضوا بالكروه،
 ويذعنوا بالقهر على بغضة لازمة، وعداوة باقية، تُوِث الثفاق وتُعقب الشقاق؛ فإذا
 أمكنتهم فرصة، أو ثابت لهم قدرة، أو قويت لهم حال؛ عاد أمرهم إلى أصعب وأغلظ
 وأشد مما كان.

(١) غمط الأمر : ازدراه . وسفه حقه : استهه ويخسه

(٢) المدر جمع عذار .

(٣) الترو : الوثوب إلى الشر .

(٤) عصب الشيء : لواه وشده .

وقال في قول الفضل :

أيها المهدي، أكتفى دليل، وأوضح بهان، وأبين خير بان، قد أجمع رأيك ونظم نظره
على الإرشاد ببعثة الجيوش إليهم، وتوجيه البعث نحوهم، مع إعطائهم ما سألوا من الحق،
وإجابتهم إلى ما سألوه من العدل .

قال المهدي : ذلك رأي .

قال هارون :

ما خلطت الشبهة أيها المهدي بالبين، وانتظم أمر الدنيا بالدين، فصارت الشدة أمر^(١)
فطام لما تكره، وعاد الدين أهدى قائد إلى ما تحب، ولكن أرى غير ذلك .

قال المهدي :

لقد قلت قولاً بديعاً، خالفت فيه أهل بيتك جميعاً، والمرء مؤمن بما قال، وظنين^(٢)
بما أدعى حتى يأتي بيينة عادلة، وحجة ظاهرة، فأخرج عما قلت .

قال هارون :

أيها المهدي، إن الحرب خدمة، والأعاجم قوم مكره، وربما اعتدلت الحبال بهم،
وأصفت الأهواء منهم، فكان باطن ما يسرون على ظاهر ما يعلنون، وربما آقرقت
الحالآن، وخالف القلب اللسان، فأنطوى القلب على محجوبة تبطن، وأستسر بمدخولة^(٣)
لا تعلن، والطيب الرفيق يطبه، البصير بأمره، العالم بمقدم يده وموضع ميسمه، لا يتجبل^(٤)
بالدواء، حتى يقع على معرفة الداء، فالرأي للمهدي - وقعه الله - أن يفتر باطن أمرهم
قر المسنة، ويختص ظاهر حالهم مخض السقاء بتابعة الكتب، ومظاهرة الرسل، وموالات

(١) الفطام هنا : القطع والاستئصال .

(٢) ظنين بما ادعى : منهم بدعواه .

(٣) الجسم : المكواة يومس بها الحيوان .

(٤) قر الدابة : ضح فاعا وكشف عن أسانها يعطر ما سنها . والمسن من الدواب ما دخل في الثامة

العيون ، حتى تُهتِك حجب عيونهم ، وتُكشَف أغْطِيَةُ أمورهم ؛ فإنْ أفرجتِ الحال ، وأفضتِ الأمور به الى تغيير حال أو داعية ضلال ، أشملت الأهواء طيه ، وأقنات الرجال اليه ، وأمتدت الأعناق نحوه بدين يعتقدونه ، وإثم يستحلونه ، عصبهم بشدة لا لين فيها ، ورمهم بمقوبة لا غفر معها ، وإن أفرجت العيون ، وأحصرت السنور ، ورُفِعَت الحُجُب ، والحالُ فيهم سرّية ، والأمرُ بهم معتدلة في أرزاقٍ يطلبونها ، وأعمال يُنكرونها ، وظلمات يدعونها ، وحقوق يسألونها ، بمائة^(١) ساجتهم ، ودالة^(٢) مُناصحتهم ؛ فالرأى للمهدى — وقه الله — أن يتسع لهم بما طلبوا ، ويتجافى لهم عما كرهوا ، ويتسبب من أمرهم ما صدعوا ، ويرتقى من قفّهم ما قطعوا ، ويؤتّى طيهم من أحبوا ؛ ويدأوى بذلك مرضى قلوبهم ، وفساد أمورهم ؛ فإنما المهدى وأقمت ، وسواد أهل مملكته ، بمتلة الطّبيب الرقيق ، والوالد الشفيق ، والراعى المهرب الذى يحتال لمراضى غنمه ، وضوّال رعيته ، حتى يُرى المريض من داء علقها ويردّ الصحيحة الى أنس جماعتها ؛ ثم إن نراسان بخاصّة الدين لهم دالة^(٣) محمولة ، ومائة^(٤) مقبولة ، ووسيلة معروفة ، وحقوق واجبة ؛ لأنهم أيدى دولته ، وسيوف دعوته ، وأنصار حقّه ، وأعران عدله ؛ فليس من شأن المهدى الاضطغان عليهم ، ولا المؤاخدة لهم ، ولا التوفير بهم ، ولا المكافأة بإسائتهم ، لأت مبادرة حسَم الأمور ضعيفة قبل أن تهوى ، ومحاولة قَطْع الأصول ضئيلة قبل أن تفلط ، أحزم في الرأى ، وأصح في التدبير من التأخير لها والتهاون بها ، حتى يَلْتَم قليلها بكثيرها ، وتجتمع أطرافها الى جمهورها .

قال المهدى : ما زال هارون يقع وقع الحيا حتى خرج خروج القذح من الماء ، وأنسل أنسلال السيف فيما أَدْعَى ، فدعوا ما سبق موسى فيه أنه هو الرأى ، وثقى بعده هارون ، ولكن من لأعنة الخليل وسياسة الحرب وقادة الناس إن أمعن بهم الجُحاج ، وأفرطت بهم الدالة ؟ .

(١) المائة : الحرمة والوسيلة .

(٢) التوفير بهم : التشديد عليهم .

قال صالح :

لسنا نبلغ أيها المهديّ بدوام البحث وطول الفكر أدنى فُرَاسَةٍ رأيك، وبعضَ لحَفَاتٍ نظرك ؛ وليس يَنْقُصُ عنك من بيوتات العرب ورجال العجم ذو دين فاضل ، ورأى كامل، وتدير قوى ؛ تهلّده حربك، وتستودعه جندك، ممن يَحْتَمِلُ الأمانةَ العظيمةَ ، ويضطّلع بالأعباء الثقيلة ؛ وأنت بعد الله ميمونٌ النقيبة^(١)، مبارك العزيمة ، محبُّور التجارب، محمود العواقب، معصوم العزم؛ فليس يقع اختيارك، ولا يقف نظرك على أحدٍ تولّيه أمرك، وتُسند إليه ثغرك، إلّا أراك الله ما تحبّ، وجمع لك منه ما تريد .

قال المهديّ : إني لأرجو ذلك لقديمِ عادةٍ الله فيه، وحسينِ معونته عليه ؛ ولكن أحبّ الموافقة على الرأي، والاعتبار للشاورة في الأمر المهم .

قال محمد بن الوليد :

أهل نمراسان أيها المهديّ، قوم ذوو عزّة ومَنعة، وشياطين خَدَعَة ؛ زُرُوع الحمية فيهم نابتة، وملايس الأتفة طليم ظاهرة ؛ فالروية عنهم عازبة، والجملة فيهم حاضرة ؛ تسبق سيوفهم مطرهم، وسيوفهم عدّتهم، لأنهم بين يسفلة لا يعدو مَبْلَغُ عقولهم مَنظَر عيونهم، وبين رؤساء لا يُلْجَمُونَ إلا بشدّة، ولا يَفْطَمُونَ إلا بالترّة؛ وإن ولّى المهديّ عليهم وضيعا لم تنقذ له العفلاء، وإن ولّى أمرهم شريفاً تحامل على الضعفاء؛ وإن أقرّ المهديّ أمرهم، ودافع حربهم، حتى يُصيب لنفسه من حشمة ومواليه ، أوبى عمه أوبى أبيه ؛ فاحصا يتق على أمرهم، وثقة تجتمع له أملاؤهم بلا اتّفة تلزمهم، ولا حمية تدخلهم، ولا مصيبة تنفرهم ؛ تنقست الأيام بهم، وتراحت الحلال بأمرهم ؛ فدخل بذلك من الفساد الكبير، والضياع العظيم، ما لا يتلافاه صاحبُ هذه الصّمة وإن جدّ، ولا يستصاحبه وإن جهّد .

(١) ميمون النقيبة : أي مبارك النفس ينجح فيما يحاول . ومحبور التحارب : حيرها .

(٢) العازب : الغائب .

(٣) المذل : اسم مصدر من المذل بمعنى الوم ومنه المثل "سبق السيف العدل" يصرّب لما قد فات .

إلا بعد دهر طويل وشركير؛ وليس المهدي — وفقه الله — فاطماً عادتهم، ولا قارطاً صفاتهم، بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما . ولا عُدل في ذلك بهما :

أحدهما لسانٌ ناطقٌ موصولٌ بسمعك، ويدٌ ممثلةٌ ليدك، وحضرةٌ لا تُعرضُ، وبهمةٌ لا يُتَّى، وبازِلٌ لا يُفْزعه صوتُ الجَلْبُل، نقيُّ العرض، نزيه النفس، جليل الخطر، قد آتقت الدنيا عن قدره، وسما نحو الآخرة بهمة، فجعل الغرض الأقصى لعينه نصباً، والغرض الأدنى لقدمه موطئاً، فليس يقبل عملاً، ولا يتعدى أملاً، وهو رأس مآليك، وأنصح بني أبيك، رجل قد عُذِّي بلطف كرامتك، ونبت في ظل دولتك، ونشأ على قوائم أدبك، فإن قلده أسرم، وحمله ثقلهم، وأسندت إليه ثمرهم، كان قفلاً قفحه أمرُك، وباباً أفلقه نهيُك، فجعل العدل عليه وعليهم أميراً، والإنصاف بينه وبينهم حاكماً، وإذا حكم النصفة وسلك المعدلة، فأعطاهم ما لهم وأخذ منهم ما عليهم، غرس في الذي لك بين صدورهم، وأمكن لك في السويداء داخل قلوبهم، طاعة راحضة العروق، بآسقة الفروع، متائلة في حواشي عوامهم، متمكنة من قلوب خواصهم، فلا يبقى فيهم ريب إلا نفوه، ولا يلزمهم حقٌ إلا أدؤه، وهذا أحدهما .

والآخر حودٌ من غيظتكَ، ونبتةٌ من أرومتكَ، قتيُّ السن كهل الحِلْم راجعُ العقل محمود الصرامة مأمونُ الخلاف، يجرّد فيهم سيفه، ويسط علىهم خيره بقدر ما يستحقون، وعلى حسب ما يستوجبون؛ وهو فلان أيما المهدي، فسلطه — أهرّك الله — عليهم، ووجهه بالجيش اليهم، ولا تمتك ضراعةُ سنه^(١)، وحدائمه مولده؛ فإن الحلم والثقة مع الحدائمه، خير من الشك والجهل مع الكهولة؛ وإنما أحداثكم أهل البت فيما طبعكم الله عليه، وأختصكم به من مكارم الأخلاق، ومحامد الفعال، وعاسن الأمور، وصواب التدبير، وصرامة الأنفس؛ كفراخ عتاق الطير المحيكة لأخذ الصيد بلا تدريب، والعارفة

(١) ضراعة به : شيا به ودادة به

(٢) عطق الطير : كرام الطير .

لوجوه النفع بلا تأديب؛ فالعلم والعزم والحزم والجود والتزود والرفق ثابت في صدوركم،
منزوع في قلوبكم، مستحکم لكم، متكامل عندكم، بطائع لازمة، وغرائز ثابتة .

قال معاوية بن عبد الله :

إفتاء أهل بيتك أيها المهدي في الحلم على ما ذكر . وأهل خراسان في حال عز على
ما وُصف، ولكن إن ولي المهدي عليهم رجلا ليس بقديم الذكر في الجنود، ولا بنبيه
الصوت في الحروب، ولا بطويل التجربة للأُمور، ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة
في الأعداء؛ دخل ذلك أمران عظيمان وخطران مهولان، أحدهما : أن الأعداء يفتيمزونها
منه ويحتجرونها فيه ، ويحترون بها عليه في النهوض به والمقارعة له ، والخلاف عليه، قبل
الاختبار لأمره، والتكشّف لحاله والعلم بطباعه . والأمر الآخر : أن الجنود التي يقود
والجيوش التي يسوس إذا لم يحتجروا منه البأس والنجدة، ولم يعرفوه بالصّيت والهيبة ،
أنكسرت شجاعته، وماتت مجدهم ، واستأثرت طاعتهم الى حين اختبارهم، ووقع
معرفتهم؛ وربما وقع البوار قبل الاختبار؛ وبياب المهدي - وفقه الله - رجل مهيب
نبيه حنيك صيئ؛ له نسب زالك وصوت على، قد قاد الجيوش وساس الحروب، وتألف
أهل خراسان، واجتمعوا عليه باليقّة، ووثقوا به كل الثقة؛ فلولا الهدي أمرهم،
لكفاه الله شرهم .

قال المهدي : جابّت قصد الرّمية، وأبّيت إلا عصية؛ إذ رأى الحدّث من أهل
بيتنا، كراى عشرة حلماء من غيرنا؛ ولكن أين تركتم ولي العهد .

قالوا :

لم يمننا من ذكره إلا كونه شبيه جدّه، ونسج وخده؛ ومن الذين وأهله، بحيث يقصر
القول عن أدنى فضله؛ ولكن وجدنا الله عز وجل يحبّ عن خلقه، وسرّ من دون عبادِه
علم ما تخلف به الأمام، ومعرفة ما تجري عليه المقادير، من حوادث الأمور ورأي المأمون

الْمُخْتَرِمَةُ نَحْوَالِ الْقُرُونِ وَمَوَاضِي الْمُلُوكِ ، فَكَرِهْنَا شُؤْهُهُ ^(١) عَنْ مَحَلَّةِ الْمَلِكِ وَدَارِ السُّلْطَانِ وَمَقَرِّ
 الْإِمَامَةِ وَالْوِلَايَةِ وَمَوَاضِي الْمَدَائِنِ وَالْمَدَائِنِ ، وَمَسْتَقَرِّ الْجُنُودِ وَمَعْلَدِ الْجُودِ ، وَتَجْمَعُ الْأَمْوَالُ
 الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ قُطْبًا لِدَارِ الْمَلِكِ وَمِصْبِيَّةَ لِقُلُوبِ النَّاسِ وَمَثَابَةَ لِإِخْوَانِ الطَّمَعِ وَتَوَارِ الْفِتَنِ ،
 وَدَوَاعِيَ الْبِدَعِ وَفِرْسَانَ الضَّلَالِ وَأَبْنَاءَ الْمَوْتِ . وَقُلْنَا : إِنْ وَجَّهَ الْمَهْدِيُّ وَلِيَّ عَهْدِهِ غَدَّتْ
 فِي جَبُوشِهِ وَجُنُودِهِ مَا قَدْ حَدَثَ بِجُنُودِ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ ، لَمْ يَسْتَطِعِ الْمَهْدِيُّ أَنْ يُقْبِطَهُمْ
 بِغَيْرِهِ إِلَّا أَنْ يَنْهَدَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ ، وَهَذَا خَطَرٌ عَظِيمٌ وَهَوْلٌ شَدِيدٌ ، إِنْ تَفَقَّسَتْ الْأَيَّامُ بِمَقَامِهِ ،
 وَاسْتَدَارَتْ الْحَالُ بِإِمَامِهِ ، حَتَّى يَقَعَ عَوَضٌ لَا يُسْتَنْقَى عَنْهُ ، أَوْ يَحْدُثَ أَمْرٌ لَا بَدَّ مِنْهُ ،
 صَارَ مَا بَعْدَهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ هَوْلًا وَأَجَلٌ خَطَرًا لَهُ تَبَعًا وَبِهِ مُتَّصِلًا .

قال المهدي :

الْخَطْبُ أَيْسَرُ مَا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ ، وَطَلَّ غَيْرُ مَا تَصِفُونَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ ، نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ
 نَجْرِي مِنْ أَسْبَابِ الْقَضَايَا وَمَوَاقِعِ الْأُمُورِ ، عَلَى سَابِقِ مِنَ الْعِلْمِ وَمَحْتَوِيٍّ مِنَ الْأَمْرِ ، قَدْ
 أَنْبَأَتْ بِهِ الْكُتُبُ ، وَنَبَأَتْ عَلَيْهِ الرُّسُلُ ، وَقَدْ تَنَاقَشَ ذَلِكَ بِأَجْمَعِ الْبَنَاءِ وَتَكَامَلَتْ بِمُخَافَتِهِ
 عِنْدَنَا ، فِيهِ نُذَبِرُ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ . إِنَّهُ لَا بَدَّ لَوْلَى عَهْدِي وَلَوْلَى عَهْدِ حَقِّي بَعْدِي أَنْ يَقُودَ
 إِلَى خِرَاسَانَ الْبُحُوثِ ، وَيَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا بِالْجُنُودِ .

أَمَّا الْأَوَّلُ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ إِلَيْهِمْ رِسْلَهُ ، وَيُعْمِلُ فِيهِمْ حِيلَهُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ نَسِيطًا إِلَيْهِمْ حَتَّى
 عَلَيْهِمْ ، يَرِيدُ أَلَّا يَدْعَ أَحَدًا مِنْ إِخْوَانِ الْفِتَنِ وَدَوَاعِيَ الْبِدَعِ وَفِرْسَانَ الضَّلَالِ ، إِلَّا تَوَطَّاهُ
 بِحِمَى الْقَتْلِ ، وَالْبَسَهُ قِتَاعَ الْقَهْرِ ، وَقَلَّدَهُ طَوْقَ النَّدَى ، وَلَا أَحَدًا مِنَ الَّذِينَ عَمِلُوا فِي قَصَصِ
 جَنَاحِ الْفِتْنَةِ ، وَإِحْمَادِ نَارِ الْبِدْعَةِ ، وَنُصْرَةِ وِلَايَةِ الْحَقِّ ، إِلَّا أَجْرَى عَلَيْهِمْ دَيْمَ فَضْلِهِ ، وَجَدَّوْلَ
 نَهْلِهِ ، فَإِذَا خَرَجَ مُزْمِعًا بِهِ مُجْمَعًا عَلَيْهِ ، لَمْ يَسِرْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَأْتِيَهُ أَنْ قَدْ عَمِلَتْ حِيلُهُ ،
 وَكَدَحَتْ ^(٢) كُتُبُهُ وَقَدَّزَتْ مَكَائِدُهُ ، فَهَدَأَتْ نَافِرَةَ الْقُلُوبِ ، وَوَقَعَتْ طَائِرَةُ الْأَهْوَاءِ ، وَاجْتَمَعَ

(١) شؤهُ : ابتعاده .

(٢) سمت ودأبت حتى أثرت .

(٣) وقعت طائرة الأهواء : نعد غضبها وسكن روحها

عليه المُنْتَكَفُونَ بِالرِّضَا ، فَيَمِيلُ نَفْسُهُمْ ، وَيَرْجِعُونَ ، وَيُطْلَبُ عَلَيْهِمْ ، إِلَى خُدُوقِ قَدِّ أَخْفِ سَبِيلِهِمْ ، وَقَطْعِ طَرَفِهِمْ ، وَمَنْعِ حُجَّاجِهِمْ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَسَلْبِ ثَمَرِهِمْ رِزْقَ اللَّهِ الْحَلَالِ .

وَأَمَّا الْآخَرُ فَانْهَ يُوَجِّهُ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ تُنْتَقَدُ لَهُ الْجَمْعَةُ عَلَيْهِمْ ، بِإِعْطَاءِ مَا يُطْلَبُونَ ، وَبَذْلِ مَا يُسْأَلُونَ ، فَإِذَا سَمِعَتْ الْفِرْقُ بَقَرَاتِهَا لَهُ ، وَجَتَّحَ أَهْلُ النَّوَاحِي بِأَعْنَاقِهِمْ نَحْوَهُ ، فَأَصْفَتْ إِلَيْهِ الْأَثْلَةُ ، وَاجْتَمَعَتْ لَهُ الْكَلْبَةُ ، وَقَدِمَتْ عَلَيْهِ الْوَفُودُ قَصْدَ لَأَوَّلِ نَاحِيَةٍ تَجَمَّتْ بِطَاعَتِهَا وَالْقَتْ بِأَرْزَاتِهَا ، فَالْبَسَتْهَا جَنَاحُ نِعْمَتِهِ ، وَأَنْزَلَهَا ظِلُّ كَرَامَتِهِ ، وَخَصَّهَا بِعَظِيمِ حَبَائِثِهِ ، ثُمَّ مَمَّ الْجَمَاعَةُ بِالْمَعْتَلَةِ ، وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِمُ بِالرَّحْمَةِ ، فَلَا تَتَّقِي فِيهِمْ نَاحِيَةً دَانِيَةً وَلَا فِرْقَةً قَاصِيَةً ، إِلَّا دَخَلَتْ عَلَيْهَا بَرَكَتُهُ ، وَوَصَلَتْ إِلَيْهَا مَنَفَعَتُهُ ، فَأَخْفَى فَقِيرَهَا ، وَجَبَرَ كَسِيرَهَا ، وَرَفَعَ وَضِيعَهَا ، وَزَادَ رَفِيعَهَا مَا خَلَا نَاحِيَتَيْنِ ؛ نَاحِيَةً يَنْلُبُ عَلَيْهَا الشَّقَاءُ ، وَتُسْتَمِيلُهُمُ الْأَهْوَاءُ ، فَتُسْتِخْفَ بِدَعْوَتِهِ ، وَتَبْطُلَ عَنْ إِبَابَتِهِ ، وَتُنْثَاقِلَ عَنْ حَقِّهِ ، فَتَكُونَ آخِرُ مَنْ يَبْعَثُ وَأَبْطَأُ مَنْ يُوَجِّهُ ، فَيُضْطَلُّ عَلَيْهَا مَوْجِدَةٌ وَيَنْفِي لَهَا عِلَّةً ، لَا يَلْتَبِثُ أَنْ يَبِيدَ بِحَقِّ يَلْزَمُهُمْ وَأَمْرٌ يَجِبُ عَلَيْهِمْ ، فَتُسْتَلْحَمُهُمُ الْجَبُوشُ ، وَتَأْكُلُهُمُ السُّيُوفُ ، وَتُسْتَحْزَرُهُمُ الْقَتْلُ ، وَيَحِيطُ بِهِمُ الْأَسْرُ ، وَيُقْنِمُهُمُ التَّنَجُّ ، حَتَّى يَخْرُبَ الْبِلَادُ ، وَيُؤْتِمَ الْأَوْلَادُ ؛ وَنَاحِيَةً لَا يَسْطُطُ لَهَا أَمَانًا ، وَلَا يَقْبَلُ لَهَا عَهْدًا وَلَا يَجْعَلُ لَهَا نِعْمَةً ؛ لِأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ بَابَ الْفُرْقَةِ ، وَتَنْزَعُ جِلْبَابَ الْفِتْنَةِ ، وَرَبَضَ فِي شَقِّ الْمَصَا ؛ وَلَكِنَّهُ يَقْتُلُ أَعْلَامَهُمْ ، وَيَأْمُرُ قَوَادِمَهُمْ ، وَيَطْلُبُ هُرَابَهُمْ فِي لَجَجِ الْبَحَارِ ، وَقُلُلِ الْجِبَالِ ، وَتَحْمِلُ الْأَوْدِيَةَ ، وَبَطْلُونَ الْأَرْضَ ، تَقْتِيلًا وَتَغْلِيلًا وَتَنْكِيلًا ؛ حَتَّى يَدْعَ الدِّيَارُ خُرَابًا ، وَالنِّسَاءُ أَيْامِي ؛ وَهَذَا أَمْرٌ لَا نَعْرِفُ لَهُ فِي كُنْهِنَا وَقْتًا ، وَلَا نَصَحُّ مِنْهُ غَيْرَ مَا قُلْنَا تَفْسِيرًا .

وَأَمَّا مُوسَى وَلِيُّ عَهْدِي فَهَذَا أَوَانُ تَوَجُّهِهِ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَحُلُولِهِ بِمَرْجَانٍ ؛ وَمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ مِنَ الشَّخْصِ الْبَيَا ، وَالْمَقَامِ فِيهَا ، خَيْرٌ لِلْسَّامِينَ مَقْبَةً ، وَلَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ عَاقِبَةٌ مِنَ الْمَقَامِ ، بِحَيْثُ يُقَمَّرُ فِي بُلُجِّ بَحْرِنَا ، وَمَدَائِفِ سَبُولِنَا ، وَجَمَاعِ أُمُورِنَا ، فَيَتَصَاهَرُ عَظِيمُ فَضْلِهِ ،

وَيَتَذَابُّ^(١) مَشْرِقَ نَوْرِهِ ، وَيَتَقَلَّلُ كَثِيرٌ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْهُ ؛ فَمَنْ يَضَعُ بِهِ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَيُخْتَارُ لَهُ
مِنَ النَّاسِ

قال محمد بن الليث :

أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ : إِنَّ وَلِيَّ عَهْدِكَ أَصْبَحَ لِأَمْتِكَ وَأَهْلِ مَلِكِكَ حَلَمًا ، قَدْ تَنَتَّ نَحْوَهُ
أَعْنَأُهَا ، وَمَلَّتْ سِمَتُهُ أَبْصَارَهَا ؛ وَقَدْ كَانَ لِقَرَبِ دَارِهِ مِنْكَ ، وَعَمَلُ جَوَارِهِ لَكَ ، عَطَلَّ
الْحَالُ غُفْلَ الْأَمْرِ وَاسِعَ الْمُسْذَرِ ؛ فَأَمَّا إِذَا أَنْفَرَدَ بِنَفْسِهِ وَخَلَا بِنَظَرِهِ وَصَارَ إِلَى تَدْيِيرِهِ ، فَإِنْ
مِنْ شَأْنِ الْعَامَةِ أَنْ تَنْفَقَ غَارِجَ رَأْيِهِ ، وَتَسْتَنْصِبَ لِمَوَاقِعِ آثَارِهِ ، وَتَسْأَلَ عَنْ حَوَادِثِ
أَحْوَالِهِ فِي بَرِّهِ وَمَرْحَمَتِهِ وَإِقْسَاطِهِ وَمَعْدَنَتِهِ وَتَكْدِيرِهِ وَسِيَاسَتِهِ وَوُزَرَائِهِ وَأَصْحَابِهِ ؛ ثُمَّ يَكُونُ
مَا يَسِيْقُ إِلَيْهِمْ أَغْلِبَ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ وَأَمْلَكَ الْأُمُورَ بِهِمْ وَأَلْزَمَهَا لِقُلُوبِهِمْ ، وَأَشْدَّهَا أَسْمَالَةً
لِرَأْيِهِمْ وَصَطَفًا لَأَهْوَائِهِمْ ؛ فَلَا يَفْتَأُ الْمَهْدِيُّ - وَقَعَهُ اللَّهُ - نَظَرًا لَهُ فِي مَا يَقْوَى عُمْدَ مَمْلَكَتِهِ ،
وَيُسَدِّدُ أَرْكَانَ وَلايَتِهِ ، وَيَسْتَجِمِعُ رِضًا أَمْنَهُ بِأَمْرِ هُوَ أَرْزَنُ لِحَالِهِ وَأَظْهَرُ لِحَالِهِ ، وَأَفْضَلُ
مَنْبَةِ الْأُمَرَاءِ ؛ وَاجْتَلِ مَوْقِعًا فِي قُلُوبِ رِجَتِهِ ، وَاحْشُدْ حَالًا فِي نَفُوسِ أَهْلِ مَلِكِهِ ؛ وَلَا أَدْفَعُ
مَعَ ذَلِكَ بِاسْتِجَاعِ الْأَهْوَاءِ لَهُ ، وَأَلْبَعُ فِي اسْتِعْطَافِ الْقُلُوبِ طَبِيعِهِ ، مِنْ مَرْحَمَةٍ تَظْهَرُ مِنْ
فَعْلِهِ ، وَمَعْدَلَةٍ تَنْتَشِرُ عَنْ أَثَرِهِ وَحُبَّةٍ تَخْتَرُ وَأَهْلُهُ ، وَأَنْ يَخَارِ الْمَهْدِيُّ - وَقَعَهُ اللَّهُ - مِنْ
خِيَارِ أَهْلِ كُلِّ بَلَدَةٍ ، وَتُقَهَّاءِ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ ؛ أَقْوَامًا تَسْكُنُ إِلَيْهِمُ الْعَامَةُ إِذَا ذُكِرُوا ، وَتَأْنَسُ
الرَّجِيَّةُ بِهِمْ إِذَا وُصِفُوا ؛ ثُمَّ تُسَهِّلْ لَهُمْ حِمَارَةَ سُبُلِ الْإِحْسَانِ وَقَعَّعْ بَابَ الْمَعْرُوفِ . كَمَا قَدْ كَانَ
فِيحَ لَهُ وَسُهِّلَ عَلَيْهِ

قال المهدي : صدقت ونصحت ، ثم بعث في أبنه موسى فقال :

أَيُّ بَقِيٍّ ، إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ^(٢) تَ وَجْهَ الْعَامَةِ نَصَبًا ، وَلِيَتْهُ أَعْطَافُ الرَّجِيَّةِ غَايَةً ؛
فَلَسْتُكَ شَامِلَةً ، وَإِسَاءَتِكَ تَائِيَةً ، وَأَمْرُكَ ظَاهِرًا ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، فَاحْتَمِلْ

(١) يَتَذَابُّ : يَجْتَنِبُ . (٢) تَنْفَقُ غَارِجَ رَأْيِهِ : أَيُ تَفْصَحُ عَنْ وَجْهِهِ رَأْيَهُ وَتَدْيِيرِهِ . (٣) أَمْلَكَ
الْأُمُورَ : أَضْطَرَّهَا . (٤) السِّمَتُ : الْمَقَرُّ وَالْقَصْدُ . (٥) الْأَعْيَافُ : جَمْعُ عَطَلٍ وَهُوَ الْخَالِفُ .

تُخَطُّ الناسَ فيهما ، ولا تطلب رضاهم بخلافهما ؛ فإن الله عز وجل كافيك مَنْ أَسْخَطَهُ عليك إيثارك رضا ، وليس بكافيك مَنْ يُسَخِّطُهُ عليك إيثارك رضا مَنْ سِوَاهُ . ثم أعلم أن الله تعالى في كل زمانٍ قِترَةً من رُسُلِهِ ، وبقايا من صَفْوَةِ خَلْقِهِ وخبايا لُبُصرةِ حقِّهِ . يمتدّ حبل الإسلام بدعواهم ، وَيُسَيِّدُ أركان الدين بنصرتهم ؛ وَيَتَخَذُ لأوليائه دينه أنصارا ، وعلى إقامة عدله أحوانا ؛ يَسْتُدُّونَ الخَلَلَ وَيُقيمُونَ المِيزَانَ ، ويدفعون عن الأرض الفساد ؛ وإنا أهل خراسان أصبحوا أيدي دولتنا ، وسيوف دعوتنا الذين نُسْتَدْفِعُ المكاره بطاعتهم ، وَنَسْتَصْرِفُ نزول العظام بمناصحتهم ؛ وَنُدَافِعُ رَبِّبَ الزمان بعزائمهم ، وَنُزَاهِمُ ركن الدهر ببصائرهم ؛ فهم عماد الأرض إذا أُرْجِفَتْ كُنُفُهَا ^(١) ، وخوفُ الأعداء إذا برزت صَفْحَتُهَا ، وحصونُ الرعية إذا تضايقت الحال بها ؛ قد مَضَتْ لهم وقائعُ صداقات ، ومواطنُ صالحات ؛ أَنَحَدُثُ نيرانَ الفتن ، وقَسَمْتُ دواعي البدع ، وأَذَلْتُ رقاب الجبابرين ولم ينفكوا كذلك ما جَرَوْا مع ربح دولتنا ، وأقاموا في ظِلِّ دعوتنا ، وأَعْتَصَمُوا بحبل طاعتنا ، التي أَمَرَ الله بها ذُلَّتْهم ورفع بها ضَعْفَتْهم ؛ وجعلهم بها أربابا في أقطار الأرض ، وملوكا على رقاب العالمين بعد لباسِ الذلِّ ، وقِنَاعِ الخوفِ ، وإطباقِ البلاءِ وعماقَةِ الأسى ، وجهْدِ البأسِ والضُرِّ ؛ فظَاهِرُ عليهم لباس كرامتك ، وأَزْلَمُ في حداثق نعمتك ؛ ثم أَصْرَفَ لهم حق طاعتهم ، ووسيلة دَأْلَتْهم ، ومائة سَائِغَتْهم ، وحرمة مناصحتهم ؛ بالإحسان اليهم ، والتوسعة عليهم ، والإجابة لِحُسْنِهِمْ ، والإقالة لِمُسِيئَتِهِمْ .

أَيُّ بُحَى ، ثم عليك العامة فاستدع رضاهم بالعدل عليها ، واستجلب موثقتها بالإنصاف لها ؛ وَتَحَسَّنْ بِذلِكَ لِرَبِّكَ ، وتوثق به في عين رعيك ، وأَجْعَلْ عَمَالَ المُدْرِ وُلاةَ المُجَبِّجِ مقدِّمة بين عملك ، وَنَصَبَةً منك لرعيك ، وذلك أن تأمر قاضى كُلِّ بلد ، وبخيار أهل كل مِصْرٍ ، أن يختاروا لأنفسهم رجلا توَلِّيَهُ أمرهم ، وتجعل العدل حاكما بينه وبينهم ؛ فإن أحسنُ حُدُثٍ ، وإن أساءَ حُدُوثٍ . هؤلاء عَمَالُ المُدْرِ وُلاةَ المُجَبِّجِ ، فلا يَسْقُطَنَّ عليك

(١) الكف : جمع كف وهو الجانب . وأرِجَفَتْ : زلزلت

ما في ذلك اذا أنتشر في الآفاق ، وسبق الى الأسماع ، من أنعقاد السنة المبرجين ، وكبت
 قلوب الحاسدين ، وإطفاء نيران الحروب ، وسلامة عواقب الأمور ؛ ولا يتفكك في ظل
 كرامتك نازلا ، وبمراً حبلك متعلقاً رجلاًن : أحدهما كريمة^(١) من كرائم رجالات العرب ،
 وأعلام بيوتات الشرف ؛ له أدب فاضل ، وحلم راجح ، ودين صحيح . والآخـره دين غير
 مغموز^(٢) ، وموضع غير مدخول ، بصير بتقليب الكلام وتصريف الرأي وألحاء العرب ووضع
 الكتب ، علم بحالات الحروب وتصاريف الخطوب ؛ يضع آداباً نافعة وآثاراً باقية ، من
 محاسنك وتحسين أمرك وتحلية ذكرك ؛ تستشيره في حرك ، وتدخله في أمرك ؛ فرجل
 أصبته كذلك فهو يأوى الى محلقى ، ويرعى في خُصرة جنانى ؛ ولا تدع أن تخسارك من
 فقهاء البلدان ، وخيار الأمصار ، أقواما يكونون جيرانك ومُشارك ، وأهل مُشاورتك فيما
 تُورد ، وأصحاب مناظرتك فيما تُصـدِر . فسر على بركة الله ، أصحبك الله من عونه وتوفيقه
 دليلاً يهـدى الى الصواب قلبك ، وهادياً يُتـطـق بالخير لسانك . وكتب في شهر ربيع الآخر
 سنة سبعين ومائة ببغداد .

(١) الكريمة : صاحب الكرم . وكرائم الرجال : أباير رجال العرب وأحاسنهم . (٢) غير مغموز :

مطمون : وغير مدخول : لا يداخله فساد .

٢ - رسالة أبي الربيع محمد بن الليث التي كتبها للرشيد

الى قسطنطين ملك الروم

من عبد الله هارون أمير المؤمنين الى قسطنطين عظيم اروم : سلام على من أتبع الهدى .
فإني أحمد الله الذي لا شريك معه ، ولا ولد له ، ولا إله غيره ، الذي تعالى عن شبه
المحدودين بعظمته ، واحتجب دون المخلوقين بعزته ، فليست الأبصار بمُدركة له ، ولا
الأوهام بواقعة عليه ، انفراداً عن الأشياء أن يُشبهها ، وتعالى أن يشبهه شيء منها ، وهو
الواحد القهار ، الذي أرتفع عن مبالغ صفات القائلين ، ومناهب لغات الممالين ، وفكر
الملائكة المقربين ، فليس كمثل شيء ، وله كل شيء ، وهو على كل شيء قدير .

أما بعد ، فإن الله جل شأوه وتباركت أسماؤه ، قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما أنزل
من آيات الوحي إليه : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ . فرأى
أمير المؤمنين من أحسن قوله وأفضل فعله ، أن يكون الى سبيل ربه داعياً ، وبرسوله
صلى الله عليه وسلم متأسياً ، ولقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ
إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ موافقاً . وكنت من كتب الله المتزلة ، وآياته المفسرة ، وخلقه الكثير
بحيث رجا أمير المؤمنين استماعك لموعظتيه ، وانتفاعك بمجادليته انتفاع بغير كثير وخلق
عظيم قد بُذرت بأوزارهم مع وزيرك ، واحتملت من آفاتهم الى إثمك ، فأحب أن يدعوك
ومن رجا أن يتفع بدعوته معك ، الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به
شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ؛ فإن توليتم عن ذلك رغبة عنه ،
أو تركتموه زهادة فيه ، فأتشهدوا بأننا مسلمون . وأستمعوا ما أمير المؤمنين واصل لكم ،
ومحتاج به إن شاء الله عليكم ، بقلوب شاهدة وآذان واعية ، ثم أتبعوا أحسن ما تسمعون .
بلا قوة إلا بالله .

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِيَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ وَأَقْتَصَّ عَلَى عِبَادِهِ : ﴿ فَتَشْرِعِبَادُ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ۖ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ ، وَصَفَ فِيَا أَنْزَلَ مِنْ آيَاتِهِ ، وَشَرَحَ مِنْ بَيِّنَاتِهِ ، الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةَ ، وَالْمَلَأَ الْمُنْفُوتَةَ ، الَّذِينَ يَحْمِلُونَ مَعَ اللهِ أَلْمَةَ أُتْرَى لَا بُرْهَانَ لَهُمْ بِهَا ، وَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهَا ، فَقَالَ : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهُ وَاحِدٌ مُبْهَمَاتُهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا لَنْ يَسْتَكْفِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۖ ۞

قَالَتِ الْعَرَبُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَأَهْلُ الْكِتَابِ الَّذِينَ يَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ بَأْسًا آيَةً يَأْجِدُ زَعْمَ أَنَّ اللَّهَ إِلَهُ وَاحِدٌ ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ آيَةً تَشْهَدُ لَهَا الْعُقُولُ ، وَتُؤَيِّنُ بِهَا الْقُلُوبُ ، وَتَعْرِفُهَا الْأَلْبَابُ ، فَلَا تَسْتَطِيعُ لَهَا رَدًّا ، وَلَا تُطِيقُ لَهَا جَمْعًا ، ذَكَرَ فِيهَا اتِّصَالَ خَلْقِهِ وَاتِّفَاقَ صُنْعِهِ ، لِيُوقِنَ الْجَاهِلُونَ مِنَ الْعَرَبِ ، وَالصَّالُّونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، أَنَّ اللَّهَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْهَوَاءِ وَالْخَلْقِ ، وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ ، خَالِقُ لَا شَيْءَ مَعَهُ ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ۖ فَتَضَكَّرُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ كَلَامِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَا أَوْضَحَ فِيهَا مِنْ بَيَانِ الْخَلْقِ ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ مَفْكَرٍ يَنْظُرُ فِيَا ذَكَرَ اللهُ فِيهَا مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، إِلَّا رَأَى مِنْ اتِّصَالِ بَعْضِ ذَلِكَ بِبَعْضٍ ، مِثْلَ مَا رَأَى فِي تَدْيِيرِهِ نَفْسَهُ ، وَعَرَفَ مِنْ اتِّصَالِ خَلْقِهِ ، فِيَا بَيْنَ ذَوَاتِهِ شُؤُونَ رَأْسِهِ إِلَى أَطْرَافِ أُنَامِلِ قَدَمِهِ . وَفِي ذَلِكَ أَوْضَحَ آيَةً وَأَيِّنُ دَلَالَةٍ ، عَلَى أَنَّ الَّذِي خَلَقَهُ وَصَنَعَهُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ مَعَهُ ، وَلَا مِنْ شَيْءٍ أَبْتَدَعَهُ . وَلَا عَلَى مِثَالِ صُنْعِهِ . قَدْ تَرَوْهُنَّ بِعِيُونِكُمْ وَتَعْلَمُونَهُنَّ بِعُقُولِكُمْ ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ لِلْإِنْسَانِ الْأَرْضَ ، وَجَعَلَهَا مَوْصُولَةً بِالْخَلْقِ ، فَلَيْسَ يَنْدَحُوها إِلَّا لَهُمْ ، وَلَا يُدْبِعُهَا إِلَّا مَعَهُمْ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ الْخَلْقَ مُتَصِلًا

بِالْهَبْتِ، لَا يَقُومُ إِلَّا بِهِ، وَلَا يَصْلُحُ إِلَّا مِنْهُ . وَجَعَلَ ذَلِكَ التَّبَتُّ الَّذِي جَعَلَهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَمَعَاشًا لِأَنْعَامِكُمْ، مُتَّصِلًا بِالسَّمَاءِ الَّذِي يَقْذُلُ مِنَ السَّمَاءِ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ، لِمَعَايِشٍ مَقْسُومَةٍ؛ فَلَيْسَ يَنْفُخُ النَّبْتُ إِلَّا بِهِ وَلَا يَحْيَا إِلَّا عَنْهُ . وَجَعَلَ السَّحَابَ الَّذِي يَنْسُطُهُ كَيْفَ يَشَاءُ مُتَّصِلًا بِالرِّيحِ الْمُسَخَّرَةِ فِي جَوْ السَّمَاءِ تُثِيرُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَعْلَمُونَ، وَتُسَوِّفُهُ وَأَتَمُّ تَنْظُرُونَ؛ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرٌ مَحَابِبًا فَسَقْنَاهُ إِلَىٰ بَدِ مِثِّ فَأَحْيَيْنَاهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ وَوَصَلَ الرِّيحَ الَّتِي يَصْرِفُهَا فِي جَوْ السَّمَاءِ بِمَا يُؤَثَّرُ فِي خَلْقِ الْمَوَاقِعِ مِنَ الْأَزْمَنَةِ الَّتِي لَا تَنْتَهِي الْمَوَاجِرُ إِلَّا بِثَبَاتِهَا، وَلَا يَزُولُ عَنْهُ بَرْدٌ إِلَّا بِزَوَالِهَا؛ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَظَلَّ رَاكِدًا بِالْحَرِّ الْمُحِيطِ، أَوْ مَائِلًا بِالْبَرْدِ الْقَاتِلِ . وَوَصَلَ الْأَزْمَنَةُ الَّتِي جَعَلَهَا مُتَصَرِّفَةً مُتَلَوَّنَةً بِمَسِيرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ الدَّائِبَيْنِ لَكُمْ الْمُخْتَلِفَيْنِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَلَيْكُمْ . وَجَعَلَ مَسِيرَهُمَا الَّذِي لَا تَعْرِفُونَ حُدُودَ السَّيْرِ إِلَّا بِهِ، وَلَا مَوَاقِعَ الْحِسَابِ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِ، مُتَّصِلًا بِدَوْرَانِ الْفَلَكَ الَّذِي فِيهِ يَنْسَبَحَانِ، وَبِهِ يَأْفَلَانِ؛ وَوَصَلَ مَسِيرَ الْفَلَكَ بِالسَّمَاءِ لِلتَّائِيهِ سَوَاءً . فَهَذَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، مَا فِيهِ تَبَايُؤٌ وَلَا تَزَايُلٌ وَلَا تَغَاوُثٌ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاطُتٍ﴾ . وَلَوْ كَانَ اللَّهُ شَرِيكَ أَوْ مَعَهُ ظَهِيرٌ عَلَيْهِ، يُمِيسُكَ مِنْهُ مَا يُرْسِلُ، وَيُرْسِلُ مِنْهُ مَا يُمِيسُكَ، أَوْ يُؤَخَّرُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ عَنْ وَقْتِ زَمَانِهِ، أَوْ يَعْبُجُهُ قَبْلَ تَحْيَا إِبْرَاهِيمَ، لَتَفَاوَتَ الْخَلْقُ، وَلَتَبَايَنَ الصَّنْعُ، وَلَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَلَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ - وَكَلَّبَ الْمُبْطِلِينَ - : ﴿زَلَّ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَتَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ مَفْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ .

وَالْعَجَبُ : كَيْفَ يَصِفُ خَلْقُ رَبِّهِ ، أَوْ يَحْمِلُ مَعَهُ إِلَهَا غَيْرَهُ ، وَهُوَ يَرَى فِيمَا ذَكَرَ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ صِنْعَةً ظَاهِرَةً ، وَحِكْمَةً بَالِغَةً ، وَتَأَلِيفًا مُتَّفَقًا ، وَتَدْبِيرًا مُتَّصِلًا ، مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، لَا يَقُومُ بَعْضُهُ إِلَّا بِبَعْضٍ ، مُتَّجِلًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، مَائِلًا نُصَبَّ عَيْنَهُ ، يَنَادِيهِ إِلَى صَانِعِهِ ، وَيَدُلُّهُ عَلَى خَالِقِهِ ، وَيَشْهَدُ لَهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَيَهْدِيهِ إِلَى رُبُوبِيَّتِهِ ، ﴿ قَتَعَ عَلَى اللَّهِ

عَمَّا يُشِيرُونَ أَشِيرُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ . حَقًّا مَا كَرَّرَهُؤْلَاءِ الْجَاهِلُونَ
 بريهم الضالون عن أنفسهم ، في خلق الله النظر ، ولا رجسوا كما قال الله عز وجل
 الْفِكْرُ . ولو أعملوا فكرهم وأجهدوا نظرهم ، فيما تسمع آذانهم وترى أبصارهم ، من
 حوادث حالات الخلق ، وعجائب طبقات الصنع ، لوجدوا في أقرب ما يرون بأعينهم :
 من التاليف لتركيب خلقهم ، والأحر في التدبير بصنعهم ، ما يدلهم على توحيد ربهم ،
 ويقف بهم على انفراده بخلقهم . فانهم يرون في أنفسهم بأعينهم ويعبدون بقلوبهم ، أنها مخلوقة
 صنعة بعد صنعة ، ومخلوقة طبقة عن طبقة ، ومتنوعة حالاً إلى حال : سُلالة من طين ، ثم
 نُطفة من ماء مهيين ، ثم طقة ، ثم مُضغة ، ثم عظام ، كساه الله عز وجل لحماً ، ونفخ فيه روحاً ،
 فإذا هو خلق آخر ، فبارك الله أحسن البراقين ، الذي خلق في قراري مكين ، من ماء قليل
 ضعيف ذليل ، خلقاً صوره بتخطيط ، وقلّره بتركيب ، وألفه بأجزاء متفقة ، وأعضاء
 متصلة ، من قديم إلى ساق إلى نخذ إلى ما فوق ذلك : من مفصل ما يُعَلِّين أو عجائب
 ما يُبَيِّن ، ليعلم الجاهلون ويؤمن الجاحدون ، أن الذي صنع ذلك وخلقهم ودبره وقتله
 وهباً ظاهره وباطنه إله واحد لا شريك معه . فلا يذهب ذكر هذا صفاتكم ، ولا تسقط
 حكمته جهلاً به عليكم ، ونفكروا في آيات الرسل وبيّنات النذر ، فإن في ذلك فكراً للبصيرين ،
 وبصراً للعبرين ، وذكري للعابدين ، والحمد لله رب العالمين .

وأمر المؤمنين واصف لكم ، ومقتضى من ذلك إن شاء الله عليكم ، ما فيه شهادات
 واضحات ، وعلامات بيّنات ، ومبتدئ بذكر آيات نهيها صلى الله عليه وسلم فيما أنزل الله
 منها في الوحي إليه ، فإنه ما أحد يقرع بآيات النبوة قلبه ، ويحصن ببيّنات الهدى عقله ، إلا
 قادتة حتى يؤمن بحمد صلى الله عليه وسلم ، لا يجد إلى إنكار ما جاء به من الحق سبيلاً .
 فاردت أن تكونوا على علم ومعرفة ويقين وثقة من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وحقه ،
 وما أنزل إليه من ربه عز وجل . فأحضِرْ كتاب أمير المؤمنين فهَمَك ، وألني إلى ما هو واصف
 إن شاء الله سمعك . إن الله عز وجل أعطى الإسلام لنفسه ، واختار له رسلاً من خلقه ،
 وأبعث كل رسول بلسان قومه ، ليبيّن لهم ما يبيعون ، ويعلمهم ما يتجهلون : من توحيد

الرب وشرائع الحق (ثَلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ حَزِيزًا حَكِيمًا) .
 فلم تزل رسل الله قائمة بأمره ، متواليّة على حقّه ، في مَوَاضِي الدُّهُور ، وَخَوَالِي القُرُون ،
 وطبقات الزمان ، يصدّق آثرهم بنبوة أوّلهم ، ويصدّق أوّلهم قول آثرهم ، ومَنَالِحُ دُحُوتِهِمْ
 واحدة لا تختلف ، وَجَمِيعُ مَلَبَّتِهِمْ مُلْتَمِةٌ لا تَفْتَرِقُ ، حتى تناهت الولاية والوراثة التي بقي
 صميم على السلام عليها وبشرها ، الى النهي الأُمِّي الذي انتخبه الله لوجهه ، واختاره بعلمه ؛
 فلم يزل ينقله بالآباء الآخرين ، والأُمّهات الطّوّاهر ، أُمَّةً فائِمةً ، وقرنا فقرنا ، حتى استخرج به
 الله في خيرِ أَوَانٍ ، وأفضل زمان ، من أثبت محامد أرومات البرية أصلا ، وأعلى فوائد نبعات^(١)
 العرب قوما ، وأطيب منابت أعياص قريش مغرسا ، وأرفع ذرى مجد بني هاشم سمكا :
 محمد صلى الله عليه وسلم خيرها عند الله وخلقه نفسا ، على حين أوحشت الأرض من أهل
 الإسلام والإيمان ، وأملت الآفاق من عبدة الأصنام والأوثان ، وأشتعلت البدع في الدين ،
 وأطبقت الظلم على الناس أجمعين ؛ وصار الحق رثما طافيا ، خلقا باليا ، ميتا ومط أموات ،
 ما إن يُحْسِنُونَ للهدى صوتا يسمعون ، ولا للدين أثرا يتبعونه . فلم يزل صلى الله عليه وسلم
 قائما بأمر الله الذي أنزل إليه ، يدعوهم الى توحيد الرب عز وجل ، ويُحذِّرهم عقوبات
 النُّشْرِكِ ، ويحادلهم بنور البرهان ، وآيات القرآن ، وعلامات الإسلام ، صابرا على الأذى ،
 محتملا للكره ؛ قد ألهمه الله عز وجل أنه مظهر دينه ، ومُعِزُّ تمكينه ، وعاصمه ومستخلفه
 في الأرض ، فليس يثنيه ريب ، ولا يلوّيه هيب ، ولا يعينه أذى ؛ حتى اذا قهرت اليبائن^(٢)
 ألبابهم ، وبهرت الآيات أبصارهم ، وخضع نور الحق حُجَّتِهِمْ ، فلم تمتنع القلوب من المعرفة
 بدون صدقه ، ولم تعجز العقول سبيلا الى دفع حقه . وهم على ذلك مكذبون بأفواههم ،
 وجاهدون بأقوالهم ، كما قال الله عز وجل الْعَلِيمُ بِمَا يُسِرُّونَ ، الْخَاطِرُ بِمَا يُعْلِنُونَ : ﴿ فَلَهُمْ
 لَا يُكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَحْسُدُونَ ﴾ بغيا وعداوة ، وحسدا ولحاجة ، اقترض

(١) محامد : جمع محم ، وهو الأصل . (٢) أرومات : جمع أرومة ، وهي الأصل .

(٣) نجات : أصول كريمة . (٤) أعياص قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم : الناصر

أبو الناصر والعيس وأبو العيس والمريس . (٥) في الأصل : "فلا

الله عليه قتالهم ، وأمره أن يجرّد السيّف لهم ، وهم في عصاية يسيّرة ، وعِدّة قليلة ، مستضعفين مستذّلين ، يخافون أن يقطّعهم العرب^(١) ، وتُدّاعى عليهم الأمم ، وتُسَخِّمُ لهم^(٢) الحروب ، فأواهم في كَفْه ، وأيدهم بنصره ، وأنذرهم بمقدمة من الرب ، ومشغلة من الحق ، وجنود من الملائكة ، حتى هزَم كثيرا من المشركين بقلّتهم ، وظَبّ قوّة الجنود بضغفهم ، إنجازاً لوعده ، وتصديقاً لقوله : ﴿وَإِن جُنْدًا لَّمْ تَنَالُوا الْيَأْيُونَ﴾ فَأَحْسِنَ النَّظَرَ وَقَلْبَ الْفِكَرِ في حالات النبي صلى الله عليه وسلم من الوسخ قائماته ، لتجد للمذاهب فكرك وتصاريه نظرك ، مضطرباً واسعاً ، ومعتمداً نافعاً ، وشعوباً جمّة ، كلّها خيرٌ يدعوك الى نفسه ، وبيان ينكشف لك عن مخفيه . وأخير أمير المؤمنين ما كنت قائلاً لو لم تكن البعثة للنبي — صلى الله عليه وسلم — بلقنتك ، ولم تكن الأنبياء بأموره تَهْزُرُ قِبَلَك ، ثم قامت الحجة بالاجتماع عندك ، وقالت الجماعة المختلفة لك : إنه نَجَم بين ظُهورنا مثل هذه الضلّالات المستأصلة ، والجماعات المستأسدة^(٣) ، التي ذكر أمير المؤمنين : من قبائل العرب ، وجماهير الأمم ، وصناديد الملوك ، نايِمٌ قد نَصَبَ لها وقرى بها ، يجهل أحلامها ، ويكفر أسلافها ، ويفرق ألقافها ، ويلعن آباءها ، ويضلّ أديانها ، وينادي بشهاب الحق بيننا ، ويمهر بكلمة الإخلاص الى من ترائى عنها ، حتى حَمِيَتِ العرب ، وأُنْفَتِ العجم ، وفضبت الملوك ، وهو على حال نداءه بالحق ودعائه اليه ، وحيداً فريداً ، لا يتخيل بهم غضباً ، ولا يرهَب عتاً ، يقول الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَمَّا يَبْلُغْ رِسَالَتَهُ وَآلَهُ يَعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أَكُنْتُ أقول فيها تجري الأقاويل به وتقع الآراء عليه ، إلّا أنه أحدُ رجلين : إما كاذبٌ يجهل ما يفعل ويعتَمِدُ عما يقول ، وقد دعا الخنَفَ الى نفسه ، وأذن الله لقومه في قتله ، فليست الأيام بمادة ولا الحسأل بناتبة له إلّا رَيْبًا نَسْتَلِحِمُهُ^(٤) أسبابهم ، وينهَضُ به حملاتهم ، غضباً لرَبِّهم ، وأتفة لدينهم ، وحمة لأصنامهم ، وحسداً من عند أنفسهم . وإما صادقٌ

(١) أملة تدّاعى لخلعت إحدى تامة ، وسناه يجتمعون عليهم ويتألبون بالعداوة .

(٢) تستخيمهم : تلقى عليهم حملها ومأها . (٣) المستأسدة : القوية . (٤) نستلحمه :

تعلق به وتتشب .

بصير بموضع قدمه ومرعى نبأه ، قد تكفل الله عز وجل بحفظه ، وحجبه بمنزلة ، وجعله في حوزته ، وعصمه من الخلق ، فليست الوحشة بواصلة مع عصمة الله إليه ، ولا الهيبة بدخلة مع عصمة الله عليه ، ولا سيوف الأعداء بماذون لما فيه . ثم إن آيتكم ^(١) يا أهل الكتاب لو قيل لكم : إن الرجل الذي يدعى العصمة ويشتمل المنعة ، قد نجت الأمور به على ما قال ، وسليبت الحال له فيما آدعى ، حتى نصب لعنات العرب ، وجماعات الأمم ، يقاتل بمن طارعه من خالفه ، ومن تابعه من عانده ، جاذبا مشمرا ، محتسبا وانقا بموجود الله ونصيره ، لا تأخذه لومة لائم في ربه ، ولا يوجد لديه غيبة ^(٢) في دينه ، ولا يلفته خذلان خاذل عن حقه ، حتى أعز الله دينه ، وأظهر تمكينه ، وأقادت الأهواء له ، وأجتمعت الفرق عليه ، ألم يكن ذلك يزيد حقه يقينا عندكم ، ودعوته ثبوتا فيكم ، حتى تقول الجماعة من حوائكم وأهل الحنكة من ذوى آرائكم : ما كان الرجل ، إذ كان وحيدا فريدا قليلا ضعيفا ذليلا معروفا بالعقل منسوبا إلى الفضل ، ليجترأ أن يقول : إن الله عز وجل أوحى إليه فيما أنزل من الكتاب عليه أن يعصمه من العرب جميعا ويمنعه من الأمم طورا ، حتى يبلغ رسالات ربه ، ويظهره على الدين كله ، ويدخل الناس أفواجا في دينه ، إلا وهو على ثقة من أمره ، ويقين من حاله .

نسبحان الله ! يا أهل الكتاب ما آيين حق النبي صلى الله عليه وسلم لمن طلبه ، وأسأله لمن قصد له . وأستعملوا في طلبه ألبابكم ، وأرفعوا ... أبصاركم ، تنظروا بعون الله إليه ، وتحققوا إن شاء الله عليه ، فإن علامات نبوته وآيات رسالته ، ظاهرة لا تخفى على من طلبها ، جملة لا يمحى عندها ، منها خواص تعرفها العرب ، وعوام لا تدفعها الأمم ، فاما الخواص المعروفة لدينا ، المعلومه عندنا ، التي أخذتها الأبناء عن الآباء ، وقيلها الأبناء عن الأسلاف ، فأمور قد كثرت الينات فيها ، وتداولت الشهادات عليها ، وثبتت الجمع بها ، وتراخت الأيام ببعضها ، حتى رأينا عيانا ، وقيلناه إيقانا ، فهي أظهر فينا من الشمس ،

(١) كذا في الأصل . (٢) عمارات العرب : أحيائها العظيمة . (٣) عميزة : مطس

(٤) يباس في الأصل بمقدار كلمة .

وأين لدينا من النهار؛ ولكن غيبت الأزمان عنكم أمرها، ولم يتصل الآباء اليكم علمها، وما لا يدرك إلا بالسمع موضوع المجبة عن العقل، فليس أمير المؤمنين بحاجة لكم، ولا قاصد اليكم من قبلها. وأما الآيات السوام والدلالات الظاهرة في آفاق الأرضين، القاطعة لجميع المبطلين، التي لا تنكر عقول الأمم وجوب حقها، ولا تدفع الباب للأعداء صفة أمرها، فسبيلها أمير المؤمنين مسالك أسماكم، ويبيد بها حجة الله في أصنافكم، من وجوه جمّة وأبواب كثيرة، إن شاء الله: منها أنه لم تزل الشياطين، فيما خلا من قرات الرسل وقد رأت النذر، تصعد إلى سماء الدنيا، وتثبت للأهل الأمل فتسترق السمع وتحفظ العلم، وتزل به إلى كل أفكائهم، يتنون أكاذيبهم على واضح صدقته، ويتفقون بأباطيلهم بحسب حقه، خلطاً للباطل فيه، وسوها للعباد عليه. فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وأنزل آيات القرآن إليه، حرست السماء بالنجوم، ورئيت الشياطين بالشهب، وأتقطعت الأباطيل، وأضمحلّت الأكاذيب، وخلص الوحي، فبطلت الكهانة، وضلت السحار، وكذبت الأحلام، وتغيرت الشياطين، فكانت آية بينة، وعلامة واضحة، وحجة بالغة، تهرق قرائح العقول، وتحرق حجب الغيوب، فلا يقوم مع ضيائها ظلمة، ولا يثبت عند محكماتها شبهة. ولا يقيم معها في محمداً صلى الله عليه وسلم شك، لا من أصحابه خاصة ولا ممن جاء بعده عامة. وإنما جعلها الله عز وجل آية باقية في القارين، وحراسة ثابتة من الشياطين، لأن الله جل وعلا جعل نبينا صلى الله عليه وسلم آخر النبيين؛ فليس باعناً بعده نبياً يكذب أقاويل الكهنة، ويقطع أخاير الحجة.

ومستقول، فيما يذهب إليه الظن ويقع عليه الرأي، أنت ومن عقل من أمك وأهل ملكك: هذه آية حاسمة وحجة قاطعة بينة قائمة، مستحيلة لأمرها، مستغنية بنفسها، لا تحتاج إلى ما قبلها، ولا يتشكل على ما بعدها، إن أقرت العقول بما تقول، أو قامت البينة على ما تدعى، بلى؛ ثم تقول: وأنت لك بالبينة، ولما نقر بكلمك، ولا تؤمن برسولك،

ولا قبل قولك فيما قد سبقنا وإياك زمانه، وحجبت القيوب عنا وعنك علمه؛ فأرجع اليكم إن قلتم ذلك؛ فإن وجدنا القضاء قبل طلب البيئات.

وليس يعمل أمير المؤمنين فيما يأتزك ويحتاجك فيه حاكما غير عقلك، ولا قاضيا سوى نفسك؛ ولكنه يذكر الله الذي إليه معادك وطيه حسابك، لما جعلت التفهم لمسأله من باله، وربكت حدودها في جوابك، عادلا بالقيسط، قاضيا بالحق، قايلا بالصدق ولو على نفسك، ناظرا بالآثرة لدينك؛ فلقد وفق الله لك آية، وأهدى إليك بينة، لا تستطيع دفعها تجبها عن عقلك، ولا يحجابا لتورها دون بصرك، فلا تدفع الآية بقولك، والبنية بلسانك، بجحدا بقطع وصول الحجج إليك، ويد تفتق أبواب الفهم عنك؛ فإن اللسان لك مداوُل حيث شئت، ومقاد تُصرِّفه فيما هويت؛ ولكن أنصب نفسك للفهم وأنت شهيد، وأريد الحق وقبوله فيما تريد. فإذا تصورت البيئات مجسدة في قلبك، وتبينت الحجج ممثلة لنظرك، قد أضاء صوابها لك وقرع حقا قلبك، فاجعل القول بها شعارا للسان به متصلا. وأفهم المسئلة فهماك الله الحق، وجبتك بالحمد، ما تقول أنت ومن قبلك في رجل كان يتيأ ضعيفا أجيرا ساهيا لاهيا طاللا خاملا، لم يتل كتابا، ولم يتعلم خطا، ولم يك في محلة علم، ولا إرث ملك، ولا معدن أدب، ولا بيت نبوة، فترأيت الأيام به، وأتصلت الحال بأمره، حتى نرجع الى العرب عامة والقبائل كافة، وحيدا طريدا شريدا، مخذولا مجهولا، مجفوا مرصيا بالعقوق لأفئتهم، مقنونا بالكذب على أصنامهم، منسوب الى الهجر لأديانهم، وهم مجمعون على دعوة العصبية، وحجة الجاهلية، متعادون متباغنون، مختلفة أهواؤهم، متفرقة أملاؤهم، يتسافكون الدماء، ويتناوحن النساء، ويستحلون الحرم، لا تمنعهم ألفة، ولا تعصمهم دعوة، [ولا] يتجزهم بر، فألف قلوبها، وجمع شيعتها، حتى تناصرت القلوب، وتواصلت النفوس، وترافدت الأيدي؛ ثم أجمعت الكلمة، وأتفقت الافئدة، حتى صار غاية الملقى رسالهم، ونهاية المستجع

أسفارهم ، وصاروا له حِزْبًا مَتَّقِينَ ، وَجُنْدًا مُطِيعِينَ ، بِلَا دُنْيَا يُسْطَلُّهَا لَهُمْ . وَلَا أَمْوَالٍ أَفَاضَهَا بَيْنَهُمْ ، وَلَا سُلْطَانٍ لَهُ عَلَيْهِمْ ، وَلَا مُلْكٍ سَلَفَ لَأَبَائِهِ فِيهِمْ ، وَلَا نِبَاهِيَّةٍ كَانَتْ لَهُ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ . أَقُولُ إِنَّهُ [مَا] قَالَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَّا بَوْحِي عَظِيمٌ ، وَتَقْرِيلُ كَرِيمٍ ، وَحِكْمَةٌ بَالِغَةٌ . إِذْ قَالَ قُلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ أَقْرَرْتُ أَنَّ عِمْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولٌ ، وَتَرَكْتُ مَا كُنْتُ تَهْوُلُ إِنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ وَلَمْ يَلْفَهُ إِلَّا بِعَقْلِ سَيِّدٍ ، وَنَظَرِ بَعِيدٍ ، وَرَفْقٍ لَطِيفٍ ، وَرَأْيٍ وَثِيقٍ ، أَسْتَبَيَّ بِهِ عَقُولُ الرِّجَالِ ، وَأَسْتَمَالَ عَلَيْهِ أَفْعَدَةُ الْعَوَامِ . فَإِنْ قُلْتُ ذَلِكَ فَأَنَا سَالِكٌ بِإِلْهَامِكُمُ الَّذِي تَمْبُدُونَ ، وَدِينِكُمُ الَّذِي تَتَّبِعُونَ ، لِمَا صَدَقْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَجَنَّبْتُمْ الْهَوَى عَنْكُمْ : أَتُؤْمِنُ قُلُوبُكُمْ ، وَتُخَيَّرُ عَقُولُكُمْ ، وَيَحْتَمِلُ نَظَرُكُمْ ، أَنَّ عِمْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي وَصَفْتُمُوهُ بِكَمَالِ الْعَقْلِ ، وَبَيَانِ الْفَضْلِ ، وَرَفْقِ التَّدِيرِ ، كَانَ يَقُولُ لِرِجَالِ الْعَرَبِ ، وَجَمَاعَاتِ الْأُمَمِ ، [و] دُعَاةِ قُرَيْشٍ : إِنْ مِنْ آيَاتِ نَبَوِّي ، وَدِلَالَاتِ رِسَالَتِي ، وَعَلَامَاتِ زَمَانِي ، أَنَّ الشَّيَاطِينَ تُرْمَى بِخُجُومِ السَّمَاءِ ، وَلَمْ تَكُنْ تُرْمَى بِهَا فِيمَا خَلَا ، ثُمَّ يَجْعَلُ ذَلِكَ كِتَابًا يُقْرَأُ ، وَقِرَاءَتُهُ يَتَلَّى ، وَهُوَ كَاذِبٌ فِيمَا خَلَا ، وَبُطْلٌ فِيمَا ادَّعَى ، لِإِبْطَالِ تَدْرِكِهِ عَيُونَ النَّاطِلِينَ ، وَكَذْبِ مَا يَظْهَرُ لِجَمِيعِ الْعَالَمِينَ ! سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَرَأَيْتُمْ أَنْ لَوْ كَانَ فِيمَا قَالَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَعَلَى مَا ادَّعَى مِنَ الْآتِينَ ، ثُمَّ حَاولَ إِبْعَادَ الْقُلُوبِ ، وَإِنْفَالِ الصُّدُورِ ، وَإِهْوَاجِ الشُّغُوفِ ، وَتَغْرِيقِ الْجُمُوعِ ، أَكَانَ يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ !

فِيَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا يَجْعَلَنَّكُمْ الْإِلَافُ لِسِنِّكُمْ عَلَى اللَّعِبِ بِتَوْحِيدِ كَم ! فَلَعَمْرُاهُ لَئِنْ تَدَارَكْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَنَحَّيْتُمْ نَظَرَكُمْ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ عِمْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ حَاولَ الْكَذْبَ أَوْ رَامَ الْإِفْكَ ، لَمَا كَانَ يَتْرَكُ جَمِيعَ الْأَرْضِ ، وَمَا يَنْبِيبُ عَنْ بَعْضِ الْخَلْقِ وَيُظْهِرُ لِبَعْضٍ ، وَيَقْصِدُ لِلسَّمَاءِ الْمُتَنَصِّلَةِ بِالْبَصَرِ ، الْبَارِزَةِ لِلنَّظَرِ ، الَّتِي لَا تَخْفَى عَلَى بَشَرٍ ، وَلَا تَغِيبُ عَنْ أَحَدٍ ، فَيَدْعِي فِيهَا كَذْبًا ظَاهِرًا ، وَإِفْكًَا بَارِزًا مَكْشُوفًا ، لَا يَبْقَى صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ وَلَا ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى ، إِلَّا عَرَفَ أَنَّهُ إِفْكَ وَزُورٌ ، وَكَذْبٌ وَغُرُورٌ ، وَلَا سِيَّامًا إِذَا كَانَ يُقْنَى ذَلِكَ إِلَى أَقْوَامٍ أَكْثَرُهُمْ أَهْرَابٌ ، لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ حِجَابٌ ، إِنَّمَا يُرَاعُونَ الْكَوَاكِبَ وَيَتَفَقَّدُونَ النُّجُومَ ، فَأَبْعُدُ عَهْدَ آخِرِهِمْ بِهَا تَفَقُّدَهُمَا وَنَظَرَهُ إِلَيْهَا ، سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ ، أَوْ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ .

لَعَمْرُ اللَّهِ لو عَثَرْتُ الْعَرَبُ مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى كَذِبٍ لَكُنْ أَوَّلُ مَنْ يُؤَايِسُهُ بِهِ وَيُجَادِلُهُ فِيهِ أَعْدَاؤُهُ مِنْ قُرَيْشٍ حَامَةً، وَحَسَادُهُ مِنْ جَيْرَتِهِ خَاصَّةً، وَنَظَرَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ذِيَّةً الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَعِيرُونَهُ لِكُلِّ طَرِيقٍ، وَيَقْعِدُونَ لَهُ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ، وَيَتَسَاءَلُونَ مِنْ أَمْرِهِ مِنْ كُلِّ ذِي حَادِثٍ، فَيَتَلَقَّوْنَ بِالْحُرُوفِ الْمُشْكِلَةِ، وَالْآيَاتِ الْمُشْتَبِهَةِ، جَدَلًا وَخُصُومَةً بَهَا، وَطَعْنًا وَإِلْحَادًا وَمَنَازَعَةً فِيهَا، حَتَّى لَقَدْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِفَعْلِهِمْ، وَأَخْبَرَ عَنْ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَبِيثُونَ﴾ وما كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَقُولَ ذَلِكَ وَلَا لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَهُ عَلَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِمْ إِلَّا عَنْ خُصُومَةٍ شَدِيدَةٍ، وَمَنَازَعَةٍ بَلِيغَةٍ، وَمُجَادَلَةٍ مَعْرُوفَةٍ، فَأَحْسِنِ النَّظَرَ لِنَفْسِكَ، وَلَا تَهْلِكَنَّ شَفَقَةً عَلَى مُلْكِكَ، فَأَيُّمَ اللَّهِ لَئِنْ قُلْتَ إِنْ النُّجُومُ شَيْءٌ، كَانَتِ الْعَرَبُ تَرَاهُ بَعِيُونَهَا وَتَعْرِفُهُ بِقُلُوبِهَا، فَمَا كَانَ عَهْدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَارِفٌ بِهَا غَيْرَ جَاهِلٍ لَهَا، لِيَقُولَ فِيهَا إِلَّا حَقًّا، وَيَنْتَحِلَ فِيهَا إِلَّا صِدْقًا، لَقَدْ ثَبَتَتْ فُرُوعُ كَلَامِكَ فِيهَا عَلَى أَسَسٍ، وَوَصَلَتْ آخِرُ قَوْلِكَ لَهُ بِأَوَّلِهِ، ثَبُوتًا عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَقِيدِهِ، وَلِزُومًا لِمَا أَخْرَجْتَ مِنْ نَظَرِهِ، وَلِحُكْمِكَ لَا تَجِدُ مَعَ الْإِقْرَارِ بِذَلِكَ بُدًّا مِنَ التَّصْدِيقِ بِرِسَالَتِهِ، وَلَا مَذْهَبًا عَنِ الْإِيمَانِ بِنَبِيِّتِهِ.

وَلَئِنْ زَعَمْتَ أَنَّهُ أَدْعَى أَمْرَ النُّجُومِ كَذِبًا وَأَنْتَحِلَهَا بِاطْلَا، عَارِفًا كَانَ بِهَا أَمْ جَاهِلًا، لَقَدْ نَسَبْتَهُ مِنَ الْخَطَا الَّذِي لَا يَعْمَى عَنْ بَصَرِهِ إِلَى مَا يَخْطِئُ فِيهِ بَشَرٌ، فَأَشْكَذِبْتَ نَفْسَكَ، وَتَرَكْتَ قَوْلَكَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنِ التَّأْلِيفُ لِقُلُوبِ الْعَرَبِ وَالْجَمْعُ لَشَيْئَاتِ الْقِبَائِلِ، إِلَّا بِرَأْيِ سَدِيدٍ، وَعَقْلِ أَصِيلٍ، وَرَفْقٍ بِالْبَلْغِ، إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ لَا تَجِدُ لِكَلَامِكَ وَجْهًا تَذْهَبُ إِلَيْهِ غَيْرَهُمَا، وَلَا تَحْمِلُ تَضَعُهُ عَلَيْهِ سِوَاهُمَا: إِمَّا أَنْ تَقُولَ: إِنَّهُ أَلْفَ قُلُوبَ الْعَرَبِ، وَفَرَقَ جُمُوعَ الْأَعْمَى بِتَنْزِيلِ الْوَحْيِ، فَكُفَّ مِنْ أَنَّهُ نَبِيٌّ؛ وَإِمَّا أَنْ تَقُولَ: فَمِلْ ذَلِكَ يَجْهَلُ؛ وَهَذَا قَوْلٌ لَا يَقْبَلُ. كَيْفَ يَصِفُهُ أَحَدٌ مِنَ الْجَاهِلِينَ بِهِ الْمَكْتَبِينَ لَهُ بِنَبَاوَةٍ، أَوْ يَرْمُونَهُ بِجَهَالَةٍ، وَهُمْ يَحْجُوزُونَ بِهِ حَدُودَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَرْضَوْنَهُ فَوْقَ أُمُورِ الْعُلَمَاءِ، وَيَقْضُونَ بِهِ مَرَاتِبَ الْحُكَمَاءِ، وَمَنَازِلَ النَّاسِ

تكثرًا لعله ، وتسديدًا لعقله ، وتثبثًا لفضله ، فيما لا يقدر الخلق عليه ولا تهتدى الألسن إليه ؛ حتى لقد تحلوه فعل الرب الذي لا يقدر عليه الخلق في وجوه كثيرة وأنحاء جمّة : من ذلك أنه اذا قالت البقايا من أمّتنا : كان عهد صلى الله عليه وسلم يُعبرنا بالقيوب قبل ظهورها ، ويصِفُ الأمور قبل حلولها ، ويقبّاوز [ما يكون] في زمانه من ذلك الى ما يكون في زماننا غيبًا أطلعه الله عز وجل عليه ، أضافوا ذلك علماً اليه ، فقالوا : كان أعلم الناس بمواقع النجوم ، وأبصرهم بمنازل البُروج ، وأنظروهم في دقائق الحساب . كيف ولم يكن المجاز دار نجوم ولا محلّ حساب ولا معدن أدب ! بل كيف والمعجم يقيس ويخطئ ، ويشك فيما يدعى ، وهو أخو صواب لا شك فيه ، وفارس صدق لا قياس معه .

ومن ذلك أنه اذا قالت العلماء من المسلمين : كان نبينا صلى الله عليه وسلم [عليما] بباطن أخبار النبيين ، وخفيّ قصص القرون الأولى ، قالوا : كان أحياء الناس قلباً ، وأوسعهم سراً ، وأمرهم أخذاً ، يتتبع ذلك ويحبه ، وقد رواه وعلمه . سبحان الله ! ألا يعلمون أن المتعلم معروف المعلم ، متفاوت الحالات ، منتقل الطبقات ، وأنه ما أحد يُدب صغيراً أو يطلب العلم كبيراً ، إلا وله درجات في علمه ، وتارات في أخذه ، ومنازل في تعلمه ، تارة تلميذ ، وتارة مقارب ، وأخرى حافق ، وبكل ذلك موصوف من أهله ، معروف عند قومه ، ظاهر لطيفته ، مستفيض في عشيرته ، لا يجهل أمره ، ولا يخفى ذكره ، ولا يُنسى عند مواضع الحاجة اليه ، وتارات الاحتجاج به عليه . ولو كان ذلك معروفاً فيهم ، أو موجوداً لديهم ، أو ظاهراً عندهم ، لما أمره الله عز وجل أن يمتنع عليهم ويقول في ذلك لهم : لقد ليئت فيكم عُمرًا من قبله ، لا أتلقوا ، ولا أدعى وجباً ، أفلا تعقلون !

وأيّ الله ! لو كانوا يعقلون أو ينظرون ، لعلموا أن معلمه على غير الملة التي يعرفون ، لأنه لم من المخالفين ، وعليهم من الطاعنين ، يذكر فضائح قولهم ، ومعايب أمرهم ، ومخازي أسلافهم ، وعوثر أديانهم ؛ وإنه لو كان معلمه نصرانياً لدماه الى النصرانية ، أو يهودياً

لنساء إلى اليهودية ، أو مجوسياً لنساء إلى المجوسية . ولو لم يمكن له منم لنا وقع على الحقيقة هداية من نقاء نفسه ومعرفة بقوة عقله . ولو كان معلمه الشيطان لما دنا إلى عبادة الرحمن ، ولا أمره بهجر الأوثان ، وكرم الأصنام ، وصلة الأرحام ، والإصلاح في الأرض ؛ كيف [و] كان الشيطان يصد الناس عن سبيله ، ويؤذنهم في دينه ، وينهاهم عن طاعته ، ويخرجهم من عبادته ، ويدخلهم في مساخطه ، ويحملهم على معاصيه ! إنه إذا رجع بهم ، فأنظر لهم ، شفيق عليهم ، كأنه هو المبعوث اليهم ؛ كلا ! ما كان ليُنقذهم من حباله ، ويخلصهم من مصابده ، ويخرجهم من ولايته وطاعته وسلطانه وخدعته وقتته وحزبه ، إلى غير ذلك من أمره . وما كان لينهى العرب أن يقتلوا أنفسهم ، ويتناوخوا حرهم ، ويؤثروا ذريتهم ، ولا يقول لهم : لم تعبدون نحيات الحجارة التي جعلها الله لكم عارا ، وتكفرون عبادة الرب الذي خلقكم أطوارا ! هيهات ! لقد ذهبت بالشيطان الرجيم إلى صراط العزيز الحكيم ، قتلتم قولا شكركه العقول ، وتدفعه القلوب ، وتسوحش منه النفوس . ألا تسمعون إلى قول الله عز وجل : ﴿ قَهْلَ صَبَّيْمُ إِنَّ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴾ . ما كان الشيطان ليرضى للعرب باللعنة والبهكم والعمى والصمم ؛ فأتق الله ولا تكن من الجاحدين .

ومنها أنه إذا قالت الفقهاء والحكماء : أئانا عهد - صلى الله عليه وسلم - بكلام لم تسمع الأذان بمثله ، ولم تقع القلوب على لغته ، له روق حجاب الماء ، وزبرج يعلو ولا يعل عجائب لا تتلى ولا تنفى ، وجدة لا تتغير ، [قالوا] : كان عهد - صلى الله عليه وسلم - أبلغهم قولا ، وأحسنهم وصفا . فيا سبحان الله ! ألا يعلمون أن لو كان القرآن كلاما للعباد لما أقوت الأعداء من بفضلله ، ولا تجزأت القبائل طرا عن مثله ، وهو يناديهم في الكلاب ويتحدثهم في الوحى ، بصوت رفيع ، ونداء سميع ، فيقول : هاتوا سورة من مثله إن كنتم صادقين ، وهم فرسان الكلام ، وإخوان البلاغة ، وأبناء الخطب ، وأهل عداوة له وبني

عليه ، تستحسر الأبصار ، وتقل الأسماع ، وتنفد الألسن ، وتقرس الخطباء ، وتجز البلقاء ، وتحر الشراء ، وتستسلم الكهان . ثم لقد قايست البصراء بالكلام والعلماء بالمنطق ، بين ما بأيدينا من كلام النبي — صلى الله عليه وسلم — وما جاء به من كلام الوحي ، فإذا بينهما بون بعيد وتفاوت شديد ، ليس يشبه له ولا مدان ولا قريب . وكذلك ينبغي لكلام الرب عز وجل أن يعلو كلام الخلق ، وألا يشبه قول العباد في تأليفه وأحاديثه ومعانيه وجميع ما فيه ؛ لأن الله عز وجل لا يشبه شيء من ذلك أنه إذا قال المسمون : كان عهد — صلى الله عليه وسلم — يرى ماضي أسلافنا وصلى آباءنا من العجائب العظام ، والآيات الكبار ، ما هو جديد عندنا ، بين قبلنا فلم يبق أثره ، ولم يدرس خبره ، ولم يتقدم عهد : من شجرة ناداها فأقبلت ثم أمرها فرجعت ، ومن نحو غير نظم ، وذنب تكلم ، وأشياء لذلك كثيرة ، ونظائر له عجيبة ، قالوا : كان عهد — صلى الله عليه وسلم — كأنها حاذقا ، وساحرا ماهرا ، يُنبئ بالخيال ، ويأخذ بالأبصار . كيف والجموع الكثيرة تصدر عن الأطعمة اليسيرة والمياه القليلة ، شباها رواء ، أيكون ذلك والسحر سواء ؟ والأخذ بالعيون لا يجرى في البطون ! ولو كانوا ينظرون لدينهم وينصفون من أنفسهم ، لعلموا أن أمر الساحر يدور على إفك وغرور ، وأن لمحمد — صلى الله عليه وسلم — آثارا قائمة ، ومنافع دائمة . ثم لو كانت الكهانة والسحر يُلغَن مثل هذا من الأمر ، لبطلت آيات الكتب ، وعلامات الرسل ، ولعلت الشبهة ، وسقطت الحجّة ، وكذبت النبوة ، وبطل ما كان ^(١) [يفعله] عيسى عليه السلام : من إبرائه الأكمة والأبرص وإحيائه الموتى . فلا يكون التقليد للرجال مبلغ عليك ، ولا القبول لدعواهم بلا بينة .

ومن ذلك [أنه] إذا قالت البصراء من أمتنا والعلماء بملتنا : كان النبي — صلى الله عليه وسلم — أميا لا يُحسن الكتاب وحافظا لا ينسى القرآن ، وقلماء يجتمع العقل السديد والحفظ السريع والنسيان البطيء ، قالوا : كان أخط الناس يدا ، وأذكاهم حفظا ، كان يكتب بالنهار ، ويدرس بالليل .

ولعمرك الله أن لو كانت الحلال كما يقولون والأمر كما يصفون ، لما خفيت الصعاب له ، ولا اكتسبت الدراسة عليه ، ولما كان يطبق سترها عن أهله ، ولا يجلبها دون قومه . وكيف تؤمن القلوب وتجز العقول أن رجلا كبيرا حمل علما كثيرا وحكما جمًا : من آيات متشابهة ، وسور متوالية ، وهو صاحب أسفار مترامية ، وأخو حرب دائمة ، لا يبطئ لفظه ، ولا يسقط حفظه ! لولا أن الله عز وجل كفاه أن يحرك به لسانه ، وضمن له جمعه وقرآنه ، فقال عز وجل : ﴿ سَتَجِدُنَا فَلََّا تَنسَى ﴾ فلم يكن يسقط واو ولا ألفا ، ولا ينسى كلمة ولا حرفا . ما أين هذا وأعجبه ! وأعجب منه المنكر له .

وأما قولهم في الخط وإكثارهم في الكتاب ، فإن الله عز وجل جعله أميًا ليثبت حجته ، ويصدق مقائمه ، ولئلا يشك المبطلون في أمره ، ويقولون : تعلمه من غيره ؛ فإنه قد قال ذلك بطائفة من مناقبة العرب وطوائف من كفرة العجم ، فنطقت [به] الأعداء من جبرته ، والحسدة من عشيرته ، الذين بلغوا [ما بلغوا] من مجادلة حقه ، ومخاصمة ربه ، كفاه لمن قُرب ، ووكلاء لمن بُد ، فيما لم تكن العرب واقعة عليه ، ولا الأمم مهتدية إليه ؛ لأنهم قد أحاطوا من علم خبره ، وخفي أثره ، بما كان عن غيرهم محتجبا ، ومن سواهم مكتما . وقالوا : لو كان محمد صلى الله عليه وسلم يتعلم من بشر أو يختلف إلى أحد ، لما خفى عنا ولسقط علينا . ^(١) وحقا لو كان محمد صلى الله عليه وسلم يختلف إلى أحد صغيرا ، أو يتعلم من بشير كبير ، لعرّف ذلك أثره المختلفون معه ورفقاؤه والمقتدون ، ولما جهل ذلك من حوله من جبرته نصره ، ولا من معه من أهل بيته دينية ، الذين عليهم يورد ومن قبلهم يُصدّر ، ولكان شائعا عند حشم معلمه وجبرته موضعه الذين كان يختلف إليهم ، ويتأدب بين ظهرانيهم . ولو كانوا بذلك عاقلين ، أوفيه من أمره شاكّين ، ثم بلغهم وتقرّر قبلهم أنه يقول : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيْهِ ، فَمَا أُنْزِلَ مِنَ الْكِتَابِ عَلَيْهِ : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَكُوتَابِ الْمُبِطِّلُونَ ﴾ لخاصمه منهم من كفر ،

(١) في الأصل : « متراخية » . (٢) في الأصل : « ... ولا يسقط حقه ولولا أن ... الخ » .
(٣) زيادة يعللها الكلام . (٤) في الأصل : « إلا أنهم ... » . (٥) في الأصل « ولا سقط » .

ولكفر به منهم من آمن . ثم يدعى ذلك قرآنا ، ويشمله وخيا ؟ أما كان يهَبُ أن ينتشر في الأفريقين ، ويخرج إلى الأبعدين ، فتبطل جهته ، وتنقض دعوته ، وتسقط نبوته ، وينفرا أصحابه الذين لم يصبروا معه في المجاهدة أنفسهم ، ويذلوا عند الشدائد مهجهم ، وينفقوا فيه على الحاجة أموالهم ، متحسين لأهل الشرق والغرب والعجم وكل الأمم ، وهم قليلون مُستضعفون عائلون جائعون ، لا طلبا لدنيا ولا طمعا في مثال ، إلا لما تعقبوا من قوله ، وعرفوا من صدقه . ولولا أنه أخبرهم ووعدهم أن يغلب كسرى ويقصر لهم ، فصديقوا بقوله ، وآمنوا بوعده ، حتى قويت البصائر ، وصرمت العزائم ، وقويت النيات ، فَنَشِطَتِ النفوس ، وَتَجَمَّتِ القلوب ، وحلت الإبدان ، لما وقع لهم طمع فيه ، ولا ذهب لهم وهل إليه . فكن من ذلك على يقين لا يخلجه شك ، ومعرفة لا يخلطها ريب ، إن شاء الله .

ومن ذلك أنه إذا قال المسلمون : ما من فعال محمود ، ولا مقال معروف ، ولا خالق كريم ، ولا أدب فاضل ، إلا وقد أدب الله عز وجل به محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزله في الكتاب إليه ، فكان يأمر بالمكارم ، ويحض على المحامد ، ويعمل بالمحاسن التي ليس فيها تدخل لشبهة طاعن ، ولا معلق لجة قائل ، ولا مغمز لبصيرة عائب ، ولا موضع لـ بشر ، في وعد أو عهد ، أو حل أو عقد ، أو مقال أو فعال ، أو غير ذلك من الأمور — قالوا : أمور حمل عليها نفسه ، ودعاه إليها عقله ، وصبر عليها ، لما أقل ورجا فيها . سبحان الله ! وما أثل بها وأرعى منها ؟ إن قالوا : الدنيا ، فقد اكذبهم إدبارها عنها ، حيث أمكنته القدرة منها ، وأعرته الحال عليها . وإن قالوا : حب الآخرة ، فقد جعل نفسه للساكنين أسوة : في سبهم وقصاصهم . وحدودهم وحقوقهم ، وغير ذلك من أمورهم . وإن قالوا : الملك ، فقد كان أشد الناس لربه تواضعا ، وأعظمهم في جنبه تصاعضا ، ما إن أكل متكأ قط إلا مرة ، ثم قعد كهيئة الفزع لها التادم طيما ، فقال :

”اللهم إني صبتك ورسولك“ . وإن قالوا : النعيم ، فمن كان أيس منه معاشاً ، وأخشن رياشاً ، وأغلظ مأكلاً ! وكيف يذوق العيش أو يجد لذيق النعيم ، من حرم السكر والخمر ، ونهى عن البياج والقرّ ، وكان أكثر دهره صائماً ، وأطول ليله قائماً ! فإن قالوا : طلب الصوت ورضب في الدين ، فذلك ما لم يطلبه أحد في حب الصوت والتمس الحمد لما صبر مفاضب قومه ، وملاوم أهله ، وشبائم العرب وتوعد العجم ، وأبتزاه قريش^(١) ، يرمونه بالعقوق ، ويقذفونه بالحنون ، ويبتونه بالسحر ، وليس يدرى ما جهّم به الأمر .

أم يقولون طلب تأييل الملك لقومه ، وأراد توطئة الولاية لأقاربه فكيف يطلب لقومه ما قد زهد فيه نفسه ! أم كيف يطلب لهم عز الملك وقد أوطأهم الذل ثم القتل . لعمر الله أن لو أراد الملك لأقاربه ، وأراد طلب السلطان لذوى رحمه ، لوكد لم عقداً لا يحل ، ولازم لم أمراً لا ينقض ، ولائل لهم في حنّوان أمره ملكاً لا يخرج من أيديهم ، ولا يرح أبداً فيهم ، امتثالاً لصديكم وأخذاء على مثالكم ، مع أقاويل جمّة ونظائر كثيرة ، لا يستقيم لهم معها أن يقولوا إن محمداً صلى الله عليه وسلم قلب العرب وقهر العجم ، أو قال في أمر السلطان والتجور بكذب .

فإن قلتم إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان في قوة عقله وبيان فضله ، على ما قلنا وقلم وصدقنا به نحن وأتم ، ولكن هفت العلماء وزلت الحكماء وأخطأت القلوب ؛ فقد علم أمير المؤمنين — وأتم بذلك من العالمين — أن خطأ قلوب العلماء تخطأ دائرة الرّحا ، ليست العلماء بخطئة إلا المزة والثنتين ، كما لا تخطئ الرّحا إلا الحبة والحبتين . ومثل الذي نسبتم الى النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ عندكم والجهل في أمسكم ، كثير لا يحصىه أحد ، ولا يبلغه عدد . وأمير المؤمنين واصف بفضله لكم ، ومورد ما حصر كتابه إن شاء الله لكم . وأيم الله على ذلك لو قالت العلماء من المسلمين هبوا محمداً صلى الله عليه وسلم كان

(١) الصوت : الذكر الحسن كالصيت . (٢) كذا وردت هذه الجملة في الأصل وهي مضطربة

(٣) في الأصل : ”ولا ينوح ...“ .

في أمر النجوم من المخطئين، فكيف أخطأت العرب وهفت الأمم في ترك مجادلته ورفض منازعته، وكيف لم تغل العلماء من إفائه والحكمة من حكمته^(١)، توبيخاً منهم له، وتعييراً لمن آمن معه : هذا أمر من أوضح الأكاذيب وأبطل الأباطيل؛ فلا يثبت مع قولهم إيماناً، ولا يُقيم على شرحهم إنسان : فإن قلت : فلمل ذلك قد كان، ولكنه درج على طول الأزمان، فكيف إذا صدقت العرب بنبوته، ولم تكفر القبائل برسائه، وهم يسمعون كذباً لا ينفع معه صدقُ كان قبله، وباطلاً لا يقيم معه حقٌ حدث بعده . وإن قلت : أدخلهم بالقهر وضبطهم بالقتل وأكرههم بالسيف، فما بال القليل من المسلمين الذين قهرهم الكثير من المشركين، ما بالهم آمنوا وصدقوا، وصبروا وصابروا، وجئوا وجاهدوا، كيف لم تنكسر عزائمهم، وتبين بصائرهم، ويرجعوا إلى دينهم، ويهربوا عن توحيدهم ! كلا ! لو كان الأمر على ما تقول، لأرفض القوم عن الرسول، ولكان صلى الله عليه وسلم أول مقتول أو مخدول . فأحسب النظر فيما تنهب الأهواء برأيك إليه من آيات النبي صلى الله عليه وسلم . وإن جمعت الدعوى بكم، فقاتل : فدالت به الأهواء في الباطل، فقال : إنه إلا يكن الأنبياء ذكرت النجوم في مضمها بينت الحكمة منها ذكراً في كُتبها، بفعلت المنقضى من الكواكب بين الأعوام، دليلاً على أمر يحدث تلك الأيام، ولا ما هذا الاختلاق يلط به الجاهل للفساق . ما أن وضعت الحكمة ذلك في الكتب، إلا لبالى ملكت السماء من الشهب . وبالله لو أدعيت غير ذلك فكان حقاً، وكانت الغالة منكم صدقا، لما كانت الدعوى بتناقض آية النجوم حجة، ولا مدخلة على أحد فيها شبهة، لأن رميا يقع قرط السنين من الكواكب، لا يُبطل رجماً قد ملأ السماء من كل جانب . ثم لو لم تكن النجوم آية دامنة، وحجة بالغة، ودلالة قاهرة، وعلامة باهرة، وأمارة ظاهرة، وشهادة قاطعة، وبينه عادلة، وداعية قائمة، تُبطل أطانين المشركين، وتردع أقاويل المناققين، لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعظم أمرها، ولا ليكرر في آي القرآن ذكرها، رهبة

(١) كذا في الأصل . (٢) في هذا الموضع اضطراب . (٣) في الأصل "دافعة ..."

لمناهضة أحياء العرب ، ومعرفة مجادلة إخوان الكتب ، الذين لو وجدوا فيما كُتِبَ به اليك أمير المؤمنين من أمر النجوم وأحتج [به] عليك من ذكر الرجوم ، موقفاً لظن أو معلماً بطعن أو ممقراً لقول ، لناصبوه اذا بالمجادلة ، وكاشفوه بالمنازعة ، وجاهروه بالقول الذي لا يستطيع له رداً ، ولا يطيق له سجداً ، ولكنها آية ملأت الأقطار حكمة ، وحسرت الأبصار قوة ، قد وجلت العقول ، وولمّعت القلوب ، وملأت النفوس جزاً ووجعاً ، وفزعاً شغلهم عن الأولاد ، وأذلهم عن البلاد ، حتى بلغ أمير المؤمنين وتقرر عند فقهاء المسلمين أن الله عز وجل ، لما ملأ السماء حراً ، وأحدث لها رصداً ، وخلق فيها شهباً ، ذكرت العقلاء من العرب ، وقعات الله عز وجل في الكتب ، بقوم تُوجع وطيد وممود ، وأشبايهم من مؤثى تلك الجنود ، الذين كانوا أشدّ بطشاً ، وأكثر جماً ، فانفجرت أيديهم عن كرائم أموالهم ، وأرسلت أنفسهم متآين عقيدهم . وإن أهل الطائف لما فعلوا ذلك بأموالهم ، وأجمعوا فيه الخروج الى قرائهم ، قام فيهم رجل منهم ذوسن وعقل فقال :

يا معشر العرب ، لا تهلكوا أنفسكم قبل أن تهلكوا ، ولا تخرجوا من أموالكم قبل أن تخرجوا ، تفقدوا مواقع نجوم السماء ، وكواكب بدور الدجى ، فإن كانت النجوم التي حدث الرمي بها والنجوم التي أخلتكم الأموال لها ، هي لبروج الشمس والقمر ومسالي الحيوان والشجر ، فهي جوائح الاستئصال ، المتلفة الأفيس والأموال ؛ وإن كانت النجوم التي حدث القذف بها ، إنما هي نجوم خلقت اليوم ، فليست المعرفة بواقعة على مبتدأها ، ولا الأبصار بلا حية منهاها ، فامسكوا العقد^(٢) عليكم والأموال ، فإنه أمر يحدث في إحدى هذه الليال .

فإن قلت : وكيف وقعت الأمور في هذا الرجل كاليان ، وصارت المقالة منه كوعى الآذان ، أنباك أمير المؤمنين أن أوعية الفقه من المسلمين ، الذين حملوا الينا سنن الدين ، هم

(١) كذا في الأصل . (٢) المقد : جمع عقدة وهي الصيغة أو العقار الذي اتخاها صاحبه .

أَفْهَمُوا ذَلِكَ الْيَتَامَى، وَأَبْقَوْهُ نَحْرًا... جليئا، فما لِمَ يَنْقُذُكَ مِنْهُمْ مَفْضَعُ يَقُولُ : أَبَوَا الَّذِي يَحِبُّسَ عَلَى الْعَرَبِ الْأَمْوَالَ وَالْعَقْدَ، فَمَا لِمَ يَنْقُذُكَ الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ مِنْ أَحَدٍ . هَيْهَاتَ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ يُتَقَرَّرُ عِنْدَ الْغَضَارِ ، إِلَّا بِطَوِيلٍ هُوَ أَتَيْنُ فِيهَا مِنْ ضَوْءِ النَّهَارِ . فَافْهَمُوا مَا كَتَبَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا إِلَيْكَ ، وَلَا يَكُنِ التَّحَلُّلُ فِيهَا بِالشَّبَهَاتِ أَوْثَقَ مَا لَدَيْكَ ، فَإِنَّهُ قَلَّ حُجَّةٌ إِلَّا وَإِلَى جَنْبِهَا شَبَهَةٌ تَحْتَلُّ لِلْعُقُولِ ، وَتَعَرَّضُ الْقُلُوبَ ، وَتَجْلِبِلُ فِي الصُّدُورِ ؛ فَلَا يَثْبُتُ مَعَ تَحْلِيلِهَا ، وَلَا يُقِيمُ لِعَرْضِهَا بَشَرٌ إِلَّا مِنْ وَزْنِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِمِيزَانٍ عَادِلٍ ، لَا يَمِيلُ إِلَى تَحْقِيطٍ ، وَلَا يَنْقُطُ فِي تَقْصِيرٍ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْعُقُولَ مُوَازِينَ لِلْأُودِ ، فَزَيَّنُوا مَا سَمِعْتُمْ مِنْ حُجَجِ كَلَامِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا تَتَّقُونَ بِهِ الشَّبَهَةَ عَنِ الْحَقِّ ، وَلَا تَمِيلُوا الْإِسَانَ ، فَتُخَسِّرُوا الْمِيزَانَ . وَسَيُطَلِّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِمَا جَاءَ عَنْ ذِكْرِ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِ النُّجُومِ وَالرُّجُومِ وَالشُّهُبِ فِي الْقُرْآنِ وَالرَّوَايَةِ وَالْكِتَابِ ؛ فَالْطُّفُوعُ النَّظَرِ فِي صَحَّةِ مَعَانِيهِ ، وَنَحْوُ الْهُوَى عَنْ شَبَهٍ مَا وَقَعَتْ فِيهِ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ (١) وَقَالَ : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ وَقَالَ : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾ . وَإِنْ شَطَبَ عَنِ الْحَقِّ شَاطِبٌ ، أَوْ ذَهَبَ إِلَى الْبَاطِلِ ذَاهِبٌ ، لَا يَعْرِفُ مَذَاهِبَ كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَلَا وَجْهَ مَعَانِي الْكِتَابِ ، وَلَا تَفْسِيرَ آيِ الْقُرْآنِ ، فَقَالَ : إِنَّمَا جُعِلَتِ الْكَوَاكِبُ وَالْمَصَابِيحُ حِفْظًا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلسَّمَاءِ ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْإِسْلَامِ .

فَإِنْ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ مَا فِيهِ بَيَانٌ مِمَّا يُبْطِلُ دَعْوَاهُ الَّتِي لَا يَنْتَهِي طَلِبُهَا ، وَيَكْذِبُ مَقَالَتَهُ الَّتِي لَا شُبُهَةَ لَهَا ؛ فَقَالَتِ الْجَنُّ - فَعَمَلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَوْلَهَا وَحْيًا - وَبِهِ مِنْهَا صِدْقًا : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَمَةٌ فَجَعَلْنَا فُجْرًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴾ . أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهَا كَانَتْ الْجَنُّ لَمَسَتْ السَّمَاءَ فَلَمْ تَجِدْهَا مُلْتَأَمَةً حَرَمًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ، وَقَعَلَتْ الشَّيَاطِينُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلْسَّمْعِ

فلم تَجِدْ شَيْئاً وَلَا رَصِداً، ^(١) أَوْ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى مَا يَحْقُقُ ذَلِكَ وَيُسَدِّدُهُ وَيَصْدَقُهُ وَيَشْهَدُ لَهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (هَلْ أَتَيْنَكُمْ عَلَى مَن تَتَرَكُّ الشَّيَاطِينُ تَتَرَكُّ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ) مع قولِ الجنِّ أَيَّامُ حُرُسِ السَّمَاءِ وَرُيُوسِ الشَّيَاطِينِ : (وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمْنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ آرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً) . فإِذَا أَعْمَلْتُمْ فِي ذَلِكَ فِكْرَكُمْ ، وَقَلَّبْتُمْ فِيهِ نَظْرَكُمْ ، فَكُنْتُمْ عَلَى بَرَهَيْنِ قَيِّينَ ، وَفُورِ مُسْتَبِينَ ، مِنْ أَسْطَاعَةِ الْجَنِّ لِلإِسْتِمَاعِ ، وَقُدْرَةِ الشَّيَاطِينِ عَلَى الْإِسْتِرَاقِ ، وَإِمْكَانِ السَّمَاءِ لِلْقُعُودِ فِي تِلْكَ الْحَالِ الْأُولَى ، فَفَكَّرُوا فِي الْحَالِ الْأُخْرَى حَيْثُ حُرُسِ الْآيَاتِ أَنْ تَمَارِضَ بِاطِّلاَ بِحَقِّ ، وَمُنْعَتِ الشَّيَاطِينِ أَنْ تَتَرَكَّ بِصَدَقِ ، وَأَمْنَتِ السَّمَاءِ أَنْ يَصْعَدَ إِلَيْهَا شَيْطَانٌ ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَمَا تَرَكْتُ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ لَأَنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ) . قَالَتِ الْجِنُّ : (وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَسَنُيَسْمِعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَيْئاً رَصِداً) إِنْ فِي قَوْلِهِمُ الْآنَ لِأَعْظَمِ نُورٍ وَبَيَانٍ . وَأَيُّنُ مِنْ ذَلِكَ لَكُمْ وَأَصَحُّ لِمَنْ حَقُّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْكُمْ ، إِخْبَارُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ جُعِلَتْ الْكَوَاكِبُ حِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ، أَنَّهُمْ (لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) مع إِخْبَارِهِ فِي الْحَالِ الْأُولَى أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ وَيَقْعُدُونَ وَيَتَرَلَّوْنَ وَيَسْتَطِيعُونَ وَيَتَلَوَّنَ عَلَى مُلْكٍ سَلِيانٍ ، فَكُنْ لِهَذَا مِنَ الْحَافِظِينَ ، وَفِيهِ مِنَ الْمَفْكَرِينَ .

وَمِنْ آيَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمَّا نَفَرَتْ الْقَبَائِلُ مِنْ أَعْلَامِ الشَّرِكِ بِمَجْمُوعِهَا ، وَتَدَاعَتْ الْقَادَةُ مِنْ صَنَادِيدِ الْكُفْرِ بِاتِّبَاعِهَا حَذَرًا عَلَى عِيْرِهَا أَقْبَلَتْ مِنَ الشَّامِ بِصَنُوفِ رَعَائِبِ أَمْوَالٍ عِظَايِمَ ، فَكَانَتِ الْعِمِيرُ وَالنَّغِيرُ طَائِفَتَيْنِ : طَائِفَةٌ ذَاتُ عُدَّةٍ كَثِيرَةٍ وَشَوْكَةٍ شَدِيدَةٍ ، وَطَائِفَةٌ ذَاتُ أَمْوَالٍ رَغِيْبَةٍ وَرِجَالٍ قَلِيلَةٍ وَفُرْصَةٍ مُمَكَّنَةٍ ، أُنْجِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدَهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِحْدَاهُمَا ، فَكَّرَ الْمُؤْمِنُونَ جَمْعَ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ، وَيَشِيدَ بِذَلِكَ أَرْكَانَ الدِّينِ ، فَلَمَّا تَرَامَتِ الْفَتْحَانِ ، وَتَنَاضَوُشَتِ الْفُرْسَانُ ، وَتَلَاقَى النَّاسُ ، وَقَبِلَ ذَلِكَ مَا قَالَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ فِي الْأَصْلِ وَهِيَ عِيْرَاخَةُ .

(سَيُزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّقُ الدُّبُرُ) قَبَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْضَةً [مِنْ تَرَابٍ] حَقَّهَا فِي وَجُوهِهِمْ ، فَلَمْ يَنْتَاهِ دُونَ مَنَاحِرِهِمْ وَجِوْنِهِمْ ، فَانصَرَفُوا مِنْهُمْ بِلاَ كَثِيرٍ قَتْلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . يَا أَهْلَ الْكَلْبِ ، فَإِنَّمَا آيَةُ أَكْظَمِ حِجَّةٍ وَأَوْضَحُ بَيِّنَةٍ وَأَقْهَرُ ظَلَمَةٍ مِنْ هَذِهِ الَّتِي لَوْ صَدَرَتْ الْأُمُورُ بِلاَ تَحْقِيقِ لَهَا ، لَانْقَضَتْ الْجُلُوعُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كِفَارًا بِهَا . إِبْرَاهِيمُ
اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِإِمْدَادِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَهَزِيمَةِ غَيْرِ الْمُشْرِكِينَ ، الَّتِي نَجَّتِ الْأُمُورَ عَلَيْهِا ، وَتَنَاهَتْ الْحَالَ بِهَمِّ إِلَيْهَا . أَمْ قَبْضَةُ بَنِي تَرَابٍ يَسِيرٌ ، مَا مَلَأَ الْمَنَاحِرَ مِنْ عَدَدٍ كَثِيرٍ .

فَلْتَن قَلَمٌ : إِنْ هَذِهِ آيَاتُ بَيِّنَاتٍ ، وَعَلَامَاتُ وَاضِحَاتٍ ، وَلَكِنَّا [لَا] نَقْرَأُ لَكُمْ بِهَا وَلَا قَوْمٌ بِقَوْلِكُمْ فِيهَا .

أَقُولُونَ أَنَّ عَمْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ مَا اسْتَمَوْهُ مِنَ الْفَضْلِ إِلَيْهِ ، كَانَ يَنْتَقِلُهَا كَذِبًا مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ ، ثُمَّ يَدَّعِيهَا وَحْيًا مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ، وَهُوَ لَا يَدْرِي لِمَلِ الْأُمُورُ [تَقَع] بِخِلَافِ مَا يَقُولُ ، فَيُظْهِرُ كَذِبُهُ ، وَيَقْبُضُ تَبَعَهُ . وَإِنْ تَرَعِمُ^(١) أَنَّ أَصْحَابَهُ كَانُوا كَثِيرًا أَقْوِيَاءَ ، نِشَاطًا جَلَدَاءَ ، فَكَانَ عَلَى مَعْرِفَةِ بَقْوَتِهِمْ وَيَقِينٍ مِنْ غَلَبَتِهِمْ ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِنْ قَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ . وَلَمْ يَكُنِ الرَّسُولُ وَلَا غَيْرُهُ لِيُخْبِرَ أَصْحَابَهُ مِنْ أُمُورِهِمْ بِمَا يَجْهَلُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، ثُمَّ يَدَّعِي ذَلِكَ تَقَرُّبًا مِنْ رَبِّهِمْ . هَذَا لَا يَقْبَلُهُ الْإِرَادُ ، وَلَا يُقَرِّبُهُ الْحِكْمُ ، وَلَا يَحْتَدِ النَّظَرُ .

أَمْ تَقُولُونَ : إِنَّمَا أَرَادَ عَمْدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَشَارَتِهِ لَمْ وَإِخْبَارِهِ مَا أَخْبَرَهُمْ مِنْ هَزِيمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، أَنْ يَشْجَعَ جُيُنُهُمْ وَيُقَوِّيَ ضَعْفَهُمْ ، فَكَيْفَ إِذَا لَمْ يَبْقَ لِمَا كَانَ يَرَى مِنْ كَثَرَةِ الْمُشْرِكِينَ وَقُوَّتِهِمْ ، وَضَعْفِ الْمُسْلِمِينَ وَقِلَّتِهِمْ ، بَظُهُورِ الْأَنْبَاءِ عَلَى خِلَافِ قَوْلِهِ ، وَأَنْ يَحَالَ^(٢) الْخَبْرُ عَلَى غَيْرِ ظَنِّهِ ، فَيَقَعَ ظَفَرُ يَكْذِبِ نَبَوِّهِ ، وَيَقْطَعُ حِجَّتَهُ ، وَيَكُونُ لَهُ مَا بَعْدَهُ ! وَكَيْفَ إِذَا لَمْ يَنْسَبِ الْأَمْرَ إِلَى نَفْسِهِ وَيُتِمِّي الْخَبَرَ عَنْ رَبِّهِ ، لِيَكُونَ الْخَطَرُ أَصْغَرَ وَالشَّانُ أَيْسَرَ ، إِنْ جَرَتْ الْأَقْدَارُ بِمَا يَحْذَرُ ، أَوْ وَقَعَتِ الْأُمُورُ عَلَى مَا يَكْرَهُ . وَلَكِنَّهُ أَهْمَجُ فِي كِتَابِ

(١) فِي الْأَصْلِ « وَرَبِمَ أَنَّ أَصْحَابَهُ ... » وَالْكَلَامُ عَلَيْهِ غَيْرُ وَاضِعٍ . (٢) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ

مسطور، ورق منشور . فَعَلَّ لِعَمْرَاهُ يَذَلَّ عَلَى التَّبَوَّةِ الَّتِي كَانَ يَهَاوِيهَا، وَيَهْدِي إِلَى
الرَّوْحِ الَّذِي كَانَ إِلَيْهِ سَاكِنًا .

وإن عَرَضَ لِنَظَرِكَ، أَوْ وَقَعَ فِي خَلْدِكَ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَوَّدَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْقَلْبَةَ وَأَجْرَاهُ عَلَى الْمَنَّةِ، فَكَانَ يَجْرِي عَلَى عَادَةٍ قَدْ عَرَفَهَا، وَيَسْلُكُ جَانَّةً قَدْ خَبَرَهَا؛ فَلَقَدْ
كَانَتْ الْمُزِيْمَةُ فِي أَقْلٍ وَقَعَةٍ أَوْقَعَهَا اللَّهُ، ثُمَّ لَقَدْ دَالَتْ الْحَرْبُ فِيمَا بَعْدَ بَحَالًا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ:
تَارَةً عَلَيْهِ لَمْ، وَأُخْرَى لَهُ عَلَيْهِمْ . فَتَاصَحُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَنْظُرِكُمْ، وَقَلَّبُوا فِيمَا يَقُولُ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ فَكَّرَكُمْ . فَلَعَمْرُ اللَّهِ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِلْمُلُوكِ الْمُشْرِكِينَ: إِنْ اللَّهَ
هَزَمَكُمْ بِرَبِّيَّةٍ مِنْ تَرَابٍ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ عِنْدَهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ . فَاحْضِرْ كِتَابِي هَذَا فَهَمَّكَ،
وَأَصْبِرْ لَهُ وَإِنْ خَصَمَكَ؛ فَإِنَّ هَذِهِ آيَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهَجَةٌ بَلِيغَةٌ، وَبَيِّنَةٌ عَجِيبَةٌ، فِي قَلْبَةِ الْعَرَبِ .

وَأَعْجَبَ مِنْ هَذِهِ وَالطَّفِّ، وَأَكْثَرَ مِنْهَا وَأَعْظَمَ، الْآيَةُ فِي غَلْبَةِ الْعَجَمِ . وَاسْتَجِبَ: أَمَرَ اللَّهُ
نَبِيَّهَ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنْ يَقُولَ لِلْمُؤْمِنِينَ — وَكَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلِيلًا
مُسْتَضْعَفِينَ —: إِنْ قَبَائِلُ الْعَرَبِ سَتَحْزَبُ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ سَيَرْزُقُهُمْ لَكُمْ، وَحَيًّا أَنْزَلَهُ
فِي الْكِتَابِ، قَالَ: (جُنْدُ مَا هُنَاكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ)؛ فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا نَزَلَ هَذَا الْقَوْلُ عَلَيْهِ يَدْهَوْنَ طَوِيلَةً وَسَنِينَ كَثِيرَةً، مَحْبُوسِينَ
مَحْصُورِينَ فِي حُومَةِ الْمَوْتِ وَصَعْرِ الْخَوْفِ وَخَنْدَقِ الْقَهْرِ وَذِلِّ الْحَصْرِ، سِوَاهُمْ
الْأَعْمَى وَبِلَهُمُ الْأَعْظَمُ حُفَاةُ عُرَاةٍ عَالَّةٌ، إِخْوَانُ دِيرٍ، وَأَصْحَابُ وَبَرٍّ، لَا قُوَّةَ بِهِمْ،
وَلَا مَنَّةَ لَمْ، وَلَا أَسْلَحَةَ عِنْدَهُمْ، وَلَا عُدَّةَ مَعَهُمْ، قَدْ أَحْدَقَتِ الْعَرَبُ بِسِكْرِهِمْ وَأَحَاطَتْ
الْقَبَائِلُ بِخَنْدَقِهِمْ، وَسَالَتِ الْأَحْزَابُ تَصَدِيقًا لِحَمِّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، تَرِيدُ أَنْ تَرْزُلَ أَقْدَامَهُمْ وَتُهْرِيقَ
دِمَاعَهُمْ؛ فَكَانَ الْمُؤْمِنُونَ كَمَا وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ سُوءِ الْحَالِ، وَضَيْقِ الْمَالِ، وَشِدَّةِ
الْكَيْفَاطِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَصَفَ لَمْ حَالَهُمْ، وَأَذْكَرَهُمْ فَعْلَهُمْ؛ وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِيَصِفَ لَمْ عَنْ اللَّهِ مَا يَجْهَلُونَ، وَلَا لِيَذْكَرَهُمْ مِنْ أَمْرِهِ مَا لَا يَعْرِفُونَ؛ حِدَارًا أَنْ تَنْكَسِرَ

عزائهم وبتغير بصائرهم ، فتهزيم أفلستهم وتموت مجلدتهم ، وتختلف كلمتهم ؛ فقال الله عز وجل : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ قَوْكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا . هُنَا لِكَ آتَى الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ حتى قالت طائفة منهم لأهل المدينة : ﴿ يَا أَهْلَ الْيَرِبِ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارِجُوا ﴾ وقالت طائفة أخرى : يا رسول الله ، إن بيوتنا حورة ، فأذن لنا . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا هِيَ بِسُورَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ . فبينما هم على تلك الحال قد أجمعت العرب بتفريقهم في الجبال ، وتقسيمهم بالقداح ، وأخذهم بالأيدي ، إذ قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما يثنيهم به من علم القلوب ، ويشرهم به من أمر الفتوح : ” إن الله سينصركم على جمع الروم ويغلب لكم جنود فارس فيهزم لكم جنودهم ويورثكم قصورهم ويستخلفكم في الأرض من بعدهم ويبدلكم من بعد خوفكم أمناً “ . وعدنا صدقه الكتاب ، وبشارة نطق بها الوحي ، فقال : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ . فقال أقوامٌ وأنا أسأتابوا حين تضايقت الحال ، وتزلزلت الأقدام ، وطارت القلوب ، ودارت العيون ، وأشرف الموت : مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا أَيْبَدْنَا هَزِيمَةً جُمُوعَ الْأَحْزَابِ ، وَقَعَ قُصُورُ الشَّامِ ، وَغَلَبَتْ جُنُودُ كِسْرَى ، وَقَدْ سَالَتِ الْقِبَالُ طِينًا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَأَحْدَقَ الْمَوْتُ بَنَّا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَبَقِينَا فِي مَسْغِيَةٍ مِنَ الْجُوعِ ، وَبِهَيْدَةٍ مِنَ الْخَوْفِ ، وَضَيْكٍ مِنَ الْحَالِ ، مَقْهُورِينَ مَقْمُوعِينَ . وقالت الخالصة من المؤمنين حين طابوا الجموع من المشركين ، وذكروا ما خبرهم الله من تهذيبهم عليهم ومسيرهم اليهم : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ . فبينما أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مضائق تلك الحال ، وشدة ذلك الخصال ، وعموم تلك البلايا الباهظة ، والأموال الفادحة ، التي قد أخذت بأنفاسهم عنها ، وبلغ

بجهودهم كريها، راضين الى الله عز وجل أبيهم، يقبلون في السماء أعينهم، إذ أرسل الله على تلك الجنود الكثيفة والجوع المغلية والأحزاب المقتدرة، ريحا من الأرض وجنودا من السماء، فقطعت الأبنية، وطيرت الأمتعة، وسفت التراب في العيون، وقذفت الرعب في القلوب، فولوا مذبرين، وخرجوا منهزمين، لا يلوى والد على ولد، ولا مولود على أحد. أمر صدق الله فيه قوله، وأجز به وقده، وهزم الأحزاب وحده، وذكر المؤمنين نعمته فيهم، وعرفهم منته بهم، فقال: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَلَفَّتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهُ الظُّنُونَ﴾. وقال عز وجل: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا مَزِيدًا﴾ ما كان الله عز وجل ليقص على المسلمين في أنفسهم، إلا ما قد راوه بأعينهم.

لولا أن هذا ما لا ينكره عقلك ولا يدفعه نظرك، لما جادلتك بالكتاب، ولا نازعتك بالتزويل. وإني لأترك من آيات النبي صلى الله عليه وسلم وعلامات الوحي، ما هو أعظم من هذا وأبين وأجل وأوضح. ولكن ليس لي أن أحاجك من آيات القرآن، إلا بما عليه شاهد من برهان، وغبر من بيان؛ لا يستطيع عقلك ردًا له ولا قلبك بحمالة. وكيف ينسب لسألك أو يحترى قلبك أن يقول: إن هذا صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه بالكذب وهم يعلمون، فاقص عليهم من أمورهم ما لا يعرفون! لا! ما يسوغ لك ولا يجمل بك، ولا يقبل منك أن هذا صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء نفسه؛ كيف! أما كان يخاف أن يكذبه أصحابه، وتتقل أحواله، وتتقص أموره! لعمرك لو وصفت بهذا من لا يعرف بفضل ولا ينسب الى عقل، لما كان سائلا لك ولا جائزا منك، فكيف تصف به من يرفع عن الناس قدره، ويفضل عليهم عقله! ويقر أنك لم ترفي الدنيا أحدا صنع [ما صنع] وبلغ ما بلغ! فأيتا آية فيما اقتص عليك أمير المؤمنين أعظم أو بينة أعجب: أما كان يتل على المؤمنين في الخطاب من اجتماع قبائل الأحزاب يحنود عزيمة قبل اجتماعهم بسنين

كثيرة ، أم ما كَانَ يَتَأَدَّى به القرآن من الهزيمة لهم وينطق به الوحى من الفتح عليهم ، أم قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « إِنْ أَتَى اللَّهُ عَزْرًا وَجَلَّ يُؤْمِنُ خَوْفَكُمْ وَيُعِزُّ نَصْرَكُمْ عَلَى الْأَعْمَى » وهو على تلك الحال ثم تَجَمَّعَتِ الْأُمُورُ عَلَى مَا قَالَ ، أم عسكران مطابقان وببشاشان متقابلان ، باتت الرمح تحوس أحدهما حتى انهزموا ، وبات الآخرون منها فى عافية وشفقة ^(٢) حتى أصبحوا ؟ فأحسن النظر فى أمرك ، وأثبتت فى دينك إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وأعلم أن من أعظم الآيات وأبين الدلالات ، على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقه ، وأن ليس يقول شيطان تلقاء نفسه ، أنه قال فى عُضْوَانِ أمره : « إِنْ أَتَى اللَّهُ عَزْرًا وَجَلَّ يُؤْمِنُ خَوْفَكُمْ وَيُعِزُّ نَصْرَكُمْ عَلَى الْأَعْمَى » وجاء مع ذلك بأثره عن ربه ، فى كتاب مخطوط وتتريل محفوظ . فأى أمر به لك أدل ، أو أيهما عندك أعجب ، إذ كنت بنبوته مصدقا ، ورسالة محققا : الخبر الذى أخبره ، أم الفعل الذى صدقه ؟ لئن نظرت بعقلك وقلت فى نفسك : كيف تَرَقَّتْ إلى هذا نيته وأرضعت نحوه هِمَّتُهُ ، أم كيف أمتنت إليه طمته وقويته عليه رَويته ؟ بل كيف دعت به نفسه ، وشجعه عليه قلبه ، ودخل فيه طمعه ، وطاوعه فيه لسانه ، وهو يذكر جنود كسرى ، وجموع الروم ، وملوك الترك ، وملوك الشرك ، وقبائل اليمن ، وصناديد الأمم ؟ إِنْ هَذَا لَعَجَبٌ ، ولا سيما إذا لم يكن فى إرث ملكٍ قاهر ، ولا كَيْفَ عَزَّ غَالِبٌ ، ولا معيدين علم سالف .

ولئن أعدت النظر وكررت ، فقلت : كيف وافق خبره أثره ، وكيف صدق فعله قوله ، حتى غلب الشرق والغرب ! إِنْ هَذَا لَعَجَبٌ ! وأعجب من هذا أمر يذكرك أمير المؤمنين عليه ، ويهديك إِنْ شَاءَ اللَّهُ إليه : لو قلت لأهل مملكتك ومن قبلك من أمتك : هل بلغكم أو تقرر قبلكم ، أنه كان فى الدهر الأول ، والمصر الحالى ، أحد مثل محمد - صلى الله عليه وسلم - بدأت الأمور به مثل حاله من الوحدة والضعف والدلة والقلة ، وصدرت الحُلُوفُ به كفعاله فى الغلبة والمنعة ، والقهر والظهور ، وغير ذلك ؟ لقالوا لا .

(١) فى الأصل : « أما كان ... » . (٢) تحوس أحدهما : تتشاه وتبيه . وفى الأصل : تحوش ... « بالنسبة المحببة وهو محرف » (٣) فى الأصل : « فأى أمر بذك ... » .

ثم أنت لا تؤمن بآقائه، ولا تحتر برساته، إلقا لدينك، وضنا بملكك، وطمعا في قليل من الدنيا قد نساء الله اليك، ورضة في صباية عيش غير باقية في يديك، فهذا عجب . وأعجب من هذا أمر يقفك أمير المؤمنين على نور حقه، ويوضح لك إن شاء الله بيان أمره : أصبحت العرب طرا والأمم جميعا في عهد صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا رابع لهم ولا تخرج الحق من بينهم : رجل مصدق به من المؤمنين، ورجل مكذب به من الكافرين، ورجل شاك فيه من المنافقين .

فاما الشاك فلما قيل له : أخرجت نفسك من الحق، وأبرأتها من الصواب، وأقررت عليها بانطلا، لقولك : لا بد أن يكون الحق في التصديق أو التكذيب، ولست على واحد منهما، اعتزل عنها .

وأما المكذب فلما قيل له : أنت منكر والمنكر ليس بمتدع، ومن لم يدع لم يلزمه بينة ولا يسأل عن حجة، اتبع صاحبه . وأيم الله على ذلك، لو سئل هذا المدعى عن بيته وكشف حجه، ف قيل له : من أين حرّف قلبك، وأيقنت نفسك إيقانا لا يخالجه شك، ومعرفة لا يشوبها ريب ولا ينازعها شبهة، أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس برسول، لما درى ما يقول، لأنه لا يستطيع أن يقول على الرسل، ولا أن يتكذب على الكتب، فيقول : قد أخبر الله فيها أنه لا يبعث نبيا، ولا يترى حيا في كتاب مسطور، بعد التوراة والإنجيل والزبور . بل قد يجد أهل الكتاب في أقاويل رسلهم وأخاير كتبهم، أن الله تبارك وتعالى يترى كتابا جديدا أو كلاما حديثا، بعد خراب بيت المقدس في آخر الزمان، ولم يترى بعد ذلك كتابا إلا القرآن .

وأما الرجل المصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم ف قيل له : أما أنت فقد أذعيت، والمدعى يسأل عن الجهة ويقبل منه البينة، ف بيتك ومن يشهد لك؟ فقال : ألم تقولوا : إن الحق لا يخرج من بيننا، ولا بد أن يكون مع بعضنا؟ قالوا بلى ! قال : فآية بينة أحق وأعدل، وأى شهود أركى وأفضل من شهادتكم بسقوط صاحبي وثبوت

الحق من بعدهما في يَدَيَّ ٩٠ قالوا : إن الأمرَ لكما تحول ، ولكنَّ البينةَ أشقى الصدور ؛ فأقام بينةً من الكتاب ، وشهوداً من الوحى ، وآياتِ سوى ذلك عظاماً ، وبيِّناتٍ عَوامً ، من كلامٍ لا يقدِر عليه الخلقُ ، وصنقٍ لا يكون إلا من قِبَلِ الربِّ ، شيئاً بما أورده أمير المؤمنين عليكم ، وكتبَ به في صدر كتابه هذا اليكم ، بما قد تشهدُ له قلوبُ الأمم ، ويزكِّيه فعالُ العرب .

فلما أقام بينته ، وثبت حجته ، وجَبَ حُقه ، وقضىَ به له ، قيل له : وكيف توسعت الأمور عليك ، وضاعت المقالة لك ، أن تقول : إن الله لا يبعث نبياً بعد محمد — صلى الله عليه وسلم — ولا وحياً يتزل غير القرآن ، فأبطلت الكتب المهدَّثة ، وأكذبت الوثيقة ، ولم تترك وحياً غير القرآن ، ولم يمز للنصارى أن تقول : لا نبىَّ بعد ميسى عليه السلام ، ولا كتاب خلف الإنجيل ؛ وعن ذلك من أخبار الكتب ما قلنا كل متنبئ بعد نبينا كذاب ، فشاعت وجازت الحجة ، ووضع المذر . وأما النصارى فيجدون في أواخر كتبهم ، وأقاويل رسلهم ، أن الله عز وجل ، يبعث نبياً حديثاً ، ويتزل كتاباً جديداً ، فليس لهم أن يكذبوا نبينا — صلى الله عليه وسلم — ولا أن يرتدوا كتابنا .

فهؤلاء الثلاثة . أما الشاك فسقط ، وأما المتكفِطل ، وأما المصدق فثبت ثبوتاً ليس فيه مدخل شبهة ، ولا موضع لجة ، ولا معاق لمنازعة . وذلك أن المتكولوجوب حقه ، والشاك في ثبوت صدقه ، لا يجد بداً من أن يُنحى الصدق عن الخلق ، ويُغلى الدنيا من الحق ، وهذا قول المكذِبين برههم ، الشاكين في برهم ، فأحسن النظر في معانيه ينكشف لك عما فيه ، إن شاء الله .

ومن أيِّن آياته وأدلِّ علاماته — صلى الله عليه وسلم — ووسع له فيما صدر إليه : أنه لما أخبرت النصارى واليهود أنهم لم يجدوا محمداً — صلى الله عليه وسلم — في التوراة والإنجيل موصوفاً مكتوباً ، تجمَّعت العلماءُ منهم ، وتدارست الكتبُ فيما بينهم ؛ فلما نظروا

(١) في هذه الجملة غموض لم نوفق الى كشف سببه وان كان المراد منها واضحاً .

إلى اسمه وعاينوه بنّته ، وكانوا يعرفونه كما يعرفون آبائهم ، ويستفتحون بذكره على من سواهم ، [كفرت] طائفةٌ حسّناً من عند أنفسهم ، وجمّداً من بعد ما تبيّن لها ، وأمنت طائفةٌ ، تصديقاً بكلمها ، وخوفاً من ربّها .

فلمرّ الله لو [لا] أن الذين آمنوا بحقه وصدّقوا بأمره ، رأوا صفته عياناً ، وقيلوا ننته لبقائنا ، لما فارقوا أديانهم ، ولا جادلوا إخوانهم ، حتى وقفهم على اسمه ونسبه ، وصفته وعلامته ، وهم علماء بني إسرائيل ، وحملّة الإنجيل : من أهل الكتاب الذين احتجّ الله عز وجل بهم على العرب ، قال عز وجل : ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴾ . ولعمرك الله إنها آيةٌ عظيمةٌ ، وحجةٌ بليغة ، ذكرها الله في كتابه ، وجعلها على العرب من بيناته ، فقال لهم : ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ . يقولون : وعدنا أن يرسل رسولا ، فقد أرسله ، وحقق قوله ، وصدق وعده . واحتجّ النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وذكره . ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليُجادل ويحتجّ في أمرهم بكذب وباطل ، ولم يكن ليقول للنصارى واليهود ، فيما ذكر الله من صدق الموعود : إنه في التوراة والإنجيل مكتوبٌ موجود ، إلا وهو من ذلك على حق يقين ، ونور مُستبين . وكيف كان يستشهد من التوراة والإنجيل بكذب ، ويتقول عليهم الباطل ، مع حرصه على تصديق أهل الكتاب ليستدعى به إيمان أحياء العرب . أما كان يعلم أنه إذا قال لهم : إنه موجود في مثاني كتبهم ، وسُمّي على أفواه رُسُلهم ، فلم يجدوا خبره يقينا ، ولا وصفه مستتبنا ، أنهم سيُدبرون عنه إجابا ، تردّد به العرب فخارا ، إلا أن يقولوا خطأ من علمه ، وهواه من خبره ، فكيف لم يخطّ لآذا في كتبهم حرفا غيره ، ولم يخالف منها شيئا سواه ، سبحان الله ! لقد أكثر المؤمنون العجب من ذهاب الأساقفة بكم ، فاتم إن تنكروا ما يقولون لكم ، مما ليس لدى لب أن يأذن له أن يؤمن به ، ولا أن ينهد إليه

جميعه، يقولون : إن أنبياء الله ورسله ، المبعوثين بالرحمة الى خلقه ، لطقت النبوة منهم ، ووقعت الأخبار المتتلة عليهم ، على صفات الأمور ، وغوامض الخطوب ، فسار الناس عليها ، وأشاروا لهم الى طلبها ، فهي مكررة في مثاني كتبهم ، ويطون مصنفهم ، وأقاويل رسلهم ، وتركوا من كلام الله النبا العظيم ، والأمر الكبير ، والذي ذكر الحكيم ، الذي ملك آفاق الأرضين ، واستفاض على جميع العالمين ، لم يذكره بخير ياترون به ، ولا بشر يثبون عنه ؛ كلا ! ما ترك الله على هذا خلقه ، ولا بهذا وصّف تبارك وتعالى نفسه ؛ إنه لأرحم الراحمين ، وأحكم الحاكمين .

ولئن رجعت الى قلبك ، لتقولن في نفسك : لعمرك لو كان هذا الأمر الذي طلع طلوع الشمس ، وأمتدّ امتداد النهار فبلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وسهول الآفاق وحزونها ، حقاً وصدقاً وعدلاً ، لبشرت الكتب به ، وتبأت الرسل عليه ، ودعت النذر اليه ، تربينا له وترضينا فيه ، وأمرنا به . ولو كان ضلالةً وجهالةً وعميّةً ، لتقنموا في التحذير منه ، والترهيد فيه ، والتنبيط عنه ؛ فيدعو ذلك الى أن تنظروا الى كتب الأنبياء وأقاويل الرسل . فأيُّ الله لئن طلبت لتجدن ، ولئن اجتهدت لتتوفقن . وما الصواب بممنوع ، ولا الخسر بمحذور . ولقد كانت العلماء بالكتب والبصراء بالتأويل تجده ، ولكنها كانت تكتمه بحريف كلام الكتب عن مواضعه ، وصرف تأويل الحكم الى أشباهه ، حسناً من عند أنفسهم وبغياً بعد ما تبين لهم . ثم لقد أقديتم بهم وجرّتم معهم وأخذتم عنهم ، بلا حجة لكم ، ولا قوة معكم إلا الاقتداء بالأباء والاتباع للآثار . فأتى الله في نفسك ، وأتسم الرجال على دينك ، ولا تجعل النظر الى غيرك من ذوى الشك في القلوب ، والفسخ في ...^(١) والتهم في التطيل ، الذين لهم يترى لأرائهم ويقع في أوهامهم أن يقولوا : ففعل ما يتلو عليكم أمير المؤمنين من آيات القرآن ، ويقرّع لكم من حجج الوحي شيءٌ زيد

(١) هكذا في الأصل . (٢) في الأصل «أد ينظروا ...» بيا الغيبة . (٣) كذا في الأصل

وظاهر أن كلمة بعد «في» سقطت من النسخ سبوا .

في المصاحف بعد النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا ما لا يحتمله عقل صحيح ولا نظر قوى ،
وذلك الشاك في شهادات الرجال ، متفقة من بلدان وأمصار مختلفة ، وشعوب وقبائل متفرقة ،
لمس يدعوهم الى ما شهدوا ديناً ، ولا يحملهم على ما اتفقوا عليه دنياً ، لا يستقيم له أن يؤمن^(١)
بما لم تدركه جوارحه وتحيط به حواسه ، لإسقاطه حجة الإجماع وإبطاله شهادة العوام .
وآتفاق المختلفين دلالة واضحة . فهو سالككم عن الحجّة في الإنجيل والبيئة على التوراة ، شكاً
في الرب وتكنياً بالرب ، لما كنت قائله له أو يجيبه به في كتابكم ، فأجبه بمثله في كتابنا وإن
كانت الأحوال منها غير معتدلة ولا مؤلفة ولا مرتققة ولا واحدة ، تعتدل حالهما ،
ويتفق أمرهما ، من كتابكم ما لم تزل به الملائكة وحيا كالقرآن ، ولم يشافه المسيح به
أصحابه باللسان ، إنما كان فعلاً أثبت من بعده ، ولم يكن الفعال موضوعاً بعده^(٢) . وليس
يكتب أمير المؤمنين بهذا اليكم شكاً فيه ، ولا يورده عليكم مرية به .

ولقد علم أمير المؤمنين أن كتب الله عز وجل محفوظة ، وأن حجه مغزونة ، لا يزداد
فيها على تقادم عهد ، ولا ينقص منها على تقارب دهر ، وأن ذلك ثبت في الإنجيل من
بعد عيسى عليه السلام ، وأنه قال لمن أجمع اليه من الحوارين : ” بالوحى أكلّمكم ،
والأمثال أضرب لكم “ . فأمثاله المضروبة كلام ، وكلامه الرائع وحى . ولكن ما بال الشك
يُنْفَى عن كتابكم ، بحجة الاجتماع عليه عندهم ، وهو على ما وصّف أمير المؤمنين لكم ،
وسيان في تنزيل كتابنا ، وقد أدرك شهادة دينه ، إما ما قربا من عهده ومعاينة وحيه^(٣)
 واجتماع على حفظه ، هذا حكم مختلف .

فقل للذين يشكون فيه ويرتابون به : أوقعوا أوهامكم على حالات الأوقات التي
تعرفون ووهما طبقات الرجال الذين يهتمون^(٤) .

فإن قالوا : أمّا طبقات الرجال التابعين ، وحالات زمان أمير المؤمنين ، فذلك
ما لا يسوغ الأقاويل فيه ، ولا تدخل الشبهة عليه ، لأنشأ القرآن وأمتداد الزمان ،

(١) في الأصل : « لا يستقيم له أن يؤمن له بما ... » . بزيادة ” له “ . وهي ثقة في موضعها فظلمها
زيدت من النسخ . (٢) في هذا الموضع اضطراب في الكلمات ، والمراد واضح . (٣) كما في الأصل .

وكثرة الحملة لآياته فيهم ، والحَفَظَةُ للسانه منهم ؛ ولكن الدين الذى نزل به القرآن ، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم . وكيف بوقوع تهمة أو دخول شبهة ، على أقوام [لبث] النبي صلى الله عليه وسلم عشرين حجة فيهم يتلو كتاب الله عز وجل فى كل عام عليهم ، حتى حَلَوْه فى صدورهم ، وحَفَظُوهُ فى قلوبهم ، وَكُرِّرَ فى آذانهم مسموعاً ، وأُمِرَ على أبصارهم مكتوباً ، وجرى على ألسنتهم متلوّاً ، وجمعه كثيرٌ منهم محفوظاً ، ثم تَوَارَثُوهُ فيهم وتداولوه فيما بينهم ، حتى أدَّوهُ الياء ، وأوفوا به عندنا ، من مواضع متفاوتة ، وأصناف وأجناس متباينة ، على كلمة واحدة ! .

فإن قالوا : اتفقت الرجال على الزيادة فيه وأمكنك الحال من الحمل عليه ، فليعلموا أن المؤمنين المخلصين ليسوا فى الزيادة متهمين ، وأن المنافقين الملعدين ليسوا على ذلك بقادرين . وكيف يقدر القليل من المنافقين على مخالفة الجمع من المؤمنين ، بعد ما حَفَظَتْهُ قلوبهم ، ووعته أسماعهم ، ثم تُكْتَمُ القدرة لهم وتُسْتَرِ الزيادة منهم ! هذا ما لا يقدر عليه منافق ، ولا يطيقه مشرك ولا فاسق . وأيم الله أن لو قدرت اليهود على الزيادة فى الإنجيل ، لأنفسوا كتابكم وغيروا دينكم ؛ ولو جعل الله المنافقين على الزيادة فى كتابه قادرين ، لبَدَّلُوا ديننا وغيروا حالنا . لو كانوا لذلك مُقَرِّرين وعلى ذلك مقتدرين ، لكان الذى كَتَبَ به أمير المؤمنين اليكم ، وأورده من حجج الله عليكم ، أولى ما تلقون ، ورأس ما تفترون . فلا تُلقين إلى ما قاله [المضل] سمعك ، ولا تُنصِتِ الدهرَ اليه ذعنك ، فإنه اتَّخَذَ الشكَّ فى كتابنا ذريعةً إلى الإخلال بكتابك ، وسألمنا إلى الشكِّ فى دينك وعلةً فى الطعن على مِلَّتِكَ ؛ ولكن قل ياولى الشيطان : أتى وقع لك إيمان بأنك من ولد فلان ؟ أقول : شهدت الجيرة ، واجتمعت العشرة ، واتفق المختلفون ، فذهب الشك ، وزال الريب ، ووقع الإيقان ، من غير العيان ؟ صدقت . فما بال الشكِّ فيما اجتمعت العامة على القول به ، واتفقت الجماعة^(١) فى الشهادة عليه من آيات الكتب وبيئات الرسل ! وإن ذهب بهذا عن أمره ، وباعده

(١) فى الأصل " فى ديه ... " . (٢) كذا بالأصل

عن شبهه ، فتؤمن أنه من نطفة خلق ، ومن رحم نرج ، فإن جحدوا بي ألا يؤمن بما لا يرى ، قل : أرايت لو كنت سميماً أعمى ، أكنت تؤمن بشيء مما في الدنيا : من سماء أو هواء ، أو بحر أو سبع ، أو أرض أو جبل ، أو شبه ذلك مما لم يدركه العيان ولم يقبله إلا عن الناس ؟ فإن قال نعم ، قل : فهل لك إلا بالاجتماع الكفر بالرب^(١) ، وما لدائه دواء غير الصلب . فأتى الله إذ كنت إماماً وقائداً لأهل ملكك ، لا تقدمهم إلى النار فتحمل أوزارهم مع وزرك .

فأت من أين آيات الوحي ، وأدلى علامات النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يتدع في الدين أمراً من تلقاء نفسه ، ولا يتقدم في الأمور بين يدي ربه . والله أظهر فيها أنزل من الكتاب أموراً كان يحسبها صلى الله عليه وسلم مستورة ، فقال تأديباً له ، وإخباراً لمن آمن من بعده : (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) . وقال : (عَسَى وَتَوَلَّى أَنْتَ جَاءَهُ الْأَنْعَمَى وَمَا يُدِيرُكَ اللَّهُ يَزْكِي أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَتَهُ الَّذِي تَمُنِي أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَإِنَّ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزْكِي وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَإِنَّ مِنْهُ تَلَهَّى كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ) . وقال تعالى : (وَلَوْ لَا أَنْ شَبَّكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرْكُنْ لِإِيْمِهِمْ شَبَّاً قَلِيلاً إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ حَلِيلاً نَصِيراً) . وقال له حين صرف قلبه عن بيت المقدس إلى البلد الحرام حين مكنت القلوب إليها ، وأيسست النفوس بها : (وَلَئِنْ أَتَبْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) . وكانت القبلية التي صرفه الله إليها وأمره بها عظيمة على المنافقين واحة بخلاف الكافرين ، وكبيرة^(٢) إلا على الذين هدى الله من المؤمنين ، فإنهم قالوا : إذا اختلفت القبلتان واختلفت الطاعة فيهما واحدة لا اختلف فيها ولا أفرق عليها . وكيف تختلف الطاعة من رجل بغيري بأمر الله عز وجل ثم هدم يوحى الله .

(١) كما في الأصل (٢) في الأصل : "لمن آمن من بعده إذ يقول ... " وظاهر أن كلمة

"إذ يقول" ضمنية هنا . ظاهراً زيدت منها من النسخ . (٣) في الأصل : "كثيرة ... " ،

فإن قلت : إن الله حَوَّلَهُ عن أفضل القبليين وأقوم الجاهليين ، فلا سواء في الفضل بين والخير السر : قبله سَلَطَ الله عليها الكافرين ولم يمتنعها من الظالمين ، وقبله مَتَعَهَا يَحْنُودَ من صنده ، وعَصَمَهَا بغير ما حَوَّلَ من خلقه ولا حرمة يَدْعِيهَا أَحَدٌ مِنْهَا ، فأرسل طيراً أبابيل تَرْمِي الأعداءَ بحجارة من سِجِّيلٍ ، فجعلهم كَصَفِيفٍ مَأْكُولٍ . فإن قل : هذا خبرٌ تُنْكِرُهُ ، وقول لا نعرفه ، فبأي حديث بعد هذا تؤمن ، وتشهد لله عز وجل أنه من قبيله ، وأتم تعملون أنه أنزل الله عز وجل سورة الفيل على قوم أدركه منهم بشر كثير .

فإن قلت : إن محمداً صلى الله عليه وسلم خَبَرَهُمْ بما عاينوه وأدركوا خلافه ، قل : إنه أراد أن يفرِّقهم عنه ويوحشهم منه ، وأحب أن يرموه بالكذب ، ويقذفوه بالحق ، ويصمونه بالحنون ، ويظنون به الظنون ، كلا ! ما كان نبي ولا غير نبي ليُجاهد أقواماً بخلاف ما رأت أبصارهم وشاهدت آباؤهم ، فيخبرهم بخلاف ما شهدوا ، وتكذيب ما عاينوا . فلا تكون في هذا من המתرين ، ولا بأمر الفيل من المكذِّبين .

فلعمرك الله لو كان من أمر النبي صلى الله عليه وسلم ما تُلْحِدُ أنت وقومك إليه لما قام معه رجلان ولا اختلف فيه سيفان . وإن فيما صنع الله عز وجل بالفيل وأتباعه ، دلالة على قبلة الله وأنيائه . فأتق الله ! فقد شرح أمير المؤمنين علامات النبي صلى الله عليه وسلم وكشَفَ الأغطية لك عن النور بآيات الوحي . فإن مالت الأهواءُ بك ، وظَلَّتْ الأسافقةُ عليك ، وحضرِكَ الرؤساءُ الذين يعملون مع الله آلهةً أخرى بلا حجة عندهم ، ولا سلطانٍ أُلْهِمَ قُلُوبَهُمْ : أنبؤني عما أجمعت عليه النصرانية وذعبت إليه بهم المعاني من تشقيق الكلام وتهريف الكتب : أحروُفٌ تَعَسَّفُونَهَا ، أم لغةٌ تَعْرِفُونَهَا ؟ فإن قالوا : إنهم بغير لغةٍ يتكلمون ، فهم إذاً قوم يلعبون . وإن قالوا : إنهم يتكلمون بلغة معروفة ومعاني معلومة ، فقل : أخبروني عن قولكم : أب وأبن ، أما ما تعترف العقول من المنطق ويقع في القلوب من المعنى أم لا ؟ فإن قالوا : لا ، ليس ذلك بالذي

تذهب أوهم العباد إليه، ولا بالذى تقع الحقائق فى الآباء والأبناء عليه، إنما هو كقول الله عز وجل فى التوراة لإسرائيل: "بكرى" لا يعنى ولادة الرحم، وكقول المسيح عليه السلام للحواريين: "أتم إخوانى" لا يعنى أخوة النسب، فلذلك قول لا يحدون معه بدءاً من أن ينسبوا عيسى عليه السلام بدءاً. وإن قالوا: بل هو ما تجرى به ألسن العباد، ويقع فى قلوب الخلق من الولادة المعروفة والأبوة المعلومه، فليخبرونا متى كان الأب والدنا، والابن مولودا: أقبل الولادة أم بعدها؟ فإن قالوا: قبلها، رجعوا عن القول الأول بثبوت الأبوة. إلا أن ذلك ليس بالشئ الذى تذهب إليه الأوهام، ولا بالمعنى الذى يقع فى قلوب الأنام.

ولا بد إذا سقطت الولادة المعروفة وسقطت الأبوة الموجودة، أن يقولوا: إن الأب والابن آسمان خلقا على غير معنى، وتسميان أضيفا إلى غير حق، فيفترون أن عيسى عليه السلام خلق مثلهما، وأنهم يتكلمون بغير لغة أحد منهم.

وإن قالوا: إنما كان الابن مولودا والأب والدنا بعد الولادة، فقد أقروا بأن الابن حدث مخلوق وعبد مربوب، لقولهم إنه لم يكن حتى ولد، ولم يولد حتى خلق. وقيل لمن يقول الزور العظيم، ويهذف بالإفك المبين: أليس الأب أباً على حياله ولم يزل، والابن أبنا يُجِل، وروح القدس كذلك؟ فإن قالوا: نعم، فقد أقروا بأنهم ثلاثة متباينة، وقت عليهم ثلاثة أسماء متفاوتة، وتركوا قولهم: إنهم ثلاثة أصلهم واحد.

وإن قالوا: الأب والابن وروح القدس واحد، ولكن بعضه أب وبعضه ابن وبعضه روح القدس، فقد دخلوا فى التحديد الذى هو عيب عندهم، وقالوا فى التبعض بما هو كفر قبلهم. وإن قالوا: ليس مبعضاً، ولا مجزأً، ولا محدوداً، ولا ثلاثة متباينين، فإذا هم قوم يلعبون: يقولون: الأب ابن، والابن أب، والوالد مولود، والمولود والد، والكبير صغير، والصغير كبير، والقليل كثير، والكثير قليل. وهذا من أين المحال وأخلف المقال. وليس من المنطق مالا يوجد فى لغة حرب ولا عجم، ولا لسان أمة من الأمم. وإنما

أرسل الله عز وجل كل نبي بلسان قومه ليبين لهم ، فيُفْضِلَ الله الظالمين . ولولا ذلك لَمَا
فَهِمَتِ الأُمَمُ مذاهبَ أقاويل الرسل ولا معاني أحاديث الكتب . فلا تُطْعَمُ الذين يلعبون
بأنفسهم ، ويتكلمون بنيرانهم ، ويقولون : الثلاثة واحد ، والواحد ثلاثة ؛ وهذا محالٌ
في تجارى المقال ، ومعاني الفعل .

لعمرك الله لئن آتيت عقولَ الأساقفة على دينك ، وأهتممتَ بالنظر في توحيدك ،
لتعلمن أن الواحد لا يكون ثلاثة وأن السلاثة لا تكون واحدا ، إلا على وجه ماله شأن يقول
به ، ولا منه مخرجٌ تستريح إليه . فآلتي نحوه سمعك ، وأنصت إليه فهمك ؛ فإن أمير المؤمنين
واصفه لك ، وليس واقعا إلا على المخلوقين ، ولا لازما غير المحدودين ، ولا داخلا على رب
العالمين : وهو أن يكون الشيء أصله واحد وأجزاؤه كثيرة ، من نحو الانسان ، وهو أصل
يجمعه اسم ، وله أجزاء تليها أسماء ؛ فليس الجزء بالأصل ، ولا الأصلُ بالجزء ، ولكن الجزء
بعض الأصل . فإذا أردتَ الجزء ، قلت يد الانسان وسمع الانسان . ولولا أنه محدود مخلوق
مجزأ مبعض لما جاز هذا القول فيه ولا دخل هذا المثل عليه ؛ وكذلك الشمس : الأصل
واحد ، وهى شمس ، والأجزاء كثيرة وهو عينُ الشمس وضوءُ الشمس وشُعاعُ الشمس ودفئُها
وغلظها وحرورها وأعلامها وأسفلها وأشباه ذلك .

فلئن قلت : سميتُ كل جزء من الأجزاء على حياله إنسانا ، وكل جزء من الشمس دون
أصله شمس ، ونسبتَ فعلَ الأصل الى بعض أجزائه ، وتركتَ أن تنسبَ الأصلَ فاعلا لبعض
الأجزاء ، كما تقول : بسطَ الانسانُ يده ، ومتى برجله ، ونظر بعينه ، ثم ضربتَ ذلك الله
عز وجل مثلا وجملتَ الله له قياسا ، فقلت : الأصل واحد ، وهو الله عز وجل ، والأجزاء
كثيرة وهى أب وأبن وروح القدس ، وكل جزء منها إله على حياله وربٌ دون غيره ، لم يَجِدْ
بدا أن تُلْحِقَ البد والعينَ والنفس بالأب والأبن وروح القدس ، فتكثرَ ألهتك ، وتحدّد
ربك ، وتتركَ قولك : إن الله ليس محدودا ولا مجزأ ولا مبعضا ؛ إلا أن يكون إنما تريد مذاهب
الأسماء فتقول : المعنى واحد ، وهو الله عز وجل ، والأسماء أب وأبن وروح القدس .

فإن كنتَ تحول هذا وكنتَ إنما تعبد أسماء، لما تجدد بدأ من أن تعبدَ الأسماء كلها وتقول : إنها آلهةٌ على جِبالها ، حتى تقول باسمِ أرحمى ، وبثانٍ اغفر لى . فاتقوا الله يا أهل الكُلاب ؛ فإن الله عز وجل ليس بأب ولا ابن ولا أم ، ولكن له الأسماء الحسنى فأدعوه بها ، وذروا الذين يُليحون فى أسمائه سيجزَوْنَ ما كانوا يعملون .

فإن أشارت الأساففةُ الى بعض الإنسان باليد والرجل وأشباه ذلك وقالوا ليس لإنساناً ، قل لا ، ولكنه للإنسان ، وقل هو إنسانٌ بكالهِ . وكذلك إن أشاروا الى بعض الشمس فقالوا : ليس هذا الشمس طالعا ، قل لا ، ولكنه بعضها ، ولو كانت الأسماءُ التى تقع أبصاركم عليها وتسير أيديكم اليها من الشمس والسماء والهواء شمساً وهواءً وسماءً لكانت الشمس والهواء والسماء أكثر مما يُلغى الإحصاء . ولو قصدتَ بالإجابة لمسالك هذه الأودية ، لبطلتِ الحجج الداحضة وأتقطعت الأفاويل المتناقضة . وسل من قبلك من أساقِف أمّتك وتُماسِة أهل مِلَّتِكَ الذين يزعمون أن عيسى المسيح ، ويرفضونه أن يكون عبداً : على أى شىء وقع اسمُ المسيح من عيسى : على الروح أم الجسد أم على كليهما ؟ فإن قالوا : وقع على الروح نفسه ، لأن الروح إلهٌ دون غيره ، فقد أقروا بأن إلههم يأكل ويشرب ، ويمشى ويركب ، لأنهم يحدون ذلك من فعل عيسى مبیناً قِبَلَهُمْ ، موصوفاً عندهم . فإن قالوا : وقع اسمُ المسيح على الجسد بعينه ، فكان الجسد هو المسيح إذاً دون غيره ، والمسيحُ إذاً مخلوقٌ عندهم ، والإله إنسانٌ إذاً مثلهم ، قَلِمَ يعبُدون المخلوق ويدعون من خَلَقَهُ وبرَّاه . وإن قالوا : وقع الاسم على الروح والجسد جميعاً ، فن يحدوا محرّجاً ولا بدأ ولا حييماً ، اذا أوقموا الاسمَ عليهما ، من أن يُضيفوا الأعمالَ إليهما ، فيقولوا : إن الجسد المخلوق هو خَلَقَهُمْ ، وإن الروح الخالقة قد ماتت قِبَلَهُمْ ، وذلك لما يحدون من ذكر موتِ عيسى عليه السلام فى الكُتُب عندهم وفى الإنجيل الذى قِبَلَهُمْ . وسل من قبلك عن الأب والابن ، فقل أيهما أعظم وأيهما أصغر ؛ فإن قالوا : الأب أعظم والابن أصغر ، فقد جعلوهما متباينين . وإن قالوا : هما واحدٌ وكلاهما عظيم ، وليس الأب بأعظم من الابن ،

ولا الابن بأصغر من الأب، فقد قُضِ حيلته جوابهم، وأكتب المسيح عليه السلام كلامهم، حيث يقول: «لو كنتم تحبوننى لفرحتم حيث أذهب الى إلهى فأنا إلهى أعظم منى» فلم يقل أعظم منى، إلا وهو مقرر بأنه أصغر منه. وسلمهم عن قول المسيح: «أنا أذهب الى إلهى وإلهكم»، قل: من هذا الإله الذى ذهب عيسى إليه صلى الله عليه وسلم: إله فى السماء متباين منه مقطوع عنه؟ فهما اذا اثنان متباينان، أم إله كان به متصلاً وكانا جميعاً واحداً؟ فكيف اذا يجوز له أن يقول اذا أذهب إليه! إلا أن يقولوا: إن بعضه ذهب الى بعض! وهذا مما لا يجوز عندهم فى صفة الرب عز وجل.

وسل من قبلك: أخرج المسيح من بطن أمه مريم بكاله حتى كان البطن منه فارفاً وكان هو منه بكاله خارجاً؟ فإن قالوا: نعم، فقد أنكسر قولهم: إن الله بكل مكان. وإن قالوا: لم يخرج المسيح ولم يخل البطن، فقد كذبوا اذاً فى قولهم: إنه قد خرج، وأقروا أنه قد ولد. تعالى الله عما يصفون، وتزه عما يشركون. وسلمهم لم يهبط عيسى الى بطن مريم، وتجسد باللحم والدم، فإن قالوا: ليحقق الخطايا من الأرض ويربط الشيطان عن الخلق، فقل: كيف اذا لم يربطه عن نفسه! وكيف جلاباه من اليهود بصلبه! ولم سلط على أهل دينه يُقبَّون فى كل شئ ويُقتلون بكل واد!

وقل للذين يقولون: إن الخالق فى كل مكان من السماء والأرض وغير ذلك: أيهما أعظم: المحيط المشتمل، أم المحاط المشتمل عليه كما يقولون؟ تعالى الله عما يشركون. فإن قالوا: إنما ألحم بعضه دون بعض، فقد حدوا وبعضوا وقصوا وأتقصوا، وإنا قالوا فلن يحدوا بداً من أن يقولوا: إن بعض المسيح الذى جعلوه ربهم، وهو إله عندهم، ميت بعضه جيفة، وإن بعضه حى طيب؛ لأنهم زعموا أنه ألحم يجسد حى فيه

(١) الوارد فى إنجيل يوحنا (فصل ١٤ آية ٢٨ ج ٣ ص ١٨٦ من الكتاب المقدس طبعة بيروت سنة ١٨٨٢ م):

«فلو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بأنى ماض الى الأب لأن الأب هو أعظم منى».

(٢) الوارد فى إنجيل يوحنا (فصل ٢٠ آية ١٧ ح ٣ ص ١٩٦ من الكتاب المقدس): «بى صاعد

بن وأبيك وإلهى وإلهكم» . (٣) كذا بالأصل .

روح، فلا بدّ إذاً أن يدخل عليه ما يدخل على الأجسام الحية من الخوف والفرح والعطش وأشباه ذلك، وهو عندهم كفر عظيم وإنك مبين . فأتق عقوبة الله ربك، ولا تمسّ ميكاً على وجهك، ولكن أطلب وأتمس وأبحث؛ فقد قال عيسى عليه السلام في الإنجيل :
 «^(١) مَنْ سَأَلَ أُعْطِيَ وَمَنْ طَلَبَ وَجَدَ وَمَنْ اسْتَغْنَى فَتُخَّعَ لَهُ » .

اجتمع العلماء والبصراء [الذين] عندك، والأساقفة والرهبان الذين قبلك، قل : لأى شيء تسبّهم المسيح إلهاً وجعلتموه رباً؟ ونجد الله سماءه في الكتاب ابناً، وقد تجدونه قال :
 «^(٢) إِنِّي أَهْبُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَالْهَيْمَنُ أَيْضاً » . وهذا كلامٌ يحتمل وجهين أحدهما أولى به، وقولٌ لا يحتمل إلا وجهاً وهو الرُؤية . أم كيف تنظرون إلى كلامه : «أذهب إلى أبي وأبيكم» . فتفقدونها في نفسه وقد قالها فيه وفي غيره !

فاتق الله وكن من القائمين بالحق، الموحدين للرب . إن أمير المؤمنين قد ضرب لك أمثالا جمّة، وصرف اليك مسائل كثيرة، وبين لك من آيات النبي صلى الله عليه وسلم وعلامات الوحي قليلاً من كثير، وامحها من تفسير، لاتمتنع العقول من التصديق به، ولا القلوب من الإقرار به .

وسيدك لك أمير المؤمنين من علامات النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، ما يكتفى به، إن شاء الله، وبالسيرة منه؛ لأن كتب الله عز وجل محفوظة، ومجبه محروسة، لا يزداد فيها ولا ينقص منها . وإذا وجدت فيها كلمة تدلّك على حق وتهديدك إلى رشد، فليست واجداً أخرى تصبّلك عنه وتشكّكك فيه، إذا تلى ذلك بالحق ووضع على الصدق . ولكن ضلّت اليهود والنصارى بتحريف تأويل الكلام، وتصريف تفسير الكتب . وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق .

(١) الوارد في إنجيل متى (فصل ٥ آية ٤٢ ح ٣ من الكتاب المقدس) : «من سألك فأعطه . ومن أراد أن يقتصر منك فلا تمنعه» . والوارد في إنجيل لوقا (فصل ١١ آية ١٠ ح ٣ من الكتاب المقدس) . «من يسأل يعطى ومن يطلب يجد ومن يفرح بفرد يفرح له» .

من ذلك ما قد شهد به عيسى عليه السلام عندكم وبينه في الإنجيل لكم ، إذ قال للحواريين ^(١) : « أنا أذهب وميايكم البارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه إنما يقول كما يقال له ، وهو يشهد على وأنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس بالخطيئة ، وكل شيء أخذ الله لكم يضر بكم به » . وترجمه البارقليط : أحمد . هذا ما لا شك ولا مرية فيه ، وهو الذي يُخبر بما وعد الله المؤمنين وصالحى الحواريين في القرآن ، ولستم تجدون ذلك في التوراة ولا في الإنجيل .

ومن ذلك قول أشعيا النبي عليه السلام : « قبل لى : اقم بطارا ما ترى بخبرى ؟ قال : ^(٢) أرى راكبين بعيرين مقبلين أحدهما يقول لصاحبه : سقطت بابل وأصنامها المصنوعة » . ^(٣) ولسنا نعلم نبيا ركب بعد موسى صلى الله عليه وسلم بعيرا إلا محمدا صلى الله عليه وسلم كثيرا . ومن ذلك قول داود عليه السلام : ^(٤) « اللهم ابث جاعل السنة كى يعلم الناس أنهم بشر » يقول : كى يتبين الناس أن عيسى عليه السلام إنسان . ولسنا نعلم نبيا وضع سنة تُنسب إليه إلا محمدا صلى الله عليه وسلم . أما عيسى فإنه نصب سنة موسى عليه السلام .

ومن ذلك قول حبقوق النبي ^(٥) في زمان دانيال : « جاء الله من السماء والقديس من جبال فاران ، وأمتلأت السماء من تمجيد أحمد وتقديسه ، ومسح الأرض يمينه ، وملاك رقاب الأمم » . وقال أيضا ^(٦) : « قضى لنوره الأرض ، وتحمّل خيله في البحر » . فالى من

(١) راجع إنجيل يوحنا (فصل ١٤ آية ٢٦ وفصل ١٥ آية ٢٦ وفصل ١٦ آية ١٢ ج ٣ ص ١٨٨ من الكتاب المقدس) .

(٢) راجع نبوة أشعيا (فصل ٢١ آية ٩ ج ٢ ص ٣٤٨ من الكتاب المقدس) . (٣) كذا بالأصل ، ولم يوفق الى تصحيحه . (٤) في الأصل : « المسرة » وقد استأنسا في إثبات ما أثبتناه بالكتاب المقدس .

(٥) راجع سفر الزمائر (فصل ٩ آية ٢١ ج ٢ ص ٥٢ من الكتاب المقدس) . (٦) راجع نبوة حبقوق (فصل ٣ آية ١٥ ج ٢ ص ٧٠٩ من الكتاب المقدس) . (٧) في الأصل : « من البلاد ... » .

(٨) راجع نبوة حبقوق (فصل ٣ آية ١٥ ج ٢ ص ٧٠٩ من الكتاب المقدس) .

ينحو هذا القول، وإلى أين يُلْهَبُ بهذا المعنى؟ لئن نُحِبَّ به إلى غير الذي [تعمل] خياله^(١) في البحر، وبدأ من جبال فاران أمره، وغلب على الأرض ومسحها، ومَلَك رِقَابَ الأمم كلها، لقد تركتم الحق وأتممتموه.

ومن ذلك قول داود عليه السلام في الزبور^(٢): "صَدَّقُوا رَبَّ تَسْبِيحًا حَدِيثًا سَبَّحُوا الَّذِي هَلَّلَهُ الصَّالِحُونَ". ليفرح إسرائيل بخالفه ويتوب صهيون من أجل أن الله اصطفى له أمته، وأعطاه النصر وسدّد الصالحين بالكرامة، يسبحونه على مَضَاجِعِهِمْ، ويكبرون الله بأصوات عالية، بأيديهم سيوف ذات شَفَرَتَيْنِ، ليقيم الله من الأمم الذين لا يعبدهونه، ثم يقيّد ملوكهم بالقيود وأشراقهم بالأغلال. "فَاتِمَّا أُمّةٌ يَكْبُرُونَ اللَّهَ بِأَصْوَاتٍ وَأَذَانِ الصَّلَوَاتِ الدَّائِمَةِ وَعَلَى كُلِّ شَرَفٍ وَعِنْدَ كُلِّ حَرْبٍ، وَاتِمَّا أُمّةٌ كَانَتْ سِيوفُهَا ذَاتَ شَفَرَتَيْنِ إِلَّا أُمّةٌ مَحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!"

ومن ذلك قول أشعيا^(٣): "سَبَّحُوا رَبَّ تَسْبِيحًا حَدِيثًا، وَيَسْبَحُهُ مِنْ آفَاقِ الْأَرْضِ فَرِحَ يَكُونُ فِي بَنِي فَيَارَ". وبنو فيار قريش أهل فاران الذي نزل فيه القرآن. واتِمَّا أُمّةٌ تَسْبُحُ مِنْ آفَاقِ الْأَرْضِ إِلَّا أُمّةٌ مَحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. عَدَى أَكْدَى^(٤).

ومن ذلك قول أشعيا^(٥): "عَبْدِي الَّذِي وَجِبَ بِهِ حَيِّي الَّذِي بَشَرْتُ بِهِ نَعْمَى أَفِيضَ عَلَيْهِ رُوحِي، يُوصِي الْأُمَمَ بِالْوَصَايَا، لَا يَضْحَكُ وَلَا يُسَمِعُ صَوْتَهُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَيَفْتَحُ الْعَيْنُونَ الْعُورَ، وَيُسَمِعُ الْأَذَانَ الصَّمَّ، وَيُنْجِي الْقُلُوبَ الْغُلْفَ، وَمَا أُعْطِيهِ لَا أُعْطِي غَيْرَهُ، أَحْمَدُ يَمْدُ اللَّهِ حَمْدًا حَدِيثًا، تَهْلِيلُهُ يَأْتِي مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ، يَمْحُوزُ الْمَاءُ بِشِدَّةِ أُمُوجِهِ، وَيَعْرُجُ وَكَوْرُهَا، سَكَانُهَا يَمْدُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ، وَيَكْبُرُونَهُ عَلَى كُلِّ رَابِيَةٍ".

(١) زيادة يدل عليها ما قبلها. (٢) في الأصل: "وسحها..." (٣) راجع سفر الزمير (فصل ١٤٩ آية ١ - ٩ ح ٢ ص ١٥٧ من الكتاب المقدس). (٤) في الأصل: "هلكه الصالحون..." (٥) راجع نومة أشعيا (فصل ٤٢ آية ١٠ ح ٢ ص ٣٧٦ من الكتاب المقدس). (٦) كذا في الأصل، ولعله محرف عن «فوح». والفتح: الجماعة من الناس. (٧) كذا بالأصل، ولم ندر لها تين الكلتيين ولا لذكرهما معنى. (٨) راجع نومة أشعيا (فصل ٤٢ آية ١ - ١٠ ح ٢ ص ٣٧٦ من الكتاب المقدس). (٩) كذا بالأصل.

(١١) ومن ذلك قول داود عليه السلام في المزمور الخامس والأربعين، يقول الله عز وجل
 لمحمد في الزور : "انصبت رحمي على شفتيك من أجل ذلك باركك الدهر" (١٢) ، فقد
 السيف على الأمم ، أيها الجبار على الأمم بالقتل والأمر والسلب بهاك وحمدك أحمد على
 الرمتك كلمة الحق وذلك لك الأشياء سيفك محمده يمينك ونبالك مسمومة وتسقط
 عند الأمم . فأي نبي كان على الأمم جبارا ولم يأنز الله تعالى إلا نبينا صلى الله عليه وسلم .

(١٣) ومن ذلك في آخر التوراة : "جاء الله تبارك وتعالى من سيناء وأشرف من ساعير
 واستبان واستعلن من جبال قارآن ، وجاء من يمينه ربوات القديسين" . وتفسير هذا
 أن الله عز وجل أنزل التوراة على موسى في طور سيناء ، وأنزل الإنجيل على عيسى عليه
 السلام في جبل ساعير وهو جبل بالشام ، وأنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في جبال
 قارآن وهي بلاد مكة . وأتم تعبدون ذلك في كتبكم مكررا وتعرفونه جميعا بقلوبكم .

(١٤) ومن ذلك قول الله عز وجل لموسى عليه السلام "سأقيم لهم من إخوانهم مثلك أجعل
 كلامي على فهمه ولا يتكلم إلا بما أمره به" . فمن إخوانه بني إسرائيل إلا بنو إسماعيل !
 أما تعلم أن لو كان الله عز وجل يبنى أحدا منهم لقال لهم : أقيم لكم نبيا منكم !

فإن قلتم إنما قال من إخوانكم ، وهو يريد من أنفسكم ، فهب أمير المؤمنين قبل هذا
 الخلف منكم ووسع في هذا المجال لكم ، فكيف تصنعون بقول الله عز وجل في التوراة :
 "مثل موسى في بني إسرائيل لا يقوم" فهل تعبدون من هذا تحرجا ، ومن الإيمان أن المعنى
 وقع على محمد صلى الله عليه وسلم بذا .

-
- (١) راجع سفر الزمير (فصل ٤٤ « وفي بعض النسخ ٤٥ » آية ٣ — ٨ ج ٢ ص ٧٩ من الكتاب المقدس) . (٢) في الأصل : « في حصة وأربعين زمورا » . (٣) في الأصل : « من أجل ذلك باركك الدهر » . واستنتا في تصحيحها بالكتاب المقدس الذي وردت فيه الجملة هكذا : « وقد اسكت العمة على شفتيك فذلك باركك الله إلى الأبد » . أما الباقي فلم نوفق إلى تصحيحه فاشتبهنا كما وردت بالأصل .
- (٤) راجع سفر تثنية الاشتراع (فصل ٣٣ آية ٢ ج ١ ص ٤٤٣ من الكتاب المقدس) .
- (٥) راجع سفر تثنية الاشتراع (فصل ١٨ آية ١٥ ج ١ ص ٣١٨ من الكتاب المقدس) .

ألا تسمع قول الله عز وجل : « أَجْعَلْ كَلَامِي عَلَى فَمِهِ كَمَا يُنْقِ بِهِ ، أَمْ لَا يَفْقَهُ » ولا يكتب .

أوليس قد أمر عيسى عليه السلام حوارييه أن يقولوا في صَلَّوَاتِهِمْ : « يَا أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقْدِسْ أَسْمُكَ » . كيف صار عيسى دونهم أبنا ، وصار له دونهم أباء ، وهم يقولون : يَا أَبَانَا ! أم كيف لم يُجْعَلْ سَلِيَانُ بْنُ دَاوُدَ لِهَامًا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِدَاوُدَ : « يُؤَلِّدُ لَكَ غُلَامًا يُسَمِّي لِي وَأُسَمِّي لَهُ » ! ولم لا يصحِّلون إِسْرَائِيلَ لِهَامًا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ : « أَنْتَ بِكَرْبَى » ! بل لَمْ لَا يُسَمُّونَ الْمُؤْمِنِينَ عَامَّةً وَالْحَوَارِيَّينَ خَاصَّةً [آلهة] ، وَقَدْ قَالَ الْمَسِيحُ لِلْحَوَارِيَّينَ : أَنْتُمْ إِخْوَتِي ، وَقَدْ قَالَ فِي الْإِنْجِيلِ : « أَحْبِبْ كُلَّ مَنْ آمَنَ بِي سُلْطَانًا يُدْعَى لَهُ » . وَإِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ لِلْمَسِيحِ إِخْوَةً أَفَلَا تَجْعَلُونَهُمْ كُلَّهُمْ آلِهَةً ! وكيف يقولون : إِنْ عِيسَى ابْنُ اللَّهِ ، وَهُوَ يَقُولُ فِي مَوَاضِعَ جَمَّةٍ وَأَمَا كُنْ كَثِيرَةً إِنَّهُ ابْنُ الْإِنْسَانِ ! فكيف يكون ابْنُ الْإِنْسَانِ ابْنُ اللَّهِ ؟ وَمَتَى كَانَ ذَلِكَ ؟ لَئِنْ قَالُوا : إِنْ عِيسَى لَمْ يَزَلْ ابْنُ الْإِنْسَانِ ، لَقَدْ جَعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِنْسَانًا قَدِيمًا وَجَعَلُوا اللَّهَ إِنْسَانًا حَدِيثًا ، وَجَعَلُوا الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ لَمْ يَزَلْ ، وَابْنُ الْإِنْسَانِ فِيمَا حَدَّثَ . وَهَذِهِ أُمُورٌ مُتَنَاقِضَةٌ ، وَجَمِيعٌ دَاحِضَةٌ ، وَأَقَاوِيلُ فَاحِشَةٌ .

فَإِنْ قَالُوا : إِنَّمَا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ لِأَنَّهُ رُحَّ إِلَى السَّمَاءِ ، فَلْيَعْبُدُوا الْمَلَائِكَةَ فَإِنَّهُمْ فِي السَّمَاءِ قَبْلَهُ ، وَإِدْرِيسَ قَدْ رَفَعَهُ اللَّهُ وَغَيْرَهُ . وَإِنْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَسِيحَ لِأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ ذَكَرٍ ، قَادِمٌ وَحَوَّاءٌ لَمْ يُخْلَقَا مِنْ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى ، وَلَمْ يَقَعَا مِنْ غَمِّ الرَّحْمِ وَضَيْقِ الْبَطْنِ وَحَالِ الصَّبَا فِيمَا [وَقَعَ] فِيهِ الْمَسِيحُ .

وَإِنْ قَالُوا : إِنَّمَا نَعْبُدُ عِيسَى لِأَنَّهُ أَحْيَا الْمَوْتَى ، فَمَا أَحْيَا حَزَقِيلَ أَكْثَرَ ، وَمَا كَانَ مِنَ الْيَسَّعِ تَلْمِيزُ الْإِبَاسِ أَعْجَبَ ، لِأَنَّهُ أَحْيَا الْمَوْتَى بَعْدَ مِثْنَيْنِ مِنَ السَّنِينَ . وَإِنْ طَلَبْتَ ذَلِكَ فِي سِيرِ الْمُلُوكِ عِنْدَ قِصَّةِ الْيَسَّعِ أَصْبَحْتُمُوهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) راجع لإنجيل متى (فصل ٦ آية ٩ ج ٣ ص ١٠ من الكتاب المقدس) . (٢) في الأصل : « وصار دونه أباً ... » . (٣) لم يجد هذا في الإنجيل . (٤) حزقيال نوحه الله تعالى إلى بني إسرائيل ، وهو الذي أحيا الله . القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فأحياهم الله تعالى بعد موتهم بدعوته . وهو ما يشير إليه قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَرَّبُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ) الآية .

وإن كانوا إنما يعبدون المسيح من أجل الأسقام التي أبرأ والمجائب التي أرى ،
فمجايب موسى أعجب وآياته أعظم . أين ما ذكرت لك من [عجايب] عيسى من عجائب
موسى : من انقلاب البحر له ، وسلوك الجيش معه ! أم أين ذلك من حجر يضربه فيتنفجر
بميون الماء ، ويحمله معه حيث شاء ! بل أين تلك وهذه وغير هذه من الآيات من حبس
يُوشَعَ الشمس ثلاث^(١) ساعات ! وكل ما صنع موسى وعيسى وغيرهما بإذن الله وأمره وقدره
وقضائه . فأتق الله وكن من القائلين بالحق ، الموحدين للرب ، ولا تهمل على عيسى ما لم
يقُلْ ؛ فإنكم لا تمجّدونه قال لكم في شيء من كتبكم : اعبدوني فإني ربكم . تعالى الله عما يقول
الظالمون ، ويذهب إليه الجاحدون .

وإن أمير المؤمنين قد أحب أن ينصح لك ، في أوّل داريك بك وأهم شأنك لك ،
فدعاك إلى الإسلام وأمرك بالإيمان الذي به تدخل الجنة وتجو من النار . فإن قبلتَ
فحَقَّكَ أصبت ، ونفسك أحرزت ، ولك ما للمسلمين ، وطيبك ما عليهم . وإن رددتَ
نصيحة أمير المؤمنين فيما فيه الخطأ في آخرتك ، فإن أمير المؤمنين ينصح لك فيما فيه الصلاح
في عاجلتك : من إعطاء الجزية التي يحقن الله بها دماءكم ويحزم بها سبائككم ، ويجعلها قواماً
لمعاشكم ، وصلاًحاً لبلادكم ، وتوفيراً لأموالكم ، وأماناً لجنابكم ، وسعةً لسيركم ، وبركةً على
نقراكم ، ورفقاً لأهل الحاجة والفاقة والمُسْكَنَة منكم .

وإن يذكر أمير المؤمنين في الجزية لكم من حلول الأمن فيكم ، وعموم العافية لإياكم ،
واستقامة البركة عليكم ، وكَفَّ أيدى المسلمين عنكم ، وبَسَطَها على الأعداء منكم ، شيئاً إلا
وفي قليل ما كان من أشباه ذلك أيام تلك الفدية التي كان الله أجرى نعمتها لكم على يده ،
دفع بركتها عليكم من قبله ، ما يدلُّكم على صدق أمير المؤمنين فيما يذكر ، ويشهد له على
حقه فيما يقول إن شاء الله . فقد تعلمون أن الله قد أدخل على كل طرف من أطرافكم ،

(١) إشارة إلى قصة يوتسح بن نون في موسى عليها السلام واستيقافه الشمس ؛ فقد روى أن يوشع قاتل

الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراقه ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه ،

فدعا الله تعالى ، فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم . (٢) السرب : الطريق .

وَصِفَتْ مِنْ أَصْنَانِكُمْ، بِتِلْكَ الْقَدِيَّةِ، أُمُورًا عَظِيمَةً الْبَرَكَةِ، وَأَسْعَةً الْمُنْعَةِ، فِي أُمُورٍ خَيْرٍ وَاحِدَةٍ :

منها : أَنْ قَادَةَ جُنُودِكُمْ وَسَامَةَ حَرْبِكُمْ ، كَانُوا بِمَدِّ وَقَرَحِ أَمْرِهَا وَأَسْتَحْكَامِ عَقْدِهَا ، فِرَاقًا نَهَارِيَّةً أَعْدَانِكُمْ وَمَنَاصِبِيَّةً مِنْ نَاوَاكُمْ ، بَيْنَ أَنْ يَسْتَجْمِعُوهُمْ فِي بِلَادِهِمْ وَيَتَرَلَّوْا طَيْبِهِمْ فِي دِيَارِهِمْ ، وَلَا يَرْهَوْنَ تَمَقُّبَ بَشِيرَانِ سَارُوا فِي أَرْضِهِمْ ، وَلَا يَقْتَفُونَ طِرَاقًا إِنْ أَجْتَمَعُوا لِقَاتِلَهُمْ أَنْ يَقِيمُوا فِي خَفِيزٍ وَدَعَةٍ ، وَأَمْنٍ وَسَعَةٍ ، مَعَ الْأَزْوَاجِ وَالْأَوْلَادِ وَالْعِيَالِ وَالْأَوْطَانِ وَالرَّيَاحِ وَالْمَحَالِّ ، وَهُمْ الْيَوْمَ يَتَقَبَّوْنَ الْجِيُوشَ مِنْ كُلِّ شَعْبٍ وَيَقْتَفُونَ الْخُنُوفَ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، لَا يَهْدَأُ لَهُمْ جَاشٌ ، وَلَا يَسْكُنُ لَهُمْ قَرَحٌ ، وَلَا يَنَامُ لَهُمْ لَيْلٌ ، وَلَا يَأْمَنُ فِيهِمْ حَالٌ ، قَدْ قَطَعْتَ الْمَحْمُومُ دَابِرَهُمْ ، وَأَصْمَرَتِ الْمَخَاوِفُ جُنُوبَهُمْ ، وَأَسْتَاحَلَتِ الْجُنُودُ أُمُورَهُمْ .

ومنها : أَنْ أَهْلَ الْحِرَاةِ وَالْإِخْوَانِ الْعَارَةِ ، فِي بِلَادِكَ وَأَطْرَافِ أَرْضِكَ ، كَانُوا سِرَاقًا إِلَى عِمَارَةِ أَرْضِهِمْ وَإِصْلَاحِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ، فِيمَا لَا قِيَامَ لَهُمْ وَلَا مَعَاشَهُمْ إِلَّا بِهِ ، وَلَا بَقَاءَ لَدَيْهِمْ إِلَّا مَعَهُ ، قَدْ أَسْنَا الْجِيُوشَ وَمَعَرَّتْهَا ، وَالْجُنُودَ وَبَادَرَتْهَا ، وَأَنْتَشَرُوا لِلْعَارَةِ ، وَأَبْتَكَرُوا فِي الزَّرَاعَةِ ، فَارْقُوا رِمَوسَ الْجِبَالِ وَالْحَقَامَ الْغِيَاضِ ، وَرَاحُوا فِي أَوْسَاطِ أَوْطَانِهِمْ وَنِظَالِ مَحَالِّهِمْ ، يَشْقُقُونَ الْأَنْهَارَ ، وَيَفْرِسُونَ الْأَشْجَارَ ، وَيُجَرِّوْنَ الْعِيُونَ ، حَتَّى تَمُتَ الْأُمُورُ ، وَأَخْضَرَّتِ الْحُلَالُ ، وَأَخْضَبَ الْجَنَابُ ، وَأَصْبَحُوا الْيَوْمَ عَنِ الزَّرَاعَةِ مُمْسِكِينَ ، وَلِلْهِرَاةِ تَارِكِينَ ، وَبَنِيهَا مُشْتَغِلِينَ فِي إِصْلَاحِ آلَاتِ الْحَرْبِ ، وَإِحْرَازِ الْعِيَالِ فِي الْحَصُونِ ، وَرَمِّ الْقِلَاعِ لِلْجَلَاءِ ، وَتَحْرِيشِ الْحَصُونِ لِلْبَلَاءِ ، قَدْ آتَقَلُّوا عَنْ مَنَابِتِ الْبَرِّ وَكَرَاهِمِ الْأَرْضِ ، وَجَارَى الْمِيَاهِ ، إِلَى أَوْشَالِ الْجِبَالِ ، وَأَشْجَارِ الْغِيَاضِ ، وَبَطُونِ الْأَوْدِيَةِ ، فَلَيْسَ يَلْفُونَ مِنْ عِمَارَةِ بِلَادِهِمْ ، وَلِزُومِ أَوْطَانِهِمْ ، [و] مِنْ تَنَاوُلِ ثَمَارِهِمْ وَقِيَامِ مَعَاشِهِمْ مِثْلَ مَا كَانُوا يَلْفُونَ ، وَلَا يَنَالُونَ مِنْ خَفِيزِ الْعَيْشِ وَطَيْبِ الْأَمْنِ وَإِنَّ الدَّعَةَ ، قَرِيبًا مِمَّا كَانُوا يَنَالُونَ .

ومنها : أن إخوان التجارات ، وأصحاب الأموال وأهل الظلف والخافر ، كانوا يتناولون ما شارفهم من بلادنا وما قاربهم من أسواقنا ، فينقبون تجارتهم ويُسبلون بضائعهم ، فتعظم الأرباح وتضعف الائمان . وكانت الباعة من تجار المسلمين وغيرهم من النعمين ، يتناولونهم للبيع لهم ويتناولونهم للشراء منهم ، نعمت البركة وسهلت المنفعة ، حتى نالت الرماء في جبالها وأماها ، والنساء في غزولهن وعمل أيديهن فضلا عن غيرهن .

ومنها : أنك ومن قبلك من ذوى المباداة والزهادة والتأله والنسك والنيات ، كنتم على طافية من أيام الرضا بالحرب ، وسلامة من أوزار الحضر على قتال الخوف ، قد تجوتم من معصية المسيح في الدنيا التي نهاكم عنها ، والأمور التي أمركم بها ، من نحو قوله : ” مَنْ لَطَمَ خَدَّكَ الْيَمِينَ فَاِمْكِنْتَهُ مِنَ الْأَيْسَرِ ، وَمَنْ أَتَرَخَ قَبْضَكَ فَأَعْطَاهُ كَسَاكَ ، وَمَنْ لَطَمَكَ فَاحْفَرْ لَهُ ، وَمَنْ شَتَمَكَ فَأَعْرِضْ عَنْهُ “ .

ومنها : أن من بأقصى بلادك ونواحي حوزتك ، قد ذاقوا تلك الأيام من لذة الخفض ، ودعة الحال ، وحلاوة الأمن ، ورفاهية العيش ، وسعة العافية من سياء أزواجهم ، وهيب أولادهم ، وحلم معاشهم ، وأسر رجالهم ، وغبنة بقرهم وغنمهم ، وإفساد شجرهم وثمارهم ، وإجلاء عن مساكنهم وأوطانهم . ما لم يكن لهم رأى يعرفه ، ولا ظن يُلغيه ، ولا طمع يُقاربه ، ولا أمل يذهب إليه . وما قد عرفت انخاصة من بطارتكم ، والعامّة من أهل ملككم به : من رافكم بهم ، ورحمتكم لهم ، وشفقتكم عليهم ، وأثرتكم إياهم ، وبركة ولايتكم ملكهم ، ومنفعة سياستكم أمرهم ، ما قد آزدادوا لكم به محبة ، وفي بقائكم رغبة ، ولامرم طاعة ، وعلى ملككم شفقة ، وفيما نابكم نصيحة ، مع ما قد آزدتم بذلك من الهيبة في صدور الأعداء ، والشرف في قلوب النظراء ، والمظم في عيون الأمم ، حتى أقروا لكم بقوة عزائم العقول ، وبفضل سياسة الأمور ، وصحة تدبير الملك ، وصدق النية ، ولطف الحيلة التي

(١) في الأصل : ” من ملادم ... “ . (٢) كذا في الأصل . (٣) راجع التحيز مني

(صل ٥ آية ٣٩ ح ٣ ص ٩ من الكتاب المقدس) .

جعلوا نسبة عملكم بها ، وعمل رأيكم فيها ، على أنكم نظرتم لضيعفاتكم حتى قُوتوا ، ولفقراكم حتى استغنوا ، ولقرانكم حتى سوا وحيو وبعوا المسلمين من أيام الحروب وأوزار القتال ، ومعصية المسيح عليه السلام ، ولأعدائكم الأبعدين وجيرتكم الأقرين ، حتى كنتم من فراغكم لهم ، وأشتغالكم من أمركم بها ما أوطأتموه لحر صحر القتل ، وذلل الأسر وغلبة القهر ، والإذعان والاستسلام . ولما كفيتموهم بالصلح ، واستوتقتم منهم بالرهن .

فإذا ذكرت ما كان من هذا وأشباهه وأمثاله في القديّة ، فاصلوا أن أمثاله وأضمافه مقيم معكم في الجزية ، فلا يكون لك رأى غيرها ولا أمر سواها ، فلقد أكثر أمير المؤمنين العجب من أمركم ، وأطال قلبه الفكرة في بعضكم ، فظن أن إخراجكم من جميع ما كنتم فيه الى خلافه مما أصبحت عليه من انتظار وقعات الحروب ، وصولات الجنود وأكل الحدود ، وتوقع الجلاء والسياء والقتل ، والأسر والحصر ، شيئا أختدعكم الله عز وجل فيه عن أنفسكم وكيدا استدرككم به لما علم من قلوبكم .

ألا إن أعجب حذركم وأفظله كان عند أمير المؤمنين إذ بلغه جرأتكم على الله عز وجل في نقض عهده ، واستخفافكم بحقه في خفر ذمته ، وتهاونكم بما كان منكم ، وأتم تعلمون أن موثيق اليهود ونذور الأيمان الذي وضعه الله عز وجل حرما بين ظهراني خلقه ، وأمانا أفاضه في عبادته ، لتسكن اليه نفوسهم ، وتطمئن به قلوبهم ، وليتعاملوا به فيما بينهم ، ويسيما به من دنياهم ودينهم ؟ فما من ملك من الملوك ولا أمة من الأمم ، تبيح حرمي الله عز وجل ، تهاونا به وجرأة عليه ، إلا أجرى الله عليهم دائرة من دول الأعداء ، وأنزل عليهم عذابا من السماء . وقد رجا أمير المؤمنين أن يجرى الله نقمته منكم بأيدي المسلمين ، بعد إذ كان اعتقد عهدكم ، وأخذ ميثاقكم بالإيمان المغلظة ، واليهود المؤكدة ، التي قد اعتقدها في رقابكم ، وحملها على ظهوركم ، فاشهدتم الله بها على أنفسكم ، وتسامع بها من حولكم ، وحكم بها بطارقتكم وأساقفتكم . فلا الله أتيقن ، ولا من الناس استحيتم ، نكثا للعهد ، وبغضا للمسلمين ،

وَحَتَرًا بِالْأَمَانَةِ، وَإِبَاحَةً لِّلْعَمَى . فتوقّعوا العقوبة، وانتظروا الغيب؛ فقد وثق أمير المؤمنين أن من عذاب الله ما هو حائل إن شاء الله بكم .

ومن أسباب ما يريد الله من الانتقام منكم، ما قد أزعج أمير المؤمنين وعزم عليه، وقذف الله في قلبه : من الإرادة والنية والرغبة في إعطاء الجيوش بلادكم، واستناب المقاتلة أرضكم، والتفرغ لكم من كل شغل، والإيثار بلهaddock على كل عمل، حتى تؤمنوا بالله وأتم طامعون أو كارهون، وتؤدّوا الجزية عن يديهم وأتم صاغرون . فكونوا على عدة من الجزية، ويقين من الاجتماع الذي لا طاقة لكم إن شاء الله به، ولا صبر لكم بإذن الله عليه؛ فان جنود أمير المؤمنين فارغة كثيرة، ونزائمه عامرة وافرة، ونفسه سحينة بالإففاق، ويده مطلقة بالبذل، والمسلمون ينشأون اليكم، متقلبون عليكم، قد عودهم الله في لقائكم عادة يرجون انتظار مثلها، وأبلاهم في قتالكم بلاء من أمثلها، إن شاء الله .

وكلب أمير المؤمنين نذيره بين يدي جنوده، ومُقدّمه إن شاء الله من جيوشه، إلا أن تؤدّوا الجزية عن التي دحاك أمير المؤمنين إليها، وحداك ومن قبلك عليها، رحمة للضعفاء الذين لا ترجمهم، وتوجعا للساكنين مما لا توجع منه لهم من الجلاء والسبأ والقتل والأسر والقهر، وقساوة من قلوبكم، وأثرة لأنفسكم، وأعتصاما بنحواصكم، وإجلاء لعوامكم الضعفاء الفقراء الساكنين الذين لا تمنعونهم بقوة، ولا تدفعون عنهم بحيلة، ولا تراقبون في الرحمة لهم والتعطف عليهم، أدب المسيح إياكم، وقوله في الكتاب لكم : " طوبى للذين يرجون الناس؛ فإن أولئك أصفياء الله ونور بني آدم " .

وأيّ الله لو يعلم من قبلك من الساكنين والزراعيين والفقراء والضعفاء والعلة بأيديهم، ما لهم عند أمير المؤمنين لتحذروا عليه وأقبلوا إليه، من إيوائهم، وإزالتهم الأرض الواسعة، وإمكانهم من مسايل المياه السائحة، والعدل عليهم بما لا يتباغى أنت ولا تقاربه، رفقاً بهم ونظراً لهم وإحساناً إليهم، مع تخليته لإياهم وأديانهم، لا يكركهم على خلافها ولا يحبرهم على

غيرها ، لا يختاروا قرب أمير المؤمنين على قربك ، وجواره على جوارك ، ولا تهدنوا أنفسهم^(١) وأموالهم وأولادهم وأزواجهم وعيالهم ، مما يحل بهم في كل عام ويلقون من كل غزاة . فأتق الله وأقبل ما عرض عليك من الجزية ، ولا يمنعك ما فيه الخط لك ولاهل مملكك . ونحن على رجاء أن الله لا يؤخر ذلك منكم ويدفعه عنكم ، إلا ليجعله على يد أهل بيت النبوة والرحمة ، ولأهل الورثة فيهم للكتاب والحكمة ، الذين لا يدخل عليكم في الإذعان [لهم] وأداء الجزية اليهم نحية ولا تقيصة ولا طار ، والذين يقون لكم بما يقدون ، ويتبعون فعلهم ما يقولون .

ثم أمير المؤمنين لما جعل الله عليه رأيه وفيه نظره من البر والرحمة والإحسان والوفاء بالعهود والشروط ، نظراً لدينه وخوفاً من ربه ، ولما قذف الله في قلبه وقلوب المسلمين من المحبة والطاعة والأثرة ، ولما جعلهم الله عليه من أجتاع الكلمة ، وآتفاق الأئمة ، والنصائح في السر والعلانية ، وما عوده الله ممن نصب له بمحاذبة ورماء بمكيدة ، وعراه بحيلة : من النصر العزيز ، والفتح القريب ، والظفر المبين . فأبطل من الجزية ما شئت ، وسم منها ماهويت . وأعلم أن أمير المؤمنين ليس يحدوك طمعا لحاجة به إليها ولا للمسلمين ، ولكن طاعة لربه وأثرة لحقه ، وليجعلها سببا لما يريد أن يجري فيما بينه وبينكم . وإنه إنما كان قبول المهدي — رحمه الله — الفدية منكم ، بطلبة أمير المؤمنين كانت إليه ، والحاجة كانت فيها عليه ؛ ولم يكن من رغبة فيها ، ولا حاجة إليها ، ولا استعظام لها ، ولقد كان يعطى في المجلس الواحد مرارا أمثالها ، ولكن ذلك كان رأى أمير المؤمنين يومئذ فيكم . فاما اليوم إذ استبان له فؤدكم وتفضكم ونكتكم واستخفافكم بدينكم وجرأتكم على ربكم ، فليس بين أمير المؤمنين وبينكم إلا الاسلام أو الحرب المجلية ، ان شاء الله . ولا حول بأمر المؤمنين ولا قوة إلا بالله ؛ طبع يتوكل وبه يثق وإياه يستعين . والسلام على من أتبع المهدي .

(١) في الأصل : " ولا يبتلوا ... " . (٢) كذا في الأصل وهو غير واضح ولعل أصل الجملة

" ولا يمكن الشيطان ما فيه ... الخ " فسقط هذا أو محوه سبوا من النسخ . (٣) كذا في الأصل .

٣ - رسالة يحيى بن زياد في تفریط الرشيد

أما بعد، فإنني أسأل الله لأمر المؤمنين في ظير أموره، أحسن ما عوده في سالفها من السلامة التي حرسه بها من المكاره، والعز الذي قهر له به الأعداء، والنصر الذي مكن له في البلاد، والهدى الذي وهب له به المحبة، والرفق الذي أدركه به الحلب، والاستصلاح الذي آتت له به الرحمة، حتى يكون بما أعطاه من ذلك، وما هو مستقبل به منه، أبعد خلفائه في الخير ذكراً، وأبقاهم في العدل أثراً، وأطولهم في العمر مئة، وأحسنهم في المعاد منقلاً.

ثم يحمد الله الذي جعل نعمته على أمير المؤمنين شواهد منه على منزله منه ومكانه عنده، لا يحتاج معها إلى شهادات المثنيين، ولا صفات المقرطين، ثم جعل ذكر نعمته على أمير المؤمنين ومناجعتها والمجاهدة لمن كادها فريضة أوجبها على العباد، ومحبة أمتحنهم بها، وفرقنا ميمز به بينهم، فمن أصبح من رعيته أكثر شغله أن يستعمل لسانه في صفته، ويزخر بحاسنه وفضائله، ووجوب حقه وطاعته، فقد أصبح آثراً أولى الأمور وأحسنها مقبلة في دنياه ودينه، ومن بكل ذلك عن قدرة عليه، ودفعه بعد معرفة، فلم يدعه إلا عن خذلان حاق به، أو بدعة استمالته، كانت حجة الله لأمر المؤمنين عليه هي الكافية لمؤنته. وقد كان علماء الناس وجهالم يسوون في طام المعرفة بفضل أمير المؤمنين، فأما انخاص فلاهل الفضل فيه فضلهم، غير أنه مها كان من ذلك فقد أصبحوا وهم فيه على منازل ثلاث: حامد حجب الحسد بصره عن مواقع الصواب أن يراه، والنعمة أن يشكرها، والحق أن يؤدبه، وكانت معرفته عليه وبألا، وحسده إلى الضربة قائما، أو ذو هوى قاده الهوى إلى البدعة وأخرجته الضلالة من الجماعة، فهو عرصة لسوء الأدب أو سيف النكال، لم يؤحش الله أحداً بفقدته، ولم يعز أحدًا بموالاته. وموفق معصوم استغفده [الله]

بمؤالة أمير المؤمنين من غل الحسد ويدع الآراء وجبله على صحبة الهوى، فهو إن نظر فبعينه ينظر، وإن قال فبلسانه يقول، لا يأمن حتى يعلم أن أمير المؤمنين قد استوطأ بهاد الخفض، ولا يزال له طليعة رأي توفى على خطة حرم وغامض فطنة، تغفل إلى لطيف منفعة [تكون] سهم مكيدة نحو عروة، قد علم أن يوم أمير المؤمنين يومه، وأن فده فده، فهو وإن تعرض لأداء الحق في نصيحته ينظر لنفسه نظر من لا يأمل السلامة إلا بسلامته، ولا البقاء إلا ببقائه. وقد رجوت بالقرابة التي جعلها الله لي به، والواجب الذي عرفت من حقه، والعظيم الذي حملته من معرفته، ألا يكون أحد ينظر إليه بين الإشفاق أقوم ما جعله الله أهله مني، فإن أبلغ الذي أردت فتوفيق الله، وإن أقصر فمن مثل ما حاولت قصر المجتهد.

فأقول ما أنا ذا كره من فضله : أن الله قدم له الصنع في سابق علمه، فجعل تحت يده خير المخلد عنصراً، ثم اختار له أباً فأباً لا ينقله من أب إلى أب إلا تقل معه وإليه فضيلة العنصر الذي هو منه حتى صيره بعد فضائل آبائه إلى أفضل بدنة، فكان خير خليف من خير سلف، وأفضل ولد من أفضل أبوة، وأرضى إمام من أركى أئمة؛ ثم اختار له مكارم الأخلاق، وألبسه جمال الصورة، فلا نعلم نحن ولا آباؤنا خليفة أبداً في حكمه من قبل، ولا في هيئته من تجبر، ولا في شدته من عنف، ولا في لينه من وهن، ولا في أناته من خفلة، ولا في اقتصاده من بخل، ولا في بئله من إضاعة، ولا أرق وجهها عند لقاء، ولا أحسن بشرًا عند تحية، ولا أغزر دمعاً عند موعظة، ولا ألين قياداً عند تذكير بالله.

(٢) أفضت إليه الخلافة وفي المال ما فيه من القلة، وفي الناس ما فيهم من الإحراج، فما دفع عن مال يعطيه عن قلة، ولا قطع عادة توسعة على رعيته؛ ثم استدر الخلب يرفقه، فكلمنا دزله منه شغب فزقه طائفة من جنده حتى سقاهم بعد التفريق رياء، وبعد النهل

(١) في الأصل : "عروة". (٢) الإحراج : الصيق في الأصل . "الاستخراج".

(٣) الشغب (بالعم) : ما خرج من تحت يد الحالب عد كل عزمة وعصرة للصرع . (٤) فزقه الشيء : أعطاه إياه قليلاً قليلاً .

طَلَا، ثم ساس رعيته بالين السياسة فعفا عن مذنبها ولو شاء لَعَاقَبَ، وَلَمَّا خَافَهَا وَلَوْ
 طَلَبَ لَأَدْرَكَ، وَدَفَعَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَلَوْ كَافًا لَقَدَّرَ، فَمَا بَرِحَ صُنْعَ اللَّهِ لَهُ يَفْقَضُ جُمُوعَ
 الضَّلَالَةِ بِلَا تَمَلٍّ، وَيُعْزِلُهُ النَّصْرَ بِلَا مُكَاتَرَةٍ، حَتَّى فَرَّغَ بِشْغَلِهِ مِنْ كَانَ لَا يَفْرُغُ مِنَ الْوُزَرَاءِ،
 وَنَامَ بِسَهْرِهِ مِنْ كَانَ لَا يَنَامُ مِنَ الْعَامَةِ، وَأَطْمَأَنَّ بِمَا آتَاهُ لِلْأَسْفَارِ دَارُ مَنْ كَانَ لَا يَسْأَلُ
 الْخَلْفُضَ مِنَ الْجُنُودِ حَتَّى اسْتَوَطَّكُوا مَرَكَبَ الْأَمْنِ فَكَلَّمَهُمْ صَنِيعٌ بِمَفَارِقَتِهِ. أَمَا ذُو النِّيَّةِ فَرَكَّ
 إِلَى النَّقْضِ. وَأَمَا مَنْ لَا يَبْدِلُهُ ففعل ما كَانَ يُؤْخِذُهُ مِنَ الْاسْتِكْرَاهِ. وَأَمَا الْحَشَرُ مِنَ الْجُنْدِ
 وَالرَّعَاعُ فَغَلَبَتْ عَلَيْهِمْ عَادَةُ الْمُؤْنِيَاءِ، حَتَّى لَوْ رَأَيْنَاهُ يَحْذِبُهُ الْأَمْرُ فَمَا يَجِدُ لَهُ الْأَمْرُ غَنَاءً عِنْدَهُ
 وَلَا نَشَاطًا وَلَا حِدًا إِنْ وَكَّلَهُ إِلَى قُوَّتِهِ، وَقَوَّاهُ بِمَالِهِ. (١)

فلما رأى ما رأى من تَحَاذُلِ الْعَامَةِ، وَتَوَاكُلِ الْجُنُودِ، وَزُورِ الْقِيَمِ، وَجُمُودِ الْحَلَبِ،
 وَاسْتِكْلَابِ الْعَمَلِ عَلَى الْخِيَانَةِ، وَجُرْأَةِ الرَّيْبَةِ عَلَى مَنَعِ الْحَقِّ، وَمَالِ الْقِرَافِ بِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ
 عَنِ الْقَصْدِ، فَتَحَرَّكَ الْأَهْوَاءُ، وَاسْتَعْرَتْ نِيرَانُ الْعَصْبِيَّةِ، وَجَاسَتْ صُدُورُ الْحَسَدَةِ
 وَأَشْيَاعُهُم بِالْأَمَانِي، وَظَنُّوا أَنْ لَا شِدَّةَ مَعَهُ، وَأَنْ عَفْوَهُ لَا نَكِيرَ بَعْدَهُ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 يَرْمُقُهُمْ بَعِينَ بَصِيرَةٍ، وَأُذُنُ مُصْبِغَةٍ، وَقَلْبُ يَقْظَانٍ؛ وَقَدْ وَقَّرَ الْحِلْمُ أَنْ يَخْفَ لِأَوَّلِ بَوَادِرِ
 السَّفَهَاءِ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِالْمُدْبِرِ أَنْ يُحْبَلَ، وَبِالْمُسَائِدِ أَنْ يَتَّيَلَّ، وَبِالْمَغْلُوبِ عَلَى رَأْيِهِ أَنْ يَتَذَكَّرَ
 فَيُصِيرَ، شَتَّى فِي إِثْرِهِمْ تَسْمِيرٌ مِنْ قَدَمِ الرُّوِيَّةِ قَبْلَ الْعَجَلَةِ، وَالْعَفْوِ قَبْلَ الْعُقُوبَةِ، وَالتَّهَنُّتِ
 قَبْلَ الْإِقْدَامِ، فَاتَّخَذَ رَوَابِطَ أَتَقَبَّهَا عَلَى الْجَسَدِ وَالنَّشَاطِ، لَيْسَتْ لَهُمْ سَوَائِقُ تَعْمُومُ إِلَى
 الْإِدْلَالِ، وَتَسْمُومُهُمْ إِلَى كَثِيرٍ لَمْ يَنَالُوهُ؛ إِنَّمَا هُمُومُهُمْ أَنْ يَتَفَاضَلُوا فِي النَجْدَةِ، وَيَسْتَوْجِبُوا
 بِالْقَاءِ، ثُمَّ فَرَّقَهُمْ عَلَى خَوَاصِّ خَدَمِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَنَاوَلَ بِهِمْ فُرْصَةً مُمْكِنَةً، أَوْ عَدُوًّا غَاطِ
 أَوْ رَاتِقًا قَتْلِي قَبْلَ السَّاعَةِ، يَنْمَسُّ يَدِهِ إِلَى أَيْهِمْ أَرَادَهُ، فَيَتَغَدَّى لَأَمْرِهِ وَلَمْ يَشْرِكْ فِيهِ مُشِيرٍ،
 وَلَمْ يَخْرُجْ بِهِ تَوْقِيعَ، وَلَمْ يَخْصُ فِيهِ غَافَةً، وَلَمْ يُطْلَعْ مِنْهُ عَلَى مَكِيدَةٍ، فَلَمْ نَعْلَمْ أَتَنَا رَأَيْنَا جُنْدًا

(١) فِي الْأَصْلِ : « بِمَا آتَاهُ » . (٢) فِي الْأَصْلِ : « يَدُ وَكَلَهُ إِلَى قُوَّتِهِ وَلَا نَشَاطًا وَلَا حِدًا وَقَوَّاهُ

بِمَالِهِ » . (٣) غَاطِ : دَحَلَ .

أمرع نهضة إذا مرّوا ، وأحسن إجابة إذا دُعوا ، وأفضل خُلاء إذا استكفوا من جُنْدِه .
ثم قصّد بنفسه حتى مثل بين النواحي الى أمّها له قَسَاقًا في اليُسْفة ، وأتقاصًا من
الأطراف ، فأتى ناحية الشام فوطئها وطأة جمع الله بها لهم شتات الفرقة ، وأحمد بها بينهم
نار الفتنة .

وأما الجزيرة فإنه ألهاها وهي كالجرح النّيل ، فاستاصل الله به منها شأفة الداء ، وأطفا به
عنها بواذر السفهاء ، وخير أمير المؤمنين من منزله الذي هو به منزلا جمع من بسطته
في الموضع ، ورقابيته في المعاش ، أنه حامل للجنود ، جامع للرافق ، فبأثر أمره أمرًا أمرًا ،
حتى إذا استندبره منها مبرم ، استقبل بعده جُسام متقيض ، وإذا أفضن من غوره ثمرًا
لم يرض حتى يفتح من حصون أمدائه حصنًا ، وإذا قضى الله عنه حجة ، وصل خطوه
منها عزًا ، ثم رأينا ما عزّم الله به عليه من ترك الصّوائف ^(١) مُراقبًا للذي كان من مُحْط
أهل الشام لما كانوا فيه من النعمة ، فلم تشكك في أنه توفيق من الله له وافق مُخطأ
عليهم حتى استباحوا الحرم ، وتساءفكوا السماء ، وقصّوا ما بينهم من مبرم حيل الإسلام .

ومن ذلك أن أرمينية كانت فيها جنودٌ مُخرَج عليهم أطماع تحمل اليها ، بعد أعرافهم
بإخراجهم الأموال من كور الشام ، فلما رأى ذلك فعل كذا وكذا ، فلم يتوكل على الله في أمره
فوكّله الى نفسه ، ولم يكتف به في حفظ طرف أو قاصبة ثمر إلا كفاه مؤونته ، وعلم أن
ما يدخل من أضعاف العافية من عوارض الملل ، إنما هو بتقدير من الله لا يمتنع بذر ،
ولا يستطيع دفعه بحيلة ، يصيب فيه أقوامًا بالبلايا والتجبيص ، ويقسم فيه لأقوام الأجر
والجهاد والسعادة ، فرأى أن في عاجل ما يرفع عن أهل أرمينية من ضرر مؤونتهم
ويعطيهم نعمًا للرعية ، وإجمالًا للقى ، ورققا بالعامة مع اقتصاده في الأبواب على أكتاف
صحبته ، وفي سائر أرمينية على المُقاتلة من أهلها ، ولم يزل منذ أراه الله ذلك ، يكفيه مؤونة
ذلك الثغر ، ويكف عنه بوائجه ، حتى كأنه في هدوء الأحداث عنه ، وسكون الأفتدة من

(١) الصوائف : جمع صافهة وهي العروة في الصيف .

رَوَّاعَاتِهِ يَصْرُفُ مِنَ الْأَمْصَارِ ، وَاسِطُ الْحَلَّةِ مَأْمُونُ النَّائِرَةِ . فَلَمَّا آخَضَهُمْ خَائِقَانُ مَا آخَضَهُمْ ، وَاتَهَزَّ
الْفَرْصَةُ مُبَادِرًا ، لَمَّا قَدْ اِيقَنَ مِنْ مَعَابِلَةِ الْمُؤْمِنِينَ إِيَّاهُ ، فَكَأَنَّهُ سَيَرَّ بَلَقَهُ ذَلِكَ مِنْ إِعْظَامِهِ
إِيَّاهُ بِسَبَبِهِ لَهُ ، وَمَا أَنْصَبَ فِيهِ مِنْ بَدَنِهِ ، وَأَسْهَرَ فِيهِ مِنْ لَيْلِهِ ، وَأَنْصَبَ فِيهِ مِنْ نَهَارِهِ ، لَمْ يَسْلَمْ
الَّذِي يَكُونُ مِنْ أَشْتَبَاهِهِ فِي الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ قَبْلَهُ ، وَأَنَّهُ بِذَلِكَ يُلْجِدُ عَالَمٌ ، غَيْرَ أَنَّ حَيَاتِهِ
لِلْإِسْلَامِ وَشَفَقَتِهِ طَلِيهِ وَأَمْتَاضِهِ مِنْ أَنْ يُتَنَاوَلَ شَيْءٌ مِنْ أَطْرَافِهِ ، قَدْ زَادَ ذَلِكَ عِنْدَهُ قَدْرًا
فِي الْعِلْمِ ، وَتَعَالَى فِي الْخُلُقِ ، حَتَّى أَكَلَ الْبَيْتَ بِأَكْثَرِ الْعِدَدِ ، وَأَكَلَ الْعُدَّةَ ، وَأَسْتَقْبَلَ
أَهْلَ الْكُورِ وَالْأَمْصَارِ ، وَتَدَبَّرَ لَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مَنْ لَمْ يَتْرَكْ بَعْدَهُ نَهَايَةً فِي الْخَيْرِ ، وَكَانَ
قَدْ صَرَفَ بِاللَّهِ إِلَى هَذَيْنِ الثَّقَرَيْنِ مِنَ الْخَزَرِ وَالرُّومِ ، وَإِلَى هَذَيْنِ السُّدُورَيْنِ الْحَارَيْنِ لَهُ مِنَ
الْمَارِقَةِ الْمُتَعَصِّبَةِ .

فَلَمَّا بَلَغَ اللَّهُ فِي أَحْكَامِ أَمْرِهِمَا مَا بَلَغَ ، لَمْ يَسْتَقْنِ عَنْ إِعَادَةِ النَّظَرِ فِي أَمْرِ غَيْرِهِمَا مِنْ
نَوَاحِيهِ لِيَسْتَبْرَأَ بِهِ ، وَإِرَادَتِهِ فِي أَقْوَامٍ يُدَافِعُ ظُلُومَهُمْ بِهِ فِي أُخْرَى ، وَعَلِمَ غَيْرُهُمَا أَنَّ مَا شِئِلَ
مَنْ بَعْدِيْنَةِ السَّلَامِ مِنَ الْأَمْنِ وَالْقَرَاخِ نَتِيجَةُ مَكْرُوهُةٍ ، فَشَخَّصَ عَنْهَا لَتَحْقِيقِ ذَلِكَ مُؤَيَّرًا
لَا بُقْصَ وَطَنِيهِ عَلَى أَحَبِّهِمَا وَأَخْشَنَ عَيْشِيهِ عَلَى الْبَيْنَمَا ، فَلَمَّا ظَهَرَتْ لَهُ الْعُودَةُ أَقْدَمَ إِقْدَامًا
ذِي الْحُجَّةِ ، فَلَمْ يَرْمِثْهَا تَارًا حَبَّتْ ، وَصَحَابَةُ أَقْشَعَتْ ، لَمْ يَسْفِكْ بِهَا دَمَ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ صَبْرًا ،
وَلَمْ يَتَّهَكَ فِيهَا حُرْمَةً عَرْمَ إِبَاحَةٍ .

وَذَلِكَ أَنَّهُ بَسَطَ يَدَهُ بَسْطَ مَنْ يُرِيدُ الْإِمْتَصْلَاحَ لَا مَنْ يَرِيدُ الْإِسْتِقَامَ ، فَلَمْ يَلْبَثِ الظَّالِمُ
أَنْ رَجَعَ عَنْ ظُلْمِهِ ، وَالنَّاطِقُ أَنْ صَمَتَ عَنْ يَذَعَتِهِ ، وَالنَّاكِثُ أَنْ رَجَعَ إِلَى قَصْدِهِ ، وَأَزْدَادُ
الْبِرِّ عَلَى الْبِرَاءَةِ فَرَحًا ، وَالسَّالِمُ بِالسَّلَامَةِ آخِطَا ، وَلَمْ تَزَمْ ثَلَاثَةً فِيمَا أَغْضَى اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ مِنْ
خِلَافَتِهِ ، وَحَمَلَهُ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ ؛ أَمَا لَيْلُهُ بِمُتَاجَعَةِ رَبِّهِ فِيهَا وَاسْتِعَانَةِ إِيَّاهُ عَلَيْهَا فَسَاهِرٌ ،
وَأَمَا نَهَارُهُ فِي حَلَبِ قَيْثِهَا وَإِحْكَامِ أُمُورِهَا فَتَنِيْبٌ ؛ وَأَمَا صَدَقَاتُهُ عَلَى فُقَرَائِهَا وَأَهْلِ الْحَاجَةِ
بِخَارِيَّةٌ ؛ وَأَمَا تَجْلُسُهُ مِنْ قُبَّعَاتِهَا وَصُلَحَاتِهَا فَفَنَاصٌ ؛ وَأَمَا غِلْظَتُهُ عَلَى ظَالِمِهَا فَعَتِيدَةٌ ؛ وَأَمَا
أَفْضَالُهُ لِمُظْلَمِهَا فَجُسُوطَةٌ ؛ وَلِئِنْ كَانَتْ الْحَقُّ أَزْمَ أَقْوَامًا اسْتَوْجَبُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَأُمُورِهِمْ ،

إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مَا تَرَكَ أَكْثَرُ، وَأَنَّهُ لَوْلَا مَا خَفَّفَ مِنَ الْوَطْءَةِ عَلَى أَقْوَامٍ لَحُلَّ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ مِثْلَ
 لِلَّذِي حَبَلَهُ الْجَمِيعُ ، وَلَكِنَّهُ رَضِيَ بِالْعَفْوِ ، وَنَحْنُ نَفْسًا عَنِ الْاِسْتِصْهَاءِ ، فَأَوْجَبَ أَنْ يَبْسُطَ
 يَدًا بِظُلْمَةٍ وَيَتِمَّهَا أُخْرَى بِلَيْنٍ ؛ فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ نَظَرُهُ فِي هَذِهِ الْبَقَايَا الَّتِي هِيَ قِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ
 وَمَالُ اللَّهِ ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ قِيَمَةً فِيهِ ، وَفِي أَخِيذِهِ وَصَرَفَهُ فِي وُجُوهِهِ ؛ فَلَمَّا رَأَى ضَرَاوَةَ
 الْعَمَالِ بِهَا وَمُصَابَاتِهِمْ دُونَهَا ، وَأَنَّ قَدْ صَارَتْ كَالسُّنَّةِ الْإِلَازِمَةِ لَا يَدَّخُلُهَا ضَعْفُهُمْ تَوَرُّعًا ، وَلَا
 شَرِيْقُهُمْ تَزَرُّعًا ، أَحَبَّ مَعَ تَوْفِيهِ لِلْمُسْلِمِينَ قِيَّتَهُمْ ، أَنْ يُحْدِثَ لَهُمْ أَدْبًا يَقْطَعُ بِهِ عَنْهُمْ أَهْلَ
 الضَّرَاوَةِ ، وَيَعْرِفَ بِهِ دُورَ الْاِسْتِخْفَافِ بِالْأَمَانَةِ ، وَالْأَمْرَ لِلتَّبَعَةِ ؛ أَنْ عَلَيْهِمْ مِنْ تَقَدُّدِهِ وَأَدْبِهِ عِيْنَا
 تَرْمِي ، وَيَدًا تَقْبِضُ ، وَلَوْ أَنَّهُ حِينَ هُمْ بِأَخْذِ تِلْكَ الْبَقَايَا حَمَلَ عَلَى الْمُوَسِّرِ بِقَدْرِ بَسَارِهِ ، وَأَخَذَ
 الْمُتَسَرِّبَاتِ عَنْهُ ، كَانَ قَدْ أَنْصَفَ ، كَلَّا ! وَلَكِنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَسْتَبْقِيَ قُوَّةً ، وَلَا يُلْغُ مِنَ الْمُكْثَرِ
 جَهْدًا ، وَأَقْتَصَرَ بِهِمْ عَلَى الْعُشْرِ مِنْ ذَلِكَ ، كَرَمًا فِي الْقُدْرَةِ حِينَ رَأَى مَوْضِعَ الرِّقِّ ، وَتَجَافَى
 عَنِ الْعَلَّةِ حِينَ عَرَفَ مَكَانَ الْقُدْرِ ، فَأَيُّ نِعْمَةٍ أَعْظَمَ ، وَأَيُّ بَلَاءٍ أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ الْبَقَايَا !
 كَانَتْ فِي أَيْدِيهِمْ جُمَامًا ، فَلَمَّا أَطْلَعَ طَلْعُهَا ، وَأَخَذَ مَا أَخَذَ ، وَتَرَكَ مَا تَرَكَ ، عَمَلًا مَعَ مَا جَعَلَ
 اللَّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ [كَلِمَاتٍ] الْمُقْصَرِّ مِنَ الْعَمَالِ الْمُؤْذِيَةِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَعْمَلُ أَنْوَاعَهُمْ ، فَلَيْسَ
 مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَكَانَ مِنْهُ لَهُ وَاعِظٌ أَلَا يَكْبِرُ شَيْئًا مِنَ الْخُرَاجِ تَضْيِيعًا ، أَوْ يَأْخُذُهُ غُلُولًا
 أَوْ يُنْفِقُهُ إِسْرَاقًا ، أَوْ يَتْرَكُهُ إِرْهَابًا .

فَلَمَّا تَخَرَّجَ مِنْ عِلَاجِ الدَّاءِ الْمُخَوِّفِ وَأَسْتَأَصَلَّهُ ، وَمِنْ الْقِيَّةِ الْمُنْفَرِقِ بِجَمْعِهِ ، وَمِنْ الْأُمُورِ
 الْمُعْطَلَةِ فَأَحْكَمَهَا ، أَسْتَخْلَفَ عَلَى الْقِيَامِ بِذَلِكَ مَنْ يَحْوِيهِ عَقْلُهُ عَنْ حَذَرٍ ، وَلَا إِضَاعَةَ عَنِ
 حِفْظٍ ، وَلَا لَيْنَ عَنِ تَشَدُّدٍ ، وَلَا يَسْتَعْلِ الْأَكْفَ عَنْ نَقْضِ مَا أَبْرَمَ ، وَلَا مُزَاوَلَةَ مَا أَحْكَمَ ،
 وَلَا قَصْعَ مَا أَغْلَقَ ، وَلَا إِخْلَاقَ مَا نَفَعَ ، فَلَانَ خَيْرَةُ أَبَوَيْهِ ، وَخُجَّ بَيْضَتِهِ ، وَجَوْهَرُ أُرُومَتِهِ ،
 الْفَائِتِ سَبْقًا ، الْبَيْنَ صَدُوقًا ، الرَّاحِ عِرْفًا ، الْمُنْفَجِرَ بِحَرًّا ، الْحَمُودَ أَمْرًا ، الْقَائِلَ فَصْلًا ،

(١) الضَّرَاوَةُ : الِهَجَّ بِالْثِيءِ وَالْإِغْرَاءِ بِهِ . (٢) فِي الْأَصْلِ : «لَمْ» وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَتَيْنَاهُ

(٣) وَضَعْنَا هَذِهِ الْكَلِمَةَ لِأَنَّهَا تَتَّفَقُ وَالسِّيَاقُ وَمَكَانُهَا فِي الْأَصْلِ يَبَاضُ . (٤) الطُّلُوعُ : الطُّلَامُ أَرَأَيْتَ

الَّتِي يَدْخُلُ فِي الْجُحُوفِ .

الحاكم عدلاً، ثم أنصرف بما أفاده الله من الأجر إلى جَنَاحِهِ الذي كان مَدَّهُ على من خَلَفَ من الأهل والأموال والرايا والجنود، فلان سِلَلة صُلْبِهِ، وَثَمَرَةُ قَلْبِهِ، الْمُحْتَكَتُ مع قَنَاءِ سِنَتِهِ عَقْلاً، وَالْمَأْمُونُ مع شِدَّةِ شَكِيمَتِهِ حَمَلاً، وَالْمَحْصَدُ مع لِينِهِ وَتَعَطُّفِهِ أَهْرَآءُ، الشَّيْبَةُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ تَطَلَّقَ نُطْقًا، وَإِنْ نَظَرَ لَحْظًا، وَإِنْ سُئِلَ جُودًا، وَإِنْ اِهْتَصَرَ حُودًا، وَإِنْ سَاسَ رِقْعًا، وَإِنْ غَضِبَ حِلْمًا، وَإِنْ وَصَفَ عِلْمًا، وَإِنْ كَلَّمَ قَهْمًا، وَإِنْ قَبِرَ قَفْوًا، وَإِنْ لَبَّى بِشْرًا، وَإِنْ نَازَعَ قَلْبًا، وَإِنْ قَارَعَ ظَفْرًا، فَكَانَ عِنْدَ ظَنِّهِ بِهِ، رِطَابَةُ لَهْرْمَةٍ، وَحَرَمًا فِي الْمَكِيدَةِ، وَحَبْلًا لِلْفَيْءِ، وَجَبَاطَةً لِلْغَائِبِ، وَمَبَاشِرَةً لِلشَّاهِدِ، هَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ. تَمَّ جَمْلُكَ اللَّهُ أَهْلَهُ، وَإِنَّمَا أَقْصَرْتُ عَلَيْهِ لِأَنِّي رَأَيْتُ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الْخُلَطَاءِ تَرْكُوهُ، وَأَنْ مَا سَمِعْتُ مِنَ الْكُتُبِ الْمَقْرُوءَةِ لَمْ تَنْظُمَهُ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَعْلَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَمَلٌ بِهِ فِي رِعْيَتِهِ حِجَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَعِذْرًا مَعْرُوفًا، إِنْ قَامَ بِهِ مُتَكَلِّمٌ فِي خَاصَّةٍ حَسَنٍ مَوْقِعُهُ، وَإِنْ قُوِيَ بِهِ تَجَابُّبٌ فِي عَامَّةٍ، قُوِيََتْ بِهِ حِجَّتُهُ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُ وَذَرِيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ هَذِهِ النِّعَمِ، وَالْمُخْصَرِّصِينَ بِهِذِهِ الْفَضَائِلِ، وَنَسَّأَلُهُ أَنْ يُبَيِّنَهُ وَإِيَّاهُمْ لِلَّذِينَ سَدَّ بِهِمْ عَوْرَتَهُ، وَالْحَقُّ الَّذِي أَقْرَبَهُمْ جَادَّتُهُ، وَالْعَدْلُ الَّذِي أَوْضَحَ بِهِمْ أَعْلَامَهُ، حَتَّى يَكُونُوا وَرَثَةً هَذِهِ الْأُمَّةِ وَخُلَفَاءَهَا فِي غَايِرِ الدَّهْرِ، وَبَاقِيَاتِ الْأَيَّامِ، مُسْتَقْلِينَ بِالْعَدْلِ، مُوَفِّقِينَ لِلسَّدَادِ، مَعْصُومِينَ مِنْ الشُّبُهَاتِ، مُسْتَوْجِبِينَ مَعَ فَضَائِلِ الدُّنْيَا لِأَفْضَلِ كَرَامَاتِ الْمَعَادِ . وَالسَّلَامُ .^(١)

(١) هذه الرسالة ورسالة أبي الربيع محمد بن أبيه السابقة من كتاب اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور .

كتب الرشيد

١ - كِتَابُ عَهْدِ الْبَيْعَةِ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا كِتَابُ لِعَبْدِ اللَّهِ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، كَتَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي صَحْفَةٍ مِنْ عَقْلِهِ ، وَجَوَازٍ مِنْ أَمْرِهِ ، طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ ؛ إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَّى الْبَيْعَةَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَصِيْرَ الْبَيْعَةِ لِي فِي رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا ، وَوَلَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنُ هَارُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْعَهْدَ وَالْخِلَافَةَ ، وَجَمِيعَ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدِي ، بِرِضَا مَنِّي وَتَسْلِيمٍ ، طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ . وَوَلَّاهُ نُرَّاسَانَ وَتُغُفُورَهَا ، وَكُوزَهَا وَحَرْبَهَا ، وَجَنْدَهَا وَخَرَجَهَا ، وَطَرَاظَهَا وَبَرِيدَهَا ، وَبَيْوتَ أَمْوَالِهَا وَصَدَقَاتِهَا ، وَعُشْرَهَا وَعُشُورَهَا ، وَجَمِيعَ أَعْمَالِهَا فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدِهِ ؛ وَشَرَطْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، بِرِضَا مَنِّي وَطِيبِ نَفْسٍ ، أَنْ لَا يَمْنَى عَبْدَ اللَّهِ بْنُ هَارُونَ عَلَى الْوَفَاءِ بِمَا عَقَدَ لَهُ هَارُونُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : مِنَ الْعَهْدِ وَالْوِلَايَةِ وَالْخِلَافَةِ ، وَأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا بَعْدِي ، وَتَسْلِيمِ ذَلِكَ لَهُ وَمَا يُجْعِلُ لَهُ مِنْ وَلَايَةِ نُرَّاسَانَ وَأَعْمَالِهَا كُلِّهَا ، وَمَا أَقْطَعُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قِطْعِيَةٍ ، أَوْ جَعَلَ لَهُ مِنْ عَقْدَةٍ أَوْ ضَيْعَةٍ مِنْ ضَيْعَاهُ ، أَوْ ابْتِنَاعٍ مِنَ الضَّيَاعِ وَالْعَقْدِ ، وَمَا أَعْطَاهُ فِي حَيَاتِهِ وَحَقَّقَهُ مِنْ مَالٍ ، أَوْ حُلٍّ أَوْ جَوْهَرٍ ، أَوْ مَتَاعٍ أَوْ كُسُوفَةٍ ، أَوْ مَتَرٍ أَوْ دَوَابٍّ ، أَوْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ ؛ فَهُوَ لِعَبْدِ اللَّهِ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مُؤَقَّرًا عَلَيْهِ مَسْلَمًا لَهُ . وَقَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ شَيْئًا شَيْئًا ، فَإِنْ حَدَّثَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثْتُ الْمَوْتَ ، وَأَقْضَيْتُ الْخِلَافَةَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَعَلَى مُحَمَّدٍ إِتْقَانُ مَا أَمَرَهُ بِهِ هَارُونُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فِي تَوَلِّيَةِ عِبْدِ اللَّهِ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نُرَّاسَانَ وَتُغُفُورَهَا ، وَمَنْ ضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَرْمَاسِينَ^(٢) ، وَأَنْ يَمْنَى عَبْدُ اللَّهِ هَارُونُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى خُرَّاسَانَ وَالرِّيِّ ، وَالْكُوزِ

(١) هذا العهد ورد في تاريخ يعقوبي (ج ٢ ص ٥٠٢ طبعه لندن) وفيه عبارات تخالف ما أثبتناه هنا

عن الطبري . (٢) قَرْمَاسِينَ : موضع بين الزبيدية ومكة .

الى ستمها أمير المؤمنين حيث كان عبد الله ابن أمير المؤمنين من معسكر أمير المؤمنين وغيره،
من سلطان أمير المؤمنين، وجميع مَنْ ضَمَّ اليه أمير المؤمنين حيث أحبَّ من لَدُن الرِّيّ
الى أقصى عمل نُرسان، ليس لمحمد ابن أمير المؤمنين أن يحوّل عنه قائداً ولا مقوِّداً
ولا رجلاً واحداً مَنْ ضَمَّ اليه من أصحابه الذين ضمتهم اليه أمير المؤمنين؛ ولا يحوّل
عبد الله ابن أمير المؤمنين من ولايته التي ولّاه إياها هارون أمير المؤمنين : من ثَمُور نُرسان
وأعمالها كلّها، ما بين عمل الرِّيّ مما على قَمَدان الى أقصى نُرسان، وثغورها وبلادها،
وما هو منسوب إليها ولا تخصّصه اليه؛ ولا يفرق أحداً من أصحابه وقوّاده عنه، ولا يؤتّى
عليه أحداً، ولا يبعث عليه ولا على أحد من عماله وولّاة أموره بُتْدَاراً ولا عاصياً ولا عاملاً،
ولا يُدخل عليه في صغير من أمره ولا كبير ضرراً، ولا يحوّل بينه وبين العمل في ذلك كلّ
برأيه وتديره، ولا يعرض لأحد من ضَمَّ اليه أمير المؤمنين من أهل بيته وصحّابته، وقُضّاته
وعُملّاه، وكتّابه وقوّاده، وخَدَمه ومواليه وجنده، بما يلتمس إدخال الضرر والمكره عليهم
في أنفسهم، ولا قَرَاباتهم ولا مَوالِيهم. ولا أحد يتسلّل منهم. ولا في دمائهم ولا في أموالهم،
ولا في ضياعهم ودُورهم، ورباعهم وأمتعتهم، ورقيقهم ودوابهم. شيئا من ذلك صغيراً
ولا كبيراً؛ ولا أحد من الناس بأمره ورأيه وهواه. وبترخيص له في ذلك، وإدعان منه
فيه لأحد من ولد آدم، ولا يحكم في أمرهم. ولا أحد من قُضّاته ومن عماله، ومن كان
بسبب منه، بغير حكم عبد الله ابن أمير المؤمنين ورأيه ورأى قُضّاته؛ وإن ترع اليه أحد
مَنْ ضَمَّ أمير المؤمنين الى عبد الله ابن أمير المؤمنين، من أهل بيت أمير المؤمنين وصحّابته،
وقوّاده وعماله وكتّابه وخَدَمه، ومواليه وجنده. ورقض أسمه ومكتبه ومكانه مع عبد الله
ابن أمير المؤمنين، عاصياً له، أو مخالفاً عليه، فعلى محمد ابن أمير المؤمنين رَدُّه الى عبد الله
ابن أمير المؤمنين. بصغره وقُضّاه. حتى يَنْعَدَ فيه رأيه وأمره؛ فإن أراد محمد ابن أمير المؤمنين
خَلَعَ عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية العهد من بعده. أو عزّل عبد الله ابن أمير المؤمنين

عن ولاية خراسان ، ونفودها وأعمالها ، والذي من حده عملها مما يلي همدان ، والكوفة التي سماها أمير المؤمنين في كتابه هذا ، أو صرف أحد من قواده الذين ضمتهم أمير المؤمنين إليه ، ممن قدم قزمانين ، أو أن يتقصه قليلا أو كثيرا ، مما جعله أمير المؤمنين له ، بوجه من الوجوه ، أو بحيلة من الحيل ، صغرت أو كبرت ، فليعد الله بن هارون أمير المؤمنين الخلافة بعد أمير المؤمنين ، وهو الملقم على محمد بن أمير المؤمنين ، وهو ولي الأمر من بعد أمير المؤمنين ، والطاعة من جميع قواد أمير المؤمنين هارون ، من أهل خراسان وأهل المعاد ، وجميع المسلمين في جميع الأجناد والأصهار لعبد الله بن أمير المؤمنين والقيام معه ، والتجاهدة لمن خالفه ، والنصر له والذب عنه ، ما كانت الحياة في أبدانهم ، وليس لأحد منهم جميعا من كانوا أو حيث كانوا أن يخالفوه ولا يعصيه ، ولا يخرج من طاعته ، ولا يطيع محمد بن أمير المؤمنين في خلع عبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، وصرف العهد عنه من بعده إلى غيره ، أو تقصه شيئا مما جعله له أمير المؤمنين هارون ، في حياته وصحته ، واشترط في كتابه الذي كتبه عليه في البيت الحرام ، وفي هذا الكتاب ، وعبد الله بن أمير المؤمنين المصدق في قوله ، وأتم في حل من البيعة التي في أعتاقكم لمحمد بن أمير المؤمنين هارون ، إن نقص شيئا مما جعله له أمير المؤمنين هارون ، وعلى محمد بن هارون أمير المؤمنين أن يتقاد لعبد الله ابن أمير المؤمنين هارون ، ويسلم له الخلافة ، وليس لمحمد بن أمير المؤمنين هارون ، ولا لعبد الله بن أمير المؤمنين ، أن يتخلعا القاسم بن أمير المؤمنين هارون ، ولا يقدم عليه أحدا من أولادهما وقربائهما ، ولا غيرهم من جميع البرية ، فإذا أفضت الخلافة إلى عبد الله بن أمير المؤمنين ، فالأمر إليه في إمضاء ما جعله أمير المؤمنين من العهد للقاسم بعده ، أو صرف ذلك عنه إلى من رأى من ولده وإخوته ، وتقديم من أراد أن يقدم قبله ، وتصيير القاسم بن أمير المؤمنين بعد من يقدم قبله ، يحكم في ذلك بما أحب ورأى ، فعليكم ميثاق المسلمين إنا قد ما كتب به أمير المؤمنين في كتابه هذا ، وشرط عليهم وأمر به ، وعليكم السمع والطاعة لأمر المؤمنين فيما ألزمكم وأوجب عليكم لعبد الله بن أمير المؤمنين ،

وعهد الله وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذم المسلمين ، والمهود والمواثيق التي أخذ الله على الملائكة المقرّين والنبيين والمرسلين ، وكذلك في أعتاق المؤمنين والمسلمين ، لتتغنّى لعبد الله أمير المؤمنين بما سمي ، ولمحمد وعبد الله والقاسم بنى أمير المؤمنين بما سمي ، وكتب في كتابه هذا واشترط عليكم ، وأقررتهم به على أنفسهم ، فإن أتم بقلتم من ذلك شيئا ، أو غيرتم أو نكثتم ، أو خالفتم ما أمركم به أمير المؤمنين ، واشترط عليكم في كتابه هذا ، فبرئت منكم ذمة الله ، وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وذم المؤمنين والمسلمين ، وكل مال هو اليوم لكل رجل منكم ، أو يستغنيه إلى خمسين سنة فهو صدقة على المساكين ، وعلى كل رجل منكم المشى إلى بيت الله الحرام الذي بمكة خمسين حجة . نذرا واجبا ، لا يقبل الله منه إلا الوفاء بذلك ؛ وكل مملوك لأحد منكم ، أو يملكه فيما يستقبل إلى خمسين سنة حر ، وكل امرأة له فهي طالق ثلاثا البتة ، طلاق الحرج لا مثنوية فيها ، والله عليكم بذلك كفيلاً وراج ، وكفى بالله حسيبا .

٢ - نسخة الشرط الذي كتب عبد الله بن أمير المؤمنين

بخط يده في الكعبة

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه له عبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، في حجة من عقله ، وجواز من أمره ، وصديق نية فيما كتب في كتابه هذا ، ومعرفة بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين .

إن أمير المؤمنين هارون ولأني العهد والخلافة ، وجميع أمور المسلمين في سلطانه . بعد أمي محمد بن هارون ؛ ولأني في حياته ثغور خراسان وكورها وجميع أعمالها ، وشرط على محمد بن هارون الوفاء بما عقد لي من الخلافة ، وولاية أمور العباد والبلاد بعده ، وولاية خراسان وجميع أعمالها ، ولا يعرض لي في شيء مما أقطعت أمير المؤمنين ، وأبتاع لي من الضياع والعقد والرّباع ، وأبتعت منه من ذلك ، وما أعطاني أمير المؤمنين من الأموال . والجواهر والكساء ، والمتاع والمواب ، والرقبي وغير ذلك ؛ ولا يعرض لي ولا لأحد من

عَمَّالِي وَكُتَّابِي بِسَبَبِ مُحَاسِبَةٍ، وَلَا يَتَّبِعْ لِي فِي ذَلِكَ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَبَدًا؛ وَلَا يُدْخِلْ عَلَيَّ وَلَا عَلَيْهِمْ، وَلَا عَلَيَّ مَنْ كَانَ مَعِيَ؛ وَمَنْ أَسْتَعْنَتْ بِهِ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ مَكْرُوهًا فِي نَفْسٍ وَلَا دِيمٍ وَلَا شَعْرٍ وَلَا بَشِيرٍ وَلَا مَالٍ، وَلَا صَغِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ وَلَا كَبِيرٍ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَأَقْرَبَهُ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا أَكَّدَ فِيهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَرَضَى بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ، وَقَبِلَهُ وَعَرَفَ صِدْقَ نَيْتِهِ فِيهِ؛ فَشَرَطْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَعَلْتُ لَهُ عَلَى نَفْسِي أَنْ أَسْمَعَ لِمُحَمَّدٍ، وَأَطِيعَ وَلَا أَعْصِيهِ؛ وَأَنْصَحَهُ وَلَا أَغْشَهُ، وَأَوْفَى بِبَيْعَتِهِ وَوَلَايَتِهِ، وَلَا أَغْدِرُ وَلَا أَتَكَلَّفُ، وَأَنْفَعُ كُتُبَهُ وَأُمُورَهُ، وَأُحْسِنُ مُؤَاوَزَتَهُ وَجِهَادَ عَدُوِّهِ فِي نَاحِيَّتِي؛ مَا وَفَّقَ لِي بِمَا شَرَطْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِي، وَتَمَّتْ فِي الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَضَى بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَتَّبِعْنِي بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَقْضِ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي شَرَطْتُهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِي عَلَيْهِ؛ فَإِنْ أَحْتَاجُ مُحَمَّدُ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى جُنْدٍ، وَكَتَبَ إِلَيَّ بِأَمْرِي بِإِخْطَاصِهِ إِلَيْهِ، أَوْ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ التَّوَاهِي، أَوْ إِلَى عَدُوٍّ مِنْ أَعْدَائِهِ خَالَفَهُ، أَوْ أَرَادَ قَتْلَ شَيْءٍ مِنْ سُلْطَانِهِ أَوْ سُلْطَانِي الَّذِي أَسْتَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْنَا، وَوَلَّانَا إِيَّاهُ، فَفَعَلْتُ أَنْ أَنْفَعُ أَمْرَهُ، وَلَا أَخَالَفُهُ وَلَا أَقْصُرُ فِي شَيْءٍ كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ؛ وَإِنْ أَرَادَ مُحَمَّدُ أَنْ يُوَلِّيَ رَجُلًا مِنْ وَلَدِهِ الْعَهْدَ وَالْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي، فَذَلِكَ لَهُ مَا وَفَّقَ لِي بِمَا جَعَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيَّ، وَأَشْرَطَ لِي عَلَيْهِ، وَشَرَطَ عَلَى نَفْسِهِ فِي أَمْرِي؛ وَعَلَى إِنْفَاقِ ذَلِكَ وَالْوَفَاءُ لَهُ بِهِ لَا أَقْصُصُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أُغَيِّرُهُ وَلَا أَبْتَلُهُ وَلَا أَقْدِمُ قَبْلًا أَحَدًا مِنْ وَلَدِي وَلَا قَرِيْبًا وَلَا بَعِيدًا مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ إِلَّا أَنْ يُوَلِّيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونُ أَحَدًا مِنْ وَلَدِهِ الْعَهْدَ مِنْ بَعْدِي، فَيُلْزِمُنِي وَمُحَمَّدًا الْوَفَاءَ لَهُ، وَجَعَلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُحَمَّدَ عَلَى الْوَفَاءِ بِمَا شَرَطْتُ وَسَمِّيتُ فِي كِتَابِي هَذَا، مَا وَفَّقَ لِي مُحَمَّدٌ بِجَمِيعِ مَا اشْتَرَطْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِي، وَمَا أَعْطَانِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الْمُسَمَّاةِ فِي هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ لِي؛ وَعَلَى عَهْدِ اللَّهِ وَمِيثَاقِهِ، وَذِقَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَذِمَّتِي، وَذِمِّ آبَائِي وَذِمِّ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَأَشَدُّ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ مِنْ خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ، مِنْ عَهْدِهِ وَمَوَاقِفِهِ، وَالْإِيمَانُ الْمُؤَكَّدَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ بِهَا، وَنَهَى عَنْ قَضَائِهَا وَتَبْدِيلِهَا؛ فَإِنْ أَنَا نَقَضْتُ شَيْئًا مِمَّا شَرَطْتُ

وسميت في كتابي هذا، أو قيرت أو بقلت أو نكثت أو قلدت، فبرئت من الله عز وجل، ومن ولايته ودينه، وعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقيت الله يوم القيامة كافراً مشركاً، وكل امرأة هي لي اليوم، أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثاً البتة، طلاق الحرج، وكل مملوك هو لي اليوم، أو أملكه إلى ثلاثين سنة، أحرار لوجه الله، وصل المنى إلى بيت الله الحرام الذي بمكة ثلاثين حجة، نذراً واجبا علي في حق، حافياً واجلاً لا يقبل الله مني إلا الوفاء بذلك، وكل مال لي أو أملكه إلى ثلاثين سنة هدي بالغ الكعبة، وكل ما جعلت لأمر المؤمنين، وقسرت في كتابي هذا لازم لي، لا أخير غيره، ولا أنوي غيره . وشهد سليمان بن أمير المؤمنين، وعلان وعلان . وكتب في ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة .

٣ - نسخة كتاب الرشيد إلى العمال

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فإن الله ولي أمير المؤمنين وولي ما ولأه، والحافظ لما استقره، وأكرمه به من خلافته وسلطانه، والصانع له فيما قدم وأخر من أموره، والمنعم عليه بالنصر والتأييد في مشارق الأرض ومغاربها، والكال والحافظ والكافي من جميع خلقه، وهو الم محمود على جميع آلائه، المستول تمام حسن ما أمضى من قضائه لأمر المؤمنين وعادته الجميلة عنده، وإلهام ما يرضى به ويوجب له عليه أحسن المزيد من فضله، وقد كان من نعمة الله عز وجل عند أمير المؤمنين وعندك وعند عوام المسلمين ما تولى الله من محمد وعبد الله أبي أمير المؤمنين من تبليغه بهما أحسن ما أملت الأمة ومثت إليه أعناقها، وقذف الله لها في قلوب العامة من المحبة والمودة والسكون اليها والثقة بهما لإمداد دينهم وقوام أمورهم وجمع ألفتهم وصلاح دعاتهم ودفع المحذور والمكروه من الشتات والفرقة عنهم حتى أقروا اليها أزمته، وأعطوها بيعتهم، وصفقات أيمانهم بالعهد والمواثيق وركبوا الأيمان المغلظة عليهم، أراد الله فلم يكن له مرد، وأمضاء فلم يقدر أحد من العباد على نقضه ولا إزالته، ولا صرف له عن محبته ومشيبته، وما سبق في علمه منه، وأمر المؤمنين يرجو تمام النعمة

عليه وعليهما في ذلك، وعلى الأمة كافة لا عاقب لأمر الله ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمته؛ ولم يزل أمير المؤمنين منذ أجمعت الأمة على عقد العهد ل محمد ابن أمير المؤمنين من بعد أمير المؤمنين ، ولعبد الله ابن أمير المؤمنين من بعد محمد ابن أمير المؤمنين يُعْمَلُ فكره ورأيه ونظره ورويته، فيما فيه الصلاحُ لها ولجميع الرعية؛ والجمع للكلمة، والألم للشع، والدفع للشقات والفرقة، والحسم لكيد أعداء النعم من أهل الكفر والتفاق، والغسل والشقاق، والقطع لآمالهم من كل فرصة يرجون إدراكها وأتجازها منها بانتقاص حقهما، ويستخير الله أمير المؤمنين في ذلك ويسأله العزيمة له على ما فيه الخيرة لها ولجميع الأمة والقوة في أمر الله وحقه وأتلاف أهوائها، وصلاح ذات بينهما، وتحصينهما من كيد أعداء النعم، ورد حَسَنهم ومكرهم وبغيتهم وسعيهم بالفساد بينهما، فزَمَّ اللهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الشُّخُوصِ بهما إلى بيت الله وأخذ البيعة منهما لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّمْعِ والطاعة والإتفاذ لأمره، واكتتاب الشرط على كل واحد منهما لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ولها بأشد الموائيق والعهود، وأغلظ الإيمان والتوكيد، والأخذ لكل واحد منهما على صاحبه بما ألتبس به أمير المؤمنين اجتماع ألفتها وموتقتها وتواصلهما ومؤازرتها ومكافئتهما على حسن النظر لأنفسهما، ولرعية أمير المؤمنين التي أسترعاها، والجماعة لدين الله عز وجل وكتاب الله وسُنَنَ نبيه صلى الله عليه وسلم، والجهاد لعدو المسلمين مَنْ كانوا وحيث كانوا وقطع طمع كل عدو مظهر للعداوة ومُسرِّها، وكل منافق ومارق، وأهل الأهواء الضالة المضلة من فرقة تكيد بكيد توقعه بينهما، وبَدَحَسٍ يَدَحَسُ^(١) بهما، وما يلتبس أعداء الله وأعداء النعم وأعداء دينه من الضرب بين الأمة والسعي بالفساد في الأرض، والدعاء إلى البدع والضلالة، نظراً من أمير المؤمنين لدينه ورجيته، وأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وماسحةً لله وجميع المسلمين، وذُباباً عن سلطان الله الذي قدره وتوحد فيه للذي حمّله إياه، والاجتهاد في كل ما فيه قرْبُهُ إلى الله، وما يُنَالُ به رضوانه والوسيلة عنده .

فلما قَدِمَ مَكَّةَ أَظْهَرَ مُحَمَّدٌ وَجْدَ اللَّهِ رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ وَمَا نَظَرَ فِيهِ لَهَا، فَقِيلَ كُلُّ مَا دَامَا
إِلَيْهِ مِنَ التَّوَكُّيدِ عَلَى أَنْتَهُمَا بَقُولِهِ، وَكَتَبَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي بَطْنِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بِمُخْطُوطٍ
أَيْدِيهِمَا بِمَحْضَرٍ مِنْ شَهِدِ الْمُؤَسَّسِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَوَّادِهِ، وَصَحَابَتِهِ وَقُضَّاتِهِ، وَحُجَّةِ
الْكُتُبَةِ وَشَهَادَتِهِمَا عَلَيْهِمَا، كَتَبَيْنِ أَسْتَوْدَعُهُمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحُجَّةَ، وَأَمَرَ بِتَعْلِيْقِهِمَا فِي دَاخِلِ
الْكُتُبَةِ؛ فَلَمَّا فَرَّغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي دَاخِلِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَبَطْنِ الْكُتُبَةِ؛
أَمَرَ قُضَّاتَهُ الَّذِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِمَا وَحَضَرُوا كِتَابَهُمَا أَنْ يَتْلُوا جَمِيعَ مَنْ حَضَرَ الْمَوْسِمَ مِنَ الْحَاجِّ
وَالْعُمَرَاءِ وَوَفُودِ الْأَمْصَارِ، مَا شَهِدُوا عَلَيْهِ مِنْ شَرْطِهِمَا وَكِتَابِهِمَا وَقَرَأَهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، لِيُفْهَمُوهُ
وَيَعْنُوهُ وَيَعْرِفُوهُ وَيَحْفَظُوهُ وَيُؤَدُّوهُ إِلَى إِخْوَانِهِمْ وَأَهْلِ بِلَدَانِهِمْ وَأَمْصَارِهِمْ، فَقَعَلُوا ذَلِكَ،
وَقُرِئَ عَلَيْهِمُ الشَّرْطَانِ جَمِيعًا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؛ فَانْصَرَفُوا وَقَدْ أَشْتَرَكُوا ذَلِكَ عِنْدَهُمْ، وَأَتَجَرَّعُوا
الشَّهَادَةَ عَلَيْهِ، وَعَرَفُوا نَفَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَتَاتِيَّتَهُ بِصِلَاحِهِمْ، وَحَقَّنَ دِمَائِهِمْ وَلَمْ شَعْنَهُمْ،
وَإِعْطَاءَ بَجْرَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَاءِ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ، وَأَظْهَرُوا الدِّعَاءَ
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالشُّكْرَ لِمَا كَانَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ نَسَخَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذِيكَ الشَّرْطَيْنِ
الَّذَيْنِ كَتَبَهُمَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبْنَاءَ مُحَمَّدٍ وَجَدَّ اللَّهِ فِي بَطْنِ الْكُتُبَةِ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ هَذَا؛
فَأَحْمَدُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا صَنَعَ مُحَمَّدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ وَلِيُّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا، وَأَشْكُرُهُ
بِإِلَازِهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعِنْدَ وَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ وَعِنْدَكَ وَعِنْدَ جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا؛ وَأَقْرَأَ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْفِئَهُمْ إِيَّاهُ،
وَقُمُّ بِهِ بَيْنَهُمْ وَأَثَبَتْهُ فِي الدِّيَوَانِ قَبْلَكَ، وَقَبْلَ قَوَّادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرِعِيَّتِهِ قَبْلَكَ، وَأَكْتُبُ إِلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَبِهِ الْحَوْلُ
وَالْقُوَّةُ وَالطَّلْوُ . كَتَبَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ صَبِيحٍ يَوْمَ السَّبْتِ لِسَبْعِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنَ الْحَزْمِ سَنَةِ
سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ .

باب المنظوم

صورتنا لك بالمجلد الأول حالة الشعر في صدر الدولة العباسية وذكرنا لك بحلة صالحة من شعراء ذلك العصر ووعداك بذكر مختارات من شعرهم، وإليك ما وعدناك به .

١ - بَسَّارُ بْنُ بَرْدِ الْعُقَيْلِيِّ

سأله المهدي لما دخل عليه فقال له : فيمن تُعَتِّدُ بِإِبْشَارِ؟ فقال : أَمَا اللِّسَانُ وَالزُّمَيْرُ
فَرَّيَّانَ ، وَأَمَّا الْأَصْلُ فَعَجَبِي ، كَمَا قُلْتُ فِي شِعْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :
وَبُنْتُ قَوْمًا بِهِمْ يَحْنَةُ * يَقُولُونَ مَنْ ذَا وَكُنْتُ الْعَلَمُ
أَلَا آيَا السَّائِلِ جَاهِدًا * لِيَصْرِفَنِي أَنَا أَنْفُ

(١) هو أبو معاذ بشار المروعي بن برد ، أشعر خصري الدولتين ، ورأس الشعراء المحدثين ، ومعهذ طريق الاختراع ، والبداع للثنتين ، وأحد البلاء المكثوفين . وأصله من فرس طحاوستان من سبي المهلب بن أبي صفرة ، ووقع ملك أبويه لبي عقيل بن كعب ، فتناً بإشارتهم وترى في منازلهم ، واختطف إلى الأهراب الضاريين بالبصرة حتى خرج قابضة زمانه في القفصاة والشعر . وكان أكله مجدور الوسخ ، فيحب المنظر ، مفرط الطول ، ضخم الجثة ، متوقد الذكاء ، صادق الحس ، لطيف الدراية ، شديد الهوى والاستغناء بالناس ، كثير الاستنثار بالدين ، قليل المبالاة للرفوع فيه ، منها بالزندقة شويبا ، منصبا على العرب ، شديد التزم بالساس ، نهاشا لأهراضهم ، لا يسلم من لسانه خليفة ولا سوقة ، وكان من سعادة الرجل من أهل البصرة ألا يعرف بشارا ولا بشار يهره ، فانه إن لم يصبه في عرضه أصابه في ماله . وقال بشار الشعر ولم يبلغ عشرين ، وما بلغ الحلم إلا وهو مخشى مرة لسانه . وقد أجمع رواة الشعر وقدرته على أن بشارا هو رأس المحدثين وأسبقهم إلى معاظاة البديع ، وطرق أبواب الهجون والملاحاة والفتل الرقيق الحصري والهاء المقلع .

وأما أول من جمع في شعره بين جزالة العرب وروعة المحدثين ، وعنى عن المعاني الدقيقة ، والأخيلة اللطيفة ، حتى عد شعره برزخا بين الشعر القديم والحديث ، ونحازا يهجر عليه الشعر من مراجع البداوة إلى مقاصير الحضارة . وقد طرق كل باب من أبواب الشعر التي حرمت قبله وأرنب عليها ، وطلب عليه الهباء والتشبيب بالنساء والحروح به من الحلة المألوف عند أهل زمانه ، حتى أنكزه عليه البلاء والنورحود لما رأوا من سوء أثره في شأن البصرة . وقد نهى المهدي عن التشبيب ، فكان إذا مالت له هسه يذكر منه ما ينهاه ويقول : إن الخليفة معه من كذا وكذا وأنه له مطيع .

وضمن ذلك بعض قصائد مدح بها الخليفة ، لم يزد على أن سره الحائرة ، وشبهه على ذلك وزيره يعقوب بن داود ، وكان متروطا ، نهجا ما ، فكان ذلك إلى زندقته سبب قتل . توفي سنة ١٦٧ هـ وقد نيف على التسعين . وتجد ترجمته في الأغانى (ج ٣ ص ١٩ وج ٦ ص ٧) وابن خلكان (ح ١ ص ٨٨) والشعر والشعراء (ص ٤٧٦) والفهرست (ص ١٥٩) .

نَمَتْ فِي الْكَرَامِ بَنَى عَامِرٍ * فَرَوَى وَأَجْلَى قَرِيْشَ الْعَجَمِ
فَأَنَّى لِأَعْنَى مَقَامِ الْفَسَقِ * وَأَصْحَى الْفَتَاةِ لِمَا تَمْتَعِمِ

وكان أبو دُلَامة حَاضِرًا ، فقال : كَلَّا ! لَوَجَّهَكَ أَقْبَحَ مِنْ ذَلِكَ ، وَجْهِي مَعَ وَجْهِكَ ،
فقال بَشَّار : كَلَّا ! والله ما رأيت رجلا أصدق على نفسه وأكذب على جلوسه منك ، والله
إني لطويلُ القامة ، عظيمُ الهامة ، تَامُ الأُلواحُ ، أَتَمَّجُ الخَدَّيْنِ ، وَلَرَبُّ مُسْتَرْتَمِي المَزودين
للعَيْنِ فِيهِ مُرَاد . ثم قال له المهدي : من أيِّ العجم أصلك ؟ فقال : من أَكْثَرِهَا
في الفُرسان وأشدَّها على الأفران ، أَهْلُ طَخَارِستان ؛ فقال مَضَى القوم : أو لك الصُّغد ،
فقال : لا ! الصُّغد تَجَار ؛ فلم يَرُدُّ ذَلِكَ المهدي .

وكان بشار كثير التَّلَوْنِ في ولَّائه ، شديد التشيُّع والتعصب للعجم ، مرَّة يقول بضمخ
بولائه في قَبَسٍ :

أَمِنْتُ مَضَرَّةَ الْفَحْشَاءِ إِنِّي * أَرَى قَبَسًا تُشَبُّ وَلَا تُضَارُّ^(١)
كَانَ النَّاسُ حِينَ تَغِيْبُ عَنْهُمْ * نَبَاتُ الْأَرْضِ أَخْطَاءَ الْقِطَارِ
وَقَدْ كَانَتْ يَتَدَمَّرُ خَيْلُ قَبَسٍ * فَكَانَ لِنَدْمِي فِيهَا دِمَارُ
بَحِيٌّ مِنْ بَنِي عَمِلَانَ شُومِ * يَسِيرُ الْمَوْتُ حَيْثُ يُقَالُ سَارُوا
وَمَا نَقَامُ إِلَّا صَدَرْنَا * يَرَى مِنْهُمْ وَهُمْ حِرَارُ

ومرة يتبرأ من ولاء العرب فيقول :

أَصْبَحْتُ مَوْلَى ذِي الْجَلَالِ وَمَعْضُهُمْ * مَوْلَى الْعَرِيبِ بَعْدَ فَضْلِكَ فَانْقَرِ
مَوْلَاكَ أَمْ كَرُمٌ مِنْ تَمِيمِ كُلِّهَا * أَهْلُ الْفِعَالِ وَمِنْ قُرَيْشِ الْمَشْعَرِ
فَارْجِعْ إِلَى مَوْلَاكَ غَيْرِ مُدَّافِعٍ * سَبْحَانَ مَوْلَاكَ الْأَجَلِ الْأَكْبَرِ
وقال يفتخر بولاء بني عَقِيلِ :

أَتْنَى مِنْ بَنِي عَقِيلِ بْنِ كَعْبٍ * مَوْضِعُ السِّيفِ مِنْ طَلَى الْأَعْتَاقِ

(١) تشب : تزداد وترجع .

وولد بشار أحمى، لما نظر إلى الدنيا قط، وكان يشبه الأشياء بعضها ببعض في شعره،
فيأتي بما لا يقدّر البعراء أن يأتوا بمثله؛ فقليل له يوما وقد أنشد قوله :

... كان مِثَارُ النِّعَمِ فوقِ رموسنا * وأسِيفَتنا لَيْلُ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيئا فيها؟
فقال: إن عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء،
فيتوفر حسه وتذكر قريحته؛ ثم أنشد قوله :

... عَمِيَتْ جَنِينًا وَالذَّكَاءُ مِنَ الْعَمَى * بَقِيتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعَلَمِ مَوْثِلًا

وقاض ضياء العين للعلم رافدا * بقلب إذا ما ضيغ الناس حصلا

وشعر كَنُورِ الرُّوضِ لَأَمَّتْ بَيْنَهُ * يقول إذا ما أحرز الشعر أسهلا

وكان من أشد الناس تبرؤا بالناس. وكان يقول: الحمد لله الذي ذهب ببصري.
فقليل له: ولم يا أبا معاذ؟ قال: لئلا أرى ما أبغض.

قال الأصمعي: بشار خاتمة الشعراء، وإليه لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم.
وقيل لأبي عبيدة: أمرؤان أشعر أم بشار؟ فقال: حكم بشار لنفسه بالاستظهار،
إنه قال ثلاثة عشر ألف بيت جيد، ولا يكون صدأ الجيد من شعر شعراء الجاهلية
والإسلام هذا الصد، وما أحسبهم برزوا في مثلها، ومروان أمدح للوك.

وسئل الأصمعي عن بشار ومروان أيهما أشعر؟ فقال: بشار؛ فسئل عن السبب لذلك؟
فقال: لأن مروان سلك طريقا أكثر من يسلكه، فلم يلحق بمن تقدمه وشركه فيه من كان
في عصره، وبشار سلك طريقا لم يسلكه وأحسن فيه وتفرد به، وهو أكثر تصرفا وفتون
شعر، وأغزر وأوسع يدعا، ومروان لم يتجاوز مذهب الأوائل.

وقيل لبشار: ليس لأحد من شعراء العرب شعرا ولا وقد قال فيه شيئا أسنكرته العرب
من ألفاظهم وشك فيه، وإنه ليس في شعرك ما يشك فيه؛ قال: ومن أين يأتيني الخطأ؟
وولدت هاهنا، ونشأت في مجور ثمانين شيخا من قصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة

من الخطأ، وإن دخلت إلى نسائهم ففسادهم أفصح منهم، وأيقنت فأبديت^(١) إلى أن أدركت،
فمن أين يأتي الخطأ ؟ .

كان جرير بن المنذر السلمي يفاخر بشارا، فقال فيه بشار :
أمثل بنى مضر وإيل * قدتكم من فاجر ما أجز
أفى النوم هذا أبا منذر * نفيرا رأيت وخيرا يحسن
رأيتك والفخر فى مثلها * كعاجنة غير ما تطهر

كان بشاريهوى امرأة من أهل البصرة، فراسلها يسألها زيارته، فوعده بذلك ثم
أخلفته، وجعل ينظرها ليلته حتى أصبح، فلما لم تأته أرسل إليها ليعانها فأعتذرت بمرض
أصابها، فكتب إليها بهذه الأبيات :

يا ليتى تزاد نكرا * من حب من أحببت يكر
حوراء ان نظرت اليه * لك سبقتك بالعين تحرا
وكان رجع حديثها * قطع الرياض كسين زهرا
وكان تحت لسانها * هاروت بنفت فيه يحرا
وتخل ما جمعت عليه * ثيابها دعبا وعطرا
وكانها برود الشرا * ب صفا وصادف منك فطرا
ذاك أجل أمرا
وصفك أنى لم أحط * بشكاة من أحببت خبرا
إلا مقالة زالير * قرت لى الأحرار ثرا
نحشما تحت الهوى * عسرا و-

وكان إسحاق الموصلى لا يستد بشار ويقول : هو كثير التخليط فى نثره، وأشعاره مختلفة
لا يشبه بعضها بعضا، أليس هو القائل :

(١) أبديت أى أخرجت إلى البادية .

إِنَّمَا عَظُمُ سُلَيْمِي حَقِيْقٌ • قَصَبُ الشُّكْرِ لَا عَظْمُ الْبَهْلِ
وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَلًا • غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ

لَوْ قَالَ : كُلُّ شَيْءٍ جَيِّدٌ ثُمَّ أَضَيْفَ إِلَيْهِ هَذَا لَزَقَهُ ، وَكَانَ يُقَدَّمُ عَلَيْهِ مِرْوَانَ وَيَقُولُ : هُوَ أَشَدُّ أَسْتَوَاءَ شَعْرَمَنَّهُ ، وَكَلَامُهُ وَمَنْهَجُهُ أَشْبَهَ بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَمَنْهَاجِهَا ، وَكَانَ لَا يَمُذُّ أَبَانُوسَ الْبَيْتَةَ وَلَا يَرَى فِيهِ خَيْرًا .

قَالَ الْجَاهِلِيَّةُ : كَانَ بَشَّارٌ خَطِيئًا صَاحِبَ مَشْوَرٍ وَمَزْدُوجٍ وَتَجَمُّعٍ وَرِسَالٍ ، وَهُوَ مِنَ الْمَطْبُوعِينَ أَصْحَابِ الْإِبْدَاعِ وَالْإِخْتِرَاعِ ، الْمُتَضَنِّينَ فِي الشَّعْرِ ، الْقَائِلِينَ فِي أَكْثَرِ أَجْنَاسِهِ وَضُرُوبِهِ . وَقَالَ الشَّعْرُ فِي حَيَاةِ جَرِيرٍ وَتَعَرَّضَ لَهُ ، وَحَكَى أَنَّهُ قَالَ : هَجُوتُ جَرِيرًا فَأَهْرَضَ عَنِّي ، وَلَوْ هَاجَانِي لَكُنْتُ أَشْعَرُ النَّاسِ ، وَكَانَ يَدِينُ بِالرَّيْجَةِ ، وَيَكْفُرُ بِجَمِيعِ الْأُمَّةِ ، وَيَصُوبُ رَأْيَ إِبْلِيسَ فِي تَقْدِيمِ النَّارِ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَذَكَرَ مَثَلَ ذَلِكَ فِي شَعْرِهِ فَقَالَ :

الْأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مُثِيرَةٌ • وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مَدَّ كَانَتْ النَّارُ

وَقَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ لِأَبِي عَمْرٍو : مَنْ أَبْدَعَ النَّاسَ بَيْتًا؟ قَالَ الَّذِي يَقُولُ :

لَمْ يَطْلُ بَيْتٌ وَلَكِنْ لَمْ أَتَمْ • وَقَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفُ الْإِثْمِ
وَإِذَا قُلْتُ لَهَا جُودَى لَنَا • خَرِجْتُ بِالْعَصْنَةِ عَنْ لَا وَنَعَمْ
رَوْحِي يَا عَبْدَ عَنِّي وَأَعْلَى • أَنْتَنِي يَا عَبْدَ مَنْ لَمْ يَدَمْ
إِنِّي فِي بُرْدَى جَسْمًا فَاحِلًا • لَوْ تَوَكَّأْتُ عَلَيْهِ لَأَنْهَدَمَ

وَهَذِهِ الْآيَاتُ لِبَشَّارٍ .

قَالَ : فَمَنْ أَمْدَحَ النَّاسَ؟ قَالَ الَّذِي يَقُولُ :

لَمَسْتُ بِكَتْفِي كَعَفَةِ ابْنَتِي النَّفَى • وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَعَفِهِ يُعْدِي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذَوُو النَّفْسِ • أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَقْتُ مَا عِنْدِي

وَهَذِهِ الْآيَاتُ لِبَشَّارٍ .

ودخل بشار على إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فأنشد قصيدة يهجو فيها المصبور
ويُشير عليه برأى يستعمله في أمره، فلما قُتل إبراهيم خلف بشار، قلب الكنية وأظهر أنه
كان قاتلاً في أبي مسلم، وحذف منها أبياتا، وأولها :

أبا جعفرٍ ما طولُ عيش بلاتم * ولا سالمٌ عما قليلٍ بسالم
قلب هذا البيت فقال : أبا مسلم :

على الملك الجبار يقيم الردى * ويصرعه في المأزق المتلالم
كأنك لم تسمع بقتل متوج * عظيم ولم تسمع بقتك الأطم
تتم كمرى رهطه بسيوفهم * وأمسى أبو الباس أحلام قائم

يعني الوليد بن يزيد

وقد كان لا يتخفى انقلاب مكيدة * عليه ولا جرى النحوس الأثام
مقيماً على اللذات حتى بت له * وجوه المنايا حاسرات العمام
وقد تود الأيام غراً وربما * وردت ككوتها بأديات الشكام
ومروا أن قد حارت على رأسه الرما * وكان لما أبرمت زر الجرام
فأصبحت تجري سائداً في طرفهم * ولا تنقى أشباه تلك القمام
تجردت للإسلام تقفو سبيله * وتغري مطاء^(١) ليلوث الضرام
فما زلت حتى استنصر الدين أهله * عليك فعادوا بالسيوف الصوام
فرم وزدا يُجْحِك يا بن سلامة * فلت يناع من مضيم وضام

جعل موضع "يا بن سلامة" "يا بن وشبكة" وهي أم أبي مسلم

لما الله قوما رأسوك طيهم * وما زلت مرحوما خيث المطام
أقول لبسام عليه جلالة * فلما أزيحاً عايشا للكارم
من الفاطميين الدعوة الى الهدى * جهارا ومن يدريك مثل ابن فاطم

هذا البيت حذفه بشار من الأبيات :

سراج لعين المستضيء ونارة * يكون ظلما للعدو المزاحم
إذا بلغ الرأي المشورة فأتين * برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غفاضة^(١) * فإن الخوافي قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقاءم
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن * قوما فإن الحزم ليس بناثم
وحارب إذا لم تمتط إلا سلامة * شبا^(٢) الحرب خير من قبول المظالم
وأذن على القربى المقرب نفسه * ولا تشهد الشورى أمراً غير كاتم
فإنك لا تستطرد المم بالئس * ولا تبلغ العلبا بنير المكارم
إذا كنت فردا هرك القوم مقيلا * وإن كنت أذن لم تخرز بالمزامم
وما قرع الأقوام مثل مشيع^(٣) * أريب ولا جلى العمى مثل عالم

قال أبو عبيدة : ميمية بشار هذه أحب إلى من ميمية جرير وأفرزدق . وقال الأصمعي
لبشار : يا أبا معاذ ، إن الناس يحبون من أبياتك في المشورة ، فقال له : يا أبا سعيد ، إن
المشاورين صواب يفوز بثمرته ، أو خطأ يشارك في مكروهه ، فقال له : أنت في قولك هذا
أشعر منك في شعرك .

توفي ابن لبشار بخرع عليه ، فقيل له : أجز قدمته ، وفقط أقرطته ، ودنثر أحرزته ،
فقال : ولد دفتته ، وكلت تعجلته ، وغيب وعدته فانتظرتة ، والله لن لم أجزع للنقص
لا أفرح للزيادة . وقال يرثيه :

(١) الصاعة : المقصة . (٢) الخوافي : الريشات الصغيرات التي في جراح الطائر إذا ضحكها خفيت ،
واحدها حافية ضد القوادم . (٣) الل بالهم : الحديدية التي تجمع بين يد الأسير وعقه وتسمى بالجامعة .
(٤) الشبا بالفتح جمع شبة وهي من كل شيء حده . (٥) المشيع : الشجاع .

أَجَارَسَا لَا تَجْزِعِي وَأَيْبِي * أَنَانِي مِنَ الْمَوْتِ الْمَطْلُ نَصِيبِي
 بُخِّي عَلَى رَغْمِي وَتُخْفِي رُزْئِي * وَبُدِّلْ أَجْمَارًا وَجَالٌ قَلِيبٌ
 وَكَانَ كَرِيمَانِ الْعُرُوسِ تَحَالُهُ * ذَوِي بَعْدِ إِشْرَاقِ بَسْرِ وَطِيبِ
 أَصْبَحْتُ بِهِ فِي حِينَ أَوْرَقَ غَصْنُهُ * وَأَلْقَى عَلَى الْهَمِّ كُلِّ قَرِيبِ
 عَجِبْتُ لِإِسْرَاعِ الْمَيِّتَةِ نَحْوَهُ * وَمَا كَانَ لَوْ مُلِيتُهُ بِحَبِيبِ

قيل لبشار : إنك تضحى بالشئ المجهين المتفاوت ، قال : وما ذاك ؟ قيل : بينا نحول
 نعرا يُبِيرُ التّعَمُّعَ وَنُحَلِّجُ بِهِ الْقُلُوبَ مِثْلَ قَوْلِكَ :

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِيَةً * هَتَكَ حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تُطِطَّرَ الدَّمَاءُ
 إِذَا مَا أَحْرَمْنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ * ذُرَى مَبْرُورٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا
 قول :

رَبَابَةُ رَبَّةِ الْيَتِّ * تَصُبُّ الْخَلْلَ فِي الزَّيْتِ
 لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ * وَدِيدُكَ حَسَنُ الْعَمَوْتِ

فقال : لكل وجه ، فالقول الأول جد ، وهذا قتله في ربابة جاريتي ، وأنا لا أكل البيض من
 السوق ، وربابة لها عشر دجاجات وديك ، فهي تجمع لي البيض ، فهذا عندها أحسن من
 « قَفَائِكَ » عندك . وسأنته جارية مغنية لبعض ولد سلمان بن علي ، وكانت عسنة بارعة
 الظرف ، أن يذكرها في قصيدة ولا يذكرفها أسمها ولا أسم سيدها ويكتب بها إليها ، فأنصرف
 وكتب إليها :

وَذَاتِ دَلٍّ كَانَ الْبَدْرُ صَوْرَتُهَا * بَاتَتْ تَقْنَى عَمِيدَ الْقَلْبِ مَسْكُونَا
 « إِنْ الْمَيُوءَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ * قَتَلْتَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا »
 فَقُلْتُ أَحْسَنْتِ يَا سَوْدَى وَيَا أَمَلِي * فَأَسْمِعِينِي جَزَاكَ اللَّهُ إِحْسَانَا
 « يَا حَبْدَا جَبَلُ الرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ * وَحَبْدَا مَا كُنَّ الرَّيَّانُ مِنْ كَانَا »
 قَالَتْ فَهَلَّا فَدَتْكَ النَّفْسُ أَحْسَنُ مِنْ * هَذَا لِمَنْ كَانَ صَبَّ الْقَلْبِ حَيْرَاتَا

« يا قوم أذني لبعض الحي عاصقة * والأذن تمشق قبل العين أحيانا »
 فقلت أحسنت أنت الشمس طالعة * أضربت في القلب والأحشاء يبرانا
 فما سمعني صوتا مطريا هزجا * يريد صبا حبا فيك أشجانا
 يا ليتي كنت نفاحا مفلجة * أو كنت من قصب الریحان ريحانا
 حتى إذا وجئت ريحي فأعجبها * ونحن في خلوة مثلت لإنسانا
 غرقت عودها ثم أثنت طوبا * تشبوا به ثم لا تحفیه كتمانا
 « أصبحت أطوع خلق الله كلهم * لا كثر الخلق لي في الحب عضيانا »
 فقلت أطريقتا يازين جلستا * فهات إنك بالإحسان أولانا
 لو كنت أعلم أن الحب يقتلي * أعدت لي قبل أن ألك أكفانا
 ففنت الشرب صوتا موقعا زملا * يذكي السرور ويبيي العين ألوانا
 « لا يقتل الله من دامت مودته * والله يقتل أهل الفدر أحيانا »

كان الزوار يستمّون في قديم الدهر الى أيام خالد بن برمك السؤال، فقال خالد : هذا والله أسم أستغله لطلاب الخير، وأرفع قدر الكرم عن أن يُسمّى به أمثال هؤلاء المؤمنين، لأن فيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعم، ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدبا، ولكننا نسّمهم الزوار، فقال بشار يمدحه بذلك :

حدا خالد في فعله حدو برمك * فجد له مستطرف وأصيل
 وكان ذوو الآماء يدعوون قبله * بلفظ على الإعدام فيه دليل
 يستمّون بالسؤال في كل موطن * وإن كان فيهم نايه وجليل
 فسماهم الزوار سترًا عليهم * فاستاره في المهتدين مدول

وقال بشار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلم خالد بهذا في أمر الزوار، فاعطاه لكل بيت ألف درهم .

دخل بشار على عُبَيْة بن سَلَمَ فأنشده بعض مدائحه فيه، وعنده عُبَيْة بن رُوَيْبَةَ ينشده
 رَجَزًا يمدحه به، فسمعه بشار وجعل يستحسن ما قاله إلى أن فرغ، ثم أقبل على بشار
 فقال: هذا طراز لا تُحْسِنُه أنت يا أبا مُعَاذٍ، فقال بشار: ألي يقال هذا! أنا والله أَرْجُؤُكَ مِنْكَ
 ومن أبوك وجدك؛ فقال له: عُبَيْة أنا وأبي فَتَحْنَا لِلنَّاسِ بَابَ الْغَرِيبِ وَبَابَ الرَّجَاءِ وَإِنِّي
 خَلِيقُ أَنْ أَسْتَدَّ عَلَيْهِمْ؛ فقال بشار: أرحمهم رحمة الله، ولما كان من غَدٍ فدا على عُبَيْة
 ابن سلم وعنده عُبَيْة بن رُوَيْبَةَ، فأنشده أَرْجُؤُكَ الَّتِي مَدَحَ فِيهَا:

يَا طَلَّلَ الْحَىٰ بِذَاتِ الصَّمَدِ • بَالَهُ خَبَرٌ كَيْفَ كُنْتُ بِعَدَى
 أَوْحَشْتُ مِنْ دَعْدٍ وَتَرْبٍ دَعْدِ • سَقِيًّا لَأَهْمَاءِ ابْنَةِ الْأَشَدِّ
 قَامَتْ تَرَامَى إِذْ رَأَيْتُنِي وَحْدَى • كَالشَّمْسِ نَحْتِ الزُّبُرِجِ الْمَقْدِ^(١)
 صُلْتُ يَهْدٍ وَجَلْتُ مِنْ خَدِّ • ثُمَّ انْتَلْتُ كَالْفَسِّ الْمُرْتَدِّ
 عَهْدِي بِهَا سَقِيًّا لَهُ مِنْ عَهْدِ • تُخْلِفُ وَعْدًا وَتَنِي بَوْمَدِ
 فَتَحْنُ مِنْ جَهْدِ الْهَوَىٰ فِي جَهْدِ • وَزَاهِرٍ مِنْ سَطِّ وَجَعْدِ
 أَهْدَىٰ لَهُ الدَّهْرُ وَلَمْ يَسْتَدِّ • أَفْوَاقَ نَوْرِ الْحَبْرِ الْجَهْدِ
 لِقَى الْقَضَىٰ رِيحَانَهُ بِسَجْدِ • بَدَّلْتُ مِنْ ذَاكَ بُكًى لَا يُجْعِدِ
 وَافَقَ حِفْظًا مِنْ سَعَىٰ يَجْعَدِ • مَا ضَرَّ أَهْلَ النَّوْكِ ضَعْفُ الْجَدِّ
 الْحُرِّ يُلْحَىٰ وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ • وَلَيْسَ لِللَّحْفِ مِثْلُ الرَّدِّ
 وَالنَّصْفُ يَكْفِيكَ مِنَ التَّعْدَى • وَصَاحِبُ كَالنَّمْلِ الْمُنْدِ
 حَلَّتْهُ فِي رَقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي • أَرْقُبُ مِنْهُ مِثْلَ يَوْمِ الْوَرْدِ
 حَتَّىٰ مَضَىٰ غَيْرَ فَقِيدِ الْفَقْدِ • وَمَا دَرَىٰ مَا رَغْبَتِي مِنْ زُهْدِ
 لَأَسْلَمَ وَحْيَتِ أَبَا الْمُلْدِ • مِفْتَاحُ بَابِ الْحَدَثِ الْمُنْسَدِ
 مُشْتَرَكِ النَّيْلِ وَرَىٰ الزُّنْدِ • أَغْرَىٰ لِبَاسِ ثِيَابِ الْحَمْدِ

ما كان مني لك غير الود * ثم شاء مثل ربح الود
 تسجته في محجمات الند * فالبس طرازي غير مسترد
 لله أيامك في معذ * وفي نبي حطان غير عذ
 يوماً بذى طحفة^(١) عند الحد * ومثله أودعت أرض الهند
 بالمهرقات والحديد السرد * والمقربات^(٢) المبعذات الجرود
 اذا الحيا اكدى بها لا تكوى * تطعم أمراً وأمورا تسدى
 وابن حكيم إن أذاك يردي * أصم لا يسمع صوت الرد
 حيتته بخفية المبد * فانهت مثل الجبل المنهد
 كل أمرئ رهن بما يؤدى * ورب ذى تاج كريم الحد
 كآل كسرى وكآل برد * أنكب جاف عن سبيل القصد
 * فصنته عن ماله والود *

فطرب عقبة بن سلم وأجرل صلته، وقام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس يخزي وهرب
 من تحت ليلته فلم يعد إليه .

قال الجاحظ : فانظر الى سوء أدب عقبة بن رؤبة وقد أجمل بشار محضه وعشرته ،
 فقابل بهذه المقابلة القبيحة ، وكان أبوه أعلم خلق الله به ، لأنه قال له وقد فاتره بشعره :
 أنت يا بني ذهبان الشعر ، اذا ميت مات شعرك معك ، فلم يوجد من يرويه بعدك ، فكان
 كما قال له ، ما يعرف له بيت واحد ولا خبر غير هذا الخبر القبيح الإخبار عنه ، الدال على
 تخلفه وسقوطه وسوء أدبه .

وقال بشار في هوى له كانت بالبصرة ، ثم خرجت مع زوجها الى عمان :
 هوى صاحبي ريح الشمال اذا جرت * وأشفى قلبي أن تهب جنوب
 وما ذاك إلا أنها حين تتهى * تنأى وفيها من عييدة طيب

(١) ضفحة : موضع بعد البياض وبعد إمرة في طريق لبصرة الى مكة ، ومنه يوم طحفة لني يربوع على قابوس

الزمن المنقضي بين ماء السماء . (٢) المقربات : الخليل التي تقرب مرطها ومطفاها لكرامتها .

عَظِيرِي مِنَ الْعُدَالِ إِذْ يَعِثُّونَنِي * سَقَاهَا وَمَا فِي الْعَاذِلِينَ لِيَب
 يَقُولُونَ لَوْ عَزَّيْتُ قَلْبَكَ لَأَرْعَوِي * فَقُلْتُ وَهَلْ لِلْعَاشِقِينَ قُلُوبُ
 إِذَا نَطَقَ الْقَوْمُ الْجُلُوسُ فَإِنِّي * مُكِبٌّ كَأَنِّي فِي الْجَمِيعِ غَرِيبُ
 جاء أبو الشَّمَقْمَقِ إِلَى بَشَّارٍ يَشْكُو إِلَيْهِ الضَّيْقَ وَيَحْلِفُ لَهُ أَنَّهُ مَا عِنْدَهُ شَيْءٌ ، فَقَالَ لَهُ
 بَشَّارٌ : وَاللَّهِ مَا عِنْدِي مَا يَنْفِكَ ، وَلَكِنْ قُمْ مَعِيَ إِلَى عُقْبَةَ بْنِ سَلَمٍ ، فَقَامَ مَعَهُ ، فَذَكَرَ لَهُ
 أَبَا الشَّمَقْمَقِ وَقَالَ : هُوَ شَاصِرٌ وَلَهُ شُكْرٌ وَثَاءٌ ، فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَةِ دَرَاهِمٍ ، فَقَالَ لَهُ بَشَّارٌ :
 يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي * أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ تَقْدِيرُ
 لَوْ كَانَ مِثْلُكَ آخِرًا * مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَقِيرُ
 فَأَمَرَ لِبَشَّارٍ بِأَلْفِي دَرَاهِمٍ ، فَقَالَ أَبُو الشَّمَقْمَقِ : تَفَعَّلْتَ وَهَعَنَّاكَ يَا أَبَا مَعَاذٍ ، فَفَعَلَ
 بَشَّارٌ بِضَحْكَ .

دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْحَمِيرِيَّ عَلَى الْمَهْدِيِّ وَبَشَّارِينَ يَدِيهِ يُنْشِدُهُ قَصِيدَةً أَمْتَدَّحَهُ
 بِهَا ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ يَزِيدٌ ، وَكَانَتْ فِيهِ غَفْلَةٌ ، فَقَالَ : يَا شَيْخُ ، مَا صَنَعْتُكَ ؟ فَقَالَ :
 أَتَقْبُّ اللُّؤْلُؤَ ، فَضَحَكَ الْمَهْدِيُّ ، ثُمَّ قَالَ لِبَشَّارٍ : أَغْرُبُ وَيْلَكَ ! أَتَنْتَادِرُ عَلَى خَالِي ؟
 فَقَالَ لَهُ : وَمَا أَصْنَعُ ؟ يَرَى شَيْخًا أَعْمَى يُنْشِدُ الْخَلِيفَةَ شِعْرًا وَيَسْأَلُهُ عَنْ صِنَاعَتِهِ .
 وَقَفَّ عَلَى بَشَّارٍ بَعْضُ الْجَنَانِ ، وَهُوَ يُنْشِدُ شِعْرًا ، فَقَالَ لَهُ : أَسْتُرُ شَعْرَكَ هَذَا كَمَا تَسْتُرُ
 حَوْرَتَكَ ، فَصَفَّقَ بَشَّارٌ بِيَدَيْهِ وَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ وَيْلَكَ ! قَالَ : أَنَا — أَعَزَّكَ اللَّهُ —
 رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةَ ، وَأَخْوَالِي سَالُونَ ، وَأَصْهَارِي عُكْلٌ ، وَأَسْمَى كَلْبٌ ، وَمَوْلَدِي بِأَصْبَاحٍ ^(١) ،
 وَمَتَلَى بِظَفَرِ بِلَالٍ ، فَضَحَكَ بَشَّارٌ ، ثُمَّ قَالَ : أَتَحِبُّ وَيْلَكَ ! فَأَنْتَ عَتِيقٌ لَوْمِكَ ، قَدْ عَلِمَ اللَّهُ
 أَنَّكَ أَسْتَرْتَ مِنِّي بِمَحْصُونٍ مِنْ حَدِيدٍ .

مَرَّ بَشَّارٌ بِرَجُلٍ قَدْ رَمَحَتْهُ بَنْلَةٌ وَهُوَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا ، فَقَالَ لَهُ : بَشَّارُ اسْتَرَدَّكَ يَزِيدُكَ .
 وَمَرَّ بِهِ قَوْمٌ يَحْمِلُونَ جَنَازَةً وَهُمْ يُسْرِعُونَ الْمَشَى بِهَا ، فَقَالَ : مَا لَهُمْ مَسْرِعِينَ ؟ أَتُرَاهُمْ سَرَقُوهُ
 فَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ يُلْحَقُوا فَيُؤْخَذَ مِنْهُمْ .

رفع غلامٌ بشار إليه في حساب نَفَقَتِهِ جِلَاءَ مِرَاةٍ عَشْرَةَ دِرَاهِمَ، فصاح به بشار وقال :
والله ما في الدنيا أعجب من جِلَاءِ مِرَاةٍ أعمى بشرة دِرَاهِمَ، والله لو صَيَّدْتُ عَيْنَ الشَّمْسِ
حتى يَبْقَى الْعَالَمُ فِي ظُلْمَةٍ مَا بَلَغْتُ أَجْرَهُ مِنْ يَحْلُوها عَشْرَةَ دِرَاهِمَ .

قال قُدَامَةُ بْنُ نُوحٍ : كَانَ بَشَارٌ يَحْشُو شَعْرَهُ إِذَا أَعْوَزَتْهُ الْقَافِيَةُ وَالْمَعْنَى بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي
لَا حَقِيقَةَ لَهَا ؛ فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَتَسَدُّ يَوْمًا شَعْرًا لَهُ فَقَالَ فِيهِ : « غَنَى لِلْغَرِيضِ يَا بَنَ قَتَانِ »
فَقِيلَ لَهُ : مَنْ أَبْنُ قَتَانِ هَذَا ؟ لَسْنَا نَعْرِفُهُ مِنْ مُعْنَى الْبَصَرَةِ ، قَالَ : وَمَا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ؟ أَلَكُمُ قَبْلَهُ
دَيْنٌ فَتَطَالِبُوهُ بِهِ ، أَوْ تَارُ تَرِيدُونَ أَنْ تُدْرِكُوهُ ، أَوْ كَفَلْتُ لَكُمْ بِهِ ، فَإِذَا غَابَ طَالِبَتُمُونِي
بِمُحْضَارِهِ ؛ قَالُوا : لَيْسَ بَيْنُنَا وَبَيْنَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا ، وَإِنَّمَا أَرَدْنَا أَنْ نَعْرِفَهُ ، فَقَالَ : هُوَ رَجُلٌ
يَفْتَنِي وَلَا يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِي ، فَقَالُوا لَهُ : إِلَى مَتَى ؟ فَقَالَ : مَذِي يَوْمٌ وَلَيْدٌ وَإِلَى أَنْ يَمُوتَ . وَذَكَرَ
أَيْضًا فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ « الْبَرْدَانِ » قِيلَ لَهُ : يَا أَبَا مَعَاذٍ ، أَيْنَ الْبَرْدَانِ هَذَا ؟ لَسْنَا نَعْرِفُهُ
بِالْبَصَرَةِ ، فَقَالَ : هُوَ بَيْتٌ فِي بَيْتِي سَمِيَتْهُ بِالْبَرْدَانِ ، أَفَعَلَيْكُمْ مِنْ تَسْمِيَتِي دَارِي وَبَيْوتَهَا شَيْءٌ
مَالَوِي عَنْهُ ؟ .

قَالَتْ أَمْرَأَةٌ لِبَشَارٍ : أَيُّ رَجُلٍ أَنْتَ لَوْ كُنْتَ أَسْوَدَ الْقَتِيَةِ وَالرَّأْسِ ، قَالَ : أَمَا عَلِمْتِ
أَنْ يَبِضَ الْبُرَّةُ أَشْهَرُ مِنْ سَوْدِ الْغُرْبَانِ ؟ فَقَالَتْ لَهُ : أَمَا قَوْلُكَ لِحَسَنِ فِي السَّمْعِ ، وَمِنْ لَكَ
بَأَنْ يَحْسُنَ شَيْئَكَ فِي الْعَيْنِ كَمَا حَسُنَ قَوْلُكَ فِي السَّمْعِ ؟ فَكَانَ بَشَارٌ يَقُولُ : مَا أَخْفَنِي قَطُّ غَيْرُ
هَذِهِ الْمَرَاةِ .

دَعَاهُ رَجُلٌ إِلَى مَتْلِهِ فَأَكَلَ وَشَرِبَ ، وَلَمَّا أَرَادَ الْإِنْتِرَافَ قَامَتْ جَارِيَةٌ لِلرَّجُلِ وَأَخَذَتْ
بِيَدِهِ ، فَلَمَّا صَارَ بِالصَّغْحَى أَوْ مَا إِلَيْهَا لِيُقْبِلَهَا ، فَأَرْسَلَتْ يَدَهَا مِنْ يَدِهِ ، فَجَعَلَ يَحْوِلُ فِي الْعَرَصَةِ
وَيَخْرُجُ مَوْلَى الْجَلَارِيَةِ فَقَالَ : مَا لَكَ يَا أَبَا مَعَاذٍ ؟ فَقَالَ : أَذْنَبْتُ ذَنْبًا وَلَا أَرْجُو أَنْ أَقُولَ شَعْرًا ،
فَقَالَ :

أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنَ السَّيِّئَاتِ . . وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ فَعَلَتِي
تَاوَلْتُ مَا لَمْ أُرِدْ نَيْسِلُهُ . . عَلَى جَهْلِ أَمْرِي وَفِي سَكْرَتِهِ

ووالله والله ما جئته * لئس يد ولا كان من هتي .
 وإلا لمت إذا ضامنا * وصدني الله في ميتي
 فمن نال خيرا على قبلة * فلا بارك الله في قبلي

لما كثر استهتار نساء البصرة وشبابها بشعر بشار، وقال سوار بن عبد الله ومالك بن دينار: ما شيء أَدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى، وما زالا يعطانه وكان وإصل بن عطاء يقول: إن من أخدع حبال الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملعود، فلما كثر ذلك وأتته خبره إلى المهدي نهاه عن ذكر النساء وقول التشبيب، وكان المهدي من أشد الناس غيرة، فقال في ذلك :

يا منظرًا حسنًا رأيته * في وجه جارية فديته
 بعثت إلى تسومني * ثوب الشباب وقد طويته
 والله رب محمد * ما إن غدرت ولا نويته
 أمسكت عنك وربما * عرض البلاء وما أبتغيته
 إن الخليفة قد أبى * وإذا أبي شيفأ أبيتته
 ومخضب رخيص البنات * ن بكى على وما بكيتته
 ويشوقني بنت الحيد * بي إذا أذكرت وأين بيتته
 قام الخليفة دونته * فصبرت عنه وما قلبيتته
 ونهاني الملك المما * م عن النساء وما عصيتته
 لا بل وفيت فلم أضع * عهدا ولا رأيا رأيته
 وأنا المظلل على العدا * وإذا غلا الحمد أشرتته
 أضيئي الخليل إذا دنا * وإذا نأى عنى نأيته
 وأميل في أنس الندي * م من الحياء وما أشتيتته
 وكان الخليل بن أحمد بنشد هذه الأبيات ويستحسنها ويعجب بها .

وكان لبشار خمسة ثَمَدَاء، فَمَاتَ مِنْهُمُ أَرْبَعَةٌ وَبَقِيَ وَاحِدٌ يُقَالُ لَهُ : الْبَرَاءُ، فَرَكِبَ فِي زُورَقٍ يُرِيدُ عَبُورَ دِيْجَلَةِ الْعَوْرَاءِ فَفَرَّقَ، فَكَانَ بَشَارٌ يَقُولُ : مَا خَيْرُ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ الْأَصْدِقَاءِ، ثُمَّ رَأَى أَصْدِقَاءَهُ بِقَوْلِهِ :

يَا بَنَ مُوسَى مَاذَا يَقُولُ الْإِمَامُ * فِي خِصَاءٍ بِالْقَلْبِ مِنْهَا أُوَامُ
بُتُّ مِنْ حُبِّهَا أَوْ قُرُّ بِالْكَأ * مَنْ وَهَفُو عَلَى قَوَادِي الْمَيَامِ
لَمْ يَكُنْ بَيْنَهَا وَبَيْنِي إِلَّا * كُتِبُ الْعَاشِقِينَ وَالْأَحْلَامِ
يَا بَنَ مُوسَى أَسْقِنِي وَدَعْ عَنْكَ سَلَمِي * إِنَّ سَلَمِي حَيٌّ وَفِيَّ أَحْتِشَامِ
رَبِّ كَأْسٍ كَالسَّلْسِيلِ تَعَلَّد * ثُبُهَا وَالْمَيُوثُ حَتَّى نِيَامِ
حُبِسْتُ لِلشَّرَاءِ فِي بَيْتِ رَأْسِ * فَتَقْتُ عَاقِبًا طَيْبًا الْخِطَامِ
نَفَعْتُ نَفْعَةً فَهَزَّتْ نَدِيمِي * بَنَسِيمٍ وَأَشَقَّ عَنْهَا الرُّكَامِ
وَكُنْتُ الْمَعْلُولُ مِنْهَا إِذَا رَأَى * حَشَجٍ فِي لِسَانِهِ رِيسَامِ
صَلَعْتُهُ الشَّمُولُ حَتَّى بَعِيدِ * هُ أَفْكَسَارُ فِي الْمِفَاصِلِ خَامِ
وَهُوَ بَاقِي الْأَطْرَافِ حَيْثُ بِهِ الْكَأ * مَنْ وَمَاتَ أَوْصَالُهُ وَالْكَلَامِ
وَفَتَى يَشْرَبُ الْمُدَامَةَ بِالْمَا * لَ وَيَمْنَى يَرُومُ مَا لَا يُرَامِ
أَتَمَدْتُ كَأْسُهُ الدَّنَانِيرَ حَتَّى * نَهَبَ الْعَيْنُ وَأَسْتَمَرَ السَّوَامِ
تَرَكْتُهُ الصَّبِيَاءُ يَرُوْنَ بَعِينَ * نَامَ أُنْسَانُهَا وَلَيْسَتْ تَتَامِ
جُرْتُ مِنْ شَرِبَةٍ تُعْمَلُ بِأُخْرَى * وَبَكَى حِينَ سَارَ فِيهِ الْمُدَامِ
كَانَ لِي صَاحِبًا فَأَوْدَى بِهِ الدَّمُ * سُرُّ وَفَارَقْتُهُ طَيْبُهُ السَّلَامِ
بَقِيَ النَّاسُ بَعْدَ هُلَاكَ ثَمَدَاءَ * يَ وَفُوعًا لَمْ يَشْعُرُوا مَا الْكَلَامِ
بَجَزُورِ الْأَيْسَارِ لَا كَيْدُ فِيهِ * مَا لِيَاغٍ وَلَا طَيْبًا مَنَامِ

(١) بيت رأس : قرية بالشَّامِ من قرى حلب ينسب إليها الخمر .
م حار يمرض الحجاب الذي بين الكبد والأعضاء ثم يصل إلى الدماغ .
نسب . (٤) الأيسار : جمع يسر ، وهو اللسان بالفتح .
(٢) البرسام : حلة هندي فيها وهو
(٣) حيث بالإدغام لغة في حين

يا بن موسى قَدْ الحبيب على اليد * من قَذَاءُ وفي الفؤاد سَقَام
 كيف يصفونى النسيمَ وحيثما * والأخلاءُ فى المقابر هام
 نَقِستهم على أم المنايا * فانامتهمُ بعُتِف فناموا
 لا يبيضُ أنسجامُ عيني عليهم * إنما غايةُ الحزين السَّجَام
 وقال فى نهي الخليفة إياه عن ذِكْر النساء :

وا لله لولا رضا الخليفة ما * أعطيتُ صَبِيحًا على فى تجر
 وربما خِبرَ لابن آدم فى الـ * كُره وشقَّ الهوى على البدن
 فاشرب على أُنْبَةِ الزمانِ فـ * تلقى زمانًا صفا من الأبن
 الله يُعطيك من فواضله * والمرء يُغضى حَبًّا على الكُنْ^(٢)
 قد عشتُ بين الرِّيحان والزَّ * هر فى ظلِّ مجلسِ حَسَن
 وقد ملأتُ البلاد ما بين بغب * حور الى القُبروان فاليمين
 شِعْرًا تُصَلِّى له الموائقُ والشَّ * ببُ صلاةِ الفؤاد للوثن
 ثم نهانى المهديُّ فأنصرفتُ * نفسى صليجَ الموفق اللِّقن
 فالمدُّ لله لا شريك له * ليس بباقي شيء على الزمن

وأنشد المهديُّ قصيدته التى أولها :

تجاللت عن فيهِر وعن جَارِي فيهِر * وودعتُ نُمًا بالسلام وبالبشر
 وقالت سُلَيْمى فيك عنا جَلادة * محلك دَانٍ والزَّيَادَةُ عن عَفِير^(٣)
 أبحى فى الهوى مالى أراك جَفَوْتنا * وقد كنتَ تَقْفُوْنَا على العُسر واليُسْر
 تناقلتُ إلا عن يدِ استفيْها * وزورة أملك أشدُّ بها أزرى
 وأخرجنى من وزر خمسين حجة * فتى هاشمى يُقشِعِر من الوزر

(١) هسْتَم : خستهم . (٢) الكن واحد ككة وهى جرب وحرة تبقى فى العين من رمد يساه علاحه .

(٣) العفر : لغة الزَّيَادَةُ ، بخالد ، ما نأخذا الا

دَفَنْتُ الْهَوَى حَيًّا فَلَسْتُ بِزَائِرٍ * سَلِمَى وَلَا صَفْرَاءَ مَا قَرَفَرُ الْقَمَرِ
وَمُصَفَّرَةً بِالزُّعْفَرَانِ جُلُودُهَا * إِذَا أَجْتَلَيْتُ مِثْلَ الْمَفْرُطَةِ الصَّغِيرِ
قَرَبْتُ تَقَالَ الرَّدْفُ حَبْتُ تَلَوْنِي * وَلَوْ شَهِدْتُ قَبْرِي لَصَلَّيْتُ عَلَى قَبْرِي
تَرْصُكْتُ لِمُهْدَى الْأَنَامِ وَصَالَهَا * وَرَاصِيْتُ عَهْدًا بَيْنَنَا لَيْسَ بِالْخَشَرِ
وَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ * لَقَبَلْتُ قَاهَا أَوْ لَكَانَ بَيْنَا فِطْرِي
لِعَمْرِي لَقَدْ أَوْقَرْتُ نَفْسِي خَطِيئَةً * فَمَا أَنَا بِالْمُزْدَادِ وَقُفْرًا عَلَى وَقَرِ
تَسَلَّى عَنِ الْأَحْجَابِ صَرَامُ خُلَّةٍ * وَوَصَّالٍ أُتْرَى مَا يُقِيمُ عَلَى أَمْرِ
وَرُكَّاضِ أَفْرَاسِ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى * بِحَرِّ حِجَابٍ ثُمَّ أَسْتَقَرَّتْ فَلَا تَجْرَى
فَأَصْبَحَ مَا يُرَكَّبُنْ إِلَّا إِلَى الْوَعَى * وَأَصْبَحْتُ لَا يُزْدِي عَلَى وَلَا أُزِي
فَهَذَا وَإِنِّي قَدْ شَرَعْتُ مَعَ التَّقَى * وَمَاتَ هُمُومِي الطَّارِقَاتِ فَمَا تَسْرَى

ثم قال يصف السفينة :

وَعِذْرَاءٌ لَا تَجْمَرِي بِلَحْمٍ وَلَا دَمٍ * قَلِيلَةٌ شَكْوَى الْإِيْنِ مُلْجَمَةٌ الدُّبُرِ
إِذَا ظَلَمَتْ فِيهَا الْفُلُوكُ تَشَخَّصَتْ * بِفُرْسَانِهَا لَا فِي وُحُوشٍ وَلَا وَهَرِ
وَإِنْ قَصَدَتْ زَلَّتْ عَلَى مَتْنَعِبٍ * ذَلِيلُ الْقَوَى لَا شَيْءَ يَقْرَى كَمَا تَقْرَى
تُلَاحِظُ تَيَّارَ الْبُحُورِ وَرَبْمَا * رَأَيْتَ فُحُوسَ الْقَوْمِ مِنْ جَرِيهَا تَجْرَى
إِلَى مَلِكٍ مِنْ هَائِمٍ فِي بُبُوَّةٍ * وَمِنْ حِمِيرٍ فِي الْمُلْكِ وَالْعِلْدِ الدُّثْرِ^(١)
مِنْ الْمُشْتَرِينَ الْحَمْدَ تَتَدَى مِنَ التَّدَى * يَدَاهُ وَيَتَدَى طَارِحَاهُ مِنَ الْعِطَرِ
فَالزَّمْتُ حَبْلِي حَبْلَ مَنْ لَا يُقْبَهُ * عُقَاةُ النَّدَى مِنْ حَيْثُ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي
بَنَى لَكَ عَبْدُ اللَّهِ بَيْتَ خِلَافَةٍ * نَزَلَتْ بِهَا بَيْنَ الْقَرَاغِدِ وَالنَّسْرِ
وَعِنْدَكَ عَهْدٌ مِنْ وَصَاةٍ مُحَمَّدٌ * فَرَحَّتْ بِهِ الْأَمْلاكَ مِنْ وَلَدِ النَّضْرِ

(١) كان قد قال : نيتان البحور، فباه ذلك سيويه، بلعله تيار البحور .

(٢) الدثر : الكثير .

ولما آتته الوليد بن يزيد قول بشار :

أيها الساقيات حباً شرابى * وأمقياني من ريق بيضاء رويد^(١)
 إن داني الظأوان دوائى * شربة من رضاء ثغري برود
 ولما مضحك كثر الأفاهى * وحديث كالوشى وثى البرود
 نزلت في السواد من حبة القل * يب ونالت زيادة المستريد
 ثم قالت فلنأك بعد ليل * والليالي ثيلين كل جديد
 عندها الصبر من لقائى وعندي * زفرائى يا كلن قلب الحديد

طرب الوليد وقال : من لى يمزج كأسى هذه من ريق سلمى ، فيروى ظمى ، وتطلقاً غلى ،
 ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه ، وقال : إن فاتنا ذاك فهذا .

مدح بشار خالد بن برمك فقال فيه :

لعمري لقد أجدى على ابن برمك * وما كل من كان الغنى عنده يُعجى
 حلت بشعري راحته فدرت * سماحاً كما دَر السحاب مع الرمد
 إذا جتته لحمد أشرق وجهه * اليك وأعطاك الكرامة بالحمد
 له نعم في القوم لا تستنبيها * جزاء وكيل الناجر المذموم
 مفيد ومثلاث سبيل ترائه * إذا ما غدا أو راح كالجوز والمذ
 أخالد إن الحمد تبقى لأهله * جمالا ولا تبقى الكنوز على الكد
 فاعظم وكل من عارية مستردة * ولا تبقيها إن العواري للرد

فأعطاه خالد ثلاثين ألف درهم ، وكان قبل ذلك يعطيه في كل وفاة خمسة آلاف درهم ،
 وأمر خالد أن يكتب هذان البيتان في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه ، وقال أبنته يحيى
 ابن خالد : آخر ما أوصاني به أبي العمل بهذين البيتين .

وكان إصحاك الموصل يطن على شعر بشار ويضع منه، ويذكر أن كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضاً، فقل له : أتحول هذا لمن يقول :

إذا كنت في كل الأمور مُعَاتِبًا * صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فِعْشٌ واحدًا أوِصِلَ أخاك فإنه * مُقَارِفٌ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبٌ
إذا أنت لم تشرب مرارًا على القُدَى * ظَلِمْتَ وأى الناس تصفو مشاربه

وهي من غرر قصائده، ملح بها عمر بن هبيرة، ومنها قوله :

يخاف النسيان إن ترتلت صاحبي * كأن النسيان في المقام تُنَاسِبُه
فقلت له إن المراق مُقَامُه * وخيم إذا هبت عليك جَنَابُه
لألقى نبي عيلان إن فعالمهم * تريد على كل الفحال مراتبه
أولئك الألى شقوا العمى بسيفهم * عن العين حتى أصر الحق طالبه
وجيش بكبح الليل يزحف بالحصا * وبالشوك والخطى حمرًا تغالبه
غَدَوْنَا له والشمس في خدر أمتها * تطالمتنا والطلل لم يغير ذائبه
بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه * وتذكر من تجى الفرار مُتَالِبُه
كأن مثار القمع فوق رءوسنا * وأسياقنا ليل تهاوى كواكبُه
بمنا لهم موت القُبَاة إتنا * بنو الموت خفأ علينا سَبَابُه^(٢)
فراحوا فريق في الإِسَارِ ومثله * فتيلٌ ومثلٌ لآذ بالبحر هاربُه

ومنها :

إذا الملك الجبار صعر خده * مشينا إليه بالسيف نَعَاتِبُه
رُويْدًا تصاهل بالمراق جِيَادُنَا * كأنك بالضحاك قد قام نَادِبُه
وسام لمروان ومن دونه الشجبا * وهول كلج البحر جاشت غَوَارِبُه

(١) مقاروف ذنب : محالته ومركبه من قاروف الحبيطة اذا حالها . (٢) القذى : ما يسقط

في الشراب من دباب أو غيره . (٣) السباب : جمع سبية ، وهي شقة من الشكك دقيقة يريد بها الألوية .

أَحَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْمَنَافَا بَنَاتِهَا * بِأَسْيَافِنَا إِنَّا رَقَىٰ مِنْ نَحَارِهِ
وَكَمَا إِذَا دَبَّ الْمَدُوسُ لِسَخَطِنَا * وَرَاقِبْنَا فِي ظَاهِرٍ لَا نَرَا قُبُهُ
رَكِبْنَا لَهُ جَهْرًا بِكُلِّ مُتَحَفٍّ * وَأَبْيَضَ تَسْتَسْقِي الدَّمَاءَ مَضَارِبُهُ
ومنها :

فَلَمَّا تَوَلَّى الْحَيَّ وَأَحْضَرَ الرَّحَى * لَفَى الصَّبِيفَ مِنْ تَجِيمٍ تَوَقَّدَ لِأَهْبِهِ
وَطَارَتْ عَصَافِيرُ الشَّقَائِقِ وَأَكْتَسَى * مِنْ الْأَلِّ أَمْثَالَ الْمَجْرَةِ نَاضِبِهِ
فَدَتِ عَانَهُ تَشْكُو بِإِبْصَارِهَا الصَّدَى * إِلَى الْجَلْبَابِ إِلَّا أَنَهَا لَا تَخَاطِبُهُ
ومن حسن شعره :

لَوْ كُنْتُ تَلْقِيَنَّ مَا تَلَقَى قَسَمْتُ لَنَا * يَوْمًا نَعِيشُ بِهِ مِنْكُمْ وَنَبْتَهِجُ
لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ إِنْ كُنَّا كَذَا أَبَدًا * مَا فِي التَّلَاقِ وَلَا فِي قُبْلَةِ حَرْجٍ
مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ * وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاسِكُ اللَّوْجُ
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ هُمَا مَا يَغَارِقُنِي * وَشُرَّطًا فِي فَوَادِي الدَّهْرِ تَعْتَلِجُ
وقال يهجو عبيد الله بن قزعة :

خَلِيلِي مِنْ كَعْبٍ أَهَيْنَا أَخَاكَ * عَلَى دَهْرِهِ إِنْ الْكَرِيمَ مُعِينُ
كَأَنَّ عَبِيدَ اللَّهِ لَمْ يَلْقُ مَا جَدَا * مَخَافَةَ أَنْ يَرْجُو نَدَاءَ حَزِينِ
وَلَا تَبْخُلَا بِمُحَلِّ ابْنِ قَزْعَةَ إِنَّهُ * وَلَمْ يَدَّرْ أَنْ الْمَكْرَمَاتُ تَكُونُ
قُلْ لِلْأَبِيِّ يَحْيَىٰ مَتَى تُذَكِّرُكَ الْعَلَا * وَفِي كُلِّ مَعْرُوفٍ عَلَيْكَ يَمِينُ
إِذَا جِئْتَهُ فِي حَاجَةٍ سَدَّ بَابَهُ * فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَيِينُ

وقد على خالد بن برمك فأنشده :

أَخَالِدُ لَمْ أَخْطِ إِلَيْكَ بِنُقْةٍ ^(١) * سِوَىٰ أُنْخِي عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ
أَخَالِدُ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْحَمْدِ حَاجَتِي * فَأَتَيْتُهُمَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ

(١) الناقة : القطعة من الحنجر . والجباب : ذكرها ، ومعنى شكرها الصدى بأصوارها أد العرش قد تدير وأحداها
طار ، وهذا من أحسن ما وصف به الجباب والأثر . (٢) أي لم اطلب معروفا متوسلا إليك عهد أو قرابة .

فَإِنْ تُعْطَى أَفْرِغْ طَبِيعَكَ مَدَامْنِي * وَإِنْ تَأْتِي لَمْ يُضْرَبْ عَلَى سَدَادِ
رَكَابِي عَلَى حَرْفٍ وَقَلْبِي مَشِيحٌ * وَمَالِي بِأَرْضِ الْبَاخِلِينَ بِلَادِ
إِذَا أَنْصَرْتُ بِنَلْدَةٍ أَوْ نَكْرُتُهَا * نَحَرْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَى سَوَادِ

فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس، فوضع واحدا عن يمينه، وواحدا عن شماله،
وآخرين يديه، وآخر حقه، وقال: يا أبا معاذ، هل استقل العباد؟ فلمس الأكياس ثم قال:
استقل والله أيها الأمير.

قال أبا ن بن عبد الحميد: نزل في ظاهر البصرة قوم من أعراب قيس بن صيلان،
وكان فيهم بيان وفصاحة، فكان يبشرونهم وينشدون أشعاره التي يمدح بها قيسا، فيجأونه
لذلك ويغظمونه، وكان نسأولهم يحلمن معه ويتحدثن إليه وينشدن أشعاره في الغزل،
وكننت كثيرا ما آتى في ذلك الموضع فأسمع منه ومنهم، فأتيتهم يوما فاذا هم آرتحلوا، فقلتُ
إلى بشارة فقلت: يا أبا معاذ: أعلمت أن القوم قد آرتحلوا؟ قال: لا، فقلتُ: فاعلم، قال:
قد علمت لا علمت، ومضيتُ، فلما كان بعد ذلك بأيام سمعتُ الناس ينشدون:

دعا بفسراق من تهوى أبا ن * ففاض الدمع وأحرق الجفان
كان شرارة وقعت بقلبي * لها في مقتل ودعى أسنان
إذا أُنشدت أو تسمت عليها * رياح الصيف هاج لها دخان

فعلمت أنها لبشارة، فأتيتها فقلت: يا أبا معاذ، ما ذنبى إليك؟ قال: ذنب غراب الين،
فقلت: هل ذكرتني بغير هذا؟ قال: لا، فقلتُ: أُنشدك الله ألا تزيد، فقال: أمض
لشأنك فقد تركتك.

مدح بشارة المهدي فلم يُعطه شيئا، فقيل له: لم يستجب شعرك، فقال: والله لقد
قلتُ فيه شعرا لو قيل في الدهر لم يُحشَّ صرْفُه على أحد، ولكننا نكذب في القول فيكذب
في الأمل.

مدح شاعر سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وكان مقياً بمحزان ونحرج إليه ، فأنشده قوله فيه :

نَأْتِكَ عَلَى طُولِ التَّجَاوُرِ زَيْنُ * وما شعرت أن النوى سوف تُسَبِّ
يرى الناس ما تلقى بزَيْنٍ إِذْ نَأَتْ * عَجِيْباً وَمَا تُخْفِي بِزَيْنٍ أُعْجِبُ
وَقَائِلَةٍ لِي حِينَ جَدَّ رَحِيلُنَا * وَاجْفَانُ عَيْنِهَا تَجُودُ وَتُسْكِبُ
أَغَاذٍ إِلَى حَرَانٍ فِي غَيْرِ شَيْعَةٍ * وَذَلِكَ شَأْنٌ مِنْ هَوَاهُ مُقَرَّبُ
فَقُلْتُ لَهَا كَلَفْتَنِي طَلَبَ الْغَنَى * وَلَيْسَ وَرَاءَ ابْنِ الْخَلِيفَةِ مَذْهَبُ
سَبْكُنِي قَتَّى مِنْ سَعْيِهِ حَدَّ سَيْفِهِ * وَكُكُورٌ عِلَاقِيٍّ ^(١) وَوَجْنَاءُ ذُفُلٍ ^(٢)
إِذَا اسْتَوْصَرَتْ دَارٌ عَلَيْهِ رَمَى بِهَا * بَنَاتُ الصَّوَى مِنْهَا رُكُوبٌ وَمُصْطَبُ
فَعَدَدِي إِلَى يَوْمٍ آرَمَلْتُ وَسَالِي * بِزُورِكَ وَالرَّحْلُ مِنْ جَاءٍ يَضْرِبُ
لَمَّا أَنْ كُنْتُ قَتَّى أَنْ زُورَنِي * سُلَيْمَانَ مِنْ سِرِّهِ الْوَاجِرِ تُعْقِبُ
أَغْرَى هِشَامِي الْقَنَاءَ إِذَا آتَمَى * نَمَتْهُ بُدُورٌ لَيْسَ فِيهِمْ كَوْكَبُ
وَمَا قَصَدْتُ يَوْمًا لِحِيلِينَ خِيْلُهُ * فَتُصَرَّفُ إِلَّا عَنْ دِمَاءٍ تَصْهَبُ

فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم ، وكان يحفل ، فلم يرضها وأنصرف عنه مغضباً ، فقال :

إِنْ أَمْسَ مُتَقَبِّصُ الْيَدَيْنِ عَنِ النَّدَى * وَعَنِ الْمَدَى غَيْبُ الشَّيْطَانِ
فَلَقَدْ أَرُوحَ عَلَى اللَّثَامِ مَسْلُكًا * تَلْجُ الْمَقِيلَ مُنَمَّ النَّدَمَانِ
فِي ظِلِّ عَيْشٍ عَشِيرَةٍ مَجْمُودَةٍ * تَشْدَى يَدِي وَيُخَافُ قَرْطُ لِسَانِي
أَزْمَانُ خَيْبَتِي الشَّابُّ مَطَاوِعُ * وَإِذَا الْأَمِيرُ عَلَى مَنْ حَرَانِ
رِيمٌ بِأُخْيَوتِهِ الْعِرَاقِي إِذَا بَدَا * بَرَقَتْ عَلَيْهِ أَكْلَةُ الْمَرْجَانِ
فَأَحْكَلُ رِبْدَةٍ مَقْلَتِكَ مِنَ الْقَدَى * وَبَوَّشَكَ رُؤْيَاهَا مِنَ الْهَمَلَانِ
فَلَقَرْتُ مِنْ تَهْوَى وَأَنْتَ مَتَمُّ * أَشَقَى لِدَاكُكَ مِنْ بَنِي مَرَوَانَ

قديم بشار على المهدي بالرضا فدخل عليه في البستان، فأنشده مديحا فيه تشييب
حسن، فنهاه عن التشييب لغيره شديدة كانت فيه، فأنشده مديحا يقول فيه :

كأنما جُثِّه أبشُرُهُ • ولم أجد راعبا ومُحتَلِّبا
يزرن المنبر الأثم يعلَّقُهُ • به وأقواله إذا خطبا
ثُمَّ قَمَلَه في النَّدى كما • يثُم ماء الرِّيحان مَتَّحَا

قال : وقد طلب منه أن يثبته شيئا من غزله :

وقائل هات شوقنا قَلْتُ له • أناثم أنت يا عمرو بن سَمْعان
أما سَمِعْتَ بما قد شاع في مُضِر • وفي الحليفتين من بكرٍ وحقطان
قال الخليفة لا تَنسُبْ بيجارية • إياك إياك أن تُسَقِّ بعضيان

وقال له المهدي : قل في الحب شعرا ولا تُطل، وأجمل الحب قاضيا بين المحبين
لا نثم أحدا، فقال :

أجمل الحب بين حبي وبني • قاضيا إني به اليوم راض
فاجتمعنا قَلْتُ يا حُبَّ نفسي • إن عيني قليلة الإغماض
أنت عَذْبَتِي وأُخِلَّتْ جِسمي • فأرحم اليوم دائم الأمراض
قال لي لا يَحِلُّ حكي عليها • أنت أولى بالسقم والإصرار
قَلْتُ لما أجابني بهواها • شَمِلَ الجود في الهوى كل قاض

فبعث إليه المهدي : حكَّتْ علينا ووافقتنا ذلك، فأمر له بألف دينار .

وقال بشار في عشق السَّمْع :

يا قومُ أَدْنَى لبعض الحى عاشقُهُ • والأدنى تمسُّق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تهدي قَلْتُ لهم • الأدنى كالعين تُوفِّي القلب ما كانا
هل من دواء لمشغوف بيجارية • يَلْسُق بُلْقَانها رَوْحًا وريحانا

وقال في مثل ذلك :

قالت عُقَيْلُ بن كعب إذ تمقنها * قلبي فاضحى به من حبها أثرُ
أنى ولم ترها تهذى فقلتُ لهم * إن الفسؤَادَ يرى مالا يرى البصرُ
أصبحتُ كالخائم الحيران مجتَبأ * لم يقضِ وردا ولا يُرى له صدرُ

وقال :

يزهدنى في حبِّ عبدة مَعشَر * قلوبهم فيها غالفَةٌ قلبي
فقلتُ دعوا قلبي وما أختار وأرتضى * فبالقلب لا بالعين يُبصر ذو الحبِّ
فما تبصر العينان في موضع الهوى * ولا تسمع الأذنان إلا من القلب
وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبا * وألف بين العشق والعاشق الصب

وقال :

يا قلب مالى أراك لا تَقِرُّ * إياك أعنى وعندك الخبرُ
أذمت بعد الألى مضوا حُرْقًا * ما ضاع ما استودعوك إذ بكرُوا

وقال :

إن سُلَيْمى والله يكلوها * كالسُّكَّر يزاد على السُّكَّر
بلغتُ عنها شكلا فأعجبني * والسَّمْعُ يكفيك غِيبةَ البَصَرِ

وقال وقد مدح المهديَّ لحرمه :

خليلُ إن العُسرَ سوف يُفِيق * وإن يسارا في غد نخليق
وما كنتُ إلا كالزمان إذا صحا * صَحَوْتُ وإن ماق الزمان أموق^(١)
أدماء لا أسطيع في قلّة الثرا * نُحْزِرًا ووَشْيًا والقليل محيق
خذى من يدى ما قل إن زماننا * شَمُوسٌ ومعروفُ الرجال رقيق
لقد كنتُ لأرضى بأدنى معيشة * ولا يَشْتكى بخلًا على رقيق

(١) ماق : حق في حياة

خليفة إن المال ليس بنافع • إذا لم يتسل منه أخ وصديق
وكنّت إذا ضاقت على محلة^(١) • تيممت أخرى ما على تضيق
وما خاب بين الله والناس عامل • له في التقى أوفى المحامد سوق
ولا ضاق فضل الله عن متعفف • ولكن أخلاق الرجال تضيق

عجا بشار يعقوب بن داود وزير المهدي قال :

بن أمية هبوا طال نومكم • إن الخليفة يعقوب بن داود^(٢)
ضاعت خلاصكم يا قوم فالتسوا • خليفة الله بين الناس والعود

فاتهم عند المهدي بالزلفة وقال : إنه قد عجا المهدي ، فأمر ، فطرب بالسياط حتى مات

(١) المحلة : منزل القوم • (٢) أصله من الموالي ، وقد استنوره الخليفة المهدي وسله الأمور كلها وأنتحل هو بالهر •

٢ - حماد بن عمار^(١)

«ولو أتى أحببت أن أخص حمادا لوصفته قبل كل شيء بحمته الطبع، وسوء الخلق، وحب الانتقام، والإسراع إليه، ثم بالعراقة في القول، والملازمة بينه وبين العمل، وبكره التفارق والانصراف عنه، لا يعنيه أرى الناس عنه أم يخطوا عليه، ثم بحمته اللسان ومضيئه وإقداحه وكلفه فاحش القول وبجته عن أسويه وأقبحه، ثم بالسخرية من الناس وأزدرائهم؛ لعل أنه يتخذ ذلك فلسفة وأصلا من أصول الحياة كالوليد ومطيع وأبي نواس، بل على أنه يتخذ ذلك وسيلة من وسائل الشعراء يخلص بها كلما ضاقت عليه المذاهب وأخذت عليه، أو دعت إلى ذلك حاجة. لم يكن حماد يميل بما يميل به الناس من الوفاء والانصراف عن التأنيس، وإنما كان صديقا مخلصا حتى تبدل له حاجة أو تسع له فرصة أو تضطره ضرورة؛ فإذا صدقته قد استحال إلى عداه، وإذا هو ليس أقل صدقا وإخلاصا في العدا منه في المودة والحب: فقد مدح يحيى بن زياد وأخذ صديقا ونال جوارحه، ثم كان الحلاف فهجاه. وصانق بشارا وصافاه، ثم اختصما فلم يعرفا في الخصومة رحمة ولا رِقما. وصانق مطيعا وأحبه ومدحه وأكثر في الثناء عليه، ثم اختصما في امرأة مرة وفي غلام مرة أخرى، فهجاه وأقذع في هجائه. وكان على هذا كله يؤثر شعره وضروراته على البر بالناس في معاملتهم: هجا ذات يوم رجلا يقال له حُشَيْش وجعل اسمه قافية لهذا الشعر وأراد أن يبالغ في ذمه فشبهه بَحْش، وكان بحش هذا رجلا من أهل البصرة

(١) هو حماد بن يحيى بن عمرو بن حمر بن صصة. نشأ في الكوفة ثم واسط. وعاصر الدولتين، لكنه نبغ في الدولة العباسية بعد أن تادم الوليد بن يزيد الأموي. وجاء بغداد أيام المهدي ومعه مطع بن لباس ويحيى بن زياد، وكلمهم من المتبين في دينهم. وحماد من الشعراء الميادين، وكان حاجتا ظريفا خليقا متبها في دينه مرما بالزندقة. وأدرك بشار بن برد له معه أهاج فاحشة، ولم يكن يهاب كثيرا ولا صغيرا، طالما كان أو خليقة. توفي سنة ١٦١ هـ. ومجد ترجمته في الأغاني (ج ١٣ ص ٧٣) وابن حلكان (ج ١ ص ١٦٥) والشعر والشعراء (ص ٤٩٠) والفهرست (ص ٩١). (٢) من بحوث صديق الدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية.

وأيضا لا يعرف حمادا ولا يعرف حماد، فلما قرأ الرجل هذا الشعر جزع له وسافر من البصرة حتى بلغ الكوفة فعاتب حمادا، فقال له حماد ضاحكا متذبرا: لا بأس عليك فإن هذا من أتام القافية ولن أعود إليه .

وكان السبب في مهاجرة حماد وبشار أن حمادا كان ندما لنافع بن عتبة، فسأله بشار تهييء حاجة له من نافع فأبطل عنها، فقال بشار فيه :

مواييد حماد سماء غيلة * تكشف عن رعد ولكن سترى
إذا حته سوما أحال على قيد * كما وعد الكون ما ليس يصدق
وفي نافع عني جفاء واتى * لأطرق أحيانا وذو اللب يطرق
وللتقرى قوم فلو كنت منهم * دجيت ولكن دوني الباب مغلق
وما زلت أستاذيك حتى حشرتني * بوعد بجاري الآل يفتق ويخفق

فغضب حماد وأشد نائما الشعر نافع بشارا، فقال بشار :

أبا عمر مافي طلائيك حاجة * ولا في الذي متينا ثم أجمرا
وعدت فلم تصدق وقلت قد اغدا * كما وعد الكون شربا مؤثرا

فكان ذلك سبب التهاجي بين بشار وحماد . وكان بشار يرى حمادا بالزندقة ، وفي ذلك

ابن نهى رأس على قيل * وأحتمل الرموس خطب جليل
أدع غيري إلى عبادة الآتي * من فاني بواحد مشغول
يابن نهى يرث منك إلى الله جهارا * وذاك مني قليل

فأشاع حماد هذه الأبيات لبشار، وجعل فيها مكان : « فاني بواحد مشغول » « فاني عن واحد مشغول » ليصح عليه الزندقة والكفر بالله تعالى . لما زالت الأبيات تدور في الناس حتى انتهت إلى بشار، فأضطرب منها وجزع وقال : أشاط ابن الفاطلة يذمي، والله ما قلت إلا « فاني بواحد مشغول » فغيرها حتى شهرت في الناس .

كان زجلاً من أهل البصرة يدخل بين حماد وبشار على اتفاقٍ منهما ورعاً بأن يتقل إلى كل واحد منهما وعنه الشعر؛ فدخل يوماً إلى بشار فقال له : إيه يا فلان ، ما قال ابن الفاعلة ؟ فأنشده :

إن تآه بشارُ عليكم فقد * أمكنتُ بشاراً من التيه

فقال بشار : بأى شيءٍ ويحك ؟ فقال :

وذاك إذ سميتُ باسمه * ولم يكن حراً تُسميه

قال : سمعتُ عينه ، فأبى شيء كنتُ أهرِفُ ! إيه ، فقال :

فصار إنساناً يذكرى له * ما يتنى من بعد ذِكْرِهِ !

فقال : ما صنعَ شيئاً ، إيه ويحك ! فقال :

لم أُلجُ بشاراً ولكنى * هجوتُ نفسى بهجائيه

فقال : عل هذا المعنى دار وحوله حام . وتأم الأبيات :

لم آت شيئاً قط فيما مضى * ولستُ فيما عشتُ آتِيه

أسوأ لى فى الناس أخطوئته * من خطأ أخطأته فيه

فأصبح اليومَ لِسَى له * أعظمَ شأناً من مَوَالِيه

وقال بشارُ لراوية حماد : ما هجانى به اليومَ حماد ؟ فأنشده :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَنى الـ * لى والِدُه بُرْدُ

فقال : صدق ابنُ الفاعلة فما يكون ؟ فقال :

إذا ما تُسِبَّ الناسُ * فلا قَبْلُ ولا بَعْدُ

فقال : كُتِبَ ، أين هذه الرِّصَاتُ من عُقْلٍ ! فما يكون ؟ فقال :

وأعمى قَطَبَاتٌ^(١) ما * على قَاذِفِه حَدُ

فقال : كذب ، بل طيه ثمانون جَلْدَةً ، هيه ، فقال :

وأَمْحِ يُنْسِيهِ الْقِرْدُ * إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ

فقال : والله ما أخطأ حين شتبتني بقِرْدٍ ، حَسْبُكَ حَسْبُكَ ! ثم صفق بيديه وقال
ما حِلَّتْ ! يراني غُشْتَبْتَنِي وَلَا أَرَاهُ فَأَشْبِهْهُ . وتأمَّ الأبيات :

دَفِئُ لَمْ يَرْجُحْ يَوْمًا * أَلِى تَجِدِ وَلَمْ يَفْدُ

وَلَمْ يَخْضَرْ مَعَ الْحُضَا * رِى خَيْرٍ وَلَمْ يَيْدُ

وَلَمْ يُجَشَّ لَهُ ذَمٌّ * وَلَمْ يُرْجَ لَهُ

جَرَى بِالْخُصِّ مُدْكَان * وَلَمْ يَحْمِرْ لَهُ سَعْدُ

هُوَ الْكَلْبُ إِذَا مَات * فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ قَعْدُ

وقال علي بن مهدي : أجمع علماء البصرة أنه ليس في هجاء حماد بن محمد لبشار إلا أربعون بيتاً معدودة ، ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد . وكل واحد منهما هو الذى حكى صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه ، وكانا يجتمعان عليها ، فسقط حماد وهتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه ، وبقي بشار على حاله لم يسقط ، حتى حُرف مذهبُه في الزندقة فقتل به .

ومن أظلم ما هجا به حمادُ بشاراً :

نَهَارُهُ أَخْبَثُ مِنْ لَيْلِهِ * وَيَوْمُهُ أَخْبَثُ مِنْ أَمْسِهِ

وَلَيْسَ بِالْمُقْلِعِ عَنْ عَيْهِ * حَتَّى يُوَارَى فِي تَرَى رَمْسِهِ

كان حمادُ صديقاً ليحيى بن زياد ، فأظهر يحيى تورعاً وقرأةً وتزوّعاً عما كان فيه وهجر حماداً وأشباهه ، فكان إذا ذكر عنده تلبّاه وذكر تهتكه وجُحونه ، فبلغ ذلك حماداً فكتب إليه :

هَلْ تَذْكُرُنَّ نَدَى إِلَيْ * لَكَ عَلَى الْمُضْمَرَةِ الْقِلَاصِ

أَيَّامَ تَطْلِينِي وَنَا * خُذْ مِنْ أَبَارِقِ الرِّصَاصِ

إِنْ كَانَ نُسُكُكَ لَا يَدِ * سَمُّ بَغِيرِ شَمْتِي وَأَنْتَقَاصِي

أَوْ كُنْتَ لَسْتَ بِغَيْرِ ذَا * لَكَ تَعَالِ مَنَزَلَةُ الْخَلَّاصِ

فعلبك فاشتمُ آمِنًا • كلَّ الأمان من القصاص
 وأقعد وقم بي ما بدا • لك في الأتاني والإتمامي
 فلطالما زكَّيتي • وأنا المقسم على المعاصي
 أيام أنت اذا دُجِر • تُ مُناضلٌ عنى مُناصي^(١)
 وأنا وأنت على أرتكا • به الموقفات من الحراس
 وبنا مواطنُ ما بنا • في البرِ أهلة العِراس

فاتصل هذا الشعرُ ببني بن زياد، فَنَسَبَ حمادا الى الزندقة ورماه بالخروج عن الإسلام؛ فقال حماد فيه :

لا مؤمنٌ يُعرَفُ إيمانه • وليس يَمَيَّ بالنقي الكافِر
 منافقٌ ظاهرُه ناسكٌ • مخالفُ الباطنِ للظاهر

كان حمادُ صديقاً لحُرَيْث بن أبي الصَّلْتِ التَّخَفِي، وكان يَمِيه بالبخل، وفيه يقول :

حُرَيْثُ أبو الفضلِ ذو خيرة • بما يُصلِحُ المَعَدَّ الفاسده
 تخوَّفَ عُثْمَةَ أضيافه • فعودهم أكلةً واحده

ومن قوله :

ألا قُلْ لعبد الله إنك واحدٌ • ومثلُك في هذا الزمان كثيرُ
 قطعت إخواني ظالمًا وهجرتني • وليس أنسى من في الإخاء يحور
 أديم لأهل الودِّ ودَى وإني • لمن رام هجرى ظالمًا مُجْبور
 ولو أن بعضي رآني لقطعتُه • وإني يَقْطَعُ الراشدين جدير
 فلا تَحْسَبَنَّ مِنِّي لك الودَّ خالصًا • لِمَزَّ ولا آتى إليك فقير
 ودونك حظُّ منك لستُ أريده • طَوَّالَ الليالي ما أقام بَير^(٢)

(١) مناص : مدافع، من قولهم ناصاه ماصاة : أخذ كل ناصية صاحبه • (٢) ثير : اسم جبل

كَانَ حَمَادٌ صَدِيقًا لِحَفْصِ بْنِ أَبِي بَرَّةَ ، وَكَانَ حَفْصٌ أَعْمَشَ أَنْفُسَ أَعْصَبَ مُفْجِعِ
الْوَجْهِ ، فَاجْتَمَعُوا يَوْمًا عَلَى شَرَابٍ وَجَمَعُوا يَتَنَاشِدُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ ، فَاخَذَ حَفْصٌ يَطْمَنُ عَلَى
مُرْقِشٍ وَيُغِيبُ شِعْرَهُ وَيُلَحِّنُهُ ؛ فَقَالَ لَهُ حَمَادُ :

لَقَدْ كَانَ فِي حَبْلِكَ بِأَحْفَصُ شَاغِلٌ • وَأَنْفِ كَكَيْلِ الْعَوْدِ عَمَّا تَتَّبِعُ
تَتَّبِعُ لَحْنًا فِي كَلَامِ مُرْقِشٍ • وَوَجْهَكَ مَنَى عَلَى الْحَبِّ أَجْمَعِ
فَأَذْنَاكَ إِقْوَاءُ وَأَنْثُكَ مُكْفَأُ • وَعَيْنَاكَ إِطْيَاءُ فَأَنْتَ الْمَرْقُوعُ

ومن قوله :

إِنِّي أَحِبُّكَ فَاطْلُبِي • إِنْ لَمْ تَكُونِي تَعَالَيْنَا
حَبًّا أَقْلُ قَلِيلُهُ • بِكُلِّ حَبِّ الْعَالَمِينَ

وَأَنْشَدَ بِشَارُ قَوْلَ حَمَادٍ عَجْرَدُ :

أَمِى كُفٌّ عَنِ لَوْنِي فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي • بِمَا فَعَلَ الْحُبُّ الْمَبْرَحُ فِي صَدْرِي
أَمِى أَنْتَ تَلْعَانِي وَقَلْبُكَ فَارِغٌ وَقَلْبِي مَشْغُولُ الْجَوَانِحِ بِالْفِ
دَوَانِي وَدَانِي عِنْدَ مَنْ رَوَاتِهِ • يَلْبُغُ عَلَيْهِ لَأَقْصَرَتْ عَنْ زَجَرِي
فَأَقْسَمَ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي لَوْعَةِ الْهَوَى • لَأَقْصَرَتْ عَنِ لَوْنِي وَأَطْلَبْتَ فِي عُنْدِي
وَلَكِنْ بَلَالِي مِنْكَ أَنْتَ نَاصِحٌ • وَأَنْتَ لَا تَدْرِي بِأَنْتَ لَا تَدْرِي

فَطَرِبَ بِشَارُ ثُمَّ قَالَ : وَيَلَكُمْ أَحْسَنَ وَاقِهِ ! مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : حَمَادُ عَجْرَدُ ؛ قَالَ : أَوَّهْ وَكَلِّمُونِي
وَاقِهِ بَقِيَّةَ يَوْمِي لَمْ يَلَمْ طَوِيلٌ ، وَاقِهِ لَا أَطْعَمُ بَقِيَّةَ يَوْمِي طَعَامًا ، وَلَا أَصُومُنَّ عَمَّا بِمَا يَقُولُ
النَّبِيُّ مِثْلَ هَذَا .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَضْلِ السَّلُولِيُّ : لَقِيتُ حَمَادَ عَجْرَدَ بِوَاسِطٍ وَهُوَ يَمْشِي وَأَنَا رَاكِبٌ ، فَقُلْتُ
لَهُ : أَنْطَلِقْ ، بِنَا إِلَى الْمَتَزِلِّ ، فَإِنِّي السَّاعَةَ فَارِغٌ لَتَلْعَلْتُ ، وَحَمَسْتُ طِيَةَ الدَّابَّةِ ، فَقَطَّعْتُ شُغْلُ
عَرَضَ لِي لَمْ أَقْدِرْ عَلَى تَرْكِهِ ، فَضْهِتُ وَأَنْسَيْتُهُ ، فَلَمَّا بَلَغْتُ الْمَتَزِلَّ خِفْتُ شَرَّهَ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

أَبَا عُمَرَ أَخْبَرَهَا هُدَيْتَ فَأَتَنِي • قَدْ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَيَوْمَئِذٍ
فَلَا يَجِدُنِي فِيهِ عَلَى فِائَتِي • أَقْرُ بِإِجْرَائِي وَلَسْتُ بِمَانِدٍ
وَعَبَّه لَنَا تَقْدِيرُكَ نَفْسِي فَأَتَنِي • أَرَى رِقْمَةً أَنْ كُنْتُ لَسْتُ بِوَاجِدٍ
وَعُدَّ مِنْكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ • فَإِنَّكَ ذُو فَضْلٍ طَرِيفٍ وَتَالَهُ
فَأُجَابُنِي عَنِ الْآيَاتِ :

عَمْدُ يَا أبا الْفَضْلِ إِذَا الْحَمْدُ • وَيَا هَجَّةَ النَّادَى وَدَيْنَ الشَّاهِدِ
وَحَقُّكَ مَا أَذْنَبْتُ مِنْذُ عَرَفَتُنِي • عَلَى خَطَا يَوْمًا وَلَا تَعْدُ عَامِدٍ
وَلَوْ كَانَتْ مَا أَتَيْتُنِي مُتَسَرِّعًا • إِلَيْكَ بِهِ يَوْمًا تَسْرَعُ وَاجِدٍ
وَلَوْ كَانَ ذُو فَضْلٍ يُسَمَّى لَفَضْلُهُ • بِخَيْرِ أَسْمَاءٍ تُجَبِّتُ أُمَّ الْقَلَامِ
فَبَيْنَا رَقْمَتُهُ فِي يَدِي وَأَنَا أَقْرُؤُهَا إِذَا جَاءَنِي رَسُولُهُ بِرَقْعَةٍ فِيهَا :

قَدْ غَفَرْنَا الذَّنْبَ يَا بْنَ أَلِ • فَضْلُكَ وَالذَّنْبُ عَظِيمٌ
وَمِثْلِي أَنْتَ يَا بْنَ أَلِ • فَغُضِّلَ فِي ذَاكَ مُلِيمٌ
حِينَ تَحْشَانِي عَلَى الذَّنْبِ • سَبِّ كَمَا يُحْشَى اللَّئِيمُ
لَيْسَ لِي إِنْ كَانَ مَا خَفَى • سَتَ مِنْ الْأَمْرِ حَرِيمٌ
أَنَا وَاللَّهِ وَلَا أَدُ • خَرُّ لِلنَّيْظِ كَكُظُومٍ
وَبِأَصْحَابِي وَلَا رَيْ • جَبَّةٌ بِرٍّ وَرَحِيمٍ
وَبِمَا يُرْضِيهِمْ عَتَى • سِوَى وَرُضِيْنِي عَلِيمٍ

كَانَ عُمَانُ بْنُ شَيْبَةَ مُبْغِلًا وَكَانَ حَمَادٌ يَهْجُوهُ ، بَغَاهُ رَجُلٌ كَانَ يَقُولُ الشُّعْرَ إِلَى حَمَادٍ

فَقَالَ لَهُ :

أَيْعَنِي مِنْ عَيْنِكَ بَيْتُ شِعْرِ • عَلَى قَعْرِ لَعْمَانِ بْنِ شَيْبَةَ

فَقَالَ :

فَإِنَّكَ إِنْ رَضِيتَ بِهِ خَلِيلًا • مَلَأَتْ يَدُكَ مِنْ قَعْرِ وَخِيهِ

قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : جَرَّكَ اللَّهُ خَيْرًا لَقَدْ عَرَفْتَنِي مِنْ أَخْلَاقِهِ مَا تَقَطَّعُنِي عَنْ مَدَحِهِ وَصَلَتْ
وَجْهِي عَنْهُ .

لَمَّا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ طَلَّبَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ حَمْدًا عَجَزَ لَمَّا كَانَ يَقُولُهُ فِي أَخِيهِ
زَيْنَبٍ مِنَ الشَّعْرِ ، فَلَمْ أَنَّهُ لَا مُقَامَ لَهُ مَعَهُ بِالْبَصْرَةِ ، فَاسْتَجَارَ بِقَبْرِ أَبِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ
وَقَالَ فِيهِ :

مِنْ مُقَرِّ الذَّنْبِ لَمْ يُوجِبِ اللَّهُ • هُ عَلَيْهِ بِسَيِّئِهِ إِفْرَارًا
لَيْسَ إِلَّا بِفَضْلِ حَلِكِ يَدِ • تَدَّ بِلَاءٌ وَمَا يُدَّ اغْتَرَارًا
يَا ابْنَ بَلِيَّةِ النَّبِيِّ أَحْمَدَ لَا أَجِدُ • حُلَّ إِلَّا إِلَيْكَ مِنْكَ الْفِرَارُ
غَيْرَ أَنِّي جِلْتُ قَبْرَ أَبِي أَيُّو • بَ لِي مِنْ حَوَادِثِ الدَّهْرِ جَارًا
وَحَرِيٌّ مِنْ اسْتِجَارِ بِذَلِكَ أَلِ • عَسِرَ أَنْ يَأْتِيَ الرَّدَى وَالْعَارُ
لَمْ أَجِدْ لِي مِنَ الْعِبَادِ مُجِيرًا • فَاسْتَجَرْتُ التُّرَابَ وَالْأَحْجَارَ
لَسْتُ أَهْتَاطُ مِنْكَ فِي بُغْيَةِ الْمَرْءِ لِحَطَّانٍ كُلِّهَا أَوْ إِزَارًا
فَإِنَّا الْيَوْمَ جَارٌ مِنْ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ • ضِيقُ مُجِيرٍ أَعَزُّ مِنْهُ جَوَارًا
يَا ابْنَ بَنِي النَّبِيِّ يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّ • نَتُّ إِلَيْهِ الْفَوَارِبُ الْأَكْشَوَارُ
إِنْ أَكُنْ مِنْبِيًّا فَانْتَ أَبْنُ مِنْ كَا • نَ لِمَنْ كَانَ مِنْبِيًّا غَفَارًا
فَأَعَفْتُ حَتَّى لَقَدْ قَدَّرْتُ وَخَيْرًا أَلِ • مَعْفُو مَا قُلْتُ : تَكُنْ ، فَكَانَ اقْتِنَادًا
لَوْ يُعْلِلُ الْأَهْمَارَ جَارٌ لَمَزَّ • كَانَ جَارِي يُطَوِّلُ الْأَعْمَارَ

فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا بُلْغَ قَبْرِ أَبِي مِنْ دَمِهِ فَهَرَبَ حَمَادٌ إِلَى بَنْدَادٍ ، فَعَازَ بِمَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ
فَأَجَارَهُ ، وَقَالَ : لَا أَرْضَى أَوْ تَهَجَّرَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، فَقَالَ يَهْجُوهُ :

قُلْ لَوْ جِهَ انْطَلَعِي ذِي الْعَارِ إِنِّي • سَوْفَ أَهْدِي لَزَيْنَبَ الْأَشْعَارُ
قَدْ لَعَمْرِي قَرَّرْتُ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْ • فِ وَأَنْكَرْتُ صَاحِبِي نَهَارًا
وَمَنْطَنُ الْقُبُورِ تَمْنَعُ جَارًا • فَاسْتَجَرْتُ التُّرَابَ وَالْأَحْجَارَ

كنتُ عند استجارتى بأبي آية • يوب أُنْجى خَسَلَاةً وَخَسَارًا
 لم يُهْرِنِي ولم أجد فيه حِطًّا • اُنْصَرَمَ اللهُ فَكَانَ الْقَهْرُ نَارًا
 فبلغ مجاؤه محمد بن سلمان فقال : والله لا يُفْلِتُنِي أبدًا ، وإنما يزداد حَقًّا بِلِسَانِهِ ! ولا والله
 لا أعفوه عنه ولا أتفاقل أبدًا .

ومن قوله :

إن الكريم ليُخْفِي عَنْكَ حُسْرَتَهُ • حتى تراه خَيًّا وهو مجبُود
 وللبخيل على أمواله عِلٌّ • زُرْقُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سُود
 إذا تَكْرَمْتَ أَنْ تُعْطَى الْقَلِيلَ وَلَمْ • تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الْجُود
 أَبْرَقَ بِخَيْرِ رُجَى لِلنَّوَالِ فَمَا • تُرِيحُ الثَّمَارُ إِذَا لَمْ يُورِقِ الْعُود
 وَالْآلَ وَلَا تَمْتَنِكَ قَلْبُهُ • فَكُلُّ مَا سَدَّ فَرَقًا فَهُوَ مَجُود

وقال أيضا

تَمَّ مِنْ أَخِي لَكَ لَسْتُ تُنْكِرُهُ • مَا دَمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي بُسْرٍ
 مُتَصَنِّعٌ لَكَ فِي سَوْدَتِهِ • يَلْصَاكَ بِالْتَّرْحِيبِ وَالْبُشْرِ
 يُطْرَى الْوَفَاءُ وَذَا الْوَفَاءُ وَبَدَّ • حَتَّى الْغَدْرُ مَجْتَهِدًا وَذَا الْغَدْرُ
 فَإِذَا عَدَا ، وَالْدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ ، • دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
 فَارْتَضَ بِإِجْمَالٍ مَوَدَّةَ مَنْ • يَغْلِي الْمَقْسَلُ وَيَعْتَشِقُ الْكُثْرَى
 وَعَلَيْكَ مَنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ • فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْيُسْرِ
 لَا تَحِلِّطُهُمْ بِغَيْرِهِمْ • نَ يَحِلِّطُ الْعِقَانُ بِالصَّفْرِ !

وهو القائل في محمد بن طلحة :

زرتُ أمراً في بيته مرة • له حَيَاءٌ وَلَهُ خَيْرٌ
 يَكْرَهُ أَنْ يُنْفِخَ إِخْوَانَهُ • إِنْ أَذَى الصُّخْرِيَّ مَحْذُورٌ
 وَيَسْتَهْجِي أَنْ يُؤْجَرُوا عَنْده • بِالصَّوْمِ وَالصَّائِمِ مَاجُورٌ
 يَا ابْنَ أَبِي شُهَدَا أَنْتَ أَمْرٌ • بِهَمَّةِ الْأَبْدَانِ مَسْرُورٌ

وهو القائل في محمد بن أبي العباس السفاح :

أرجوك بعد أبي العباس إذ بانا * يا أكرم الناس أعرافا وأخصانا

لوجع حودك على قوم عصارتك * لمج حودك فينا المسك والبانا

قيل : إن حمادا مضى إلى الأهواز ، فأقام هناك مستترا ، وبلغ عمدا خبره فأرسل مولى له إلى الأهواز ، فلم يزل يطلبه حتى ظفربه فقتله غيلة . وقيل : إنه خرج من الأهواز يريد البصرة ، فمر بشيخان في طريقه ، فمرض بها ، فأضطروا إلى المقام بسبب علته ، فأشد مرضه فمات هناك ودُفن على تلثة . وكان بشار بلغه أن حمادا طيل ، ثم نعى إليه قبل موته ، فقال بشار :

لو عاش حماد لمونا به * لكانه صار إلى النار

فبلغ هذا البيت حمادا قبل أن يموت وهو في السياق^(١) ، فقال يرد عليه :

نُبئتُ بشارا نعانى ولد * حوت برأى انطالق الباري

يا ليتني ميت ولم أهجه * نعم ولو صيرتُ إلى النار

وأي نخزي هو أخزي من أن * يُقال لي يا مسب^(٢) بشار

فلما قتل المهدي بشارا بالطبيعة أنفق أن حُل إلى منزله ميتا ، فدُفن مع حماد على تلك التلثة ، فترى أبو هشام الباهل الشاعر البصري الذي كان يُهاجى بشارا ، فوقف على قبريهما فقال :

قد نَيع الأعمى قفا عجرد * فأصبعا جارَيْن في دار

قالت بِقاعُ الأرض لا مَرَجاً * بِقُرب حماد وبشار

تَجاورا بعد تَأييها * ما أبغض الحارَ إلى الحار

صارا جميعا في يدَي مالك * في النار والكافر في النار

٣ - مروان بن أبي حفصة^(١)

« لم يكن مروان^(٢) متصرفاً في فنون الشعر، ولعله لم يعد منها فناً أوفياً؛ فلما نعرف له غزلاً إلا هذا الغزل الذي تعود الشعراء أن يبدعوا به مدائحهم؛ ولما نعرف له هجاء إلا هذا النحو من الهجاء الذي يضطر إليه الشعراء السياسيون حين يدافعون عن مذهبهم ويهاجمون خصومهم. على أن موقف مروان كان في هذا دقيقاً جداً، فهو لم يكن ينصر بني العباس على بني أمية فيبلغ منهم ما يريد، ويهجوهم في حرية؛ وإنما كان السيف هو الذي آتصر للعباسيين من بني أمية، وكان العباسيون في حاجة إلى من ينصرهم على العلويين وأتباعهم من بني هاشم، ولم يكن هجاء العلويين يسيراً! كان الذين يأباه في ذلك الوقت، وكانت كرامة الخلافة العباسية نفسها تأباه أيضاً، فالعلويون من بني هاشم وهاجمي هجاء للعباسيين؛ ومن هنا سلك مروان وأمثاله من الشعراء السياسيين الذين ناضلوا عن حقوق العباسيين مسلحاً بالدفاع والمناظرة الشريفة البريئة من الشتم والقذف، فكان دفاعهم أبلغ، وكانت مناظراتهم أحسن وقعاً من هجاء أولئك الشتامين المسرفين في الشتم؛ ثم لا نعرف

(١) هو من الشعراء الموالى أصل جده من بني اسطخر، وكان غلاماً اشتراه عثمان بن عفان وروى لمروان بن الحكم، وأقام بعدئذ بالإمامة، وقد اعطفوا في حقيقة نسب. شب مروان على كره الشيعة لأنه من موالى بني أمية وقد حارب منهم، وكان هجاء مجزواً، فلما نبغ في الشرق دم بن داود ودمع المهدي ثم الرشيد، وكان يتقرب إليه بهجاء العلويين، وهو من القحول المقتسمين، أول من شبره ونقوه به من بني زائدة الجواد المشهور بقصيدة تونية مدحه بها، مطلقاً :

من بني زائدة الذي زيدت به * شرقاً حل شرف بنو شيان

ولكنه اشترى على الخصوص قصيدة لامية مدح بها من مطلقها :

سوط يوم القاء كأنهم * أسودهم في بطن حنان أئيل

فأجازه طلياً بمال كثير، فكانت كلما زاده من عطاء زاده مروان مدحا . قوى سنة ١٨١ هـ . وتجد أخباره في الأغاني (ج ٩ ص ٣٦) وابن حلكان (ج ٢ ص ١٣٠) والشعر والشعراء (ص ٤٨١) ونزاة الأدب (ج ١ ص ٤٤٧) والهرست لأبر التديم (ص ١٦٠) .

(٢) من محوت صديق الدكتور حسين شاذل الآداب العربية بالجامعة المصرية .

لمروان مجنوناً ولا حياً، فلم يكن كما قلنا ماجناً ولا عابئاً وإنما كان بخيلاً، والبخل والعبث شيان لا يتفقان، ومن ضنَّ على نفسه بالغم وطيبات الطعام لم يستبح لنفسه نمراً ولا ما تستبجه الخمر . ثم لا نعرف لمروان فخراً وما تحسب أنه فائز أو مال إلى الفخر، فقد كان رجلاً عالياً يعنيه أن يظفر بالمكانة والثروة وكان يقض بوقته وجهده على الفخر الذي لا يقيد . لم يعرض إذن إلا لفتين اثنتين : المدح والثناء، وهو في المدح أشعر منه في الرثاء وهذا طبعي، فهو راغب حين يمدح، يطلب المال ويحرص على أن يظفر به، فعقول أن يحيد وأن يبلغ من الإجادة حفظاً عظيماً، أما في الرثاء فهو لا يرقب ولا يطلب مالا وإنما يني بعهد ويشكر صليمة . ومعقول أن موقفه هذا لا يدفعه إلى الإجادة إلا أن يكون حساساً دقيقاً الشعور راقياً النفس، ولم يكن مروان من هذا كله في شيء، وإنما كان كما قلت لك رجلاً عالياً يريد المال . هل أنت رثاء لمعن ليس بالردى . وكذلك رثاؤه للهدى، وهل نستطيع أن نعد رثاء للهدى رثاء ! هو مدح لأنه عزاء لخليفة الجديد، ففيه ذكر لخليفة الراحل، والثناء على وادته، وفيه المثوبة والمطاء . فهو إلى المدح أقرب منه إلى الرثاء .

أما مدح مروان فن آيات المدح العربي، ونحن لا نحفظ منه إلا متفرقات قليلة ولكنها تكفي لحكم أن مروان كان قد أثنى المدح وبرع فيه ، بل نحسب أنه برز في هذا الفن على غيره من المعاصرين ، ولكن مدح مروان ينقسم إلى قسمين متميزين : أحدهما المدح بالمعنى الشائع المعروف، وهو موجه لمعن بن زائدة، فهو يفتن في وصف من بالحدود والكرم والشجاعة والحب، ثم يفتن في مدح بني شيان الذين يتمنى اليهم معن، وهو لا يخرج في مدحه هذا عن سنة الشعراء من قبله، ولكنه جيد المعاني متقاهما، حسن الألفاظ صافياً .

وأما القسم الثاني فهو هذا المدح السياسي الذي كان يشده الخلفاء من بني العباس، وهو مدح إن شئت ولكنه يمتاز عن المدح المعروف بما فيه من هذا النضال السياسي

الذى كان يحتاج الى مهارة وفطنة ودقة وخفة ، والذى كان يضطر صاحبه الى أن يجهر العلويين دون أن يؤذيهـم ، والى أن ينصر العباسيين دون أن يزدري خصومهم ، وقد بلغ مروان من ذلك ما أراد ، فقد أغضب العلويين لا لأنه آذاهم أو هجاهم فيما نعتقد ، بل لأنه كان خصما قويا عنيدا ماهرا في الخصام .

ثم هناك شيان لا بد من الإشارة اليهما ليكمل رأينا في مروان ، ولنستطيع أن نحكم على شعره حكما مطلقا إن صح هذا التعبير :

الأول : أت مروان لم يكن عراقيا ولم يرض الإقامة في العراق ولم يُطَل عشرة العراقيين من أهل المجون والعبث ، وإنما كان من أهل الإمامة أقام فيها لا يترحها إلا وافدا على أمير أو وزير أو خليفة ، فإذا أشد قصيدته وغفر بجاثرته عاد الى الإمامة وأقام فيها عامه ثم استأنف الرحلة . ولهذا أثره في شعر مروان ، فهو أقرب الى شعر الجاهليين والإسلاميين منه الى شعر المحدثين من شعراء الحضارة العباسية ، نقرؤه فتجد عليه هذه المسحة التي تخلو أو تكاد تخلو من الدُّعابة والحُفَّة ، وتمتاز بشيء من الجلال والرصانة ، يُمثل البادية تمثيلا صحيحا ، ولهذا أثره من وجهة أخرى ، فقد رضى علماء اللغة جميعا عن مروان وأحبوه من هذه الناحية ، وما أشك أنا في أنهم كانوا يوتقون لو استطاعوا إثارة على بشار وأبي نواس ، لأنه كان أقرب منهما الى الأسلوب البدوي القديم ، ولكن آتَى لهم ذلك ! وقد سلط الله عليهم لسان بشار وأبي نواس فاضطروا الى أن يحابوا هذين الشاعرين ويقلقوهما ، وأجمعوا أو كادوا يجتمعون على تقديم بشار وإثارة على مروان . ومع ذلك فليس الى المقارنة سبيل بين الشاعرين اذا أخذنا وجهة البحث والنقد ، هذه الوجهة التي كان يُعنى بها علماء اللغة وهى وجهة التأنة والرصانة في اللفظ والأسلوب ، لا يُقاس الى مروان في هذا أحد من شعراء العراق ، أما اذا أخذنا وجهة أخرى للنقد ، اذا أخذنا اختلاف الفنون التي طرقتها الشاعر ، وقرب المأخذ ، والدنو من أذهان الناس والقدرة على تمثيل حياتهم ، فليس مروان يقاس الى بشار ولا الى أبي نواس بنوع خاص ، على أن من علماء اللغة من استطاع أن يكون شجاعا شريفا في فنه لا يخاف

ولا يهاب فصنق نفسه وصنق الناس، وأمر مروان على غيره من الشعراء المعاصرين، وهذا العالم اللغوي هو ابن الأعرابي الذي ختم الشعر بمروان وأبى أن يدون لأحد من المحدثين بعده، والذي كان يُنشد مع الإعجاب الشديد هذه الأبيات الجليلة من شعر مروان، وهي:

بَنُو مَعْرِ يَوْمَ الْقِيَامِ كَانَهُمْ * أَسْوَدُهَا فِي بَعْنِ خَفَّانٍ أَشْبَلُ
مُرْتَمِعُونَ بِالْمَارِ حَتَّى كَانُوا * لِلْمَارِ مِنْ السَّمَاءِ كَبِيرٍ مَزَلُ
لَهَامٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ * كَأُولِهِمْ فِي الْبَاهِلِيَةِ أَوَّلُ
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا * أَجَابُوا وَإِنْ أَعْلَوْا أَطَابُوا وَأَجَزُوا
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ قَتْلَهُمْ .. وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّاتِبَاتِ وَأَجْمَلُوا

وكان ابن الأعرابي يقول: لو أن متنا أعطى مروان كل ما يملك بهذه الأبيات لما

بلغ حقه

الثاني: أن مروان لم يكن سرياً في الشعر ولا متعجلاً ولا مسترعلاً مع الطبع وإنما كان بطيئاً متمهلاً. كان يبيد الشعر لأنه كان يُجوده. كان يسلك هذه الطريقة التي يزعم الرواة أن زهيراً كان يسلكها في هذه القصائد التي يُسمونها الحواريات، كان يُنفق أشهراً في إنشاء القصيدة وأشهر في إصلاحها وأشهر في عرضها حتى إذا استقام له هذا كله أنشد قصيدته لمُدوحه خليفة كان أو وزيراً أو أميراً، فليس عجيباً مع هذه الأناة أن يخلو شعره مما يُستنكر وأن يبرأ من الضعف والوحشية معا. ولقد يُحكى الرواة بطائفة من أخبار مروان مع اللغويين والشعراء الذين كان يمرض عليهم شعره قبل أن يُنشده الخلفاء. ولست أشير إلا إلى سيرته مع بشار فلها مناه. كان مروان يعرض القصيدة على بشار ويسأله رأيه فيها فلا يجيبه بشار بأنها جيدة أو بأنها رديئة، بل يُقدر له قيمة القصيدة مالياً، فيقول: سيعطونك عليها كذا وكذا... وقد صدق بشار مرتين فأظهره مروان العجب من ذلك، فقال بشار: ألم أقل لك إنني أعلم الغيب! ولم يكن يعلم الغيب،

وإنما كان يفهم مروان ويفهم الخلفاء ويفهم الميول السياسية التي كان من شأنها أن تُجْزَلَ
حظ مروان من العطاء .

كان مروان متناقضا ولكنه تناقض مفهوم، كان شديد الحرص على الإجابة، فكان
يشك في شعره، ويستشير فيه الشعراء والنحاة، ولكنه كان مع ذلك مُعْجِباً بنفسه لا يقدم
عليها أحداً بعد هؤلاء الشعراء الثلاثة : الأخطل والفرزدق وجرير . وأسمع رأيهم
وفي نفسه، فقد عَقَدَهُ شعراً لَيَّتْ كَمَا يَقُول :

ذَهَبَ الْفَرَزْدَقُ بِالْخَمَارِ وَإِنَّمَا * حُلُو الْقَرِيضِ وَمُرَّةُ الْجَرِيرِ
وَلَقَدْ جَاءَ فَا مَضَى أَخْطَلُ تَغْلِبَ * وَحَوَى إِلَهِي بِيَانَهُ الْمَشْهُورِ
كُلُّ الثَّلَاثَةِ قَدْ أَجَادَ فَدَحَهُ * وَجَاهِزُهُ قَدْ سَارَ كُلَّ مَسِيرِ
وَلَقَدْ جَرَيْتُ فُتْتُ غَيْرَ مَهْلَلٍ * بِمِرَاءٍ لَا قَرِيفَ وَلَا مِهْجُورِ
إِنِّي لَأَتَقَبُّ أَنْفَ أَجْبَرِ يَذْهَبُ * أَبَلًا لِنَفِيرِ خَلِيفَةِ وَوَزِيرِ
مَا ضَرَفَنِي حَصْدُ اللِّثَامِ وَلَمْ يَزَلْ * ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذُووُ التَّحْصِيرِ

أما رأي مروان في النقد فبديع، كان يُنْشِدُ الشعر لأمرئ القيس ويقول : هو أشعرُ
الناس، ثم ينشد شعر الأعمش ويقول : هو أشعر الناس، ثم ينشد شعر زهير ويقول : هو
أشعر الناس، حتى إذا أنشد لطائفة كثيرة من الشعراء، قرأهم جميعاً أشعر الناس، قال
ضاحكاً : الناس أشعر الناس ! ولست أعرف رأياً كهذا الرأي يمثل الشك في نقد الناقد
المعاصرين والسخرية بهذا النقد .

وننتقل من ذاك الوصف الرائع إلى ذكر نبذة صالحة من أخباره وأشعاره .
دخل مروان بن أبي حَفْصَةَ على المهدي بعد وفاة مَعْنٍ ، فأنشده مديحاً فيه، فقال
له المهدي : أَلَسْتَ الْقَاتِلَ :

أَقَاتَا بِإِيْمَامَةٍ بَعْدَ مَعْنٍ * مُقَامَا لَا تُرِيدُ بِهِ زَوَالَا
وَقَلْنَا أَيْنَ تَزْجُلُ بَعْدَ مَعْنٍ * وَقَدْ ذَهَبَ النُّوَالُ فَلَا قُوَالَا

قد ذهب النوال فيما زعمت، فلم جئت تطلب نوالنا؟ لا شيء لك عندنا . فلما كان من
العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء، وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء كل عام
مرة، لقتل بين يديه، وأنشد — بعد رابع أو خامس من الشعراء — :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ لَحَى خَيَالَهَا * بِيضَاءُ تَخْلِطُ بِالْجَمَالِ دَلَالَهَا
قَادَتْ قَوَادِكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلَهَا * قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَاِمَالَهَا
فَكَأَنَّمَا طَرَقَتْ بِنَفْعَةِ رَوْضَةٍ * سَحَّتْ بِهَا دِيمُ الرِّبْعِ طِلَالَهَا
بَاتَتْ تَسْأَلُ فِي الْمَنَامِ مُعْرَسًا * بِالْيَدِ اشْعَثَ لَا يَمِيلُ سَوَالَهَا
فِي نِيَّةٍ هَجُوعًا غِرَارًا بَعْدَ مَا * سَمِعُوا صُرَاعِشَةَ السُّرَى وَمَطَالَهَا
فَكَأَنَّ حَشَوَ شَاهِمٍ هَنْدَكُهُ * نَحَلَتْ وَأَغْضَلَتْ الْقُبُورُ صِفَالَهَا
وَضَعُوا الْخُدُودَ لِدَى سَوَاهِمِ جَنِّ * تَشْكُو كَلُومَ صِفَاحِهَا وَكَلَالَهَا
طَلَبْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاصَلْتُ * بَعْدَ السُّرَى يَغْدُوهَا آصَالَهَا
نَزَعْتَ إِلَيْكَ صَوَادِيَا فَتَقَاذَفْتُ * تَطْوِي الْفَلَاةَ حُرُونَهَا وَدِمَالَهَا
يَتَبَنَّى نَاجِيَةً يَهْزُ مِرَاحُهَا * بَعْدَ التَّحُولِ تَلِيلُهَا وَقَذَالَهَا
هُوَ جَاءَ تَدْرِيعُ الرُّبَا وَتُسْقِيهَا * شَقَّ الشَّمْسُ إِذَا تَرَاعَ جَلَالَهَا
تَجَبُّوْا إِذَا دَفَعَ الْقَطِيعُ كَمَا تَجَبُّ * نَحْرُجَاءُ^(٣) بَادَرَتْ الظَّلَامَ رِثَالَهَا^(٤)
كَالْقَوْسِ سَاهِمَةُ أَنْتَكَ وَقَدَّرْتُ * كَالْبُرْجِ تَمَلَّأَ رَحْلُهَا وَجِبَالَهَا

ومها

أَحْيَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ * سُنَّ النَّبِيِّ حَرَامُهَا وَحِلَالُهَا
مَلِكٌ تَخْضَعُ نَبْعَةٌ مِنْ هَاشِمٍ * مَدَّ إِلَهُ عَلَى الْأَنَامِ ظِلَالُهَا
جَبَلٌ لِأَمْتِهِ تَلُودُ بَرَكَتِهِ * رَادَى جِبَالٍ عَدُوُّهَا فَازَالُهَا

لم يَفْتَحْهَا مِمَّا يَخَافُ عَظِيمَةً * إِلَّا أَجَالَ لَهَا الْأُمُورَ مُجَالَهَا
 حَتَّى يُفَرِّجَهَا أَغْرُ مَهْدَبٍ * أَلَّتْهُ أَبَاهُ مُفَرِّجًا أَمَانَهَا
 ثَبَّتْ عَلَى زَلَلِ الْحَوَادِثِ رَاكِبٌ * مِنْ صَرَفَهِنَّ لِكُلِّ حَالٍ حَالَهَا
 كَلَّتَا يَدَيْكَ جَعَلْتَ فَضْلَ نَوَالِهَا * لِلسَّامِينَ وَالْعَدُوِّ وَبَالَهَا
 وَقَعْتَ مَوَاقِعَهَا بِغَفْوِكَ أَنْفُسٌ * أَذْهَبَتْ بَعْدَ غَفَاةٍ أَوْبَالَهَا
 وَنَصَبْتَ نَفْسَكَ خَيْرَ نَفْسٍ دُونَهَا * وَجَعَلْتَ مَالَكَ وَاقِيًا أُمُومَهَا
 هَلْ تَعْلَمُونَ خَلِيفَةً مِنْ قَبْلِهِ * أَجْرَى لَغَايَتِهِ الَّتِي أَجْرَى لَهَا
 طَلَعَ الدَّرُورُ رَا عَنِ سَاهِهِ * بِالْخَلِيلِ مُنْصَلِبًا يُجِدُّ نَعَالَهَا
 قُوْدُ تَرِيحٍ إِلَى أَغْرِ لَوْجِهِ * نُوْرٌ يُعْنِي أَمَامَهَا وَخِلَافَهَا
 قَصُرَتْ حِمَالُهُ عَلَيْهِ فَتَقَلَّصَتْ * وَلَقَدْ تَحْفَظُ قِيَّتَهَا فَاطِمَاتُهَا
 حَتَّى إِذَا وَرَدَتْ أَوَائِلُ خَلِهِ * جِيحَانٌ بَثَّ عَلَى الْعَدُوِّ رِطَالُهَا^(١)
 أَحْمَى بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ * وَأَبَاحَ سَهْلَ بِلَادِهِمْ وَجِبَالَهَا
 أَدْمَتْ دَوَابِرَ خَيْلِهِ وَشَكِيمَهَا * غَارَتْهُنَّ وَأَلْحَقَتْ أَطَالَهَا
 مَ تَبْقَى بَعْدَ مَقَارِهَا وَطَرَادِهَا * إِلَّا نَحَاثَتَهَا^(٢) وَإِلَّا آتَالَهَا
 نِ الْخَلِيفَةُ نَاطِرِيَّ وَرَاءَ * بَيْدٍ مَبَارَكَةٍ شَكَرْتُ نَوَالَهَا
 وَحُسِدْتُ حَتَّى قِيلَ أَصْبَحَ بِأَخِيَا * فِي الْمَشْيِ مُتَرَفٍّ شَيْئَةً غُثَالَهَا
 وَلَقَدْ حَذَوْتَ لِمَنْ أَطَاعَ مِنْ عَصَى * نَعْلًا وَرِثَتْ عَنِ النَّبِيِّ مَثَالَهَا

فزحف المهدي من صدر مُصَلَّاه حتى صار على الإساط إعجابا بما سمع ، ثم قال :
 كم هي ؟ قال : مائة بيت ، فأمر له بمائة ألف درهم ، فكانت أول مائة ألف درهم أُعطيها
 شاعر في أيام بني العباس ، وهكذا فعل معه الرشيد لما أنشده قصيدته التي يقول فيها :

لعمرك أنسى عداة المَحْصَبِ ، إشارة سلمى بالبنان المُخَضَّبِ
 وقد حذر المتجأج إلا أقلهم ، مصادرة شتى مؤكدا بعد مذكور

(١) الرمال : القطع من الخيل واحدا رطة . (٢) الحائر : الانساع

قال مروان : دخلت على المهدي في قصر السلام ، فلما سلمت عليه وذلك يعقب
مخطه على يعقوب بن داود ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن يعقوب رجل رافضى ، وإنه
سمعى أقول في الورثة :

أنى يكون وليس ذاك بكثرة * لئى البنات وراثته الأصحاب
فذلك الذى حمله على عداوى ، ثم أنشدته :

كأنت أمير المؤمنين عمدا * لرأقه بالناس للناس والد
فقال له المهدي : والله ما أعطيك إلا من صلب مالى ، فأعذرني ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم
وكسافى جبة ومطرقا ، وفرض لي على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفا أخرى .

لما قديم متن من اليمن دخل عليه مروان والمجلس غاص بأهله ، فأخذ يعضدني الباب
وأنشأ يقول :

أرى القلب أسمى بالأوانس مولعا * وإن كان من عهد الصبا قد تمتعا
ويقول فيها :

ولما سرى الهم الفريب قريته * قري من أزال الشك عنه وأزما
عزمت فعبلت الرحيل ولم أكن * كذى لؤثة لا يطلع الهمم مطالعا
فأمت ركابي أرض معني ولم تزل * إلى أرض معني حيثما كان نزما
نجائب لولا أنها تخفرت لنا * أبت عزرة من جهلها أن تودعا
كسونا رجال الميس منها خواربا * تدارك فيها التي صيفا ومرميا
فأبلغت صنعاء حتى تواضعت * ذراها وزال الجهل عنها وأقلعا

إلى أنه قال :

وما النيت إذ عم البلاد بصوبه * على الناس من معروف معني بأوسعا
تدارك معني قبة الذين بعد ما * خشيينا على أوتادها أن تُترعا

أقام على التفر الخوف وهاشم * تساق سبيما بالأسنة متقما
 مقام آمري يابى سوى الخلطة التي * تكون لدى غب الأحاديث أقما
 وما أحجم الأعداء عنك بقية * عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
 رأوا محذرا قد جربوه وعابوا * لدى غيله منهم مجرا ومضرا
 وليس بثانيه اذا شد أن يرى * لدى نحسه رزق الأسنة شترعا
 له راحتان الفيت والحثف فيهما * أبى الله إلا أن تغضرا وتنفعا
 لقد دوق الأعداء مغل فاصبحوا * وأمنهم لا يدفع الذل مدفعا
 نجيب مناجيب وسيد سادة * ثرى المجد من قرعى زار ففرضا
 لبانت خصال الخير فيه وأكلت * وما أكلت نمسا سنوه وأربعا
 لقد أصبحت فى كل شرق ومغرب * بسيفك أعتاق الميريين خضعا
 وطقت خدود الحضرميين وطاة * لما هذ ركن منهم قنصعضما
 فاقعوا على الأذنان إقعاء معشر * يرون لزوم السلم أبى وأودعا
 فلو ملئت الأيدي إلى الحرب كلها * لكفوا وما مدوا إلى الحرب أصبا

فقال له معن : احكم، قال : عشرة آلاف درهم، فقال معن : ربحنا عليك تسعين ألفا،
 قال : أقلنى، قال : لا أقال الله من يقيلك .

لما مات المهدي وقدت العرب على موسى الهادي يهثونه بالخلافة ويعزونه عن
 المهدي، فدخل مروان فأخذ بعصا دنى الباب وقال :
 لقد أصبحت تحتال في كل بلدة * بقبر أمير المؤمنين المقابر
 ولو لم تسكن فآبته في مكانه * لما يرحت تبكى عليه المنابر
 مرض عمرو بن مسعدة فدخل عليه مروان وقد أبلى من مرضه، فأنشأ يقول :
 لك التحيص والاجر

قال موسى بن يحيى : أوصلنا إلى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم، وجمع إليها مالا حتى تمت مائة ألف وخمسين ألف درهم وأودعها يزيد بن مزيد، فبينما نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مزيد، وكانت فيه دُعاة، فقال : يا أبا علي، أودعني مروان خمسين ومائة ألف درهم، وهو يشتري الخبز من البقال؛ فغضب يحيى ثم قال : على بمروان، فألقى به، فقال له : قد أخبرني أبو خالد بما أودعته من المال وما يتناحه من البقال، والله لئلا يرى من أثر البخل عليك أضر من الفقر لو كان بك . ويرى أنه قال له : والله للبخل أسوأ عليك أثرا من الفقر لو صررت إليه فلا تبخل . وقال عمر بن شبة قال مروان : ما فريحتُ بشيء قط فرحى بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهدي، فوزتها فزادت درهما، فاشتريت به لحما . وقال جهنم بن خلف : أتينا اليمامة فترلنا على مروان بن أبي حفصة فاطعمنا تمرا وأرسل غلامه بفلس وسكرجة ليشتري زيتا، فلما جاء بالزيت قال لغلامه : خُفْتِي، قال : من قلس ! كيف أخونك؟ قال : أخذت القلس لنفسك واستوهبت الزيت . وقال التوزي : مر مروان بن أبي حفصة في بعض سفراته وهو يريد مثنى امرأة من العرب، فاضافته، فقال : لله على إن وهب لي الأمير مائة ألف أن أحب لك درهما، فأعطاه ستين ألف درهم، فأعطاه أربعة دنانير . وقال أبو دعامة : اشتري مروان لحما بنصف درهم فلما وضعه في القدر وكاد ينضج دعاه صديق له، فردّه على القصاب بنقصان دنانير، فشكاه القصاب وجعل ينادي هذا لحم مروان، وظن أنه يأنف لذلك، فبلغ الرشيد ذلك فقال : ويلك ! ما هذا؟ فقال : أكره الإسراف .

دخل مروان على موسى الهادي فأنشده قوله فيه :

تَشَابِهَ يَوْمًا بِأَيْسِهِ وَنَوَالِهِ . فَمَا أَحَدٌ يَدْرِي لَأَيِّهَا الْفَضْلُ

فقال له الهادي : أيما أحب إليك؟ أثلثون ألفا محبلة، أم مائة ألف تدون في الدواوين؟ فقال له . يا أمير المؤمنين، أنت تحسن ما هو خير من هذا، ولكك أنسيته، أفتأذن لي أن أدكر؟ قال : نعم، قال : تُعْجَلُ لي الثلاثين ألفا وتُدُونُ المائة ألف في الدواوين، فضحك وقال : بل يُعْجَلان جميعا، فحُمِلَ إليه المال أجمع .

قال محمد التوفلي : اجتاز مروان رجل من بأهله من أهل البمامة ، وهو يُشَدُّ قوما كان جالسا اليهم شعرا مدح به مروان بن محمد ، وأنه قُتِلَ قبل أن يلقاه ويُشَدَّ إياه ، أوله :
مروانُ يابن محمد أنت الذي * زيدت به شرفا بنو مروان

فأعجبته القصيدة ، فأهل الباهل حتى قام من مجلسه ، ثم أتاه في منزله فقال له : إني سمعت قصيدتك وأعجبني ، ومروان قد مضى ومضى أهله ، وفاتك ما قدرتَ عنده . أفتبقي القصيدة حتى أتعلها ، فإنه خير لك من أن تبقى عليك وأنت فقير ؟ قال : نعم ، قال : بكم ؟ قال : بثلاثة درهم ، قال : قد آبتعتُها ، فأعطاه الدراهم وحلقه بالطلاق ثلاثا وبالأيمان المخرجة ألا يتحملها أبدا ، ولا ينسبها الى نفسه ولا يُشَدَّها ، وأنصرف بها الى منزله فغير منها أبياتا وزاد فيها وجعلها في معن ، وقال في ذلك البيت :

معن بن زائدة الذي زيدت به * شرفا على شرف بنو شيان

ووفد بها الى معن حتى أثرى وأكسعت حاله ، فكان معن أول من رفع ذكره وقوه به . وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومرات حسنة . قال مروان : كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلبا شديدا وجعل فيه مالا ، لحدثني معن باليمن أنه أصطر لشدة الطلب الى أن قام في الشمس حتى لوتحت وجهه . وخفف عارضيه ولحيته ، وليس جبّة صوف خليظة ، وركب جملا من الجمال الثقالة يمشي الى البادية فيقيم بها ، وكان قد أبل في حرب يزيد ابن عمر بن هُبَيْرَة بلاء حسنا ظا المنصور وجَدَّ في طلبه ، قال معن : فلما خرجت من باب حرب تبني أسود متقلدا سيفا حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام جملي فأناخه وقبض على ، فقلت له : مالك ؟ قال : أنت طليبة أمير المؤمنين ، قلت : ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين ؟ قال : معن ابن زائدة ، قلت : يا هذا ، أتق الله ، وأين أنا من معن ؟ قال : دع هذا عنك ، فانا والله أحرُف بك منك ، فقلت له : فإن كانت القصة كما تقول ، فهذا جوهر حملته معي يني بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي ، لنخذه ولا تسفك دمي ، قال : هاته ، فأخرجته اليه ، فنظر اليه ساعة وقال : صدقت في قيمته ، ولست قابله حتى أسألك

من شيء ، فإن صدقني أطلقك ، قلت : قل ، قال : إن الناس قد وصّفوك بالجد
 فأخبرني ، هل وهبت قط مالك كله ؟ قلت : لا ، قال : فنيصّفه ؟ قلت : لا ، قال : فثقلته ؟
 قلت : لا ، حتى بلغ العشر ، فاستحييت ، فقلت : أظن أني قد فعلت هذا ، فقال : ما أراك
 فعلته ، أنا والله راجل وبزق من أبي جعفر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته آلاف الدنانير
 وقد وهبته لك ، ووهبتك لنفسك ولجودك المأمور منك بين الناس ، ولتعلم أن في الدنيا
 أجود منك فلا تعجبك نفسك ، ولتحقر بعد هذا كل شيء فعله ولا تتوقف عن مكرمة ،
 ثم رمى بالعقد في حجرى وخلّ خطام البعير وأنصرف ، فقلت : يا هذا ، قد والله فضحتني
 وكسفتك دمي أهون عليّ مما فعلت ، فغذ ما دفعته اليك فإني غني عنه ، فضحك وقال :
 أردت أن تكذبني في مقامى هذا ، والله لا أخذه ولا أخذ بمعروف ثمتا أبدا ومضى ، فوالله
 لقد طلبته بعد أن أمنت وبألت لمن جاءني به ما شاء ، فما عرفت له خبرا وكان الأرض
 آبتلته . وكان سبب رضا المنصور من معن أنه لم يزل مستترا حتى كان يوم^(١) اداشمية ،
 فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه ، وثب من وهو متلثم فانتفض سيفه وأاتل فأبلى
 بلاء حسنا وذب القوم عنه حتى نجا وهم يحاربونه بعد ؛ ثم جاء والمنصور راكب على بغلة
 ولحماها بيد الربيع فقال له : تتع فإني أحقّ بالتجّام منك في هذا الوقت وأعظم فيه غناه ؛
 فقال له المنصور : صدق فادفعه اليه ، فأخذه ولم يزل يقاتل حتى أنكشفت تلك الحال ،
 فقال له المنصور : من أنت ؟ قد أبوك ! قال : أنا طليبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ؛
 قال : قد أمتك الله على نفسك ومالك ومثلك يُصطّنع ، ثم أخذه معه وخلع عليه وحباه
 وزيته ، ثم دعا به يوما فقال له : إني قد أمتلك لأمر فكيف تكون فيه ؟ قال : كما يحب
 أمير المؤمنين ؛ قال : قد ولّيتك اليمن فأبسط السيف فيهم حتى يُنقّض حلف ربيعة واليمن ،
 وأبلغ من ذلك ما يحب أمير المؤمنين ؛ فولاه اليمن وتوجه إليها فبسط السيف فيهم حتى

(١) مدينة بناها السامع بالكوفة وذلك أنه لما ولد الخلافة نزل بقصر ابن هيرة واستقم بناءه وجعله مدينة
 وسماها اداشمية . فكان الناس يسمونها إلى ابن هيرة على العادة ، فقال : ما أرى ذكر ابن هيرة يسقط عنها ،
 مرضها وبنى حيالها مدينة سماها اداشمية ورمها

أسرف . قال مروان : وقدم معن بعقب ذلك فدخل على المنصور ، فقال له بعد كلام طويل :
قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيء لولا مكائك عنده ورأيه فيك لتغضب عليك ؛ قال :
وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إعطائك مروان بن أبي حفصة ألف دينار لقوله فيك :

معنُ بنُ زائدة الذي زيدتُ به * شرقاً على شرف بنو شيبانِ

إنَّ عدَّ أيامَ الفِعالِ فأبما * يوماه يومٌ ندى ويومٌ طعان

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُ ما بَلَغَكَ لهذا الشعر ، وإنما أعطيتُه لقوله :

ما زِلْتُ يومَ الهاشمية مُعلِّناً * بالسيف دونَ خليفةِ الرحمن

لَمَسْتُ حَوَزه وكنتُ وقاه * مِنْ وقعِ كُلِّ مهتدٍ وسنان

فأستجيبا المنصور وقال : إنما أعطيتُ ما أعطيتُ لهذا القول ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛

والله لولا مخافة الشُّنَّة لأمكتُّه من مفاتيح بيوت الأموال وأبجته لأبأها ؛ فقال له المنصور :

لله دَرَكٌ من أصرابي ! ما أهونُ عليك ما يَمُرُّ على الرجال وأهل الحزم !

وأختم هذه الترجمة بموت مروان بِقُصَّة قاتله . روى صاحب الألفاني عن رجل

يقال له صالح بن عطية الأصبجَم أنه قال :

لما قال مروان :

أني يكونُ وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثَةُ الأعمام

لَزِمَتْهُ وعاهدتُ الله أن أعتاله فأقتله أئمة وقتِ أمكني . وما زلتُ الأليفه وأبره ، وأكتب

أشعاره حتى خُصِّصَتْ به فائِسُ بنُ جِدا ، وعرفتُ ذلك بنو حفصة جميعاً فأنيسوا بي ،

ولم أزل أطلب غِرَّة حتى مريض من حمى أصابته ، فلم أزل أظهر له الجزع عليه وألأزمه

والأطفه حتى خلا لي البيت يوماً ، فوثبْتُ عليه فأخذتُ بِحَقْلِهِ فما قارقه حتى مات ، ففرجت

وتركتُه فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتاً وأرتفعت الصَّيحة ، فحضرتُ وتباكيتُ

وأظهرتُ الجزع عليه حتى دُفِنَ وما قَطِنَ لما فعلتُ أحد ولا آتَمَنِي به .

٤ - أبو دُلَامَة

كان أول ما حفظ من شعره وأسيت الجواثر له به، قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم يقول فيها :

أبا مسلم خوضي القتل فانتحي * عليك بما خوضني الأسد الوردي

أبا مسلم ما غير الله نعمة * على عبده حتى يغيرها العبد

أنشدها المنصور في تحفيل من الناس فقال له : أحكم، فطلب عشرة آلاف درهم، فأمر له بها، فلما خلا قال له : إيه، أما والله لو تعديتها لقتلتك .

أمر أبو جعفر أصحابه بلئس السواد وقلانس طوال تدغم بيدان من داخلها، وأن يعلقوا السيوف في المناطق ويكتبوا على ظهورهم : (تَسْبِيحُكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) فقال أبو دلامة :

وتما ترحي من إمام زيادة * بخاد بطول زاده في القلانس

تراها على هام الرجال كأنها * دنان يسود جلالت بالبرانس

ودخل الى المنصور مرة فأنشده :

إن الخليل أجدت الين فانتجموا * وزودوك خبالا ، بلئسا صنعوا

واقه يعلم أن كادت لينهم * يوم الفراق حصاة القلب تنصدع

عجبت من صيتي يوما وأهمهم * أم الدلامة لما حاجها الحزاع

(١) هو زهير الجون ، وسمى أبا دلامة نسبة إلى أبيه دلامة ، وهو كوفي المنشأ أسود اللون مولد لبي أسد ، وكان أبوه جدا رجلا منهم فاعتقه . أدرك أبو دلامة أواخر الدولة الأموية ، ولكنه نبغ في الدولة العباسية ، وانقطع إلى أبي العباس السفاح والمنصور والمهدي ، وكانوا يشتمونه ويصلونه ويستطيرون بحاسه ونوادره ، وفيه دعاية وطرف ، لا يخلو حديثه من نكتة أو ملحة ، وكان مع ذلك مسدودا في جملة المتهمين بالزندقه وفساد الدين ، وكان يشرب الخمر ولا يحضر صلاة ولا فروضا . توفي سنة ١٦١ هـ . وأخباره في الأغانى (ج ٩ ص ١٢٠) وابن حلكان طبع بلاق (ج ١ ص ٢٦٧) والشعر والشعراء (ص ٤٨٧) والديري (ج ١ ص ١٣٢) والمستطرف (ج ٢ ص ٤٣) . (٢) في الشعر والشعراء : " أبا مجرم " . (٣) في الطبرى ج ٢ ص ٣٧١ طبع أوربا "تراد الامام المصطفى" .

لا بارك الله فيها من مُنْبِئَةٍ * جَبَّتْ تِلْوَ عِيَالٍ بَعْدَ مَا هَجَسُوا
وَنَحَرَ مُشْتَبِهُ الْأَلْوَانِ أَوْجُهَهَا * سُودٌ قَبْلُحٌ وَفِي أَسْمَانَا شَنِعٌ
إِذَا تَشَكَّتْ إِلَى الْجُوعِ قَلْتُ مَا * مَا هَاجَ جَوْطُكَ إِلَّا الرِّىُّ وَالشَّيْعُ
لَا وَالَّذَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى * لَكَ الْخِلَافَةَ فِي أَسْبَابِهَا الرِّفْعُ
مَا زِلْتُ أُخْلِصُهَا كُنِّي قَتَا كُلَّهُ * ثَوْنِي وَدُونِ عِيَالٍ ثُمَّ تَضْطَلِيعُ
شَوْهَاءُ مَشْنَأَةٌ فِي بَطْنِهَا يَجْرُ^(١) * وَفِي الْمَفَاصِلِ مِنْ أَوْصَالِهَا قَدَحٌ
ذَكَرْتُهَا بِكَتَابِ اللَّهِ حُرْتَنَا * وَلَمْ تَكُنْ بِكَتَابِ اللَّهِ تَنْفِيعُ
فَأَحْرَنْطَلَمْتُ^(٢) ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مُغْضِبَةٌ * أَأَنْتَ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ يَا أَرْ
أَنْجُرْجُ لِيَبْغِ لَنَا مَالًا وَمَرْزَمَةً * كَمَا لِحَبِيرَانَا مَالٌ وَمُرْدَرَعُ
وَأَخَذَ خَلِيفَتُنَا عَنَّا بِمَسَالَةٍ * إِنْ الْخَلِيفَةُ لِلسُّؤَالِ يَخْضَعُ
فَضَحَكَ أَبُو جَعْفَرٍ وَكَتَبَ لَهُ بِضِيعَةً .

كَانَ وَاقِفًا بَيْنَ يَدَيِ السَّفَاحِ فَقَالَ لَهُ : سَلْنِي حَاجَتَكَ ، قَالَ : كَلْبٌ أَنْصِيدَ بِهِ ، قَالَ :
أَعْطُوهُ إِيَّاهُ ، قَالَ : وَدَابَّةٌ أَنْصِيدَ عَلَيْهَا ، قَالَ : أَعْطُوهُ دَابَّةً ، قَالَ : وَغَلَامٌ يَهْصِدُ بِالْكَلْبِ
وَيَقُودُهُ ، قَالَ : أَعْطُوهُ غَلَامًا ، قَالَ : وَجَارِيَةٌ تُصْلِحُ لَنَا الصَّيْدَ وَتُطْعِمُنَا مِنْهُ ، قَالَ :
أَعْطُوهُ جَارِيَةً ، قَالَ : هَؤُلَاءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَيْدُكَ ، فَلَا بَدَّ لَهُمْ مِنْ دَارٍ يَسْكُنُونَهَا ، قَالَ :
أَعْطُوهُمْ دَارًا تَجْمَعُهُمْ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ ضِيعَةٌ فَمِنْ أَيْنَ يَعْيشُونَ ؟ قَالَ : قَدْ أَعْطَيْتُكَ مَائَةَ
جَرِيرٍ طَامِرَةٍ ، وَمَائَةَ جَرِيرٍ غَامِرَةٍ ، قَالَ : وَمَا الْغَامِرَةُ ؟ قَالَ مَا لَا نَبَاتَ فِيهَا ، فَقَالَ : قَدْ
أَقْطَعْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَمْسَمِائَةَ أَلْفَ جَرِيرٍ غَامِرَةٍ مِنْ فَيَافِي بَنِي أَسَدَ ، فَضَحِكَ وَقَالَ :
اجْعَلُوهَا طَامِرَةً ، قَالَ : فَأَذِنَ لِي أَنْ أَقْبَلَ بِدُكِّكَ ، قَالَ : أَمَا هَذِهِ قَدَعُهَا ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا مَنَعَتْ
عِيَالِي شَيْئًا أَقَلَّ ضَرَرًا عَلَيْهِمْ مِنْهَا ، قَالَ الْجَاهِظُ : فَانْظُرْ إِلَى حِدْقِهِ بِالسَّالَةِ وَلُطْفِهِ فِيهَا ، ابْتَدَأَ

(١) البجر : خروج السمرة وتنورها وطمط أصلها . والقَدَحُ : أَمْرٌ حَاحَ وَ إِذَا

(٢) أَي غَضِبَتْ .

الْكُفَّ وَالْقَدَمَ إِلَى إِنْشَائِهَا .

بكلب فسئل القصة به وجعل يأتي بما يليه على ترتيب وفكاهة حتى نال ما لو سأله بديهة لما وصل إليه .

قال علي بن سلام : كنت أسقى أبا دلامة والسدي إذ خرجت بنت لأبي دلامة ، فقال فيها أبو دلامة :

فما ولدتك مريم أم عيسى * ولا ربك لهما الحكيم
أجز يا أبا عطاء ، فقال :

ولكن قد تضمتك أم سوء * إلى لبتها وأب لتسم
فضحك لذلك ، ثم غذا أبو دلامة إلى المنصور فألقاه في الرحبة يصلح فيها شيئا يريد ، فأخبره بقصة ابنته وأنشد البيت ، ثم أتلف فأنشده بعدها :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم قليل أقعدوا يا آل عباس
ثم أرتعوا في شعاع الشمس كلهم * إلى السماء فاتم أظهر الناس
وقنموا القاتم المنصور رأسكم * فالعين والأنف والأذنان في الراس
فاستحسنها وقال : بأي شيء تحب أن أعينك على قبح آبتك هذه ؟ فخرج خريطة كان قد خاطها من الليل ، فقال : تملأى هذه دراهم ، فلكت فوسعت أربعة آلاف درهم .
لما توفى أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يعزونه ، فأنشأ أبو دلامة يقول :

أسميت بالأنبار يا ابن محمد * لم تستطع عن عقرها تحويلا
ونبي طيك وويل أهل كلهم * ويا وعولا في الحياة طويلا
فلتبيكين لك النساء بعبرة * وليه كين لك الرجال عويلا
مات الندي إذ ميت يا ابن محمد * بفعله لك في التراب عديلا
إني سألت الناس بمدك كلهم * فوجدت أسمع من سألت بجيلا
اليسفوق أنرت بمدك التي * تدع العزيز من الرجال ذليلا
فلا حلفن يمين حق برة * بالله ما أعطيت بمدك سولا

فأبكى الناس قوله ، فغضب المنصور غضبا شديدا وقال : لئن سمعتك تُشيد هذه القصيدة لأقطع لسانك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مكرما ، وهو الذي جاء بي من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف اليه فقل كما قال يوسف لإخوته : (لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) فسرى عن المنصور وقال : قد أقتلك يا أبا دلامة ، فسل حاجتك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أسر لي بشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ، ولم أقبضها . فقال المنصور : ومن يعرف هذا ؟ فقال : هؤلاء ، وأشار الى جماعة ممن حضروا ، فوثب سليمان بن خالد وأبو الجهم فقالا : صدق أبو دلامة نحن نعلم ذلك ، فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيظ : يا سليمان ، اذهبها اليه وسيه الى هذا الطاغية « يعنى عبد الله بن علي » وقد كان خرج بناحية الشام وأظهر الخلاف ، فوثب أبو دلامة فقال : يا أمير المؤمنين إني أعينك بالله أن أخرج معهم ، فوالله اني لمشوم ، فقال المنصور : امض ، فإن يئني يغلب شؤمك فأخرج ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أحب لك أن تجوز ذلك متى حل مثل هذا العسكر ، فإني لا أدري أيهما يغلب ، أئمتك أم شؤمي ، إلا أني بنفسى أوثق وأعرف وأطول تجربة ، قال : دعني من هذا فألك من الخروج بد ، فقال : إني أصدقك الآن ، شهدت والله تسعة عشر عسكرا كلها هزمت وكنت سبها ، فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعل ، فاستغرب أبو جعفر مصحكا وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

قال أبو دلامة : إني بي المنصور أو المهدي وأنا سكران ، خلف ليخرجني في بيت حرب ، فأخرجني مع روح بن حاتم المهدي لقتال الشراة ، فلما التقى الجثمان قلت لروح : أما والله لو أن تحتي فرسك ومعى سلاحك لأثرت في عدوك اليوم أثرا ترتضيه ، فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ولأخذنك بالوفاء بشرطك ، ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلى ودعا بغيرهما فاستبدل بهما ، فلما حصل ذلك في يدي وزالت عني حلوة الطمع قلت له : أيها الأمير هذا مقام المائد بك ، وقد قلت أبيانا فاسمعها ، قال : هات ، فأنشدته :

إني أستعرجك أن أقدم في الوعى * لِنَطْأُ فِيهِ وَتَسْأَلُ وَحِشْرَابُ^(١)
فَهَبِ السُّيُوفَ رَأْيُهَا مَشْهُورَةٌ * فَتَرَكْتُهَا وَمَضَيْتُ فِي الْمُسْرَابِ
ماذا تقول لما يحيى وما يرى * من واردات الموت في اللثاب .

فقال : دَعَّ عَنْكَ هَذَا وَسَتَلَمْ ، وبرز رجل من الخوارج يدعوا للبارزة : فقال : انخرج
إليه يا إبادلامة ، فقلت : أُنْشِدْكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ فِي دَيْحِي ، قال : والله لَتَخْرُجَنَّ ، فقلت :
أَيُّهَا الْأَمِيرُ فَإِنَّهُ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ وَآخِرُ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَأَنَا وَاللهُ جَائِعٌ مَا شَبِعَتْ
مَنَى جَارِحَةٍ مِنَ الْجَوْعِ ، فَرُلَى بَنَى أَكْلَهُ ثُمَّ أَخْرَجَ ، فَأَمَرَ لِي بِرَغِيفَيْنِ وَدَجَاجَةٍ ، فَأَخَذْتُ
ذَلِكَ وَهَرَزْتُ عَنْ الصَّفِّ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّارِي أَقْبَلَ نَحْوِي وَعَلِيهِ قُرُودٌ قَدْ أَصَابَهُ الْمَطَرُ فَأَبْتَلُ
وَأَصَابَتْهُ الشَّمْسُ فَأَقْعَلُ^(٢) وَعَيْنَاهُ يَهْدَانِ ، فَأَسْرَعَ إِلَيَّ ، فقلت له : عَلَى رِسْلِكَ يَا هَذَا ، كَمَا أَنْتَ ،
فوقف ، فقلت : أَتَحْتَلُّ مِنْ لَا يِقَاتُكَ ؟ قال : لَا ، قلت : أَتَقْتُلُ رَجُلًا عَلَى دِينِكَ ؟ قال :
لَا ، قلت : أَتَسْتَعْلِمُ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَدْعُو مَنْ تَهَاتِلُهُ إِلَى دِينِكَ ؟ قال : لَا ، فَانْهَبْ عَنِّي
إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ ، قلت : لَا أَفْعَلُ أَوْ تَسْمَعْ مِنِّي ، قال : قُلْ ، قلت : هَلْ كَانَتْ بَيْنَنَا قَطُّ عَدَاوَةٌ
أَوْ تَرَةً أَوْ تَعْرِفُنِي بِحَالِ مُخِيفَتِكَ عَلَيَّ أَوْ تَعْلَمُ بَنِي وَبَيْنَ أَهْلِكَ وَتَرًا ، قال : لَا وَاللَّهِ ، قلت :
وَلَا أَنَا وَاللَّهِ أَضْمِرُكَ إِلَّا بِحِيلِ الرَّأْيِ ، وَأَنَّى لِأَهْوَاكَ وَأَتَقَعَلُ مِنْهَبِكَ ، وَأَيُّ دِينِكَ ، وَأَرِيدُ
السُّوءَ لِمَنْ أَرَادَهُ لَكَ ، قال : يَا هَذَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَانْصَرِفْ ، قلت : إِنْ مَعِيَ زَادًا أَحَبُّ
أَنْ أَكُلَهُ مَعَكَ وَأَحَبُّ مَوَاكِلِكَ لَنَا بَكْدَ الْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا وَيَرَى أَهْلُ الْعَسْكَرِ هَوَانَهُمْ عَلَيْنَا ، قال :
فَأَقْعَلُ ، فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ حَتَّى اخْتَلَفْتُ أَصْنَافَ دَوَابِّنَا ، وَجَمَعْنَا أَزْجُلَنَا عَلَى مَسَارِفِهَا وَالنَّاسُ قَدْ ضَلُّوا
مَحْصِكَ ، فَلَمَّا اسْتَوْفَيْنَا وَدَعَيْنَا ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : إِنْ هَذَا الْجَاهِلُ إِنْ أَقْبَلَتْ عَلَى طَلَبِ الْمُبَارَاةِ
نَدَبْنِي إِلَيْكَ فَتُحْبِنِي وَتَتَعَبُ نَفْسَكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ آتَا تَبَرَّزَ الْيَوْمَ فَأَقْعَلُ ، قال : قَدْ فَعَلْتُ ،
ثُمَّ انْصَرَفَ وَأَنْصَرَفْتُ فَقُلْتُ لِرَوْحٍ : أَمَا أَنَا فَقَدْ كَفَيْتُكَ قِرْنِي ، فَقُلْ لغيري أَنْ يَكْفِيكَ قِرْنَهُ
كَمَا كَفَيْتُكَ ، فَأَمْسَكَ ، وَخَرَجَ آخِرُ يَدْعُو إِلَى الْبَرَاةِ ، فَقَالَ لِي : انْخَرِجْ إِلَيْهِ ، فقلت :

(١) الحراب بمعنى الماربة وفي الأمازي « حراب » . (٢) هكذا بالأصل ولعلها : أفضل ، من
فولم أقعلت يده : تحببت .

أَتَى أَصَوْدَ بَرَوِجٍ أَنْ يَقْدَمَنِي * إِلَى الْبَرَّازِ تَتَخَوَّى بِي بَنُو أَسَدٍ
 إِنِّي الْبَرَّازُ إِلَى الْأَقْرَانِ أَعْلَمُهُ * مِمَّا يَفْزُقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
 قَدْ حَالَفْتُكَ الْمَنَآيَا إِنْ تَمَنَّتْ لَهَا * وَأَصْبَحْتُ لَجَمِيعِ الْخَلْقِ بِالرَّصَدِ
 إِنْ الْمُتَلَبِّ حَبَّ الْمَوْتِ أَوْ رَيْتُكُمْ * وَمَا وَرِثْتُ اخْتِيَارَ الْمَوْتِ عَنْ أَحَدٍ
 لَوْ أَنَّ لِي مُنْهَجَةٌ أُخْرَى بَلَدْتُ بِهَا * لَكُنْتُهَا خَلَقْتُ فَرْدًا فَلَمْ أَجِدْ
 فَضْعَكَ وَأَعْنَانِي .

قال أبو أيوب المورياني لأبي جعفر وكان يشأأبا دلامة : إن أبا دلامة مُعْتَكِفٌ عَلَى
 الْخَمْرِ، فَمَا يَحْضُرُ صَلَاةً وَلَا مَسْجِدًا وَقَدْ أَفْسَدَ فَيَانُ السَّكْرِ، فَلَوْ أَمَرْتَهُ بِالصَّلَاةِ مَعَكَ لَأُجِرْتَ
 فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ مِنْ فَيَانٍ عَسْكَكَ بَقِطْمِهِ عَنْهُمْ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو دَلَامَةَ قَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْجُبُونُ
 الَّذِي يَلْفُفُنِي حَتَّى ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنَا وَالْجُبُونُ وَقَدْ شَارَفْتُ بَابَ قَهْرِي ! ، قَالَ :
 دَعْنِي مِنْ أَسْكَاتِكَ وَتَضَرَّعْكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَهْوَيْكَ الظُّلُمُ وَالْمَعْصِرُ فِي مَسْجِدِي ، فَلَتَنِ فَاتَاكَ
 لِأَحْسَنِّ أَدَبِكَ وَلِأَطْلِقَ حَسْبَكَ ، فَرَفَعَ فِي شَرٍّ وَلَزِمَ الْمَسْجِدَ أَيَّامًا ، ثُمَّ كَتَبَ قِصَّةً وَدَفَعَهَا
 إِلَى الْمُهَدِي فَأَوْصَلَهَا إِلَى أَبِيهِ وَكَانَ فِيهَا :

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَزَنِي^(١) * بِمَسْجِدِهِ وَالْقَعِيرِ، مَا لِي وَلِلْقَعِيرِ
 أَصْلٌ بِهِ الْأَوَّلَى جَمِيعًا وَعَصَرَهَا * فَوَيْلٌ مِنَ الْأَوَّلَى وَوَيْلٌ مِنَ الْمَعْصِرِ
 أَصْلُهُمَا بِالْكَوْهِ فِي غَيْرِ مَسْجِدِي * فَمَا لِي فِي الْأَوَّلَى وَلَا الْمَعْصِرِ مِنْ أَجْرٍ
 لَقَدْ كَانَ فِي قَوْمِي مَسَاجِدُ جَمَّةٌ * وَلَمْ يَنْشَرْحْ يَوْمًا لِنِشْيَانِهَا صَدْرِي
 يَكْلَفُنِي مِنْ بَعْدِ مَا شَبَّتُ خُطَّةً * يُحِطُّ بِهَا عَنِّْي التَّقِيلُ مِنَ الْوِزْرِ
 بِمَا ضَرَّهُ وَاللَّهِ يَغْفِرُ ذَنْبِي * أَنَّ ذُنُوبَ الْعَالَمِينَ عَلَى ظَهْرِي
 فَقَالَ : صَدَقَ، مَا يَضُرُّنِي ذَلِكَ، وَاللَّهِ لَا يَصِلُ هَذَا أَبَدًا، فَدَعُوهُ يَعْمَلْ مَا يَشَاءُ .

(١) لَزَنَ بِالْفَتْحِ : أَزْنَاهُ لِيَاهِهِ .

وقال الميّم في خبره : قد أفضيتك من هذا الحال ، ولكن على ألا تدع القيام معنا في ليالي شهر رمضان فقد أطلّ ، فقال : أفعل ، قال : فإني إن تأخرت لشرب الخمر علمتُ ذلك وإني لئن فعلت لأحدتُك ، فقال أبو دلامة : البلية في شهر أخف منها في طول الدهر ، سيما وطاعة ، فلما حضر شهر رمضان لزم المسجد ، وكان المهديّ يبعث إليه في كل ليلة خريصاً يميّ به ، فشق ذلك عليه وفزع إلى الخيزران وإلى أبي عبيد الله وكلّ من يلوذ بالمهديّ ليشفعوا له في الإحفاء من القيام ، فلم يجمعهم ، فقال له أبو عبيد الله : الدالّ على الخير كفاعله ، فكيف شكرُك ؟ قال : أتم شكر ، قال : عليك برّطة فإنه لا يخالفها ، قال : صدقت ، ثم رفع إليها رقعة يقول فيها :

أولها رِيطَةٌ آتَى * كنت عبداً لأبيها
ففضى برحمه الله * وأوصى بي إليها
وأرادها نِسِيَّتِي * مثل نِسْيَانِ أَخِيهَا
جاء شهر الصوم يمشي * مِشْيَةً مَا أَشْتَنِيهَا
قائماً لي لَيْلَةَ الْقَدْرِ * رَكَاتِي أَبْتَغِيهَا
تَطَّحَ الْقِبْلَةَ شَهْرًا * جَبْنَتِي لَا تَأْتِيهَا
ولقد عشتُ زماناً * في قِيَافٍ وَجِيهَا
في لَيْلٍ مِنْ شَتَاءٍ * كنت شيخاً أَصْطَلِيهَا
قاعداً أَوْقَدَ نَارًا * لِضَبَابِ أَشْتَوِيهَا
وَصَبُوحٍ وَغُبُوقٍ * فِي عِلَابِ أَحْتَسِيهَا
ما أبالي لَيْلَةَ الْقَدْرِ * رَ وَلَا تُسَمِّعْنِيهَا
فأطلبني لِي فَرَجًا مِنْهَا * بِهَا وَأَجْرِي لَكَ فِيهَا

ولما قرأت الرقعة صحت وأرسلت إليه : أصطبر حتى تمضي ليلةُ القدر ، فكتب إليها : إنني لم أسألك أن تكلمني في إعفائي عما قايلا ، وإذا مصت ليلةُ القدر فقد فني الشهر ، وكتب تحتها أبياتا :

خَافِي إِلَيْكَ فِي نَفْسٍ قَدْ أَحْضَرْتُ * قَامَتْ قِيَامَتَهَا بَيْنَ الْمُصَلِّينَا
مَا لَيْلَةَ الْقَدَرِ مِنْ هَمٍّ فَاطْلُبَا * إِنِّي أَخَافُ الْمَتَايَا قَبْلَ عَشْرِينَا
بِالْيَلَةِ الْقَدَرِ قَدْ كَثُرَتْ أَرْجَلُنَا * يَا لَيْلَةَ الْقَدَرِ حَقًّا مَا تُؤَمِّنُنَا
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي خَيْرِ أَوْثَمِلِهِ * فِي لَيْلَةٍ بَعْدَ مَا قُنَا ثَلَاثِينَ

فلما قرأت الرقعة صَحِيحَتْ ودخلت إلى المهدي فشَقَعَتْ له إليه وأشدته الإبيات ،
فصَحِّحَكَ حتى استأقَى ودعا به وَرِيطَةً معه في المَجْلَّةَ ، فدخل ، فأخرج رأسه إليه وقال : قد
شَفَعْنَا رِيطَةَ فَيْكَ وَأَمَرْنَاكَ بِسَبْعَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ ، فقال : أما شفاعة سيدي في- حتى أعفيتني
فأعفاها الله من النار ، وأما السبعة الآلاف فما أعجبنى ما فعلته إما أن تُسَمِّيَهَا بِثَلَاثَةِ آلَافٍ
فتصير عشرة أو تُنْقِصَنِي مِنْهَا أَلْفَيْنِ فتصير خمسة آلاف ، فإني لا أحسن حساب السبعة ،
فقال : قد جعلتها خمسة ، فقال : أعيذك بالله أن تختار أدنى الحالين وأنت أنت ، فعِثْ
به المهدي ساعة ، ثم تكلمت فيه رِيطَةً ، فأتتها له عشرة آلاف درهم .

شرب أبو دلالة في بعض الحانات فيسرك وأنصرف وهو يميل ، فلقية العسس ، فأخذوه
وقالوا له : من أنت ، وما دينك ؟ فقال :

دِينِي عَلَى دِينِ بَنِي الْعَبَّاسِ * مَا خُتِمَ الْعَلِيُّ عَلَى الْقُرْطَاسِ
إِنِّي أَصْطَلَحْتُ أَرْبَعًا بِالْكَاسِ * فَقَدْ أَدَارَ شُرْبَهَا بِرَاسِي
فَهَلْ بَمَا قُلْتُ لَكُمْ مِنْ بَاسٍ *

فأخذوه ومضوا ونحووا ثيابَه وسَاجَهَ^(١) ، وأُتِيَ به أبو جعفر ، وكان يُوقَى بِكُلِّ مَنْ أَخَذَهُ
العسسُ ، فحبسه مع الدجاج في بيت ، فلما أفاق جعل ينادي غلامَه مرَّةً وجاريته مرَّةً .
فلم يُجِبْهُ أَحَدٌ ، وبنما هو في ذلك إذ سمع صوت الدجاج وزُفَاءَ الدُّيُوكِ ، فلما أكثر قال له
السجان : ما شأنك ؟ قال : ويَلَكُ من أنت ؟ وأين أنا ؟ قال : في الحبس وأنا فلان

(١) الساج : الضلعان الأخضر ، وهو ذو سود .

السَّجَّانَ ، قال : من حَبَسَنِي ؟ قال : أمير المؤمنين ، قال : ومن تَرَقَّى طَيْلَسَانِي ؟ قال :
الحَرَّاسُ ، فطلب منه أن يَأْتِيَهُ بِدَوَاةٍ وَقرطاس ، ففعل ، فكتب الى أبي جعفر :
أمير المؤمنين فذلك نفسى * . علامَ حَبَسْتَنِي وَتَرَقَّتْ ساجى
أمن صفراءَ صافيةِ المزاج * . كَأَنَّ شُجاعها لَهَبُ السَّراج
وقد طُيختَ بنار الله حتى * . لقد صارت من التُّخْلِيفِ النَّضاج
تَهَشُّ لها القلوبُ وتشتهيها * . اذا برزت تَرَقُّقُ في الزَّجاج
أُقَاد الى السجون بغير جُرم * . كَأَنِّي بَعْضُ عَمَلِ الخِراج
ولو معهم حُبست لكان سهلاً * . ولكنى حُبست مع الدَّجاج

فدعا به وقال : أين حُبست يا أبا دلامة ؟ قال : مع الدَّجاج ، قال : لما كنت تصنع ؟
قال : أَقْوَقُ مَعَهُنَ حتى أصبحتُ ، فضحك وغلَى سَيْلُهُ وأمر له بِجائزَةٍ ، فلما خرج قال له
الربيع : إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين ، أما سمعت قوله : وقد طُيختَ بنار الله ، يعنى
الشمس ؟ فأمر برده ، ثم قال : يا خبيث ، تَيرَتِ الخمر ؟ قال : لا ، قال : أفلم تغل : طُيختُ
مس ؟ قال : لا والله ما حَبَسْتِ إِلَّا نار الله الموقدة التى تَطْلُعُ عل فؤاد
الربيع ، فضحك وقال : خذها يا ربيع ولا تُعاود .

صام الناس فى سنة شديدة الحر على عهد المهدي ، وكان أبو دلامة يَنْتَجِزُ جائزَةً أمر
له المهديُّ بها ، فكتب اليه أبو دلامة رقعة يشكو فيها أذى الحر والصَّوم ، وهى :
أَدْعُوكَ بِالرَّحِمِ التى قد جَمَعْتُ * . فى القرب بين قَرِيننا والأبعد
إلا سمعتَ وأنتَ أكرم من مَنى * . من مُلِئِدٍ يرجو جَزاءَ المُنشَد
جاء الصَّيَّامُ فَصُنَّتُهُ مَتَعِبُنَا * . أرجو رَجاءَ الصائم المتعبَّد
ولَقِيتُ من أمر الصَّيام وَحرَّ * . أمرين قَيْسًا بالعذاب المؤصَّد
وصعدتُ حتى جَبَهْتُ مشجُوجَةً * . مما يُناطحنى الحصا فى المسجد
فأمنُنْ بتسريحى بِمَظْلِكِ بالذى * . أسَلَفْتَنِيهِ من البلاء المُرمِئِد

فلما قرأ المهدي رُفَعته غضب وقال : أى قرابة بينى وبينك ؟ قال : رحم آدم وحواء ،
 أنسيتهما يا أمير المؤمنين ! فضحك وقال : لا والله ما نسيتهما ، وأمر بتجيل ما أجاز به
 وزاد فيه ، وأنشده أيضا في ذم الصوم :

هَلْ فِي الْبِلَادِ لِرِزْقِ اللَّهِ مُقْتَرَشٌ * أَمْ لَا فَنَى جِلْدِهِ مِنْ خُشْنَةِ بَرَشٍ^(١)
 أَصْحَى الصِّيَامِ مُنِيخًا وَسَطَ عَرَصَتَنَا * لَيْتَ الصِّيَامَ بِأَرْضِ دُونِهَا جُرُشٌ
 إِنْ صُمْتُ أَوْجِنِي بَطْنِي وَأَقْلُقْنِي * بَيْنَ الْجَوَانِحِ مَسُّ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ
 وَإِنْ خَرَجْتُ بَلِيلَ نَحْوِ مَسْجِدِهِمْ * أَضُرَّنِي بَصَرُ قَدْ خَانَهُ الْعَمَشِ

دخل أبو دلامة على سعيد بن دعلج مولى بنى تميم فقال :

إِذَا جِئْتَ الْأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ * طَبِيعُكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الرَّحِيمِ
 وَأَمَّا بَعْدُ ذَاكَ فَلِي غَرِيمٌ * مِنَ الْأَعْرَابِ قُبْحٌ مِنْ غَرِيمِ
 غَرِيمٍ لَا زُمْ يُضَاءُ بِنُورِي * لَزُومَ الْكَلْبِ أَصْحَابَ الرِّقَمِ
 لَهُ مَائَةٌ عَلَى وَنِصْفُ أُخْرَى * وَنِصْفُ النَّصْفِ فِي صَبَكِ قَدِيمِ
 دِرَاهِمٌ مَا انْتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ * وَصَلْتُ بِهَا شَبُوحَ بَنِي تَمِيمِ
 أَتَوْنِي بِالْعَشِيرَةِ يَسْأَلُونِي * وَلَمْ أَكُ فِي الْعَشِيرَةِ بِاللَّيْمِ

فأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهما وقال : ما أساء من أنصف ، وقد كافأكم عن
 قومك وزدكم مائة .

دخل أبو دلامة على المهدي فأنشده قصيدته في بغلته المشهورة :

أَتَانِي ، بِغَلَةٍ يَسْتَامُ مِنِّي ، * حَرِيقٌ فِي الْخَسَارَةِ وَالضَّلَالِ
 فَقَالَ تَيْعِمَهَا قُلْتُ أَرْتَبِطُهَا * بِحُكْمِكَ إِنْ بَيَّعِي غَيْرُ ظَالِ
 فَأَقْبَلَ ضَاكِحًا نَحْوِي سُرُورًا * وَقَالَ أَرَاكَ تَسْمَحًا ذَا بَحَالِ
 هَلَمْ إِلَى يَنْحَلُو بِي خِدَايَا * وَمَا يَدْرِي الشَّقَى لِمَنْ يُخَالِي

فقلتُ بأرمين، فقال أحسن * إلى فإن مثلك ذو عيال
فأترك خمسة منها لعلى * بما فيه يصير من الخبال

فقال المهدي : لقد ألفت من بلاء عظيم ، قال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرا
أتوقع صاحبها أن يرقبها ، ثم أقتله :

فأبدلتُ بها يا ربَّ طرِّقا * يكون جمالَ مَرَكَّبِهِ جمال

فقال لصاحب دوابه : خيره من الإصطبل بين مركبين ، قال : يا أمير المؤمنين إن كان
الاختيار لي وقعت في شر من البغلة ، ولكن مره أن يختار لي ، فاختار له .

خاصم رجل أبا دلامة في داره فارتضا الى عافية القاضي ، فأنشأ أبو دلامة يقول :

لقد خاستمتني ذهاة الرجال * وخاصمتها سنة وإفيه
فما أدحض الله لي حجة * ولا خيب الله لي قافية
ومن خفت من جورهِ في القضاء * فلت أخافك يا عافية

فقال له عافية : والله لأشكوئك الى أمير المؤمنين ، ولأعلمته أنك هجوتني ، قال : إذا
يعزلك ، قال : وليه ؟ قال : لأنك لا تعرف المديح من الهجاء ، فبلغ ذلك المنصور فضحك
وأمر لأبي دلامة بجائزة .

دخل أبو دلامة على المهدي وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعباس
ابن محمد ومحمد بن محمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم فقال له : أنا اعطى الله عهدا
لئن لم تهج واحدا ممن في البيت لأقطعن لسانك ، فنظر اليه القوم ، فكلما نظر الى واحد منهم
غمره بأن عليه رضاه . قال أبو دلامة : فعلمت أني قد وقعت وأنها عزمة من عزماته لا بد
منها ، فلم أر أحدا أحق بالهجاء مني ، ولا أدعى الى السلامة من هجاء نفسي ، فقلت :

ألا أبلغ لديك أبا دلامه * فليس من الكرام ولا كرامه
إذا لیس العامة كان قردا * وخزبرا إذا تزيع العلمه

جَمَعَتْ دَمَامَةً وَجَمَعَتْ لَوْمًا * كَذَلِكَ اللُّؤْمُ تَتَّبِعُهُ الدَّمَامَةُ
فَإِنْ تَكْ قَدْ أَصَبْتَ نَعِيمَ دُنْيَا * فَلَا تَفْرَحْ قَعْدَ دَنْتِ الْقِيَامَةِ
فَضْحَكُ الْقَوْمِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَجَازُهُ .

نخرج المهديّ وعلّيّ بن سليمان إلى الصيد، فسَنَحَ لَهَا قَطِيعَ مِنَ الْقَبَاءِ، فَأُرْسِلَتْ
الكلاب وأُجْرِيت الخيل، فرمى المهديّ ظلياً بَسَمَ فصرعه، ورمى عليّ بن سليمان، فأصاب
بعض الكلاب قتله، فقال أبو دلامة :

قَدْ رَمَى الْمَهْدِيُّ ظِلِّيَا * شَكَّ بِالسَّهْمِ فَوَادَهُ
وَعَلَى بَنِ سُلَيْمَانَ * نَ رَمَى كَلْبًا فَصَادَهُ
فَهَنَيْتَا لَهَا كَلَّ أَمْرِي يَأْكُلُ زَادَهُ

فضحك المهديّ حتى كاد يسقط عن سرجه وقال : صدق واقه أبو دلامة، وأمر له بجائزة
سَلِيَّة، فلقّب عليّ بن سليمان صائد الكلب، وعلّق به .

أَنشَدَ أَبُو دِلَامَةَ الْمَنْصُورَ يَوْمًا :

هَاتِيكَ وَالِدَتِي عَجُوزٌ هِمَّةٌ^(١) * مِثْلَ الْبَلِيَّةِ دِرْعُهَا فِي الْمَشْجَبِ^(٢)
مَهْزُولَةُ الْخَيْتَيْنِ مِنْ يَرَاهَا يُقَلُّ * أَبْصَرْتُ غَوْلًا أَوْ خِيَالَ الْقَطْرِبِ^(٣)
مَا إِنْ تَرَكْتَ لَهَا وَلَا لَابِنٍ لَهَا * مَا لَا يُؤْمَلُ غَيْرَ بَكْرٍ أَجْرَبِ
وَدَجَانِجًا نَحْمًا يَرْحَنُ إِلَيْهِمْ * لَمَّا يَبْصُرَنَّ وَغَيْرَ عَزْزٍ مُغْرِبِ^(٤)
كَتَبُوا إِلَى صَحِيفَةِ مَطْبُوعَةٍ * جَعَلُوا عَلَيْهَا طِينَةً كَالْمَقْرِبِ
فَعَلِمْتُ أَنَّ الشَّرَّ عِنْدَ فِكَكَهَا * فَفَكَكْتُهَا عَنْ مِثْلِ رِيحِ الْجَوْرِبِ
وَإِذَا شِئِهِ بِالْأَفَاعِي رُقِّشَتْ * يُؤْتَدَنِّي بِتَلْمِظٍ وَتَسْوِبِ
يَشْكُونُ أَنْ الْجَوْعَ أَهْلَكَ بَعْضَهُمْ * لَزَبًا فَيَسِلُ لَكَ فِي عِيَالِ لُزْبِ

(١) همة : همة . (٢) المشجب : حشبات موءنة منصوبة توضع على الأبواب وتشر .

(٣) القطرب : ذكر الغيلان . (٤) المغرب : الأبيض من كل شيء .

لا يسألوك غير طَلِّ تَعَابَةٍ * تَشَاهُمُ من سَيْبِكَ الْمُتَحَلِّبِ
يا بَانِذَ الخِيَرَاتِ يَا بَنَ بَدُولِهَا * وَأَبْنَ الْكِرَامِ وَكُلَّ قَرِيمٍ مُنْجِبِ
أَتَمُّ بَنُو الْعَبَّاسِ يُعَلِّمُ أَنْكَمِ * قَدَمًا فَوَارِسُ كُلِّ يَوْمٍ أَشْهَبِ
أَحْلَاسِ خَيْلِ اللَّهِ وَهِيَ مُغِيرَةٌ * يَخْرُجَنَّ مِنْ خَلِّ الثُّبَارِ لَا أَكْهَبِ

فأمر له بدار يسكنها وكسوة ودرهم ، وكانت الدار قريبة من قصره ، فأمر أن تراد في قصره بعد ذلك لحاجة دعت إليها ، فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله :

يَا بَنَ عَمِّ النَّبِيِّ دَعْوَةَ شَيْخٍ * قَدْ دَنَا هَدْنُمُ دَارِهِ وَدَمَارُهُ
فَهُوَ كَالْمَاخِضِ إِلَى اعْتَادِهَا الطَّلُ * قُبُ قُفْرَتْ وَمَا يَحْزُرُ قَرَارُهُ
إِنْ تُحْزِرُ حُصْرُهُ بِكَفَيْكَ يَوْمًا * فَكَفَيْكَ حُصْرُهُ وَيَسَارُهُ
أَوْ تَقْصَهُ فَلِبَّوَارِ وَأَيَّ * وَلِمَاذَا وَأَنْتَ حَمَى بَوَارِهِ
هَلْ يَخَافُ الْمَلَائِكَةَ شَاعِرُ قُرَيْمٍ * قُلْتُ فِي مَدِيحِهِمْ أَشْعَارُهُ
لَكُمْ الْأَرْضُ كُلُّهَا فَاصْبِرُوا * شَيْخَكُمْ مَا أَحْتَوَى عَلَيْهِ جِدَارُهُ
فَكَأَنَّ قَدْ مَضَى وَخَلَّفَ فِيكُمْ * مَا أَهْرَيْتُمْ وَأَقْفَرْتُمْ مِنْهُ دَارُهُ
فَاسْتَعْبِرِ الْمَنْصُورَ وَأَمْرٌ بِتَعْوِيضِهِ دَارًا خَيْرًا مِنْهَا وَوَصْلُهُ .

دخل على المهدي يوما وعنده مُحْرِزٌ ومُقَاتِلٌ ابْنَا ذُوَالِ بَعَاتِبَانِهِ عَلَى تَقْرِيبِهِ أَبَا دَلَامَةَ وَيَعْيِيَانِهِ عِنْدَهُ فَقَالَ :

أَلَا أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ هَلْ أَنْتَ مُحْرِرِي * وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَهَلْ أَنْتَ سَائِلِي
أَلَمْ تَرْحَمْ الْقَتِيلِينَ مِنْ لِحْيَتَيْهِمَا * وَكَلْتَاهُمَا فِي طَوْلِهَا خَيْرَ طَائِلِي
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَهَلْ أَنْتَ مُكْرِمِي * بِحُلُقَيْهِمَا مِنْ مُحْرِزٍ وَمُقَاتِلِي
فَإِنْ يَأْذَنُ الْمَهْدِيُّ لِي فِيمَا أَقُولُ * مَقَالًا كَوَقْعِ السَيْفِ بَيْنَ الْمُقَاتِلِ
وَأَلَّا تَدْعُنِي وَالْمَسُومُ تَتَوَبُّنِي * وَقَلْبِي مِنَ الْعَلِيجِينَ جَمُّ الْبَلَابِلِ

(١) يقال : فلان من أحلاس الخيل ، أي من راضتها وسأستها والملازمين ظهورها .

فقال : أوأخذ لك منهما عشرة آلاف درهم يَفْدِيَانِ بهما أعراضهما منك ، قال :
ذلك الى أمير المؤمنين ، فأخذها له منهما وأمسك عنهما .

دخل على أم حبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفع اليها رُقعة قد كتبها الى الخَلِيزَرَانِ فيها :

أبلغني سَيِّدَتِي بِأَلَدٍ * يَا أُمَّ عَيْيِدَةٍ
أَنهَا أَرَشَدَهَا إِلَهُ * لَوْ أَنَّ كَانَتْ رَشِيدَهُ
وَمَدَّتْنِي قَبْلَ أَنْ تَخْ * رَجَّحَ لِحُجِّ وَلِيدِهِ
فَتَأْتِيَتْ وَارْسَلْ * تَبْعَتِ بَعْثَرَيْنِ قَصِيدَهُ
كَلَّمَا أَخْلَقَنَ أَخْلَفَ * سَتَلَهَا نَحْرِي جَدِيدَهُ
لَيْسَ فِي بَيْتِي لِلْمَيِّدِ * مَدْفِرَاشِي مِنْ قَصِيدِهِ
غَيْرُ عَجْفَاءَ عَجَبُوزٍ * سَأَقُهَا مِثْلَ الْقَلِيدِهِ
وَجْهَهَا أَقْبَحَ مِنْ حُو * تَطَرَّتْ فِي عَصِيدِهِ
مَا حَيَاةٌ مَعَ أَنفِي * مِثْلَ عُرْسِي بِسَمِيدِهِ

فلما قُرِئتَ عليها الأبيات ضحكّت واستعادتها منه لقوله : «حُوت طَرِيّ في عَصِيدَةٍ»
وجعلت تضحك ووهبت له جارية .

دخل يوما على المهديّ فخادته ساعة وهو يضحك وقال له : هل بَقِيَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ لَمْ
يَصِلْكَ ؟ قال : إِنْ أَمْنَتْنِي أَخْبَرْتُكَ وَإِنْ أَغْفَيْتَنِي فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ ، قال : بَلْ تُخْفِرُنِي وَأَنْتِ
أَمِنْ ، قال : كُلُّهُمْ قَدْ وَصَلَتِي إِلَّا حَاتِمَ بَنِي الْعَبَّاسِ ، قال : وَمَنْ هُوَ ؟ قال : عَمَّكَ الْعَبَّاسُ
ابْنُ مُحَمَّدٍ ، فَالْتَفَتَ إِلَى خَادِمٍ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ : جَاءَ عُنُقَهُ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ صَاحَ بِهِ أَبُو دَلَامَةَ :
نَحِّ يَا عَبْدَ السُّوءِ لَا تُنَحِّثَ مَوْلَاكَ وَتُشَكِّثَ عَهْدَهُ وَأَمَانَتَهُ ، فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ وَأَمَرَ الْخَادِمَ
فَتَنَحَّى عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ لِأَبِي دَلَامَةَ : وَلَيْكَ ! وَاقِهِ عَمِّي أَبْجُلُ النَّاسِ ، فَقَالَ أَبُو دَلَامَةَ : بَلْ
هُوَ أَحَقُّ النَّاسِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : وَاقِهِ لَوْ مِتَّ مَا أَعْطَاكَ شَيْئًا ، قَالَ : فَإِنَّ أَمَانَتَهُ

فأجارتني قال : لك بكل درهم تأخذ منه ثلاثة دراهم ، فانصرف أبو دلالة فخر للعباس قصيدة ، ثم غدا بها عليه وأنشده :

قِفْ بالديار وأنى الدهر لم تحِفْ * على المنازل بين الظهير والنَجَفِ
وما وقوفك في أطلال مَسْرُة * لولا الذى استندرت من قلبك الكَلِفِ
ان كنت أصبحت مشغوا بساكنها * فلا وربك لا تُسْفِك من شَغَفِ
دَعْ ذا وقْل في الذى قد فاز من مُضَر * بالمَكْرُمات وعِزٍّ غير مُقْتَرَفِ
هذى رسالة شيخ من بنى أَسَد * يهْدِي السلام الى العباس في العُصْفِ
تُحْطِئها من جَوارى المصر كاتبَةٌ * قد طالما خَرِبَتْ في اللام والالْفِ
وطالما اختلفت صَيفا وشَتِيبَةً * الى مُعَلِّها باللُوح والكُتِفِ^(١)
حتى اذا نَهَدَ التُّدَايِي وَآمَنَلَا * منها وخيفت على الإسراف والقُرَفِ
صد حين ما ترى أحدا * كما يصون نِجَارَ دُرَّة الصِّلَفِ
فبينما الشيخ يهوى نحو جَلْب * مُبَادِرَا لِمِصْلَا الصَبْح بالسِّلَفِ^(٢)
حانت له لَحْمَةٌ منها فابصرها * مُطَلَّةٌ بين يَجْفِئها من القُرَفِ
نَقَرُ والله ما يدري غَدَا تَحِيذ * أترمُّن حَيْفًا أم حَيْرِ
وجاءه الناس أفواجا بمائهم * لَيَقْبِلُوا الرجل المُنْتَشِي بالنُطْفِ
ووسوسوا بقرآن في مسامعه * نَفَاقَه الجُنَّ والإنسانُ لم يَحْفِ
شيثا ولكنه من حَبِّ جارية * أَسَى وأصبح موقوفا على التَلَفِ
قالوا لك الويل ما أبصرت قلت لهم * تَطَلَّمت من أعالي القصر ذى الشُرَفِ
قلت أَيْكُمْ والله يأجره * يُبَيِّن قُوَّتَه فيها على ضَعَفِ
فقام شيخ يهوى من رجالهم * قد طالما خدع الأقوام بالخِلَفِ
فابتاعها لى بالثمن دِرْهَمَ فانى * بها إلى فالحاها على كَيْفِ

(١) الكنف : علم مريض يكون في أصل كنف الحيوان كانوا يكونون فيه قلة القراطيس .

(٢) السدف : الضوء واقبال الصبح .

فَإِنَّ ذَلِكَ كَذَا إِذْ جَاءَ صَاحِبُهَا * يَتَبَعِي الدَّرَاهِمَ بِالْمِيزَانِ ذِي الْكِفِّ
وَيَذْكُرُ حَقَّ عَلَى زَيْدٍ وَصَاحِبِهِ * وَالْحَقُّ فِي طَرَفٍ وَالطَّيْنُ فِي طَرَفٍ
وَبَيْنَ ذَلِكَ شُهُودٌ لَا يَضُرُّهُمْ * أَكُنْتُ مَعْرِفًا أَمْ غَيْرَ مَعْرِفٍ
فَإِنْ يَكُنْ مِنْكَ شَيْءٌ فَهُوَ حَقُّهُمْ * أَوْ لَا فَإِنِّي مُدْفُوعٌ إِلَى التَّفَقُّفِ

فَضَحَكَ الْعَبَّاسُ وَقَالَ : وَيْحَكَ ! أَصَادِقُ أَنْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ ، قَالَ : يَا غُلَامُ أَدْعُ
إِلَيْهِ أَلْتَى دَرَاهِمَ ثَمَنًا ، فَأَخَذَهَا ثُمَّ دَخَلَ عَلَى الْمُهْدِيِّ فَأَخْبَرَهُ الْقِصَّةَ وَمَا أَحْتَالَ لَهُ ، فَأَمَرَ لَهُ
الْمُهْدِيُّ بِسِتَّةِ آلَافِ دَرَاهِمَ ، وَقَالَ لَهُ الْمُهْدِيُّ : كَيْفَ لَا يَضُرُّهُمْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي مُعْذِرٌ
لَا شَيْءَ عِنْدِي .

دَخَلَ عَلَى إِسْحَاقَ الْأَزْرَقِ يَوْمَهُ ، وَكَانَ إِسْحَاقُ قَدْ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا ثُمَّ تَعَافَى مِنْهُ
وَأَفَاقَ ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ ضَعِيفًا وَعِنْدَ إِسْحَاقَ طَبِيبٌ يَصِفُ لَهُ أَدْوِيَةَ تَقْوَى بَدَنَهُ ، فَقَالَ
أَبُو دَلَامَةَ لِلطَّبِيبِ : أَنْصِفْ هَذِهِ الْأَدْوِيَةَ لِرَجُلٍ أَضْعَفُهُ الْمَرَضُ ؟ مَا أَرَدْتَ وَاللَّهِ إِلَّا قَتْلَهُ ،
ثُمَّ أَتَفَتَ إِلَى إِسْحَاقَ فَقَالَ : اسْمِعْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ نَفِي ، قَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ يَا أَبَا دَلَامَةَ ،
فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

تَحَّ عِنْدَكَ الطَّبِيبُ وَأَسْمَعُ لِنَفْسِي * إِنِّي نَاصِحٌ مِنَ النَّصَاحِ
ذُو تَجَارِبٍ قَدْ تَقَلَّبْتُ فِي الصَّحَرِ * لَيْلَةً دَهْرًا وَفِي السَّامِ أُمْنَانِ
غَادٍ هَذَا الْجَبَابَتُ كُلُّ صَبَاحٍ .. مِنْ مَتُونِ الْفَتْيَةِ السُّحَابِ
فَإِذَا مَا عَطِشْتَ فَاشْرَبْ ثَلَاثًا .. مِنْ عَنَقِي فِي الشِّمِّ كَأَتْفَاحِ
ثُمَّ عِنْدَ الْمَسَاءِ فَأَعْكُفْ عَلَى ذَا * وَتَلَى ذَا بِأَعْظَمِ الدُّعَادِاحِ
فَتُقَوِّى ذَا الضَّعْفِ مِنْكَ وَتَتَّقِي * عَنْ لَيْلٍ أَمَّعَ هَذِي الشَّجَاحِ

فَضَحَكَ إِسْحَاقُ وَعُودَاهُ وَأَمَرَ لِأَبِي دَلَامَةَ بِخَمْسِينَ دَرَاهِمَ ، وَكَرِنَ الطَّبِيبُ نَهْرَانِيًّا
فَقَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ يَا رَجُلَ ، يَرِيدُ يَارِجِي ، وَقَدْ الْيَيْبُ : أَقْبَلْ مَعِيَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ

ولا تسألني عن شيء قدامه، فقال أبو دلامة : أما وقد أخذت أجرة صفتقي وقضيت الحق في نصح صديق فأنمت له الآن أنت ما أحبت .

دخل على المهديّ وبين يديه سلمة الوصيف واقفا، فقال : إني أهديت اليك يا أمير المؤمنين مَهْرًا ليس لأحد مثله ، فإن رأيت أن تُسرفني بقبوله ، فأمر بإدخاله إليه ، فخرج وأدخل إليه دابته التي كانت تحته ، فإذا برقدون عظمٌ أعجفٌ هَريم ، فقال له المهديّ : أيّ شيء هذا ؟ ألم تزعم أنه مَهْر ؟ قال له : أو ليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائمًا ، تسميه الوصيف وله ثمانون سنة ، وهو عندك وصيف ؟ فإذا كان سلمة وصيفًا فهذا مَهْر ، فجعل سلمة يُسْتَمِعه والمهديّ يضحك ، ثم قال المهديّ لسلمة : ويلك ! إن لهذه منه أخوات ، وإن أتى بها في تحفيل فضعك ، فقال أبو دلامة : والله لأفضحتك يا أمير المؤمنين ، فليس من مَواليك أحد إلا وقد وصلني غيره ، فأتى ما شربت له الماء قط ، قال : فقد حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يلك ، قال : قد فعلت على ألا يعاود ، فقال له : ما ترى ؟ قال : أفصل ، فلولا أتى ما أخذت منه شيئًا قط ما فعلت معه مثل هذه ، لفضي سلمة لحملها إليه .

أبان بن عبد الحميد اللاحق^(١)

ذكرنا في المجلد الأول أن أبان كان صديقاً للبرامكة متصلاً بهم أشد اتصال، يستشيرونه ويتمثلون عليه في تقدير أمورهم، جلتها وهزلها، صعبها وهينها. وكانوا قد اتخذوه أديبهم الرسمي، وبالغوا في ذلك حتى جعلوا إليه امتحان الشعراء وتقدير ما يستحقون من الجوائز والصلوات. فغضب الشعراء لذلك، وكان أشدّهم غضباً أبو نواس الذي كان يكره البرامكة كرها شديداً، وكانت بينه وبين أبان مهاجاة ذكرها صاحب الأغاني.

وكان أبان صديقاً للمعلل بن خيلان، وكانا مع صداقتهما يتعابثان بالهجاء، فيهجوه المعلل بالكفر وينسبه إلى الشؤم، ويهجوه أبان وينسبه إلى الفسّاء الذي تُهَجَّى به عبد القيس وبالقصر، وكان المعلل قصيراً. فسعى في الإصلاح بينهما أبو عبيدة المهلبى، فقال له أخوه عبد الله وهو أسنّ منه: يا أحمى إن في هذين شرّاً كثيراً ولا بد من أن يُخرجاه، فدعهما ليكون شرهما بينهما وإلا فوفاء على الناس.

ومن قوله يهجو أبا النضير:

إذا قامت بوايك * وقد هتكن أستارك
أبئني على قبر * لك أم يلحن أحجارك
وما تترك في الدنيا * إذا زرت غداً نارك
ترى في سقر المئوى * وإبليس غداً جارك
يل تترك بايك * ودنياك وأوتارك
ونحسان بنات اللد * مل قد ألبسن أظفارك
تعالى الله ما أقبح * مع إذ وليت أديارك

(١) تجد ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٢٩ وقد ذكرناه هنا لمسة ذكر ما عثرنا عليه من منظومه لكتاب كلية ودمة. وقد أضفنا هنا ما ذكره في ترجمته هناك.

خرج أبان من البصرة طالبا للاتصال بالبرامكة ، وكان الفضل بن يحيى طالبا فقصده ،
فأقام ببابه مدة مدينة لا يصل إليه ، فتوصل إلى من وصل له شعرا إليه ، وقال له :

يا عزيزَ الندى ويا جوهراً الجو * هير من آل هاشم بالبطاح
إك ظننى ، وليس يخلف ظننى * بك فى حاجتى سبيل النجاج
إك من دونها لمصمت باب * أنت من دون قفله يفتاح
ناقت النفس يا خليل السجاج * نحو بحر الندى مجارى الرياح
ثم فكرت كيف لى وأسخرت الله عند الإماء والإصباح
وأشدحت الأمير أصلحه الله بشعر مشهور الأوضاح

فقال : هات مديحك ، فأعطاه شعرا فى هذا الوزن وقافيته ، ترى فيه أن الرجل مُعجَب
بنفسه ، مدلل بعلمه وأدبه ، تياه لا حد لثبه وضروره :

أنا من بنية الأمير وكتر * من كنوز الأمير ذو أرباح
كاتب حاسب خطيب أديب * ناصح زائر على النصاح
شاعر مُفلق أخف من الريد * شة مما يكون عند الخناج

وهى طويلة ذكرناها فى المجلد الأول .

وكان أبان شديد الحرص على المال يُضخى فى سبيله بأشياء كثيرة ، منها العقيدة
والراى . وكان يحسد مروان بن أبى حفصة لمكانه من الرشيد ولظفره بالصلوات الضخمة
والجواهر السنية ، فقد آتتهى الأمر بنى العباس مع مروان بن أبى حفصة الى أن كانوا
يمنحونه بالبيت ألف درهم ، ففاظ ذلك أبان وأراد أن يصيب من أموال الرشيد ما كان
يصيب مروان ، فعاتب أبان البرامكة على تركهم لإصالحه للرشيد وإصالح مديحه اليه ،
فقالوا له : ما تريد من ذلك ؟ فقال : أريد أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروان بن
أبى حفصة ، فقالوا : إك تبتك مذجبا وها . آل أبى طالب وذمهم ، به يحظى وعليه يُعطى ،
فإنسلكه حتى نفعل ، قال : لا أستعز ذلك ، قالوا : فما تصنع ، لا يئىء طلب الدنيا
إلا بما لا يحل ! فقال أبان :

تَشَدَّتْ بِحَقِّ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا * أُمُّ بَا قَدْ قُتِلَتْهُ الْعُجَمَ وَالْعَرَبُ
 أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ أَقْرَبُ زُلْفَةً * لَدَيْهِ أُمُّ ابْنِ الْعَمِّ فِي رُبِّيَةِ النَّسَبِ
 وَأَيُّهَا أَوَّلَى بِهِ وَبِهِدِهِ * وَمَنْ ذَا لَهُ حَقُّ التَّرَاثِ بِمَا وَجَبَ
 فَإِنْ كَانَ عَبَّاسٌ أَحَقُّ بِتِلْكَكُمْ * وَكَانَ عَلَى بَعْدِ ذَاكَ عَلَى سَبَبِ
 فَأَبْنَاءُ عَبَّاسٍ هُمْ يَرِثُونَهُ * كَمَا الْعَمُّ لِابْنِ الْعَمِّ فِي الْإِرْثِ قَدْ حَجَبَ
 وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

فقال الفضل : مَا يَرِدُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ شَيْءٌ أَعْجَبُ مِنْ أَيْبَانِكَ . فَرَكِبَ «أَنْشَدَهَا
 الرَّشِيدَ» فَأَمَرَ لِأَبَانَ بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . ثُمَّ اتَّصَلَ مَدْحُهُ لِلرَّشِيدِ بَعْدَ ذَلِكَ وَخُصَّ بِهِ .
 وَكَانَ أَبَانُ نَجْمًا قَبِيحَ اللِّسَانِ ، وَكَانَ مَعَ هَذَا شَرِيرًا قَاسِيًا يُؤْثِرُ الشَّرَّ وَيَحْدُ فِيهِ لَذَّةٌ .
 وَقَدْ رَوَى لَهُ أَبُو الْفَرَجِ قِصَّةً تُمَثِّلُ نَعْيِهِ مِنَ الْقِسْوَةِ وَحُبِّ الشَّرِّ . كَمَا أَنَّهَا تَعْلِيْنَا صُورَةَ
 مِنْ شَعْرِهِ وَمِنْ الْحَيَاةِ فِي عَصَرِهِ . قَالُوا : كَانَ يُقِيمُ بِالْقُرْبِ مِنْ أَبَانَ رَجُلٌ تَقْفِيٌّ يُقَالُ لَهُ : مُحَمَّدُ
 ابْنُ خَالِدٍ ، وَكَانَ عَدُوًّا لِأَبَانَ ، فَتَرَوَّجَ مُحَمَّدٌ هَذَا تَقْفِيَّةً مَعْرُوفَةً هِيَ عِمَارَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْوَهَّابِ ،
 وَكَانَتْ عِمَارَةُ غَنِيَّةً مَوْفُورَةَ الثَّرْوَةِ ، فَاجْتَازَ أَبَانُ لِهَذَا الزَّوْجِ ، وَقَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ الَّتِي
 بَلَفَتْ عِمَارَةَ فَأَفْسَدَتْ زَوَاجَهَا :

لَمَّا رَأَتْ الْبَرْقَ وَالشَّارَةَ * وَالْفَرْقَسَ قَدْ ضَاقَتْ بِهِ الْحَارَةَ
 وَاللُّوزَ وَ« » مَعَى بِهِ * مِنْ فَوْقِ ذِي الدَّارِ وَذِي الدَّارَةِ
 وَأَحْضَرُوا الْمُلْهِيَزَ لَمْ يَتْرَكُوا * طَبْلًا وَلَا صَاحِبَ ذِمَّةٍ
 قُلْتُ : لِمَاذَا قِيلَ : أُعْجِبُونِي * وَهِيَ مِنَ النِّسْوَانِ تُخْتَارَةُ
 أَسَدٌ كَالسَّقُودِ بَيْنَهُمْ لَدَى الْ * نُورِ بِلِ عَمْرَاكُ قِيَارَةُ
 عَلَى الْوَلَادِ : عَصَاهُ : طَارِدَةُ

وأهله في الأرض من خوفه * إن أفرطوا في الأكل سيّارة
ويحك يجرى واعصى ذاب به * فهذه أختك فرّارة
إذا غفا بالليل فاستيقظي * ثم أطفري إنك طقّارة^(١)
فصعدت نائلة ملّما * تخاف أن تصعده الفارة
"سرور" غرثها فلا أظفحت * فإنها القناه غزّارة
لونت ما أبعدت من ريقها * إن لها نقّة سحّارة

فلما بلغت هذه القصيدة عمارة هربت، تحرّم من جهتها مالا عظيما. والثلاثة الأبيات الأخيرة التي أولها * فصعدت نائلة سلما * زادها في القصيدة بعد أن هربت .

جلس أبان ليلة في قوم فلّاب أبا عبيدة فقال : يقدح في الأنساب ولا نسب له . فبلغ ذلك أبا عبيدة فقال في مجلسه : لقد أغفل السلطان كل شيء حين أغفل أخذ الجزية من أمان اللاحق ، وهو وأهله يهود، وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة وليس فيها مصحف ، وأوضح الدلالة على يهوديتهم أن أكثرهم يدعى حفظ التوراة ولا يحفظ من القرآن ما يصلّي به . فبلغ ذلك أبان فقال :

لا تبيّن عن صديقي حديثا * وأسعد من تسرّر النقام
وأخفّض الصوت إن نطقت بليل * وألغيت بالنهار قبل الكلام

قال عيسى بن إسماعيل : كان في مجلس أبي زيد الأنصاري فذكروا أبان بن عبد الحميد، فقالوا : كان كافرا، فغضب . بو زيد وقال : كان جاري لما فقلت قراءته في ليلة قط .



وكان أبان يفوق الشعراء في شيء نحسب أنه هو الذي سبق إليه ، فقد ابتكر في الأدب العربي فنّا لم يتعاطه أحد من قبله . وهو فن الشعر التعليمي ، بطرق فيه فنونا مختلفة من العلم والحكمة والدين . وقد تحدّث أبو الفرج أنه نظم للبرامكة كتاب «كليلة ودمنة» ليسهل عليهم

حفظه ، فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل بن يحيى خمسة آلاف واكتفى جعفر بأن يكون راويته . وروى أبو الفرج أبياتا أربعة من هذا النظم ، وقد عثرنا على قطعة من كتاب مخطوط يوجد في دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٩٤) تاريخ ، وهو كتاب «الأوراق» للصولي . وفي هذا الكتاب قطعة صالحة من نظم أبان لكيلة ودمنة ، فرأينا أن نثبتها هنا ، لأن المنظومة ضاعت ولم يبق منها إلا الأبيات الأربعة التي رواها أبو الفرج . وهما هي ذى :

هَذَا كِتَابُ كَذِبٍ وَمِغْنَةٌ * وَهُوَ الَّذِي يُدْعَى كَلِيلَهُ دِمْنَةٌ
دَلَالَاتٌ وَفِيهِ رُشْدٌ * وَهُوَ كِتَابٌ وَضَعَتْهُ الْهِنْدُ
فَوَصَّفُوا آدَابَ كُلِّ عَالَمٍ * حِكَايَةً أَلْسِنِ الْبِهَامِ
فَالْحِكْمَةُ يَتَرَفَّوْنَ قَفْصُ * وَالسَّخْفَاءُ يَسْتَهْوُونَ هَزْلُهُ
وَمَوْعِلٌ عَلَى ذَلِكَ بَسِيرُ الْخَفِيطِ * لَذَّ عَلَى اللِّسَانِ عِنْدَ الْفَلِيطِ
يَا نَفْسُ لَا تَشَارِكِي الْجَهْلَالَ * فِي حُبِّ مَنْعُومٍ كَأَنْ قَدْ زَالَا
يَا نَفْسُ لَا تَتَّقِي وَلَا تَمْنَى * فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَلَا تَمْنَى
مَا لَمْ يَنْلُهُ أَحَدٌ إِلَّا نَدَمٌ * إِنْ تَوَلَّى ذَاكَ عَنْهُ وَسِيمٌ^(١)
دُنْيَاكَ بِالْأَحْبَابِ وَالْإِخْوَانِ * كَثِيرَةُ الْآلَامِ وَالْأَحْزَانِ
وَهِيَ وَإِنْ نِيلَ بِهَا السَّرُورُ * آفَاتُهَا وَغَمُّهَا كَثِيرُ
يَا نَفْسُ لَا يَجْمَعُ حُبُّ أَهْبٍ * وَلَا أَدَانِيكَ عَلَى أَنْ تَهْلِكِي
فِي جَمْعِ مَا يَرْصِيهِمْ فَإِنَّهُ * يَضْرِبُ مِنْ أَمْثَالِ ذَاكَ الدُّخْنُ^(٢)
يُنَالُ قَوْمَ عَرَفَها وَتَحْتَرِقُ * رَأَى بِهِ يَرْضَى أَخُو الرَّأْيِ الْحَقُّ
وَجَدْتُ ذَا النَّسِكِ الَّذِي قَدْ فَكَّرَا * فَزَادَهُ تَفَكُّرُهُ تَوَقُّرَا
وَقُلْ لَنَا رِضَى أَهْمَانُهُ * وَتَمَّ مِنْ سُرُورِهِ تَمَامُهُ

(١) ندم وحرد . (٢) الدخنة : نحو يدخن به النيار أو البيت وفي الأصل : «الدخنة» بجمع وهو تحريف

وترك الدنيا لمن يشق بها * ومن يقامى الكد من أنصابها
 فنسجها نجا من الشرور * ونال أقصى غاية
 ثم نجت عن كل فإن نفسه * فلقى السعد وظاب :
 وأبصر الثواب في القيامة * فامر : الحبرة والندامة
 ومثل الدنيا كبرق انقلب * من : ومنه بسقي يكذب
 وهو قياسي مثل نوم النائم * تفرحه أضغاث حلُم الحالم
 حتى إذا استيقظ صارها * ما كان في النوم به ألبا
 فكيف بالصبر على أيام * عما قليل من الانصرام
 يف والدنيا بلاء كلها * لا يامن الآفات فيها أهلها
 الله فرد واحد * اقترأ أو أنكر ذاك جاحد
 ليس له كفوا ولا ينأ أحد * لم يلك الله ولا له ولد
 وإنني بما عملت مرتين * ما كان منه من قبيح وحسن

من باب الأسد والثور

وإني من كان دني النفس * يرضى من الأرفع بالأخس
 كتيل الكلب الشقي البائس * يفرحُ بالعظم العتيق اليائس
 وإن أهل الفضل لا يرضيهم * شيء إذا ما كان لا يعينهم
 كالأسد الذي يصيد الأرنب * ثم إلى العير المجتهد مربا
 فيرسل الأرنب من أظفاره * ويتبع العير على أدباره
 والكلب مر : رفته ترضيه * بلقمة تقيذفها في فيه
 يعيش ما عاش غير حامل * له سرور دائم ونائل
 فهو وإن كان * أطول عمرا من حليف فقير
 ومن يشق في وحشه وضيق * وقلة المعروف في الصديق

فهو وإن عَمَر طول دُمُورِهِ * ليس بمنبُوط بطولِ عمرِهِ
 وقيل أيضا إنه قد ينبغي * للرجل الفاضل فيما ينبغي
 ألا يُرى إلا مع الأملاكِ ^(١) * أو يبُد الله مع النُساكِ
 كالقيل لا يصلحُ إلا مَرَكبا * لمك أو راعيا مسيا
 قال له السبعُ لقد سمعتُ * وكل ما تقول قد فهمتُ
 لكنني لستُ أظن ما تظن * بالثور من غش بلى غش ^(٢) حسن
 قال له دمنة من ثم أتى * وهذه من حاله هي التي
 رفعتَه حتى تمتدَى طوره * وكان هذا لك منه شكره
 وتلك أخلاق اللئيم الفاجر * الكافر المفروء غير الشاكر
 يزال ناصحا نفاقا * حتى يرى حاله آرتفاقا
 فعندها يسمو الى ما فوقها * الى التي لا تستطيع أوقها ^(٣)
 وربما كان هلاك الشجر * في حُسن النضن وطيب الثمر
 وذنب الطاووس فهو زينه * كذلك أحيانا وفيه حينه
 وباذل النصيح لمن يشكره * كطارج في سبخ ما يبدره
 لا خير للماقل في ذي المنظره * إن هو لم يحمده عند الخبرة
 وليس في الصديق ذي الصفاء * خير إذا لم يك ذا وفاء
 الرجل العاقل من لا تُسكِّره * كأش سمو وأقدار يُبطِّره ^(٤)
 فالجبلُ الثابت في أصوله * لا تقى - لريح على تحويله
 والناقص العقل الذي لا رأى له * يطغى إذا ما نال أدنى مترله
 مثل الحشيش أيماريج جرت * مالت به فأقبلت وأدبرت
 الأهل والإخوان والأعوان * عند ذوى الأموال حيث كانوا

(١) هـ - لـ : «يل الظن الحسن» -

(٢) هـ - لـ : «يل الظن الحسن» -

(٣) هـ - لـ : «يل الظن الحسن» -

(٤) هـ - لـ : «يل الظن الحسن» -

(١) الأملاك : الملوك

(٢) أو قها : قهها .

(٣) أو قها : قهها .

(٤) أو قها : قهها .

والمال هادى الرأى والمرؤه • وهو على كل الأمور قوّه
والمال فيه العزّ والجمال • والنلّ حيث لا يكون المال
وربما دعا الفقير قصره • الى التّى يُحبّط فيها أبره
فيخسر الدّين كما كان خير • دنياه والخسران ما لا ينجز
وليس من شئ يكون مدحا • لذى الذنّى إلا يكون برحا
على الفقير ويكون ذمّا • كذلك يدعى وبه يُسمّى
فإن يكنّ تجدّا يقولوا أهوج^(١) • كذلك عند الحرب لا يرجّ
وهو إذا كان جوادا سيّدا • سُمّي للفقير مضيقا مُفسيّدا
أويك ذا حليم يُقلّ ضعيف • أويك بساما يُقلّ محيف
الرجل السائل فيها يُسدى • مغتبط بكسبه للحميد
لأنه باع قليلا فانيا • وأعاض من ذاك كثيرا باقيا
فأغبط الناس الكثير تائله • ومدرك النجح لديه سائله
فلا تعلنّ ذا غنى غنيا • حتى يكون ماجدا سرّيا
وأعلم بأن الملك المشاورا • ذا العقل فيما نابه المؤازرا
فإنه يُضغّد بالتأييد • بغنى به عن كثرة الخنود
والحازم التابع أمر الحزمه • النصحاء غير أهل التّهمه
بهم ورشدا • زيادة البحر إذا ما مُدّا
فيه من أنهاره • حتى يهيج الموج من تياره
والموت من مات كريما صابرا • خير من العيش ذليلا صاغرا

ولم ينقل لنا الصّولى في كتابه إلا هذه القطعة . وبعد أبارى في هذا ناظرا لكتاب
رؤف، ولكنه قد تجاوز نظم الكتب المعروفة الى تأليف كتب منظومة ، فنظم قصيدة
طويلة في الصوم والزكاة، روى منها الصّولى طرفا .

(١) أهوج : احمق . وفى الأصل : «هوج» اللام وهو تعريف .

فقل لأبأن بعد أن نظم كليلة ودمنة : ألا تعمل شعرا في الزهد ؟ فعلم قصيدة
مزدوجة في الصيام والزكاة . وترجمتها :

تقصيدة الصيام والزكاة * نقل أبأن من فم الرواة

وها هي ذى القصيدة :

هذا كلب الصوم وهو جامع * لكل ما قامت به الشرائع
من ذلك المتزل في القرآن * فضلا على من كان ذا بيان
ومنه ما جاء عن النبي * من عهده المتبع المرضي
صلى الله عليه سلبا * كما هدنى الله به وعلى
وبعضه على اختلاف الناس * من أثر ماض ومن قياس
والجامع الذى اليه صاروا * رأى أبى يوسف مما اختاروا
قال أبو يوسف أما المفترض * فرمضان صومه اذا عرّض
والصوم في ثقافة الأيمان * من حيث ما يجرى على اللسان
ومعه الحج وفي الظهار^(١) * الصوم لا يدفع بالإنكار
وخطا القتل وحلق المحرم * رأسه فيه الصيام فأنهم^(٢)
فرمضان شهره معروف * وصومه مفترض موصوف
والصوم في الظهار ان لم يقدر * مظاهري يوما على محرير
والقتل إن لم يك عمدا قتله * فإن ذلك في الصيام مثله
شهران في العدة كاملان * متصلان لا مفترقان
والجنت في رواية مقبولة * ثلاثة أيامها موصولة
ومثلها في ستة الأيام * للحريم الحائض في الإحرام
ثلاثة يصومها * حلقا * لا بأس إن تابعها أو فترقا

(١) الظهار مصدر ظاهر الرجل من أمرائه اذا قال لها : أنت على كطهرامى ، فكفى بالظهار العطن تأدما

(٢) في الأصل : "مطوف" .

والصومُ في النُتمة ان لم يحيد • هَدْيًا وكان بالصيام يفتدي
صيام أيام مَوَقَّاتٍ • ثلاثة في الحج مفروضات
وبعد ما يرجع صومُ سبحة • عشرة كاملة في النُتمة
أما السلامة التي في الحج • فكان مَنْ أدركتْ من عَتَجٍ
أو غيره من يرى أن يرويه • يقول يوما قبل يوم التَّروية
ويومها وصوم يوم عرفة • مؤتلفات الصوم لا تختفئ
قالوا وإن أحبَّ أن يُفَرَّقَا • فذاك ما ليس عليه ضيقا
إن كان ذاك الصوم منه بعدما • يكون في عُمرته قد أحرم
ولو أراد الصومَ في شَوَّالٍ • من بعد أن يوجب بالهلال
عمرته لكان ذاك مُجْزِئًا • بذاك يُفَقِّ من أتى مستفتيا
وهي طويلة جدًا

ونحسب أن مكانه من البرامكة هو الذي حمله على اختراع هذا الفن؛ فقد كان مكانه منهم مكان المؤدب لصبيانهم وشبابهم، وكان من الحق عليه أن يسهل لهم العلم تسهلا . وليس من شك في أن هذه الأموال التي أصابها من البرامكة حينما نظم كلية ودمنة قد أطمعته، فنظم القصائد الأخرى ليصيب مثل ما أصاب .

أخبار حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن أبان ومختار من شعره

قال أبو بكر الصولي: حدثني محمد بن زياد قال: كانت في عبد الصمد بن المعدل مربية إذا سكر، فعربد يوما في مجلس فيه حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن أبان، وكان أيدا، فقال لهم: كلوه إلى وحدي، وأخذته وكشفه وجعله في بيت وأغلق بابه، وقال: إذا أصبحتم فاطلقوه، وأنصرف؛ فبلغه أن عبد الصمد حلف ليهجوته سنة، فقال حمدان يهجوهُ :

قل لعبد الصمد الأح * حتى لا تغضب طية
وعلى أملك فاعضب * وأكرها في المنيكة
أملك السفلاء جاء * حتى يسلم ورقية
وهي ساقط ليلة فا * طمة أخرى بالية
فقضينا فيهم الحق * وقلنا السوية

وقد ذكر الصولي في كتابه الأوراق ما اختاره من قصيدة حمدان بن أبان بن عبد الحميد

ابن أبان في وصف الحب وأهله وهي طويلة، قال :

ما بال أهل الأدب * منا وأهل الكتب
قد وضعوا الآدابا * وأتبعوا الكتابا
لكل فن دفت * منقط عبر
فقرت أجناسا * وعلوها الناسا
بالجمل الرقيقه * والفطن الدقيقه
فأرشدوا الضلالا * وعلوها الجهالا
سوى المحبين فلم^(١) * يعرفوا لهم حق الذمم
في علم ما قد جهلوا * وما به قد أبسأوا
قد علقت رهوة^١ * واسم
وحالفوا السبادا * وخالفوا الرقادا
فليلهم طويل * ونومهم قليل
أبدانهم نحيلة * متعبة عليه
نفوسهم حزينة * مشغوفة رزينة
ظاهرة غمومهم * باطنه كلومهم

(١) في الأصل : "مكم" .

يوبهم * قريضة جفوتهم
 إن ظلموا لم يظلموا * وإن شكوا لم يرحموا
 أحبايهم في تعب * وفي دوام الطرب
 صافية ألوانهم * ضاحكة أسنانهم
 قد مكثوا القصورا * وقارنوا السوروا
 تفرغوا للهجير * وللتوى والفذر
 عاشق يهواهم * بالله ما أقس أمهم
 وغدوم وعيد * إقرارهم بـ * ود
 يؤسى لأهل العشي * أهل الضنا والرق
 ليس لهم وسيلة * ولا وجوه حيلة
 رأيت لما خذلوا * وفي هواهم وحلوا
 أن أريشد المغفلا * الجاهل المضللا
 إلى الطريق الواضح * عند البلاء الفادح
 وأبتدى كتابا * للوصف بابا بابا
 يا أيها الناس قموا * وصيقي وأتبعوا
 فني صفاي بحب * وفي كتابي أدب
 قصيدتي مقومة * ألفاظها منظمه
 فيها هوى العشاق * ومينة المشتاق
 وصفت أهل العشي * ولم أمل عن حق
 فاسمع مقالا صادقا * يا من بيت عاشقا
 للحب خلائن * هما اللتان
 الصبر والرفق معا * يوما إذا ما اجتمعا

في عاشق مهجور * مباعِد مفرور
 قفى قريبا وطرا * وبلغاه الوطنرا
 ما الحسن والإحسان * والملك والسلطان
 يعدل وصل الإلف * وكسره للطرف
 ما حسن في العين * أحسن من الفين
 يوما اذا ما اتعبا * في مجلس فاشتعبا
 مداومين للنظر * قد أينا كل حذر
 يادران الخلوة * ويظهران الصبوة
 مساعدتين أعتقا * باتا ولم يترقا
 هواها مغزون * سرها مدفون
 مداريتن أصبا * للناس لم يفضبا
 من جرب الحب عرف * ما بين ملك وأسف
 لن يبلغ الصب المتى * إلا بصير وعنا
 إن الهوى ضروب * وأمره عجيب
 وأهله أطوار * فيه لهم أوطار
 للعاقيل الشريف * والأحمق السخيف
 فمنهم مرزوق * محبب معشوق
 على اضطراب الخلق * منه وسوء الخلق
 تقضى له الأوطار * وتعمل الأشمار
 مقرب ما يقصى * مطاوع ما يعصى
 ومنهم محروم * محارف مشغوم^(١)

على جمال هيئته * وحسنه وبهجته
 ومنهم من يُحَدَا * ينال عيشاً رَحَدَا
 من غير سعى وطلب * وغير كد ونصب
 قد ذاك الأسعد * والبخت منه أجود
 إذ فاز باللدات * ودرك الحاجات
 ومنهم من يتعب * في حبه ويدأب
 أسقمه طول الهوى * وشقه وجد الهوى
 فذاك صب قد شقي * يؤسى له ما ذا لقي
 ومنهم البصير * العاقل النحرير
 يحتمل الهجرانا * ويميل الأحزانا
 فلا يزال مبتلى * حتى ينال أملاً
 ومنهم العميد * الجاهل البليد
 يحب بالتضجر * والجهل والتكبر
 يلقى الحبيب باهتا * فلا يزال ساكتا
 ومنهم من يهوى * بالغيب يأتي عفوا
 فيزرع الغموما * مستجلباً هموما
 فذاك حب الغيب * ليس به من عيب
 من دونه حجاب * ودونه أبواب
 فالذاك لبت * وليس منه مكث
 حتى يرى مقهورا * في حبه محسورا
 ومنهم جبار * في حبه أزورار
 زهى إذا ما عشقا * ورهنه قد علقا

يلتم الجاحه * فليس يدي الحاجه
 فذاك حب القوت * وفيه كرب الموت
 ومنهم من للنظر * يهوى ولم يعد البصر
 اذا رأى خليله * داوى به خليله
 يكتّم ما يقاسى * من عين الجلس
 ومنهم من اقتصر * على الحليث والنظر
 غايته السلام * والمحظ والكلام
 مدافع عن حبه * يكتّم وجد قلبه
 ينهى الموى وينكره * وبالتبرى يستره
 فذاك حب العاقل * حب أديب كامل
 وبعضهم لا يقنئنه * إلا عمود يودعنه
 قد طلب الحراما * وأتمس الأثاما
 فذاك حب التوهم * الماجن المغلّم
 حق له الحرمان * والمنع والخذلان
 وبعضهم مذاق * معانت ملاق
 مستعمل للكذب * محرف في الكتب
 فذاك حب الزور * يسع كالزبور
 وبعضهم عبيد * غايه ما يريد
 خلوة من يهواه * في مشيد يلقاه
 لحظته مسارقه * ميته معاقره
 مكاتم لحبه * في بعده وقربه
 فذاك حب يكذ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَهْتَفُ • بِالْحَبِّ حِينَ يَشْتَفُ
 دَا أَحَدَ مَدَا • وَلَمْ يُنْهَ وَدَا
 تَاهَ عَلَيْهِ وَحَزَقُ^(١) • وَصَدَّ عَنْهُ وَحِمَقُ

وقال في آخرها :

قَدَّمَ مَنِي وَصَفُ • وَلَمْ يُخَفِّ الرِّصْفُ
 وَأَتَهَضَّتِ الْقَصِيدَةُ • بِبُوبِهِ
 وَالْحَمْدُ لِلرَّحْمَنِ • ذِي الْمَرْزِ وَالسُّلْطَانِ
 الذَّمُّ لِلشَّيْطَانِ • ذِي الْعَرِمِ وَالطُّغْيَانِ^(٢)

(١) حرق : من طيه وبجمل .

(٢) العرم : الشدة والشرامة . وفي الأصل : « العزم » .

٦ - منصور ي

كان ذا حيلة سياسية ، فأدرك أن الرشيد يسره أن يُمدح بنى الإمامة عن عليّ والطعن عليه ، لما كان يراه من تقديم مروان بن أبي حفصة بسبب ذلك ، فسلك منهجه ونحا نحوه - والشعراء يومئذ انما يطلبون الكسب - لكنه لم يصترح بالهجاء والسب كما فعل مروان ؛ ومن قوله فيه قصيدة مطلعها :

أمر المؤمنين اليك خُضْنَا * غمار المسؤل من بلد شِعْبِ
بُحُوص كالاهلة خافَاتِ * تلين على السرى وعلى الهجير
حَمَلَن اليك أحمالا هَمَّالَا * ومثل الصخرة الذر الثبير
فقد وقَّف المديح بمُتَّهَاه * وغايته وصار الى المصير
الى من لا تُشير الى رسول * اذا ذُكر الندى كف المثير

وذَكَر في القصيدة يحيى بن عبد الله بن حسن فقال :

يَذَلُّ من رقاب بنى عليّ * ومن ليس بالمتن الصغير
منلت على ابن عبد الله يحيى * وكان من الخوف على شفير

(١) هو منصور بن الزبير بن سلة القرى الربيعي ، من النخبة قاسط ، ثم من ربيعة بن زرار. شاعر من شعراء الدولة العباسية . من أهل الجزيرة ، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو التائي وراو يشه . عنه أخذ ، ومن يحضره استقى ، وبجدهه تشبه . وصفه التائي الفضل بن يحيى بن خالد وقرظه عنه حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه ، ثم وصله الرشيد وجرت بعد ذلك بينه وبين التائي وحشة حتى تهاجرا وتناقضا وسعى كل واحد منهما في هلاك صاحبه ؛ وكان القرى قد مدح الفضل بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة ، فأوصلها التائي اليه واسترطه له وسأله استصحابه ، فأذن له في القدوم ، فحضر عنده ، وعرف مذهب الرشيد في الشعر وازادته أن يصل مدحه إياه بنى الإمامة من ولد علي بن أبي طالب عليهم السلام والطعن عليهم وعلم متزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة وتخصيله إياه على الشعراء في الحواري ، فسلك مذهب مروان في ذلك ونحا نحوه . ولم يصرح بالهجاء والسب كما كان يفعل مروان ولكنه حام ولم يقع رأوما ولم يحقق ، لأنه كان يتشيع ، وكان مروان شديد العداوة لآل أبي طالب وكان ينقح عن ية قوية يقصد بها طلب الدنيا فلا يبقى ولا يذر. وتجد أحباريه في الأغاني (ج ١٢ ص ١٦ وح ١٧ ص ٣٢ و ١٤١ و ١٤٢).

ولقد تخلص الى شيء ليس عليه شيء وهو قوله :

فإن شكروا فقد أنعمت فيهم * وإلا فالندامة للكفور
وإن قالوا بنوبت الحق * وردوا ما يناسب للذكور
وما لبني بنات من ثراث * مع الأعمام في ورق الزبور

ومنها :

بنى حسن ورهط بنى حسين * عليكم بالسداد من الأمور
فقد ذُقم قراع بنى أبيكم * قداة الروح بالبيض الذكور
أحين شقوكم من كل وثر * وضموكم الى كنف وغير
وجأوكم على ظمأ شديد * سُقيتم من نوالهم الغزير
فاكان العقوق لهم جزاء * بفعلهم وأدى للشور
وإنك حين تثلثهم أذاة * وإن ظلموا لمحزون القمير

فقال له : صدقت وإلا فعلى وطل، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

وأشد الرشيد يوما قصيدته التي أولها :

ما تنقضي حسرة متى ولا جزع * إذا ذكرت شبابا ليس يربح
بأن الشباب وفاتني بلذته * صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت أوي شبابي كنه غرته * حتى أنقضى فإذا الدنيا له تبع

فقال الرشيد : أحسن ! والله لا يتنى أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب

ومن قوله فيها يمدح الرشيد :

أي أمرى بات من هارون في سخط * فليس بالصلوات الخمس ينتفع
إن المكارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع

اِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ يَرْفَعُهُ * وَمَنْ وَضَعَتْ مِنَ الْأَقْوَامِ مِثْقَالَ
نَقِيرٍ فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالُ مُعْلَمَةٌ * يَوْمَ الْوَعْدِ وَالْمُنَايَا صَاهِبُهَا فَرَعٌ

ومن قوله يمدح الرشيد :

يَا مُتَرَلِّحِي ذَا الْمَغَانِي * إِنَّمَا صَبَاحًا عَلَى بِلَاكَا
هَارُونَ يَا خَيْرَ مَنْ يُرَى * لَمْ يُطِيعْ أَقْبَاهُ مَنْ عَصَاكَ
فِي خَيْرِ دِينٍ وَخَيْرِ دُنْيَا * مِنْ أَتَى اللَّهَ وَأَهْلَاكَ

وناهيك بقصيدته التى رفعت السيف عن ربيعة بنِ صِهيبين بعد أن جرده فيها الرشيد
وهى التى يقول فيها :

وَقَدْ لَمْ الْعُدُونُ وَالْجَوْرُ وَالْحَنَّا * بَانَكَ عَيَافٌ لِمَنْ مُزَايِلُ
لَوْ عَمِلُوا فِينَا بِأَمْرِكَ لَمْ يَكُنْ * بَنَالٌ بَرِيًّا بِالْأَذَى مُتَنَاوِلُ
لَنَا مِنْكَ أَرْحَامٌ وَنَعْدَ طَاعَةٍ * وَبِأَسَا إِذَا أَصْطَلَكِ الْقَنَا وَالْقَنَابِلُ
وَمَا يَحْفَظُ الْإِحْسَانَ مِثْلَكَ حَافِظُ * وَلَا يَصِلُ الْأَرْحَامَ مِثْلَكَ وَاصِلُ
جَعَلْنَاكَ فَا مَمْنَعًا مَعَاذًا وَمَفْزَعًا * لَنَا حِينَ عَضَّتْنَا الْخُطُوبُ الْحَلَالُ
لَأَنْتَ إِذَا حَازَتْ بِوَجْهِكَ عُودُ * تَطَامَنُ خَوْفٌ وَأَسْتَقْوَتْ بِلَابِلُ

اجتمع جماعة من الشعراء ببغداد وفيهم منصور النمرى، وكانوا على تبيذ، فأبى منصور
أن يشرب معهم، فقالوا له : إنما تعاف الشراب لأنك رافضى، وتسمع وتُصْنِى الى
الغناء، وليس تركك التبيذ من ورع، فقال :

خَلَا بَيْنَ نَدْمَاتِي مَوْضِعُ تَجَلُّسِي * وَلَمْ يَبْقَ عِنْدِي لِلْوِصَالِ نَصِيبُ
وَرُدَّتْ عَلَى السَّاقِ تَهْيِيزُ وَرَبَّيَا * رَدَدْتُ طِلْهَ الْكَأْسِ وَهُوَ سَلِيبُ
وَأَيُّ أَمْرِي لَا يَسْتَهْشِرُ إِذَا جَرْتُ * عَلَيْهِ بَنَانٌ كَغَفْنِ خَضِيبُ

قال النمرى : كنت واقفا على جمر بغداد أنا وعبيد الله بن هشام ، وقد وخطني الشيب يومئذ ، وعبد الله شابٌ حديث السن ، فاذا أنا بقصيرةً ظريفة قد وقفت ، بفعلت أنظر إليها وهي تنظر الى عبيد الله ثم انصرفت ، وقلت فيها :

لما رأيت سَوامَ الشَّيبِ مَنشُراً * في لَمَسِي وعبيدَ الله لم يَشِبْ
سَلَّيتُ سَهْمِينَ من عَيْلِكَ فاتَّضَلَا * على سَبِيَّةٍ ذى الأذْيَالِ والطَّرَبِ
كذا الفَوَانِي نرى مِنْهُنَّ قاصِدةً * الى الفروع مُعَرِّرةً عن الخَشَبِ
لا أَنْتِ أَصَبَحْتَ تَعْقِدُ بَيْنَنَا أَرْباً ^(١) * ولا وعيشك ما أَصَبَحْتَ من أَرْبِي
إحدى وخمسين قد أَضْيَيْتِ جَلَّتْهَا * تحُولُ بَنِي وَيْنَ اللَّهُو والأَلْعِبِ
لا حَسْبِي وَإِنْ أَغْضَيْتِ من بَصَرِي * خَفَلْتُ عَيْكَ ولا عن شَأْنِكَ السَّجَبِ
غَضِبَ الرِّشِيدُ على مَنْصُورِ النَّمْرِى لما أَثْبَدَ قَصِيدَتَهُ فى مَدْحِ العلَويِّينَ وأَوْطَأَ :
شَاءَ من النَّاسِ رَاطِعٌ هَامِلٌ * يعللون الغُوسَ بالباطِلِ

وفيه يقول :

أَلَا مَسَاعِيرُ يَنْضَبُونَ لها * بِسَلَّةِ الْبَيْضِ وَالْقَتَا الذَّابِلُ
فغَضِبَ من ذاك غَضَبًا شَدِيدًا وقال للفضل بن الربيع : أَحْضَرَهُ السَّاعَةَ ، فَبِمَتْ الْفَضْلُ
فى ذاك ، فَوَجَدَهُ قد تَوَقَّى ، فَأَمْرَ بِنَشْهِ لِحْرِيقِهِ ، فلم يَزَلِ الْفَضْلُ يُطْلِفُ له حَتَّى كَفَّ عَنْهُ .
وَالَيْكَ قَصِيدَتُهُ فى مَدْحِ العلَويِّينَ قَلَّا عن الشَّعرِ والشَّعْرَاءِ لابنِ قَتِيبةٍ ، لأنَّ صَاحِبَ
الأَغَانِي أَغْفَلَهَا ولم يَذْكُرْ مِنْهَا إِلا الْبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ :

شَاءَ من النَّاسِ رَاطِعٌ هَامِلٌ * يُعللون الغُوسَ بالباطِلِ
تُحْتَمِلُ نُذْرِيَّةَ - آلِنبِيٍّ وَبَرٍّ * جَوْنَ جَنَّاتِ الْخُلُودِ للقاتِلِ
وَيْلَكَ يَا قَاتِلَ الْحَسَنِ لَقَدْ * تَوَتَّ بِحَمْلِ يَنْسُوهُ بِالْهَامِلِ

(١) كذا فى الأصل ولعله : * لا أَنْتِ أَصَبَحْتَ تَعْقِدُ بَيْنَنَا أَرْبَ * يشكين الفعل بمقد الضرورة وتسكين

الفعل فى الضرورة وارد منه قول امرئ القيس : فاليوم أشرب غير مستحب * إنما من الله ولا مائل

أَيَّ حَبَاءٍ حَبَّوتَ أَحْمَدَ فِي * حُفْرَتِهِ مِنْ حَرَارَةِ النَّاسِكِ
 بَأَى وَجْهَ تَلَقَّى النَّبِيَّ وَقَدْ * دَخَلَتْ فِي قَلْبِهِ مَعَ الدَّاهِلِ
 هَلُمَّ فَاطْلُبْ غَدَا شَفَاعَتَهُ * أَوْ لَا تَمُودْ حَوْضَهُ مَعَ النَّاهِلِ
 مَا الشَّكُّ عِنْدِي فِي حَالِ قَاتِلِهِ * لَعَنِي أَشْنُكَ فِي أَخْلَافِ
 نَفْسِي فِدَاءَ الْحُسَيْنِ حِينَ غَدَا * إِلَى الْمَنَايَا غُدُوًّا لَا قَائِلِ
 ذَلِكَ يَوْمُ أُنْجَى بِشَفَرَتِهِ * عَلَى مَنَامِ الْإِسْلَامِ وَالْكَاهِلِ
 حَتَّى مَتَى أَنْتَ تَجْعَلِينَ إِلَّا * تَقَرُّلُ بِالْقَوْمِ نِقْمَةُ الْعَاجِلِ
 لَا يَجْعَلُ اللَّهُ إِنْ لَجَلْتِ وَمَا * رُبُّكَ هَمًّا يَرِيدُ بِالْعَاقِلِ
 وَطَافِلُ أَنِّي أَحَبُّ بَنِي * أَحْمَدَ فَاتَّبِرْ فِي قِيمِ الْأَمَالِ
 قَدْ دُقْتُ مَا دِينَكُمْ طِيهَ فَا * وَصَلْتُ مِنْ دِينِكُمْ إِلَى طَائِلِ
 دِينِكُمْ جَفَوْتَ النَّبِيَّ وَمَا لَكَ * جَافَى لَأَلِ النَّبِيِّ كَالْوَاوِلِ
 مَظْلُومَةٌ وَالنَّبِيُّ وَاللَّهَ * نَذِيرُ أَرْجَاءٍ مُقْلَةٍ حَافِلِ
 إِلَّا مَصَالِيْتُ يَفْضُبُونَ لَهَا * بَسْلَةً الْيَبُضِ وَأَلْفًا الدَّاهِلِ

وقال أيضا :

آل النبو يتطامنون غافة ألفتهم
 أَيْتُوا النَّصَارَى وَالْيَهُودَ وَهُمْ * مِنْ أُمَّةِ التَّوْحِيدِ فِي أَرْزِ
 وَأَشَدَّ الرَّشِيدُ هَذَا بَعْدَ مَوْتِهِ قَال : لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَتَبَّشَّهُ ثُمَّ أَحْرَقَهُ .

ومن جيد شعره قوله في الرشيد :

بَا زَارْتِنَا مِنْ أَلْحِيَامِ * حَيَاكَا اللَّهُ بِالسَّلَامِ
 يُحْزِنُنِي أَنْ أَطْفَأُهَا بِ * وَلَمْ تَتَّأَلَا يَسْوَى الْعَكْلَامِ

لِحِلْمِ تَطَلُّبُكَانِي وَيِي جَزَائِكَ * إِلَى حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ
 جِهَاتٍ لِلْهُوَ وَالْتَصَابِي * وَلِلْفَوَائِي وَلِلْأَدَامِ
 أَقْصَرَ جَهْلِي وَثَابَ حِلْمِي * وَنَهْتَهُ الشَّبُّ مِنْ غُرَامِي ^(١)
 عَجَبُ أَيْهَا لَقَدْ تَوَلَّتْ * سَالِمَةَ الْخَلْدِ مِنْ عِذَامِي ^(٢)
 بِهِ حَقِّي وَتَرْبِي حَقِّي * لَيْلَةَ أَعْيَاهَا مَرَامِي
 أَذِتَنِي بِكُلِّ هَجِيرٍ * وَغَرَّنِي بِحِجَابِ السَّوَامِ
 وَأَطْلَوْنِي عَلَى مَلَامٍ * وَالشَّبُّ شَرٌّ مِنَ الْمَلَامِ
 بِوَرْدِكَ هَارُوْتُ مِنْ إِمَامٍ * بِطَاعَةِ اللَّهِ ذِي أَمْتِصَامِ
 لَهُ إِلَى ذِي الْجَلَالِ قُرْبِي * لَيْسَتْ لَعْنُكَ وَلَا إِمَامِ
 يَنْسَى عَلَى أُمَّةٍ تَمَنَّى * أَنْ لَوْ تَقِيهِ مِنَ الْجَمَامِ
 لَوْ امْتِطَاعَتْ لِقَاسَمَتِهِ * أَعْمَارَهَا قِسْمَةُ السَّهَامِ
 يَا خَيْرَ مَاضٍ وَخَيْرَ بَاقٍ * بَعْدَ النَّبِيِّينَ فِي الْأَنَامِ
 مَا اسْتَوْذَعَ الدِّينَ مِنْ إِمَامٍ * حَامَى عَلَيْهِ كَمَا تُحَامِي
 يُؤْنِسُ مِنْ رَأْيِهِ بَرَأَى * أَصْدَقَ مِنْ سَلَةِ الْحُسَامِ

وقال :

أَغْمِرُ كَيْفَ لِحَاجَةٍ * طُلِبْتُ إِلَى صَمِّ الصُّغُورِ
 اللَّهُ دَرُّ عُدَايِكُمْ * كَيْفَ انْتَسَبْتُ إِلَى الْغُرُورِ
 أَرِ الْيَلْبَانِي حِمْنِي * وَوَسْمَنِي سِمَةَ الْكَبِيرِ
 أَطْفَأَنَّ نَوْرَ شَيْئَتِي * وَفَرَشَنِي كَنْفَ الْغُيُورِ
 وَلَقَدْ تَبَيَّنَتْ أُنَامِلِي * يَحْنِينُ رُقَاتَ الصُّغُورِ

٧ - السيد الحميري^(١)

« لم يكن السيد الحميري من أنصار الحسن والحسين ، أو بعبارة أجمع لم يكن من أنصار ولد الحسن والحسين ؛ وإنما كان من الكيسانية الذين كانوا ينصرون الابن الثالث من أبناء علي ؛ محمد بن خولة الحنفية ؛ والذين كانوا يدينون بأنه لم يمت وإنما قُيِّب عن الناس وأُحْجِب عنهم حيناً وسيُود فيملاً الأرض مدلاً كما مُلَّتْ جَوْرًا ، فلم يكن على السيد الحميري بأس أن يمدح بن العباس ويتعجب منهم مادام صاحبه محمد بن الحنفية لم يعد من غيبته بعد . ثم نستطيع أن نُمَيِّز هذا الشاعر بِمُضَلَّة لم نرها في شاعر من الذين تحدثنا عنهم ، وهي أنه كان متعيفاً ضعیف العقل شديد الإيمان بالخرافات والأوهام ، ويظهر أن هذه الخصلة جاءت من مذهبه قبيح في الرحمة ، فقد أسرف في هذا المذهب كما أسرف في مدح العلويين والإيمان بهم حتى وصفهم من الخير والكرامة بما يُقْبَل وما لا يُقْبَل ؛ فكان كل خير يمكن أن يُنسب إلى العلويين ، رضيهِ العقل أم لم يرضه ، وكان كل شر يمكن أن ينسب إلى خصوم العلويين ، رضيهِ العقل أم لم يرضه ، وكان يكفي أن يسمع رجلاً من أهل القصص ورؤاة الأساطير يروي كرامة من الكرامات يُضيفها إلى أحد العلويين حتى ينظم فيها قصيدة طويلة جيدة ، ويتخذ هذه القصيدة وسيلة إلى ذم السلف والنهي عليه .

(١) هو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ديمية بن مغزخ الحميري والسيد لقبه ويكنى أبا هاشم ، كان شاعراً مقدماً مطبوعاً ، يقال إن أكثر الناس شراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشار وأبو العاتكة والسيد ، فانه لا يهمل أن أحداً قد رمل تحصيل شراً أحد منهم أجمع ، وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يحرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه في شعره ويستعمله في قتلهم والظعن عليهم فتعوى شعره من هذا الجنس وصيره لذلك وهجره الناس تحوُّلاً وترقباً ، وله طرازم من الشعر ومذهب فلما يلحق فيه أو يقارب ، ولا يعرف له من الشعر كثير ، وليس يخلو من مدح بن هاشم أو ذم غيرهم ممن هو عنه ضد لهم . توفي سنة ١٧٣ هـ . وتجد ترجمته وأخباره في الأمان (ج ٧ ص ٢) وفوات الوفيات (ج ١ ص ١٩) .

(٢) من بحوث صديق الدكتور محمد حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية .

وَحَصْلَةٌ أُخْرَى تَقْرِبُهُ مِنَ الزَّادَةِ الَّذِينَ طَاصَرُوهُ وَلَكِنَّا تَجْعَلُ الصَّلَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ضَعِيفَةً وَاهِيَةً فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ .

وهي أنه كان يستبيح ضروبا من اللهو والمنكر، ويُسرف في شرب الخمر وغير ذلك من ألوان القبح، لا لأنه كان يتحمد الدين أو يزيده بل لأنه كان يذل على صاحب الدين؛ كان يحب النبي صلى الله عليه وسلم وآله ويمتحنهم مودته ونصره، ويعتقد أنهم سيعرفون له ذلك وسيشفعون له في ذنوبه وآثامه لما قُتِمَ بين يديه من مَنح العلويين ونصرهم على خصومهم؛ وكان بنو هاشم وبنو علي خاصة يُطعمونه في ذلك ويعترفون له به، فإذا ذُكر لهم أنه يلهو ويشرب الخمر قالوا: وأى ذنب يعظم على الله أن يغفره لرجل من أنصار أهل البيت! بل قال أحدهم: إنا من أحب آل على لم تزل له قَتَمٌ إلا ثبتت له أخرى؛ وصل هذا كان السيد الحميري يلهو آثما في دينه ودنياه، يعتمد في دينه على العلويين، ويعتمد في دنياه على العباسيين، يقدر أن العلويين سيفشعون له عند الله، ويعلم أن العباسيين يتقون شره ويؤثرون مدحه على هجائه؛ وكان من مُعاصريه من يكره ذلك ويمقتُه كل المقت، ويضمر للسيد عداً وحقداً لا يعلنها عداً ولا يحقد؛ ومن هؤلاء سوار بن عبد الله المتبري قاضي البصرة للمنصور، فقد كان العداً بينه وبين السيد شديداً، وكان قد أجمع ألا يقبل للسيد شهادة، وكان قد سعى بالسيد عند المنصور فغير مرة؛ وكان السيد قد هجاه فأسرف في هجائه، فشكا ذلك إلى المنصور فنهاه المنصور عنه وأمره أن يلعب إلى القاضي فيعتذر إليه، وأبى القاضي أن يقبل مذارته، فاستأنف السيد الهجاء وألح فيه . ويقال إن سواراً أمدَّ شهوداً يشهدون على السيد بالسرقه ليقطع يده، فلم السيد ذلك فجزع وفزع إلى المنصور، فعزل المنصور سواراً من القضاء للسيد أو عليه، ولم يلبث سوار أن مات فبعه السيد بعدائه وبغضه وهجائه .

قال أبو جعفر الأعرج: كان السيد أسمر تامَّ القامة، أشنب ذا وفرة، حسن الألفاظ جميل الخطاب، إذا تحدث في مجلس قوم أعطى كل رجل في المجلس نصيبه من حديثه؛

وقال القرزدي : إن ههنا لرجلين لو أخذنا في معنى الناس لما تكلمنا معهما في شيء : السيد الحميري
وعمران بن حطان السدوسي ، ولكن الله عز وجل قد شغل كل واحد منهما بالقول
في مذهبه ، وقال الأصمعي لما أنشد شيئا من شعره : ما أسلكه لطريق النحول لولا مذهبه ،
ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقة ، وكان أبو عبيدة يقول : أشعر المهديين
السيد الحميري وبشار .

وكان السيد يذهب مذهب الكيسانية ويقول بإمامة محمد بن الحنفية ، وله في ذلك
شعر كثير .

وقف السيد على بشار وهو ينشد الشعر ، فأقبل عليه وقال :

أيها المادح العباد ليطلعني * إن الله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت إليهم * وأرج نفع المستر العباد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه * وتسمى البخيل باسم الجواد

قال بشار : من هذا؟ فرفقه ، فقال : لولا أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بني هاشم
لشغلنا ، ولو شاركنا في مذهبنا لتبعنا .

ومن قول السيد :

أعرف رسما بالتوين قد دثر * حفته أهاضيب السحاب والمطر
وجرت به الأذيال ریحان خلفه * صبا ودبور بالعشيات والبكر
منزل قد كانت تكون بجوها * هضم الحشوي ربا الشوي نغورها النظر
فلو انطلق نخصانه بختريه * كانت يحياها سنا دارة القمر
رمتي بعيد مد قرب بها النوى * فبان ولي أفيض من عبدة الوطر
ولما رايتي خشية البين موجعا * أم كيفك مني أدمعا يعضها دُرر
أشارت بأطراف إلى وقمعهما * كنظم جمان خاله السلك فانتثر
وقد كنت مما أحدث البين حاذرا * فلم من عنى منه خو في والحد

لما استقام الأمر لبني العباس قام السيد إلى أبي العباس السَّفَّاح حين نزل عن المنبر فقال:

دُونَكُمْوْهَا يَا بَنِي هَاشِمٍ • جُنِدُوا مِنْ عَهْدِهَا الدَّارِ سَا
دُونَكُمْوْهَا لَا عِلَاقَ بِي مَنْ • كَانَتْ طَيْفِكُمْ مَلِكُهَا فَافِيسَا
دُونَكُمْوْهَا فَالْبَسُوا تَاجَهَا • لَا تَعْلَمُوا مِنْكُمْ لَهُ لَا بَسَا
لَوْ خَيْرُ الْمَنْبَرِ قُرْسَانُهُ • مَا أَخْبَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِ سَا
قَدْ مَاسَهَا قَبْلَكُمْ مَاسَةٌ • لَمْ يَتْرَكُوا رَطْبًا وَلَا يَابِسَا
وَلَسْتُ مِنْ أَنْ تَعْلَكُمْوْهَا إِلَى • تَهْبِطُ عَيْسَى فِيكُمْ آيَسَا

وبعث بهذه الأبيات إلى المهدي يسأله ألا يعطى آل بكر وعمر من مال الدولة :

قُلْ لِبَنِي حَبَاسٍ يَمِيَّ مُحَمَّدٍ • لَا تُعْطِينَ بَنِي عَدِيٍّ دَرَمَا
إِحْرِمْ بَنِي تَيْمٍ بِنِ مَرَّةٍ لِمَنْهُمْ • شَرُّ الْبَرِيَّةِ آخِرًا وَمُقَدِّمًا
إِنْ تَعْلَهُمْ لَنْ يَشْكُرُوا لَكَ نِعْمَةً • وَيَكْفَمُونَكَ بِأَنْ تُلَمَّ وَتُسَمَّ
وَإِنْ أَتَمَّنْتَهُمْ أَوْ اسْتَعْلَمْتَهُمْ • خَانُوكَ وَأَتَخَذُوا خَرَجَكَ مَقْتَمًا
وَلَوْ أَنَّ مَتَعْتَهُمْ لَقَدْ بَدَعُوهُمْ • بِالْمَنْعِ إِذْ مَلَكُوا وَكَانُوا أَظْلَمًا
مَتَمُّوا تُرَاثَ مُحَمَّدٍ أَعْمَامَهُ • وَبَيْنَهُ وَأَبْنَاهُ عَدِيلَةٌ مَرِيَمَا
وَتَأَمَّرُوا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَخْلَفُوا • وَكَفَى بِمَا فَعَلُوا هَذَاكَ مَائِمَا
لَمْ يَشْكُرُوا لِمُحَمَّدٍ إِنْصَامَهُ • أَفَيَشْكُرُونَ لِنَبِيٍّ إِنْ أَنَمَا
وَاللَّهُ مَنْ عَلَيْهِمْ مُحَمَّدٌ • وَهَدَاهُمْ وَكَسَا الْجَنُوبَ وَأَطْعَمَا
ثُمَّ أَنْبَرُوا لِنُوصِيَّةِ وَوَلِيِّهِ • بِالْمُنْكَرَاتِ بِغَرَّعِهِ الْعَلَمَا

أنشد السيد جعفر بن محمد هذه الأبيات يذكر فيها قبر الحسين :

أُمِرُّ زُلَى جَدَّتِ الْحُسَيْنِ • مِنْ قَبْلِ لَأَعْظَمِيهِ الزَّكِيَّةِ
أَعْظَمًا لَا زَيْتٍ مِنْ • وَطَفَاءَ سَاكِيَةِ رَوِيَّةِ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ • فَاطْلُبْ بِهِ وَقِفْ الْمَطِيَّةِ

صَلَّيْتَ يَا مَغْرُورُ خَدَاعَةً * بِالْوَدِّ مِنْهَا لَكَ تَحْيِيلُ
رِيَّارِدَاحِ التَّوَمِ نُمُصَانُهُ * كَانَتْهَا أَدَمَاءُ حُطْبُولُ
يَسْفِيكَ مِنْهَا حِينَ تَحْلُوبُهَا * ضَمُّ إِلَى النَّعْرِ وَتَقْيِيلُ
وَقَذْفُ رِيْبِي طَيِّبِ طَعْمُهُ * كَانَهُ بِالمَسْكِ مَعْلُولُ
فِي نِسْوَةٍ مِثْلِ الْمَهَا تُخْرِدُ * تَضْيِيقُ عَنْقِي الْخَلَاخِيلُ

يقول فيها :

أُقْسِمُ باللهِ وَالْآلِهَةِ * وَالْمَرْءُ عَمَّا قَالَ مَسْئُولُ
إِنْ عَلَى بَنِ أَبِي جَلَالٍ * عَلَى التَّقَى وَالْبَرِّ مَجْبُولُ

قال : أحسنَ واللهِ ما شاء ، هذا واللهِ الشعرُ الذي يَجُمُّ عَلَى القلبِ بلا حِجَابِ .

قِيلَ لِلسَّيِّدِ : مَا لَكَ لَا تَسْتَعْمَلُ فِي شِعْرِكَ مِنَ الْغَرِيبِ مَا تُسَالُ عَنْهُ كَمَا يَفْعَلُ الشُّعْرَاءُ ؟
قَالَ : لِأَنِّي أَقُولُ شِعْرًا قَرِيبًا مِنَ الْقُلُوبِ بِلُغَةٍ مِّنْ سَمْعِهِ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَقُولَ شَيْئًا مُّعَقَّدًا
تَضَلُّ فِيهِ الْأَوْهَامُ .

هَنَمَ السَّيِّدُ إِلَى سَوَارِ الْقَاضِي لِيَشْهَدَ عِنْدَهُ ، فَلَمْ يَرْضَ بِهِ ، فَغَامَ مُغْضَبًا مِنْ مَجْلِسِهِ ،
وَكُتِبَ رُقْعَةٌ يَقُولُ فِيهَا :

يَا أَمِينَ اللَّهِ يَا مَنْصُورُ يَا خَيْرَ الْوَلَاةِ
إِنَّ سَوَارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ سِرِّ الْقُضَاةِ
تَشَلَّى جَمَلِي * لَكُمْ غَيْرُ مَوَاتٍ
جَدُّهُ سَارِقُ عَتَرٍ * بَهْرَةٌ مِنْ بَهْرَاتِ
بِاللَّهِ وَالْفَا * ذِفُّهُ بِالْمُنْكَرَاتِ
وَأَبْنُ مَنْ كَانَ يُنَادِي * مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ
يَاهُنَاءُ أَخْرُجْ إِلَيْنَا * إِنَّا أَهْلُ هَنَاتِ
مَدَحْنَا الْمَدْحَ وَمَنْ رَزَّ * بِبِالْزُفَرَاتِ
فَاكْفِيهِهِ لَا كِفَاءَ اللَّهُ * الطَّارِقَاتِ

قيل : فلما قرأها سوار وثب من مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور، وهو يومئذ نازل بالبحسر، فسبقه السيد إليه فأنشده :

قل للإمام الذى يُتَجى بطاعته * يوم القيامة من بُجَّوْحة النار
لا تَسْتَعِينُ وَجْرَكَ اللهُ صَالِحَةً * يا خَيْرَ مَنْ دَبَّ فى حُكْمِ بَسْوَار
لا تَسْتَعِينُ بِجَبْهَتِ الرأى ذى صَلَفٍ * جَمَّ المِیُوبِ عَظِیمِ الْکِبْرِ جَبَّارِ
يُضْحِی الخِصْمُ لَدَيْهِ مِنْ تَجَبُّرِهِ * لا یُفْضُونَ إِلَیه لَظْفَ أَبْصَارِ
تَبَاهَا وَکِبَرًا وَلَوْلَا مَا رَقَمَتْ لَهُ * مِنْ ضَبْعِهِ کَانَ عَیْنَ الْجَالِحِ الْعَارِی

ودخل سوار، فلما رآه المنصور تبسم وقال : أما بلغك خبر إياس بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستراد فى الشهود ؟ فما أَحْوَجَكَ للتعرض للسيد ولسانه ! ثم أمر السيد بمصباحته

دخل السيد على المهدي لما بايع لأبيه موسى وهارون، فأنشأ يقول :

ما بَالُ بَجَرَى دَمَعِكَ السَّاجِمِ * أَيْسَ قَدَى بَاتَ بِهَا لَازِمِ
أَمْ مِنْ هَوَى أَنْتَ لَهُ سَاهِرٌ * صَبَابَةٌ مِنْ قَلْبِكَ الْهَاتِمِ
أَلَيْتَ لَا أَمْدَحُ ذَا نَائِلٍ * مِنْ مَعْشَرٍ غَيْرِ بَنِي هَاتِمِ
أَوَلَيْتَهُمْ عِنْدِي يَدُ الْمُصْطَفَى * ذِي الْفَضْلِ وَالْمَنْ أَبَى الْقَاسِمِ
فَأَنَّتْهَا بِيضَاءُ مَحْمُودَةٍ * جَزَأُوهَا الشُّكْرُ عَلَى الْعَالَمِ
جَزَأُوهَا حِفْظُ أَبِي جَمْفِرٍ * خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ وَالْقَائِمِ
وَطَاعَةُ الْمَهْدِيِّ ثُمَّ أَبَدَ * مُوسَى عَلَى ذِي الْإِزْبَةِ الْحَازِمِ
وَالرَّشِيدِ الرَّابِعِ الْمُرْتَضَى * مُقَرَّرٌ مِنْ حَقِّهِ الْإِلَازِمِ
مُلْكُهُمْ نَحْسُونَ مَعْدُودَةٌ * بِرَغْمِ أَنْفِ الْحَاسِدِ الرَّاحِمِ
لَيْسَ عَلَيْنَا مَا بَقُوا غَيْرُهُمْ * فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ حَاكِمِ
تَنَى يَرْدُوهَا إِلَى هَابِطٍ * عَلَيْهِ عِيسَى مِنْهُمْ دَاجِمِ

ومن شعر السيد :

'جرت خَطْرَةٌ على القلب مني * فبك ألا استترت من أصحابي
من دموع تجري فإن كنت وحدي * خاليا أسعدت دموعي انقباضي
إذ هي إليك قد سلّ جسمى * ورماني بالشهب قبل الشباب
اللقا شفى بك صبا * هاتم القلب قد قوى في التراب

ومما قاله في الحبس :

قِفْ بالديار وحيتها يا مرّيج * وأسأل وكيف يُجيب من لا يسمع
لأنّ الديار خلت وليس يجوها * إلا الضوايح والحمام الوُقع
ولقد تكون بها أوانس كالدمى * بحمل وعزة والرباب وبرّوع
حور نواهم لا ترى في مثلها * أمثلن من العيانة أزع
فعرين بعد تألف وتجمع * والدنر صاج مُثَقَّت ما يتجمّع
لم فإنك قد نزلت بمنزلة الأمير تُضَرّ فيه وتنفع
كؤفى هوالك اذا نطقت بحاجة * فيه وتشفّع عنده مستمع
قلّ للأمير اذا ظفرت بحلوة * منه ولم يك عنده من يستمع
هَبْ لي احدى أحبتّه وبيد * وبنيه إنك حاصد ما تزرع
يَحْنُ محمد بحبة * في الصدر قد طويّت عليها الأضلع

وقال يهجو امرأة وارث مؤسر من خلاته، وكانت تعيل زوجها على إسراره :

أقول يا ليت لي في يدي حنقي * من المداوة من أظدى أطايتها
يعلوها فوق رعن ثم يُخديرها * و هوّة قد هدنى يومها فيها
توليتها في عمار البحر قد عصفت * فيه الرياح فهاجت من أوانيتها^(١)

(١) الرض : أنف يتقدم الجبل منه دعوى ورياح . والحليل . الطويل ودهدى البحر تدهدى ، أى درجه

تندرج . (٢) الأراوى : موج البحر مفردا آوى .

أُولَيْتَهَا قَدَدَتْ يَوْمًا إِلَى فَرْسِي • قَدْ شُدَّ مِنْهُ إِلَى خَادِيهِ هَادِيهَا
 حَتَّى يَرَى لِحْمَهَا مِنْ حُضْرِهِ زَيْمًا^(١) • وَقَدْ أَتَى الْقَوْمَ بَعْدَ الْمَوْتِ نَاعِيهَا
 فَنَ بَكَاهَا فَلَا جَفَّتْ مَدَامُهَا • لَا أَعْظَنُ اللَّهَ إِلَّا عَيْنَ بَاكِهَا

وقيل : إن آخر قصيدة له هي قوله :

أَشَاقَتَكَ الْمَنَازِلُ بَعْدَ هِنْدٍ • وَتَرْبِيَهَا وَفَاتِ الْمَلِكِ دَعْدٍ •
 مَنَازِلُ أَقْفَرَتْ مِنْهُنَّ حُتَّ • مَعَالِمُهُنَّ مِنْ سَبِيلٍ وَرَعْدٍ •
 وَرِيحٌ حَرَجِفٌ تُسْتَنُّ فِيهَا • بِسَاقِ التَّرْبِيبِ تُطْعِمُ مَا تُسَدِّى •
 أَلَمْ يَلْفُكْ وَالْأَنْبَاءُ تَنْبِي • نَقَالَ مُحَمَّدٌ فِيهَا يُؤَدِّى •
 إِلَى ذِي عَلَيْهِ الْمَهَادَى عَلَى • وَخَوْلَةٌ خَادِمٌ فِي الْبَيْتِ تَزِيدِ •
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ خَوْلَةَ سَوَفَ تَأْتِي • بَوَارِى الزُّنْدِ صَافِى الْخَيْمِ تَجْتَدِ •
 يَغُوزُ بِكُنْتَنَى وَأَسْمَى لِأُنَى • نَحْلُهُمَا هُوَ الْمَهْدَى بِسَدَى •
 يُغَيِّبُ عَنْهُمْ حَتَّى يَقُولُوا • تَضَمَّنَتْهُ بِطْنُ لَحْدِ •
 سَيْنٌ وَأَشْهَرًا وَيُرَى بَرَضَوَى • بِشَيْبِ بَيْنِ أَمَارٍ وَأُسْدِ •
 سِمٌ بَيْنَ آرَامٍ وَبَيْنِ • وَخَفَّابُ تَرْوِجٍ خِلَالِ رُبْدِ^(٢) •
 تَرَايَها السَّبَاعُ وَلَيْسَ مِنْهَا • مُلَاقِيهِنَّ مُفْتَرِسًا بِحَدِ •
 أَمِنْ بِهِ الرَّدَى فَرْتَعْنَ طَوْرًا • بَلَا خَوْفٍ لَدَى مَرْعَى وَوَرْدِ •
 حَلَقْتُ رَبِّ مَكَّةَ وَالْمَدَى • وَبَيْتِ طَاهِرِ الْأَرْكَانِ قَرْدِ •
 يَطْلُوفُ بِهِ الْجَمِيجُ وَكُلُّ عَامِ • يَحْسِلُ لَدَيْهِ وَقَدْ بَعْدَ وَفْدِ •
 لَقَدْ كَانَ ابْنُ خَوْلَةَ فَيْرَ شَا • صَفَاءَ وَلَا تَنِي وَخُلُوصَ وَدَى •
 سَوَى ذِي الْوَحَى أَحَدَ • أَمِيرٌ وَمَا أَبُوحُ بِهِ وَأَبْدَى •
 وَلَا أَزْكَى وَأَطْيَبَ مِنْهُ عِنْدَى

(١) الرِّيم : المستوفى من اللحم • (٢) الخفان : صعد البعاد •

وَمَنْ ذَا يَأْتِي خَوْلَةً إِذْ رَمَتْنِي * بِأَسْهَمِهَا الْمَنِيَّةُ حِينَ وَعَدْتِي
 يُدَبِّبُ عَنْكُمْ وَيَسُدُّ عَمَّا * تَسْلَمُ مِنْ حَصُونِكُمْ كَسَدْتِي
 وَمَالِي أَنْ أُمَرَّ بِهِ وَلَكِنْ * أَؤْمَلُ أَنْ يُؤَخَّرَ يَوْمُ فَقْدِي
 فَأُدْرِكَ دَوْلَةً لَكَ لَسْتُ فِيهَا * بِجَبَّارٍ تُوصَفُ بِالْثَعْدِي
 عَلَى قَوْمٍ بَقُوا فِيكُمْ عَلَيْنَا * لَتُعْدَى مِنْكُمْ يَأْخِرَ مُعْدِ
 لَتَعْلُبُنَا طَيْفُهُمْ حَيْثُ كَانُوا * بِغُورٍ مِنْ تَهَامَةٍ أَوْ بَجْدِ
 إِذَا مَا سِرْتَ مِنْ بَلَدٍ حَرَامٍ * إِلَى مَنْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ مَعْدِ
 وَمَاذَا عَزَّاهُمْ وَالْخَيْرُ مِنْهُمْ * بِأَشْوَسَ أَغْصَلَ الْأَنْيَابَ وَرَدِ
 وَأَنْتَ لِمَنْ بَنَى وَعَدَا وَأَذْكَى * عَلَيْكَ الْحَرْبَ وَأَسْتَرْدَاكَ مُرْدِ

٨ - سلم بن عمرو الخمار^(١)

كان منقطعاً الى البرامكة والى الفضل بن يحيى خصوصاً من بينهم ، وفيه يقول أبو العتاهية :

إنما الفضل لسلم وحده * ليس فيه يسوى سلم ذرك

وكان هذا أحد الأسباب الى فساد ما بينه وبين أبي العتاهية . ولسلم يقول أبو العتاهية وقد حج مع عتبة :

واقه واقه ما أبالي متى * مات يا سلم بعد ذا السفر
أليس قد طفت حيث طافت وقب * لت الذي قبلت من الحجير

وله يقول أبو العتاهية وقد حُس ابراهيم الموصل :

سلم يا سلم ليس دونك سر * حُس الموصل فالميش مر
ما استطاب اللذات ، مذ سكن المظ * بق رأس اللذات واقه ،
ترك الموصل من خلق الله * هُ جميعاً وعيشهم مقش ه

(١) هو سلم (ويقال سالم) بن عمرو أحد موالى أبي بكر الصديق ، نشأ في البصرة ، وكان شاعراً مطبوعاً مخلصاً في فنون الشعر ، وكان مظاهراً بالخلاعة والفسوق والمجون ، وزاد شاعرية وتحرراً بالشعر مل يد بشارة لأنه كان راوياً له وتلميذه ، أخذ عنه واقترب من بحره ونسج على منواله ، وكثيراً ما كان يأخذ أقواله فيسلفها ويمسخها كما نسخ هذا البيت :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وقاز بالطيات القامك الهيج

بجمله :

من راقب الناس مات غماً * وقاز باللذة الجور

فلج به بشارة غضب وأقسم ألا يدخل عليه ولا يجده مادام حياً ، فاستنفع اليه بكل صديق حتى رضى ورجحه وقنه بمصرة كانت بيده . وكان صديقاً لابراهيم الموصل المنفي المشهور ولأبي العتاهية . وكان يمدح البرامكة وخصوصاً الفضل بن يحيى . توفي سنة ١٨٦ هـ . ونجد ترجمته في الأغاني ج ٢١ ص ١١٠ وابن خلكان

لما قال بشار قصيدته الميمية في عمر بن العلاء وهي التي يقول فيها :

إذا نبتك صعب الأحمور * فنبّة لها عمراً ثم تم

فنى لا بيت على يمنة * ولا يشرب الماء إلا بدم

بعث بها مع سلم إلى عمر بن العلاء، فوافاه، فأنشده إياها، فأمر لبشار بمائة ألف درهم،

فقال له سلم : إن خادمك - يعنى نفسه - قد قال في طريقه فيك قصيدة، قال : فإنك

لنأكلا قال : نسمع ثم نحكم، قال : هات، فأنشده :

قد عجزني الداء فإلى دواء * بما ألقى من حسان الداء

قلب صحيح كنت أسطوبه * أصبح من سلقى بداء عيّا

أفاسها منك وفي طرفها * يحضروما لي غيرها من دواء

وعدي وعداً فأوفى به * هل تصلح الحمرة إلا بماء

ويقول فيها :

كم كربة قد مسني ضرها * ناديت فيها عمر بن العلاء

فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أول عناية سيّدة وصلت إليه .

ومن قوله يرثي بأقوّة بنت المهدي :

أودى بياقوّة ربّ الزمان * مؤنسة المهدي والخيزران

لم تطلو الأرض على مثلها * مولودة حنّ لها الوالدان

بأقوّن يا بنت إمام المهدي * أصبحت من زينة أهل الجنان

بكت لك الأرض وسكانها * في كل أنفي بين لمنين وجان

دخل سلم على الفضل بن يحيى في يوم تيروز والهدايا بين يديه، فأنشد :

رح تسألله * وقد أقوت منازلله

بقلبي من هوى الأطلال * لي حب ما يزايسله

رُوِيَ كُمْ مِنَ الْمَشْعُو • فِإِنْ الْحَبَّ قَابِلُهُ
 بَلَّيْلُ صَدْرِهِ تَسْرِي • وَقَدْ ظَلَمْتُ عَوَاقِلُهُ
 أَحَقُّ النَّاسِ بِالْتَفْضِي • لَنْ مِنْ تُرْبِي فَوَاضِلُهُ
 رَأَيْتُ مَكَارِمَ الْأَخْلَا • قِي مَا صَحَّحَتْ حَقَائِلُهُ
 فَلَسْتُ أَرَى قِي فِي النَّاسِ • سِوَا الْفَضْلِ قَاضِلُهُ
 يَقُولُ لِسَانُهُ خَيْرًا • فَتَضَمُّهُ أَنَامِلُهُ
 وَمَتَّعَهُمَا يَرْجُ مِنْ خَيْرٍ • فَإِنَّ الْفَضْلَ قَامِلُهُ

وكان إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق حاضرين، فقال لإبراهيم: كيف ترى وتسمع؟ قال: نَ مَرُوءٌ ومسموع، وفضل الأمير أكثر منه؛ فقال: خذوا جميع ما أهدى إلى اليوم فالتقيتموه بينكم أئلاً إلا ذلك التمثال، فإني أريد أن أهديه اليوم إلى دنانير؛ ثم قال: لا والله ما هكنا فعل الأحرار. يقوم ويدفع إليهم ثمته ثم تهديه، فقوم بالنق دینار، فحملها إلى القوم من بيت ماله وأقسموا جميع الهدايا بينهم.

كان المهدي يعطي مروان وسلمة الخاسر عطية واحدة، فكان سلم يأتي باب المهدي على الرثون الفاري، قيمته عشرة آلاف درهم بئرج ولحام مفضضين، ولباسه الخرز والوشى وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الثمن. ورائحة المسك والطيب والغالية تفوح منه، ويحيى مروان بن أبي حفصة عليه قروكل وقبض كرايس وعمامة كرايس وخفاكل وكساء غليظ، وهو مئتن الرائحة، وكان لا يأكل اللحم حتى يقرم إليه بخلا، فإذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله، فقال له قائل: أراك لا تأكل إلا الرأس. قال: نعم أعرف سره فآمن خيانة الغلام ولا اشتري لهما فيطبخه فياكل منه، والرأس آكل منه ألواناً: آكل من عنقه لونا ومن: قَلَصَمَتَهُ لونا ومن: دماغه لونا.

كان سلم قد بُليّ بالكيمياء، فكان ينهب بكلّ شيء له باطلاً، فلما أراد الله عز وجل أن يصنعه له عَرَفَ أن بياب الشام صاحب كيمياء عجيباً، وأنه لا يصل إليه أحد إلا ليلاً، فسأل عنه، فدَلَّوه عليه . قال : فدخلت إليه الى موضع معيود، فدفقتُ البابَ فخرج لى، فقال : من أنت طافك الله؟ فقلت : رجل مسجّب بهذا العلم؛ قال : فلا تشهرنى فإنى رجل مسور إنما أعمل القوت، قلت : إنى لا أشهرك إنما أتبس منك، قال : فاكتم ذلك، وبين يديه كوزٌ شبيه صغير، فقال لى : اقلع عُرْوته، فقلعتها، فقال : اسبكها فى البوتقة^(١)، فسبكتهَا، فأخرج شيئاً من تحت مصلاه فقال: دُزّه عليه، قطعت، فقال: أفرغه، فأفرغته، فقال : دعه معك، فاذا أصبحت فأخرج فيه وعُدْ الى؛ فأخرجته الى باب الشام فبعتُ المتقال بأحد وعشرين درهماً ورجعتُ إليه فأخبرته، فقال : اطلب الآن ما شئتَ؛ قلت : تُفيدنى؟ قال : بخمسمائة درهم على ألا تُعلمه أحداً، فأعطيتُه وكتب لى صفةً فامتحنتهَا فاذا هى باطلة، فعدتُ إليه . فقيل لى : قد تحوّل وإذا عُرْوة الكوز الشبه من ذهب مركبة عليه، والكوز شبه، ولذلك كان يدخل إليه من يطلبه ليلاً ليخفى عليه، فأنصرفت وعلبت أن الله عز وجل أراد بى خيراً وأن هذا كله باطلٌ .

قال أبو المستهل : دخلت يوماً على سلم وإذا بين يديه قراطيس فيها أشعارُ يرى ببعضها أم جعفر . وبعضها جاريةٌ غير مسمّاة . وبعضها أقواماً لم يموتوا، وأم جعفر يومئذ باقية؛ فقلت له : ويحك ما هذا؟ فقال : تحدثتُ الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ويستعملوننا ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد . فنتعدّ لهم هذا قبل كونه، ففى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديماً على أنه قيل فى الوقت .

دخل سلم على الرشيد فأنشده :
 حَىّ الأَحَبّةُ بالسّلام * فقال الرشيد : حياهم الله
 بالسّلام؛ فقال سلم :
 أعلىّ ودّاع أم مقام * فقال الرشيد : حياهم الله على أىّ ذلك
 كان، فأنشده :

لم يبق منك ومنهم * غير الجلود على العظام

(١) معود : مخوف . (٢) الشبه : لنحاس الأصفر . (٣) البوتقة : الوعاء الذى يذيب فيه الصانع .

فقال له الرشيد : بَلَّ منك ، وأمر بإنجازه ، وتطير منه ومن قوله ، فلم يسمع منه باقٍ الشعر ولا أثابه بشيء .

استوهب اصحابُ الموصلي من الرشيد تركته سَلَمٌ ، وكان قد مات عن غير وارثٍ فوهبها له قبل أن يتسلَّها صاحبُ المواثيق ، فحصل منها على خمسين ألف دينار ، ورُوي أنه رُفِعَ الى الرشيد ألف سلما قد توفَّق وخَلَّفَ مما أخذه منه خاصةً ومن زُبَيْدة ألف ألف وخمسمائة ألف درهم سوى ما خَلَّفَه من عقارٍ وغيره مما اعتقده قديماً ، فقبضه الرشيد وتظلم اليه مواليه من آل أبي بكر الصديق رضوان الله عليه ، فقال : هذا خادمي وتديمي ، والذي خَلَّفَه من مالى فانا أحقُّ به ، فلم يُعطهم إلا شيئاً يسيراً من قديم أملاكه .

(١) انطكة .

٩ - ربيعة الرقي^(١)

كان مُقَطَّعًا عن الحضارة ، بعيدًا عن مجالسة الخلفاء ، فأنزل ذكره بسبب ذلك ؛ لكنهم كانوا يستفيدونه اليهم . وأوّل من فعل ذلك المهديّ ، فدحه ونال جوائزه ؛ وكان ابنُ المَختَرِي ربيعة أشعرَ غَزَلًا من أبي نُؤاس ، لأنّ في غَزَلِ أبي نُؤاس بردًا كثيرًا ، وغَزَلَ هذا سليمٌ مُدبّ سهل ، ولذلك فإنّ شهرته بلغت إلى بلاط الخليفة . وكان يمدح غير الخلفاء ويتألّ جوائزهم ويعود إلى بلده ، وإن قصر أحدٌ في إعطائه هجاء ، وله في ذلك حديثٌ مع العباس بن محمد بن علي من أمراء بني العباس .

ومن قوله يمدح يزيد بن حاتم المهلّي ويهجو يزيد بن أسيد الساسيّ :

حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ * يَمِينُ أَمْرِي أَلَىٰ بِهَا غَيْرُهُمْ
لَشَتَانِ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى * يَزِيدُ مُسْلِمٌ وَالْأَخَرُ ابْنُ حَاتِمٍ
يَزِيدُ مُسْلِمٌ سَالِمُ الْمَالِ ، وَالْفَقِي * أَخُو الْأَزْدِ لِلْأَمْوَالِ غَيْرُ مُسَالِمٍ
فَهُمُ الْفَقِي الْأَزْدِيُّ إِنْ لَافَ مَالِهِ * وَهُمُ الْفَقِي الْقَيْسِيُّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
فَلَا يَحْسَبُ التَّمَتُّمُ أَتَىٰ هَجْوُهُ * وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ

قال رجلٌ لربيعه : يا أبا أسامة ، ما حملك على أن تجوّت رجلاً من قومك وفضلت عليه رجلاً من الأزد ؟ فقال : أخبرتُك ، أمَلَقْتُ فلم يبق لي إلّا دأري ، فرهنتُها على نعمائه درهم ، ورحلتُ إليه إلى أريبيّة ، فأعطته بمكافئ ومدحته ، وأقمتُ عنده حولا ، فوهبَ لي

(١) هو أبو أسامة ربيعة بن ثابت من موالى سليم ، ويكنى أبا شابة ، وكان ينزل الرقة ، وبها مولده ومنشؤه ، فأخصه المهديّ اليه ، فدحه بسدة قصائد وأتابه عليها نوابا كبيرا ، وهو من الكثيرين المهيدين ، وكان ضريحا وإنما أنجل ذكره وأسقطه عن طبقة بعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء ومع ذلك ما عدم مفعلا مقدما له . وتجد أخباره في الأغانى (ج ١٥ ص ٣٨) ونزاة الأدب للحدادي (ج ٣ ص ٥٥) .

(٢)

هو الأزد هو يزيد بن حاتم بن ربيعة بن المهلب

(٣)

نعمسائة درهم، فحملت وصرت بها الى منزلي، فلم يبق معي كبر شيء، ففزلت في دار بيكره، فقلت: لو أبيت يزيد بن حاتم، ثم قلت: هذا ابن عمي فعل بي هذا الفعل فكيف بغيره! ثم حملت نفسي على أن آتيه، فأعلم بمكاني، فتركني أشبرا حتى صغرت، فأكريت نفسي من الخالين. وكتبت بيتا في رقعة فألقيته في يديله، والبيت:

أَرَأَيْي وَلَا كُفْرَانَ لَه رَاجِعَا * بَحْنِي حُتَيْي مِنْ يَزِيدِ بْنِ حَاتِمِ

فوقعت الرقعة في يد حاجبه، فأوصلها اليه من غير علمي ولا أمرى، فبعث خفي، فلما دخلت عليه قال: هيه أثبتدني ما قلت، فتممت، فقال: والله لتثبنتي، فأنشدته، فقال: والله لا ترجع كذلك، ثم قال: أنزعوا خفي، فقرأ لحشاهما دنانير وأمر لي بثلثين وجوار وكسي، ألا ترى لي أن أمدح هذا وأهجو ذاك؟ قلت: بلى والله، وسار شعري حتى بلغ المهدي، فكان سبب دخولي اليه.

قيل لأبي زيد النحوي: إن الأصمعي قال: لا يقال شتان ما بينهما، وإنما يقال: شتان ما هما، وأنشد قول الأحمسي: « شتان ما يؤتى على ثوبها » فقال: كذب الأصمعي، يقال: شتان ما هما وشتان ما بينهما، وأنشد لربيعه الرقي: « لشتان ما بين اليزيديين » وفي استشهد مثل أبي زيد على دفع قول مثل الأصمعي بشعر ربيعة كفاية له في تفضيله. أمتدح ربيعة العباس بن محمد بن علي بقصيدة لم يسبق إليها حسنا، وهي طويلة، يقول فيها:

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ * قُلْ «لَا» وَأَنْتَ عُمَلْدٌ مَا قَالَمَا

مَا إِنْ أَمَدُّ مِنَ الْمَكَارِمِ خَصْلَةً * إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَهَا أَوْ خَالَهَا

وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَايَرُوا فِي بِلَدِهِ * كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكَانَتْ هَلَامَا

إِنَّ الْمَكَارِمَ لَمْ تَرَلْ مَعْقُولَةً * حَتَّى حَلَّتْ بِرَاحَتِكَ عِقَامَا

فبعث اليه بدينارين، وكان يقدر فيه ألفين، فلما نظر الى الدينارين كاد يبحر غيظا وقال للرسول: خذ هذين الدينارين فهما لك على أن ترد الرقعة الي من حيث لا يدري العباس، ففعل الرسول ذلك، فأخذها ربيعة وأمر من كتب في ظهرها:

مدحتك مدحة السيف المحل • لتجري في الكرام كما تجري
فهيها مدحة ذهبت ضياعاً • كذبت عليك فيها وأقريت
فانت المرأة ليس له وفاء • كاني إن مدحتك قد زينت

ثم دفعها الى الرسول وقال : ضعتها في الموضع الذي اختبأ منه ، فودعها الرسول ، فلما كان من الغد أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الآيات غضب وقام من وقته فركب إلى الرشيد ، وكان أثيراً^(١) عنده يُجبله ويقدمه ، وكان قد هم أن يحطّبه إليه أبنته ، فرأى الكراهة في وجهه ، فقال : ما شأنك ؟ فقال : هجاني ربعة الرق ، فأحضر ، فقال له الرشيد : تهجو عني وآثر الخلق عندي ؟ لقد هممت أن أضرب عُنُقَكَ ، فقال : والله يا أمير المؤمنين لقد مدحتك بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت في الثناء وأكثر في الوصف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمره بإحضارها ! فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه وأحب أن ينظر إلى القصيدة ، فأمر العباس بإحضار الرقعة ، فتلکا عليه العباس ، فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين ألا أمرت بإحضارها ، فلم العباس أنه قد أخطأ وقطع • فأمر بإحضارها ، فأحضرت ، فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بينها ، فاستحسنها واستجدها وأعجب بها وقال : والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها ، لقد صدق ربعة وبر ، ثم قال للعباس : يم أبنته عليها ؟ فسكت العباس وتغير لونه وجرى يرقه ، فقال ربعة : أتابني عليها يا أمير المؤمنين بدينارين ، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من المودة على العباس ، فقال : بجاني يا رقي بك أتابك ؟ قال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أتابني عليها إلا بدينارين ، فغضب الرشيد غضباً شديداً ونظر في وجه العباس وقال : سؤفة لك ! أي حال فعلت بك عن إتابته ؟ الأموال ؟ فوالله لقد مؤلتك جُهدى ، أم أقطع المائدة عنك ؟ فوالله ما أقطعك ، أم أصلك ؟ فهو الأصل لا يدانيه شيء • أم تقسك فعلت ذلك بك حتى فضحت آباءك وأجدادك وفضحتني

(١) أميرا : مكرما . (٢) جرس يرقه : اثنه بالمجد على هم وجزن .

وَنَفْسَكَ ؟ فَتَكَسَّ الْعَبَّاسُ رَأْسَهُ وَلَمْ يَنْطِقْ ، قَالَ الرَّشِيدُ : يَا غَلَامُ ، أَهْطِ رِبِيعَةً ثَلَاثِينَ
أَلْفَ دِرْهَمٍ وَخِلْعَةً وَأَحْجَلَهُ عَلَى بَغْلَةٍ ، فَلَمَّا حِيلَ الْمَالُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَلْبَسَ الْخِلْعَةَ قَالَ : بِحَيَاتِي
يَارِقُ لَا تَذْكُرْهُ فِي شَعْرِكَ لَا تَعْرِضًا وَلَا تَصْرِيحًا ، وَقَرَّرَ الرَّشِيدُ عَمَّا كَانَ هَمُّهُ بِهِ أَنْ يَتَوَجَّعَ
إِلَيْهِ ، وَظَهَرَ لَهُ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ جَفَاءٌ كَثِيرٌ وَأَطْرَاحٌ لَهُ .

قال أبو بشر : كُنْتُ حَاضِرًا رِبِيعَةَ الرِّقَى يَوْمًا وَجَاءَتْهُ أَمْرَأَةٌ قَالَتْ : تَقُولُ لَكَ فُلَانَةٌ
إِنْ بُنِيَ مَوْلَايَ مَحْمُومَةً فَإِنْ كُنْتُ تَعْرِفُ لَهَا عَوْدَةً فَأَقْبِلْ^(١) ، فَقَالَ أَكْتُبْ لَهَا أَبَا بَشَرٍ هَذِهِ
الْعَوْدَةُ :

يَقُولُوا يَقُولُوا بِأَسْمِ الْمَلَى الَّذِي * لَا يَعْْرِضُ السَّقَمَ لِمَنْ قَدْ شَفَى
أَعْبَدُ مَوْلَايَ وَمَوْلَاتَهَا * وَأَبْتَهَا بِسَوْدَةِ الْمُصْطَفَى
مِنْ شَرٍّ مَا يَعْْرِضُ مِنْ عُلَّةٍ * فِي الصَّبْحِ وَاللَّيْلِ إِذَا أَسْدَفَا

فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا ثَابِتَ ، لَسْتُ أَحْسِنُ أَنْ أَكْتُبَ يَقُولُوا يَقُولُوا ، فَكَيْفَ أَكْتُبُهَا ؟ قَالَ
أَنْتَضِعَ الْمِدَادَ مِنْ رَأْسِ الْقَلَمِ فِي مَوْضِعَيْنِ حَتَّى يَكُونَ كَالنَّقْثِ^(٢) ، وَأَدْفَعِ الْعَوْدَةَ إِلَيْهَا فَإِنَّهَا
نَافِعَةٌ ، فَفَعَلْتُ وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا ، فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ جَاءَتْ الْجَارِيَةُ وَهِيَ لَا تَمْلِكُ حَتْمَكَا ، فَقَالَتْ لَهُ :
يَا بَجْنُونُ مَا فَعَلْتَ بِنَا ! كِدْنَا نَقْتَضِعُ بِمَا صَنَعْتَ ! قَالَ : لِمَا أَصْنَعُ ! أَشَاحِرُ أَنَا أَمْ صَاحِبُ
تَعَاوِيذٍ ! .

وَأَتَّفَقَ لِلزُّرَى أَيْضًا مِثْلَ ذَلِكَ مَعَ مَعْنٍ بْنِ زَائِدَةَ ، وَقَدْ لَقِيَهُ فِي بَعْضِ قَدَمَاتِهِ إِلَى الْعِرَاقِ .
فَدَحَّه ، فَلَمْ يَهْشَ لَهُ ، فَهَجَّاهُ بِقَصِيدَةٍ مَطْلُوعَا :

مَعْنُ يَا مَعْنُ يَا بَنَ زَائِدَةَ الْكَلْبِ الَّذِي فِي الذَّرَاعِ لَا فِي الْبَيْتَانِ
لَا تُهَاجِرْ إِذَا نَفَرْتَ يَا بَا * مِنْكَ وَأَنْفَرْ بِعَمَّكَ الْحَوْفَرَانِ^(٣)

(١) العودَة : الرقية . يرقى بها الإنسان من مَرَضٍ أَوْ جُنُونٍ أَوْ مَرَضٍ . (٢) النقث البصاق اليسير ينثه
الراق في العقدة عند الرقية .

(٣) الحوهران هو الحارث بن شريك الشيباني ، سمى ذلك لأن قيس بن عاصم التميمي حمزه بالرمح حين خاف
أن يفوته ، وقد ظهر بذلك سواربن حبان المقرئ فقال :

وَنَحْنُ حَفَرْنَا الْحَوْفَرَانِ بِلَمَّةٍ * سَقَمَ بِحَيْثُ مِنْ دَمِ الْحَوْفِ أَسْتَكَلَا

وَمَنْ خَزَنَ لَهُ آيَاتُ يُنْفَى بِهَا، وَهِيَ :

وَرَزَمَ أَنِّي قَدْ تَبَيَّنَتْ خَلَّةٌ * سِوَاهَا وَهَذَا الْبَاطِلُ الْمُتَقَوِّلُ
لَا إِلَهَ مِنْ بَاعِ الصَّدِيقِ بَعْدَهُ * فَقَالَتْ نَعَمْ حَاشَاكَ إِنْ تَكُ تَفْعَلُ
مَنْعُومُ إِنْسَانًا إِذَا مَا صَرَرْتَنِي * بِحَبِّكَ فَأَنْظِرْ بَعْدَهُ مِنْ تَبَيَّلِ

(١) الخلة : الخلية

١٠ - الرقائق^(١)

كان سهل الشعر مطبوعاً ، وكان منقطعاً إلى آل برمك ، مستغنياً بهم عن سواهم ،
وكانوا يصولون به على الشعراء ، ويروون أولادهم أشعاره ، ويدونونها القليل والكثير منها ،
تعصباً له ، وحفظاً لحلمته ، وتنوياً باسمه ، وتحريكاً لنشاطه ، لحفظ ذلك لهم . فلما نكبوا
صار إليهم في حبسهم ، فأقام معهم مدة أيامهم ينشئهم ويأسرهم حتى ماتوا ، ثم رثاهم
فاكثر من رثائهم ؛ فمن ذلك قوله في جعفر :

كم هاتيف بك من بأك وبأكيه * يا طيب للضيف إذ تدعى ولجبار
إن يعدم القطر كنت المزن بآرقه * لمع الدنانير لا ما خيل السارى
وقوله :

لعمرك ما بالموت عارٌ على الفقى * إذا لم يُصنِّه في الحياة المعايير^(٢)
وما أحدٌ حيٌّ وإن كان سالياً * بأسلم مما غيَّته المقابر
ومن كان يما يُحيثُ الدهرُ جازعاً * فلا بد يوماً أن يرى وهو صابر
وليس لدى عيشٍ عن الموت مُقصرٌ * وليس على الأيام والنهر فابر
وكلُّ شبابٍ أوجديدٍ إلى البلى * وكلُّ أمرئٍ يوماً إلى الله صائر
فلا يُبعدنك الله عني جعفرأ * يروى ولو دارت على الدوائر
فألبت لا أهلك أبكك ما دعيت * على قنبر ورقاء أو طار طائر

ومن ذلك قوله لما صلب الفضل بن يحيى وأجنازه به الرفاه : وهو مصلوبٌ على
الحدع ، فوقف يكي ثم قال :

(١) هو الفضل بن عبد الصمد مولد رقاش ، وهو من أهل الصرة . توفي سنة ٢٠٠ هـ . ومجده ترجمته

في الأغاني (ج ١٥ ص ٣٥) ورويات الوفيات (ج ٢ ص ١٢٥) والشعر والشعراء (ص ٥١٥) .

(٢) المعابر : المعايير .

أما واقه لولا خَوْفُ وَايش * وَصِيْبُ الْخَلِيفَةِ لَا تَتَامُ
لَقُنْنَا حَوْلَ جَنْبِكَ وَأَسْتَلَمْنَا * كَمَا لِلنَّاسِ بِالْهَجَرِ أَسْلَامُ
لَمَّا أَبْصَرْتُ قَبْلَكَ يَا بَنِي يَحْيَى * حُسَامًا حَتَفَهُ السَّيْفُ الْخُسَامُ
عَلَى الدُّنْيَا ، وَالْدُنْيَا جَمِيعًا * وَدَوْلَةُ آلِ بَرَمَكٍ السَّلَامُ

فكتب أهل الأخبار بذلك إلى الرشيد، فأحضره فقال : ما حملك على ما قلت ؟ فقال :
يا أمير المؤمنين كان إلى محبتنا ، فلما رأيته على الحال التي هو عليها حرّ كفى إحسانه لما ملكت
نفسى حتى قلت الذى قلته ؛ قال : ولم كان يحمرى عليك ؟ قال : ألف دينار فى كل سنة ،
قال : إنا قد أضفناها لك .

ومن قوله يَصِفُ جَارِيَةً :

صَفَاتُ وَحُسْنُ أَوْرَثَةِ الْقَلْبِ لَوَعَةٌ * تَضَرَّمُ فِي أَحْشَاءِ قَلْبٍ مُنِمْ
مُثَلِّهَا نَفْسِي لِمَنِى فَأَنْتَنِى * عَلَيْهَا بَطْرَفُ النَّظَرِ الْمُنِيمِ
يَجْعَلُنِي حَتَّى لَهَا فَوْقَ طَاقَتِي * مِنْ الشَّوْقِ دَأْبَ الْحَاثِرِ الْمُتَقَسِّمِ

١١ - أبو العتاه (١)

قال أحمد بن زهير : سمعت مصعب بن عبد الله يقول : أبو العتاهية أشعر الناس ،
فقلت له : بأي شيء استحق ذلك عندك ؟ فقال بقوله :

تعلقتُ بآمالٍ • طوالٍ أي آمال
وأقبلتُ على الدنيا • ملحاً أي إقبال
أي هذا تجهزاً • فإفراق الأهل والمال
فلا بد من الموت • على حال من الحال

ثم قال مصعب : هذا كلام سهل حق لا حشوية ولا قصاص ، يعرفه العاقل ويقربه
الجاهل . وكان الأصمعي يستحسن قوله :

(١) هو أبو إسحاق اسماعيل بن القاسم بن سويد ، أطلع أهل زمانه شعراً وأكثرهم قولاً وأسهلهم لفظاً ،
وأسرعهم بديهة وأرتجالاً ، وأول من فتح للشعراء باب الوعظ والزهد في الدنيا والتي عن الاعتقادات ، وأكثر
من الحكمة .

ولد بين القرنين ١٣٠ هـ ونشأ بالكوفة في عمل أهله . وكانوا باعة بوار ، إلا أنه وبأخيه عن عمله وقال
الشعر في صباه وأنتزع بلعده ودمه حتى صار كما قال هو عن نفسه «لو شئت أن أجعل كلامي كله شعراً لعلقت»
فذاخ صبه وسلك طريق علماء الكوفة . ثم قدم ببغداد ودمج المهدى وعرف بعض خدم قصر الخلافة
وجواريه فعمش منهن فتاة تدعى حبة ، ولما يقس منها لها عنها بعض الشيء . ودرس كثيراً من مذاهب المتكلمين
والشيعة والجبورية والزهاد فكان يسلك كل مذهب منها مدة ثم يقتل عنه إلى الآخر حتى احتار له من كل ذلك
عقيدة مخططة أضنت به إلى العبادة والزهد في الدنيا قولاً ومعيشة على إفراط منه في حب المال واجمع له
واليلج به على الأهل والولد والتخدم .

ولم يأت حصر الرشيد حتى أصرب من العزل وقصر قوله على الزهد في الدنيا والتذكير بالموت وأهواله ، وهو في حلال
ذلك يمدح الخليفة ومولوك الدولة ويأخذ بجوارهم ، ثم عرضته له حال امتنع بها من قول الشعر البتة حتى حبسه الرشيد
لعدم تلبية ما أقرحه عليه من القول فيه ثم أطلقه بعد أن أجاب طلبه ، وعاد إلى قول الشعر على عادته فيه وترك العزل
والجهاد ، وبقي على ذلك مدة الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون . توفي سنة ٢١١ هـ .

وله ديوان مطبوع في بيروت سنة ١٨٨٧ وتجدد أخباره في الأغانى ج ٣ ص ١٢٦ وج ٦ ص ١٨٦
وج ٨ ص ٢٤ وأن خلكان ج ١ ص ٧١ وطبقات الشعراء ص ٤٩٧ والمهرست ص ١٦٠ .

أَنْتَ مَا اسْتَفْنَيْتَ عَنْ مَا • حَيْكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ
« د تَجَّتْ إِلَيْهِ • سَامَةٌ بِحَيْكَ فُوهُ

وَأَنْشَدَ لَهُ سَلْمُ الْخَاصِرِ :

سَكَنَ بَقِيَّ لَهُ سَكْنٌ • مَا بَهَذَا يُؤْذِنُ الزَّمَنُ
نَحْنُ فِي دَارٍ يَخْبِرُنَا • يَبْلَاهَا نَاطِقُ لَيْسَ
دَارُ سُوءٍ لَمْ يَلَمْ فَرَحٌ • لَأَمْرٍ فِيهَا وَلَا حَزَنُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْفُسُنَا • كُلُّنَا بِالْمَوْتِ مُرْتَمِنُ
كُلُّ نَفْسٍ عِنْدَ مَيِّتِهَا • حَظُّهَا مِنْ مَالِهَا الْكَفَنُ
إِنْ مَالَ الْمَرْءِ لَيْسَ لَهُ • مِنْهُ إِلَّا ذِكْرُهُ الْحَسَنُ

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ السَّمَرِيُّ : أَشْعَرُ النَّاسِ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ حَيْثُ يَقُولُ :

مَا ضَرَّ مِنْ جَعَلَ التُّرَابَ مِهَادَهُ • أَلَا يَنَامُ عَلَى الْحَرِيرِ إِذَا قَبِعَ

وَقِيلَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ : كَيْفَ تَقُولُ الشَّعْرَ ؟ قَالَ : مَا أُرِدْتُهُ قَطُّ إِلَّا مَثَلٌ لِي ، فَأَقُولُ
مَا أُرِيدُ وَأَتْرُكُ مَا لَا أُرِيدُ . وَكَانَ يَقُولُ : لَوْ شِئْتُ أَنْ أَجْعَلَ كَلَامِي شَعْرًا كُلَّهُ لَفَعَلْتُ .

حَمُّ الرِّشِيدِ فَصَارَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ بِرُقْمَةٍ فِيهَا :

لَوْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ أَنْتَ لَمْ • مَا تَوَا إِذَا مَا أُيِّتَ أَجْمَعُهُمْ
خَلِيفَةَ اللَّهِ أَنْتَ تَرَجَّحُ بَالِنَا • مِثْلُ إِذَا مَا وَزِنْتَ أَنْتَ وَهْمُ
قَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ وَجْهَكَ يَتَّقَى • نَحْنُ إِذَا مَا رَأَاهُ مُعِيدُهُمْ

فَأَنْشَدَهَا الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ الرِّشِيدَ ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، فَذَا زَالِ يُسَامِرُهُ وَيُحَدِّثُهُ
إِلَى أَنْ بَرِيَ ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ السَّبَبِ مَالٌ جَلِيلٌ . وَقَدْ حَدَّثَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ بِهَذَا
الْحَدِيثِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ بِالْمَجْلِسِ : مَا هَذَا الشَّعْرُ بِمَسْتَحَقٍّ لِمَا قُلْتَ ؟ قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ :
لَأَنَّهُ ضَعِيفٌ ، فَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ، وَكَانَ أَحَدَ النَّاسِ ، الضَّعِيفُ وَاللَّهُ عَقْلُكَ لَا شِعْرَ

أبي العتاهية، الأبي العتاهية تقول إنه ضعيف الشعر! فواقه ما رأيته شاعرا قط أطلع
ولا أفتر على بيت منه، وما أحسب مدَّعِبَه إلا ضَرْبًا من السَّحَر؛ ثم أنشد له :

قَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الآمَالِ * وَحَطَّطْتُ عَنْ ظَهْرِ الْمَطْلَى رِجَالِي
وَبَكَيْتُ أَنْ أَتَى لِنُفْسِي نَيْلُ مَمِّ * مَا فِيكَ يَا دُنْيَا وَأَنْتَ بَيْنِي لِي
فَوَجَدْتُ بَرْدَ الْيَاسِ بَيْنَ جَوَانِحِي * وَأَرَحْتُ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ تَرْحَالِ
يَأْيَا الْبَطْرَ الَّذِي هُوَ مِنْ غَدٍ * فِي قَبْرِهِ مَتَمَزَّقُ الْأَوْصَالِ
حَتَفَ الْمُنَى عَنْهُ الْمُشَمَّرُ فِي الْهَدَى * وَأَرَى مُنَاكَ طَوِيلَةَ الْأَذْيَالِ
حَبَلُ ابْنِ آدَمَ فِي الْأُمُورِ كَثِيرٌ * وَالْمَوْتُ يَقْطَعُ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
مَا لِي أَرَاكَ لَحَزَ وَجْهَكَ مُخَلَّقًا * أَخْلَقْتَ يَا دُنْيَا وَجُوهَ رِجَالِ
قَسَيْتُ السُّؤَالَ فَكُلَّانَ أَعْظَمَ قِيمَةً * مِنْ كُلِّ عَارِفَةٍ جَرَتْ بِسُؤَالِ
فَإِذَا أَبْثَلَيْتَ يَبْدُلَ وَجْهَكَ سَائِلًا * فَابْنُلْهُ لِلتَّكْرَمِ الْمِفْضَالِ
وَإِذَا خَشِيتَ تَمَلُّرًا فِي بَلَدَةٍ * فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِمَا جَلَّ التَّرَحَالِ
وَأَصْبِرْ عَلَى غَيْرِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا * فَرَجَ الشَّدَائِدِ مِثْلَ حَلِّ عَقَالِ

ثم قال للرجل : هل تعرف أحداً يحسن أن يقول مثل هذا الشعر؟ فقال له الرجل :
يا أبا عبد الله، جعلني الله فداك، إنى لم أرُدد عليك ما قلت، ولكن الزهد مدَّعِبُ
أبي العتاهية، وشعره في المديح ليس كشعره في الزهد، فقال: أفأليس الذى يقول فى المديح:

وهارونُ ماءُ المَرْزَنِ يَشْفِي مِنَ الْعَصْدَى * إِذَا مَا الْعَصْدَى بِالرِّقِّ غَصَصَتْ حَنَابِرُهُ

وَأَوْسَطُ بَيْتٍ فِي قُرَيْشٍ لَبِيتُ * لِي عَزَى فِي هَرِيرٍ وَ

وَزَحْفُ لَهُ تَحْكِي الْبُرُوقَ سَبِوْفُهُ * وَتَحْكِي الرُّعُودَ الْقَاصِصَاتِ حَوَافِرُهُ

إِذَا حَيَّتْ شَمْسُ النَّهَارِ تَضَاحَكْتُ * إِلَى الشَّمْسِ فِيهِ يَنْضُهُ وَمَغَافِرُهُ

إِذَا نِكَبَ الْإِسْلَامُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ * فَهَارُونُ مِنْ بَيْنِ الْبَرِيَّةِ نَازِرُهُ

وَمَنْ ذَا يَفُوتُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ مُذِرُكَ * كَمَا لَمْ يَفُتْ هَارُونُ ضِدُّ يَنَافِرُهُ

فتخلص الرجل من شرّ ابن الأعرابي بأن قال له : القول كما قلت ، وما كنت سمعت له مثل هذين الشعرين ، وكتبهما عنه .

قال ثُمّامة بن أشرس أنشدني أبو العتاهية :

إذا المرء لم يُتَّقِ من المال نفسه * تملكه المسائل الذي هو مالكه
ألا إنما مالى الذي أنا مُتَّقٍ * وليس لي المال الذي أنا تاركه
إذا كنت ذا مال فبادر به الذي * يَحِقُّ وإلا استهلكته مَهالكه

فقلت له : من أين قضيت بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيته أو لبست فألبيت أو تصدقت فأمضيت" . فقلت له : أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه الحق ؟ قال : نعم ؛ قلت : فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة في دارك ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تتركها ولا تهتمها فذخرنا ليوم فقرك وفائقك ؟ فقال : يا أبا معن ، والله إن ما قلت هو الحق ، ولكنى أخاف الفقر والحاجة إلى الناس ؛ فقلت : وبم تريد حال من أفقر على حالك وأنت دائم الحرص ، دائم الجمع ، شحيح على نفسك ، لا تشتري القمح إلا من عيّد إلى عيّد ؟ فترك جواب كلامي كله . ثم قال لي : والله لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم ، فلما قال هذا القول أضحكني حتى أذهلتني عن جوابه ومعاتنته ، فامسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام .

زار مرة عمرو بن مسعدة فحجّب عنه ، فلم يزل يفتكه ، فاستبطاه عمرو ، فكتب إليه :

كسّلتني الأيام عنك فما أرى * فقع طرفي إليك من تكميل
إني إذا لم يكن أُنَى دِقَّة * قطعت منه حبال الأمل

وكتب إليه مرة أخرى

مالك قد سلّمت عن إخالك وأمر * تبدّلت يا عمر سيمّة كدرك
إني إذا البأس تاه * لم يك عندي في هجره نظره^(١)

لَسَمْتُ رُجَّةً لِلْحَسَابِ وَلَا * يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ مُنْفِطِرَةً
لَكِنْ لَدُنْيَا كَالْفَلِّ بِهَجَّتْهَا * سَرِيعَةِ الْإِقْضَاءِ مُدْشِمِرَةً
قَدْ كَانَ وَجْهِي لَدَيْكَ مَعْرِفَةً * فَالْيَوْمِ أَحْضَى حَرْفًا مِنَ النِّكْرَةِ

جلس المهدي للشعراء يوما فأذن لهم، وفهم بشار وأشجع، وكان أشجع يأخذ عن بشار
ويعقله، وكان في القوم غير هذين أبو العتاهية، قال أشجع: فلما سمع بشار كلام أبي العتاهية
قال: يا أخا سليم، أهذا ذلك الكوفي الملقب؟ قلت: نعم، قال: لا جرى الله خيرا من
جمعنا معه، ثم قال له المهدي: أنشد، فقال: ويحك! أو يستنشد أيضا قبلنا؟ قلت:
قد ترى، فأشدد:

أَلَا مَا لِسَيْدَتِي مَا لَهَا * أَدَلَّا فَأَحْلَلْ إِذْلَامَهَا
وَالَا تَجَنَّتْ وَمَا * جَنَّتْ سَيِّئَاتُ اللَّهِ أَطْلَامَهَا
أَلَا لَأَنْتَ جَارِيَةٌ لِلْإِمَامِ * مَقْدَانِيكَنَّ الْحَسَنِ سِرْبَالَهَا
مَشَّتْ بَيْنَ حُورٍ قِصَارِ الْخَطَا * تُجَازِبُ فِي الْمَشْيِ أَكْفَالَهَا
وَقَدْ أَتَمَّ اللَّهُ شَمْسِي بِهَا * وَأَتَمَّ بِالْقَوْمِ عُدَالَهَا

فقال بشار لأشجع: ويحك يا أخا سليم! ما أدري من أي أمره أعجب، أمن ضعف شعره
أم من تشبيهه بجمارية الخليفة وهو يسمع ذلك بأذنه؟ حتى أتى على قوله:

أَتَشْهِي الْخِلَافَةَ مُنْقَادَةً * إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالُهَا
فَلَمْ تَكْ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ * وَلَمْ يَكْ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَأَاهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ * لَزُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالُهَا
وَلَوْ لَمْ تَطْلُعْ بَنَاتُ الْقُلُوبِ * لَمَّا قِيلَ اللَّهُ أَعْمَالُهَا
وَأَنَّ الْخِلَافَةَ مِنْ بَنِي "لَا" * إِلَيْهِ لِيُنْفِضَ مَنْ قَالَهَا

فقال بشار لأشجع وقد آهت طربا: ويحك يا أخا سليم، أترى الخليفة لم يطرح عن فراشه
طربا لما يأتي به هذا الكوفي!

ولما أتهمه منصور بن عمار بالزندقة، لأنه لا يذكر في شعره الجنة والنار وإنما يذكر الموت، قال فيه :

يا وأعط الناس قد أصبحت منهما * إذ حبت منهم أمورا أنت تأمئها
كالليس الثوب من عرى وعودته * للناس ياديه ما إن يواربها
فأعظم الإثم بعد الشرك نعلته * في كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بيبوب الناس تبصرها * منهم ولا تبصر العيب الذي فيها

وقيل له : زعم الناس أنك زنديق، فقال : والله ما ديني إلا التوحيد، فقيل له قل شيئاً يصح لك به عكس، فقال :

ألا إنا كنا بائد * وأنى بنى آدم خالد
وبئسهم كان من ربهم * وكل إلى ربه عائد
فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يعجده الجاحد
وفي كل شيء له آية * تكل على أنه واحد

وسمع الجاحظ مرة من يشند أرجوزة أبي العتاهية التي سماها «نونات الأمثال» حتى أتى على قوله :

بالشباب المريح التصابي * روائح الجنة في الشباب

فقال للنشد : قف، ثم قال : أنظروا إلى قوله : «روائح الجنة في الشباب» فإن له معنى كمنى الطرب لا يقدر على معرفته إلا القلوب، وتسجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير، وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه . وهذه الأرجوزة من بدائع أبي العتاهية، ويقال : إن فيها أربعة آلاف مثل، منها قوله :

حسبك مما تجفيه القوت * ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفا * من أتقى الله رجا وخافا
هي المقادير فلهي أو فذر * إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر

لَكَ مَا يُؤْذِي وَإِنْ قَلَّ أَلَمْ
مَا أَتَمَّعَ الْمَرْءُ بِمَثَلِ حَقْلِهِ
إِنَّ الْفَسَادَ ضِدُّهُ الصَّلَاحُ
مَنْ جَمَلَ الثَّمَامَ عَيْنًا هَلَكَ
إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجَدَّةَ
مُنْعَكَ ع. . كُلُّ فَيْحٍ تَرْكُهُ
مَا عِيشَ مِنْ آفَتِهِ بَقَاؤُهُ
بَارُبِّ مَنْ أَحْضَطْنَا بِمُجْهِدِهِ *
مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيْبُ
لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْبَدٌ وَجَوْهَرُ
مَنْ لَكَ بِالْحَيْضِ وَكُلُّ مُتَمَرِّجٍ
وَكُلُّ شَيْءٍ لَا حَقُّ بِجَوْهَرِهِ
مَا زَالَتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَذَى
الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِهَا أَزْوَاجُ
مَنْ لَكَ بِالْحَيْضِ وَلَيْسَ تَحْضُ
لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ
إِنَّكَ لَوْ تَسْتَنَشِقُ الشَّجِيحَا
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عَدَا
عَجِبْتُ حَتَّى غَمَمْنِي ع. .
كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَحَدُ

مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ عَلَى مَنْ لَمْ يَتَمَّ
وَعَبْرُ دُنُو الْمَرْءِ ع. . فَعَلِهِ
وَرُبَّ يَجْ حَرُّ الْمَزَاحِ
مُتْلِفُكَ الشَّرَّ بَكَغِيهِ لَكَ
مَقْسَدَةٌ لِلرَّءِ أَيْ مَقْسَدُهُ
يَرْتَبِنُ الرَّأْيَ الْأَصِيلَ شَكُّهُ
نَقَصَ عِيشًا كُلَّهُ فَنَاقُوهُ
رَنَا اللَّهُ بَغِيرُ
إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنُهُ عَجِيبُ
وَأَوْسَطُ وَأَصْفَرُ وَأَكْبَرُ
وَسَاوِيٌّ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَعْتَلِجُ
أَصْفَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ
مَمْزُوجَةُ الصَّفْوِ بِالْوَانِ الْقَدَى
لِذَا نِتَاجُ وَلِذَا نِتَاجُ
يَخْبَثُ بَعْضُ وَيَطْلِبُ بَعْضُ
تَرَوْهُمَا ضِدَارُ
ع. . رِيحَا
بَيْنَهُمَا يُونُ ع. . أَذَى جَدَا
أَتَى حَائِرٌ مَبْهُوْتُ
الْقَصْمُتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

ومن قول أبي العتاهية في الوحدة والتبؤ بالناس :

بَرِمْتُ بالناس وأخلاقهم * فَصِرْتُ أَسْتَأْسِ بِالوَحْدَةِ

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لِعَمْرَى وَمَا * أَقْلَهُمْ فِي حَاصِلِ الْعَيْدَةِ

قال الأصمعي : شعر أبي العتاهية كساحة الملوك، يقع فيها الجوهر والذهب والتراب
والخزف والنوى .

كان أبو العتاهية لا يفارق الرشيد في سفر ولا حضر إلا في طريق الحج ، وكان يُجْرى
عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاون ، فلما قَدِمَ الرشيدُ الرِّقَّةَ لَيْسَ
أبو العتاهية الصُّوفَ وتَزَهَّدَ . وَتَرَكَ حَضْرَ المُنَادِمَةِ والقَوْلَ في القُزْلِ ، وأمر الرشيدُ بحبسِه
لِحَبْسِ ، فكتب إليه من وقته :

أَنَا الْيَوْمَ لِي وَالْحَمْدُ لَهُ أَشْهُرُ * يَرَوْحَ عَلَى الْهَمِّ مِنْكُمْ وَيَبْكُرُ

تَذَكَّرَ أَمِينَ اللَّهِ حَقِّ وَحُرْمَتِي * وَمَا كُنْتُ تُؤَلِّفُنِي كَذَلِكَ يَذْكُرُ

لِيَالِي قُدْنِي مِنْكَ بِالْقُرْبِ مَجْلِسِي * وَوَجْهُكَ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَةِ يَقَطُرُ

فَنَ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتَ مَرَّةً * إِلَى بِهَا فِي مَالِ الْدَهْرِ تَنْظُرُ

فلما قرأ الرشيد الأبيات قال : قولوا له : لا بأس عليك ، فكتب إليه :

أَرِقْتُ وَطَارَ عَنِ النَّعَاسِ * وَنَامَ السَّامِرُونَ وَلَمْ يُوَأْسُوا

أَمِينَ اللَّهِ أَمْنُكَ خَيْرُ أَمِينٍ * عَلَيْكَ مِنَ التَّقَى فِيهِ لِبَاسٌ

نُعَاسٌ مِنَ السَّمَاءِ بِكُلِّ رِزْ * وَأَنْتَ بِهِ تَسُوسُ كَمَا تُسَاسُ

كَأَنَّ الْخَلْقَ رَكَّبَ فِيهِ رُوحُ * لَهُ جَسَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَاسٌ

أَمِينَ اللَّهِ إِنَّ الْحَبْسَ بَاسٌ * وَقَدْ أُرْسِلْتَ : لَيْسَ عَلَيْكَ بَاسٌ

وكتب إليه أيضا في الحبس :

وَكَلَّفَتْنِي مَا حُلَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ * وَقَلْتُ سَأُبْنِي مَا تُرِيدُ وَمَا تَهْوَى

فَلَوْ كَانَ لِي قَلْبَانُ كَلَّفْتُ وَاحِدًا * هَوَاكَ وَكَلَّفْتُ الْخَلْقَ لِمَا يَهْوَى

فأمر باطلاعه .

كان الهادي واجدا على أبي العتاهية ملازمته أخاه هارون في خلافة المهدي، فلما ولي موسى الخلافة قال أبو العتاهية يمدحه :

يَضْطَرِبُ الخَوْفُ والِرْجَاءُ إذا * حَرَكَ موسى القَضِيبَ أَوْفَكَرَ
مَا أَيْنَ القَضِيلُ في مَغِيبٍ وما * أَوْرَدَ من رَأْيِهِ وما أَصْدَرَ
فَكَمْ تَرَى عَزَّ عِنْدَكَ من * مَعْتَبِرٍ قَرِيبٍ وَقَدْ من مَعْتَرٍ
يُخْرِجُ من مَسِّ القَضِيبِ ولو * يَمْسُهُ غَيْرُهُ لَمَّا أَثْمَرَ
مَنْ مِثْلَ موسى ومِثْلَ والده الـ * سَهْدِي أَوْجَدَهُ أَبِي جَعْفَرِ

فرضى عنه . فلما دخل عليه أنشده :

لَهْنِي على الزَّمنِ القَصِيرِ * بين الخَوَزَنِيِّ والسَّيْدِ
إِذْ نَحْنُ في غُرَفِ الحِنَا * نَ نَعُومُ في بَحرِ السُّرُورِ
في فِتْنَةٍ مَلَكُوا عِنَا * نَ الدَّهْرِ أَمْثَالِ الصُّبُورِ
مَا مِنْهُمْ إِلَّا الجَسُورُ * رُحِلَ الهَوَى غيرَ الحَصُورِ
يَتَعَاوَرُونَ مُدَامَةً * صَهْبَاءَ من حَلَبِ المَصِيرِ
عِذْرَاءَ رِبَاهَا شُحْمًا * عُغِ الشَّمْسُ في حَرِّ المَجِيرِ
تَدُّ من نَارٍ ولم * يَلْقَ بِهَا وَضَرَ القُدُورِ
وَمُقَرَّبَتِي يَمْنِي أَمَا * مِ القُومِ كَالرَّشَا الفَرِيرِ
بِزَجَاجِهِ سَمَخَرج الـ * مِ الدِّينِ من الضَّمِيرِ
زَهْرَاءَ مِثْلَ الكَوْكَبِ الـ * رُئِيَ في كَفِّ المُسْدِيرِ
قَدَّحُ الكَرِيمِ وَلَيْسَ يَدُ * رَى مَا قَيْلٌ من دَيْرِ
وَمُخَصَّراتُ زُرَّتِنَا * بَعْدَ الحُلُوقِ من الخُذُورِ
رِيًّا رَوادِفَهُنَّ يَدُ * بَسَنَ الخَوَاتِمِ في الخُصُورِ
غُرَّ الوجوه مُجَبَّبا * قَاصِدَاتِ الطُّفْحِ

مُتَّعَمَاتٍ فِي النَّدِّ • سِيمَ مُضَمَّخَاتٍ بِالْعَبِيرِ
يَرْقُلْنَ فِي حُلِّ الْمَا • سِنَ وَالْجَاسِدِ وَالْحَرِيرِ
مَا إِنْ يَرَيْنَ الشَّمْسُ إِلَّا الْقُرْطَ مِنْ خَلِّ السُّتُورِ
وَالِي أَمِينِ اللَّهِ مَهْ • رَبُّنَا مِنَ الدَّهْرِ الْعَثُورِ
وَالِيهِ أَتَعَبْنَا الْمَطَا • يَا بِالرَّوَّاحِ وَالْبُعُورِ
صُورَ الْخُلُودِ كَأَنَّمَا • جُتُّحُنْ أَجْنَحَةَ النَّسُورِ
مُسْرِيَلَاتٍ بِالظُّلَا • مِ عَلَى السُّهُولَةِ وَالْوُحُورِ
حَقِي وَصَلَّى بِنَا إِلَى • رَبِّ الْمَدَائِنِ وَالْقُصُورِ
مَا زَالِ قَبْلَ فِطَامِهِ • فِي سِنِّ مَكْتَهِيلِ كَبِيرِ

استنشد المأمون أحسن ما قال في الموت فأنشده :

أَنَسَاكَ بِحَبَاكَ الْهَمَا • فَطَلَبْتَ فِي الدُّنْيَا الثَّبَا
أَوْثِقْتَ بِالْدُّنْيَا وَأَزْ • تَ تَرَى جَمَاعَتَهَا شَتَا
وَعَزَمْتَ مِنْكَ عَلَى الْحَيَا • ةَ وَطَوَّلَهَا عَزَمًا بَتَا
يَا مَنْ رَأَى أَبَوَيْهِ فِي • حَنٍّ قَدْ رَأَى كَانَا هَمَا
هَلْ فِيهِمَا لَكَ عِبْرَةٌ • أَمْ خَلَّتْ أَعْيُنُكَ الْفَلَا
وَمَنْ الَّذِي طَلَبَ التَّقْدُ • تَ مِنْ مَتْنِهِ قَفَا
كُلُّ نَصْبٍ لَهُ الْمَذِيَّةُ • أَوْ تَبَيَّنَ بَيَا

دخل أبو التاهية على المأمون فأنشده :

مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَهَا • إِذَا أَطَاعَ اللَّهُ مَنْ نَالَهَا
مَنْ لَمْ يُؤَاسِ النَّاسَ مِنْ فَضْلِهَا • حَرَضَ لِلْإِدْبَارِ إِقْبَالَهَا

فقال له المأمون : ما أجودَ البيتَ الأولُ ، فأما الثاني فما صنعتُ فيه شيئا ، الدنيا تُدْرِعُ عَمَّنْ
وَأَسَى مِنْهَا أَوْضَقُ بِهَا ، وَإِنَّمَا تُوجِبُ الْمِجَاعَةَ بِهَا الْأَجْرَ وَالضَّنَّ بِهَا الْوِزْرَ ، فقال : صدقتَ

يا أمير المؤمنين، أهل الفضل أولى بالفضل وأهل النقص أولى بالنقص، فلما كان بعد أيام عاد فأنشده :

كم غافل أودى به الموت * لم يأخذ الأهبة للفت
من لم تزل نعمته قبله * زال عن النعمة بالموت

فقال له : أحسنت، طيبت المعنى، وأمر له بعشرين ألف درهم :

كان أبو العتاهية يُمسح كل سنة، فإذا قدم أهدى إلى المأمون برداً ومطرقاً وتغلا سوداء ومسأوك أراك، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم، فأهدى مرة له كما كان يهدي كل سنة إذا قديم، فلم يلبه ولا بعث إليه بالوظيفة، فكتب إليه أبو العتاهية :

خبروني أن من ضرب السنّة * جلدًا بيضا وصُفرا حسنه
أحدثت لكني لم أرها * مثل ما كنت أرى كل سنة

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف وقال : أغفلناه حتى ذكرنا .

أنشد المأمون بيت أبي العتاهية يخاطب سلماً الناس :

تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعتاق الرجال

فقال المأمون : إن الحرص لمُفسد للدين والمروءة، والله ما عرفت من رجلٍ قط حرصاً ولا شرّاً فوجدت فيه مُصطنعاً، فيبلغ ذلك ساماً فقال : ولى على الحرار الزنديق جمع الأموال وكثرها وعبا الدور في بيته ثم تزهد مُراءاةً ونفاقاً، فأخذ يهتف بي إذا تصدّيت للطلب .

كان الرشيد مما يحبه غناء الملاحين في الزلازل إذا ركبها، وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم، فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء : يعملوا لهؤلاء شعراً يفتون فيه، فقيل : ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية وهو في الحبس، فوجه إليه الرشيد : قل شعراً حتى أسمعهم منهم، ولم يأمر بإطلاقه، فغاضه ذلك وقال : والله لا تقول شعراً يُحزنه ولا يُسرّه، فعمل شعراً ودفعه إلى من حفظه من الملاحين، فلما ركب الحرّاقة سمعه وهو :

خَانَكَ الطُّرُقُ الطُّمُوحُ * أَيُّهَا الْقَلْبُ ابْجُوحْ
لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالْإِثْرِ * دُنُّوْهُ وَنُزُوحْ
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ * تَوْبَةٌ مِنْهُ نَعُوحْ
كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ * إِنَّمَا مِنْ قُرُوحْ
أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا * إِنِّي الْخَطَايَا لَا تَفُوحْ
فَإِذَا الْمُسْتَوْرُ مِنَّا * بَيْنَ تَوْبَتَيْهِ فُضُوحْ
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ * طُوبَتْ عَنْهُ الْكُشُوحْ
صَاحٌّ مِنْهُ بِرَجِيلٍ * صَاحُّ الدَّهْرِ الصَّدُوحْ
مَوْتُ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْأَرِ * ضَى عَلَى قَوْمِ قُتُوحْ
سَيَصِيرُ الْمَرْءُ يَوْمًا * جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحْ
بَيْنَ عَيْنِي كُلِّ حَقٍّ * عَلَّمَ الْمَوْتَ يَلُوحْ
صَكَلْنَا فِي غَفْلَةٍ وَالْ * حَوْتُ يَفْدُو وَيُرُوحْ
لَيْسَ الدُّنْيَا مِنَ الدَّنْ * يَا غَبُوقُ وَصَبُوحْ
رُحْنٌ فِي الرَّشَى وَأَصْبَحَ * مِنْ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحْ
كُلُّ نَطَاجٍ مِنَ الدَّهْرِ * رَلَهُ يَوْمًا تَطُوحْ
نُحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مَسَّ * كَيْفَ إِنْ كُنْتَ تَسُوحْ
تَقُوتَنَّ وَإِنْ عُمَّ * رَتَ مَا عُمَّرُ نُوحْ

فلما سمع ذلك الرشيد جعل يبكي ويتعجب ، وكان الرشيد من أغزر الناس دموحا
في وقت المَوْعِظَةِ ، وأشدَّهم حَسَنًا في وقت النَفْثِ وَالنِّظَلَةِ ؛ فلما رأى الفضلُ بنَ الرِّبِيعِ
كثرة بكائه أومأ إلى الملاحين أن يسكتوا .

لما عقد الرشيد العهد لابنيه الثلاثة : الأمين والمأمون والمعتز ، قال أبو العتاهية :

رَحَلْتُ عَنْ الرَّيْحِ الْمُهَيْلِ قَعُودِي * إِلَى ذِي زُحُوفٍ جَمَّةٍ وَجُنُودِ
وَرَدَّاجٍ يُرَاعَى اللَّيْلُ فِي حِفْظِ أَقْمَةِ * يَدَافِعُ عَنْهَا الشَّرَّ غَيْرَ رُقُودِ

بِالْوَيْهِ جَبْرِيلُ يَقُومُ • وَرَايَاتِ نَصْرِ حَوْلَهُ وَنُبُودِ
 تَجَانِي عَنِ الدُّنْيَا وَيَقْنُ أَنَّهَا • مُفَارِقَةُ لَيْسَتْ بِدَارِ خُلُودِ
 وَشَدَّ حُرَى الْإِسْلَامِ مِنْهُ بَغْتِيَّةُ • ثَلَاثَةُ أَمْلَاحٍ وَلَاةُ عُهودِ
 هُمْ خَيْرُ أَوْلَادِهِمْ خَيْرُ وَالِدِ • لَهُ خَيْرُ آبَاءٍ مَضَتْ وَجُدُودِ
 بَنُو الْمُصْطَفَى هَارُونَ حَوْلَ سِرِّهِ • نَغِيرُ قِيَامِ حَوْلَهُ وَقُودِ
 تَهْلُبُ الْحَاظُ الْمَهَابَةُ بَيْنَهُمْ • عِيُونَ ظَبَاءٍ فِي قُلُوبِ أُسُودِ
 جُدُودِهِمْ شَمْسُ أَنْتِ فِي أَهْلَةٍ • تَبَيَّنَتْ لِرَأْيِ فِي نَجْمِ سُودِ
 فَوصله الرشيدُ بِصلةٍ مَا وَصَلَ مِثْلَهَا شَاعِرًا قَطُّ .

١٢ - مَسْلَمُ بْنُ الْوَلِيدِ^(١)

أحد الشعراء المفلّحين والبلغاء المبدعين

قال الشَّعْرُ في صباه، ولم يتجاوز به الأمراء والرؤساء، مكتفياً بما يناله من قليل المعطاء، ويُنفقه على ملاذّه مع إخوانه من خُلّعاء الشعراء، ثم أهبط الى يزيد بن مزيد الشَّيباني قائد الرشيد، ثم اتّصل بالخليفة هارون الرشيد وعُدّ من شعرائه، ومدّحه ومدّح البرامكة وحسّن رأيهم فيه . ولما أصبح الحلق والمقد يد ذى الرّياستين الفضيل بن سهل وزير المأمون في أوّل خلافته قربه وأدناه : لأنّه كان من خاصّته قبل وزارته، ولوّاه أعمالاً يُجربان اكتسب منها ألف ألف درهم ثم لزم منزله الى أن أففقها في اللّذات ، وعاد الى الفضل فقلّده الضياع بأصبهان فاكتسب منها ألف ألف أيضاً . ولما قُتِل الفضل لزم منزله ونسك ولم يمدح أحداً الى أن مات بجرجان .

ومسلم أوّل من تكلف البديع في شعره وأستكثر منه في قوله ، وسبقه بشار الى ذلك إلا أنّه لم يبلغ شأو مسلم فيه . وقد عدّ العلماء هذا التصنّع والتكلف إفساداً للشعر، إذ قد تبعه في ذلك الشعراء مثل البحتري وأبي تمام وابن المعتز وغيرهم .

(١) هو مسلم بن الوليد مولى الأنصار يلقب صريح الفوائ، شاعر متقدّم من شعراء الدولة العباسية، منشؤه ومولده الكوفة . وهو فاضل زعموا أوّل من قال الشعر المعروف بالبديع، وهو لقب هذا الجنس البديع والعلّيف، وتبعه فيه جماعة، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي، فاته جعل شعره كلّ مذهباً واحداً فيه، ومسلم كان مصنفاً متصرفاً في شعره . قال محمد بن يزيد : كان مسلم شاعراً حسن الخط، جيد القول في الشراب، وكثير من الرواة يقرّنه بأبي نواس في هذا المعنى، وهو أوّل من عقد هذه المعاني الطريفة واستخرجها . وقال القاسم بن مهرويّه : أوّل من أفسد الشعر مسلم بن الوليد، جاء بهذا الفن الذي سماه الناس البديع ثم جاء الطائي بعده فصّر فيه . توفي بجرجان سنة ٨٢٠ هـ وله ديوان مطبوع في ليدن سنة ١٨٧٥ م . وتجد أخباره في الأعاني (ج ١٣ ص ٩) والشعر والشعراء (ص ٥٢٨) والمقدّ المريد (ج ١ ص ١٤٢) .

وقد مزج مسلم كلام البدويين بكلام الحضريين ، فضمنه المعاني اللطيفة ، وكساه الألفاظ الغريبة ، فله جرالة البدويين ، ورقة الحضريين .

لقي مسلم أبا نواس فقال له : ما أحرف لك بيتا إلا فيه سَقَطٌ ؛ قال له : فما تحفظ من ذلك ؟ قال : قل أنت ما شئت حتى أريك سَقَطَكَ فيه ؛ فأنشد :

ذَكَرَ الصَّبُوحَ بِسُحْرَةِ فَارَتَا حَا * وَأَمَلَهُ دَيْكُ الصَّبَاحِ صَبَا حَا

فقال له مسلم : فلمَ أمَلَهُ وهو الذي أذكره وبه أرتاح ؟ فقال أبو نواس : فأنشدني شيئا من شعرك ليس فيه خَلَلٌ ؛ فأنشده مسلم :

عَاصَى الشَّابَّ فَرَّاحَ غَيْرِ مُفَنَّدٍ * وَأَقَامَ بَيْنَ عَزِيمَةٍ وَتَجَلَّدٍ

فقال له أبو نواس : قد جعلته رائِحا مقيما في حالة واحدة وبيت واحد ، فتشأخبا ونسأبا ساعة . وكلا اليتيم صحيح المعنى .

اجتمع أصحاب المأمون عنده يوما ، فأفاضوا في ذكر الشعر والشعراء ، فقال له بعضهم : أين أنت يا أمير المؤمنين من مسلم بن الوليد ؟ قال : حيث يقول ماذا ؟ قال : حيث يقول وقد رُئي رجلا :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ * فَطِيبُ تَرَابِ الْقَبْرِ دَلٌّ عَلَى الْقَبْرِ

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال :

يُجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا * وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

وهما رجلا بفتح الوجه والأخلاق فقال :

قُبِّعَتْ مَنَاطِرُهُ لَمِنْ خَبَرَتِهِ * حَسُنَتْ مَنَاطِرُهُ لِقُبْعِ الْمَخْبَرِ

وتنازل فقال :

هَوَى يَمِيدٌ وَحَيْبٌ يَلْمُبُ * أَنْتَ لَقِيَ بَيْنَهُمَا مَعْدَبُ

فقال المأمون : هذا أشعر من خضتم اليوم في ذكره .

قال يزيد بن مَرْيَد : أرسل الى الرشيد يوما في وقت لا يرسل فيه الى مثل ، فأتيته
لابساً سلاحى مستعداً لأمر إن أرادته منى ، فلما رآنى ضحك الى ثم قال : يا يزيد، خبرنى
من الذى يقول فيك :

تراه فى الأمن فى دِرْع مُضَاخَفَةٍ • لا يَأْمَنُ الدَّهْرَ أَنْ يَدْعَى عَلَى عَجَلٍ
ضَائِقِ الْعَيْنِ طَمُوحَ الْعَيْنِ هَمَّتْ • فَكَ الْعَنَاءُ وَأَسْرُ الْفَاتِكِ الْخَطِلِ
فقال : لا أعرفه يا أمير المؤمنين ، فقال : سَوْءٌ لَكَ مِنْ سَيِّدٍ قَوْمٍ يُدْمَحُ بِمِثْلِ هَذَا
الشَّعْرِ وَلَا يَعْرِفُ قَائِلَهُ ، وقد بلغَ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله ، وهو مسلم بن الوليد !
فانصرفْتُ فدعوتُ به ووصلته ووليته .

وروى أنه دخل على الرشيد فقال له : يا يزيد، من الذى يقول فيك :
لَا يَبْقَى الطَّيْبُ خَدِيَةً وَمَفْسِرَةً • وَلَا يُسَّحُّ عَيْنُهُ مِنَ الْكُحْلِ
إِذَا أَتَتْهُ سَيْفُهُ كَانَتْ مَسَالِكُهُ • مَسَالِكُ الْمَوْتِ فِي الْأَبْدَانِ وَالْقُلُوبِ
وإن خَلَّتْ بِحَسْبِ النَّفْسِ فِكْرُهُ • حَى الرَّجَاءُ وَمَاتِ الْخُوفُ مِنْ وَجَلِ
كَالْيَتِمْ إِنْ هَجَّتْ قَالِمُوتِ رَاحَتُهُ • لَا يَسْتَرْجِعُ إِلَى الْأَيَّامِ وَالْأَيَّامِ
فقال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين ، فقال له هارون : أيقال فيك مثل هذا الشعر
ولا تعرف قائله ! فخرج من عنده تَجَلَّاءَ ، فلما صار الى منزله دعا حاجبه فقال له : من
بالباب من الشعراء ؟ قال : مسلم بن الوليد ؛ قال : وكيف حَبَّبَتْهُ عَيْنِي ، فلم تُعَلِّمْنِي بِمَكَانِهِ !
فقال : أخبرته أنك مُضَيِّقٌ ، وأنه ليس في يديك شئٌ تعطيه إِيَّاهُ ، وسألته الإِمْسَاكَ وَالْمُقَامَ
أَيَّامًا إِلَى أَنْ تَنْتَسِعَ ، فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ وَقَالَ : أَدْخِلْهُ ، فَأَدْخَلْتُهُ إِلَيْهِ ، فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ فِيهِ :

أَجْرَزْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ فِي الصَّبَا غَزِيلٍ • وَتَمَرَّتْ هِمُّمُ الْعُدَالِ فِي عَدَلِي
هَاجَ الْبُكَاءُ عَلَى الْعَيْنِ الطُّمُوحُ هَوَى • مُفَرَّقٌ بَيْنَ تَوْدِيْعٍ وَتُحْتَمَلِ
كَيْفَ السُّلُوْ لِقَلْبٍ رَاحَ مُحْتَبَلًا • يَهْدِي بِصَاحِبِ قَلْبٍ غَيْرِ مُحْتَبَلِ

(١) أجرت فلانا رسته : تركته وشأنه ، والخلع : الذى حلق عذاره فى العبا . (٢) الطموح :

المرقعة فى الظن الى الأحبة . ومفرق : مقسم .

قَاصِي الْمَرْءِ غَدَاةَ الْبَيْنِ مُنْهِيْلٌ * من الممّوع جرى في إثر منهيْلٍ
 لولا مُدَارَاةُ دمع العين لَانْكَشَفَتْ * متى سرائر لم تظْهَر ولم تُحْمَلْ^(١)
 أما كفى الْبَيْنَ أَنْ أَرَى بِأَنْهِيْهِ * حتى رمانى بِلَحْظِ الْأَمِينِ التُّجَلْ
 مما جئنى وإن كانت مَتَى صَدَقَتْ * صَبَابَةٌ خُطْسُ التَّسْلِيمِ بِالْمُقَلْ
 ماذا على الدهر لو لانت عَرِيصَتُهُ * وَرَدَّ فِي الرَّاسِ سِنَى سَكْرَةِ الْفَزَلْ
 جُرمُ الحوادث عِنْدِي أَمَا اخْلَسَتْ * متى بَنَاتِ غِذَاءِ الْحَكْمِ وَالْكَلْ^(٢)
 وَرُبَّ يَوْمٍ مِنَ الْأَذَاتِ مُحْتَضِرٌ * قَصْرُهُ بَلْقَاءُ الرَّاحِ وَالْمُحَلْ
 وَلَيْلَةٌ خَلَسَتْ لِلْعَيْنِ مِنْ سِنَةٍ * هَتَكَتْ فِيهَا الْعُيَا عَنْ بَيْضَةِ الْجَمَلْ
 قد كَانَ دَهْرِي وَمَا بِي الْيَوْمَ مِنْ كِبَرٍ * شَرِبَ الْمَدَامَ وَعَزَفَ الْقَبَسِيَّةَ الْعُطْلْ
 إِذَا شَكُوْتُ إِلَيْهَا الْحُبَّ خَفَرَهَا * شَكَاوَى فَاحْزَرُ خَدَاها مِنْ الْخَجَلْ^(٣)
 كم قد قَطَعْتُ وَعَيْنُ الدَّهْرِ رَاقِدَةٌ * أَيَّامَهُ بِالصَّبَا وَاللَّهُوِ وَالْمَجْدَلْ
 وَطَيْبَ الْفِرْعِ أَصْفَانِي مَوَدَّتِهِ * كَأَفْأَتِهِ بِمَدِيحٍ فِيهِ مُتَفَخِّلْ^(٤)
 وَبِلَدَةٍ لِمَطَايَا الرُّكْبِ مُنْصِيَّةٍ * أَنْصِبْتُهَا بِوَجْهِ الْإِيْنِقِ الدُّلْلْ^(٥)
 فِيمَ الْمَقَامِ وَهَذَا النِّجْمُ مُعْتَرِضًا * ذَنَا النَّجْمَاءِ وَحَانَ السَّيْرِ فَارْتَمِلْ^(٦)
 يَا مَائِلَ الرَّاسِ إِنْ اللَّيْثُ مُفْتَرِسٌ * يَمِيلُ الْجَاهِجُ وَالْأَعْنَاقُ فَاعْتَمِلْ
 حَذَارٍ مِنْ أَسَدٍ ضَرْفَامَةٍ بَطْلٍ * لَا يُؤْلِغُ السَّيْفُ إِلَّا مَهْجَةَ الْبَطْلْ
 لَوْلَا يَزِيدُ لَأَخْضَى الْمُلُوكَ مُطَرِدًا * أَوْ مَائِلَ السَّمَكِ أَوْ مُسْتَرْقِيَّ الطُّوَلْ^(٧)
 سَلَّ الْخَلِيفَةُ سَيْفًا مِنْ بَنَى مَطَرٍ * أَقَامَ قَائِمُهُ مِنْ كَانَ ذَا مَبَلْ
 كَمْ صَائِلٍ فِي ذَرَا تَمِيهْدِ مَمْلَكَةٍ * لَوْلَا يَزِيدُ بَنَى شَيْئَانِ لَمْ يَعْمَلْ

(١) أى لم تظفر . (٢) يريد البحر والجواري . (٣) محنصر، أى حصيره الذنات . والخلل

جمع خلة وهى الصدقة . (٤) غفرها . أى ولد عليها الحضر وهو شدة الحياة . (٥) أى محضار

(٦) منصية : متعة . والوجيف : ضرب من السير . والهدال : العاصمات . (٧) يريد النجم

التر يا . ومعنيها : متصبا . (٨) مطردا ، أى مغلولا . وصرب السمك والظلول مثلا .

ناب الإمام الذي يفتّر عنه اذا * ما أفتّرت الحرب عن أنيابها العُصْل
 من كان يَحْتَمِل قِرْنا عند موقفه * فإن قِرْنَ يزيد غيرُ مُحْتَمِل
 سَدَ الثغور يزيدُ بعد ما أفتّرت * بقاءم السيف لا بالخلل والجيل
 كم قد أذاق حِمَام الموت من بطل * حامى الحقيقة لا يُؤقّي من الوهل
 أغرَّ أبيضُ يُغشي البيض أبيض لا * يرضى لمولاه يومَ الرّوع بالفسل
 يغشى الوغى وشهابُ الموت في يده * يرى الفوارس والأبطال بالشمل
 يفتّر عند أفتّار الحرب مبيهاً * اذا تغيّر وجه الفارس البطل
 مؤفّ على مُهج واليوم ذو رَج * كأنه أجَلٌ يسى الى أمل
 ينال بالرفق ما يبي الرجل به * كاللوت مستجيلاً يأتى على مهل
 لا يُفّسح الحرب إلا ريثَ يَتَجَمَّها * من هالك وأسير غير مُحْتَمِل
 إن شيم بارقَه حالت خلائقُه * بين العطية والإمساك والليل
 يُغشى المنايا المنايا ثم يَفْرُجُها * من النفوس مُطلّات على الهبل^(١)
 لا يرحل الناس إلا نحوَ حَجْرته * كالكيت^(٢) يُضجى اليه مُتقى السبل
 يقرى المنية أرواح الكُماة كما * يقرى الضيوف نُحوم الكوم والبزل^(٣)
 يكسو السيوف دماء الناكثين به * ويميل الهامَ تيجان القنا الذُّبُل
 يصدو قنفذو المنايا فى أيسرته * شوارباً تَحْتَدى الناس بالأجل
 إذا طَلَتْ فنة من غب طاعتها * حَيّ لها الموت بين البيض والأسل
 قد عَوَّد الطيرَ عاداتٍ وفنّ بها * فهنّ يَتَبَعْنَ فى كُلِّ مُرْتَمَل
 تراه فى الأمن فى دِرْع مُضاعفة * لا يَأْمَنُ الدهرُ أن يَدْعَى الى عَجَل
 ضايفِ العنان طموح المير هتّه * فَك العُناة وأسرُ الفاتك الخيطل^(٤)
 لا يَتَبَق الطيبُ خديه ومقرقه * ولا يمسح عينه من الكُحل

(١) الهبل : اللفقدان . (٢) الكيت : العظام الأسنة واحداها كوما . (٣) الكوم : العظام الأسنة واحداها كوما .

والبزل : جمع بازل وهو ماله تسعة أعوام . (٤) جمع حان وهو الأسير . والخطلل : ذو الخطل وهو الخطل

إذا أتتني سيفه كانت مسالكه • مسالك الموت في الأبدان والفلسل
 وإن خلت بحديث النفس فكره • حتى الرياح ومات الخوف من وجل
 كالبيت إن هجته فالموت راحته • لا يستريح إلى الأيام والأيام
 إن الحوادث لما رُمن هضجته ^(١) • أزمعن عن جار شيان بمقتل
 فالدهم يقط أولاه أو أخره • إذ لم يكن كان في أعصاه الأول
 إذا الشريك لم يفخر على أحد • تكلم الفخر عنه غير متحصل ^(٢)
 لا تكذبن فإن الحلم معدنه • ورائته في بني شيان لم تزل
 سلوا السيوف فاضوا من يحاربهم • خبطا بها غير ما نكل ولا وكل
 الزائدون قوم في رماهم • خوف الخيف وأمن الخائف الويل
 كبيرهم لا تخوم الراسيات له • حلما وطفلهم في هدى مكنهل
 سلم يزيد لها في الدين من أود • إذا سلمت وما في الملك من خلل
 أثبت سوق بني الإسلام فطأدت ^(٣) • يوم الخليج وقد قامت على زلل
 لولا دفاعك بأمن الروم إذ بعكرت ^(٤) • عن عزة الدين لم تأمن من الشكل
 ويوسف البرم قد صبحت صكره • بسكر يلفظ الأفدار ذي زجل ^(٥)
 غافضته يوم عبر النهر مهلتته • وكان محتجزا في الحرب بالمهل ^(٦)
 والمارق ابن طريف قد دلفت له ^(٧) • بسكر للنايا مسيل مغل
 لما رآك مجذا في ميتته • وإن قد لك لا يسطاع بالهيل
 شام التزال فابرقت اللقاء له • مقدم الخطو فيها غير متكل
 ماتوا وأنت غليل في صدورهم • وكان سيفك يستشفي من القل

(١) هذا مثل ، يريد لما رأت الحوادث من استعاره . (٢) نسبة إلى شريك ، وهو أحد أجداد يزيد .

(٣) هكذا في الأصل . ومعنا أن الكلمة محروقة عن (انطدلت) أي ثبتت . وهو وزن اصل من وطد .

وكانت أو قلته ثم قلبت ، فالاحمال تاء وأدم المثل في المثل . (٤) عزة الدين : جماعة الإسلام .

(٥) أحد الخوارج على الرشيد . (٦) غاضه : فاحاه على عزة . (٧) هو نويرة بن صريح الشاري .

لَوْ أَنَّ غَيْرَ شَرِيكِي أَطَافَ بِهِ • فَازَ الْوَيْدُ بِبَدْحِ النَّاضِلِ ^(١) الْخَصِلِ
 وَقَتَ الْبَلَدِينَ يَوْمَ الرَّسِّ ^(٢) فَأَحْدَلْتُ • مِنْهُ قَوَائِمُ قَدْ أَوْفَتْ عَلَى مَيْلِ
 مَا كَانَتْ جَمْعُهُمْ لِمَا لَقِيَتْهُمْ • إِلَّا كَمَثَلِ نَعَامٍ رَيْبِعٍ مُنْجَبِلِ
 تَابُوا وَلَوْ لَمْ يَتَوَبَّوْا مِنْ ذُنُوبِهِمْ • لَأَبَّ جَيْشُكَ بِالْأَسْرِ وَبِالْفَقْلِ
 كَمْ آيِنَ لَكَ نَافَى الدَّارِ مُتَمَتِّع • أَعْرَجَتْهُ مِنْ حَصُونِ الْمُلْكِ وَالْخَوَلِ
 يَا بِي لَكَ الدَّمُّ فِي يَوْمِكَ إِنْ دُرِّكَرَا • عَضْبٌ حُسَامٌ وَعِرْضٌ غَيْرُ مُبْتَدِّلِ
 وَمَا رَفِيقَ عُرَاةٍ مِنْ بِيوتِهِمْ • لَا يَنْكُوْنَ وَلَا يُؤْتُونَ مِنْ تَكَلِّ
 خَلَقْتَ أَجْسَادَهُمُ وَالطَّيْرَ مَا كَفَتْ • فِيهَا وَأَقْفَلْتَهُمْ هَامَا مَعَ الْفَقْلِ
 فَانْظُرْهَا لَكَ فِي شِيَانٍ مِنْ مَثَلِ • كَذَلِكَ مَا إِسْنَى شِيَانٍ مِنْ مَثَلِ
 كَمْ مَشْهَدٍ لَكَ لَا تُحْصِي مَا زُرَهُ • قَسَمْتَ فِيهِ كَرْزَى الْإِنْسِ وَالْخَبَلِ
 قَدْ مَنَ هَاشِمٍ فِي أَرْضِهِ جَبَلِ • وَأَنْتَ وَأَبْنُكَ رُكْنَا ذَلِكَ الْجَبَلِ
 قَدْ أَغْطَمُوكَ مَا تُدْعَى لِهَيْبَتِهِ • إِلَّا لِمُضِلَّةِ تَسْتَرْ ^(٣) بِالْعَقْلِ
 يَا رَبِّ مَكْرَمَةٌ أَصْبَحَتْ وَاحِدَهَا • أَصِيَتْ صَانِدَيْدَ رَأْمُوهَا فَلَمْ تُنَلِّ
 تَسَافَلُ النَّاسُ بِالْدُنْيَا وَزُخْرُفَهَا • وَأَنْتَ مِنْ بَلَدِكَ الْمَعْرُوفِ فِي شُغْلِ
 أَسَمْتُ مَا ذُبَّ عَنْ جَدَّوَاكَ طَالِبَهَا • وَلَا دَفَعْتَ أَعْتَرَامَ الْحَدِّ بِالْمَزَلِ
 يَا بِي لِسَائِكَ مَنَعَ الْجَسُودَ سَائِلَهُ • مَا يُجْلِجُ بَيْنَ الْجَسُودِ وَالْبَغْلِ
 صَلَفَتْ ظَلَمِي وَصَلَفَتْ الظُّلُمُونَ بِهِ • وَحَطَّ جُودُكَ عَقْدَ الرَّحْلِ عَنْ جَمَلِ

فقال له يزيد : قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم فاقبضها وأعذر ، فخرج الحاجب فقال
 لمسلم : قد أمرني أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم : خمسون ألفا منها لك
 وخمسون ألفا لتفقتة ، فأعطاه إياها . وكتب صاحب الخبر بذلك الى الرشيد ، فأمر ليزيد
 بمائتي ألف درهم وقال : إقبض الخمسين ألفا التي أخذها الشاعر وزده مثلها ، وخذ

(١) الناضل : المصيب . والنصل منه . (٢) الرس : وادي أذربيجان . (٣) تستر بالفضل :

مائة ألف لغفتك ، فافتك ضبته وأعطى مسلماً خمسين ألفاً أخرى . ولما أُنشد :
« لا يعبق الطيب » البيت . قال بخاريته : حرم علينا مسلم الطيب .

كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبي يجلس للشعراء في السنة مجلساً واحداً ، فيقصصونه
لذلك اليوم ويُشددونه ، فوجه إليه مسلم راويته بقصيدته التي أولها : « لا تدع بي الشوق »
فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء ولفقه بقب خروجه عنده ، فتقدم إلى الحاجب وحسّر
لثامه عن وجهه ، ثم قال له : أستاذن لي على الأمير ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : شاعر ،
قال : قد أنصرم وقتك وأنصرف الشعراء وهو على القيام ؟ فقال له : ويحك ! إني قد وفدتُ
على الأمير بشعر ما قالت العرب مثله ، وكان مع الحاجب أدبٌ يفهم به ما يسمع ، فقال :
هاتِ حتى أسمع ، فإن كان الأمر كما ذكرت أوصلتك إليه ؛ فأنشده بعض القصيدة ، فسمع
شيئاً يقصر عنه الوصف ، فدخل على داود فقال له : قدم على الأمير شاعرٌ بشعر ما قيل
فيك مثله ؛ فقال : أدخل قائله ؛ فلما مثل بين يديه سلم وقال : قدمت على الأمير
— أعزّه الله — بمدح يسمعه فيعلم تقدّمى على غيره ممن أمثله ؛ فقال : هات ، فلما
أفتتح القصيدة وقال : « لا تدع بي الشوق » استوى جالسا وأطرق حتى أتى الرجل على
آخر الشعر ، ثم رفع رأسه إليه فقال : أهذا شعرك ؟ قال : نعم أيها الأمير ؛ قال : فو كـ
قلته يا فتى ؟ قال : في أربعة أشهر أبشاك الله ؛ قال : لو قلته في ثمانية أشهر لكنت محسناً .
وقد اتهمتك ، بلجودة شعرك ونحول ذكرك ، فإن كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة
أشهر في مثله ، وأمرت بالإجراء عليك ، فإن جئتنا بمثل هذا الشعر وهبتُ لك مائة ألف
درهم وإلا حرمتكَ . فقال : أو الإقالة أعزّ الله الأمير ، قال : قد أقلتك ؛ قال : الشعر
لمسلم بن الوليد وأنا راويته والوافد عليك بشعره ؛ فقال : أنا آبن حاتم . إنك لما أفتحت
شعره قلت : « لا تدع بي الشوق إني غير معمود » سمعت كلام مسلم ينادي بي . فأجبت نداه
وأمسيت جالسا ؛ ثم قال : يا غلام ، أعطه عشرة آلاف درهم . وأحمل الساعة إني مسلم
مائة ألف درهم . وهذه هي القصيدة :

لا تدع في الشوق إلى غير معمود * نهي النهي عن هوى الهيف الرطيد^(١)
 لوشئت لاشئت راجعت الصبا ومشت * في العيون وفاتني يملود^(٢)
 سل ليلة أنليف هل أمضيت آخرها * بالزح تحت نسيم الخرد الفيد
 فحببت لها بلباب المزن فاعتزلت * نسجين من بين محلول ومعقود^(٣)
 كلا الجديدين قد أطعمت خبره * لوال حي إلى عمر وتخلد^(٤)
 أهلا بوافدة للشهب واحدة * وإن ترأت بشخص غير مودود
 لا أجمع الحلم والصبا قد سكت * نفسي إلى الماء عن ماء النافيد
 لم ينتهي فند عنها ولا كبر * لكن صهوت وقصني غير مخضود
 أوفى في الحلم وأتاد النهي طلقا * شأوى وعفت الصبا من غير تفيد
 أنا تجافت في الهات من بلد * نازعت أرضا ولم أحفل بتفيد
 لا تطيني ألقى عن جهد مطلب * ولا أحول شيء غير موجود^(٥)
 ويجهل كأطراد السيف محتجز * عن الأدلاء مسجور الصباخيد
 تمشي الرياح به حنرى مؤلمة * حبرى تلوذ بأطراف الجلاميد
 موقف المتزين لا تمضي السيل به * إلا التخلل ريثا بعد تجهيد
 قريبته الوخذ من خطارة مرج^(٦) * تقرى الفلاة بأزقال وتوخذ
 إليك بادرت إسفار الصباح بها * من جنح ليل رحيب الباع ممدود
 وبسلة ذات غول لا سيل بها * إلا الظنون وإلا مسرح السيد
 كأن أعلامها والآل يركبها * بئذ توافي بها تذر إلى عيد

(١) لا تدع في الشوق، أى لا تدعنى مشتاقا . وسأله دحبل عن معنى ذلك فقال : لا تدعنى صريع النوائى قلت
 كذلك، وكان لهذا القبط كارها . ومعمود : عاشق . والهيف : الصامرات المصنوعة . (٢) أى ذهبت
 بجدي . (٣) اعتزلت : اخططت، ويريد بالنسجين : ما ولى الماء من انخرأسرع فيه الماء فله،
 وما ولى منها القاع بقى على حاله لم يحله الماء بعد . (٤) الحبرة : النعم .
 (٥) الفتد : الغرم . والمخضود : الوامن . (٦) أى لا تدعنى إلى صبا . (٧) الخطارة : الناقة
 تحرك ذنبا . والسرج : الخنفة .

كَفَلْتُ أَهْوَالَهَا عَيْنًا مَوْزَقَةً * إِلَيْكَ لَوْلَاكَ لَمْ تَكْخُلْ بِتَسْيِيدِ
 حَتَّى أَتَاكَ بَنَى الْأَمَلِ مُطْلِعًا * لِلْإِسْرِ حَضْرَتُكَ فِي سِرْبَالِ عَسُودِ
 مِنْ بَعْدِ مَا أَقْبَتِ الْأَيَّامُ لِي عَرَضًا * مُلْقَى رَهِينٍ ^(١) السِّيفِ مَصْفُودِ
 وَمَا وَرَقَتِي بِنَاتُ الدَّهْرِ فَا مَتَحَتِ رِبْعِي بِمُحَلَّةٍ شِبَاهِ جَارُودِ
 إِلَى بَنِي حَاتِمٍ أَدَّى رِكَائِنَا خَوْضَ الدَّبِي وَسَرَى الْمُهْرِيَةِ الْقُودِ
 تَطْوِي النَّهَارَ فَإِنْ لَيْلٌ تَحْمِلُهَا ^(٢) بَاتَتْ تَحْمِلُهَا هَامَاتِ الْقَرَادِيدِ
 يَمُثِّلُ السَّمَاءَ بَعِيدَاتِ الْمَقِيلِ إِذَا أَلْقَى الْمَجْبِرُ يَدًا فِي كَلِّ صَبْغُودِ
 حَلَّتْ رِذَاوُدُ فَا مَتَا حَتَّ وَأَعْجَلَهَا حَذَوُ الثَّمَالِ عَلَى أَيْنِ وَتَحْرِيدِ ^(٣)
 أَعْطَى فَافَتَى الْمُنَى أَدْنَى عَطِيَّتِهِ وَأَرْهَقَ الْوَعْدَ نَجْمًا غَيْرَ مَحْكُودِ
 وَاللَّهُ أَطْلَفَا نَارَ الْحَرْبِ إِذْ أُعْرِثَ * سَرَاهَا بِمَوْقِدِهَا فِي الْغَرْبِ دَاوُدِ
 لَمْ يَلَيْتِ أَمْرًا وَلَمْ يَفْطَحْ عَلَى حَدَثٍ * إِلَّا أَمِينٌ بِتَوْفِيقٍ وَتَسْيِيدِ
 مُوَحَّدُ الرَّأْيِ تَنْشِقُ الظُّنُونُ لَهُ * عَنْ كُلِّ مُلْتَبِسٍ مِنْهَا وَمَعْقُودِ
 ثَمَنِي الْأُمُورُ لَهُ مِنْ نَحْوِ أَوْجُوهَا * وَإِنْ سَلَكَ سَبِيلًا غَيْرَ مَوْرُودِ
 إِذَا أَبَا حَتَّى قَوْمٍ عَقُوبَتُهُ * غَادَى لَهُ الْعَفْوَ قَوْمًا بِالْمُرَاصِيدِ
 كَاللَّبِثِ بِلِ مِثْلِهِ اللَّبِثُ الْمَحْصُورُ إِذَا * غَتَّى الْحَلِيدُ غِنَاءَهُ غَيْرَ تَقْرِيدِ
 يَلْقَى الْمُنْبَةَ فِي أَمْثَالِ عُذَّتْهَا * كَالسَّيْلِ بِقَلْبِ جُلُودِهَا بِجُلُودِ
 إِنْ قَصَرَ الرَّيْحُ لَمْ يَمْسُ الْخَطَا عِدْدًا * أَوْ عَرَّدَ السِّيفُ لَمْ يَتِمَّ تَحْرِيدِ
 إِذَا رَعَى بَلَدًا دَانَى مَتَاهِلَهُ * وَإِنْ بَيْنَ عَلَى شَحْطٍ وَتَبْعِيدِ
 جَرَى فَأَدْرَكَ لَمْ يُعْنَفْ بِمَهْلَتِهِ * وَأَسْتَوْدَعُ الْبَهِرَ أَنْفَاسَ الْمَجَاوِيدِ ^(٤)

(١) الرهين : الأسير . والمصفود : الموثق بالحديد . (٢) المحلة : السلة الجلدة . والجارود : المنجدة من البات . (٣) محملها : سأل بها . والقرايد : جمع قرود ، وهو المرتفع من الجبال .
 (٤) السهام : طائر يشبه القطا . والصيغود : شدة الحر . (٥) التحريد من الخرد ، وهو داء يصيب الإبهام في قوائمها . والأين : التعب . (٦) البهر : هو ما يعتري الأناس عند اعدو من ألهتهم وتتابع النعم

أَلْ مُهْلَبٌ قَوْمٌ لَا يَزَالُ لَهُمْ * رِقَّ الصَّرِيحُ وَأَسْلَابُ الْمَدَاوِدِ
 مُتَقَفِرُونَ يُصِيبُ الْحَرْبُ أَنْفُسَهُمْ * إِذَا الْفِرَارُ تَمَلَّى بِالْمَحَايِدِ^(٢)
 نَجَلٌ مَنَاجِبَ لَمْ يَتَمَّ يَلَانُكُمْ * فَتَى يُرْجَى لِقَاضٍ أَوْ لَتَوْكِيدِ
 قَوْمٌ إِذَا هَذَا شَامَتْ سَيُوفُهُمْ * فَإِنَّهَا عَقْلُ الْعُكُومِ الْمُقَاهِيدِ
 قَسَى فِدَاؤُكَ يَا دَاوُدَ إِذْ عَلِقْتَ * أَيْدَى الرَّدَى بِنَوَاصِي الضُّمْرِ الْقُودِ
 دَاوَيْتَ مِنْ دَائِهَا كُرْمَانٌ وَأَنْتَصَفْتَ * بِكَ الْمُنَوَّبَ لِأَقْسَامِ مَجَاهِيدِ
 مَلَأَتْهَا قَزَعًا أَخْلَى مَعَايِلَهَا * مِنْ كُلِّ أَلْبَغٍ سَامَى الطَّرْفِ صِنِيدِ^(٤)
 لَمَّا تَزَلَّتْ عَلَى أَدْنَى بِلَادِهِمْ * أَلْقَى إِلَيْكَ الْأَقَاصَى بِالْمَقَالِيدِ
 لَسَنَهُمْ يَبِيدُ لِلْعُضْوِ مُتَّصِلِ * بِهَا الرَّدَى بَيْنَ تَلْيِينٍ وَشَدِيدِ
 أُنْتَبَهَ مِنْ وَرَاءِ الْأَمْنِ مُطْلَعًا * بِالْجِيلِ تَرْدَى بِأَبْطَالِ مَنَاجِيدِ
 وَطَارَ فِي أَمْرِ مَنْ طَارَ الْفِرَارُ بِهِ * خَوْفٌ بِعَارِضِهِ فِي كُلِّ أُخْدُودِ
 فَاتُوا الرَّدَى وَطَلَبَتْ الْمَوْتَ تَشُدُّهُمْ * وَأَنْتَ نَعْبُ الْمُنَايَا غَيْرُ مَنُشُودِ
 وَلَوْ تَلَبَّتْ دَيَّانٌ لَهَا رَوَيْتَ^(٥) * مِنْهُ وَلَكِنْ شَاهَا عَدُوٌّ مَزْمُودِ
 أَحْرَزَهُ أَجَلٌ مَا كَلَدَ يُحْمِرْزُهُ * قَرَّ يَطْوِي عَلَى أَحْشَاءِ مَفْكُودِ^(٦)
 وَرَأْسُ يَهْرَانٍ قَدْ رَكِبْتَ قُلُّهُ * لَدَنَا كَفَاهُ مَكَانُ اللَّيْلِ وَالْجِيدِ
 قَدْ كَانَ فِي مَعَزِلٍ حَتَّى بَعَثَ لَهُ * أُمُّ الْمَنِيَةِ فِي أَبْنَائِهَا الْعِيدِ
 أَجْنٌ أَمْ أَسْلَمْتَهُ الْفَاضِحَاتُ إِلَى * حَذِّ مِنَ السَّيْفِ مِنْ يَعْلَقُ بِهِ يُودِ
 الْحَقَّةُ صَاحِيهِ فَاسْتَوَتْ بِهِمْ * ضَرْبٌ يَفْرُقُ ضَبَاتِ الْقَاهِجِدِ^(٧)

(١) رِقَّ الصَّرِيحُ، أى استبعاد الحر. والمدَاوِدُ : الاتحاد واحد ملود . (٢) المحاييد : الجناح.
 جمع محياد . (٣) الهدأة : القفرة . (٤) الألبغ : المتكبر .
 (٥) شَاهَا : سبقها . ومزمود : مرعوب . (٦) المفكود : الذى أصيب فواده . (٧) الضبات :
 أرمال الرأس . والقاهجيد : جمع قهودة وهى العلم الناقى فى مؤثر الرأس بين القفا وأصل الرأس .

أَطْرَمَ مَنْ قَرَمَ مِنْ حَرْبٍ صَبَرَتْ لَهَا * يَوْمَ الْحُصَيْنِ شِطَارٌ غَيْرَ تَجْعُودِ
يَوْمَ اسْتَضَهَتْ جَيْشَانِ طَوَائِفُهَا * عَلَيْكَ مِنْ طَالِبٍ وَثَرًا وَتَحْقُودِ
بَاهِضَتَهُمْ ذَائِدُ الْإِسْلَامِ تَهْرَعُهُمْ * عَنْهُ ثَلَاثٌ وَتَفَقَّى بِالْمُوَاحِدِ
تَجْعُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ أَنْتَ الْغَضِينِ بِهَا * وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَفْهَى غَايَةِ الْجُودِ
تَكَ الْأَزَارِقُ إِذْ ضَلَّ الدَّلِيلُ بِهَا * لَمْ يُحِطْهَا الْقَصْدُ مِنْ أَسَافِ دَاوُدَ
كَانَ الْحُصَيْنُ يُرَى أَنْ يَغُوزَ بِهَا * حَتَّى أَخَذَتْ عَلَيْهِ بِالْأَخَادِيدِ
مَا زَالِ يَنْتَفُ بِالْتَّمِي وَيَقْطَعُهَا * حَتَّى اسْتَقَلَّ بِهِ عَوْدٌ عَلَى عَوْدِ
ثَ تَوَابِ الزِّيَاحِ بِهِ * وَتَحُدُّ الطَّيْرَ فِيهِ أَضْبَعُ الْيَدِ
تَقْدُو الضُّوَارَى فَتَرِيهِ بِأَعْيُنِهَا * تَسْتَشِقُّ الْجَوَّ أَهَامًا بِتَضْيِيدِ
يَعْنِ أَيْهَاءَ طُورًا وَمَوْجَهُ * يَلْتَقِ فِي عَلَقٍ مِنْهُ وَتَجْسِيدِ
فَكَانَ فَارِطًا قَوْمَ حَانَ مَكْرَهُمْ * بَارِضَ زَادَانِ شَقَى فِي الْمَوَارِيدِ
يَوْمَ جُرَاشَةِ إِذْ شِيَانُ مُوجِفَةٍ * يَجْجُونَ مِنْكَ يَسْلُومُنْهُ مَقْدُودِ
زَاحِفَتُهُ بَابِنِ سُفْيَانٍ فَكَانَ لَهُ * شَأْ يَوْمَ بَطَّهَرَ الْغَيْبَ مَشْهُودِ
لِحَا قَلِيلًا وَوَقَى زَجْرُ عَافِيهِ * بِيَوْمِهِ طَيْرَ مَنَحُوسٍ وَمَسْعُودِ
وَلَّى وَقَدْ جَرَعَتْ مِنْهُ الْقَنَا جُرْمًا * حَىَّ الْمَغَافَةَ مَيْتًا غَيْرَ مَوْدُودِ
زَالَتْ حُشَّاشَتُهُ عَنْ صَدْرٍ مُتَمِيلٍ * دَانِي الْكُحُوبِ بِمِيدِ الصَّدْرِ أَمْلُودِ
إِذَا السُّيُوفُ أَصَابَتْهُ تَخَطَّعَ فِي * سُرَادِقٍ بِحَوَامِي الْخَيْلِ مَمْدُودِ
يَقِيدِي بِمَا تَحْتَلْتُهُ مِنْ خِلَافِهِ * حُشَّاشَةُ الزُّكُفِ مِنْ جَرْدَاءِ قَيْدُودِ
حَلَّ اللَّوَاءِ وَخَالَ الْخَيْلُ عَائِلَهُ * فَعَاذَ بِالْخَيْلِ تَرْبُ الْعُكَّابِ الرُّودِ

(١) اعذر : جاء بما يعذر عليه (٢) أي تعرت طوائفها (٣) تزا : أي استذكر .

(٤) الأياء : جمع في وهو العمل آ الحسد : ائتم . (٥) مريحة : مريحة .

(٦) أمود : ائتمس . : قصيدة الشعر . وغندود : ناقة الصويلة للمهر .

(١) وَإِنْ يَكُنْ قُبَيْهَا حَرْبًا وَقَدْ تَحَدَّثَ • فَتَائِبًا حَيْثُ لَا هَيْدَ وَلَا هَيْبَ •
 كُلُّ مَثَلٍ بِهِ فِي مَثَلِ خُلُقِهِ • قَتَلَا وَأَنْجَمَتْهُ فِي غَيْرِ مَلْعُودِ •
 عَافُوا بِرِضَاكَ فَعَاقَبْتَهُمْ بِعُقُوبِهِمْ (٢) • عَنِ الْحَيَاةِ مَنَاقِبَهُمْ لِمَوْصُودِ •
 وَأَنْتَ بِالسُّنْدِ إِذَا هَاجَ الصَّرِيحُ بِهَا • وَأَسْتَفْذَتْ حَرْبُهَا كَيْدَ الْمَكَايِدِ •
 وَأَسْتَغْزِرُ الْقَوْمَ كَأَسَا مِنْ دِمَائِهِمْ (٣) • وَاحْدَقَ الْمَوْتَ بِالْكَرَارِ وَالْجِيدِ •
 رَدَدْتَ أَهْلَهَا الْقَصُورَى غَيْبَةً • وَشِمْتَ بِالْبَيْضِ عَوْرَاتِ الْمَرَاصِدِ •
 كُنْتَ الْمَلْهَبَ حَتَّى شَكَّ مَالَهُمْ • ثُمَّ انْضَرَدْتَ وَلَمْ تُسَبِّقْ بِتَسْوِيدِ •
 لَمْ تَجِبْ السَّلْمَ إِلَّا بَعْدَ مَقْدَرَةٍ • وَلَا تَأَلَّفْتَ إِلَّا بَعْدَ تَبِيدِ •
 حَتَّى أَجَابُوكَ مِنْ مَسَائِمٍ حَذِرَ • رَاجٍ وَمُسْتَظَرٍّ حَتَّى وَفَّقُودِ •
 أَهْدَى إِلَيْكَ عَلَى الشَّعْبَاءِ أُلْفَتَهُمْ • مَوْتُ تَفَرَّقَ فِي شَتَى عِبَادِيدِ •
 وَفِي يَدَيْكَ بَقَايَا مِنْ سَرَاتِهِمْ • هُمْ لَدَيْكَ عَلَى وَعْدٍ وَتَوْعِيدِ •
 إِنْ تَفُتْ عَنْهُمْ فَأَهْلُ الْعَفْوَاتِ وَإِنْ • تُخْضِ الْعِقَابَ فَأَمْرٌ غَيْرَ مَرْدُودِ •
 اِسْمِعْ فَإِنَّكَ قَدْ هَيَّجْتَ مَلْحَمَةَ • وَقَدَدْتَ مِنْهَا بِأَرْوَاحِ الصَّادِدِ •
 أَقْدَفَ أَبَا مَالِكٍ فِيهَا يَخْجُكُ بِهَا • وَيَسْعَ فِيهَا يَجِدُكَ مِنْكَ بِمَجْدُودِ •
 يَمْضَى بِعِزِّكَ أَوْ يَمْضَى بِشَاوِكَ أَوْ • يَقْرَى بِحَدِّكَ كُلُّ غَيْرِ مَحْدُودِ •
 لَا يَعْدَمُكَ حِمَى الْإِسْلَامِ مِنْ مَلِكٍ • أَهْلَتْ قُلُوبَهُ مِنْ بَعْدِ تَأْوِيدِ •
 كَفَيْتَ فِي الْمُلْكِ حَتَّى لَمْ يَقِفْ أَحَدٌ • عَلَى ضَيَاعٍ وَلَمْ يَحْزَنْ لِمَقْصُودِ •
 أَعْطَيْتَهُمْ مِنْكَ تَصْعًا لَا كِفَاءَ لَهُ • وَأَيْدُوكَ بِرُكْنٍ غَيْرِ مَهْلُودِ •
 لَمْ يَبْعَثِ الدَّهْرُ يَوْمًا بَعْدَ لَيْلَتِهِ • إِلَّا أَنْبَعَثَ لَهُ بِالْبَاسِ وَالْجُودِ •
 أَجْرَى لَكَ اللَّهُ أَيَّامَ الْحَيَاةِ عَلَى • فَعَلِ حَمِيدٍ وَجَدَّ غَرْمُ مَنْكَوْدِ •

(١) كَلْبَانُ يَزْجُرُ بِهَا الْإِبِلَ • (٢) بِعُقُوبِهِمْ أَيُّ هُنَاتِهِمْ • (٣) الْأَهْمَالُ : جَمْعُ هَمَلٍ ، وَهُوَ

الَّتِي الْمَسِيْبُ ، وَرِوَايَةٌ الصَّغْبُ • وَبِحَيْثُ : مَدْلَفَةٌ •

لا يفقد الدين خيلا أنت قائما * يهدن في كل مفر غير مهود
 تحلات اذا آبت غائما * ومقتلت على نصر وتأييد
 هناك أنك تقدي كل مئيم * جودا وأنك ماوى كل مضرود
 تستأف الحمد في دهر أوائله * موسومة بفعال لك محمود
 اذا عزمت على أمر بطشت به * وإن ألت فيلا غير تصريد
 حودت نفسك عادات خلقت لها * صدق الحديث وإنجاز الموايد

دخل الوليد على الفضل بن سهل ليشره شعرا، فقال له : أيها الكهل ، إني أجلك
 عن الشعر فسل حاجتك؛ قال : بل تستم اليد عندي بأن تسمع، فأنشده :
 دموعها من حذار الين تنسكب * وقلها مغرم من حرها يئيب
 جد الرحيل به عنها ففارقها . لينه اللهو واللذات والطرب
 يهوى المسير إلى مرو ويحزنه . فراقها فهو ذو نفسين يرتقه
 فقال له الفضل : إني لأجلك عن الشعر؛ قال : فأغنى بما أحببت من عملك ، فولاه
 البريد^(١) يجر جان .

هما مسلم قريشا ونفر بالأنصار بشعر يمثل لك ناحية من نواحي العصبية بين القبائل
 وهو يعتبر، إلى حد ما، من الشعر السياسي، قال :

قل لمن تاه إذ بسا عز جهلا . ليس بالثيه يفخر الأحرار
 تناهوا وأقصرُوا فلقد جا . رت عن القصد منكم الأبصار
 أيكم حاط ذا جوار بعز . قبل أن تحتويه من الدار
 أوجبا أن يفوت قوما بوتر * لم تنزل تمتطيهم الأوتار
 لم يكن ذاك فيكم فدعوا الفح . ر بما لا يسوع فيه افتحار
 ونزارا ففاحروا تفصلوهم . ودعوا من به عيب نزاد

(١) لمدة عظيمة كانت بالقرب من بحر قزوين في حوض نهر قز

فَبِنَا عَزَّ مِنْكُمْ الذِّلُّ وَالْهَمُّ * سُرَّ طَيْبِكُمْ بِرَيْبِهِ • تَرَاد
حَافِرُوا دَوْلَةَ الزَّيْمَانِ طَيْبِكُمْ * إِنَّهُ يَنْ أَهْلَهُ أَطْوَار
فَتَرَدُّوْا وَنَحْنُ لِحَالَةِ الْأَوِّ * لِي وَلِلْأَوْحَدِ الْأَذَلِّ الصَّخَار
فَانْتَرَيْنَا لَهَا بِسْطَنًا لَهَا الْفَعْدُ * مَرْقَرِيشَ وَفُغْرَهَا مُسْتَعَار
ذَكَرْتُ عَزَّهَا وَمَا كَانَ فِيهَا * قَبْلَ أَنْ تَسْتَجِيرَنَا مُسْتَجَار
إِنَّمَا كَانَتْ عَزَّهَا فِي جِبَالِ * تَرْتَقِيهَا كَمَا تَرْقَى السَّيَّار
أَيُّهَا الْفَانُحُونَ بِالْعَزِّ وَالْعَدِّ * زُلْزَلُكُمْ سَوَامٌ وَالْفَخَار
أَخْبَرُونَا مِنَ الْأَعَزِّ الْمَدِّ * صُورَ حَتَّى أَهْلَى أُمِّ الْأَنْصَار
فَلَنَا الْعَزَّ قَبْلَ عَزِّ قَرِيشَ * وَقَرِيشٌ تِلْكَ الدَّهْورَ نِجَار

فَانْبَرَى لَهُ ابْنُ قَتْرَبِيحَةَ فَقَالَ :

أَلَا أَمْثَلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمُسْلِمٍ * وَأَقْلَقَ بِهِ الْأَحْشَاءَ مِنْ كُلِّ مُجْرِمٍ
وَلَا تَرْجِعَنَّ عَنْ قَتْلِهِ بِاسْتِنَابَةٍ * فَا هُوَ عَنْ شَتْمِ النَّبِيِّ بِمُحَرِّمٍ
وَلَا عَنْ مُسَاوَاةٍ لَهُ وَلِقَوْمِهِ * قَرِيشًا بِأَصْدَائِهِ لِعَادٍ وَبِرَّهِمْ
وَيَفْخَرُ بِالْأَنْصَارِ جَهْلًا عَلَى الَّذِي * بِنَصْرَتِهِ فَازُوا بِحَقِّظٍ وَمَقْصَمٍ
وَتَمَسَّوْا بِهِ الْأَنْصَارَ لَا عَزَّ قَائِلٍ * أَرَادَ قَرِيشًا بِالْمَقَامِ الْمَذْمُومِ
وَمِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ أَزَى مَنْ أَنْتَقَى * إِلَى نَسَبِ زَاكِ وَمَجْدِ مَقْدَمِ
وَمَا كَانَتْ الْأَنْصَارُ قَبْلَ احْتِصَامِهَا * بِنَصْرِ قَرِيشَ فِي الْحَمْلِ الْمَعْظَمِ
وَلَا بِالْأُلَى يُعْلَوْنَ أَقْدَارَ قَوْمِهِمْ * صُدَّاءِ وَخَوَلَانِ وَنَحْمِ وَسَلَوِيهِمْ
وَلَكِنَّهُمْ بِاللَّهِ عَانُوا وَنَصَرِهِمْ * قَرِيشًا وَمَنْ يَسْتَعِصِمُ اللَّهَ يَعْصِمِ
فَقَسَّوْا وَقَدْ كَانُوا وَفَطِيوُنُ فِيهِمْ * مِنَ الذِّلِّ فِي بَابِ مِنَ الْعَزِّ مَبْهِمِ
يَسُومُهُمُ الْفَطِيوُنُ مَا لَا يُسَامُهُ • كَرِيمٍ وَمَنْ لَا يُشْكِرُ الظَّلْمَ يَقْلُمِ
وَإِنَّ قَرِيشًا بِالْمَآثِرِ قُضِّلَتْ * عَلَى الْخَلْقِ طَرًا مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ

فإل هذا اليلع ضللله * يئذ الهم كفف أئئم أئئم
 يسامى قريشا مسلم وههم هم * بمولى يئانى وبيت مههم
 اذا قام فيه غيرهم لم يكن لهم * مقام به من لؤم مئنى ومئهم
 جماسيس^(١) أشباه القرد لو أنهم * يياحون ما أبئعوا جيماء بدرهم
 وما مسلم ولا ولا * ولكئنه من نسل علع مئكم
 تولى زمانا غيرهم ثم آدعى * فلم يكرم ولا يكرم
 فإن يك منهم فالتفسير ولقهم * والبه لا من يئذى بالترم
 وإن تدعه الأنصار مولى أئهم * يئافئ يئكه الجله بالله
 عقابا لهم فى إفكهم وأدعائهم * لأئلف منقوش الذراع
 فلا تدعوه وآتفوا منه تسلموا * يئفكوه من مقال وماهم
 وإلا فغضوا الطرف وآتظروا الردى * اذا آئلفت فىكم صوارد أسهمى
 ولم يئملوا عنها يئئكم * اذا آئلئت من كل فئع ومئلم
 وأنتم بنو أئئب من أئم له * ولستم بأبناء السئام المئقدم
 ولا يئنى الرأس الرفيع عئله * فئسموبكم مولى مسام ويئئمى
 فكيف رضئتم أن يسامى نئكم * بئئكم الرئ القصير المئهم
 ساحل من سامى النئ تطاولا * عئله وأكئوى مئئاه يئسمى
 أئئدل بئ يئربئ بكئبة * قئتها قريش فى المكان المئزم
 قريش خبار الله والله خصهم * بذلك فائمس أئما العلع وأرغم
 ومن تدعى منه الولاء مؤئر * اذا قيل للجارى الى الفئء أقئم
 وكان مسلم قال قصئده فى قريش وكئمها * فوءئت الى ابن قئرب وأجابه عنها فاستعل
 عئله وهئكه وأغرى به السلطان * فلم يكن عند مسلم فى هذا جواب أئكر من الانتفاء منها

(١) الجماسيس : اللام فى اللئق والئق .

ونسبها الى ابن قنبر والأكطاء عليه أنه الصقها به ونسبها اليه ليعرضه للسلطان وخافه ، فقال
يتنى من هذه القصيدة :

دعوت أمير المؤمنين ولم تكن * هناك ولكن من يخف يخبث
وانك إذ تمحو الخليفة ناصرا * لكلمتني في السماء بسلم
كذلك العبدى تدعو من حيث لا ترى * وإن توقفه ثمت في التوهم
هبوت قريشا حامدا وتحتنى * رؤيدك يظهر ما تقول فيعلم
إذا كان مثل في قبلى فإنه * على ابن لوى قصرة غيرتهم
سيكشفك التمديد عما قدفتى * به فتأخر عارفا أو تقدم
فإن قريشا لا يقادر ودعا * ولا يستمال عهدا بالترحم
مضى سلف منهم وصلى بقبهم * لنا سلف في الأول المتقدم
جروا بغيرنا سابقين بسبقهم * كما آتبت كفى نواشر معصم
وإن الذى يسى ليقطع بيننا * ككتمس اليربوع في حجر أرم
أضلك قرع الآبدات طريقها * فأصحت من عيائها في تهم
وخاتك عند الجرى لما آتبتها * نعيم لحاول العلاء بالتقحم
فأصحت ترمينى بسهمى وتبقى * يدى يدى أصليت نارك فاضرم

ثم هجاه ابن قنبر بقصيدة أولها :

قل لعبد النصير مسلم الوغ * يد الدنى اللثيم سنخ النصاب
إخس يا كلب إذ نجت فإنى * لست ممن يجيب نبح الكلاب
أفأرضى ومنصبى منصب العز * ويبقى في ذروة الأحساب
أن أحط الرفيع من تملك ببنى * بمهاجاة أوشب الاوشاب
من إذا سبل من أبوه بدا منه * به حباه يحميه رجع الجواب

وإذا قيل حين يُقِيل من أد * ست ومن تعزّيه في الأنساب
قلت هاجي ابن قبر قسربل * ست بذكري غفرا لدى القناب

وهي قصيدة طويلة فلم يحبه عنها مسلم بشيء فقال فيه ابن قبر أيضا :

لست أنفيك إن سوى قفاكا * من أيبك الذي له ممتكا
ولمّا أنا أهلك يابن الوليد * من أب إن ذكرته أنواكا
ولو أني طلبتُ الأم منه * لم أجده إن لم تكن أنت ذاك
لو سواه أبوك كان جملنا * إذا الناس طأومونا أباك
حاك دهرنا بغير حنق لبديد * ونحسوك الأشعار أنت كذاكا

ثم هاج بشعر أقذع فيه، فغنى إليه قوم من مشايخ الأنصار واستعانوا بشيخة من قراء
تيم وذوى الفضل والعلم، فمشوا معهم إليه. فقالوا: ألا تسعى من أن تهجو من لا يبيحك!
أنت بدأت الرجل فأجابه، ثم عدت فكف، وتجاوزت ذلك إلى ذكر أمر أراض الأنصار التي
كان رسول الله صل الله عليه وسلم يبعثها ويذب عنها ويصونها لغير حال أحلت ذلك منهم.
فما زالوا به يظفونه ويقولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لمسلم فانقطعت .

ولمسلم بن الوليد :

وإني وإسماعيل يوم ودّاعه * لك القمء يوم الرّوع فارقه النّعل
أما والحبالات المخرّات بيننا * وسائل أدتها الموقّة والوصل
لما خنت عهدا من إخاء ولا نأى * بذرك نأى عن صبرى ولا شغل
وإني في مالى وأهلى كأنى * لنأيك لا مألّ لدى ولا أهل
يذكرك نيك النّدين والفضل والحق * وقيل الخنا وأحلم وألمه والجهل
فألقاك عن مذمومها متزّها * وألقاك في محمودها وثك الفضل
وأحمد من أخلاقك البخل إنه * يعرضك لا يسلح حشا لك البخل
أمتبعا مَرّوا بأهوال همة * دَعِ القيل وأحمل حجة ما هذا بقل

ثناء كعُرف الطيب يُهدى لأهله * وليس له إلا بنى خالد أهل
فإن أغش قوما بعدهم أو أزورهم * فكالوحش يستدنيه للقنص المحل

وله يرثي يزيد بن مزيد :

أحقُّ إنَّه أودى يزيد * فأقلُّ أيها الناعي المشيد
أمدى من نيت فكيف فاهت * به شفتاك كان به الصيد
أحامي المجد والإسلام أودى * فما للأرض ويحك لا تميد
أمل هل ترى الإسلام مالت * دعائمُه وهل شاب الوليد
وهل شئت سبؤُ بنى زار * وهل وُضمت عن الخيل اللبود
وهل تسقى البلادَ عِشارُ مُزن * بدرتها وهل يخضرُ عود
أما هُتت لمصرعه زار * بلَى وهوى المجد المشيد
وحلَّ ضريحه إذ حلَّ فيه * طريفُ المجد والحسب التليد
أما واقع ما تنفك عيني * عليك بدمعها أبدا تجود
فإن تمجد دموع لئيم قوم * فليس لدمع ذى حسب جمود
أبعد يزيد تخترن البواكى * دموعا أو تُصان لها خدود
لِتَبْكِكَ قُبَّةُ الإسلام لما * وهت أطنأها وهى العمود
ويبكك شاعر لم يُتقى دهرُ * له نَسْبا وقد كَسَدَ القصيد
فمن يدعو الإمامَ لكل خطب * ينوب وكل مُعضلة تُشود
ومن يَمِي الخيل إذا تَمايا * بميلة نفسه البطل التجيد
فإن تهلك يزيدُ فكلَّ حق * فرسٌ للنية أو طريد
ألم تعجب له أن المنايا * فتكن به وهنٌ له جنود
لقد عزى ربيعة أن يوما * عليها مثل يومك لا يعود

١٣ - العباس بن الأحنف^(١)

قال إبراهيم بن العباس يصفه : كان واقه من اذا تكلم لم يحب سامعه أن يسكت ، وكان قصيبا جميلا غريفا اللسان ، لو شئت أن أقول كلامه كله شعر لقلت .

وقال صالح بن عبد الوهاب : كان العباس من عرب نُرَاسان ومنشؤه ببغداد ، ولم تزل العلماء تقاتمه على كثير من المحدثين ، ولا تزال قد ترى له الشيء البارع جدا حتى تلحقه بالمحسين .

وقال الجاحظ : لولا أن العباس بن الأحنف أحذق الناس وأشعرهم ، وأوسعهم كلاما وخطرا ، ما قدر أن يُكثَر شعره في مذهب واحد لا يحاوزه ، لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسب ولا يتصرف ، وما تعلم شاعرا ألزم فنا واحدا لزومه فأحسن فيه وأكثر .

أنشد الجرمازي للعباس بن الأحنف :

لا جزي الله دمع عيني خيرا + وجزي الله كل خير لسان

ثم دمي طيس يكتم شيئا . ورأيت اللسان ذا كتمان

نمت مثل الكلاب أخفاء طي + فاستدوا عنه بالعنوان

ثم قال : هذا واقه طراز يطلب الشعراء مثله فلا يقدرون عليه .

(١) كان العباس شاعرا غزلا مضبوذا من شعراء الدولة العباسية . وله مذهب حسن ، ولديانة تحره وروى ، ولحنائه عذوبة ولطف ، ولم يكن يجاوز النزل إلى مدح ولا هجو ، ولا يتصرف في شيء من هذه الحان . وقدمه أبو العباس المبرد في كتاب الرضة عن قترانه وأُصِبَ في وصفه . وقال : رأيت جماعة من الزواة يمشرونه . قال : وكان العباس من الظرفاء ولم يكن من الخلفاء ، وكان غزلا ولم يكن فاسقا ، وكان ضارفا ولم يكن ملوكا . انتهى شديد الظرف . وذلك بين في شعره ، وكان قصده العزل وتسله السب ، وكان حلويا مقلدا لغيره . عزيز المنكر واسع الكلام كثير التصرف في النزل وحده ، ولم يكن هجاء ولا مدح . وله ديوان صحيح ديوان ابن مطروح . دأب عليه ستة ١٢٩٨ هـ ويحد أخباره وأشعاره في الأُصْبَى (ج ٨ ص ١٥) وأبو حنبل (ج ١ ص ٣٤٦) ونشعر والشعراء (ص ٥٢٥) .

وكان أبو الهذيل المَلَّاف يُغضبه ويلعنه لقوله :

إذا أردتُ سُلُوكاً كان ناصركم * قلبي وما أنا من قلبي بمقتصر
فاكثروا أو اقلوا من إساءتكم * فكل ذلك محمولٌ على القدر

فكان أبو الهذيل يلعنه ويقول : يتعد الكفر والفجور في شعره، فقال العباس — وقال

محمد بن يحيى : وأظن أنه يهجو به أبا الهذيل وما سمعتُ للعباس هجاء غيره — :
يا مَنْ يكذب أخبارَ الرسول لقد * أخطأت في كلِّ ما أتى وما تذر
كذبتُ بالقدر الجارى عليك قد * أذاك متى بما لا تشهى القدر

قيل للأصمى : ما أحسن ما تحفظ للحديثين ؟ قال : قولُ العباس بن الأحنف :

لو كنتِ عاتبة لسكن روعى * أملِ رضاك وزرتُ غيرَ مراقب
لكن مللت فلم تكن لي حيلة * صدَّ الملولِ خلافَ صدِّ العاتب

ومما أنشده له إبراهيم بن العباس :

قالت ظلُّومُ سَيِّمةِ الظلم * مالى رأيتُكَ ناحِلَ الحِمم
يا مَنْ رَمَى قلبي فأقصده * أنتَ العلِّيمُ بموضع السهم

ولشعره الغزليّ وقع في النفس، فانهم كانوا يفتنون كثيراً منه كقوله :

لو كنتِ عاتبة لسكن روعى * أملِ رضاك وزرتُ غيرَ مراقب
لكن مللت فلم تكن لي حيلة * صدَّ الملولِ خلافَ صدِّ العاتب

وأنشده الأصمى :

أناذنون لصبِّ في زيارتكم * فصنكم شهواتُ السمع والبصر
لا يُضمِّر السوءَ إن طال الجلوسُ به * عَفَّ الضميرُ ولكن فاسق النظر

فقال : ما زال هذا الفتى يُدخل يده في رِجاءه فلا يُخرج شيئاً حتى أدخلها فأخرج هذا،
ومن أدمن طلبَ شيءٍ ظفر ببعضه .

وقال سعيد بن جريد : ما أعرف أحسن من شعر العباس في إخفاء أمره حيث يقول

أُرِيدُكَ بِالسَّلامِ فَأَتَقِيهِمْ * فَأَعْمِدُ بِالسَّلامِ إِلَى سِوَاكَ

وَأَكْثَرُ فِيهِمْ مَخْصِي لِيَخْفَى * فَيَسْتَضِاحُكَ وَالْقَلْبُ بِكَ

ومما تمثل به الواثق في شركان بينه وبين بعض جواريه :

عَدَلُ مِنَ اللَّهِ أَبْكَائِي وَأَضْحَكُنِي * فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَلُ كُلِّ مَا صَنَعَا

الْيَوْمَ أَبْكِي عَلَى قَلْبِي وَأَتَذَبُّهُ * قَلْبُ أَلْحَ عَلَيْهِ الْحُبُّ فَانْصَدَمَا

ومما تمثل به أيضا في مثل ذلك :

أَمَّا تَحْسِينِي أَرَى الْعَاشِقِينَ * بَلَى ثُمَّ لَسْتُ أَرَى لِي تَغْيِيرَا

لَمَلِّ الَّذِي بِيَدَيْهِ الْأُمُورُ * سَيَجْعَلُ فِي الْكُرْهِ خَيْرًا كَثِيرَا

وقال الزبير : ابن الأحنف أشعرُ الناس في قوله :

تَمَثَّلُ بِالشَّغْلِ عَنَّا مَا تَكَلَّمْنَا * الشَّغْلُ لِلْقَلْبِ إِيْسَ الشَّغْلُ لِلْبَدَنِ

ويقول : لا أعلم شيئا من أمور الدنيا خيرا وشرها إلا وهو يصلح أن يتثمل فيه بهذا

النصف الأخير .

وقال إسحاق : لقد عُرف ابن الأحنف في قوله — يصف طولَ عهده بالنوم — :

قِفَا خِبْرَانِي أَيُّهَا الرِّجْلَانِ * عَنِ النَّوْمِ إِنْ الْمَجَرَّ عَنْهُ نَهَانِي

وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوْمُ أَمْ كَيْفَ طَعْمُهُ * صِفَا النَّوْمَ لِي إِنْ كُنْتُمْ تَصِفَانِ

على قلة إعجابه بتثمل هذه الأشعار .

قال أحمد بن إبراهيم : رأيت سلمة بن عاصم ومعه شعر العباس بن الأحنف . وقلت

مَثَلُكَ أَضْرَكَ اللَّهُ يَحْمِلُ هَذَا ! فَقَالَ : أَلَا أَحْمِلُ شَعْرَ مَنْ يَقُولُ :

أَسَأْتُ إِذَا أَحْسَنْتُ ظَنَّنِي بِكُمْ * وَلِخِزْمٍ سُوءٍ ظَنَّنِي بِالْبَاسِ

فَقُلْتُ الشُّوقُ فَاتَسَكُّ * وَالْهَنْبُ مَسْبُوءٌ مِنَ الْبَاسِ

وقال أحمد بن إبراهيم : أتاني أعرابي فصيحٌ ظريفٌ ، فجعلتُ أكتب عنه أشياءَ حسناً ،
ثم قال : أنشدني لأصحابكم المحضرين ، فأنشدته للعباس بن الأحنف :
ذكرُك بالتُّفاح لما شِئِمْتُهُ * وبالزَّاح لما قابِلْتُ أَوْجُهُ الشَّرِبِ
تذكرْتُ بالتُّفاح منك سِوَالفَا * وبالزَّاح طمأ من مَقْبَلِك العَدْبِ
فقال : هذا عندك وأنت تكتب مِنِّي ! لا أنشدك حرفاً بعد هذا .

وقال عبد الله بن العباس بن الفضل : ما أعرف في العراق أحسن من قول ابن الأحنف :
سبحانَ ربِّ العلا ما كان أغْفَى * عما رمتني به الأيامُ والزَّمَنُ
من لم يُلْقَ فرقةَ الأحبابِ ثم يرى * آثارهم بعدهم لم يدِرْ ما الحَزَنُ
قال حسين بن الضحَّاك : لوجاء العباس بقول ما قاله في بيتين في أبياتٍ لعنذر ، وهو قوله :
لعمرك ما يستريحُ الحبُّ حتى يسوِّحَ بأسراره
فقد يكتمُ المرءُ أسرارَه * فتظهرُ في بعض أشعاره
ثم قال : أما قوله في هذا المعنى الذي لم يتقدمه فيه أحد فهو :

الحبُّ أملكُ للفرِّادِ بقهرِه * من أن يرى للسترِ فيه نصيبُ
وإذا بدا سرُّ اللبيبِ فإنه * لم يَسُدْ إلا والتقى مغلوبُ

وقال أبو المتاهية : ما حسدتُ أحداً إلا العباس بن الأحنف في قوله :
إذا امتنع القريبُ فلم تَسَلْه * على قريبٍ فذاك هو البعيدُ

وقال الكِنْدِيُّ : العباس بن الأحنف مَبِيعٌ ظريفٌ حكيمٌ جَزَلٌ في شعره ، وكان قليلاً
ما يَرْضَى الشعرَ ، فكان يُنْشِدُه كثيراً :

ألا تَعَجَّبُونِ كما أُعْجِبُ * حبيبٌ يُسَى ولا يُعْتَبُ
وأبى رضاه على شُغْطِه * فيأبى على ويستصحبُ
فإليت حطًى إذا ما أسأ * ت أنك ترضى ولا تنقُصُ

وكان إبراهيم الموصلي مشغوقاً بشعر العباس فيغنى في كثير من شعره، فما غنى فيه :
 وقد مُلِئت ماء الشباب كأنها • فضيبٌ من الزمان ريان أخضر
 هم كتموني سيرهم حين أزمعوا • وقالوا أئمتنا للروح وبصكروا
 ومنه :

تمنى رجالٌ ما أحبوا وإنما • تمنيتُ أن أشكو اليك وتسما
 أرى كلَّ معشوقين غيري وضيها • قد استمذا طولَ الهوى وتتما
 ومنه :

يكت غنى لأنسراج • من الحزن وأوجاع
 ولما في كل يوم حشدكم يحطى بي الساع
 أبيض الدهر إن حشت • بقلب منك ممرتاج
 وإن حلَّ بي البعد • سيتعاني لك الناع

وقال الواثق بلطائه : أريد أن أصنع لحناً في شعر معناه أن الإنسان كاشاً من كان
 لا يقدِر على الاحتراس من عدوه، فهل تعرفون في هذا شيئاً؟ فأنشدوه ضرباً من الأشعار،
 فقال : ما جئتم بشيء مثل قول العباس بن الأحف :

قلبي الى ما ضرني داعي • يكثر أنسقامي وأوجاعي
 كيف احترامي من عدوي اذا • كان عدوي بين أضلاعي
 أسلمني لقلب أشياعي • لما سعى بي عندها الساعي
 لقلبا أبقي على كل ذا • يؤشك أن يتعاني الناعي
 ومما غنى فيه من شعره :

أيبي الذين أذاقوني موتهم • حتى اذا أيقظوني للهوى رقدوا
 وقال إبراهيم بن العباس : ما رأيت كلاماً محدثاً أجزلَ في رقة ، ولا أصعبَ في سهولة .
 ولا أبلغَ في إيجاز، من قول العباس بن الأحف :
 تعالى نجد دارس العهد بيننا • كلاماً على صول الحقاء مَنوه

وأشد إبراهيم بن العباس للأحنف :

إن قال لم يفعل وإن سئل لم • يسئل وإن عوتب لم يعتب
جبب بعضياني ولو قال لي • لا تشرب البارد لم أشرب
إليك أشكو رب ما حل بي • من صد هذا المذنب المفضب

ثم قال : هذا واقعه الكلام الحسن المعنى ، السهل المورّد ، القريب المتناول ، المليح
اللفظ ، المذنب المستمع .

ومما غنى فيه من شعره

نام من أهدى لي الأرقا • مستريحاً سامي قفا
لو بيت الناس كلهم • بشهادي بين الحدا
كان لي قلب أعيش به • فاصطلي بالحب فاحترقا
أنا لم أرزق مودتكم • إنما للعبد ما رزقا

وقال ابن المعتز : لو قيل : ما أحسن شيء تعرفه لقلت : شعر العباس بن الأحنف :

قد صعب الناس أذيال الظنون بنا • وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالحب غيركم • وصادق ليس يذري أنه صدقا

ومما تمثل به الفضل بن الربيع في أمر كان بينه وبين إحدى جواريه :

تعمل عظيم الذنب ممن تحبه • وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم
فإنك إلا تغفر الذنب في الهوى • يفارقك من تهوى وأنتك راغم

أشد محمد الموصلي قصيدته التي يقول فيها :

كل شيء أقوى عليه ولكن • ليس لي بالفراق منك يدان

بجعل يستحسنه ويردده ، فقال له عبد الله بن ربيعة الرقي : أنت الفداء لمن ابتدأ هذا
المعنى فأحسن فيه حيث يقول — وهو العباس بن الأحنف — :

سلبتني من البرود ثيابا * وكسيتني من الموم ثيابا
كلما أغلقت من الوصل بابا * فصغت لي الى الميتة بابا
عذيتني بكل شيء سوى الصدف ذقت كالصدود عذابا

قال الرائي - وقد ذكر عنده العباس بن الأحنف - : والله لو لم يقل من الشعر
إلا هذين البيتين لكفيا :

أحرم منكم بما أقول وقد * نال به العاشقون من صَحَقُوا
صرتُ كافي دُبالَةً نصبت * نُضِيء للناس وهي تحترقُ

ألف الرشيد العباس بن الأحنف، فلما خرج الى خراسان طال مقامه بها، ثم خرج الى
أرمينية والعباس معه، فاشتاق الى بغداد، فعارضه في طريقه، فأنسده :

قالوا خراسانُ أَقْصَى ما يُراد بنا * ثم القُفُولُ نَقْد جِثَا خراسانَا
ما أَقْدَر الله أن يَذِنَ على قَحْطِ * سَكَانِ دِجْلَةٍ من سَكَانِ جَبَّانَا
مضى الذي كنتُ أَرْجوه وأملُهُ * أما الذي كنتُ أَشْغاه فقد كانَا
حينُ الزمانِ أصابَتْنا فلا نَظَرْتُ * وَهَدَّبْتُ بِصُنُوفِ الحَبَرِ أَلوانَا

فقال له الرشيد : قد اشتقت يا عباس، وأذنت لك خاصة، وأمر له بتلاثين ألف درهم .

وقال مُصْعَبُ الزُّبَيْرِي : العباس بن الأحنف وعمر بن أبي ربيعة ما ابتذلا شعرهما
في رغبة ولا رهبة، ولكن فيما أحباها، فلزما فنا واحدا لولزمه غيرهما ممن يكثرُ إظهارهما
لضعف فيه .

١٤ - ابن مَنَافِرٍ

كان يَتَحَوَّصِدِيَّ بن زَيْد في شِعْرِهِ، وَيَمِيلُ إِلَيْهِ وَيَقْدِمُهُ، وَقَدْ مَدَحَ آلَ بَرْمَكٍ وَغَيْرَهُمْ . وَلَمَّا نُبِكَتِ الْبَرَامِكَةُ وَأَلَّتِ الْوِزَارَةَ إِلَى عَدُوِّهِمُ الْفَضْلِ بن الرِّبِيعِ أَصْبَحَ شِعْرُهُ الْبَرَامِكَةَ فِي خَطَرٍ، فَأَرَادَ ابْنُ مَنَافِرٍ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى الرَّشِيدِ طَلَبًا لِلرِّزْقِ، فَأَخْتَمَ ذَهَابَهُ إِلَى ابْنِ أَلْبَجِ وَهَتَمَ إِلَيْهِ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ بِقَصِيدَةٍ، فَلاحَ الْبُشْرَى وَجْهَ الرَّشِيدِ؛ فَقَالَ الْفَضْلُ بن الرِّبِيعِ لِلرَّشِيدِ : هَذَا شَاعِرُ الْبَرَامِكَةِ ! فَمَهَسَ الرَّشِيدُ؛ فَقَالَ الْفَضْلُ : مَرُّهُ أَنْ يُنْشِدَكَ قَوْلَهُ فِيهِمْ : أَنَا بَنُو الْأَمْلَاقِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ، فَأَمَرَهُ، فَأَعْتَذَرَ، فَاحْطَبَهُ، فَأَنْشَدَهُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ الَّتِي يُطْلِقُ بِهَا الْبَرَامِكَةَ :

أَنَا بَنُو الْأَمْلَاقِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ * قَبَاطِيبَ أَخْبَارٍ وَيَا حُسْنَ مَنَظَرٍ
إِذَا وَرَدُوا بِطَلْعَاءِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ * يَبِيحِي وَالْفَضْلُ بن يَحْيَى وَجَعْفَرُ
فَتَطَلَّمَ بِقَدَادٍ وَيَحْلُولُنَا الدُّبَى * بِمَكَّةَ مَا حَجَّجُوا ثَلَاثَةَ أَفْرَ
لَمَّا صَلَحَتْ إِلَّا بِالْجُودِ أَكْفُهُمْ * وَأَرْجُلُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادٍ مِثْبَرٍ
إِذَا رَاضَ بِحَيِّ الْأَمْرِ ذَلَّتْ صِبَايَهُ * وَحَسْبُكَ مِنْ رَاجِعٍ لَهُ وَمُدَبِّرٍ
تَرَى النَّاسَ إِجْلَالًا لَهُ وَكَانَتْهُمْ * غَرَانِيقُ مَاءٍ تَحْتَ بَازٍ مُصَرِّمٍ^(٢)
^(٣)

وَلَمَّا فَرَّخَ مِنْهَا أَتْبَعَ ذَلِكَ قَوْلَهُ : « كَانُوا أَوْلِيَاءَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا مَدَحْتُهُمْ » فَأَمَرَ الرَّشِيدُ أَنْ يُلْقَمَ، فَلَطَمُوهُ، وَأَمَرَ أَنْ يُسَحَبَ، فَسَحَبُوهُ وَنَجَّحَ لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ؛ فَلَقِيَهُ

(١) هو محمد بن منافِرٍ، مولد لبني ربيعة، ويكنى أبا جعفر، شاعر صليبي، مقدّم في العلم بالغة وإمام فيه. حتى أخذ عنه أكار أهلها. وكان في أوّل أمره يتعبد ثم عدل عن ذلك، فهجا الناس وتهنك وخلع وقذف أعراض أهل البصرة حتى هي عنها إلى الهواز، فأتى هناك سنة ١٩٨ هـ. وتجد أخباره في الأمانى (ج ١٧ ص ٩) والشعر والشعراء (ص ٥٥٣).
(٢) الغرائيق: جمع عروق، وهو طائر مائي أسود وقيل أبيض بشه الكوكبي.
(٣) مصرع: صاغ بيده.

أبو نواس فدفع إليه صُرَّةً فيها ثلاثمائة دينار ، وقال له : استمن بهذه وأعذرني . ولم يصد
أبنٌ مناذر يرى خيراً بعد البرامكة .

قال الحسن بن علي كما عند باب سُفْيَان بن عُيَيْنَةَ وقد هَرَبَ منا وعنده الحسن بن علي
التُّخْتَاخ ورجلٌ من أصحاب الرشيد ، فغلا بهم وليس يأذن لنا ، فجاء أبنٌ مناذر فقرب من
الباب ثم رفع صوته فقال :

يَعْمُرُو بِالزُّهْرَى وَالسَّافِ الْأُلَى * بِهِم تَبَتَّ رِجْلَاكَ عِنْدَ الْمُقَادِمِ
جَعَلَتْ طَوَالَ الدَّهْرِ يَوْمًا لَصَاحِ * وَيَوْمًا لَصَبَاحٌ وَيَوْمًا لِحَاتِمِ
وَالْحَسَنُ التُّخْتَاخُ يَوْمًا وَدُونِهِمْ * خَصَصَتْ حَسِينًا دُونَ أَهْلِ الْمَوَاسِمِ
نَظَرْتُ وَطَالَ الْفِكْرُ فَيْكَ فَلَمْ أَجِدْ * رَحَاكَ جَرَتْ إِلَّا لِأَخِيهِ الدَّرَاهِمِ

فخرج سُفْيَان وفي يده عصا وصاح : خذوا الفاسق ، فهرب أبنٌ مناذر منه وأذن لنا فدخلنا .
كان الرشيد قد وصلَ أبنٌ مناذرَ مَرَاتٍ صَلَاتٍ سَيِّئَةٍ ، فلما مات الرشيد رثاه بقوله :

مَنْ كَانَ يَمْكِي لِلْعَمَلِ * مَلِكًا وَلِلْهِمَّ الشَّرِيفِ

فَلْيَكِ هَارُوتُ الْخَلِيفِ * غَفَةً لِلْخَلِيفَةِ الْخَلِيفِ

قال علي بن محمد التُّوفِيُّ : رَأَيْتُ أبنَ مَنَازِرٍ فِي الْبَلَدِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً وَهُوَ قَدْ كُفِّ
بَصَرُهُ تَهْوُدُهُ جَوِيرِيَّةٌ حُرَّةٌ وَهُوَ وَاقِفٌ يَشْتَرِي مَاءَ قِرْبَةٍ ، فَرَأَيْتُهُ وَرَجَعَ الثَّوْبَ وَالْبَدَنَ ، فَلَمَّا
صَرْنَا إِلَى الْبَصْرَةِ أَتَيْنَا وَفَاتَهُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ .

كان يحيى بن زِيَادٍ يُرْوَى بِالزُّنْدَقَةِ ، وَكَانَ مِنْ أَظْرَفِ النَّاسِ وَأَنْظَفِهِمْ ، فَكَانَ يُقَالُ :
أَظْرَفُ مِنَ الزُّنْدِيقِ ، وَكَانَ الْحَارِثِيُّ ، وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ ، يُظْهِرُ الزُّنْدَقَةَ تَخَافَرًا ، فَقَالَ فِيهِ
ابنُ مَنَازِرٍ :

يَا أبنَ زِيَادٍ يَا أَبَا جَعْفَرٍ * أَظْهَرْتَ دِينَنَا غَيْرَ مَا تُخْفِي

مُزَنَّدَقُ الظَّاهِرِ بِاللَّفْظِ فِي * بَاطِنِ إِسْلَامٍ فَتَى عَفٍ

بِزُنْدِيقٍ وَلَكِنَّا * أَرَدْتُ أَنْ تُؤَسِّمَ بِالْظَرْفِ

ومن قوله يرى سفيان بن عيينة :

يُخْصِنِي مِنَ الْحِكْمَةِ نُورُهَا * مَا تَسْتَهِي الْأَنْفُسُ أَلْوَانَا
يَا وَاحِدَ الْأُمَمِ فِي عِلْمِهِ * لَقِيتَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ خُفْرَانَا
رَاحُوا بِسُفْيَانٍ عَلَى نَعْشِهِ * وَالْعِلْمُ مَكْسُورِينَ أَكْفَانَا
إِنَّ الَّذِي خُودِيرَ بِالْمُتَحَنَّى * هَذَا مِنَ الْإِسْلَامِ أَرْكَانَا
لَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ مِنْ مَيِّتٍ * وَرِثَا عِلْمًا وَأَحْزَانَا

خطب أبو أمية امرأة من حبيبات فرزد عنها، وتصدى للقاضي أن يضمته مالا من أموال
اليتامى فلم يجبه الى ذلك ولم يبق به، فقال فيه ابن منذر :

أَبَا أُمَيَّةَ لَا تَغْضَبْ عَلَيَّ * بَرَاءُ مَا كَانَ فِيمَا بَيْنَنَا الْغَضَبُ
إِنْ كَانَ رَدُّكَ قَوْمٌ مِنْ قَاتِهِمْ * فَكثير من الخطأ قد رغبوا
قَالُوا طَلِكَ دِيُونُ مَا تَهْوُمُ بِهَا * فِي كُلِّ طَرَفٍ بِهَا تُسْتَحْدَثُ الْكُتُبُ
وَقَدْ تَهْتَمُّ مِنْ نَحْسِينَ غَايَتَهَا * مَعَ أَنَّهُ نَوَاصِلُ بَعْدُ مَا آتَشَعْبُوا
وَفِي الْفِي فَعَلَ الْقَاضِي فَلَا تَجِدُنَّ * فَلَيْسَ فِي تِلْكَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبُ
أَرَدْتَ أَسْوَالَ أَيْتَامٍ تُضْمِنُهَا * وَمَا يُضْمَنُ إِلَّا مَنْ لَهُ نَسَبُ

قال له جعفر بن يحيى قل في وفي الرشيد شعرا تصف فيه الألفة بيننا، فقال :
قَدْ تُقَطِّعُ الزَّيْمُ الْقَرِيبُ وَتُكْفِرُ الْإِثْمُ * حَمَى وَلَا كَعْقَابُ رَبِّ الْقَلْبَيْنِ
يُدْنِي الْهَوَى هَذَا وَيُدْنِي ذَا الْهَوَى * فَذَا هُمَا نَفْسٌ تُرَى تَقْسَيْنِ

١٥ - صالح بن عبد القدوس^(١)

كان متهما بالزندقة، فبلغ الى المهديّ خبر زندقته، فبعث اليه يستقدمه من دمشق، وكان قد رحل اليها وهو شيخ طاعن في السن، فلما جاء بغداد ومثّل بين يدي المهديّ قال له المهديّ: ألسنت القائل:

والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يُورَى في ترى رَمْسِه

قال: بلى يا أمير المؤمنين! قال: وأنت لا تترك أخلاقك حتى تموت؟ فأمر به، فقتل وصُلب على جسر بغداد سنة ١٦٧ هـ. وأكثر شعره في الحكم الفلسفية.

ومن أحسن أقواله القصيدة التي منها ذلك البيت، وهو يقول فيها:

لا يبلغ الأعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه

والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يُورَى في ترى رَمْسِه

إذا * ي ماد إلى جهله * كذي الضأ عاد إلى نكسه

وإن من أدبته في الصبأ * كالعود يُسقى الماء في غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا * بعد الذي أبصرت من يُنسه

وهوله:

لا يُعجبك من يصون ثيابه * حذر الغبار وعرضه مبدول

ولربما اتقتر القى فرايته * تيسر الثياب وعرضه مفسول

(١) هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس، من حكاة الشراء، متهم بالزندقة، قويّ أجة،

له منزلة سامية عند أهل مذهبه. نشأ في البصرة، وكان يقص على الناس ويظلم. توفي سنة ١٦٧ هـ. ونجد

أكثر أخباره في فوات الوفيات (ج ١ ص ١٩١) والديري (ج ١ ص ٢٦).

وكان فيه ميل الى العزلة والانعطاع عن الناس شأن الفلاسفة، ومن ذلك قوله
 أَيْتُ بِوَحْدَتِي وَلَزِمْتُ بَيْتِي * فَتَمَّ الْعَزْلَى وَتَمَّ السَّرُودُ
 وَأَدْبَتِي الزَّمَانُ فَلَيْتَ أَتَى * هُجِرْتُ فَلَا أُرَارُ وَلَا أُرُودُ
 وَلَسْتُ بِقَائِلٍ مَا دُمْتُ حَيًّا * أَقَامَ الْجُنْدُ أَمْ تَزَلُ الْأُمِيرُ

وهو القائل :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

وله قصيدة حكيمة أخلاقية بديعة، وهي التي يقول فيها :

الْمَرْءُ يَجْمَعُ وَالزَّمَانُ يُفَزِّقُ * وَيُظِلُّ يَرْقِعُ وَالْخَطُوبُ تُثَزِّقُ
 وَلَأَنْ يُعَادِيَ عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ * مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَوْ حَقِيقُ
 فَارْبًا بِنَفْسِكَ أَنْ تَصَادِقَ أَحَقًّا * إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقُ
 وَزَيْنَ الْكَلَامِ إِذَا نَطَقْتَ لِأَنَّمَا * يُبْدِي عَقُولَ ذَوِي الْعُقُولِ الْمُنْطَلِقُ
 وَمَنْ الرِّجَالُ إِذَا أَسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ * مَنْ يُسْتَشَارُ إِذَا اسْتَشِيرَ فَيُطْرَقُ
 حَتَّى يَحْمِلَ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ * فَيَرَى وَيَعْرِفُ مَا يَقُولُ فَيَنْطَلِقُ
 لَا أَلْفَيْتُكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ * إِنَّ الْغُرْبَ بِكُلِّ نَهْمٍ يُرْشِقُ

وله منها :

مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَاتُ فَعَائِلٍ * قَدَمَاتٍ مِنْ عَطِيشٍ وَآخِرٍ يَفْرَقُ
 وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا * بِالْجَدِّ يُرْزَقُ مِنْهُمْ مَنْ يُرْزَقُ
 لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسَبَ عَقُولِهِمْ * أَلْفَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى يَتَصَدَّقُ
 لَكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ * هَذَا عَلَيْهِ مُوسِعٌ وَمُضْبِقُ
 وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعَرُوسُ تَلَاقِيَا * وَرَأَيْتَ دَمْعَ نَوَائِحٍ يَقْرَقُ سِرْقُ
 سَكَتِ الذِّى تَبِيعَ الْعَرُوسَ مُبَهَّتًا * وَرَأَيْتَ مَنْ تَبِيعَ الْجَنَازَةَ يَنْطَلِقُ
 بَقِيَ الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا * وَمَضَى الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَصْدُقُوا

وله من نصيده المعروفة بالزينية :

وَأَبْدَأْ مَدُوكَ بِالْحَمْدِ وَلْتَكُنْ * مِنْهُ زَمَانُكَ خَافِئًا تَتَرَقَّبُ
وَأَحْذَرُهُ إِنْ لَاقَيْتَهُ مَهْتَبًا * فَالْيَمِثْ يَتَسَلَّوْا بِهِ إِذْ يَنْقُصُ
إِنْ الْعَدُوَّ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ * فَالْحَقْدُ بَاقٍ فِي الصَّدُورِ مُغِيبُ
وَإِذَا الْمُسَدِّيقُ لَقِيَتْهُ مُثْقَلًا * فَهُوَ الْعَدُوُّ وَحَقُّهُ يُجَنَّبُ
لَا تَحْبِرْ فِي وَدِّ أَمْرِي مُثْقَلِي * مُكَلِّوِ السَّانِ وَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
يَقْنَاكَ بِخِلْفٍ أَنَّهُ بِكَ وَاهِي * وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ الْقَرِيبُ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ السَّانِ حَلَاوَةً * وَيُرْوِغُ مِنْكَ كَمَا يُرْوِغُ الثَّلَبُ
وَصِلِ الْكِرَامَ وَإِنْ رَمَوْكَ بِمُخْفَوَةٍ * فَالْمَنْعُ عَنْهُمْ وَالتَّجَاوُزُ أَصَوَّبُ
وَأَخْذُ قَرِينِكَ وَاصْطَفِيهِ تَخَاوُرًا * إِنْ الْقَرِينَ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ
إِنْ الْغَنَى مِنَ الرِّجَالِ مُكْرَمٌ * وَتَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْهَبُ
وَيُبْشَرُ بِالرَّحِيبِ عِنْدَ مُدْوَهِهِ * وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ
وَالْفَقْرُ شَيْنٌ لِلرِّجَالِ فَإِنَّهُ * حَقَّاهُونَ بِهِ الشَّرِيفُ الْأَنْسَبُ
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَقَارِبِ كُلِّهِمْ * بِتَذَلُّلٍ وَاسْتِغْنَاءٍ لَمْ يَنْفِ أَذْنِبُوا
وَدَعْ الْكَذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا * إِنْ الْكَذُوبُ يَشِينُ حُرًّا يَصْحَبُ
وَزَيْنُ الْكَلَامِ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ * ثَرَاتَرَةً فِي كُلِّ نَادٍ تَحْطَبُ
وَأَحْفَظْ لِسَانَكَ وَأَحْزِزْ مِنْ لَفْظِهِ * فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِالسَّانِ وَيُعْطَبُ
وَالسَّرُّ فَكُتْمُهُ وَلَا تَتَلَقَّ بِهِ * إِنْ الزُّبَاةُ كَسَرُهَا لَا يُسْعَبُ
وَكَذَلِكَ سِرٌّ * إِنْ لَمْ يَطْوِهِ * نَشْرَتُهُ أَلَيْسَتْ تَرِيدُ وَتَكْذِبُ
لَا تَحْرِصَنَّ فَلْيَحْرِصْ لَيْسَ بِزَانِدٍ * فِي الرِّزْقِ بَلْ يُشْقَى الْحَرِصُ وَيُسْعَبُ

وَأَرَعَ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَاةَ فَاجْتَنِبْ * وَأَعِدْ وَلَا تَقْلَمْ يَطْبُكَ الْمَكْسَبُ
 وَإِذَا أَصَابَكَ نَكْبَةٌ فَاصْرِمْهَا * مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسْلِمًا لَا يُنْكَبُ
 وَإِذَا رُمِيتَ مِنَ الزَّمَانِ بِرِيْسَةٍ * أَوْ نَالَكَ الْأَمْرُ الْأَشَقَّ الْأَضْعَبُ
 فَاضْرَعْ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَدْفَى لِمَنْ * يَدْعُوهُ مِنْ جَبَلٍ الْوَرِيدُ وَأَقْرَبُ
 وَأَحْذَرُ مَصَاحِبَةَ اللَّثِيمِ فَإِنَّهُ * يُعِيدِي كَمَا يُعِيدِي الصَّحِيحَ الْأَجْرَبُ
 وَأَحْذَرُ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَائِبًا * وَأَعْلَمُ بَأْسَ دُءَاهِهِ لَا يُجْجَبُ
 وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي * وَالنَّصِيحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

(١)
١٦ - سعيد بن وهب

كان شاعراً مطبوخاً ومات في أيام المأمون، وأكثر شعره في الغزل والتشبيب بالمذكر، وكان مشغولاً بالنملان والشراب، ثم تأسك وتاب وجمع راجلاً على قدسيه ومات على توبة وإقلاع ومنهيب جميل، ومات وأبو العتاهية حي وكان صديقه فرتاه .

أخبر علي بن سليمان الأقفش عن محمد بن مزيد قال : حدثت عن بعض أصحاب أبي العتاهية قال : جاء رجل إلى أبي العتاهية ونحن عنده، فسأته في شيء، فبكى أبو العتاهية، فقلنا له : ما قال لك هذا الرجل يا أبا إسحاق فأبكاك ؟ قال - وهو يحدثنا لا يريد أن يقول شعراً - :

قال لي مات سعيد بن وهب * ريم الله سعيد بن وهب
يا أبا عثمان أبكى عيني * يا أبا عثمان أوجعت قلبي

قال : فسجينا من طبعه، وإنه يحدث فكان حديثه شعراً موزوناً .

وكان سعيد بن وهب الشاعر البصري مولى بني سامة قد تاب وتزهد وترك قول الشعر، وكان له عشرة من البنين وعشر من البنات، فكان إذا وجد شيئاً من شعره نحرقه وأحرقه، وكان أمراً صادق، كثير الصلاة، يزكي في كل سنة عن جميع ما عنده، حتى إنه لا يزكي عن فضة كانت على امرأته .

وكان سعيد بن وهب يتعشق فلا ما ينشطر يقال له سعيد، فيبلغه أنه توعده أن يجرحه، فقال فيه :

(١) هو سعيد بن وهب أبو عثمان مولى بني سامة بن لؤي بن نصر، مولده ومشوهه بالبصرة ثم صار إلى بغداد فأقام بها . وكانت الكتابة صناعة، فنصرف مع البرامكة فاصطنعوه وتقدم عندهم . وتحد أنه . في الأغاني (٢١ - ص ١٠٤) .

مَنْ حَذِرِي مِنْ تَيْمِي * مَنْ حَذِرِي مِنْ سَعِيدِ
أَنَا بِالْهَمِ أَجَاهُ * وَيَحْتَانِي بِالْحَدِيدِ

ونظر سعيد بن وهب إلى قوم من كتّاب السلطان في أحوال جميلة، فأنشأ يقول :

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ * فَتَحْنُ مِنْ نَفَّارَةِ الدُّنْيَا
تَرْفُقُهَا مِنْ كَتِّبِ حَسْرَةٍ * كَأَنَّا لَقَطُّ بِلَا مَعْنَى
يَطْلُو بِهَا النَّاسُ وَأَيَّامُنَا * تَلْعَبُ فِي الْأَرْدَلِ وَالْأَدْنَى

وحدث حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان سعيد بن وهب لي صديقاً، وكان له ابن يكنى أبا الخطاب من أكمل الصبيان، وأحسنهم وجهاً وأدباً، فكان لا يكاد يفارقه في كل حال، لثقة شغفه به ورقته عليه، مات وله عشرين سنة، بخرع عليه جزاً شديداً وأقطع عن لذاته، فدخلت إليه يوماً لأعاتبه على ذلك وأستعطفه، فحين رأى ذلك في وجهي فاضت دموعه، ثم أقعّب حتى رحمته، وأنشدني :

عَيْنِ جُودِي عَلَى أَبِي الْخَطَّابِ * إِذْ تَوَلَّى غَضًّا بِمَاءِ الشَّبَابِ
لَمْ يُقَارِبْ ذَنْبًا وَلَمْ يَتَلَجَّ الْحَزْنَ * سَتَ مَرْجِي مُطَهَّرِ الْأَثْوَابِ
قَدَّعَتْهُ عَيْنِي إِذَا مَا سَعَى أَثَرُ * رَأْبُهُ مِنْ جِهَامَةِ الْأَتْرَابِ
إِنْ غَدَا مُوَحِّشًا لِمَا رَى فَقَدْ أَصَدَّ * سَجَّ أَتْسُ الثَّرَى وَزَيْنُ التَّرَابِ
أَحْمَدُ اللَّهِ يَا حَيَّيْ فُلَّيْ * بِكَ رَاجٍ مِنْهُ عَظِيمُ الثَّوَابِ

ثم ناشدني ألا إذا ذكره بنى، مما جئت إليه، فسمتُ ولم أحاط به بحرف .

دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يوم قد جلس فيه للشعراء، فجلسوا ينشدونه ويأمرهم بالجوأثر حتى لم يبق منهم أحد، فالتفت إلى سعيد بن وهب كالمستنطق؛ فقال له : أيها الوزير، إني ما كنت أستعددت لهذه الحال، ولا تقدمت لها عندي مقلمة فأعيرتها،

ولكن قد حضرنى يتان أرجو أن يتوبا عن قصيدة؛ فقال : هاتيهما، فربّ قليل أبلغ من الكثير؛ فقال سعيد :

مَدَحَ الْفَضْلُ نَفْسَهُ بِأَمَّالٍ • فَعَلَا مِنْ مَدِيحَتَا بِالْمَقَالِ
أَمْرُونِي بِمَدْحِهِ قُلْتُ كَلَّا • كَبُرَ الْفَضْلُ مِنْ مَدِيحِ الرِّجَالِ

قال : فطرب الفضل وقال له : أحسنت والله وأجذبت، ولئن قلّ القول وتُرّر، لقد أتسع المعنى وكثُر، ثم أمر له بمثل ما أعطاه كلّ مَنْ أنشده مديحا يومئذ، وقال : لا خير فيما يحيى بعد بيتك، وقام من المجلس، وخرج الناس يومئذ باليتين لا يتناشدون سواهما .

وحدث الحرّميّ قال : كان الفضل بن يحيى ينافس أخاه جعفرا وينافسه جعفر، وكان أنس بن أبي شيخ خاصّا بجعفر، ينادمه ويأنس به في خلواته، وكان سعيد بن وهب بهذه الميزة للفضل، فدخلت يوما إلى جعفر ودخل إليه سعيد بن وهب فحدثه وأنشده ويتأدله، وحكى عن المتأدّرين وأتى بكلّ ما يسرّ ويُطرب ويُضحك، وجعفر ينظر إليه لا يزيد على ذلك، فلما خرج سعيد من عنده تجاهلت عليه وقلت له : مَنْ هذا الرجل الكثير المَدَيان ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ قلت : لا؛ قال : هذا سعيد بن وهب صديق أُنحى أبى العباس وخُلفاه وعشيقه؛ قلت : وأى شيء رأى فيه ؟ قال : لا شيء والله إلا القَدَرُ والبَرْدُ والفَنَاءة، ثم دخلتُ بعد ذلك إلى الفضل، ودخل أنس بن أبي شيخ فحدث ونذر وحكى عن المُضحكين وأتى بكلّ طريفة، فكانت قصة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد، فقلت له بعد أن خرج من حضرته : مَنْ هذا المُبرِّم ؟ قال : أو لا تعرفه ؟ قلت : لا؛ قال : هذا أنس بن أبي شيخ صديق أُنحى الفضل وعشيقه وخاصته، قلت : وأى شيء أعجبه فيه ؟ قال : لا أدري والله إلا القَدَرُ والبَرْدُ وسوء الاختبار؛ قال : وأنا والله أعرف بسعيد وأنس من الناس جميعا، ولكنى تجاهلتُ عليهما وساعدتهما على هواهما .

وحدث عمرو بن بانة قال : كان في جوارى رجلٍ من البرامكة، وكانت له جارية شاعرة ظريفة يقال لها حسناء، يدخل إليها الشعراء ويسألونها عن المعاني، فتأتى بكل

مُتَّحِينَ مِنَ الْجَوَابِ ؛ فَتَخَلَّ إِلَيْهَا سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ يَوْمًا وَيُجْلِسُ إِلَيْهَا فَخَاطَبَهَا طَوِيلًا
ثُمَّ قَالَ لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ :

حَاجَّتُكَ يَا حَسَنًا • فِي جَنِينٍ مِنَ الشَّعْرِ
وَفِيهَا كَلِمَةٌ شَبْرٌ • وَقَدْ يُؤْنِي عَلَى الشَّيْرِ
لَهُ فِي رَأْسِهِ شَقٌّ • تَطْلُوفٌ بِأَنْدَى يَحْزِي
إِذَا مَا جَفَّ لَمْ يَحْزِرِ • أَدَى بَرٌّ وَلَا يَحْزِرِ
وَإِنْ بُلَّ أُنَى بِاللَّهِ • حَبِّ الْعَاجِبِ وَالسَّحْرِ
أَجِيبِي لَمْ أَرِدْ لِحْنًا • وَرَبَّ الشَّفْعِ وَالْوَثْرِ
وَلَكِنْ صُنْتُ أَيْبَانًا • لَهَا حَقٌّ مِنَ الزُّجْرِ

قَالَ : فَغَضِبَ مَوْلَاهَا وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَقَالَ : أَتُفَحِّشُ عَلَى جَارِيَتِي تَخَاطَبُهَا بِأَنْفَتِي؟ فَقَالَتْ
لَهُ : خَفِّضْ عَلَيْكَ ، فَمَا ذَهَبَ إِلَى مَا عَلَّمْتَنِي وَإِنَّمَا يَتَنَبَّهُ الْقَلَمُ ؛ فَمَرَرْتُ عَنْهُ ، وَضَحَكَ سَعِيدُ
وَقَالَ : هِيَ أَهْلُ مِنْكَ بِمَا سَمِعْتُ .

١٧ الحسن بن وهب

حدث ميون بن هارون : قال : كنا عند الحسن بن وهب فقال لَيَّانُ : غَنَفِي :
 أَتَأْذِنُونَ لَصَبٍ فِي زِيَارَتِكُمْ • فعندكم شَهَوَاتُ السَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ
 لَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ • عَفَّ الْقَصِيرِ وَلَكِنْ فَاسَقَى النَّظَرَ
 قَالَ فَضَحَكَتْ ، ثُمَّ قَالَتْ : فَأَيُّ خَيْرٍ فِيهِ إِنْ كَانَ كَذَا أَوْ أَيْمَى مَعْنَى ؟ نَجِيبُ الْحَسَنِ مِنْ
 بَادِرَتِهَا عَلَيْهِ ، وَتَعْجِيبُنَا مِنْ حِلَّةِ جَوَابِهَا وَفِعْلَتِهَا •

وحدث محمد بن عيسى قال : جاء عبادة بن العباس بن الفضل بن الربيع إلى الحسن
 ابن وهب ، وعنده بنان جارية لمحمد بن حماد ، وهي نائمة سكرى وهو يكي عندها ، فقال له :
 مَا لَكَ ؟ قَالَ : قَدْ كُنْتُ نَائِمًا بِلَغَاءَتِي فَأَنْبَهَتْنِي وَقَالَتْ : اجْلِسْ حَتَّى تَشْرَبَ بِلَاسْتُ ،
 فَوَاقَهُ مَا غَنَّتْ عَشْرَةُ أَصْوَاتٍ حَتَّى نَامَتْ ، وَمَا شَرِبْتُ إِلَّا قَلِيلًا • فَتَذَكَّرْتُ قَوْلَ أَشْعَرِ
 النَّاسِ وَأَنْظَرْتُهُمُ الْعَبَّاسَ بْنَ الْأَحْنَفِ :

أَبُيَ الَّذِينَ أَذْأَفُونِي مَوْتَهُمْ • حَتَّى إِذَا أَقْبَلُونِي لِلْهُوَى رَقَدُوا
 فَأَنَا أَبُيَ وَأَنْشُدُ هَذَا الْبَيْتَ •

وحدث محمد بن موسى بن حماد قال : دعا الحسن بن وهب إبراهيم بن العباس فقال
 له : ارْكَبْ وَأَجِئْكَ شَيْئًا فَلَا تَتَطَرَّنِي بِالْفِدَاءِ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ ، وَأَسْرَعَ الْحَسَنُ فِي شَرْبِهِ فَسَكَرَ
 وَنَامَ ، وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ فَرَأَاهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَدَعَا بِدَوَاةٍ وَكَتَبَ :

رُحْنَا إِلَيْكَ وَقَدْ رَاحَتْ بِكَ الرَّاحُ • وَأَسْرَعَتْ فَيْسَكَ أَوْتَارُ وَأَفْرَاحُ

وحدث أيضا محمد بن موسى قال : نظر إبراهيم بن العباس الحسن بن وهب وهو
 مخمور فقال له :

عَيْنَاكَ قَدْ حَكَاكَ تَكَ كَفَ كُنْتَ كَفَ كَاكَ

وَلَرَبِّ عَيْنِي هَدَى حَتَّى صَاحَبَهَا عَدَى

فاجابه الحسن بن وهب بمشرين بيتا وطالبه بمثلها ، فكتب اليه أربعة أبيات وطالبه بأربعين بيتا . وأبيات إبراهيم :

أبا على خيرُ قولك ما * حصلت أنجمه ومُختصره
ما عندنا في البيع من قَبِي * لستقل بواحد عشره
أنا أهلُ ذلك خيرُ عَشِيم * أرغى القديمَ وافتنى أثره
ها نحن وقيناك أربعة * والأربعون لديك منتظره

وقال عبيد الله بن سليمان : لعمري ما في الكتاب أشعرُ من أبي إسحاق وأبي علي (يعني عمه الحسن بن وهب) .

حدث علي بن يحيى قال: قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وقد جرى ذكرُ أحمد بن يحيى المكي ، : يا أبا محمد ، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى المكي مملوكا كم كان يساوي ؟ فقال : أخبرك عن ذلك ، انصرفت ليلةً من دار الواثق ، فاجترتُ بدار الحسن بن وهب فدخلت إليه ، فإذا أحمد عنده ، فلما قام لصلاة العشاء الآخرة قال لي الحسن بن وهب : وكم يساوي أحمد لو كان مملوكا ؟ قلت : يساوي عشرين ألف دينار . قال : ثم رجع فنفق صوتا ، فقال لي الحسن بن وهب : يا أبا محمد ، أضعفها . قال : ثم تنفي صوتا آخر ، فقلت للحسن : يا أبا علي أضعفها ، ثم أردتُ الانصراف فقلت لأحمد غني :

لولا الحياءُ وأن السير من خلقي * إذا قصدتُ إليك الدهر لم أقيم
أليس عندك سُكَّرٌ لتي جعلت * ما أبيض من قادات الرأس كاللحم

ففتاه أحمد بن يحيى المكي فأحسن فيه كل الإحسان ، فلما قُتُ للانصراف قلت للحسن : يا أبا علي ، أضعيف الجميع ، فقال له أحمد : ما هذا الذي أسمعُك تقولانه ولست أدري ما معناه ؟ قال نحن نبيعك ونشتريك منذ الليلة وأنت لا تدري .

وحدث محمد بن موسى قال : كان أبو تمام يتشقى غلاما تحريرا للحسن بن وهب ، وكان الحسن يتعشق غلاما روميا لأبي تمام ، فرآه أبو تمام يوما يبت بغلّامه ، فقال له :

واقه ثن أعنت^(١) الى الروم لتركضن الى الخزر؛ فقال له الحسن: لو شئت حكمتنا واحتكت؛ فقال له أبو تمام: أنا أشبهك بداود عليه السلام وأشبهه نفسى بخصمه؛ قال الحسن: لو كان هذا منظوما خفناه، فأما وهو مشور فلا، لأنه عارض لا حقيقة له؛ فقال أبو تمام:

أبا على بصرف الدهر والنير • وبالحوادث والأيام فاحسير^(٢)
أذكرتني أمر داود وكنت فتى • مصرف القلب في الأهواء والفكر
أعندك الشمس لم يحط المغيب بها • وأنت مضطرب الأحشاء للقمير
إن أنت لم تترك السير الحثيث الى • جاذر الروم أعنتنا الى الخزر
إن القطوب له منى محل هوى • يحل منى محل السمع والبصر
ورب أمتع منه جانباً وحي • أمسى وتكته منى على خطير
جرت فيه جنود العزم فأنكشفت • عنه غيابه عن بقرية هندير
سبحان من سبخته كل جارية • ما فيك من طمحن العين بالنظير
أنت المقيم فاقصد رواحله • وفعله أبداً منه على سفير

وحدث وهب بن سعيد قال: جاء دحيل الى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت أبي تمام، فقال له رجل في المجلس: يا أبا على، أنت الذي تطعن على من يقول:
شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى • وتحت كما تحت وشائع من برد
وانجهدتم من بعد إتهام دارم • فيادع أنجذنى على ساكني نجد
فصاح دحيل: أحسن والله! وجعل يردد:

• فيادع أنجذنى على ساكني نجد •

ثم قال: رحمه الله، لو كان ترك لى شيئا من شعره لقلت: إنه أشعر الناس.

(١) أعنت: أسرعت. (٢) وردت هذه الأبيات في الأعاني وفيها بعض أخطاء تحمل «لأدب».

فأبتناها هناك وردت في ديوان أبي تمام.

وحدث أحمد بن حنبل قال : قلت لأحمد بن حنبل : قد عرض عليّ قضية له
يملح بها الحسن بن وهب أوطأ :

* أعذّقتي لئس الحموى من هوانيا *

فقلت له : ويمك أقول فيه هذا بعد قولك :

أين محل الحى يا حادى * خبر سقالك الراجح النادى

وبعد قولك :

قالت سلامة أين المسأل قلت لها * المال ويمك لاقى الحمد فاصطعبا

وبعد قولك :

فلى أيماننا تجرى الندى * وعلى أسيافنا تجرى المهج

واقه إني أراك لو أنشدته إياها لأمر لك بصنع ، قال : صدقت واقه ، ولقد نبهتني
وحذرتني ، ثم مرّتها .

وحدث محمد بن موسى قال : أنشدني الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك أبياتا

يرثي بها سكرانة أم ابنه عمر ، وجعل الحسن يتعجب من جودتها ويقول :

يقول لي الخللان لو زُرْت قبرها * فقلت وهل غير الفؤاد لها قبر

على حين لم أحث فاجهل قدرها * ولم أبلغ السن التي معها الصبر

وحدث محمد بن يزيد قال : دامت الأمطار بـ «سُرْمَن رَأَى» ، فتأخر الحسن بن وهب

عن محمد بن عبد الملك الزيات ، وهو يومئذ وزير والحسن يكتب له ، فاستبطأه محمد ،
فكتب اليه الحسن يقول :

أوجب العذرى تراخى اللقاء * ما توالى من هذه الأنواء

لست أدري ماذا أقول وأشكو * من سماء تصوقني عن سماء

غير أنى أدعو على تلك بالثك * لي وأدعو لهذه بالبقاء

فسلام الإله أهديه غضا * لك فنى ياسيد الوزراء

وحدث محمد بن موسى قال : احتل الحسن بن وهب فأنحر عن محمد بن عبد الملك أياما كثيرة ، فلم يأته رسوله ، ولا تعرف خبره ، فكتب إليه الحسن قوله :

أيها الوزير أيذك الله • له وأهلك لي بقاء طويلا
أجيبلا تراه يا أكرم الناس • يس لكيا أراه أيضا جميلا
إنتى قد ألفت حشرا طيلا • ما ترى مرسلا إلى رسولا
إن يكن موجب التعميد في العبد • حة منا على منك طويلا
فهو أولى بإسب الناس راء • وافتقادا لمن يكون طيلا
فلماذا تركتني عرضة الفد • من الحاسدين جيلا بغيلا
الذنب ؟ فاعلمت سوى الشك • ير قرينا لنيتي ودخيلا
أم ملال ؟ فاعلمت لك الصا • حب منلى على الزمان مكلولا
قد أتى الله بالشفاء فما أم • ير مما أنكرت إلا قليلا
وأكلت الدراج وهو غذاء • ألفت على عليه أقولا
بعد ما كنت قد حملت من العبد • لمة عبنا على الطباع تعيلا
ولعل قديمت قبلك آتية • لك غذا إن وجدت فيه سيلا

فأجابه محمد بن عبد الملك :

دفع الله عنك فائبة الدهر • مر وحاشاك أن تكون عليلا
أشهد الله ما علمت وما ذا • لك من العذر جائزا مقبولا
ولعمري أن لو علمت فلازم • تنك حولا لكان عندى قليلا
إنتى أرنجى وإن لم يكن ما • كان مما قمت إلا جليلا
أن أكون الذى إذا أضمر الإخ • لاص لم يتمس عليه كفيلا
ثم لا يسئل المودة حتى • يعمل الجهد دونها مبدولا
فاذا قال كان ما قال إذ كا • ن بعيدا من طبعه أن يقولوا

فاجعلنى لى الى التعلق بالعد * رسيلا إن لم أجد فى سبيلا

فقد بما ما جاد بالصقع والعف * وروا ماع الخليل الخليل

وكتب محمد بن عبد الملك الى الحسن بن وهب وقد فخر عنه :

قالوا جفاك فلا مهد ولا خبر * ما ذا تراه دعاه قلت أيلول

شهر تجد حبال الوصل فيه لنا * فقد من الوصل إلا وهو محلول

وكان محمد قد نذبه لأن يخرج فى أمر مهم فاجابه الحسن فقال :

إنى بحول أمرى أعليت رتبة * فقله منك تعظيم وتجميل

وأنت حذته فى نيل همتي * وأنت فى كل ما يهواه مأمول

ما ظلتى عنك أيلول بلدته * وطيه ولنعم الشهر أيلول

الليل لا قصر فيه ولا طول * والجوايف وظهور الكأس مرحول

والود مستنطق عن كل منجبة * يضحى بها كل قلب وهو متبول

لكن توقع وشك الين عن بلد * تحله فوكاه العين محلول

مالى إذا شمرت بى عنك مبتكرا * دهم البغال أو الموج المراسيل

إلا رعا يأتك اللاتى يعود بها * حد الحوادث حتى وهو مقلول

وكان الحسن بن وهب يسار محمدا على مسنة^(١)، فعدل عن المسنة لئلا يضيق محمد

الطريق، فظن محمد أنه أشفق على نفسه من المسنة، فعدل عنها ولم يساعده على طريقه،

وظن بنفسه أن يصيبها ما يصيبه، فقال له محمد :

قد رأيناك إذ تركت المسنة * وحاذيتنى يسار الطريق

ولعمري ما ذاك منك وقد جعد بك الجعد من فعال الشفيق

فقال له الحسن :

إن يكن خوفي الخوف أرانى * أن ترائى مشبا بالمعقوق

فلقد جارت الظنون على المش * غق والظن مؤلم بالشفيق

صَدَّرَ السَّيِّدَ الْأَجَلَ وَقَدْ سَا * رَعَى الْخُوفَ مِنْ يَمِينِ الطَّرِيقِ
فَأَخَذَتْ الشَّمَالُ بَقِيَّةَ صُلَى السَّيِّدِ إِذْ هَالَتْ سُلُوكَ الْمَضِيِّ
إِنْ عِنْدِي مَوَدَّةٌ لَكَ حَازَتْ * مَا حَوَى عَاشِقٌ مِنَ الْمَشُوقِ
طَوْدٌ عِزٌّ خُصِصَتْ مِنْهُ بَيْرٌ * صَارَ قَدْرِي بِهِ مَعَ الْعَيُوقِ
وَبِنَفْسِي وَإِخْوَتِي وَأَبِي الْبِرِّ وَعُمِّي وَأُسْرَتِي وَصَدِيقِي
مَنْ إِذَا مَا رُوِّعَتْ أَمَّنَ رَوِي * وَإِذَا مَا شَرِقَتْ سَوَّغَ رَدِي

وحدث المرتد قال : استسقى الحسن بن وهب من محمد بن عبد الملك نبيذا يبلد الروم

وهو مع المعتصم ، فسقاه وكتب إليه :

لَمْ تَلَقْ مِثْلِي صَاحِبًا * أَنْتَ يَدَا وَأَعْمُ جُودًا
يَسْقَى النَّدِيمَ بِقَفْرَةٍ * لَمْ يَسْقِ فِيهَا الْمَاءُ عُودًا
صَفْرَاءَ صَافِيَةٍ كَأَنَّ * بَكَاسِمَهَا دُرًّا نَضِيدًا
وَأَجُودُ حِينَ أَجُودُ لَا * حَصْرًا بِذَلِكَ وَلَا بِلِيدًا
وَإِذَا اسْتَقَلَّ بِشِكْرَهَا * أَوْجِبْتُ بِالشُّكْرِ الْمَزِيدًا
خُذْنَا إِلَيْكَ كَأْتِمَا * كَيْبَتْ زُجَاجُهَا عُقُودًا
وَأَجَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَقُو * مَ بِشِكْرَهَا أَبَدًا عُهْدًا

ومن جيد شعره قوله :

بَابُ كَرِهَتْ النَّارُ لَمَّا أُوقِدَتْ * فَمَرَقَتْ مَا مَعْنَاكَ فِي إِبَادَتَا
هِيَ ضَرَّةُ لِكَ بِالْتِمَاعِ ضَيَاتَا * وَبِحَسَنِ صُورَتِهَا لَدَى إِيقَادِهَا
وَأَرَى صَنِيعَكَ بِالْقُلُوبِ صَنِيعَهَا * بِسَيَالِهَا وَأَرَاكِهَا وَعَرَادِهَا
شَرِّكَكَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ بِحَسَنِهَا * وَضَيَاتِهَا وَمَصْلَاحِهَا وَقِسَادِهَا

ومات الحسن بن وهب فرتاه أخوه سليمان بن وهب :

مَضَى مَذْمُوعُ عِزِّ الْمَعَالِي وَأَصْبَحَتْ * لَالِي الْجَحَا وَالْقَوْلِ لَيْسَ لَهَا نَظْمُ
وَأُخْضِي نَجْمُ الْفَكْرِ بَعْدَ فِرَاقِهِ * إِذَا هُمْ بِالْإِفْصَاحِ سَنَطَقَهُ كَظْمُ

وكتب الحسن بن وهب يشكر :

مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا ، أَوْ ثَرَوَةٍ أَفْزَعْتَهُ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ شُكْرِي لَكَ عَلَى مُهِجَةٍ
أَحْيَيْتَهَا ، وَحُشَاةٍ أَبْقَيْتَهَا ، وَرَمَقٍ أَمْسَكَتَ بِهِ ، وَقَتٍّ بَيْنَ التَّلَفِّ وَبَيْنَهُ ، فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ
نِعَمِ الدُّنْيَا حَدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ ، وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ ، وَغَايَةٌ مِنَ الشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا الْعُرْفُ ، خِلا
هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي فَاقَتْ الْوَصْفَ ، وَأَعَالَاتِ الشُّكْرِ وَتَجَاوَزَتْ قُدْرَهُ ، وَأَتَتْ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ ؛
رَدَدَتْ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ ، وَأَرْغَمَتْ أَنْفَ الْحَسُودِ ، فَصَحْنِ نَلْبًا مِنْكَ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ ، وَكَفِّفْ
كَرِيمًا ، فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ ، وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدُهُ الْمُجْتَهِدُ ؟ — .

١٨ - أشجع السلي^(١)

كان متصلا بالبرامكة وله فيهم أشعار كثيرة، منها قوله في يحيى بن خالد وكان قد غاب :

قد غاب يحيى فما أرى أحدا * يأنس إلا بذكره الحسين
أوحشت الأرض حين فارقتها * من الأيادي العظام والمنز
لولا رجاء الإياب لأنصدحت * قلوبنا بعده من الحزن

وقال أيضا :

رايت بقاء الخير في كل وجهة * لفتية يحيى مستكين خضعا
فإن يئس من في الرقتين مؤملا * لأوبة يحيى نحوها متطلعا
لما وجهه يحيى وحده غاب عنهم * ولكن يحيى غاب بالخير أجمعا

وقال فيه أيضا :

إذا غاب يحيى عن بلاد تغيرت * وثشرق إن يحتلها فطيط
وإن فعال الخير في كل بلدة * إذا لم يكن يحيى بها لغريب

وقال فيه حين احتل :

لقد قرعت شكاة أبي علي * قلوب معاشر كانت صحاحا
فإن يدفع لنا الرحمن عنه * صروف الدهر والأجل المتاحا

(١) هو أشجع بن عمرو بن ولد الشريد بن مطرود السلي، وكان يكنى أبا الوليد، شاعر إسلامي عباسي، نشأ بالبصرة، وقال الشعر وأجاد فيه حتى عد من الفحول، وكان الشعر يومئذ في رجة وإلين، ولم يكن لقيس شاعر، فلما نجم أشجع وقال الشعر اختبرت به قيس. وأقطع إلى البرامكة ومدحهم وأختص بجعر وصفاء مدحه، فأعجب به جعفر ووصله إلى الرشيد ومدحه فأعجب به أيضا وأمدّه المال فأثرى وحسنت حاله في أيامه، وتقدم عنده، وله فيه المدايح المختارة، والقصائد السائرة. ونجد أشعاره وأخباره في الأغاني (ح ١٧ ص ٣٠) والشعر والشعراء (ص ٥٦٢).

قد أسمى صلاح أبي علي • لأهل الأرض كلهم صلاحاً
إذا ما الموت أخطأه قلنا • نبأ الموت حيث غدا وراحاً

وهو القائل ،

ليس للحاجات إلا • من له وجه وقاح
ولسان طير مدار • وغدو ورواح
إن أكن أبطالاً • جئ عني فاللحاح
فعلت الجهد فيها • وعلى الله النجاح

ويستجاد له في مدح الرشيد :

وصلت يدك السيف يوم تقطعت • أيدي الرجال وزلت الأقدام
وعلى عدوك يا ابن عم محمد • رصدان ضوء الصبح والإفلام
فإذا تلبه رُعه وإذا غفا • سلَّ عليه سيوفك الأحلام

ويُستجاد له أيضاً قوله :

غدا يتفرق أهل الهوى • ويكثر بك ومسترجع
وتختلف الأرض بالطاعين • وجوهاً كشد ولا تمجّع
وتفنى الطلول ويبقى الهوى • ويصنع ذو الشوق ما يصنع
وأنت تُبكي وهم جيرة • فكيف يكون إذا ودّعوا
أطمع في العيش بعد الفراق • فبئس لعمرك ما تطمع

وفيها يقول في جعفر بن يحيى :

بديته مثل تدبيره • متى هجته فهو مستجمع
إذا هم بالأمر لم يثنه • هجوع ولا شادن أفرع
ففي كفه للنسي مطلب • والسر في صدره موضع

وكم قاتل إذ رأى بهجتي * وما في قُضُوبِ الغنى أضعفُ
فدا في ظلالِ ندى جعفي * يحزّ ثياب الغنى أشجعُ
وما خلفه لأمرئٍ مطع * ولا دونه لأمرئٍ مقنعُ

وهو القائل في محمد بن منصور بن زياد يرثيه :

أنى فنى الجود إلى الجود * ما مثل من أنى بوجود
أنى فنى أصبح معروقه * منتشراً في البيض والسود
أنى فنى معن الترى بعمه * بقية الماء من العود
قد تلم الدهر به ثلثة * جانبها ليس بمسود
أنى فنى كان ومعروقه * يملأ ما بين كُدرى اليد
فأصبحت بعد تساميهما * قد جُعا في بطن ملحود
الآن نخشى عثرات الندى * وعدوة البخل على الجود

ويستجاد له قوله في إبراهيم بن عثمان بن نيك وكان صاحب شرط الرش وكان

جباراً عيوساً :

في سيف إبراهيم خوف واقع * بنوى التفاق وفيه أمن المسلم
ويبيت بكلاً والعيون هواجع * مال المضيع ومهجة المستسلم
جعل الخطام بأنف كل مخالف * حتى استقام له الذئب لم يحطم
لا يصلح السلطان إلا شدة * تنفى البرى بفضل ذنب العرم
ومن الولاة مقعّم لا يتقى * والسيف تقطر شفرة من الدم
منعت مهايتك القوم حديثها * بالأمر تكلمه وإن لم تعلم

وقال لأخيه :

أبت غفلات قلبك أن تزوحا * وكأس لا تزالها صابوحا
كأنك لا ترى حسناً جميلاً * بعينك يا أنى إلا قبيحا

وَيَسْتَجَادُ لَهُ قَوْلُهُ فِي الرَّشِيدِ :

لَا زِلْتَ تَنْشُرُ أَعْيَادًا وَتَطْوِيهَا * تَمَيِّضِي بِهَا لَكَ أَيَّامٌ وَتَسْتَبِيهَا
مُسْتَقْبَلًا جِلْدَةَ الدُّنْيَا وَبِهِجَّتَهَا * أَيَّامُهَا لَكَ نَظْمٌ فِي لِيَالِهَا
الْعَيْدُ وَالْعَيْدُ وَالْأَيَّامُ بَيْنَهُمَا * مَوْصُولَةٌ لَكَ لَا تَخْفَى وَتُغْنِيهَا
وَلَيْسَ لَكَ التَّصَرُّ وَالْأَيَّامُ مَقْبَلَةٌ * إِلَيْكَ بِالْفَتْحِ مَعْقُودًا نَوَاصِيهَا

وَيَسْتَجَادُ لَهُ قَوْلُهُ بِمَدْحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ صَبِيحٍ :

لَهُ نَظَرٌ لَا يَغْمُضُ الْأَمْرُ دُونَهُ * تَكَادُ سُتُورُ الْغَيْبِ عَنْهُ تَمَرُّقُ

وَهُوَ الْقَائِلُ :

وَمَا تَرَكَ الْمُسْلَحَ فِيكَ مَقَالَةً * وَلَا قَالَ إِلَّا دُونَ مَا فِيكَ قَائِلُ

وَقَالَ أَيْضًا :

مَضَى أَبْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقُ * وَلَا مَغْرِبٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ * عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ الصَّفَائِحُ^(١)
فَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيْتًا * وَكَانَتْ بِهِ حَيَاتُ تَضْيِيقِ الصَّبَاحِ^(٢)
سَابِكِكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَفَضَّ * فَحَسْبُكَ مَنَى مَا تُجَرِّبُ الْجَوَائِحُ^(٣)
فَإِنَّا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَاوِزُ * وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ
كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ يَقُمْ * عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَائِحُ
لَئِنْ حُسِّنَتْ فِيكَ الْمَرَائِي وَذَكُرْهَا * لَقَدْ حُسِّنَتْ مِنْ قَبْلُ فِيكَ الْمَدَائِحُ

(١) الصَّفَائِحُ : أَجَارُ مَرَضٍ تَطْلِي بِهَا الْقُبُورُ - (٢) الصَّبَاحُ : جَمْعُ صَبَحَ : وَهِيَ الْأَرْضُ

الْجُرْدَاءُ الْمُسْتَوِيَّةُ الرَّاسَةَ ذَاتُ حَيٍّ صَارَ - (٣) الْجَوَائِحُ : الصَّلُوحُ -

١٩ - علي بن الجهم^(١)

كان علي بن الجهم قد هاجم بختيشوع، فسبه عند المتوكل فحسبه المتوكل . فقال علي بن الجهم في حسبه مئة قصيدة كتب بها الى المتوكل، فأطلقه بعد سنة ثم فناه بعد ذلك الى نراسان . فقال أول ما حُسِّس قصيدة كتب بها الى أخيه، أولها قوله :

توصَّلْنَا على رَبِّ السماء * وسَلَّمْنَا لأسباب القضاء
وَوَطَّنَا على غَيْرِ آلِيَالِي * نفوسًا ساهتْ بعد الإياء
وأفئدة الملوك عَجَبَاتُ * وبَابُ الله مبْدُولُ الفناء
هي الأيامُ تَكْثُرُنَا وتَأْسُو * وتَأْتِي بالسعادة والشقاء
وما يُجْئِدِي الثَّرَاءُ على غَنِي * إذا ما كانَ محظورَ أَلْعَاءِ
حَلَبْنَا البحرَ أَشْطَرَهُ وَمَرَّتْ * بنا عَقَبُ الشَّدَائِدِ والرَّخَاءِ
وَجَرَّبْنَا وبحَرْبٍ أَوَّلُونَا * فلا شَيْءُ أَمَرُّ منَ الْوَفَاءِ
ولم تَدِجِ الحَيَاءُ لَمَسَ ضَرْ * وبَعْضُ الضَّرِيضِ يَهْبِ بالحَيَاءِ
ولم نَحْزَنْ على دُنْيَا تَوَلَّتْ * ولم تُسَبِّقْ الى حَسَنِ الْعِزَاءِ
تَوَقَّ النَّاسُ يَأْبَنُ أبَى وَأُمَى * فهم تَبَعُ الْخُفَافَةِ والرَّجَاءِ

(١) هو عربي قرشي شاعر فصيح مطبوع، وقد عصى بالمتوكل حتى صار من جلسائه ثم أبغضه لأنه كان كثير العناية اليه بدمائه فكان إذا خلا به مره أنهم يميون ويطلبونه، فيكشف الخليقة من ذلك فلا يجد له حقيقة، ففناه الى خراسان بعد أن حبسه مدة . وكان مذهبه في الشعر مذهب مروان بن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب وذمهم والإغراء بهم وهجاء الشيعة كقولهم :

ورافضة تقول يشم رضوى * إمام، خاب ذلك من إمام

إمام من له عشرون ألفا * من الأتراك مشرعة السهام

وله أشعار في الفزل والعتاب وفي الوصف، توفي سنة ٢٤٩ هـ . ومجده أخباره في الأغانى (ج ٩ ص ١٠٤)

وابن خلكان (ج ١ ص ٤٩٧) .

ولا يقرُّك من وفد إخاء • لأمي ما فدا حسن الإخاء
 ألم تر مظهرين على ضياء • وهم بالأمس إخوان الصفاء
 فلما أن يليت فذوا وراحوا • على أشد أسباب البلاء
 أبت أخطارهم أن ينصرفي • بمالٍ أو يحماء أو نراء
 وخافوا أن يقال لهم خذلتم • صديقاً فاذقوا قدم الجفاء
 تطافرت الروافض والنصارى • وأهل الإعتقال على هجائي
 وعابوني وما ذنب إليهم • سوى علمي بأولاد الزناء
 فبختبشوع يشهد لابن عمرو • وعزرون لهارون أكرائي
 وما أجد الماء بنت أبي سمير • يهذماء لسان على الخناء
 إذا ما عدّ مطلقكم رجالاً • فما فضل الرجال على النساء
 عليكم لعنة الله ابتداءً • وعوداً في الصباح وفي المساء
 إذا تميمتم للناس قالوا • أولئك شر من تحت السماء
 أنا المتوفى - هوى ورأيا • وما بالواقعة من خفاء
 وما حبس الخليفة لي بعار • وليس بمؤيبي مننه التناي

كان سبب حبس المتوكل على بن الجهم أن جماعة من الجنساء سموا به اليه وقالوا له :
 إنه ينجش الخدم ويعزهم ، وإنه كثير الطعن عليك والعيب لك والإضرار على أخلاقك ،
 ولم يزالوا به يؤغرون صدره عليه حتى حبسه ، ثم ألغوه عنه أنه هجاء ، فنفاه إلى خراسان
 وكتب بأن يُصلب إذا ورد بها يوماً إلى الليل ، فلما وصل إلى الشاذيخ حبسه طاهر بن
 عبد الله بن طاهر بها ، ثم أخرج فُصلب يوماً إلى الليل مجزواً ثم أُنزل ، فقال في ذلك :

لم ينصبوا بالشاذيخ عشبة الإثمين مستبقاً ولا مجهولاً •
 نصّبوا بحمد الله ملء قلوبهم • شرفاً وملء صدورهم تجميلاً
 ما أزداد إلا رفعة بنكوله • وأزدادت الأعداء عنه نكولاً

هل كان إلا الليث فارق غِيْلَه • فرأيتَه في مجل مجحولا
 لا يَأْمَنُ الأعداءُ من شدَّاته • شدًّا يفصل هامهم تفصيلا
 ما عابه أنْ بُزَّعتْ لبأسه • فالصيفُ أهولُ ما يرى مسلولا
 إن يُقتلُ فالبدْرُ لا يُزرى به • إن كان ليلةً يَمُتُّه مبنولا
 أو يسلبوه المالُ يُحزِنُ فقدَه • ضيفا ألمَ وطارقًا ونزلا
 أو يحسوه فليس يُحسَّ سائرُ • من شعره يدعُ العزيرَ ذليلا
 إن المصائبُ ما تعدتْ دينَه • نيمٌ وإن صعبتْ عليه قليلا
 واللهُ ليس بضائلٍ عن أمره • وكفى بركٍ ناصراً ووصيلا
 ولتعلنَ إذا القلوبُ تكشفتْ • عنها الأكنةُ من أضلِّ سبلا

وكتب المتوكل الى طاهر بن عبد الله بإطلاق علي بن الجهم، فلما أطلقه قال :

أطاهرُ إني عن نُرَّاسانٍ راحلُ • وسُتَغْبِرُ عنها فما أنا قائل
 أأصدقُ أم أكني عن الصدق أيمًا • تحيَّرتُ أدته اليك المحافل
 وسارت به الركبَانُ وأصطفقتُ به • أكفُ قِيَانٍ وأجتهته القبائل
 وإني بحالي الحمد والنعم عالمُ • بما فيهما نامى الرمية ناضل
 وحققاً أقولُ الصدقُ إني لمائلُ • اليك وإن لم يحفظْ بالودِّ مائلُ
 ألا حرمةٌ تُرعى ألا عقدٌ ذمَّةُ • لجارٍ ألا فصلٌ لقولٍ مُشاكلُ
 ألا متصفٌ إن لم يَحْدِ متفضلاً • طينا ألا قاضٍ من الناس عادِلُ
 فلا تخططنَ غيظًا على أناملًا • فقبلَكَ ما عُضتْ على الأناملُ
 أطاهرُ إن تُحسِنَ فإني محسنُ • إليك وإن تجسَّلَ فإني باخلُ

فقال له طاهر : لا تقل إلا خيرا، فإني لا أقبل بك إلا ما تحب، فوصله وحمله

وقال علي بن الجهم للتوكل :

عفا الله عنك ! ألا حرمة • تجود بمفوك أن أبعدا
لئن جَلَّ ذنبٌ ولم أحمده • لانت أجل وأعلى يدا
الم تر جدًا مدًا طوره • ومولى عفا ورشيدًا هدى
ومفسدًا أمرًا تلافيته • فماد فاصح ما أفسدا
أقلنى أقالك من لم يزل • يقيك وتصيرف عنك الردى

وأحسن شعر قاله في الحبس قصيدته التي أولها :

قالوا حُيِّسَتْ قَلْتُ ليس بضائري • حنّى وأى مُهتدٍ لا يُفقد
أو ما رأيت الليث يأتف غيله • كبرا وأوباش السباع تردد
والشمس لولا أنها مجوبة • عن ناظرِكَ لما أضاء الفرقد
والبدر يُدركه السرار فتجلى • أباه وكأنه متجدد
والغيث يحمّره الغمام لما يرى • إلا وريقه يراع ويرعد
والزاعشة لا يُقيم كموبها • إلا الثفاف وجذوة تُوقد
والنار في أحجارها مخبوءة • لا تُصطلى إن لم تُثرها الأزد
والحبس ما لم تنقشه لدنية • شعناء نعم المنزل المتوّد
بيت يحمد للعكريم كرامة • ويزار فيه ولا يزور ويُحمد
لو لم يكن في الحبس إلا أنه • لا يستذلّك بالجباب الأعبد
كم من عليل قد تخطاه الردى • فنجأ ومات طيبه والمود
يا أحمد بن أبي ذؤاد إنما • تدعى لكل عزيمة يا أحمد
أبلغ المؤ • ودونه • خوض الردى ومخاوف لا تنفد
اتم بنو عم النبي محمد • أولى بما شرع النبي محمد
ما كان من كرم فاتم أهله • كرمت مفارصكم وطاب المختد

أَيُّ السَّيِّئَةِ يَأْتِي عَمَّ مُحَمَّدٌ • خَصِمَ هَرَبُهُ وَأَخْرَجَتْهُ
 إِنْ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَيْكَ بِبَاطِلٍ • كَالَّذِي لَا يُجْعَدُ
 شَمَلُوا وَغَبْنَا عَنْهُمْ فَصَحَّوْا • فِينَا، وَلَيْسَ كِفَايَةُ مَنْ يَشْهَدُ
 لَوْ يَجْمَعُ النُّصَمَاءَ عَنْدَكَ جَلْسٌ • يَوْمًا لَبَانَكَ الطَّرِيقُ الْأَقْصَدُ
 فَبَأَى جُرْمٌ أَصْبَحَتْ أَعْرَاضُنَا • نَهَبًا تَقْسَمُهَا اللَّثِيمُ الْأَوْسَدُ

خرج علي بن الجهم إلى الشام في قافلة فخرجت عليهم الأعراب في خُصاف، فهرب من
 كان في القافلة من المُقاتِلَةِ وَبَتَّ علي بن الجهم، فقاتلهم قتالا شديدا وثاب الناس إليه
 فدفعهم ولم يَحْطُوا بشيء • فقال في ذلك :

صَبَرْتُ وَمِثْلُ صَبْرِهِ لَيْسَ يُنْكَرُ • وَلَيْسَ عَلَى تَرْكِ التَّعَمُّ يُعْذَرُ
 غُرُورُهُ حَرًّا لَا أَخْلَاقِي تُكَافِئُ • إِذَا خَامَ فِي يَوْمِ الْوَعَى الْمُتَصَبِّرُ^(٢)
 وَلَمَّا رَأَيْتَ الْمَوْتَ تَهْوِي بِنُودِهِ • وَبَانَتْ عَلَامَاتُ لَهُ لَيْسَ تُنْكَرُ
 وَأَقْبَلَتِ الْأَعْرَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ • وَنَارُ عَجَاجٍ أَسْوَدُ اللَّوْنِ أَكْثَرُ
 بِكُلِّ مُشِيجٍ مُتَمَيِّتٍ مُشْتَرٍ • يَحْوِلُ بِهِ طَرَفُ أَقْبُ مُشْتَرٍ^(٣)
 بَارِضُ خُصَافٍ حِينَ لَمْ يَكْ دَانِعٌ • وَلَا مَانِعٌ إِلَّا الصَّفِيجُ الْمَذْكُورُ
 فَقُلْ فِي صِنِّي عَظِيمَ جَمْعِهِمْ • عَزِيمَةُ قَلْبٍ فِيهِ مَا جَلَّ بِصَفْرِ
 بِمَعْتَرِكٍ فِيهِ الْمَنَاطَا حَوَاسِرُ • وَنَارُ الْوَعَى بِالْمَشْرِيقَةِ تُسْعِرُ
 لَمَّا صُنْتُ وَجْهِي عَنْ ظِلَابِ سِيوفِهِمْ • وَلَا أَمَحَزْتُ عَنْهُمْ وَالْقَنَا تُنْكَرُ
 وَلَمْ أَكْ فِي حَزِّ الْكَرْهَةِ مُجْبَا • إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَرْبِ لِلْوَرْدِ مَصْدَرُ
 إِذَا سَاعَدَ الطَّرْفُ الْفَقَى وَجَنَانَهُ • وَأَسْمَرُ خَطَى وَأَبْيَضُ مِبْنَرُ
 فَذَاكَ وَإِنْ كَانَ الْكَرِيمُ بِنَفْسِهِ • إِذَا أَصْطَلَّتِ الْأَبْطَالُ فِي التَّقَعُّسِ

(١) بَرِيَّةٌ بَيْنَ الْبَلَى وَطَلَبٍ • (٢) حَامٍ : تَكْصُرُ وَحَبْرٌ •

(٣) الْمَشِيجُ : الْمَانِعُ لِمَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ • وَالْأَقْمَرُ مِنَ الْخَيْلِ : الدَّقِيقُ الْحَصْرُ الصَّامِرُ الْجَلْبُ •

منعهم من أن ينالوا قلامة * وكنت شجاهم والأيسنة غطت
وتلك مجابانا قديما وحادثا * بها عيرف الماضي وعز المؤثر
أبث لي قروم أنجبتني أن أرى * وإن جل خطب خاشعا أتضجر
أولئك آل الله فهر بن مالك * بهم يجبر العظم الكسير ويكسر
هم التكب المال على كل منكبي * سيوفهم تفتي وتفتني وتفسر

كان علي بن الجهم يباشر جماعة من قتيان بغداد لما أطلق من حبسه ورد من النفي،
وكانوا يتقانون ببغداد ويلزمون منزله من الكرخ يقال له المفضل، فقال فيه علي بن الجهم:

زلنا بباب الكرخ أطيب منزلي * على محبتات من قتيان المفضل
فيا بن سرج والغريض ومعيد * بدائع في أسماعنا لم تبذل
أوانس ما للضيف من حق حشمة * ولا رهن بالجليل المبجل
بسر إذا ما الضيف قل جباؤه * ويفقل عنه وهو غير مفقل
ويكثر من ذم الوقار وأهله * إذا الضيف لم يأتس ولم يتبذل
ولا يدفع الأيدي المريسة غيرة * إذا فال حظا من لبوس وما كل
ويطرق إطراق الشجاع مهابة * ليطلق طرف الناظر المتأمل
أشريد وأعز بطرف ولا تحف * رقيقا إذا ما كنت غير مبخل
وأعريض عن المصباح وأهجع بمنزله * فإن نعد المصباح فادن وقبل
وسل غير ممنوع وقل غير مسكت * وتم غير مذخور وقم غير معجل
لك البيت ما دامت هداياك بركة * وكنت مليا بالبيد المعسل
فبادر بأيام الشباب فإنها * تقضي وتغني والقواية تعجل
ودع عنك قول الناس ألتف ماله * فلان فاحض مدبرا غير مقبل
هل الدهر إلا ليلة طرحت بنا * أو انورها في يوم لمو معجل
سقى الله باب الكرخ من متري * الى قصر وضاح فركة زلزل

مَسَاحِبُ أَذْيَالِ الْقِيَانِ وَمَسْرُوحِ الْ • حَسَانٍ وَمَثْوَى كُلِّ خَرْقٍ مُعَدِّلٍ
 لَوْ أَنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ بِنِ تَجْرِ بِحُلَاهَا • لَا تَقْصُرُ عَنْ ذِكْرِ الدُّنْيَا وَحَوْمَلِ
 إِذَا تَرَأَى أَنْ يَمْنَحَ الْوَدَّ شَادَنَا • مُقْصِرُ أَذْيَالِ الْقِنَا فَيَرْمَسِيْلِ
 إِذَا اللَّيْلُ أَدْنَى مَضْجَعِي مِنْهُ لَمْ أَقُلْ • "مَقَرَّتْ بِبِيرِي يَا أَمْرًا الْقَيْسِ فَأَنْزِلِ"

دخل على بن الجهم يوما على عبد الله بن طاهر في غداة من غدوات الربيع وفي السماء
 شمس رقيق، والمطر يحيى قليلا ويسكن قليلا، وقد كان عبد الله عزم على الصبح فغاضبته
 حظية له، فتنقص عليه عزمه وقره، فغضب على بن الجهم بالخبر وقيل له : قل في هذا المعنى
 لعله ينشط للصباح، فدخل عليه فأنشده :

أَمَّا تَرَى الْيَوْمَ مَا أَحْلَى شِمَائِلَهُ • تَخَوُّ وَغَيْمٌ وَإِبْرَاقٌ وَإِرْعَادُ
 كَأَنَّهُ أَنْتَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ • وَصَلُّ وَهَرُّ وَتَضَرُّبٌ وَإِعْجَادُ
 فَجَاصِرِ أَرْحَاحٍ وَأَشْرَبَهَا مُتَنَفِّةً • لَمْ يَذْخِرْ مَنَاقِلَهَا كِغْسَرِي وَلَا عَادُ
 وَأَشْرَبَ عَلَى الرُّوضِ إِذْ لَاحَتْ زَخَارِفُهُ • زَهْرٌ وَقُورٌ وَأَوْرَاقٌ وَأَوْرَادُ
 كَأَنَّمَا يَوْمُنَا فَمَلُّ الْحَبِيبِ بِنَا • بَلٌُّ وَبُحْلٌ وَإِعْجَادُ وَمِعْجَادُ
 وَلَيْسَ يَلْعَبُ عَنْ كُلِّ فَعْلٍ كُفُّ • نَعْيٌ وَرُشْدٌ وَإِصْلَاحٌ وَإِفْسَادُ
 فَاسْتَحْسَنَ الْآيَاتِ وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ وَحَمَلَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ .

لما أطلق عبد الله بن طاهر على بن الجهم من الحبس أقام معه بالشاذليخ مدة، فخرجوا
 يوما إلى الصيد . واتفق لهم مَرَجٌ كثير الطير والوحش وكانت أيام الزعفران، فاصطادوا
 صيدا كثيرا حسنا، وأقاموا يشربون على الزعفران، فقال على بن الجهم يصف ذلك :
 وَطَلَّتْ رِيَاضُ الزَّعْفَرَانِ وَأَمْسَكَتْ • عَلَيْنَا الْبُرْءَةُ الْبَيْضُ حَمْرُ الدَّرَاجِ^(١)
 وَلَمْ تَحْمِلْهَا الْأَذْيَالُ مِنَّا وَإِنَّمَا • أَبْجَنَّا حِمَاهَا بِالْكَلَابِ الْبَوَاجِ
 بِمَسْتَرِيحَاتٍ سَابِحَاتٍ بَطُونِهَا • عَلَى الْأَرْضِ أَمْثَالُ السَّهَامِ الْزَوَالِ^(٢)

(١) واحده دراج (صم الدال وتشديد الراء) وهو طائر على خلقة القفا لأنه ألعنه

(٢) الزوالج من السهام : الذي يمشى على وجه الأرض ثم يمس .

ومستشرفات بالموادى كأنها * وما خُفِّفَتْ منها رؤوس الصَّوَابِجِ
 ومن دالعاتِ السُّنَا فكانها * لِيَلْحَى من رجال خاضعين كَوَاصِجِ
 قَلْبِنَا بها الْفَيْطَانُ قَلْبًا كأنها * أَنَامِلُ لِحْدَى الْقَانِيَاتِ الْحَوَاجِ
 فقل لِبُغَاةِ الصَّيْدِ هل من مُفَاخِرِ * بصيد وهل من واصل أو مخارجِ
 قَرْنَا بُرَاةً بِالصَّقُورِ وَحَوَّمْتُ * شَوَاهِدُنَا من بعد صيد الرَوَاجِ (١)
 لما فُلِحَ ابنُ أبى دُوَادٍ شَمِيتَ به طَى بنُ الْجَهْمِ وأظهر ذلك له وقال فيه :
 لم يبقَ منك سوى خيالك لأمّا * فوق الفِرَاشِ مَهْمَدًا بِوَسَادِ
 فِرَحَتْ بِمَصْرَعِكَ الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا * مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُوقِنًا بِمَعَادِ
 كم مجلس لله قد عَطَلْتَهُ * كى لَا يُحَدِّثَ فِيهِ بِالْإِسْنَادِ
 ولكم مصابيح لنا أطفأتها * حتى تَزُولَ عن الطَّرِيقِ الْهَادِ
 ولكم كَرِيمَةٌ مَمْنُونٌ أَرْمَلْتَهَا * وَمَحَدَّثٌ أَوْقَعَتْ فِي الْأَقْبَادِ
 إِنْ الْأَسَارَى فِي السَّجُونِ تَفَرَّجُوا * لِمَا أَنْتَكَ مَوَاصِبُ الْعَوَادِ
 وَغَدَاً لِمَصْرَعِكَ الطَّبِيبُ فَلَمْ يَحْدِ * شَيْئًا لِدَائِكَ حِيلَةُ الْإِمْرَادِ
 فَتَقَى الْهَوَانَ مَجَلًّا وَمُوجَلًّا * وَاللهَ رَبَّ الْعَرْشِ بِالْمُرْصَادِ
 لَا زَالٍ فَالْجُلُوكِ الَّذِى بِكَ دَائِبًا * وَخَفَّتْ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالْأَوْلَادِ
 ومن جيد شعره قوله :

نطق الهوى بجوى هو الحق * وملكنى فليُنْزِكَ الرُّقُ
 رِفْقًا بقلبي يا معذِّبَه * رِفْقًا وَلَيْسَ لِفَالَمِ رِفْقُ
 وإذا رأيتُكَ لَا تُكَلِّمْنِي * ضَاقَتْ عَلَى الْأَرْضِ وَالْأَنْقِ
 وله أيضا :

يا رحمةً للغريب بالبلد النَّاءِ * زِيحَ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَ
 فَأَرَقَّ أَحِبَّاءَهُ فَا أَنْفَعُوا * بِالْعَدَشِ مِنْ بَعْدِهِ وَمَا أَنْفَعَا

(١) الرابع : الملواح الذى يصاد به الصقور ونحوها من جوارح الطير

٢ - علي بن جبلة^(١)

قال المأمون يوما لبعض جلسائه : أقسم علي من حضرتم يحفظ قصيدة علي بن جبلة الأعمى في القاسم بن عيسى إلا أنشدنيها ؛ فقال له بعض الجلساء : قد أقسم أمير المؤمنين ولا بد من إبرار قسمه ، وما أحفظها ولكنها مكتوبة عندي ؛ قال : قم فليفتي بها ، ففعل وأتاه بها وأنشده إياها ، وهي :

زاد رد النبي من صدره * وأدعوى واليه من وطيره
وأبت إلا البكاء له * صغكت الشيب في شعيره
ندي أن الشباب مضي * لم ألقه مدى أشيره
وأقضت أيامه سلمات * لم أجذ حولا على غيرته
حسرت عنى بشائته * وذوى الحمود من تيمره
ودم أهدرت من رشا * لم يرد عقلا على هديره
فأت دون الصبا هنة * قلبت فوق على وتره
جارتا ليس الشباب لمن * راح تحيا على كبره
ذهبت أشياء كنت لها * صارها حلبي الى صوره^(٢)

(١) هو علي بن جبلة الأنباري والمكوك لقبه ، وهو من الموالي أثناء الشيعة الحراسانية من أهل بغداد ، ولد في الحرية منها ونشأ فيها ، وكان شريرا منذ ولادته مثل بشاير برد ، وهو شاعر مطبوع طرب اللطيف حله ، لطيف المعاني ، مداح حسن التصرف ، وقد استعبد شعره في مدح أبي دلف العجل وأبي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي ، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دلف خاصة حتى فضل ربيعة على مصر ، فاستاء المأمون من ذلك وطعه أبيات فأخا المكوك في أبي دلف منها :

كل من في الأرض من حرب * بين يديه إني حضره
مستعير منك مصكرة * يكتسبها يوم مفسره

توفي سنة ٢١٣ هـ . وتجد أكثر أعجابه في الأمان في (ج ١٨ ص ١٠٠) وابن حلكن ضع يولاق (ج ١

ص ٤٩٥) والشعر والشعراء (ص ٥٥٠) (٢) ص ٥٠٠ : ص ٥٠٠

دَعَّ جَدًّا لِحَطَّانٍ أَوْ مُضِيرٍ * وَ يَمَاسِيهِ وَى مُضِيرَةٍ
 وَامْتَدَّحَ مِنْ وَائِلٍ رَجُلًا * عَصْرُ الْآفَاقِ فِي عُصْرَةٍ
 الْمَنَاسِيَا فِي مَنَاقِبِهِ * وَالْمَطَايَا فِي ذَرَا حُجْبَرَةٍ
 مَلِكٌ تَتَدَّى أُنَامِلُهُ * كَانِبِلَاجِ النَّوْءِ عَنْ مَعْرِهِ
 مُسْتَبِيلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ * كَابِتْسَامِ الرُّوْضِ عَنْ زَهْرِهِ
 جِبَلٌ عَزَّتْ مَنَاصِبُهُ * أَمِنَتْ عَدَنَانِ فِي ثَغْرِهِ
 إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ * بَيْنَ مَبْدَاهِ وَتَحْتَضِرِهِ
 فَإِنَّا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ * وَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
 لَسْتُ أَدْرَى مَا أَقُولُ لَهُ * غَيْرَ أَنَّ الْأَرْضَ فِي خَفَرِهِ
 يَادُوهُ الْأَرْضُ إِنْ فَسَدَتْ * وَمَدِيدُ الْهَيْسْرِ مِنْ عُسْرِهِ
 كُلِّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ * بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضَرِهِ
 مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرَمَةٌ * يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَحَرِهِ

وفيها يقول :

وَزُحُوفٍ فِي صَوَاهِلِهِ * كَصِيَاكِ الْحَشْرِ فِي أَثَرِهِ
 قُدَّتْهُ وَالْمَوْتُ مَكْتَمُنٌ * فِي مَذَاكِبِهِ وَمُشْتَجِرِهِ
 فَرَمْتُ حَقْوِيهِ مِنْهُ يَدٌ * طَلَوِي الْمَنْشُورَ مِنْ نَظَرِهِ
 زَرْتُهُ وَالْخَيْلَ عَابِسَةً * تَعْمَلُ الْبُؤْسَى عَلَى حُقْرِهِ
 خَارِجَاتٍ تَحْتَ رَايَتِهَا * تَخْرُوجُ الْعَلِيمَ مِنْ وَكْرِهِ
 وَعَلَى النِّعْمَانِ تُحْجَتُ بِهِ * عَوَاجِةٌ ذَادَتْهُ مِنْ صَدْرِهِ
 عَمَطَ النِّعْمَانُ صَفْوَتَهَا * فَرَدَدَتْ الصَّفْوَى فِي كَدْرِهِ
 وَلَقَرَقُورٌ أَدْرَتْ رَحًا .. لَمْ تَكُنْ تَرْتَدُّ فِي فِكْرِهِ

فقد تأتت البقاء له * فإبى المحتوم مر قدره
 وطفنى حتى رقت له * خُطَّةُ شِعاءٍ من ذِكْرِهِ
 فغضب المأمون وأحاطظ، وقال : لست لأبى إن لم أقطع لسانه أو أسيفك دمه .

وكان يمدح حميد بن عبد الحميد، فلما سمع حميد هذا فى أى دلف قال : أى شئ
 بقيت لنا بعد هذا من مدحك ؟ فقال :

إنما الدنيا حميدٌ * وإبديه الجسامُ
 فإذا ولّى حميدٌ * فعل الدنيا السلامُ

وهو القائل فى حميد :

دجلةٌ تسقى وأبو غانم * يُطعم من تسقى من الناس
 والناسُ جسمٌ وإمام الهدى * رأس وأنت العين فى الرأس

وقال الحسن بن سهل :

أعطيتنى يا ولّى الحق مبتدئاً * عطيةً كافأت مدسى ولم ترى
 ما شئتُ برك حتى نلت ريقه * كأنما كنت بالحدوى تُبادرنى

وهو القائل فى حميد :

إلى أكرم خطانٍ * وصلنا السهبَ بالسهبِ
 إلى مجتمع النيل * ومُلّق أرحل الركبِ
 حميدٌ مفزع الأثر * لة فى الشرق وفى الغربِ
 كأنّ الناسَ جسمٌ وه * و منه موضع القلبِ
 إذا سألَ أرضاً غ * بيت آمنسة السربِ
 وإن حاربها حلت * بها ربيعة السقبِ
 إذا لاقى رَجِلاً المور * ت بالشطبة والشطبِ
 وبالماذية الحضرِ * وبالمندية القصبِ .

دَعَجَ جَدًّا حَقْلَانِ أَوْ مُضِيرٍ * فِي يَمَانِيهِ وَفِي مُضِيرِهِ
وَامْتَدَحَ مِنْ وَائِلٍ رَجُلًا * مُصْرُ الْأَفَاقِ فِي عُمُرِهِ
الْمَنَايَا فِي مَنَاقِبِهِ * وَالْمُعْطَايَا فِي ذَرَا حُجْمَرِهِ
مَلِكٌ تَشْدَى أَنْامِلُهُ * كَانِبِلَاجِ النَّوْءِ عَنْ مَطَرِهِ
مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ * كَابْتِسَامِ الرُّوْضِ عَنْ زَهْرِهِ
جَبَلٌ عَزَّتْ مَنَاصِبُهُ * أَمِنَتْ عَدَنَاتُ فِي نُفُورِهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ * بَيْنَ مَبْدَأٍ وَمُحْتَضِرِهِ
إِنَّا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ * وَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
لَسْتُ أَدْرِي مَا أَقُولُ لَهُ * غَيْرَ أَنَّ الْأَرْضَ فِي حَقَرِهِ
يَا دَوَاءَ الْأَرْضِ إِنْ فَسَدْتُ * وَمِثْلُ الْبُشْرِ مِنْ عُسْرِهِ
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ * بَيْنَ بَادِيَةٍ إِلَى حَفَرِهِ
مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرَمَةٌ * يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَخِرِهِ

وفيها يقول :

وَزُحُوفٍ فِي صَوَاهِلِهِ * كَصِيَاكِ الْحَشْرِ فِي أَنْسَرِهِ
قُدْرَتُهُ وَالْمَوْتُ مَكْتَنٌ * فِي مَذَاكِبِهِ وَمُسْتَجَرِهِ
فَرَمْتُ حَقْوِيهِ مِنْهُ يَدٌ * طَلَوْتُ الْمُنْشُورَ مِنْ نَظَرِهِ
زَرْتُهُ وَالْخَيْلَ عَابِسَةً * تَحْمِلُ الْبُؤْسَى عَلَى عَقْرِهِ
خَارِجَاتٍ تَحْتَ رَايَتِهَا * تَخْرُوجُ الطَّيْرُ مِنَ وَكْرِهِ
وَعَلَى النِّعَمَانِ نَجَّتْ بِهِ * عَوْجَةً ذَادَتْهُ عَنْ صَدْرِهِ
تَحْمَلُ النِّعَمَانُ صَفْوَتَهَا * فَرَدَدَتْ الصَّفْوَةَ فِي كَدْرِهِ
وَلَقَدْ سَرَقُورٌ أَدْرَتْ رَحًا * لَمْ تَكُنْ تَرْتَدُّ فِي فِكْرِهِ

قد تَأَيَّتَ البَقَاءَ لَهُ • فَاَبَى الْمَحْنُومُ مِنْ قَدْرِهِ
وَلَمْ يَسْقَى حَتَّى رَفَعَتْ لَهُ • خُطْلَةً شَعَاءَ مِنْ ذِكْرِهِ
نَفَضَ المَامُونُ وَأَخَاطَ، وَقَالَ : لَسْتُ لِأَبَى إِنْ لَمْ أَطْلَعْ لِسَانَهُ أَوْ أَسْفِكَ دَمَهُ .

وَكَانَ يَمْدَحُ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ، فَلَمَّا سَمِعَ حَمِيدَ هَذَا فِي أَبِي دَلَفٍ قَالَ : أَيْ شَيْءٍ
بَقِيَتْ لَنَا بَعْدَ هَذَا مِنْ مَدْحِكَ؟ فَقَالَ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا حُمَيْدٌ • وَأَيْدِيهِ الْحِسَامُ
فَإِذَا وَلَّى حُمَيْدٌ • ضَلَّ الدُّنْيَا السَّلَامُ

وهو القائل في حميد :

دِجْلَةٌ تَسْقَى وَأَبُو غَانِمٍ • يُطِيمُ مَنْ تَسْقَى مِنَ النَّاسِ
وَالنَّاسُ جِسْمٌ وَإِمَامُ الْهُدَى • رَأْسُ وَأَنْتَ الْعَيْنُ فِي الرَّأْسِ

وقال الحسن بن سهل :

أَعْطَيْتَنِي يَا وَلِيَّ الْحَقِّ مَبْدَأًا • عَطِيَّةَ كَافَاتٍ مَدَحٍ وَلَمْ تَرِنِي
مَا شِئْتُ بَرَقَ حَتَّى نِلْتُ رَيْقَهُ • كَأَنَّمَا كُنْتُ بِالْجَدْوَى تُبَادِرُنِي

وهو القائل في حميد :

إِلَى أَكْرَمِ خَطَّانٍ • وَصَلْنَا السَّهْبَ بِالسَّهْبِ
إِلَى مَجْمَعِ النَّيْلِ • وَوُلِّقَ أَرْحُلُ الرُّكَبِ
حُمَيْدٌ مَفْزَعُ الْأُمَمِ • لَمْ يَلْوَ فِي الشَّرْقِ وَفِي الْغَرْبِ
كَأَنَّ النَّاسَ جِسْمٌ وَهُوَ • حَوْمَتُهُ مَوْضِعُ الْقَلْبِ
إِذَا سَأَلْتَ أَرْضًا • بَيْنَتْ أَمْنَةَ الشَّرْبِ
وَأَنْتَ حَادِثُهَا حَلَّتْ • بِهَا رَاغِبَةُ السَّقْبِ
إِذَا لَاقَى رَيْجِلَ الْمَوْتِ • تَبَالُغَتِ الشُّطْبَةُ وَالشُّطْبُ
وَالْمَاذِيَةُ الْخَضِرُ • وَبِالْمُعْدِيَةِ الْقُضْبُ

غداً يجمع القلب * له جندٌ من الرُعبِ
 فيافوزَ الذي وآلَى * ويابوسى أحمى الذنبِ
 أيا ذا الجود فاسلَمْ ما * برث حُقبٌ الى حُقبِ
 فانت الفيتُ في السِّلْمِ * وانت الموتُ في الحربِ
 وانت الجامعُ الصارِ = قُ بين البعد والقربِ
 بك الله تلافى لنا * من بعد العثر والنكيبِ
 وردَ البيضَ والبيضَ * الى الاغمد والجنبِ
 بإقدامك في الحربِ .. وإطعامك في اللُزْبِ
 فكبر أمتٌ من خير * وكما أشعبت *
 وكما أصلحت من خطأ * وكما أيمت من خطأ
 وما تمهرها إلا .. يذرك الطعن والضرب
 تناهت بك لخطأ * الى الغاية والحسبِ
 ففانت شرف الأحياء * قوت الرأس للمعجب^(١)

وما أسرف فيه فكفر أو قارب الكفر قوله في أبي دلة

الذى تنزل الأيام مرها .. وتقل الدهر من حال الى حال
 وما ملكت مدى طرف الى أحد .. إلا قضيت بأرزاقي وأجال
 تزور خطا تسمى البيض راضية .. وتستهل فتبكي أوجه المال

وقال فيها :

كأن خيلك في آت عمرتها أرسل قطرتهاى فوق أرسل
 يخرجن من غمراتنا معه نشر الأنامل من ذى القرة الصالى

وقال أيضا :

جلاء مشيب تزل * وأمر شباب رَحَل
طوى صاحبُ حاجبا * كذاك اختلاى الدول
أما ذلتي أقصيرى * كفاك المشيب السدل
بدا بدلا بالشبا * ب ليت الشباب البدل
جلالٌ ولكنه * تحاماه حورُ المقل

وقد كان حميد ركب يوم حيد في جيش عظيم لم ير مثله ، فقال علي بن جبلة يصف ذلك :

خدا بأمر المؤمنين ويمنه * أبو ظم فذو الندى والسحاب
وضاقت لحاج الأرض عن كل موكب * أحاط به مستطيا للواكب
كانت سماء النفع والبيض فوقهم * سماء ليل قرنت بالكواكب
فكان لأهل العيد عيدٌ بفسكهم * وكان حميد عيدهم بالمواعب
ولولا حميد لم تبلغ عن الندى * بين ولم يدرك غنى كسب كاسب
ولو ملك الدنيا لما كان سائل * ولا أهتم فيها صاحب فضل صاحب
له محكة تستفرق المال بالندى * حل عتبة شجى القنا بالترائب
ذهبت بأيام الفلا فإردا بها * وصرمت عن مسعاك شأوا المطالب
وعذلت مبل الأرض حتى تعذلت * فلم يثأ منها جانب فوق جانب
بلغت بأدنى الحزيم أبعد قطرها * كأنك منها شاهد كل غائب

فخص علي بن جبلة إلى عبد الله بن طاهر إلى خراسان ، وقد مدحه فأجرل صلته ، واستأذنه في الرجوع فسأله أن يقيم ، وكان بره يتصل عنده ، فلما طال مقامه اشتاق إلى أهله فدخل إليه فأنسده :

راعه الشيب إذ تزل * وكفاه من العذل
وأقصت مدة الحسا * وأقصى الله الشغل

قد لعمرى دَمَعَتْهُ .. بِخَضَائِبٍ فَا أَتَمَل
 فَأَيُّكَ لِلشَّيْبِ إِذْ بَدَأَ .. لَا عَلَى الرَّبْعِ وَالْعُكُلِ
 وَصَلَّ اللَّهُ نَلَامِي .. بِرُحْرِى الْمَلِكِ فَاقْصِل
 سَلِّكَ عَزْمَهُ الزَّمَا .. نُبِّ وَأَضْلَاهُ الدُّوَلُ
 صَكَّرُوهُ، يَحْدَهُ .. يَضْرِبُ الضَّارِبُ الْمَثَلُ
 وَإِلَى ظُلِّ عِزِّهِ .. يَلْبَأُ الْخَائِفُ الْوَيْجِلُ
 كُلُّ خَلْقٍ سِوَى الْإِمَا .. فِي لِإِنْعَامِهِ خَوَلُ
 لَيْتَهُ حِينَ جَنَدَنِي بِالْفَيْسَى جَادَ بِالْقَفَلِ
 فَضَمَكِ وَقَالَ : آيَّتَ إِلَّا أَنْ تُوحِشَنَا، وَأَجْزَلَ صَلَاتَهُ وَأَذْنَ لَهُ .

دخل على بن جبلة المَكُونِيَّ عَلَى حُمَيْدِ الطُّوسِيِّ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَأَنشَدَهُ :

جَعَلَ اللَّهُ مَدْخَلَ الصَّوْمِ فَوْزًا .. تَحْمِيدٌ وَتُمْنَةٌ فِي الْبَقَاءِ
 فَهُوَ شَهْرُ الرَّيِّحِ لِلْقُرَّاءِ .. وَفِرَاقُ النَّدَامَانِ وَالصَّبِيَاءِ
 وَأَنَا الضَّمْنُ الْمَلِيٌّ مَنْ عَا .. قَرَاهَا مُفْطِرًا بِطُولِ الظُّلَّةِ
 وَكَأَنِّي أَرَى اتِّتَدَاخِي عَنِ الْحَدِّ .. نَفْسٌ يَرْجُونَ صَبْحَهُمْ بِالْمَسَاءِ
 فَدَعَاؤِي بَعْضُهُ زِيَارَةٌ بَعْضُ .. وَاسْتِمَاعُهَا مَصَاحِفًا بِالْفَنَاءِ

وهي تقول :

بِحَمِيدٍ — وَأَيْنَ مِثْلُ حَمِيدٍ — .. تَفَرَّتْ طَبِئِيَّ عَلَى الْأَحْيَاءِ
 جَوْدُهُ أَظْهَرَ السَّاحَةِ فِي الْأَرِّ .. ضَوْضُ وَأَغْنَى الْمَقْوَى عَنِ الْإِقْوَاءِ
 مَلِكٌ يَمْسُلُ الْعِبَادُ نَدَاهُ .. مِثْلُ مَا يَأْمُلُونَ قَطْرَ السَّمَاءِ
 صَاعَهُ اللَّهُ مُضِيمٍ النَّاسِ فِي الْأَرِّ .. ضَوْضُ وَصَائِغُ السَّحَابِ لِلْإِسْقَاءِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم - وقال : استعن بيده على نفقة صومك ، ثم دخل إليه ثانيا

سؤال فأنشده :

عَلَّلَانِي بِصِفُو مَا فِي الذَّنَانِ .. وَأَتْرَكَ مَا يَقُولُهُ الْمَذَلَّانِ
 وَأَسِيقَا فَاجْجَعِ النِّيَّةَ بِالْعِيْدِ .. يَشِرْ فَكُلُّ عَلَى الْمُسَيِّدِينَ فَاقِي
 عَلَّلَانِي بِشَرِيَّةِ تُلْعَبِ الْمَدِّ * سَمَّ وَتَنَفَّى طَوَارِقَ الْأَحْزَانِ
 وَالْقِيَا فِي مَسَامِعِ سَلْعَا الصَّوْرِ * مُرَدَّقُ الْمَوْصِلِ أَوْ دَحْمَانِ
 قَدْ أَتَانَا شَوَالٌ فَاقْتَبِلِ الْعِيْدَ * شَرُّ وَأَعْدَى قَسْرًا عَلَى رَمَضَانَ
 نِيَمَ حَوْثُ الْقَسَقِ عَلَى نُوبِ الدَّمْرِ * يَرِ سَمَاعُ الْقِيَانِ وَالْبَيْدَانِ
 وَكُلُّوْهُنَّ تَهْمَرِي بِمَاءِ كَرُومِ .. وَمَطَى الْكُكُؤُوسِ أَيْدِي الْقِيَانِ
 مِنْ حُقَانٍ يُغِيثُ كِبَالَ احْتِشَامِ * وَتُسَرُّ النَّفْمَانُ بِالْأَنْدَمَانِ
 وَكَانَتْ الْمِزَاجُ يَحْدَحُ مِنْهَا * شَرًُّا فِي مَبَالِكِ الْبُقِيَانِ
 فَاشْرِبِ الرَّاحَ وَأَحْصِ مَنْ لَمْ فِيهَا .. إِنَّمَا نِيَمَ حُمْلَةُ الْفَتِيَانِ
 وَأَحْصِبِ الدَّهْرَ بِأَوْحَالٍ وَحُلٍّ * لَا تَحْقِفْ مَا يَحْصُرُهُ الْخَادِثَانِ
 حَسْبُ مَسْتَظْهِرٍ عَلَى الدَّهْرِ رَكَا * بِجُبَيْدٍ رَدْمًا مِنَ الْخَدِثَانِ
 مَلِكٌ يَقْتَفِي الْمَكَارِمَ كَثْرًا .. وَتَرَاهُ مِنْ أَكْرَمِ الْفَتِيَانِ
 خُلِفَتْ رَاخَتَاهُ لِلْجُودِ وَالْبَأْسِ .. سِيْنٌ وَأَمْوَالُهُ لَشُكْرِ الْآسَانِ
 مَلِكُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَعْدٌ * وَأَقْرَبُ لَهُ بَنُو خَطَّانِ
 أَرِيحِيُّ النَّدَا جَيْلُ الْحَيَا * يَذُو وَالْمَحَاجُ مَعْتَدَانِ
 وَجْهَهُ مُشْرِقٌ إِلَى مُعْتَصِيهِ * وَيَدَاهُ بِالْفَيْثِ تَفْجِرَانِ
 جَمَلُ الدَّهْرِ بَيْنَ يَوْمِيهِ قَسِيمٍ .. بِنُ بَشْرِفِ جَزَلٍ وَحَرْ طِمَانِ
 فَذَا سَارَ بِالْخَيْسِ لِحَرْبٍ * كَلَّ عَنْ نَصِّ جَدِّهِ الْخَلِيقَانِ
 وَإِذَا مَا هَزَزَتْهُ لِنَوَالٍ * ضَاقَ عَنْ رَحْبِ صَدْرِهِ الْأُفْقَانِ
 غَيْثٌ جَدِيدٌ إِذَا أَقَامَ رَبِيعٌ * يَتَنَفَّسُ بِالسَّهْبِ كُلِّ مَكَانِ
 يَا أَبَا غَانِمٍ بَقِيَّتْ عَلَى الدَّمْرِ * بِرٍ وَخُلَّتْ مَا بَحَرَى الْمَصْرَانِ

ما تُبَالِي إِذَا عَدَّتْكَ الْمَنَايَا • مَنْ أَصَابَتْ بِكَ كَلَمٌ وَجَرَانِ
 قَدْ جَعَلْنَا إِلَيْكَ بَيْتَ الْمَطَايَا • هَرَبًا مِنْ زِمَانَا الْخَوَانِ
 وَحَلْنَا الْحَاجَاتِ فَوْقَ حِثَايِ • ضَامِنَاتِ حَوَائِجِ الرِّكَاثِ
 لَيْسَ جُودٌ وَرَاءَ جُودِكَ يُثْنَى • بٌ وَلَا يَتَّعِنِي لِفَيْدِكَ طَانِ

فأمر له بشرة آلاف درهم، وقال: تلك كانت للصوم تخففت وخففتا، وهذه للفطر
 فقد زدتها وزدناك .

ولما مات حميد الطوسي رثاه بقصيدته العلية المشهورة التي تُعدّ من نادر الشعر
 وبديعة، وهي :

اللهم نبكي أم على الدهر نَجْزَعُ • وما صاحب الأيام إلا مُتَجَعُّ
 وَلَوْ سَهَّلْتَ عَنْكَ الْأَمْسَى كَانَ فِي الْأَمْسَى • عِزَاءُ مَعَزٍ لِلْيَبِّ وَمَقْنَعُ
 تَعَزٍّ بِمَا عَزَيْتَ غَيْرَكَ إِنَّمَا • سِهَامُ الْمَنَايَا حَامِيَاتُ وَوَقْعُ
 أَصْبُنَا يَوْمٍ فِي مُجِيدٍ لَوْ أَنَّهُ • أَصَابَ مَرُوسَ الدَّهْرِ ظَلَّتْ تَضْمَعُ
 وَأَذْبَنَا مَا أَقْبَدَ النَّاسَ قَبْلَنَا • وَلَكِنَّهُ لَمْ يَبْقِ لِلصَّبْرِ مَوْضِعُ
 أَلَمْ تَرَ نَافِثَاتِمْ كَيْفَ تَصَرَّمَتْ • بِهِ • وَبِهِ كَانَتْ تُنَادُ وَتُدْفَعُ
 وَكَيْفَ اتَّقَى مَثْوًى مِنَ الْأَرْضِ ضَيْقُ • عَلَى جَبَلٍ كَانَتْ بِهِ الْأَرْضُ تُنْمَعُ
 وَلِمَا آتَقَضَتْ أَيَّامُهُ آتَقَضَتْ أُمَلَا • وَأَخْفَى بِهِ أَنْفُ النَّدَى وَهُوَ أَجْدَعُ
 وَرَاحَ عَدُوِّ الدِّينِ جَذْلَانِ يَتَحَيَّ • أَمَانُ كَانَتْ فِي حَسَاءِ حَمْلَعُ
 وَكَانَ مُجِيدُ تَقِيْلًا وَكَمَتْ بِهِ • قَوَاعِدُ مَا كَانَتْ عَلَى الضَّمِيمِ تَرْكُمُ
 وَكَانَتْ أَرَاهُ كَالرَّزَايَا رُزِيَّتْهَا • وَلَمْ أَدْرَأَنَّ الْخُلُقَ تَبْكِيهِ أَجْمَعُ
 حِمَامُ رَمَاهُ مِنْ مَوَاضِعِ أَمْنِهِ • حِمَامُ كَذَلِكَ الْخَطْبُ بِالْخَطْبِ يُدْفَعُ
 وَلَيْسَ يَفْرُو أَنْ تُصِيبَ مَيَّةٌ • حِمَى اخْتَبَأَ أَوْ أَنْ يَذِلَّ الْمُتَنَعُ
 لَقَدْ أَدْرَكْتُ فِينَا الْمُنَابَا بِثَارِهَا • وَحَلَّتْ بِخَطْبٍ وَهِيَ لَيْسَ يُرْقَعُ

نساء نأ للسرايا إذا غ
 ولزرق المكروب ضاقت بأمره * فلم يدر في حوماتها كيف يصنع
 والبيض خلتها البصول ولم يدع لها غيره داعي الصباح المفزع
 كأن حميدا لم يقض جيش عسك إلى عسكر أشياؤه لا تروغ
 ولم يبعث الخيل المفيرة بالضحي مراحا ولم يريح بها وهي ظلع
 رواج يحملن الثباب ولم تكن كتائبه إلا على الثب نريح
 هو جبل الدنيا المنيع وفيها ال خرج وحاميهما الكمر المشع
 وسيف أمير المؤمنين ورعته ومفتاح باب الخطب والخطب أظف
 فاقمته من ملهه وربا وناله قفر من الأرض بلق
 على أي شجر تشكى النفس بعده إلى شجوه أو يذخر الدمع منفع
 ألم تر أن الشمس حال ضياؤها طيه وأضحى لونها وهو أضع
 وأوحش الدنيا وأودى بهاؤها وأجذب مرطها الذي كان يمسع
 وقد كانت الدنيا به مطمئنة فقد جعلت أوتادها لتقلع
 بكى قلبه روح الحياة كما بكى نذاه الندى وأبرن السيل المدفع
 وفارق البيض الخدور وأبرزت عواطل حمري به له لا تـ
 وأيقظ أجفانا وكان لها الكرى ونامت عيون لم تكن قبل تهجع
 ولهكنه مقدار يوم سوى به لكل أمرئ من نهال ومشرع
 وقد رآب الله الملا بمحمد وبالأصل يئى فرعه المتفرع
 أغر، على أسيافه ورماحه تقسم أفضال الخويس وتجمع
 حوى من أبيه بلل راحته الندى وطعن الكلى والزاعية شرع

(مطبعة دار الكتب المصرية ٥٤٩/١٩٢٧/٢١٥٠)

عبد الملامون



المكتبة

أحمد فرید زفامی

المفتش بوزارة الداخلية

المجلد الثالث

(حقوق الطبع محفوظة المؤلف)

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٤٦ - ١٩٢٧ م

فهرست

المجلد الثالث من عصر المأمون

ملحق الكتاب الثالث - عصر الأمين والمأمون

باب المشور :

صفحة	نصوص كتب الأمين والمأمون - نص كتاب الأمين الى المأمون ١
	نص كتاب الأمين الى أخيه صالح ٢
	القول بخلق القرآن (ما كتبه المأمون الى ولده) ٥
	عهد طاهر بن الحسين ١٧
	رسالة الخنيس (ما كتبه المأمون الى أهل خراسان) ٢٦
	ما كتبه السيدة زبيدة الى المأمون - ما كتبه المأمون اليها ٣٨
	رسالة أحمد بن يوسف ٣٩

رسائل سهل بن هارون :

٤٨	وصفه وتاريخ حياته - ما حكاه الجذخه
٤٩	ما حكاه دجيل الخواص الشاعر عنه
٥٠	كتبه وطريقته في التأليف
٥٢	من كلام له في تاجه نعمة ودفرة
٥٣	ما كتبه الى صديق له أول من ضعف - رسالته في الجهل
٥٧	شيء من شعره

رسائل عمرو بن مسعدة :

٥٩	وصفه وتاريخ حياته
٦١	من كلام له - ما كتبه الى الحسن بن سبل - ما كتبه الى المأمون
٦٢	من حكمه

صفحة

- ماكتبه الى بعض الرؤساء ٦٤
 شيء من شعره ٦٥
 حكاية له ٦٦
 ما قاله أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي فيه ٧٠

الملاحظات :

- وصفه وتاريخ حياته — رساله في بى أمة ٧٢
 ماكتبه الى بعض إخوانه في ذم الزمان ٨٠
 وصفه لقريش وبنى هاشم ٨٢
 ماكتبه في الاخطار — ماكتبه في الاستصاف ٨٣
 ماكتبه في ذم الحسد — دفاؤه عن مؤلفاته ٨٤
 ماكتبه في خطبته بدب المذهب ٩٢
 ماكتبه في قصص البيان ٩٨
 ماكتبه في مدح الكتب ١٠١
 ماكتبه في الترغيب في اصطلاح الكتب ١١٥

الرسائل :

- نصوص المنتخب من رسائل الخزانة في كل فن — كتب وجعل الى صدوقه ١٢٨
 فصل لسعيد بن حميد ١٣١
 فصل في هدية — فصل في شعاع — فصل لرحل تيمس — فصل لأحمد بن يوسف
 فصل في الصلح لأبي علي — فصل لأحمد بن يوسف ١٣٣
 فصل فيقال بن تبة — فصل في التوديع — فصل في الصلح — جواب في صبح ١٣٤
 فصل في الصلح عن الجلاء — فصل في الاخطار ١٣٥
 الى الأمود من عامل — فصل لأبن الكهي ١٣٦
 فصل لإبراهيم بن اسحاق بن داور ١٣٧
 فصل لمروين مسعدة ١٣٨
 فصل لعميس بن واضح الى الفصل بن ديع — فصل لجبل بن يزيد ١٣٨
 وله في الخطر — وله الى بعض إخوانه ١٣٩
 فصل لأبن أعين كاتب الخيزران — فصل لأبن الكهي — فصل لعل بن عبيدة الى ابن الكهي ١٤٠
 فصل لجماعة — فصل لسعيد بن عبد الملك ١٤١

فهرس المجلد الثالث

(٥)

صفحة

- ١٤٢ فصل لجل بن يزيد الى بعض اخوانه — وله الى بعض اخوانه أيضا
- ١٤٤ فصل في شكر
- ١٤٥ فصل في صفة الجند
- ما كتبه جعفر بن محمد الأشعث الى زجل لم يكتبه — ما كتبه الفضل بن يحيى الى رجل يشاوره في أمر حدث — ما كتبه أحمد بن يوسف الى اصحاق بن ابراهيم الموصلي — توسل
- ١٤٦ ما كتبه طاهر بن الحسين الى الفضل بن سهل — ما كتبه محمد بن الجهم — ما كتبه محمد بن سمر — ما كتبه ابن رهب في الاعتذار
- ١٤٧

التحاميد :

- ١٤٨ التحميد الأول — التحميد الثاني
- صدر تحميد مفرد — صدر تحميد آخر — تحميد مختار لكتاب خريفة بن حازم في فتح
- ١٤٩ الصنارية — تحميد لأحمد بن يوسف الى الولاة من الخليفة
- تحميد لابراهيم بن العباس في فتح اسماعيل بن اصحاق — التحميد الثاني — تحميد له مبتدء
- ١٥٠ مقام بين يدى الخليفة
- ١٥١ تحميد ثان — تحميد ثالث
- ١٥٣ تحميد في فتح لابن العباس
- وله في فتح ابن البعث لنا طفره
- ١٥٣ وله صدر كتاب الخليس في تحميد الله وتحميد
- ١٥٤ تحميد لأحمد بن يوسف في صدر رسالة الخليس التي كانت تقرأ بخراسان
- ١٥٥ تحميد للعباس في مقام له بين يدى اثمون — تحميد لعبد الحميد في أن الغلاء الحروى
- ١٥٦ تحميد في فتح الى أمير القامة — صدر تحميد لتمام بن عبد الحميد في حصة موجة — تحميد
- ١٥٧ لعبد الحميد في فتح
- ١٥٨ تحميد ثالث
- ١٥٩ تحميد لأمن بن أبي شيخ — تحميد لعبد الحميد في فتح يصم فيه أمر الاسلام
- ١٦٠ تحميد لعبد الحميد أيضا
- ١٦١ تحميد لقامة — تحميد يزيد بن علي — تحميد في الاسلام
- ١٦٢ تحميد لأبي عبيد الله
- ١٦٣ صدر رسالة في الخليس لابراهيم بن المهدي
- ١٦٤ تحميد في الاسلام وما أمته به على أهله
- ١٦٥ تحميد في الجهاد وما يست به النبي صلى الله عليه وسلم

١٦٨ محمد بن محمد سعيد بن حيد

١٦٩ محمد لابن القفص .

١٧١ محمد لسان بن عبد الحميد — محمد لأحد بن يوسف في فتح السند

١٧٢ محمد لأبي عبيد الله — محمد لسعيد بن حميد

١٧٣ فيا يترط به الخليفة

١٧٧ محمد لأبي عبيد الله

١٨٠ ما يكتب به في الحقائق وقت الخليفة

١٨١ ما يكتب به في صفة الخلفين

١٨٤ ما يكتب به في الصفة — ما يكتب به في مدح تواتر الجيوش وعتبة الأدياء في أسرارهم ...

١٨٧ وصف الأدياء في الكتب

١٨٨ ما يترط به أمير المؤمنين في أواخر الكتب — سعيد بن حيد

التحاميد في أواخر الكتب :

١٨٨ محمد لسعيد بن نصر — محمد لإبراهيم بن العباس — محمد لأبي عبيد الله

١٩٢ المدد لأبي المؤمنين في أواخر الكتب

مختار ما كتب من باب التهانى في كل فن :

تتمة خليفة بطر — ما كتبه إبراهيم بن المهدي الى الخضم عنه بجروجه عن أرض الزم

١٩٣ بعد فتح حمورية

١٩٤ ما كتبه أحمد بن يوسف الى عبد الله بن طاهر عنه بطر — تتمة خليفة بصح ...

١٩٥ تتمة بولاية — تتمة لسعيد بن حيد الى بعض اخوانه

١٩٧ ما كتبه محمد بن مكرم الى أحمد بن دينار

١٩٨ تتمة يزل عامل عن عمله

١٩٩ ما كتبه محمد بن مكرم الى إبراهيم بن الخضر

٢٠٠ تتمة بتزوج وبناء أهل

٢٠١ تتمة بملود كتبها العباس بن الحسن الطالبي الى الأمون

٢٠٤ ما كتبه ابن القفص الى مدققة ولدت له جارية

٢٠٥ تتمة لمحمد بن مكرم الى ضرائق أسلم

باب المنظوم :

٢٠٦ أبو نواس

٢٤٩ الشافعي

فهرس المجلد الثالث

(ز)

صفحة

٢٥٥ دجبل
٢٦٥ حسين بن الضحاك
٢٧٨ محمد بن عبد الملك الزيات
٢٨٣ ابن القواب
٢٨٦ انصري
٢٩٥ عبد الله بن طاهر
٢٩٨ ما قبل في هاء الأمين وثانته
٣٠٣ هاء يحيى بن أكرم
٣٠٥ وصف ثورة بغداد وحريقها

مُلْحَقٌ

الكتاب الثالث

باب المشور

(١) نصوص كتب الأئمة والمأمون

١ - نص كتاب الأئمة إلى المأمون، وهو الكتاب الذي أشرنا إليه في الجزء الأول. إذا ورد عليك كتاب أخيك - أعاده الله من قعدك - عند حلول ما لا مرد له ولا مدفع، مما قد أخلف وتماخى الأمم الخالية، والقرون الماضية، بما عزاك الله به. وأعلم أن الله جل ثناؤه، قد اختار لأئمة المؤمنين أفضل الدارين، وأجزل الخطين، فقبضه الله طاهراً زاكياً، قد شكر سعيه، وغفر ذنبه، إن شاء الله. فقم في أمرك قيام ذى الحزم والعزم، والناظر لأخيه ونفسه، وسلطانه وعامة المسلمين. وإياك أن يغلب عليك الجزع، فإنه يُحبط الأجر، ويُعقب الوزر؛ وصلوات الله على أمير المؤمنين حياً وميتاً. وإنا لله وإنا إليه راجعون. وخذ البيعة على من قبلك، ممن قوادك وجندك، وخاصتك وطاعتك، لأخيك ثم لنفسك، ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين، على الشريطة التي جعلها لك أمير المؤمنين: من نسخها له وإثباتها، فإنك مقلد من ذاك، ما قلده الله وخليفته.

واعلم من قبلك رأيي في صلاحهم، وسد خلتهم، والتوسعة عليهم؛ فمن أنكرته عن بيعته، أو أتهمته على طاعته، فابحث إلى رأسه مع خبره. وإياك وإقالتة، فإن النار أولى

به . واكتب الى عمال ثغورك ، وأمرأه أجنادك ، بما طرقتك من المصيبة بأمر المؤمنين ، وأعلمهم أن الله لم يرش الدنيا له ثوابا ، حتى قبضه الى روحه وراحته وجنته ، مغبوطا محمودا ، قائدا لجميع خلفائه الى الجنة إن شاء الله . ومُرهم أن يأخذوا البيعة على أجنادهم ، وخواصهم وعوامهم ، على مثل ما أمرتك به ، من أخذها على مَنْ قبلك ، وأوعز إليهم في ضبط ثغورهم ، والقوة على صلواتهم . أتى متفقاً حالاتهم ، ولأَم شَعَثهم ، وموسع عليهم ، ولا آت في حقوة أجنادى وأنصارى . ولكن كتبك إليهم كتاباً عامة لتقرأ عليهم ، فإن ذلك ما يستحسنهم ، ويسيطر أملهم . وأعمل بما تأمر به لمن حضرك ، أو تأى عنك من أجنادك على ما ترى وتشاء . فإن أخاك يصرف حسن اختيارك ، وصحة رأيك ، وبعد نظرك ، وهو يستحفظ الله لك ، ويسأله أن يشدبك عضده ، ويعم بك أمره ، إنه لطيف لما يشاء . وكتب بك بن المؤمنين يدى وإملأنى في شوال سنة ١٩٢ هـ

٢ - وهذا كتاب محمد الأمين الى أخيه صالح .

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا ورد عليك كتابي هذا عند وقوع ما قد سبق في علم الله ، وقَدْ من قضائه ، في خلفائه وأوليائه ، وجرت به سنته في الأنبياء والمرسلين ، والملائكة المقربين ، قال : **رَكَّلَ نَبِيٌّ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** . فاحمدوا الله على ما صابرا اليه أمير المؤمنين ، من عظيم ثوابه ومُرأقة أنبيائه ، صلوات الله عليهم . إننا إليه راجعون ، وإياه نسأل أن يُحسن الخلافة على أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وقد كان لهم عَصْمَةٌ وكفها ، وبهم رموا رحباً .

فشمز في أمرك . وإياك أن تلقى بيدك ، فإن أخاك قد أخبرك لما استنهضك له . وهو مُتَّفَقٌ موافق قدامك . لحقق ظنه ، ونسأل الله التوفيق . وخذ البيعة على مَنْ قبلك ، من ولد أمير المؤمنين . وأهل بيته ومواليه وحاصسته وطامته لمحمد أمير المؤمنين ، ثم لعبد الله ابن أمير المؤمنين . ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين ، على الشريطة التي جعلها

أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - من نسخها على القاسم أو إبنتها . فإن السعادة واليمن في الأخذ بهمه والمضي على مناهجه .

وأعلم من قبلك من الخاصة والعامة رأيي في استصلاحهم . ورد مغاليمهم ، وتفقد حالاتهم ، وأداء أرزاقهم ، وأعطياتهم عليهم . فإن شغب شاذب ، أو نمر ناعرة ، فأسقط به سطوة تجمله نكالا لما بين يديها وما حققها وموعظة للتقين . وأضمتهم إلى الميمون ابن الميمون الفضل بن الربيع ولد أمير المؤمنين وخدمه وأهله ، ومُره بالمسير معهم فيمن معه ، وجنده ورباطته ، وصير إلى عبد الله بن مالك أمر العسكر وأحداثه ، فإنه ثقة على ما يلي ، مقبول عند العامة ، وأضمتهم إليه جميع جند الشرط ، من الروابط وغيرهم ، إلى من معه من جنده ، ومُره بالحد والثيقظ ، وتقديم الحزم في أمره كله . ليلة ونهاره . فإن أهل العداوة والحقاق لهذا السلطان يتتبعون مثل حلول هذه المصيبة ، وأقر حاتم بن هرثمة على ما هو عليه ، ومُره بحراسة ما يحفظ به قصور أمير المؤمنين ، فإنه من لا يُصرف إلا بالطاعة ، ولا يدين إلا بها . بمعافدة من الله . مما قدم له من حال أبيه محمود عند الخلفاء ، ومُره الخدم بإحضار وإبطهم ، من يُسد بهم وبأجنادهم مواضع انخل من عسكرك ، فإنهم حد من حدودك ، وصير مقلمتك إلى أسد بن يزيد بن مزيد ، وسأقتك إلى يحيى بن معاذه . فيمن معه من الجنود . ومُرهما بمناوبتك في كل ليلة .

وأزِم الطريق الأعظم . ولا تملؤن المراحل . فوَن ذلك أرفق بك ، ومُره أسد بن يزيد ، أن يخفِر رجلا من أهل يته أو قواده ، فيصير إلى مقدمته ، ثم بصير أمامه ، لتهيئة المنازل ، أو بعض الطريق ، فإن لم يخفِرْك في عسكرك بعض من سميت . فاختر لمواضعهم من ثيق بطاعته ، ونصيحته وهيبته . عند العوام ، فإن ذلك لن يعوزك . من قواده وأنعبارك ، إن شاء الله .

وليك أن تُفدَ رايًا ، أو تُبدِمَ أمرا ، إلا برأي شيخك ، وبقية آبائك . الفضل بن الربيع ، وأقرر جميع الخدم على ما في أيديهم من الأموال والسلاح والخزائن وغير ذلك ،

ولا تُخْرِجَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ، مِنْ ضَمْنِ مَا لِي، إِلَى أَنْ تَقْدَمَ عَلَيَّ . وقد أوصيت بكر بن المَعْتَمِرِ
بِمَا سَيُفْلِحُكَ ؛ وَأَعْمَلْ فِي ذَلِكَ بِقَدْرِ مَا تَشَاهِدُ وَتَرَى . وإن أمرت لأهل السكْرِ بِعَطَاءِ
أَوْ رِزْقٍ فَلْيَكُنِ الْفَضْلُ بِنِ الرَّبِيعِ الْمُتَوَلَّى لِإِعْطَائِهِمْ ، عَلَى دَوَاوِينَ يَتَّخِذُهَا لِنَفْسِهِ ، بِمَحْضَرٍ
مِنْ أَصْحَابِ الدَّوَاوِينَ ؛ فَإِنَّ الْفَضْلَ بِنِ الرَّبِيعِ لَمْ يَزَلْ مِثْلَ ذَلِكَ لِمَهْمَاتِ الْأُمُورِ . وَأَنْفِذْ
إِلَيَّ عِنْدَ وَصُولِ كِتَابِي هَذَا إِلَيْكَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ صَبِيحٍ ، وَبَكْرَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ ، عَلَى مَرَكَبَيْهِمَا
مِنَ الْبَرِيدِ ؛ وَلَا يَكُنْ لَكَ عُرْجَةٌ وَلَا مُهْلَةٌ ، بِمَوْضِعِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ، حَتَّى تُوجَّهَ إِلَى
بِعْسُوكَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْخِزَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . أَخُوكَ يَسْتَدْفِعُ اللَّهُ عَنْكَ ، وَيَسْأَلُهُ لَكَ
حَسَنَ التَّأْيِيدِ رَحْمَتَهُ . وَكُتِبَ بِكَرْنِ الْمُعْتَمِرِينَ يَدَيَّ وَإِمْلَأْنِي فِي شَوَّالِ سَنَةِ ١٩٢ هـ .

(ب) القول بخلق القرآن

وماك مثلاً مما كتبه المأمون إلى ولاته في الأخذ بمذهبه في القول بخلق القرآن؛ وهو ما أرسله إلى عليّ إصحاق بن إبراهيم وما يرويه لنا الطبري مما حصل .
أما الكتاب فهو :

أما بعد، فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد في إقامة دين الله الذي استخلفهم، وموارث النبوة التي أودعهم، وأثر العلم الذي استودعهم، والعمل بالحق في رعيته، والتشجيع لطاعة الله فيهم؛ والله يسأل أمير المؤمنين، أن يوقفه لمزعة الرشد وصريته، والإحسان فيما ولّاه الله من رعيته، برحمته ويمته؛ وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم - والسواد الأكبر، من حشو الرعية، وسفلة الصائفة، ممن لا نظره ولا روية، ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته، ولا استضاءة بنور العلم وبرهانه، في جميع الأقطار والآفاق، أهل جهالة بالله وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه وتو
والإيمان به، وتكوير عن واضحاته وأعلامه وواجب سبيله، وقصور أن يقدروا الله حق قدره، ويعرفوه كنه معرفته، ويفرقوا بينه وبين خلقه، لضعف آرائهم، وتقص حقولهم، وجفائهم عن التفكير والتذكر؛ وذلك أنهم ساءوا؛

القرآن ، فأطبقوا مجتمعين ، وآتفقا غير متعاجلين . على أنه قديمٌ أقول : لم يخلقه الله . ويُحدثه ويختلعه ، وقد قال الله عز وجل في مُحْكَمِ كِتَابِهِ : الذي جعله لنا في الصدور شفاءً ، وللذين رحمةً وهدى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ . فكل ما جعله الله فقد خلقه ، وقال :

يُحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ . وقال عز وجل :

﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ . فأخبر أنه قصصُ لأُمُورٍ أحدثها بعدد .

وتلا به مُنْقَضَهَا ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ خَلَقَ حَيْرًا ﴾ . وكل مُحْكَمٍ مُفَصَّلٍ ، فله مُحْكَمٌ مُفَصَّلٌ ، والله مُحْكَمٌ كِتَابُهُ ومُفَصَّلُهُ . فهو حائِظٌ ومُبْتَدِعُهُ .

ثم هم الذين جادلوا بالباطل، فدعوا إلى قولهم، ونسبوا أنفسهم إلى السنة، وفي كل فصل من كتاب الله قصص من تلاته، مبطل قولهم، ومكذب دعواهم، يرد عليهم قولهم ويختمهم، ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحق والدين والجماعة، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة، فاستطالوا بذلك على الناس، وغرّوا به الجهال، حتى مال قوم من أهل السمّ الكاذب، والتعشّع لغير الله، والتعشّف لغير الدين إلى موافقتهم عليه، ومواطأتهم على سبّ آرائهم، تريّثاً بذلك عندهم، وتصنّعاً للرياسة والمدالة فيهم، فتركوا الحق إلى باطلهم، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالتهم، فقيلت بتركيتهم لهم شهادتهم، ونفذت أحكام الكتاب بهم . على دغل دينهم، ونغل أديهم، وفساد نيّاتهم ويقينهم ؛ وكان ذلك ظيهم التي إليها جروا، وإياها طلبوا في متابعتهم ، والكذب على مولاهم، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب، ألا يقولوا على الله إلا الحق، ودرسوا ما فيه، أولئك الذين أصمهم الله، وأعمى أبصارهم ، ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ، أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ . فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة، ورجوس الضلالة، المتغوصون من التوحيد حقاً ، والمتحوسون من الإيمان نصيباً، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب، ولسان إبليس الناطق في أوليائه، والهاائل على أعدائه، من أهل دين الله، وأحق من يُتهم في صدقه، وتُطرح شهادته، ولا يوثق بقوله ولا عمله، فإنه لا عمل إلا بعد يقين، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام، وإخلاص التوحيد؛ ومن عي عن رشده وحظه، من أهل الإيمان بالله وبتوحيده، كان عما سوى ذلك من عمله، والقصد في شهادته . أعمى وأضل سبيلاً، ولعمر أمير المؤمنين أن أحجى الناس بالكذب في قوله . ونحزّص الباطل في شهادته من كذب على ووحيه ، ولم يعرف الله حقيقة معرفته، وأن أولاهم برّ شهادته، في حكم الله ودينه من رد شهادة الله على كتابه ، وبهت حق الله بباطله ، فاجمع من بحضرتك من القضاة ، واقرا عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك، فابدأ بامتحنهم فيما يقولون، وتكشيفهم عما يعتقدون، في خلق الله القرآن وإحداثه . وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله ، ولا واثق

ملحق الكتاب الثالث

فيا قلده الله، واستحفظه من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه، وخلوصه، ته .
 فإذا أقرؤوا بذلك، وواقفوا أمير المؤمنين فيه، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة، فثم بنص
 من يحضرهم من الشهود على الناس . ومساكنهم من علمهم في القرآن . وترك إثبات شهادة
 من لم يقرأته مخلوق تحدث ولم يره، والامتناع من توقيعها عنده، وأكتب إلى أمير المؤمنين
 بما يأتيك، عن قضاة أهل عهلك في مسألتهم، والأمر لهم بمثل ذلك، ثم أشرف عليهم،
 وثققت آثارهم، حتى لا تنفذ أحكامهم الله . إلا بشهادة أهل البصائر في الدين . والإخلاص
 للتوحيد، وأكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك إن شاء الله . وكتب في شهر
 ربيع الأول سنة ٢١٨ هـ .

وكتب المأمون، إلى إسحاق بن إبراهيم، في أشخاص سبعة قرء منهم : محمد بن سعد
 كاتب الواقدي، وأبو مسلم مستمل يزيد بن هارون، ويحيى بن معين . وزهير بن حرب
 أبو خيثمة، وإسماعيل بن داود، وإسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد بن الدؤوبي .
 فأخلصوا إليه، فامتنعهم . وسألهم عن خلق القرآن . فجابوا جميعاً أن القرآن مخلوق .
 فأخلصهم إلى مدينة السلام . وأحضرهم إسحاق بن إبراهيم داره . فشهد أمرهم وقولهم
 بحضرة الفقهاء، والمشايخ من أهل الحديث . فأقرؤا بمثل ما أجابوا به المأمون فخل سبيلهم .
 وكان ما فعل إسحاق بن إبراهيم من ذلك بأمر المأمون .

وكتب المأمون بعد ذلك إلى إسحاق بن إبراهيم :

أما بعد . فإن من حق الله على خلقائه في أرضه . وأمانته على عبادته . الذين أوتواهم
 لإقامة دينه، وحملهم رعاية خلقه، وإمضاء حكمه وسننه . ولا أنتمأ بعمله في برته . أن
 يجهدوا الله أنفسهم . ويتصحبوا له فيما استحفظهم وقلدهم . ويدلوا عليه — تبارك اسمه
 وتعالى — بفضل العلم الذي أودعهم . والمعرفة التي جعلها فيهم، ويهدوا إليه من زاغ
 عنه . ويردوا من أدبر عن أمره . ويتبعوا زواياهم سمّت نجاتهم . ويقفوا على حدود
 إيمانهم . وسبيل فوزهم وعصمتهم . ويكشفوا لهم عن غطيات أمورهم . ومستبهمات

عليهم ، بما يدفعون الرب عنهم . ويعود بالضياء والبهنة على كافتهم ، وأن يؤثروا ذلك من إرشادهم وتبصيرهم ، إذ كان جامعا لقنن مصانهم ، ومتظلا لحظوظ عاجلتهم وآجلتهم ، ويتذكروا أن الله مُرْصِدٌ من مساوئهم عما حُمِّلوه ، وبجازاتهم بما أسقوه ، وقلموا عنده ؛ وما توفيقُ أمير المؤمنين ، إلا بالله وحده ، وحسبه الله وكفى به . ومما يثنه أمير المؤمنين برويته . وطالعه بفكره ، فبين عظيم خطره ، وجليل ما يرجع في الدين من وكفه وضرره ما ينال المسلمون بينهم من القول في القرآن الذي جعله الله إماما لهم ، وأثرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم باقيا لهم ، وأشباهه على كثير منهم ، حتى حُسِنَ عندهم . وترين في عقولهم . ألا يكون غلوقا ، فتعرضوا بذلك لدفع خلق الله ، الذي بان به عن خلقه . وتهدد بجلالته من ابتداع الأشياء كلها بحكته ، وإنشائها بقدرته ، والتقدم عليها بأوليته . التي لا يبلغ أولاهها ، ولا يدرك مداها ، وكان كل شيء دونه ، خلقا من خلقه ، وحدثا هو المحدث له ، وإن كان القرآن ناطقا به ، ودالا عليه ، وقاطعا للاختلاف فيه ، وضاهوا به قول النصارى ، في أدعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق ، إذ كان كلمة الله ، والله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ . وتأويل ذلك : إنا خلقناه . كما قال جل جلاله : ﴿ وَجَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ . وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ . ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾ . فسوى عز وجل ، بين القرآن ، وبين هذه الخلائق . التي ذكرها في نسبة الصنعة ، وأخبر أنه جاعله وحده ، فقال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ . فقال ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن ، ولا يحاط إلا بمخلوق ، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَاجَلَ بِهِ ﴾ . وقال : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ ﴾ . وقال : ﴿ قَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَقَرَّتْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ . وأخبر عن قوم ذمهم بكنبهم . أنهم قالوا : ﴿ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَى بَشِيرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . ثم أكنبهم على لسان رسوله ، فقال لرسوله : ﴿ قُلْ مَنْ أُنْزِلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى ﴾ . فسمى الله تعالى القرآن قرآنا وذكرا ، وإيمانا ونورا وهدى ومباركا وعربيا

وقصصا، فقال : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ .
 وقال : ﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ .
 وقال : ﴿ قُلْ قَاتُوا بِمِثْرِ سُورِ مِثْلِهِ مُقْتَرَاتٍ ﴾ . وقال : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
 وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ . بفعل له أولا وآخرا ، ودل عليه . أنه حدودُ مخلوق ، وقد عظم هؤلاء
 الجهلة بقولهم في القرآن ، الظلم في دينهم ، والخروج في أماتهم ، وسهلوا السبيل لصدق
 الإسلام ، وأعتروا بالتبديل والإلحاد على قلوبهم حتى عرفوا ، ووصفوا خلق الله وفعله
 بالصفة التي هي لله وحده وشبهوه به ، والإشياء أولى بخلقهم . وليس يرى أمير المؤمنين .
 لمن قال بهذه المقالة خطأ في الدين . ولا نصيبا من الإيمان واليقين . ولا يرى أن يحصل
 أحدا منهم محل الثقة في أمانة ولا عدالة ولا شهادة . ولا يصلي في قول ولا حكاية . ولا تولية
 لشيء من أمر الرعية ؛ وإن ظهر قصد بعضهم . وعُرف بالسداد مُستد فهم . فوثق القروع
 مردودة الى أصولها ، وعمولة في الحمد والذم طيبا . ومن كان جاهلا بأمر دينه ، الذي
 أمره الله به ، من وحدانيته ، فهو بما سواه أعظم جهلا . وعن الرشد في غيره أعمى وأضل
 سبيلا .

فاقرأ على جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحاق القاضي كتاب أمير المؤمنين . بما
 كتب به إليك ، وانصصهما عن علمهما في القرآن . وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا يستعين
 على شيء من أمور المسلمين ، إلا بمن وثق بإخلاصه وتوحيده . وأنه لا توحيد لمن لم يُقر
 بأن القرآن مخلوق ، فإن قالوا بقول أمير المؤمنين في ذلك فتقدم اليهما في آمتعن من يحضر
 مجالسهما ، بالشهادات على الحقوق . ونصهم عن قولهم في القرآن ، قن لم يقبل منهم إله
 مخلوق ، أبطلا شهادته . ولم يقطعا حكما بقوله . وإن ثبت عفاقه بالقصد والسداد في أمره .
 وأفضل ذلك بمن في سائر عملك من القضاة ، وأشرف عليهم إشرافا يزيد الله به ذا البصيرة
 في بصيرته ، ويمنع المرتاب من إغفال دينه . واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون منك
 في ذلك إن شاء الله .

ثم لنتظر ما حصل بعد ذلك مما يرويه لنا الطبري قال :

فاحضر إسحاق بن إبراهيم لذلك جماعة من الفقهاء والحكام والمحدثين ، وأحضر
أبا حسان الزياتي ، وبشر بن الوليد الكندي ، وعلى بن أبي مقاتل ، والفضل بن غانم ،
والذئبال بن الهيثم ، وتيجادة ، والقواريري ، وأحمد بن حنبل ، وثقبة ، وسعدويه الواسطي ،
وعلى بن الجعد ، وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وأبن الهريش ، وأبن عتبة الأكبر ، ويحيى
ابن عبد الرحمن العمري ، وشيخا آخر من ولد عمر بن الخطاب ، كان قاضي الزرقاء وأبا نصر
النخعي وأبا معمر القطيعي ، ومحمد بن حاتم بن ميمون ، ومحمد بن نوح المصروب ، وابن
الفرخان ، وجماعة منهم التضرع بن شميل ، وابن علي بن عاصم ، وأبو العوام البزاز ، وابن
نجاح ، وعبد الرحمن بن إسحاق ، فأدخلوا جميعا على إسحاق ، فقرأ عليهم كتاب المأمون هذا
مرتين . حتى فهموه ، ثم قال لبشر بن الوليد : ما تقول في القرآن ؟ فقال : قد عرفت
مقاتلي لأمر المؤمنين غير مرة ، قال : فقد تجد من كتاب أمير المؤمنين ما قد ترى ، فقال :
أقول القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، أخلق هو ؟ قال : الله خالق كل شيء ،
قال : ما القرآن شيء ؟ قال : هو شيء . قال : فخلق ؟ قال : ليس بخلق ، قال : ليس
أسألك عن هذا ، أخلق هو ؟ قال : ما أحسن غير ما قلت لك ، وقد استمعت
أمر المؤمنين ألا أتكلم فيه ، وليس عندي غير ما قلت لك ، فاخذ إسحاق بن إبراهيم رقعة
كانت بين يديه ، فقرأها عليه ، ووقفه عليها ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله أحدا فردا
لم يكن قبله شيء . ولا بعده شيء . ولا يشبهه شيء من خلقه ، في معنى من المعاني ، ولا
وجه من الوجوه ، قال : نعم . وقد كنت أضرب الناس على دون هذا ، فقال للكاتب :
أكتب ما قال .

ثم قال لعلي بن أبي مقاتل : ما تقول يا علي ؟ قال : قد سمعت كلامي لأمر المؤمنين
في هذا غير مرة ، وما عندي غير ما سمع ، فادعني بالرقعة ، فأقر بما فيها . ثم قال : القرآن
خلق ؟ قال : القرآن كلام الله . قال : لم أسألك عن هذا . قال : هو كلام الله وإن
أمرنا أمر المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا . فقال للكاتب : أكتبه . معاته

ملحق الكتاب الثالث

ثم قال للذيال نحواً من مقالته لعلّ بن أبي مقاتل ، فقال له مثل ذلك . ثم قال لأبي حسان الزيّادي : ما عندك ؟ قال : سأل عما شئت ، فقرأ عليه الرقعة . ووقفه عليها فأنزبها فيها . ثم قال : من لم يقل هذا القول فهو كافر ، فقال : القرآن مخلوق هو ؟ قال : القرآن كلام الله والله خالق كل شيء ، وما دون الله مخلوق . وأمير المؤمنين إمامنا وبسببه سمعنا عامة العلم ، وقد سمع ما لم نسمع ، وعلم ما لم نعلم ، وقد قلّده الله أمرنا . فصار يُقيم حجّتنا وصلاتنا ، ويُؤدّي إليه زكاة أموالنا ، ونجاهد معه ، ونرى إمامته إمامة . وإن أمرنا انقمنا ، وإن نهانا آتينا ، وإن دعانا أجبنا ، قال : القرآن مخلوق هو ؟ فأعد عليه أبو حسان مقالته ، قال : إن هذه مقالة أمير المؤمنين ، قال : قد تكون مقالة أمير المؤمنين ولا يأمُر بها الناس ، ولا يدعّوهم إليها ، وإن أخبرني أن أمير المؤمنين أمرك أن أقول قلت ما أمرتني به ، فإنك الثقة المأمون عليه ، فيما أبلغتني عنه من شيء . فإن أبلغتني عنه بشيء صرّته إليه ، قال : ما أمرني أن أبلغك شيئاً . قال علي بن أبي مقاتل : قد يكون قوله كاختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفرائض والمواثيق . ولم يحملوا الناس عليها ، قال له أبو حسان : ما عندي إلا السمع والطاعة ، فرفى . ثم قال : ما أمرني أن أمرك ، وإنما أمرني أن أمتحنك .

ثم عاد إلى أحمد بن حنبل ، فقال له : ما تقول في القرآن ؟ قال : هو كلام الله . قال : مخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله لا أزيد عليها . فامتنع بها في الرقعة . فما أتى في ﴿لَسْ كَيْفَ لَيْشَ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وأسلت عن لا يُشبهه شيء من خلقه . في معنى من المعاني ، ولا وجه من الوجوه ، فاعترض عليه ابن البكاء الأصغر . فقال — أصحكت الله — : إنه يقول : سمع من أذن ، بصير من عين . فقال إسحاق لأحمد بن حنبل : ما معنى قوله سمع بصير ؟ قال : هو كما وصف نفسه ، قال : فما معناه ؟ قال : لا أدري هو كـ وصف نفسه ، ثم دعا بهم رجلاً رجلاً كلهم يقول : القرآن كلام الله . إلا هؤلاء اغتر : قتيبة . يد الله بن محمد بن الحسن ، وابن عتبة الأكبر . وابن البكاء . وعبد الله بن إدريس

ابن بنت وهب بن مُنْبِه، والمُظَفَّر ابن مُرَجَّا، ورجلا ضريرا ليس من أهل الفقه، ولا يُعْرَف بشيء منه إلا أنه دُسَّ في ذلك الموضع، ورجلا من ولد عمر بن الخطاب قاضي الرقة، وابن الأحمر، فأما ابن البكاء الأكبر فإنه قال: القرآن مجبول لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، والقرآن مُحَدَّثُ لقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ﴾ قال له إصحاق: فالجبول مخلوق؟ قال: نعم، قال: فالقرآن مخلوق؟ قال: لا أقول مخلوق ولكنه مجبول، فكتب مقالته، فلما فرغ من امتحان القوم وكتب مقالاتهم أعترض ابن البكاء الأصغر فقال — أصلحك الله — إن هذين القاضيين أئمة، فلو أمرتهما فأعادا الكلام! قال له إصحاق: هما من يقوم بحجة أمير المؤمنين، قال: فلو أمرتهما أن يُسَمِّعَا مقاتلتهما لِتُحْكِيَ ذلك عنهما! قال له إصحاق: إن شئتَ عندهما بشهادة فسنعلم مقاتلتهما إن شاء الله، فكتب مقالة القوم رجلا رجلا ووجهت إلى المأمون، فكثت القوم تسعة أيام ثم دعا بهم. وقد ورد كتاب المأمون: جوابُ كتاب إصحاق بن إبراهيم في أمرهم. وهالك هو ما جمعه ختاماً لكلماتنا.

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك جوابَ كتابه، كان إليك فيما ذهب إليه مُتَّصِعَةً أهل القبلة، ومُتَمِّسُوا الرِّيَاسَةَ فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة، من القول في القرآن، وأمرَك به أمير المؤمنين، من امتحانهم. وتكشيف أحوالهم، وإحلالهم محالهم، تذكر إحصارك جعفر بن عيسى، وعبد الرحمن بن إصحاق، عند ورود كتاب أمير المؤمنين، مع من أَحْصَرْتَ ممن كان ينسب إلى الفقه، ويعرف بالجلوس للحديث، ويتنصب نفسه للفتيا بمدينة السلام، وقراءتك عليهم جميعاً كتاب أمير المؤمنين، ومساكتك إياهم عن اعتقادهم في القرآن، والدلالة لهم على خطيئهم، وإطباقتهم على نفي التشبيه، واختلافهم في القرآن، وأمرَك من لم يقل منهم إنه مخلوق بالإمساك عن الحديث والفتوى، في السر والعلانية، وتقدمك إلى السُّنْدِي، وعباس مولى أمير المؤمنين عا

تقدّمت به فيهم الى القاضيّ بمثل ما مثل لك أمير المؤمنين، من امتحان من يتخضرّ بحالهما من الشهود، وبث الكتب الى القضاء في النواحي من عملك بالقدوم عليك، لتحملهم وتمتحنهم على ما حده أمير المؤمنين، وتثبتك في أمر الكلب أسماء من حضر ومقاتلتهم، وفهم أمير المؤمنين ما اقتضت، وأمير المؤمنين يمد الله كثيرا كما هو أهله، ويسأله أن يصل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ويرغب الى الله في التوفيق لطاعته، وحسن المعونة، على صالح نيته برحمته.

وقد تدبر أمير المؤمنين ما كتبت به من أسماء من سألت عن القرآن، وما رجع اليك فيه كل امرئ منهم، وما شرحت من مقالينهم، فأما ما قال المغرور بشر بن الوليد في قى التشبيه، وما أمسك عنه من أن القرآن مخلوق، وأدعى من تركه الكلام في ذلك وأستعاده أمير المؤمنين، فقد كذب بسرّف في ذلك وكفر. وقال الزود والمكر. ولم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه في ذلك، ولا في غيره، عهد ولا نظر أكثر من إخباره أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة الإخلاص والقول بأن القرآن مخلوق، فادّعى به إليك، وأعلمه ما أعلمك به أمير المؤمنين من ذلك، وانصصه عن قوله في القرآن، واستقبه منه، فإن أمير المؤمنين يرى أن تستتيب من قال بمقاتلته إذ كانت تلك المقالة الكفر الصراح والشرع المحض عند أمير المؤمنين، فإن تاب منها فأشهر أمره. وأمسك عنه. وإن أصرّ على شركه، ودفع أن يكون القرآن مخلوقا بكفره وإخاذه، فاضرب عنقه. وأبعث الى أمير المؤمنين برأسه، إن شاء الله، وكذلك إبراهيم بن المهديّ فامتنحه بمثل ما تمتحن به بشرا. فإنه كان يقول بقوله، وقد بلغت أمير المؤمنين عنه بوالغ، فإن قال إن القرآن مخلوق، فأشهر أمره واكشفه. وإلا فاضرب عنقه. وأبعث الى أمير المؤمنين برأسه إن شاء الله.

وأما علي بن أبي مقاتل فقتل له: ألسن القائل لأمر المؤمنين إنك محال ومحرم والمكتم له بمثل ما كلمته به، مما لم يذهب عنه ذكره. وأما الذئبال بن هيثم، فأعلمه أنه كان في الطعام الذي كان يشرقه في الأنبار. وفيما يستوفى فيه من أمر مدينة أمير المؤمنين

أبى العباس ما يشغله . وأنه لو كان مقتنيا آثار سلفه ، وسالكا مناهجهم ، ومُتَحَذِّيا سبيلهم ، لما خرج إلى الشرك بعد إيمانه ؛ وأما أحمد بن يزيد المعروف بأبى السَّوَّام ، وقوله إنه لا يُحْسِنُ الجواب في القرآن ، فأعلمه أنه صبيٌّ في عقله ، لا في سنه ، جاهل ، وأنه إن كان لا يُحْسِنُ الجواب في القرآن فسيُحْسِنُه ، إذا أخذه التأديبُ ، ثم إن لم يفعل كان السيف من وراء ذلك إن شاء الله .

وأما أحمد بن حنبل . وما تكتب عنه ، فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عرَّفَ حقَّو تلك المقالة ، وسبيلَه فيها ، وأستدلَّ على جهله ، وأفته بها ؛ وأما الفضل بن غانم ، فأعلمه أنه لم يتَّخَفْ على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر ، وما آكتسب من الأموال في أقل من سنة ، وما شَجَرَ بينه وبين المُطَّلَب بن عبد الله في ذلك ، فإنه من كان شأنه شأنه ، وكانت رغبته في الدينار والدرهم رغبته . فليس بمُتَفَكِّرٍ أَنْ يبيعَ إيمانه طمعا فيهما ، وإينارا لعاجل نفعهما . وأنه مع ذلك الفاعل لعلَّ بن هشام ما قال ، والمخالف له فيما خالفه فيه ، فما الذي حال به عن ذلك ، ونقله إلى غيره ؛ وأما الزَّيَادِيّ ، فأعلمه أنه كان مُتَّحِلًا لأوَّلِ دَعْيٍ كان في الإسلام خُوفٌ فيه حكمُ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، وكان جديرا أن يسلك مسلكه فانكر أبو حسان أن يكون موثِّقًا لزياد ، أو يكون موثِّقًا لأحد من الناس ، — وذكَّر أنه إنَّما نُسِبَ إلى زياد لأمر من الأمور — وأما المعروف بأبى نصير التَّمار ، فإن أمير المؤمنين شبهه خُصَّاسةً عقله بخُصَّاسةٍ مَتهَجِّرةٍ ، وأما الفضل بن الفرَّحان ، فأعلمه أنه حاول بالقول الذي قاله في القرآن أَخْذَ الودائع التي أودعها لِيَاهِ عبد الرحمن بن إسماعيل وغيره ، ترَبُّصًا بمن استودعه . وطمعا في الاستكثار لما صار في يده ، ولا سبيل طيه عن تهادُّم عهده ، وتطاول الأيام به ، فقل لعبد الرحمن بن إسماعيل لا جزاك الله خيرا عن تقويتك مثل هذا ، وإيمانك لِيَاهِهِ ، وهو معتقِدٌ للشرك ، منسلخٌ من التوحيد .

وأما محمد بن حاتم . وابن نوح ، والمعروف بأبى مَعْمَر ، فأعلمهم أنهم مشاغل بأكل الزُّبَا . عن الوقوف على التوحيد ، وأنَّ أمير المؤمنين لو لم يستحلَّ محاربتهم في الله ومحامدتهم ،

ألا لإربائهم، وما نزل به كتاب الله في أمثالهم، لاستعمل ذلك، فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شركا، وصاروا للتصاري مثلا، وأما أحمد بن حنبل، فأعلمه أنك صاحب بالأسس، والمستخرج منه ما استخرجته من المال الذي كان استعمله من مال علي بن هشام، وأنه من البينار والدرهم دينه، وأما سعدويه الواسطي قتل له: قبح الله رجلا بلغ به التصنع الحديث، والثرين به، والحرص على طلب الرياسة فيه، أن يمتحن وقت المحنة فيقول بالتعزب بها: متى يُمتحن فيجلس للحديث، وأما المعروف بسجادة، وإنكاره أن يكون سمع من كان يجالس من أهل الحديث: وأهل الفقه، القول بأن القرآن مخلوق، فعلمه أنه في شغله بإعداد النوى، وحكمه لإصلاح سجادته، وبالودائع التي دفعها إليه علي بن يحيى وغيره ما أذهله عن التوحيد وألهاه، ثم سلّه عما كان يوسف بن أبي يوسف، ومحمد بن الحسن، يقولانه إن كان شاهدهما وبالسهما، وأما القواريري فقيا تكشف من أحواله، وقبوه الرشا والمصانعات ما أبان عن مذهبه، وسوء طريقته، وبخافة عقله ودينه، وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أنه يتولى لجعفر بن عيسى الحسن مسائله، فتقدم إلى جعفر بن عيسى في رفضه، وترك الثقة به، والإستئانة إليه.

وأما يحيى بن عبد الرحمن العمري، فإن كان من ود عمر بن الخطاب لجوابه معروف، وأما محمد بن الحسن بن علي بن عاصم فإنه لو كان مقتديا بمن مضى من سلفه لم يشغل الثملة التي حكمت عنه، وبه بعد صبي يحتاج إلى تعلم. وقد كان أمير المؤمنين وجه إليك المعروف بأبي مسير، بعد أن نصه أمير المؤمنين عن محبته في القرآن، فجمعهم عنها، وبلّج فيها، حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف، فأنقذهم عن إقراره، فإن كان مقيا عليه فمشهور ذلك وأظهره إن شاء الله، ومن لم يرجع عن شركه ممن تمت لأمير المؤمنين في كتابك، وذكره أمير المؤمنين، أو أمسك عن ذكره في كتابه هذا، ولم يقل إن القرآن مخلوق، بعد بشر بن البراء، وزيهيم بن نهدي، فاحملهم أجمعين، مؤتمنين

الى عسكر أمير المؤمنين مع من يقوم بحفظهم ، وحراستهم في طريقهم ، حتى يؤتيهم الى
عسكر أمير المؤمنين ، ويُسلمهم الى من يُؤمر بتسليمهم اليه ، لينصّبهم أمير المؤمنين ، فإن لم
يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعا على السيف إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله ؛ وقد أنفذ
أمير المؤمنين كتابه هذا في خريطة بُندارية ، ولم ينظر به اجتماع الكتب الخرائطية مُعجلا
به ، تهربا الى الله عز وجل بما أصدر من الحكم ، ورجاء ما أعتد ، وإدراك ما أمل ،
من جزيل ثواب الله عليه ، فأُنفذ لما أمرك من أمر أمير المؤمنين ، وعجل إجابة أمير المؤمنين
بما يكون منك في خريطة بُندارية مفردة عن سائر الخرائط ، لتعرف أمير المؤمنين ما يعملونه
إن شاء الله . وكتب سنة ٢١٨ هـ .

(ج) عهد طاهر بن الحسين

قال ابن طيفور : ولما عهد طاهر بن الحسين الى عبدالله ابنه هذا العهد، تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه، وشاع أمره حتى بلغ المأمون، فدعا به وقرى عليه، وقال : ما أنى أبو الطيب شيئا من الدين والدنيا، والتدبير والرأى، وإصلاح الملك والرعية. وحفظ البيعة، وطاعة الخلفاء، وتقوم الخلافة الا وقد أحكمه، وأوصى به. وتقدم فيه . وأمر أن يكتب بذلك الى جميع العمال في نواحي الأعمال . ولما كان هذا العهد من التوثيق التاريخية التي لها قيمتها العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية أثرنا ذكره على ما فيه من طول رغبة منا في ألا يتخلو كتابنا من هذا الأثر العظيم القيمة والخطير . وهما كه :

« عليك بتقوى الله وحده لا شريك له . وخشيته ومراقبته ومزاياه تحفظه ، وحفظ رعيته، وألزم ما أهدى الله في العافية بالذكر لمعادك، وما أنت صائر إليه، وموقوف فيه . ومستول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله ويحييكم يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه، فإن الله قد أحسن اليك . وأوجب عليك رافة بمن سترتك أمرهم من عباده . وألزمك العدل عليهم ، وتقياهم بحقه وحدوده فيهم . ولتدب عنهم . والتدفع عن حريمهم وبضيتهم، واخفن للمائمهم . ولا آمن نسيلهم . وإدخال الراحة عليهم في معاشهم . ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفتك عليه . ومسايلك عنه . وميثيق عليه بما قدمت وأخرت . ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورويتك . ولا يهلكك عنه نحل . ولا يسفلكك عنه شغل ، فإنه رأس أمرك وملاكك شاك . وأول ما يوقفتك الله به لرشدك، وليكن أول ما يلزم به نفسك وتنسب إليه فعالت . المواقفة على ما اترض الله عليك من الصلوات الخمس ، واجتماعه عليه بالناس قبلك في مراقبتها على سلمة في إسباغ الوضوء فيها وأفتتاح ذكر الله فيها . ونزل في قرأتك . وتحن في ركوعك وسجودك وتسبيحك . وتصدق فيها لربك نيت . وأحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك . وأدب عليها فنهج كما

قال الله تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمثابرة على خلافته، وإحفاء آثار السلف الصالح من بعده، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله وتقواه، ولزوم ما أنزل الله في كتابه، من أمره ونهيه، وحلاله وحرامه، وإتمام ما جاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قم فيه بما يحق لله عليك، ولا تمل عن العبد فيما أحببت أو كرهت، نهر الناس أوعيد، وآثر الفقه وأهله، والدين وحملته وكتاب الله والعالمين به، فإن أفضل ما ترين به المرء العقبة في دين الله، والطلب له واخت عليه. والمعرفة بما يتقرب به إلى الله، فإنه الدليل على الخير كله، والفائدة له. والآمر به. والنهي عن المعاصي والموبقات كلها، وبها مع توفيق الله تزداد العبادة معرفة بالله عز وجل، وإجلالا له ودركا للدرجات العلى في المعاد، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمره والهيبة لسلطانه، والأتساع بك والثقة بعدك. وعليك بالاعتصام في الأمور كلها فليس شيء أيقن نفعاً ولا أضرراً منا ولا أجمع فضلاً من القصد، والقصد داعية إلى الرشd، والرشd دليل على التوفيق، والتوفيق متفاد إلى السعادة، وقوام الدين والسنن الهادية بالاعتصام، فأثره في دنياك كلها، ولا تُحصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة، والسنن المعروفة ومعالم الرشd، فلا غاية للاكتسار من البر والسعى له، إذا كان يطلب به وجهه الله ومرضاته، ومراقبة أوليائه، في دار كرامته.

وأعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز، ويحصن من الذنوب وأنت لن تحوط نفسك ومن يليك. ولا تستصلح أمورك، بأفضل منه، فاته، وأهتد به تم أمورك، وتزد مقدرتك، وتصلح خاصتك وعامتك، وأحسن الظن بالله عز وجل، تستقم لك رعيتك، والنفس الوسيلة إليه في الأمور كلها، تستند به النعمة عليك، ولا تهبط أحداً من الناس، فيما توليه من عملك، قبل تكشف أمره بالثمة، فإن إحقاق التهم بالبراء والظنون السيئة بهم مأمم، وأجعل من شأنك، حسن الظن بأصحابك، وأطرد عنك سوء الظن بهم، وأرفضه عنهم، يُعنتك ذلك على أصطناعهم ورياضتهم، ولا يحدث عند الله الشيطان في أمرك مغمراً،

فإنه إنما يكفى بالقليل من وَهْنِكَ فَيَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنَ الْغَمِّ - في سوء الظن ، ما يُنْقِصُ عَلَيْكَ
لِلنَّافَةِ عَيْشَكَ ، وأعلم أنك تجد بحسن الظن - قُوَّةَ وَرَاحَةٍ ، وَتُكْفَى بِهِ ما أَحْبَبْتَ كِفَايَتِهِ مِنْ
أُمُورِكَ ، وتدعو به النَّاسُ إِلَى حُبِّكَ ، وَالْإِسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا لَكَ . وَلَا يَمْنَعُكَ حَسَنُ الظَّنِّ
بِأَصْحَابِكَ ، وَالرَّافَةُ بِرِعْيَتِكَ ، أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْمُسْئِلَةَ وَالْبَحْثَ عَنْ أُمُورِكَ وَالْمُبَاشَرَةَ لِأُمُورِ
الْأَوْلِيَاءِ ، وَالْحَيَاطَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالنَّظَرَ فِيهَا بِقِيَمِهَا وَيُصْلِحُهَا ، بَلْ لَتُكُنِ الْمُبَاشَرَةُ لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ ،
وَالْحَيَاطَةُ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالنَّظَرُ فِي حَوَائِجِهِمْ ، وَحَمْلُ مَوْفَاقَتِهِمْ ، أَثَرًا عِنْدَكَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ . فَإِنَّهُ
أَقْوَمُ لِلدِّينِ ، وَأَحْيَا لِلسَّنَةِ ، وَأَخْلَصُ نِيَّتِكَ فِي جَمِيعِ هَذَا وَتَقْزِدُ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ : تَقْزِدُ مِنْ
يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا صَنَعَ ، وَبِجَزَى بِمَا أَحْسَنَ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا . وَرَفَعَ مِنْ
أَتْبَعَهُ وَهَزَزَهُ . فَاسْلُكْ بَيْنَ تَسْوِسِهِ وَتَرْعَاهُ ، نَبِجَ الدِّينِ ، وَطَرِيقَةَ الْهُدَى ، وَأَقِمَّ حَدُودَ اللَّهِ
فِي أَصْحَابِ الْخِزَانَةِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ ، وَمَا اسْتَحَقُّوهُ . وَلَا تُغْطِلْ ذَلِكَ وَلَا تَهَؤُنْ بِهِ ، وَلَا
تَوْشِرْ عَقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ ، فَإِنَّ فِي تَغْرِيبِكَ فِي ذَلِكَ ، لِمَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حَسَنَ ظَنِّكَ ،
وَاحْزَمْ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالسَّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَجَانِبِ الشُّبْهِ وَالْبِدْعَاتِ ، يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ ،
وَتَقُمَّ لَكَ مَرْوَةٌ . وَإِذَا شَاعَدْتَ عِدَا فِئَةٍ بِهِ ، وَإِذَا وَعَدْتَ اخِيرَ فَائِزِهِ ، وَأَقْبَلَ الْحَسَنَةَ ،
وَأَدْفَعَهَا . وَأَغْضَضْ عَنْ عَيْبِ كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ رِعْيَتِكَ . وَأَشَدُّ ضَرَرًا لَكَ عَنْ قَوْلِ الْكَذِبِ
وَالزُّورِ ، وَأَبْغَضُ أَهْلِهِ ، وَأَقْوَمُ أَهْلُ النِّيمَةِ ، فَإِنْ أَقْبَلَ فساد أَمْرِكَ فِي أَجْلِ الْأُمُورِ
وَأَجَلُهَا ، تَقْرِيبُ الْكَذُوبِ ، وَالْخُرْأَى عَلَى الْكَذِبِ ، لِأَنَّ الْكَذِبَ رَأْسُ الْمَنَامِ . وَالزُّورَ
وَالنِّيمَةَ خَاتَمُهَا : لِأَنَّ النِّيمَةَ لَا يَسْلُمُ صَاحِبُهَا . وَقَاتِلْهَا لَا يَسْلَمْ لَهُ صَاحِبٌ وَلَا يَسْتَعِينُ لِمُطِيعِهَا
أَمْرٌ ، وَأَحَبُّ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْعَصَاحِ ، وَأَعَزُّ الْأَشْرَافِ بِالْحَقِّ . وَوَاصِلُ الضُّعْفَاءِ ، وَصِلِ
الرَّحِمَ ، وَابْتَغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ . وَعِزَّهُ أَمْرَهُ . وَاتَّقِ فِيهِ ثَوَابَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ . وَاجْتَنِبِ
سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْخَوَرِ ، وَأَصْرِفْ فِيهَا رَأْيَكَ ، وَأُظْهِرْ مِنْ ذَلِكَ لِرِعْيَتِكَ ، وَأَنْهَيْمْ بِالْعَدَنِ
سِيَاسَتَهُمْ ، وَفَمَّ خَلْقَ فِيهِمْ ، وَبِالْمَعْرِفَةِ الَّتِي تَنْبَغِي بِنَافَةِ سَبِيلِ الْهُدَى ، وَأَمْلِكْ نَفْسَكَ عِنْدَ
الغَضَبِ ، وَأَثِرِ الْوَقَارَ وَاحْتَمِ . وَمِنْكَ وَجْدَةٌ وَطَيْبُشْ وَتَغْوَرُ فِيهَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ ، وَإِلَيْكَ أَنْ

تقول : إني مُسلِّطٌ أفضل ما أشاء فان ذلك سريعٌ فيك إلى قصص الرأي ، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له ، وأخلص لله وحده النية فيه ، واليقين به ، وأعلم أن الملك لله ، يعطيه من يشاء ، ويترعه من يشاء ولن نجد تغير النعمة ، وحلول النعمة ، إلى أحد أسرع منه ، إلى حيلة النعمة ، من أصحاب السلطان ، والمبسوط لهم في الدولة ، إذا كفروا بنعم الله وإحسانه وأستطالوا بما آتاهم الله من فضله ، ودع عنك شره نفسك ، ولكن ذخايرك وكنوزك التي تتنصر وتكثر ، البر والتقوى ، والمعدلة ، وأستصلاح الرعية وعمارة بلادهم ، والتفقد لأموارهم ، والحفظ لدمائهم ، والإفائة للمهوفهم ، وأعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن ، لا تُنثر ، وإذا كانت في إصلاح الرعية ، وإعطاء حقوقهم ، وكف المؤونة عنهم ، تمت ودبت ، وصلحت به العامة ، وترينت به الولاة ، وطاب به الزمان ، وأعتقد فيه العز والمنفعة ، فليكن كثرت خزانك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله ، ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأوف رعيك من ذلك حصصهم ، وتعهد بما يصلح أمورهم ومعايشهم ، فإلك إذا فعلت ذلك قوت النعمة عليك ، وأستوجب المزيد من الله ، وكنت بذلك على جباية نرجاك ، وجمع أموال رعيك وعملك أقدر ، وكان الجميع لما تنيلهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك . وأطيب نفسا بكل ما أردت . فاجهد نفسك ، فيما حددت لك في هذا الباب ، ولتعتظم حبسك فيه . فإنا يبقى من المال . ما أنفق في سبيل حقه ، وأعيرف للشاكرين شكرهم ، وأنبهم عليه ، وإيانه أن تنسيك الدنيا وغروها هوّل الأثرة ، فتهاون بما يحق عليك ، فان التهاون يوجب التفريط والتضييعة يورث البوار ، ولكن عملك لله ، وفيه تبارك وتعالى ، وأرج الثواب . فان الله قد أسبغ عليك نعمته في الدنيا ، وأظهر لديك فضله ، فاعتزم بالشكر ، وعليه فاعتمد . يزدك الله خيرا وإحسانا . فان الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ، وقضاء الحق فيما حمل من النعم . وألبس من العافية والكرامة ، ولا تحتقرن ذنباً ، ولا تملتن حسدا . ولا ترحمن فاجرا ، ولا تصلتن كفورا ، ولا تداهنن عدوا ، ولا تصلتن قسما ، ولا تأمنن غدارا . ولا توالين فاسقا ، ولا تتبعن غاويا ، ولا تهمدن

مراييا ، ولا تحقرن إنسانا ، ولا تزدن سائلا فقيرا ، ولا تعجين باطلا . ولا تلاحظن مضحكا ، ولا تخلفن وعدا ، ولا تذهبن نفرا . ولا تظهرن غفبا . ولا تأتين بدخا . ولا تمشين مراحا . ولا تركبن سفها . ولا تخيرطن في طلب الآخرة ، ولا تدفع الأيام عيانا ، ولا تقيمن عن الظالم رهبة منه ، أو غفافة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا ، وأكثر مشاورة الفقهاء ، وأستعمل نفسك بالحلم . وخذ عن أهل التجارب وذوى العقول والرأى والحكمة ، ولا تدينن في مشورتك أهل الدقة والبخل ، ولا تسمعن لم قول . فإن ضررهم أكثر من منفعتهم ، وليس شيء أسرع ناسدا لما استقبلت في أمر رعيته من الشئ ، وأعلم أنك إذا كنت حريصا ، كنت كثير الأخذ ، قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلا ، فإن رعيته إنما تعتقد على محبتك بالكف عن أموالهم . وترك الجور عليهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك . بالإفضال عليهم . وحسن العطية لهم . فأجتنب الشئ ، وأعلم أنه أول ما عصى به الإنسان ربه ، وإن العاصي بمنزلة خزي . وهو قول الله عز وجل ، (وَمَنْ يُوقِمْ نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) . فسهل طريق الجود بالحق ، وأجعل للمسلمين كلهم من نيتك حفظا ونصيحا . وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فأعده لنفسك حلقا . وأرض به عملا ومذهبا . وتفقد أمور الجند في دراوينهم . ومكاتبتهم . وأدير عليهم أرزاقهم ، ووسع عليهم في معائنتهم . ليذهب بذلك الله فاقبتهم . ويقوم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك . خلوصا وانسراحا . وحسب ذى سلطان من السادة ، أن يكون على جده ورعيته . رحمة في عدله وحيثته وإنصافه وعنايته ، وشفقته وبره وتوسعته . فزایل مكره . حدى البليتين . باستشعار تكة لباب الآخر ولزوم العمل به تلقى أن شاء الله نجاحا وصلا . وفلاحا .

وأعلم أن القضاء من الله . بالمكان الذى ليس مثله شيء من الأمور . لأنه ميزان الله الذى تعادل عليه الأحوال في الأرض . وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح الرعية . وتؤمن السبل . ويتصرف المظلوم . ويأخذ الناس حقوقهم . وتحسن المعيشة . ويؤدى حق

الطاعة، ويرزق الله العافية والسلامة، ويقوم الدين، وتجبرى السنن والشرائع، وعلى تجارها يُتَجَزَّ الحق والعدل في القضاء. وأشدت في أمر الله وتوزع عن التلطف وأمض لإقامة الحسود، وأقلل المجلة، وأبعد من الضجر والقلق، وأفنع بالقسم، وتُسْكُن رِيحُك، ويُقَرَّ جَدُّك، وانتفع بحجرتك، وانقبه في صمتك، واشدد في منطلقك، وأنصف الخصم، وقِف عند الشبهة، وأبلغ في الحقبة، ولا يأخذك في أحد من رعيته مُجَاباة ولا مُجَاملة، ولا لوم لائم، وتثبت وتأن، وراقب وأنظر، وتدبر وتضكر، وأعتبر وتواضع لربك، وأزاف بحميم الرعية، وساط الحق على نفسك، ولا تسرعن الى سفك دم، فإن السماء من الله بمكان عظيم اتهاكا لها بغير حقها، وأنظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية، وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة، ولأهله سعة ومنعة، ولعدوه وعدوم كبتاً وغيظاً، ولأهل الكفر من معادنتهم ذلاً وصغاراً، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية، والعموم فيه، ولا تدفن منه شيئاً عن شريف لشرفه، وعن غنى لغناه، ولا عن كاتب لك، ولا أحد من خاصتك، فلا تأخذ منه، فوق الاحتمال له، ولا تكلفن أمراً فيه شطط، وأحل الناس كلهم على مرأى حق، فإن ذلك أجمع لألفتهم، وألزم لرضى العامة، واعلم أنك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً، وراعياً. وانما سمي أهل عملك رعيته، لأنك راعيتهم، وقميتهم، تأخذ منهم ما أعطوك، من عفوهم ومقدرتهم. وتُفَقِّه في قوام أمرهم وصالحهم، وتقويم أودهم، واستعمل عليهم في كور عملك. ذوى الراى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل، والعلم بالسياسة والعفاف، ووسع عليهم في الرزق، فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت، وأسند اليك، ولا يشغلك عنه شاغل، ولا يصرفك عنه صارف، فإنك متى آثرته، ولت فيه بالواجب، استدعيت به زيادة النعمة من ربك، وحسن الأحدوث في عملك، واستجرت به المحبة من رعيته، وأعنت على الإصلاح، فدرت الخيرات ببلدك، وقشت العمارة بناحيته، وظهر الخصب في كورك، وكثر خراجك، وتوفرت أموالك، وقويت بذلك على ارتباط جنودك. وإرضاء العامة، بإفاضة العطاء فيهم من

نفسك، وكنت محمود السياسة، مرضى العدل في ذلك عند عدوك، وكنت في أمورك كلها، ذا عدل وقوة، وآلة وعدة، فنافس في هذا، ولا تقدم عليه شيئاً، فحمد مغبة أمرك، إن شاء الله، وأجعل في كل كورة من عملك أميناً، يخبرك أخبار عمالك، ويكتب إليك بسيرتهم وأعمالهم، حتى كأنك مع كل عامل في عمله، مُعَيِّنٌ لأمره كله، وإن أردت أن تأمره بأمر، فانظر في عواقب ما أردت من ذلك، فإن رأيت السلامة فيه والعافية، ورجوت فيه حسن الدفاع، والنصح والصنع فأمضه، وإلا توقف عنه، وراجع أهل البصر والعلم، ثم خذ فيه عدته، فإنه ربما نظر الرجل في أمر من أمره، قد واثق على ما يهوى، فقواه على ذلك وأعجبه، وإن لم ينظر في عواقبه أهلكه، وقضى عليه أمره، فاستعمل الحزم في كل ما أردت وباشره بعد عون الله بالقوة، وأكثر استخارة ربك، في جميع أمورك، وأفرغ من عمل يومك، ولا تؤخره لنفسك، وأكثر مباشرته بنفسك، فإن لغير أمورنا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي آخرت، وأعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه، وإذا آخرت عمله أجمع عليك أمر يومين، فشغلك ذلك حتى تُعرض عنه، فإذا أمضيت لكل يوم عمله، آرت نفسك وبدنت، وأحكمت أمور سلطانك، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم، ثم استيقن صفاء طويتهم، وتهذيب مودتهم لك، ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على أمرك، فاستخلصهم. وأحسن إليهم، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة، فاحتمل مؤوتهم وأصبح حاطم، حتى لا يحدوا غلتهم ساء، وأفرد نفسك للنظر في أمور الفقراء والمساكين. ومن لا يقدر على رفع مظالمه إليك، والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه، فاسأل عنه أخفى مسألة، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيته، وثمرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك، لتتصرف فيها بما يصلح الله به أمرهم، وتعاهد ذوى الأسماء ویتاماهم وأراملهم، وأجعل لهم أرزاقاً من بيت المال أقصداءً بأمر المؤمنين أعزه الله في العطف عليهم والصلة لهم، ليُصلح الله بذلك عيشتهم، ويرزقك به بركة وزيادة، وأجر لأمراء من بيت المال. وقد تم حيلة

القرآن منهم، والحافظين لأكثره، في الحراية على غيرهم، وأنصب لمضى المسلمين دورا
تؤويهم، وتؤاموا يرققون بهم، وأطباء يعالجون أسقامهم، وأسمعهم بشهواتهم، ما لم يؤد ذلك
إلى سرف في بيت المال، وأعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم، وأفضل أمانيتهم لم يرضهم
ذلك، ولم تطلب أنفسهم، دون رفع حوائجهم إلى ولاتهم، طمعا في نيل الزيادة، وفضل
الرفق منهم، وربما يرم المتصفح لأموار الناس لكثرة ما يرد عليه، ويشغل فكره وفهمه، ومنها
ما يناله به مؤونة ومشقة، وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن أموره في العاجل
وفضل ثواب الآجل، كالذى يستقبل ما يقربه إلى الله، ويتمس رحمة به، وأكثر الإذن
للناس عليك، وأبرزهم وجهك، وسكن لهم أحراسك، وأخف لهم جناحك، وأظهر لهم
بشرك، وإن لم في المسألة والمنطق، وأعطف عليهم بيوذك وفضلك، وإذا أعطيت فأعط
بساحة وطيب نفس، وأتمن الصبغة والأجر، غير مكدر ولا متأن، فإن العطية على ذلك
تجارة مريحة إن شاء الله، وأعتبر بما ترى من أمور الدنيا، ومن مضى من قبلك، من أهل
السلطان والرياسة. في القرون الخالية والأهم البائدة، ثم أعتصم في أحوالك كلها بأمر الله،
والوقوف عند محبته. والعمل بشريعته وسنته وإقامة دينه وكتابه، وأجنب ما فارق ذلك
وخالفه، ودعا إلى سخط الله، وأعرف ما يجمع عمالك من الأموال، وينفقون منها،
ولا يجمع حراما. ولا تنفق إسرافا، وأكثر مجالسة العلماء، ومشاورتهم ومخالطتهم، ولكن
هواك أتباع السنن وإقامتها، وإيثار مكارم الأمور ومعاليتها، ولكن أكرم دُخْلَكَ وخاصتك
عليك من إذا رأى عينا فيك لم تمنعه هيئتك من إنهاء ذلك اليك، في سر، وإعلامك
ما فيه من النقص. فإن أولئك أنصع أوليائك ومُظاهريك، وأنظر عمالك الذين يحضرتك،
وتحباك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل عنك فيه بكتبه ومؤامراته
وما عنده من حوائج عمالك وأسر كورنك ورجعتك، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك
سمتلك وبصرك، وفهمك وعقلك، وكرر النظر إليه والتدبير له، فما كان موافقا للجزم والحق
فامضه وأسمعخر الله فيه، وما كان مخالفا لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه والمسألة عنه،

ولا تمنن على رعيّتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه اليهم ، ولا تقبل من أحد منهم إلا
 الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تصنع المعروف إلا على ذلك ،
 وتفهم كتابي اليك ، وأكثر النظرفيه ، والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره ،
 فإن الله مع الصّلاح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك ، وأفضل رغبتك ، ما كان لله رضا ،
 ولدينه نظاما ، ولأهله عزّا وتمكيناً ، وللذمة والملة عدلاً وصلاً ، وأنا أسأل الله أن يحسن
 عونك وتوفيقك ، ورشدك وكلامك ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته ، بتمام فضله عليك ،
 وكرامته لك ، حتى يصلحك أفضل أمثالك نصيباً ، وأوفرهم حظاً ، وأستاهم ذكراً وأمرأ ، وأن
 يهلك عدوك ومن نأواك ونهى عليك ، ويرزقك من رعيّتك المافية ، ويحجز الشيطان
 عنك ووساوسه ، حتى يستعمل أمرك بالعزّ والقوة والتوفيق ، إنه قريب مجيب .

(د) رسالة الخميس

من عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين، إلى المبشرين على الحق، والناشرين للدين،
من أهل خراسان وغيرهم من أهل الإسلام : سلام عليكم ، فإن أمير المؤمنين يمد إليكم
الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصل على محمد عبده ورسوله .

أما بعده، فالحمد لله القادر القاهر، الباعث الوارث، ذى العز والسلطان، والنور
والرهان. فاطد السموات والأرض وما بينهما، والمتقدم بالحق والطول على أهلها، قبل
استحقاقهم لمثوبته، بالمحافظة على شرائع طاعته، الذى جعل ما أودع عباده من نعمته، دليلاً
هادياً لهم إلى معرفته، بما أقدم من الأبواب، التى يفهمون بها فصل الخطاب، حتى اقتنوا
علم موارد الاختبار، ووقفوا مصادر الاعتبار، وحكوا على ما بطن بما ظهر، وعلى ما غاب بما
حضر، وأستدلوا بما أراهم من بالغ حكمته، ومثقف صنعته، وحاجة مترايل خلقه ومتواصله،
إلى القوم بما يلمه ويصلحه، على أن له بارئاً أنشاء وأبدأه، ويسر بعضه لبعض . فكان
من أقرب وجودهم، ما يباشرون به من أنفسهم فى تصرف أحوالهم، وفنون انتقاهم،
وما يظهرهم عليه من انعجز عن التأتى لما تكاملت به قواهم، وتمت به أدواتهم، مع اثر
تدبير الله عز وجل وتقديره فيهم، حتى صاروا إلى الخلقة المحككة، والدورة المعجبة،

ليس هم فى حى - ٣ -
ونه، ولا مقصد يعتمدونه من أنفسهم ؛ فإنه قال تعالى
ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْكَرِيمَ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَىْ صُورَةٍ مَا
شَاءَ رَبَّكَ . ٥ . ثُمَّ مَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ، وما يجرى فيها من الشمس والقمر
والنجوم مسخرات، على مسير لا يثبت انعام إلا به من تصارييف الأزمنة التى بها صلاح
الحرث والنسل، وإحياء الأرض. وتفتح النبات والأشجار، وتعاون الليل والنهار، ومر الأيام
والشهور والسنين التى تخصى بها الأوقات ؛ ثم ما يوجد من دلائل التركيب فى طبقات
السقف المرفوع، والمهاد الموضوع، باختلاف أجزائه وألوانها، ونعق الأنهار، وإرساء

الجبال . ومن البيان الشاهد ما أخبر الله عز وجل به من إنشائه الخلق ، وحدوثه بعد أن لم يكن متريقا في النماء ، وثباته إلى أجله في البقاء ، ثم تحاره مقتضيا إلى غاية القضاء . ولو لم يكن له مفتتح عدد ولا منقطع أمد ، ما ازداد ينشوء ، ولا تحيفه نقصان ، ولا تفاوت على الأزمان ؛ لأن ما لا حد له ولا نهاية ، غير ممكن الاحتمال للنقص والزيادة . ثم ما يوجد عليه منفعة من ثبات بعضه لبعض ، وقوام كل شيء منه بما يسر له . في به استمداده إلى منتهى نقاده ؛ كما أحج الله عز وجل على خلقه ، فقال : ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ كُلُّ مَن عَلَيْهَا فَإِنَّ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ . وكل ما قلنم من الأخبار عن آيات الله عز وجل ودلالاته في سمواته التي بطن ، وأطباق الأرض التي دحا ، وآثار صنعه فيما برأ وفدأ ، ثابت في فطر العقول ، حتى يسخر أول الزرع ما يدخلون على أنفسهم من شبهة فيما يحصلون له من الأضداد والانداد . جل عما يشركون . ولولا توحيده بالتدبير ، عن كل معين وظهير . لكان الشركاء جنداء أن تختلف بهم إرادتهم فيما يخلقون ، ولم يكن التخلف في إثباته وإزالته ليدخل من أحد وجهه ، وأيهما كان فيه فالمعجز والنقص مما أتاه وبرأه . جل البديع خالق الخلق ومالك الأمر عن ذلك وتعالى علوا كبيرا . كما قال سبحانه : ﴿ مَا آمَنَّا بِاللَّهِ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لِلنَّهَبِ كُلِّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ . ثم من عظيم نعمة الله عز وجل على خلقه آتقاده إياهم . وأنه يستدبرهم ويكظم على منافعهم ، ويحتجبهم مضارهم . ويهديهم لما فيه صلاحهم ، ويرغبهم في المحافظة على التمسك بدين الله عز وجل ، الذي جعله عصمة لهم وحاجرا بينهم .

ولولا ما تهتم به من تلافهم واستدراكهم بفصل رحمته . لاجتاحهم التلف . لقصور معرفتهم عن التائي لأقواتهم ومعايشهم . ولم يكونوا ليقنصروا على حفظهم وأقسامهم عما بنوا عليه من الجمع والرغبة ، وتهالكوا بيني بعضهم على بعض ، وعدوان قوتيه على ضعيفهم . ولكنه بعد معرفته إياهم ملك قدرته وجلالة عزته ، بعث إليهم أنبياءه ورسله مبشرين ومنذرين ،

بِالآيَاتِ الَّتِي لَا تَنَالُهَا أَيْدِي الْغُلُوقِينَ؛ فَرَضُوا مَا قَسَطَ يَنْهَمُ، وَارْتَدَّحُوا عَنِ التَّبَاغِي وَالنِّظَالِمِ،
لَمَّا وَعَدُوا مِنَ الثَّوَابِ الْجَسِيمِ وَخُوفُوا مِنَ الْعِقَابِ الْأَلِيمِ؛ وَلَمْ يَكُونُوا يُطِيعُوا أَمْرًا
لَأَمْرٍ وَلَا نَهْيًا لِنَهْيٍ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَتَّبِعِينَ بِهَا الْحَقُّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْمُطِيعِينَ، وَتُخَوِّفُ
يَتَّقُونَ بِهِ مُقَارَفَةً مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ، وَرَجَاءُ تَحْبِشْمُونَ لَهُ مَوْثُومَةً مَا تُعْبَدُوا بِهِ. فَانْتَحَى اللَّهُ عَنِ
وَجَلَّ بِأَيْهِمْ أَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَعَلِمَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لَهُ -
كَمَا اقْتَصَصَ فِي وَحْيِهِ الْمَنْزِلُ - وَكَرَّمَهُ وَلَدَهُ وَفَضَّلَهُمْ، فَقَالَ جَلَّ وَعِزُّهُ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا نَبِيَّ آدَمَ
وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْأَلْبَرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.
وَجَعَلَ مَا أَقْرَبَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعَطْفِ عَلَى ذُرِّيَّتِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ سَبَبًا لِمَا أَرَادَ مِنْ بَقَائِهِمْ وَتَسْلِيمِهِمْ،
وَمَا اخْتَصَّ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ حُجَّةً عَلَيْهِمْ، لِيَتَّبِعِينَ طَاعَتَهُمْ، وَيَتْلَوْهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا. وَلَمْ تَزَلْ رُسُلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى خَلْقِهِ تَتْرَى بِالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالْبَرَاهِنِ الْقَاطِعِ،
لَا يَجِدُونَ لِمَا يُورِدُونَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ الْقَاهِرِ مَرَدًّا وَلَا مَدْفَعًا؛ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ بِآيَاتِنَا فَاتَّبَعْنَاهُمْ مَنْ الَّذِينَ أَجْرُوهَا وَكَانَ
حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. فَلَمْ يَحْدِ الْمَكْذُوبُونَ مَسَاغًا إِلَى دَفْعِ مَا أَقِيمَ عَلَيْهِمْ مِنْ لَازِمِ الْحُجَّةِ،
إِلَّا الْمَعَادَةَ وَالْمُجَاهَدَةَ. وَكَانَ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، يُعْتَشُونَ فِي أَصْعَارِ الْحَقِّبِ،
نُذْرًا لِلْأَمَمِ، حَتَّى خَتَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَعَثَهُ فَرْدًا
وَجِيدًا لَا طَاضِدَ لَهُ وَلَا رَافِدَ، إِلَى قَوْمٍ يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا بُكْرًا، وَحِجَارَةً صَمًّا، فَكَتَبَ بِهِ
الْقَوْمُ الَّذِينَ يُبْعَثُ فِيهِمْ أَوَّلَ مَا دَعَاهُمْ، وَرَامَهُ مَلُوكُ أَقْطَارِ الْبِلَادِ بِتَوْجِيهِ الْأَجْنَادِ،
وَمُرَافِقَةِ الْقِسْوَةِ وَالْعِتَادِ وَبِئِى الْفَوَائِلِ، وَنَصَبَ الْحِبَائِلِ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ
بِمَا أَمَرَهُ بِهِ، لِذِي يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. ثُمَّ جَاهَدَ بَيْنَ أَطَاعَةِ مَنْ عَصَاهُ، وَبَيْنَ اتِّبَاعِهِ مَنْ خَالَفَهُ، حَتَّى
أَعَزَّ اللَّهُ كَلِمَتَهُ، وَأَظْهَرَ دَعْوَتَهُ، وَأَكْبَلَ لِعِبَادِهِ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ. فَلَمَّا أَخَارَ اللَّهُ لَهُ
مَا لَدَيْهِ، وَأَخْتَصَّ بِهِ عِنْدَهُ: مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ، وَالْخِزْيَةِ الْكَرِيمِ، بَعْدَ اسْتِقَامَةِ الدِّينِ

ودخول الناس فيه أفواجا، خلفه، إذ ختم به الأنبياء، بالبررة العجباء من أدانيه وتحتته، لإقامة الشرائع المفترضة، وإنفاذ حكم الله المقتل، وأقفاء السنة الماثورة وحفظها له في قرابته وعجيبي دعوته، وإتماما لما أوجب له من الفضيلة، وقريب الوسيلة، وانجازا لما وعده من إظهار ما بعثه به، من دينه الذي أصطفاه وأرتضاه. وكان اختيار أولي الفضل من تحتته وعصيته لإرث خلافته، ومن عظيم الزلف التي رغب إلى الله فيها أنبياءه، وبما أقص في منزل وجهه، وأخص تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما أمره به من مسألة أمته تمييز مودته في القربى جزاءه ممن تبعه على الرسالة، وحده من الضلالة، فكانت فضيلتهم عزيزة من الله عز وجل، دون طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألزمه تأديته إلى خلقه وألزمهم أداءه، فقال عز وجل: ﴿قُلْ لَا سَأَلَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. ودل بما أخبر به وأظهره من تطهيره إليهم وإذها به الرجس عنهم، على أصطفائه لهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. وكان مما أوجب لهم به حق الوراثه في محكم تنزيله قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾. ثم قرن طاعتهم بطاعته، فقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. وأحلهم من النباة والصيت بالهسل الذي أعلى به أمرهم ورفع به ذكركم. لما أحب من النيسين في الدلالة عليهم، والهداية إليهم، فإنه يقول عز وجل: ﴿نَزَّيْدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾. ولو كان الأئمة المقلدون أمر عبده خاملة أنسابهم، متقطعة أسابهم، غير مخصوصين بفضيلة يرونهم بها دون غيرهم، لم تمد طليئهم عقد خلافة لهم، وأن تكون من المفترضات على كافة الأمة، أو على بعض دون بعض، فإن كان لأهل الشرق والغرب من ذوى النقص والكمال أن يختاروا لأنفسهم، فليس في أجناع آرائهم مع تفرقهم واختلافهم طمع آخر أيام الدهر. وإن كان إلى خاصية دون تامة، فستحتاج العامة من طلب معرفة نكت الحبل إلى مثل ما احتاجوا إليه في أئمتهم، إذ لم يكن أهل الأكراب والطلب من أعلام الآفاق ليتواضعوا على اتفاق.

لنقاد آجالهم قبل بلوغهم غاية الاجتهاد في الفحص والتكشيف ، وحاجتهم الى اختبار البلدان ، وتمحيص أولى الفضائل بالامتحان ، وما هو حاق عليهم من الشبه في اختيارهم ، والاختلاف فيمن حسوا أن يحبوه ويقدموه ، حتى تهلك الرعية بتظالمها بينها ، وطرق من يلها من الأم إياها ؛ إذ لا ذائد عنها ولا محامى . فإذا ألزمت الأئمة الحاجة إلى نصب الحكام لإقامة الدين ، وتقسيم الحقوق من المسلمين ، ومجاهدة عدوهم من المشركين ، لم يكن لهم في الإمام عليهم مجاز إلى التخلص من حقه إليهم ، ولا ريب عند المعرفة برأفة الله ورحمته ، ولطفه وحكمه ، في دفعه عن عباده ما لم يعمل في حيلتهم له وسعاً ، ولا في حيلتهم له ذكراً ، وكفايته إياهم ما يسجزم من البحث والتنقيب عن ولاية أمرهم . بنصبه إياهم ، وما رفعهم إليه من الدرجة التي أعلاها وأسناها ، إذ وصل نسبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقرض موقتهم على خلقه ، ولم يشنهم جهلهم للفرض الذي لزمهم له ، ولم يجب عليهم فرض في معرفة من سواهم . ولم يزل سياق أئمة الهدى مطرداً ، ونظامهم متصلاً ، يتلقاه كابر عن كابر ، ويؤديه أول إلى آخر ، حتى تساهى إلى أمير المؤمنين ، وهو حال دار دعوته . وبين أنصاره من أهل نخراسان ، فنظر به خيرهم ، وعرفوا ما تصرفت به أحوالهم . وظهر لهم من بيان محبته على من نازعه في الأمر ، وشاهدوا من إبلاغه في العذر . واستظهروا بالثبات والصبر . ما أراح عنهم الشبهة وكشط الحيرة ، حتى استقر^(١)لوا نهوضه بحقه ، وخافوا الزيف على أديانهم فيما أعطوه من صفة إيمانهم ، وهو ماض على عادته ، مستديم للوادعه . متلوه على المراجعة ، بالغ غاية ما في وسعه من الرخصة في دفع الولاية التي انتهت برب الرعية . حتى ضاق عليه في دينه ترك القيام بما أنهضه الله به من قتلها وقلة من جنها . وخاف الخلو فأنبعث بالشر والفرقة . فتناول أولياء الحق باغيا طاغيا ، لما أراد الله من تأييدهم عيه ببيان وانجحة التي يجب لها قلبه ، ويثبت بها في عضده ، ويقبل الله ما تفرق به من النصر والغلبة فيه التي جعلها الله للتقين . فاجت

لكم معشر أهل خراسان في دولة أمير المؤمنين ثلاث خلال اختصكم الله بفضيلتها، و مراتبها، دون ثلاث شملتكم وغيركم .

أما الأولى من ألقاوى خصكم الله بهن ، فما تقدمتكم لأسلافكم من نُصرة أهل بيت النبي .
والقائمين بمراتبه من آباء أمير المؤمنين .

وأما الثانية، فما آثركم الله به من نُصرته في دعوته الثانية .

وأما الثالثة ، فما تقدمتكم به من محبة ضائركم ، وحض مناصحتكم .

وأما الثلاث اللواتي هن لكم ولغيركم :

فهن ما أكد الله لأمر المؤمنين في أحناف المسابيين : من العهد الذي أخذ بصره ،
وألهمهم الوفاء به والتمسك بوثاقي عصمته ، عند محاولة الخلويع ماحول من الإعلان بالركة .
والتمس من تبديل معالم الدين وتغية آثاره ، فلم يُلَفِ الزعة سُدى مهملين ، لا جامع
لأمرهم ، ولا ضام لغيرهم .

ومنهن ما أفادكم الله وإياهم من العبر ، عند حلول الغير بمن غدر وختر ، تذكرة لأولى
النبي ، وحجة بالفة على من أدبر وتولى ، لينتدى متعبر ويتعظ مرذجر ، وليحص الله
الذين آمنوا ويحق الكافرين . . . ومنهن أجتاع أهل الفضل من المسابيين : ممن لم يكن له
نصر ولا أزر في الدعوة الأولى على المشايعة في الدعوة الثانية . فصيح دُعاة أمير المؤمنين
من أهل الحرمين والمصريين ومدينة السلام والمشرق والمغرب من غار أو أنجد من
التمسكين بذيهم المؤمنين بنذورهم ، من إخوانكم ، وإن كان الله قد قدمكم في الأمرين
جميعا بتفوق حاكم على غيركم ، يتكلمون من معاضدتكم ومكانتكم بما جعله الله عز وجل
ألفة لكم ومودة بينكم ، يبيد بها ما كان الشيطان يتربغ به بين أهل التبع في الأنساب .
والثاني في الأوطان من إيقاع العداوة والبغضاء . ولا تطواء على لأحقاد وأمن . وطلب
تقديم الإحن . وصار أهل السمو إلى اندرجة تعاليا والاعتصام بنُصرة الوثقى من أولياء
أمير المؤمنين وشيعته . منسرحة صدورهم بمكافئته . مُبَسَّطة أيديهم بعودته على حقه .

منفسحة آمالهم في إذكاء ناره على عدوه والإمخاض في بلاده وأنتاح تمتع حصونه ، بما جمعهم الله عليه من الألفة ، ورفع عنهم من الحمية والعصبية ؛ راجين موافقتهم الى أحسن ماضى عليه سلفهم ، في عهد نبيه صلى الله عليه وسلم ، من سلامة الصدور ، وصلاح ذات الدين ، واجتماع القوى على مجاهدة من شاقهم ؛ قد أفرد الله عنهم نفرة التعارب والتجاذب ، وجعل ما كان يسعى به بعضهم من الإعداد لبعض ، زيادة في ربحهم ، وحدا في شوكتهم ، لائتلافهم في دولة أمير المؤمنين المجدودة المؤيدة بصدق الضائر ، ونفاذ البصائر . وإلى الله يرضى أمير المؤمنين في إعانتة على صالح نيته ، وتبليغه منتهى سؤله وغاية هيمته ، في اعزاز دينه وإذلال من صد عن سبيله ؛ إنه سميع قريب .

ومن أقوى الأسباب الى استدعاء الشكر على النعمة تذكري ما كانت عليه الحال قبلها ، فاستدعوا الإفاضة فيما رفع الله من خساتكم وأصل من أقداركم ، بنصرة أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وما أبلاكم الله في الدعوة الأولى مما لا يؤدى حقه إلا بعون الله وتوفيقه ، فإنه ارتاح لهم بلطفه وتوفيقه ، فأنا لم رغائب الأقسام وسني الحطوات ، ورفع درجاتهم ودرج خلوفهم وأعقابهم من بعدهم ، بعد إذ هم مُستضعفون يخافون أن يقطّغهم الناس ، مُدْعونون بقهر عدوهم واستنثاره عليهم ، ثم لم يلبثوا أن صاروا الى الحال التي يرونهم بها من التبطلة والتهبة ، ألا أنهم أخذوها بحقها ، وكانت في أيدي الظلمة من أهل بيت اللعنة وأتباعهم بمحمد^(١) الباطل وبمحنة الابتلاء ، ولينعلم الله من ينصره ورسله والغيب إن الله قوي عزيز . وليس أحد منكم بخارج من المحنة بما أليس من النعمة ، وإن كنتم أهلها الآخذين لها بحقها ، بل الذي يلزمكم استدانتها والقيام بحفظها ، على حسب ما أولاكم الله منها ، فربما كان الذي يعقّب أهنأ من الغفلة والاعتثار ويلتهم بها من حبورها وسرورها ، أعظم إثمًا وحُوبًا مما يخف عما أهل البطالة والعسر من ضعف العزم وقلة الصبر ، لما تستولى عليهم من استكانة الدلة ، والاعتثار بالتقصير ، والفرغ الى رهيم في تفسد كرامتهم ، فإنه

تبارك وتعالى قد وصف أهل الطبقتين فقال : ﴿ وَإِذَا آمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ آمَرُضٌ وَنَارِي
يَحَاتِرُهُ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ۚ ۝ فَاجْتَبِكُمْ إِذَا خِطَبْتُكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ سَمِعُكُمْ وَأَطَعُكُمْ بِطَلَبِكُمْ ،
إلى حياة ما أودعكم الله من مثته و من فضله ، بالشكر المعتبرى للزبد .

فتمهلوا معشر شيعة أمير المؤمنين أنفكم بتذكروا ما مهل الله لكم من الخزونة . وذلك لكم
من الصعوبة ، وحكم لكم به من النصر ، على مراق الملة وتحاقى أهل القبلة . وأباحكم
من ديارهم وأموالهم ، فأصبحت بمن الله عليكم حماة الدين ، وأنصار الأئمة الراشدين ، وحصون
كافة المسلمين ، بعد ما آجست الله بكم قرون الفاق ، وأبد بكم صناديد الضلالة ، وشرذ من
لم تستعمله سيوفكم ، وأضرع اليكم من أذعن وأستسلم . وقد استشر فكم معشر شيعة أمير المؤمنين
أهل الشان ، ولا حظوكم بأعين الحسد والمفاصة ، فبين ذلك بجهر معالين ، ومُسْتَسِرَّ مَداهن .
وداخل في عدادكم ، وواجب في سوادكم ، يرى أمته بين ظهوركم . فطعن عليه في دونهكم
بريسة التويه وخدع التشبيه ، أيسر عليه كلفة وأعظم فيكم جرحاً ونكايه ، فتوقوا هذه
الطبقة أشد التوق ، فإن أكثر من يلجأ إلى استباحة الحيلة ، من عجز عن المباداة والإحصار ،
وعند ظهور الحازم وغلبته يَحْتَرِزُ من لطيف الخدع وخفى الاستدراج .

وأحذروا معشر شيعة أمير المؤمنين من استقراء الطرقات . والركون إلى راحة الدعة ما قد
رايتم وباله عاد على أهله ، وأوردتهم عواقبه طول الندم والخسرة ، فإنكم قد كنتم في حال المراقبة
لعدوكم ، والخوف لباغته متيقظين متحفظين لما كان يرومكم به من خنله وحيله ، ثم أنفضت
إلى الجح . وقد جهدكم السعى ومستمك النصب ، وسيلقى الشيطان في أمانيك أن قد اكتفيت
بسالف ما قاسيت ، ويجد من ضَعْف العزائم مَعِيناً دُعَايَا إلى اعتنام الخفض ، والإخلاد
إلى الأرض ، ما لم تعتصموا بما عايتم من الاعتبار ، وتمثلوا مواضي الآثار فيمن سلف من
القرون الخالية ، وما أفضت به إليه العزوة من زوال انتم ووقوع الغير ، وث جمع م خولكم
الله وأفادكم مُرَّتَيْنِ بما ألزمكم من حياته واستماته ؛ فقد وجست عليكم نَجْة بما حضكم الله

عليه ، وعظمت عليكم المنة بما هداكم اليه ، وأراكم من آياته ومثلاته فيمن خلا قبلكم ما فيه أبلغ الإندار والإنذار لكم . ومن أجمع له اقتناء صواب من تقدمه الى ما يبعث من نفسه ، فكانه قد آخبر بالتجربة ، مع استعداده بما يستفيد ، ويستريد ما يفتح لبه ورأيه ، وأيقنوا انكم لن تصلوا الى من سواكم ، من هو أصغر طاعة عليكم وأعذر بمصيبتكم ، حتى تبدوا باستصلاح أنفسكم ، وأنه لن يرجى لكم القوة على مجاهدة عدوكم حتى تقووا على مجاهدة أهوائكم ، فإن كل امرئ رية من أمره ، وغطاء من غيبه ، لا يكشفه إلا صحة المعرفة ، والإذعان بالنصفه ؛ فهناك يؤمن عليه بالجليل والمعاندة . وإذا أمنت هاتان النلتان آسدت بإذن الله ثلم الآفات ، وقوى المكاره . فزته لا يُخاف الضلال على من أهدى ، ولا اعتاد الجور على من أنتصف من هوى .

ولكن أول ما نتمهدون به أنفسكم ، وتُتارون عليه من صالح أدبكم تنصّف الحق بينكم . بتقديم أهل الفضائل والآثار الحمودة منكم وتضخيم أمركم ؛ فقد علمتم أن منكم المبرز القانت الذى لا يدرك شأوه ولا يُوازى بلاؤه ، حين كشف الإبلاء ضمائر القلوب وجلا مُشْتَبَهَات الظنون . فصريح بالحاربة بعد التقدم فى الحجّة ، وقاء بمؤكّد العهد وركوبا منه هائل الخطر . غير هائب مع محبة الحق ما برق لديه التاكس المخلوع ورعد ، ولا مُستوحش فيما تُزود به الى من تولى وأدبر . حتى أتى الغاية التى أجرى اليها فى الله عز وجل وفى خليفته ، ثم لرؤسائكم من أهل المشايعة والمكاثفة والنصرة والحظ الحزيل والأمر المئين ، نوابهم واجب وحقهم لازم ؛ ثم منكم من يُحفظ لسلفه وأوله من الآباء الذين يحفظون ولايتهم . فإن الله عز وجل يقول فى ذكر اليتيمين : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ الآية . وقال على لسان يعقوب لابنه يوسف : ﴿ وَكَذَلِكَ يَحْيِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ الآية . وأمير المؤمنين يرى توريث الحكمة والذمام سنة عليه فى أخلاقه التى يرعاها ويحفظ عليها ؛ كما أنه يرى وراثة التركة فريضة واجبة ، فيخلف السلف الصالح عنده من المزية والفضل ما يتلون به أهل الفناء بأنفسهم ، ثم

يتلوه من أحدى [بهم] وأحدى بهمهم . والسابق المتقدم من أعتد بلاء نفسه الى بلاء سلفه، ثم يتبعه بعد الميلي بنفسه . ثم يتلوهما المتوكل بآبائه . ثم الصاعد به هوامه ورأيه، طبقة طبقة ؛ فليقتصر كل امرئ منكم على المرتبة الى أهله بها سعيه . وليسلك الى الأزداد فيها بالزيادة من نفسه ؛ فإن من التثوق العظيمة على أهل البدل ما يترغ به الشيطان بينهم ، ويكثر عندهم ما يكون منه، فيوافق من الحيف لا نفس ما يجد به مساذا الى ما يروم من إيقاع الشحنة بينهم، وتثيت الإحن في صدورهم، بعد التآزر والتناصر . ومتى يجمع المرء لزمته من فوقه، واغتراب من دونه كفى ما ترك . ولن تخلص نياتكم . وتسلم ضمائركم ، حتى تتحصوا شكر ما أوليه إخوانكم ، وتعتدوا ما نالهم شامل لكم، وتجانبا طريقة من اقتصر بأمنيته على خاصته، وتغيب فيما أوثره أهل الفضل دونه . وكفى عظة فيما نهاكم الله عنه من ذلك ؛ يقول الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ الآية . ولا يمتنع أحد مودته عن سوء نية بحسن مداراة في ظاهره ، فإن الله مقلد كل امرئ رتبة عمله ومطوقه طوق سريره . ولا يندرك فيما يلزمه لإمامه ؛ فإنه إنما يفسد في حفظه ويغيب قسمه ، ويتحس قسمة . ثم لا يقتصر على استصلاحها حتى يتناول من كانت مته عليه من أقربيه وحسويه ؛ فإن يسير ما هو معان من تأديتهم لا ينشأ أن يتجاوز أدنى المراتب الى أقاصيها، وقريبها الى متناهيها . حتى يستفيض شاملا علما . بعد أن بدا محلا خاصا .

واعلموا أن أمير المؤمنين متفقد من تثقيفكم وتقويمكم على صاخ الأدب ومحمود السيرة، ما لا يتفقد به من سواكم ؛ فإنه إن كان يُوجب على نفسه استصلاح الرعية وحملهم على ما فيه رشدكم وقوامهم ؛ لما يلزمه من فضل العناية بالأخص والأولى فالأولى ، فإن في أخلاقكم من التقديم في التأديب والتعهد ؛ وجوها من الضرر ؛ منها : أنكم أولى بحسن الطاعة وسرعة الإجابة، للطف محكم وقرب مكانكم عند أمير المؤمنين .

ومنها : أنكم يأنس بكم المؤمنون ويقتدي بكم التابعون ؛ ففى قصرهم وأخلطهم ، أفضى أثركم من نصبتهم له أعلاما ، ثم لم يكن لكم أن تردوا عليه ، ولا أن تأخذوا فوق يده ، بل كان قينا أن يكون يسومكم الرضا بمثل ما سيمتوه ، ثم تجرى هذه العادة فى الطبقات ، حتى يطرد السياق ، الى أن يستفيض الفساد فى حشوش الناس وعامتهم ، فلا تُفسى قوة ولا حزم ولا شدة ، ألا العجز والاضاعة ، ثم يجد الأعداء مساعا الى الطعن واليبس ، فلا يملكون أن يرهقوك ويستويى عليكم النسل ؛ فإن الأيدى إنما تُبسط بنفاذ المزائم ، والمزائم إنما تُنفذ بقباط الحجة ، والحجة إنما تنهت إذا كانت عن الحق . وإذا أصبح أول هذه الرسوم ، التى رسم لكم أمير المؤمنين ، تبعته تواليه وشفعته لواحقه ، ووجد العدو الملاحظ مكان العودة ، مطمئا فى إهمال ما كان يعد له من الغزوة ، ويتوقع به من مناهزة الفرصة ، وليكن ما تُقبضون فيه وتعدونه ظهيرا على طاعين إن طعن فى دولتكم ، ما ألهم الله أمير المؤمنين : من شمول رحيته بالعدل ، وفرش الأمر فى مضمراتها ومقلبيها ، ورفع به عنهم من سير الجود ، وبسط به يده من إثابة أهل البلاء ، وتقدم الجرائم لأولى الزال ، والإبلاغ فى دماء من عاند وشاق الى التوبة والإنابة ، وإقالة العثرة بعد القدرة ، وإحقق لمباح السماء ، فلم تعلموه صبر محملا ، ولا هتاك لأحد ممن أظفروا الله به سترا ، ولا وقفه على عورة . ثم تولى الله أمير المؤمنين ، فى حروبه شرقا وغربا ، التى أغناه الله عن الإطتاب فى وصف صنع الله لكم فيها ، لاستفاضة أخبارها فى دهمائكم ، مع ما أحب من مطالعته لياحكم ببالغ أدبه وشافى حطفه ، أن ينتكب من الإسباب ، فى غير ما حمده وراى من تخرج أسماعكم وأذهانكم ، لوعى ما التمس أن تقوه من تبصيركم حطكم ، وتبصيركم على رشدكم . وحسب أمير المؤمنين فى نفسه وفيكم الله ، وكفى به ميثا .

وإن أمير المؤمنين مع ما تقسم به اليكم لعلى ثقة من حياطة الله خلاقه التى جعلها عزرا لدينه وقواما لخلقته ، وأنه ليس بها ممن أدبر عن حقها أفتلال بل من خلق ربقتها وأضاع حفظه منها ، جلب الخلة والحاجة وخسران الدنيا والآخرة . وإنما أتى

المُقَصَّرُونَ في إعظام حقها من ضعف الروية عن بلوغ ما تُقضى بهم إليه مصادرُ
العواقب ، وتؤدبهم إليه رواجعُ ما قدموا ، فلا يكونون بملوم غير متجاوزين بهمهم ،
وفهم الذي هم فيه الى ما يمتنع ^(١) .

وأستديموا معشر المسلمين سابع النعمة بحمد موليا والمُتَطَوِّل بها . وقد ترون ما كنتم
فيه قبلها وما آلت اليه حال من سلبها ، ثم يُعقِب الندامة حين لا مُسْتَعْتَب ولا نِظَرَةٌ يمكن
فيها استقالة الفارط بتقصير ولا حقوة زَال . وثقوا من رعاية أمير المؤمنين محمود آثاركم ،
وما مضى من بلاء كلِّ أمرئ منكم ، بما تطمثون اليه وتوقعون عاقبته : بأسئ ما ترتفع اليه
آمالكم وتسمو اليه هممكم ، الى ما يذخر الله لمن تمسك بهداه ، واعتصم بتقواه ، وجاهد
عن حقه ، وأقيا بأمر عهده من جزيل ثوابه وكريم مأبه ، الى الدار التي هي أكبر درجات :
وأ أكبر تفضيلا .

أحب أمير المؤمنين أن يتعهدكم بفضلة تلبيكم على حفظكم . وثبتت من بصائرهم ،
وتقطع من طمع الشيطان وحزبه فيكم ، لما يجب عليه من إرشادكم . ويرجو من تآدية
حق الله عز وجل فيكم ، ولما يرى من اتصالكم بحبله ، وما يشمله من الصنيع فيما ولاكم
الله به ، وتولاه لكم .

وأمير المؤمنين يسأل الله الذي دل على الدعاء تطولا : وتكفل بالإجابة حتما ، فقال
عز وجل : ﴿ اَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، أن يجمع على رضاه ألفتكم ، وأن يصلح خذعة
حبلكم ، وأن يمتنع بأحسن ما أودعكم من منته . ويوزعكم عليها من شكره . . .
لكم مزيده ، وأن يكفيكم كيد الكافرين ، وحسد الباغين ، ويحفظ أمير المؤمنين فيكم بفضل
ما حُفِظ به أمام هدى في أوليائه وشيعته . ويجعل عنه ثقل ما حمله منكم . وبالله يستعين
أمير المؤمنين ، على ما ينسوى من جزائكم بالحسن : وحذركم على العريضة المثل ، وبه يرضى
ناصرنا ووليّا ، وكفى بالله وليّا وكفى بالله نصيرا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وللأُمون — لما كتبت إليه السيدة زُبَيْدَة بعد مقتل ولدها الأمين خطاباً
الآتي تستعطفه :

كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ . وَكُلُّ زَلَلٍ وَإِنْ جَلَّ
حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذَلِكَ الَّذِي عَزَّكَ اللَّهُ ؛ فَأَطْلُ مَدَّتِكَ ، وَتَمِّمْ نِعْمَتَكَ ، وَأَدَامْ بِكَ الْخَيْرَ ،
وَرَحِمَ بَنَاتِهِ

هذه رُقعة الوَالِدَةِ التي ترجوك في الحياة لنواب الدهر ، وفي الممات بلجبل الذكر . فإن
رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضَعْفِي ، وَاسْتَكْفَيْ ، وَقَلَّةَ حِيلِي . وَأَنْ تَصِلَ رَحِمِي ، وَتَحْتَسِبَ فِيَا جَطْمَكَ
اللَّهُ لَهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاضِيًا فَافْعَلْ . وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ .

فكتب إليها المأمون :

وَصَلَّتْ رُقْعَتُكَ يَا أُمَامَه . أَحَاطَ اللَّهُ وَتَوَلَّىكَ بِالرَّعَايَةِ ، وَقَفَّتْ عَلَيْهَا وَمَسَاءَنِي — شَهِدَ
اللَّهُ — جَمِيعُ مَا أَوْضَحْتِ فِيهَا ، لَكِنَّ الْأَقْدَارَ نَافِذَةٌ ، وَالْأَحْكَامَ جَارِيَةٌ ، وَالْأُمُورَ مُتَصَرِّفَةٌ ،
وَالْمَخْلُوقُونَ فِي قَبْضَتِهَا . لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا ؛ وَالدُّنْيَا كُلُّهَا إِلَى شَتَاتٍ ، وَكُلُّ حَيٍّ إِلَى مَمَاتٍ ،
وَالْفَسْدُ وَالْبُغْيُ حَتْفُ الْإِنْسَانِ ، وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أُخِذَ
لَكَ ، وَلَمْ تَفْقِدْ مِنْ مَعْنَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ . وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا
تُخْتَارِينَ ؛ وَالسَّلَامُ .

(٨) أحمد بن يوسف^(١)

رسالة ممتعة لأحمد بن يوسف ذكرها ابن طيفور في اختيار المنظوم والمشهور وهي :

أما بعد فالحمد لله القاهر القادر، الخالق الرزاق، فاطر السموات والأرض، الذي أحاط بكل شيء علما، ونطق به خبرا، وأتقنه حكمة وعلماء، وألف بين مختلفه ومتفقته، ليدل بقوام بعضه على بعض، على اتصال تدير مشيئته ومبتدعه، وأنه أحد محمد. لا يصد له ولا يند، إذ قدر له حاجته ثم شتعا يلاغها إلى الغاية التي جعلها، فقال جل وعز : وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿١﴾ وحكى عن نبيه موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ ، وقال الله تعالى ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَانَهُ قَاصِبِلًا ﴾ ثم لم يكلف العباد من شكره كفاء نعمته، بل روى عنهم باليسير. وقبل منهم العفو، وجعل طاعتهم إياه مائدة طيبهم يميزيل الحظ في دينهم ودنياهم. لغناه عن عبادتهم. وأوسع قدرته بالتطول عليهم، مفتتحة وخاتمة، وبداية واثمة .

الحمد لله الذي أصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم . نبيا لرسالته . وأتمته على وجهه . وأنزل عليه كتابه العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه . ولا من خلفه . تنزيل من حكيم حميد، فأدى إلى خلقه الرسالة ، وأستفدتم من الفضلانة . وصدع بأمر ربه وجاهد في سبيله ، ونصح لأمنته حتى أتاه اليقين من ربه . بعد استنارة الخلق . وظهور نجاته . فصلّى الله عليه بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا قد تلافى من أخطأك . وجمع الألفة بعد الفرقة ، وأوضح الهدى بعد الدروس . ومعالم الرشد بعد التعموس . وكان بالمؤمنين رجيا .

والحمد لله الذي قفى على آثار المرسلين . والإئمة الراشدين . الهادي اتقى . الطاهر الزكى ، الإمام المأمون أمير المؤمنين . أعز الله نصره . فسدت قلوبهم . ورأب صدعهم . وقلده خلافتهم ، وجعله لكافة المسلمين غياة ورحمة . وجعل مد أئمة من انعدل والإحسان

(١) راجع ما كتبناه عنه في الفصل العاشر من الكتاب . ثالث في العهد الأول .

أيهم - مئة عليه ورحمة ذنرها له ، دون الخلقاء قبله ، فيما أظهر من فضل زمانه على الأزمنة ، وسياسة من تقدمه ، ومنح الرعية من عطفه ونظره ، ما لا يحمل عنهم أوبه ولا يؤدي عنهم شكره ، إلا هو لا شريك له ، وأحسن الله جزاء أمير المؤمنين ومثوبته ، على صيلة ربح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي هي رحمه وقربته ، واختياره لولاية عهده الأمير الرضى على بن موسى ، حفظه الله ، حين أحمد سيرته ، ورضى محبته ، وعرف استقلاله ، بما قلده في هديه ، ودينه ووفائه ، بما أكد الله به عليه ، من عهد أمير المؤمنين أيده الله ، في أعبائه من ازده وأسائه بما شفع رأيه ، وأنفذ تديره ، حين هم لاستصلاح ما استرقاه الله ، من أمور عبادته ، لما أنتق القائم بدعوته ، ورئيس شريعته ، الأمير ذا الرئاستين رحمه الله ، فاتخذ مكنيا ظهيرا ووزيرا دون من سواه ، فأنجى منهاج أمير المؤمنين أيده الله ، وسار بسيرته ، شرقا وغربا ، وغورا ونجدا ، مؤفيا بعهد ، قائما بدعوته ، مقتنيا لأثره وسنته ، لحسم الله به الأدواء ، وقمع به الأعداء ، من غاة الأهم ، وطواغيت الشرك ، وأباد على يده ، أهل الشقاق والنفاق ، في كل ألق وطرف ، بجهد أمير المؤمنين أهره الله ، وبركة سياسته ودولته ، ونجح سعى من قام بنبصرة من قام بحقه . وأدبر برهانه . حتى توفاه الله عز وجل ، حين بلغ همته وغايته . وحج أجله ، وانقضت مدته ، سعيدا حميدا ، شبيها فقيدا ، عند إمامه أكرمه الله ، وعند الخاصة والعامة . وكان من جلال أمير المؤمنين ، الحادث الذي نزل به ، فأحيا آثاره ، بوصف محسنه ، في مشاهدته وتجمعه ، وترجمه عليه عدد ذكره ، وحفظه في مجتمه ، وأهل حرمة . وفيمن كان يمد الله على طاعته ونصيحته ، ما أتم به نعمته ، عندنا وعندكم معشر الشيعة . فقد أصبح أمره بكم متصلا ، وموقعه من جماعتكم متمكنا ، يقضيكم ماقبضه ، ويسطكم ما بسطه من أومة المصيبة . وحسن القبي . وقد علمتم معشر أهل الجبا والنهي ، والطاعة لله عز وجل وخليفته . وذوى الفناء والبلاء في دعوته من أهل خراسان وغيرهم ممن حضر من آمنن الله قلبه بوفاء العهد والاستبصار في حق أمير المؤمنين أبقاء الله ، والمجاهدة دونه . والصبر على ، واطن الصديق والآثراء . والدب عن البتضة والحريم ،

والتحتملين للنصب، والمصائب التي ألمت، حتى كأن لم تكن. وبقي أجمعها على الله عز وجل. ومحمود ذكرها شاملاً في الناس، إن يَمَ الله، قد جَلَّتْ ولُفَّتْ. وخَصَّتْ وعَمَّت، وعلت وسمعت، وتمت ودامت. حتى قصرنا عن موازينها، والإحاطة بأدائها، فلما لم يكن لنا معشر إخواننا سبب إلى مكافأة بلاءه بالعمل، فمنع جُندناه أن نجتهد في القول. ونطلب في الوصف إن شاء الله جلَّ وعزَّ، فقد جعل ذكر النعم من أسباب الشكر، وقد جند لنا أمير المؤمنين أيده الله من الحياة والكرامة، وجزيل الحيلة، وسنى الرتبة التي قرئ بها عليه كتابه ما يستغرق جهنماً، ويستفرغ وسعنا، فغضب إلى الله عز وجل، ولي الرغبة، ومضى السؤال والعلية، في إمانتنا على تأدية ما وجب له، فيما منعنا من فوائده ونعمه. ثم نستفيدكم ونستعينكم على شكره، وإمدادنا بما بقلته طاعتكم في السعي له فقد آذنا بقل ما حملنا، وبقل ما طوقنا، وعظمت فافتنا إلى استهلاك القوى من الأنفس والحامى، والخاصة والعامة، في جزاء ما جَلَّلَ أمير المؤمنين فيما من سُنَّته، وشيئنا من تائد أياديه وطايفها. وقد عيها وحديثها، وكيف يوجد إلى موازاة أمير المؤمنين سبيل يبذل جهده، أو يلوغ حشده، فلما قَتَدَى بُلْداه، وتَعَشَوْ بنوره في ديننا، وليس عَجَزْنَا عن أن نجزي حقه، بواضع عن مؤونة الدُّووب في التحزى لتأديته، فإن الله عز وجل، قد أخبر بفضل الشكر ومناقبه، وجعله من أسمائه، ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾. وقد قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمِنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾. وقال تعالى: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفَهُ أَلْفًا وَيُغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾. ولولا أن الله عز وجل رضي لنفسه، لأجلناه عن التسمية إذ كان أكثر ما نستعمله، ونعرفه في مكافأة من من وتقول. ثم ثقي بذكر فضله في العباد، فإن الله تبارك وتعالى أفتح أول ما علم حقه بالحمد. وجعله بدء كتابه، وخاتمة دعوة أهل جنته، فقال عز وجل: ﴿وَاتَّبِعُوا دَعْوَتَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وخلق الله السموات والأرض، ومن برآ وقدراً في الحياة لِيَلُوَّ عِبَادَهُ بِشُكْرِهِ. وأعدَّ نجته في الآخرة لمن شكره، والنار لمن كفره، وقال الله تعالى: ﴿يَرْوِيذُ دُونُكُمْ يَنْ شُكْرَكُمْ لِأَزِيدَكُمْ وَلَنْ

كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿١﴾ وقال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ تَوَدَّعْتُمْ أَنَّهُ بُدِّلَ مَا آتَيْنَاكُم مِّنَ الْبَرَكَاتِ فَمَا تَعْلَمُونَ﴾ ، فجعل التقوى واقعة ، والشكر مرجوا ليدل على ارتفاع رتبته ، وطو درجته عنده ، وقال ليعيه موسى عليه السلام : ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ رِسَالَاتِي وَيَكَلَامِي نَحْنُ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ . فلم يكلفه إلا أخذ ما أعطاه ، والشكر على ما أنعم ، وأخبر بعزته في العباد . فقال تعالى : ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ ، فآية نعمة أجل قدرا ، وأسمى أمرا . معشر الشيعة من نعمة أمير المؤمنين ، أيده الله ، عند الأمير ذي الرياستين ، ومراتبه التي رتبها بها ، فإنه أعطاه رياسة الحرب . ورياسة التدبير . وعقد له على رأسهما علما في رواية دعوته . وقلده سيفهما وختمه بحاتم الخلافة . وخاتم الدولة . وجعل صلته بين صاحب حرره ، وصاحب شرطته . ومسيره بين أمير المؤمنين وبينهما ، أمامه وخلفه ، وصير له الجلوس على الكرسي بحضرته ، في صدر كل مجلس جلس . إلا أن يؤثر به من أحب من أباء الخلفاء . وقدمه في دخول دار الأمير راجعا الى أقصى مكان ينتهي إليه أحد من بني هاشم ، لأنه منهم . وأعظمهم غناء عنهم ، فسماه صاحب دعوته وسيفه على عذقه وبابه الذي يدخل اليه منه ، وولاه خروجه في أقطار الأرض . ومقدمته بحضرته ، وقلده من الثغور ما قد علمت . بما أمره في عهده ، الى ما أنقذه من أمره ، في جميع سلاطانه ومملكه ، من مشارق الأرض ومقاربهها . وأين يأتي الوصف على ما فضله به ، وقدمه وشرفه على الناس كافة . ونكا تحيط بذكره . ثم تكمل السامعين الى ما يرجعون إليه من المعرفة التي لا تبلغها الصفة . ثم لم يكن ما أكرمه به في حياته بأعلى مما أكرمه به في وفاته ، تولى غسله وتكفينه ، ومباشرته في جنازه ، الى حفرة بيده ، وقامى من النقص ، وبراء الحزن ، وإدراء العبرة ، وإراقة الدمة ما حال بينه وبين الكلام . وكاد يمنعه من القول والدعاء في صلته عليه ، من الحكم ، وحفظ أهل الحرمه ، به رعاية له فيهم . ووفاء بمهده من بعده ، وأقر خاصته ، وقواده وعلمه . وكتابه على مراتبهم ، وحيد بمجده ، وقدم بذقه ، وجدد بلحنده ، وتل كربيته ، نظرا وعظما ، فلم يبق عليه في إحياء ذكره ، وبلوغ كل ما يحبه في حياته غاية إلا أتى من وراثتها ،

وأمر بقرأة قُتُوبه، كما كانت تُقرأ على عهدِه، وأضاف كل ما حدث من بعده الى ما تقدم من سعيه، وأخبر أنه كان سببه، والمفتوح به، وولي محمد بن الحسن خلافة، ونصبه منصبه، وأقامه مقامه الى أن جدد العهد. فاستخلفته على ما ولي بحضرته، ثم تآبعت كتب أمير المؤمنين، أكرمه الله بعد مصاب الأمير ذي أرياسين، بما لا يقارب التفضيل، والإحلاق والتفويض الذي كنتم سمعتم به وبلغكم، فلم يكن يرى وراة بجارية، ولا فوقه مَصْعَدًا، حتى جدد لنا من كرامته، ما قد قرئ عليكم في كتابه. فبلغ بنا ما لم تكن اضم تبليغه، والأمانى يُعْجِبُ به، لولا ما منحنا الله عز وجل من الترق في الفضل. انى ما تقيس من دونه الأبصار، وتقطع دونه الآمال، وإنما أقتصصناه وذكره ما أبلغنا وأسطع عندنا من بلائه بدعائنا الى الله عز وجل، وإلى طاعته بالعدل والإحسان انى رعيته والنظر بالصفح، والأخذ بالفضل، والأمير بالمعروف، وصلة المرومة بالوفاء بالعهد، والشكر للأن، ورياسة الأخلاق الحمودة، وإحفاء أهلها، وإقامة سوقها، حتى تنافسوها وتنافسوا فيها، وصارت هى الدرائع اليه، والوسائل عنده، فلو تأمل متأمل أهل الرُفَّة، والأثرة لديه، لوحد الأخص فالأخص، والأصل قدرا عنده هو الأفضل ديناً ومرومة. فلو لم يكن فى الخطوء عنده إلا لإيجابها لصاحبها صحة المحبة. والتراحة عن كل غلظة. لكن فيها أعظم العيلة. وأعدل الشهادة والدلالة، وستقص عليكم بما أخبرناكم عنه مالا سبيل انى بحمده وإنكاره. بوضوح معالِمه ومنائره، أو ليس المجاهد عن دين الله. والهمى عن بيضة المسلمين. والموتى لأغلظ مدغم شوكة، وأخوفهم عداوة، والمُنْصَح فى بلادهم. بمن كان لا يرام. ولا يحاول لاستصمابه وشدة مقاساته، حتى أذعن جيفويه بالعبودية له. ثم أباح حرمة حين تمرد عليه، حتى بلغ السبى الى ولده. وحاربونا به. وتغللت خيوبة. حتى توصب الى قبته، ومنتهى عزه، أو ليس مُسْكِن التَّهْجِ بالمشروع. حتى خبت العزلة فيه. وأذعن رؤساؤها وقادتها. أو ليس غازی بلاد بابل حين طغى أمرها. وبذل وبمكث وقص. حتى أجنتك أرومته، وأباح حرمة، وأراح المسلمين من معزته، ونس رائة المنفورة ومُحَصَّن.

عَوْرَاتِهَا . وَالْمَبَاسِرَ لِتُدِيرَهَا ، وَالْمُسْعِدَةَ لِمُكَابِدَةِ الْمُنْجَحِ فِيمَنْ أَرَادَهَا ، وَقَالَ الْعَنَاءُ ، مِنْ رِقِّ
 الْإِمَارَةِ . وَنَاشِرِ الرَّحْمَةِ عَلَى قُرَّاءِ الْمُسْلِمِينَ وَضُعَفَائِهِمْ وَأَهْلِ الْمَسْكِنَةِ ، وَالْحَلَّةِ مِنْهُمْ ، وَقَاسِمِ
 الصَّدَقَاتِ فِي أَهْلِهَا ، وَعَامِرِ الْمَوْسَمِ وَمَحْصَنِهِ مِنَ الْآفَاتِ حِيَاطَةً لِلْمُسْلِمِينَ فِي تَجَمُّعِهِمْ ،
 وَمَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى رَبِّهِمْ ؛ وَهَلْ أَقْرَنَ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ مَا أَقْرَنَ لَهُ فِي الْمَلِكِ وَالِدَيْنِ وَالْعَزَّ ،
 وَالتَّوَاضُعِ وَالسَّعَةِ . وَالْبَذْلِ وَالْقُدْرَةِ . وَالْعَفْوِ وَالْغُلْظَةِ . وَالْإِيَانِ فِي مَوَاضِعِهَا ، وَالنُّسْكِ مَعَ
 الْمَهْمَةِ . وَالسُّلْطَانَةِ مَعَ الْإِقَالَةِ ؛ وَهَلْ تَرَكَ مَعِشَرَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْإِخْوَانَ فِي الدِّينِ غَايَةً لَمْ يَسْمُ بِهَا إِلَى
 شَرَفِهَا ، وَعَلَى مَرَاتِبِهَا ، وَمُسْتَرَادِ الْحَظِّ فِي عَاجِلٍ وَأَجَلٍ ، لَمْ يَلِفْنَاهُ وَنَخْتَارُ لَنَا خَاصَّ مَكْرَمَتِهِ ،
 وَمُدْتَرَعَاتِهِ . أَرْشَدَنَا إِلَى الدِّينِ ، وَسَلَّكَ بِنَا سُبُلَ الْحَقِّ ، حَازِلَنَا الْمَلِكُ . فَلَمْ يَبْقَ وَرَاءَ
 مَا مَلَكَ غَايَةً ، وَوَرَدَ بِنَا أَخْرُوبَ وَسَاسِهَا لَنَا ، فَلَمْ يَدَعْ غَايَةً لِلتَّعْلِيمِ وَالذَّرَايَةِ ، سُلِّطَ عَلَيْنَا
 بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَنَاهُ فَلَمْ يَدَعْ غَايَةً فِي التَّقْلِيدِ وَالْفَقْهِ . فَكَمْ عَلِمْنَا الْفَضَائِلَ ، ثُمَّ فَضَّلْنَا بِهَا ،
 غَلَبَ لَنَا الْأَهَمُّ . ثُمَّ خَوَّلَنَاهَا . عَلِمْنَا طَرِيقَ الشَّرَفِ ، ثُمَّ شَرَفْنَا بِهَا . أَخْبَرْنَا عَنِ الْأَنْبَاءِ فَكَفَّعْنَا
 مَوْئِنَ التَّمَاسِكِ ، وَأَغْنَانَا بِمَا عِنْدَهُ فِيهَا ، أَخَذَ عَلَى أَيْدِينَا الْخَيْرَ لِلرَّعِيَةِ ، فَوَهَّبَ لَنَا شُكْرَهَا ، وَصَدَّقَ
 مَقَالَتَنَا عِنْدَ الشُّبْهِ ، وَأَتَمَّذَ أَمْرَنَا فِي التَّدِيرِ .

فِيَا أَيُّهَا الْإِمَامُ الْمَنْصُورُ الْمَهْدِيُّ الرَّشِيدُ حَزَتْ فَضَائِلُ الْآبَاءِ ، وَاهْتَدَيْتَ بِهَدْيِ
 الْأَنْبِيَاءِ . أَنْشُرَكَ عَنِ الْإِسْلَامِ . فَأَنْتَ الْقَائِمُ بِهِ الدَّاعِي لَهُ ، وَالنَّاصِرُ لِحَقِّهِ ، أَمْ نَشْكُرُكَ
 عَنِ الْإِمَارَةِ . فَأَنْتَ الْمُفْتَتِحُ لِمَنْعَمِهَا عَنَّةً . وَالْمُتَطَوِّلُ عَلَى أَهْلِهَا بِالرَّحْمَةِ ، وَالْمُنْعِطِفُ عَلَيْهِمْ
 بِحَسَنِ الْقَائِدَةِ بَعْدَ مَا هِجَتْ مِنْكَ سُورَةُ الْفُضْبِ ، فَطُغَاتِ نَارِهَا . وَأَنْحَدَّتْ لَهَا بِهَا ،
 وَعُدَّتْ عَلَى مَنْ سَفِهَ . وَأَضَاعَ حِفْظَهُ ؛ أَمْ نَشْكُرُكَ عَلَى الْمَسَاجِدِ ، فَأَنْتَ الَّذِي أَسَّسْتُهَا عَلَى
 التَّقْوَى . وَعَمَّرْتَهَا بِسَلَاةِ الْقُرْآنِ . وَطَهَّرْتَ الْمَنَابِرَ وَرَكِبْتَهَا ، تَمْلُوهَا صَائِمًا . وَتَنَاطَّقُ عَلَيْهَا
 صَادِقًا . وَتَدْعُو إِلَى الرُّشْدِ عَلَيْهَا صَاحِبًا . وَتَحْمِ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تَبْدَأَهَا عَحْسًا ، وَتَتْلُو مِنْ قَوَارِعِهِ ،
 مَا تَصِيغُ لَهُ الْأُصْمَاعُ وَتَلِينُ لَهُ الْقُلُوبُ ؛ أَمْ نَشْكُرُكَ عَلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، وَالرَّكْنِ وَالْمَقَامِ ،
 وَالْخَيْرِ وَزَمْرَمِ ، وَمَشَاعِرِ الْحَجِّ . وَأَنْتَ ذَبَبْتَ عَنْهَا ، وَأَعَدَّتْ لَهَا عَهْدَهَا ، فِي مَبْعَثِ نَبِيِّهَا ،

صلى الله عليه وسلم . فاقمت النازع اليها . من كل فج عيق . وخالين بها من الركوع
 والسجود . أم نشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيما حفظت فيه من عثرته .
 بفوك عن مجرمهم . ومضاعفتك ثواب محسنهم . وإحيائت من أمرهم . ما كان قد أندرس
 وأنطمس . بعد اللقاء . بنى الله صلى الله عليه وسلم . وقد راعيت منه في قرابته وقربتك .
 وذوى رحمه ورحلك . ماضيع الناس . ووصلت منهم ما كان وصلة . إذ كان الله عز وجل .
 قد فرض صلة الأرحام . فكان أطوع خلق الله عز وجل فيما قرض عليه . أم نشرك
 عن العوام . فقد ألبست المسلمين ثوب الأمن . وأذفتهم طعم السعة والزفافة . وعدت
 بينهم بالإنصاف . وتوليت دونهم النصيب . وآثرتهم الراحة . أم نشرك عن الملوك والنقود
 والأجناد . فأتى الذى رفضت مثازهم . ووقرت عدهم . فلم يكن فى دهر أحد من الخفاء .
 أسعد ولا أحظى منهم فى سلطانك . بما بذلت لهم من المعاونة . ووليتهم من النفور
 والأمصار . وأدررت عليهم من الأرزاق والخواص . أم نشرك عن الأحكام والسفن . فأتى
 الذى أنهجت سبلها . فأوجبت فرضها . ونافست فى أهلها . أم نشرك عن الأعداء فأتى
 الذى بدأتهم بالهجرة . ودعوتهم إلى الفئدة والإثابة . ثم ثبتت معقبا بالعفو . ونفستهم بعد
 البؤس . وأمنتهم من الوحشة . أم نشرك على مكاره الأخلاق . وأنت الذى ثبتت وطأتها .
 ونفيت عنها أضدادها . ولو نطقت بالفضل . لنصفت بشرك . فى إزائيت يانها عن اللطم .
 وإخطائك من أعترى إليها . أم نشرك عن النفور . فأتى الذى تممتها . وحصنت عورتها .
 أم نشرك عن السلف . فأتى الذى أشدت بغاغم . وحفظتهم فى أبنائهم . أم نشرك عن
 برؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن القضيبي الذى تخص به . حتى جعلتهما زينت .
 وسموت بهما فى أعيادك . عد حشدك . على الطهر والزكاة . والنسك والتقوى . أم نشرك
 عن المسلمين فى رعايتك إياهم . وما نزعهم من جنابك . وتمى عنهم من الآفات . وبعث
 عنهم من جبابرة الكفر . ونقص من جيوش الشرك وتشتك . ونفع من أخصوص
 المستصعبة . وتسهل من الطرق الوعرة . أم نشرك عن تواضعك لله عز وجل . ونصائح

المسلمين طلبا للرضة عند الله. أم نشكر لك عن الدين وقد جعلت السلطان عبدا وقاتنا ومقتدا. وكان ماورا بجماعة أمرا، وآلة للقوة لجلت القوة له آلة، فيأمن أتصل شكره بشكر الله عز وجل، ونعمته بنعمة الله تعالى وطاعته، بطاعة الله فوجب الله لك شرف المنازل، ورقاك درج الفضائل. وبرك الله عنا وعن غيرنا. مما شكر من ناطق أو صامت، جزيل الثواب ورفيع الدرجات. وأنتك ما أتاك وأنتك الأمة ما آتاهم منك، والحمد لله ذي الرضات، ومتم الصالحات. شكرا رب العالمين. فإنه مبلغ طاعتنا، ومُنْتَهَى جَهْدنا، وبه نستعين على تأدية فرائضه. أنه لا يعين على ذلك إلا هو. أحببت أن نشكر اليك أمير المؤمنين أبيه الله، إذ ورد على من أنامه وفاضاله. مالا أبلغه بالفعل، وأن يكون ما أخصصنا بكم. ذاعيا لكم، إلى أن تشكروه عنا، وعن أنفسكم، وعن الإسلام والمسلمين، ورجوت بما وثقنا الله له، فيما شرحنا وأوضحنا من الدلالة والبيان أن يكون مجتمعا يتبع به من حضرة، ومن عسى أن يؤدى إليه الخبر عنا، أو حدث بعدنا، وضلت بهذه المكرمة الزائدة، والمائزة الباهرة، التي أدتها الله لأمر المؤمنين، أعز الله نصره، وأفرده بها، دون الأئمة والخلفاء، أن تمر بالإسماع صفحا، وتجتاز على القلوب سهوا، حتى تؤكد بالشواهد والبرهان، ليبقى ذكرها ونفعها في الخلف والأعقاب، ونحن نسأل الله عز وجل الذي جمع بأمر المؤمنين — مد الله في عمره — ألفتنا، وعلى طاعته أهولنا وضمائرنا، وأثالثنا من القبطة في دولته وسلطانه، ما لم تحويه شعبة إمام، ولا أنصار خليفة، أن يتم نور أمير المؤمنين، ويصل كعبه، وتتم مقادير، حتى يبلغه سؤله وحمته في الاستكثار من البر وأدخال الأجر،

مدد وامنح، وإستعن، ويراب به الصدم، ويصلم على يده الفساد ويرثق به دوى هذه. ويشيخ بسياسة ونكايته في عدوها. ويتاج الفتوح في بلدانهم حتى يؤتبه من نجح السعى. ورتائب الحظ في الدنيا. ما يُحْزَل عليه ثوابه في الآخرة، وأرشد الذين يقول لهم: قَاتِلُوا اللَّهَ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ

يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

ومن توقيعاته تقلا عن كتاب الصلوة .

وقع الى عامل ظالم « الحق طريق واضح لمن طلبه تهديده محبته ولا تخاف عثرته
وتؤمن في السر مغبته فلا تستغل منه ولا تعدن عنه فقد بالغت في مناصحتك فلا تلجوجني
الى معاودتك فليس بعد التقدمة اليك إلا سطوة الإنكار عليك » .

ووقع في عناية بالإنسان الى بعض الممال « أنا بفلان قائم العناية وله شديد الرغبة ولكنه
أحب أن يكون ما أريته طرفك من أمره في كتابي مستودعا معك من خطابي فلا تعدن
بعنايتك الى غيره ولا تمنعن بعقدك سواء حتى تنيله إرادته وتجاوز به أميته إن شاء الله » .

وفي كتاب ابن طيفور من توقيعات أحمد بن يوسف الشيء الكثير فارجع اليه
إن شئت .

(و) رسائل سهل بن هارون^(١)

من كلامه :

حكى الجاحظ قال : — لقي رجل سهل بن هارون فقال : هب لي ما لا ضرر به عليك ؛ فقال : وما هو يا أحمى ، قال : درهم ؛ قال : لقد هونت الدرهم وهو طالع الله في أرضه

(١) هو من أبناء النخس وكان من رجالات نبلاء العلم والحكمة في دولتي الرشيد والمأمون ، وقد وضع كتابا حاكى به تخطب هبة ودمية وسماه « نحلة وعصرة » . وكان قيم بيت الحكمة (مدير دار الكتب) في عهد المأمون . وله سهل بن هارون في مدينة ميسن بين واسط والبصرة ، وفي رواية في دستبان كورة بين الأهواز وواسط والبصرة ، في أواخر النصف الأول من القرن الثاني تقديرا ، ولا يعرف من نسبه إلا أنه سهل بن هرون بن راهبون (راهبون) وكنيته أبو عمرو ، فارسي الجنس . أهوازي أو حوزي المولد ، عراق المنشأ ، تقول إلى البصرة في سن لم تعرف ، وكانت البصرة إذ ذاك مدينة للعلم في الدولة الإسلامية ، بل مدينة العلم في العالم كله ، أو كما قيل فيها « قبة الإسلام » ونزاة العرب « حوت من العلم الإنساني أصوله وفروعه ، ومن القامعين على تبيحه مصانعه وظهله ، لغذى روحه بلبان محاسنها ومجامعها ، واستنار عقله بما اقتبس من نور معارفها فخرج بطلانها ، ولا شك أنهم كانوا طبقة طالية جدا ، في كل مطلب من مطالب الآداب . وقيل : أن سهل بن هارون كان شيعيا ، وشيعة العراق في زمة كانوا على الإطلاق معزلة ، ولم يؤثره أنه تنصص أحدا من الصعابة الكرام ، بل عرف بالاعتدال مع الأموات ، إعتداله مع الأحياء ، وما أثره أنه خاض عمار مباحث الكلام التي كانت على أشد حاريتها إذ ذاك ولا سيما في البصرة ودار السلام بغداد . وأتجهوه بأنه كان مع الشيعة الذين يصغرون شأن العرب ، ولا يرون لهم من العجم فضلا ، وإذا صحت هذه التهمة فنلصص التوفيق بين مذهب من يقول بالشمعية ومن يقول بالتشيع ، على المعنى الذي فسره به بعد قرون .

وصفه الجاحظ فقال : « كان سهل سهلا في نفسه ، عتيق الروح ، حسن الشارة ، بعيدا من القدامة (الشيخ) معضل القامة ، مقبول الصورة ، يقصي له بالحكمة ، قبل الخبرة ، وبرقة الذهن ، قبل المخاطبة ، وبقعة المذهب ، قبل الامتناع ، وبالنبل ، قبل انكشاف (الطهور) » . وكان الجاحظ مازجه وثاقفه . وقيل لفرافق ولعله إبراهيم بن ذكوان كاتب الهادي ووزيره . يملك وبين سهل بن هارون صداقة فأنته لنا كي تعرف ، فقال : « هو كالتبر ، وازن العلم ، واسع الحلم ، إن سجدت لم يكذب ، وإن مزجت لم يضب ، كالنيت أين وقع ، قطع ، وكالتشمس حيث أوتت ، أحييت ، وكالأرض ما حلها حلت ، وكالماء طهورا لخصه ، وتافع لطفه من أمر إليه ، وكالغواء الذي تقطف منه الحياة بالتشمس ، وكالتار التي يمشي بها الخمرور ، وكالسياه التي قد حسنت بأصناف النور » . ٥٠١ . صورتان جميلتان في وصف سهل صورهما مصوران مبدعان غاشا قريحه ، وضئها بحلقه وخلقه .

وأتموها سهل بن هارون دلجل وأودعوا له قصصا وقوادير ، وربما كان آتيامه بالبطل مبالغا فيه تراد به التكملة وإنادة ٥٠١ . من محاضرة للاستاذ الباحث السيد محمد كرد علي ألقاها بالمجمع العلمي العربي دمشق ونشرها بمجلتي 'المجمع والمقتطف' .

لا يصح ، وهو عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الألف : والألف دية المسلم ، ألا ترى الى أين انتهى الدرهم الذى هوئنته ، وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم ! فانصرف الرجل ، ولولا أنصرافه لم يسكت .

وحكى دُحَيْل الخزاعى الشاعر قال : ألقنا يوما عند سهل بن هارون ، وأطلقنا الحليث حتى أضر به الجوع ، فعدا بضائه فَأَتَى بِصَحْفَةٍ فِيهَا مَرَقٌ تَحْتَهُ دِيكٌ هَرِمٌ ، فَأَخَذَ كَسْرَةً وَتَغَمَّدَ مَا فِي الصَّحْفَةِ ظَمَّ يَحْدُ رَأْسِ الدِّيكِ فَبَسَى مَطْرَقًا . ثم قال للسلام : أين الرأس ؟ قال : رميتُ به ، قال : ولم ؟ قال : لم أظنك تأكله ، قال : ولم ظننت ذلك ! فوالله إني لأمُتُّ من يرى برجله فكيف برأسه ! ولو لم أكره ما صنعت إلا للطيرة والقال لكرهته ، أما علمت أن الرأس رئيس يتفادى به ، وفيه الحواس الخمس . ومنه يصيح الديك ، ولولا صوته ما أريد . وفيه فوهة الذى يتبرك به . وعينه التى يضرب بصفاها المثل فيقال : شرابٌ كمين الديك ، ودماغه عجب لوجع الكلىة ، ولم أرَ عظمًا قطُّ أهدش تحت الأسنان منه ، وإن كان بلغ من ثبلك أنك لا تأكله . فعندنا من يأكله ، أو علمت أنه خيرٌ من طرف الجَمَاح ومن رأس العُتْق ! أنظر أين رميته ؟ فقال : والله . أدري ؛ قال : أنا والله أدري ! إنك رميت به . والله فى بطنك . والله حسيبك .

ومن مؤلفاته كتابُ البخل .

ولما صنف سهلُ كتابه فى البخل أهداه إلى الحسن بن سهل واستقامحه . فكتب إليه الحسن : قد مدحت ما ذمه الله ، وحسنت ما قبحه الله ، وما يقوم بسداد منائك صلاحُ لفظك ، قد جعلنا ثوابَ مدحك فيه قبولَ قولك ، فما تُعطيت شيئًا .

وأَتَمَّ سهلُ بن هارون بالبخل وأوردنه في ذلك قصص وبيودر وعده الجاحظ من "مُتَعَاقِلِ الْبُخْلَاءِ وَأَخْفَاءِ الْعُلَمَاءِ" قال : ما علمتُ أن أحدا جرؤ فى "بخل كذا" إلا سهلُ بن هارون ، وأبا عبد الرحمن الثورى . والبخل فى الفرس نالِبٌ فى الجملة . غيبة لكم على

طباع العرب ، فاقتضى ذلك التفريط الذى رآه سهل فى تبذير العرب ، أن يئلى لقومه بأوائه المفرطة فى الاقتصاد والإسك . وما شُهد قط تفريط آلا وإلى جانبه إفراط .

كتبه وطريقته فى التأليف :

كان سهل بن هارون مُتقطع القرين فى صنوف العلم والآداب ، وناهيك بعالم كبير كالجاحظ كان يؤلف الكتاب الكثير المعانى ، الحسن النظم ، فينسبهُ الى نفسه فلا يرى الاستماع تُصغى اليه ، ولا القلوب تيمُّ نحوه ثم يؤلف كما قال عن نفسه ، ما هو أنقصُ منه مرتبةً وأقل منه فائدةً ، فيحصله عبد الله بن المقفع ، أو سهل بن هارون ، فيُقبل الناس عليها ، ويسارعون الى نسخها .

ويقال إن طريقة سهل فى كتابته طريقة أمير المؤمنين على بن أبى طالب لا يتكلف لكلامه ، فلا يُشاهد فيه الناقد أثر الصل ، بل لا يتكلف بغير إرسال النفس على صحتها ، فهو وابن المقفع والجاحظ على غيرِ واحد .

وقيل إن سهلاً كاتب سلاطين ، والجاحظ مؤلف دواوين . وكأن كلامه نعمةً موسيقيةً تعرف آتباءُ بجملة من رتبتها بعد أن ملكت طيك مشاعرك ، لا يتخيل بالأصباح إلا إذا مات عفو الخاطر ، شأن بلغاء الصدر الأول . وكان يقول الشعر وأكثرُ شعره مما أملاه قلبه ، فى غرض من أغراض المجتمع . وعده الجاحظ من الخطباء والشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار ، والكتب الجار المجلدة ، والسير الحسان المولدة ، والأخبار المدونة . وكتبه مرةً بالكتاب ، ولعل لقب الكاتب فى شرفه أكبرُ من عالم . وذكره ابن النديم فى البلغاء وقال : إنه شاعرٌ مُقل ، وعده فى الشعراء الكتاب . وقال : إنه كان ممن يعمل الأسمار والخرافات على ألسنة الناس والطير والبهائم هو وعبدُ الله بن المقفع وعلى بن داود كاتب زبيده . وشعره نحسون ورقة . أما الدهشة فى تأليفه ، فله ديوان رسائله ، وكتاب الفرو والتعلب ، وكتاب اسباسيوس (أسانوس) فى آتماذ الإخوان ، كتاب أسد بن أسد ، كتاب سحرة العقل ، كتاب تدبير الملك والسياسة ، كتاب الى عيسى بن أبان

في القضاء، كتاب الفرس، كتاب الفزاليين، كتاب ندود وودود، وكتوب الرياض، كتاب ثعلبة وعفراء، (وفي رواية ثعلبة وعفراء) على مثال كتاب كليلية وديمثة، قلده في أبوابه وأمثاله.

وقال المسعودي: يزيد عليه أي على كليلية وديمثة في حسن نظمته وقد صنّفه لأماون. ومن تأليفه: كتاب الهزلية والمغزوية، كتاب الوامق والمذراعات غير ذلك من المصنفات التي لم تبق إلا أيام وبالأسف على واحد منها فيما علمنا.

دخل سهل على الرشيد وهو يضاحك المأمون، فقال: اللهم زد من الخيرات، وبسط له من البركات، حتى يكون في كل يوم من أيامه شريعاً على أمسه، مقصراً عن غده، فقال الرشيد: يا سهل، من روى من الشعر أحسنه وأرصنه، ومن الحديث أفصحه وأوضحه، إذا رام أن يقول لا يسجزه القول؟ فقال سهل: يا أمير المؤمنين، ما ظننت أن أحداً يهتدي إلى هذا المعنى، قال بل أعنى همدان حيث يقول:

رأيتك أميس خير مني لوئى * وأنت اليوم خير منك أميس

وأنت غداً تزيد الخير ضعفاً كذاك تزيد سادة عبد شمس

وقد شهد مقتل البرامكة في سنة ١٨٧ هـ وحدث فيه كان عليه يحيى وجعفر من البلاغة فقال: إنا نجمعى الخطب، ونجبرى القريص عياناً على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيى، ولو كان كلام يتصور دراً، ويحييه المنطق السيري جوهراً. لكن كلامهما، والمتقى من لفظهما، ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد في بديته وتوقعاته في كتبه. فتمين عين. وجاهلين أمين، ولقد عثرت بهم. وأدركت طبقة المتكلمين في أيامهم، وهم يرون أن البلاغة لم تستكمل إلا فيهم. ولم تكن مقصورة إلا عليهم. ولا أقدمت إلا هم. وأنهم تحض الأنام، وأبواب الكرام، ومنع أيام. عن مصر. وجوده مخبر. وجزالة. منقوص. وسهولة لفظ، ونزاهة فم. وكلمة خصص. حتى لو حررت. نبي بقليل أيامهم. والمأمون

من خصّالهم ، كثير أيام من سواهم من لُذّن آدم أيهم الى الضغ في الصور ، وأبتعات أهل القبور ، حاشا أنبياء الله المكرمين ، وأهل وحيه المرسلين ، لما باهت إلّا بهم ، ولا عولت في الفخر إلّا عليهم ، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم ، وكريم أعرافهم ، وسعة آفاقهم ، ورفق ميثاقهم ، ومعسول مذاقهم ، وبهاء إشراقهم ، وتقاوة أعرّاضهم ، وتهذيب أعرّاضهم ، وأكتمال خلّال الخير فيهم ، الى ملء الأرض مثلهم في جنب عاين المأمون كالنقطة (التفلة) في البحر ، والخرقة في المهمة الفقر .

قيل : وهذا الكلام على ما فيه من حقيقة في بيان سجايا البرامكة والرشيد والمأمون لم ينحتم بالنسفة الحقة ، ومال به سهل الى المصانعة ، وخرجه على نحو مبالغة القُرس ، في الإطراء والملاقى لولى الأمر .

وروى بعض الرواة أن المأمون كان استقل سهل بن هارون ، وقد دخل عليه يوما والناس على مراتبهم ، فتكلم للمأمون بكلام ذهب فيه كلّ مذهب ، فلما فرغ من كلامه أقبل سهل بن هارون على الجمع فقال : ما لكم تسمعون ولا تعنون ، وتساءدون ولا تفقهون ، وتفهمون ولا تتعجبون ، وتتعجبون ولا تشصفون ! والله إنه ليقول ويفعل في اليوم القصير ما فعل بنو مروان في الدهر الطويل ، عربكم كعجمكم ، وعجمكم كعبيدكم ، ولكن كيف يُعرف بالهواء من لا يشمر بالداء . فرجع المأمون فيه الى الرأي الأول ، وعرف أنه الرجل كلّ الرجل ، فقرّبه وأدناه على النحو الذي كان عليه في عهد والده .

ومن كلام له في كتابه تلمذة وعفرة :

”اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مُقَدِّمًا قبل الذي تجودون به من تفضلكم ، فإنّ تقديم النافلة مع الإبطاء في الفريضة شاهد على وهن العقيدة ، وتقصير الرؤية ، ومُضِرٌّ بالتدبير ، ومُخِلٌّ بالاختيار ، وليس في نفع تحمد به عوض من فساد المروءة ، ولزوم النقيصة “ .

وهذا ماخوذ من قوله في يحيى بن جعفر :

صَدُوْهُ نِلَادُ الْمَالِ فِيْهَا يَنْسُوْبُهُ * مَنْوَعٌ اِذَا مَا مَعَهُ كَانَ اَحْزَمًا
مُذَلِّلٌ نَفْسٍ قَدْ اَبَتْ غَيْرَ اَنْ تَرَى * مَكَارِهِ مَا تَأْتِي مِنَ الْعَيْشِ مَفْسَمًا
وكتب الى صديق له ابل من ضعف :

” بلغنى خبر الفترة في المسامها وانحصارها ، والشكاية في حلولها وارتخائها . فكاد يشغل
القلقى بأوله عن السكون لآخره ، وتلعل الحيرة في ابتدائه ، عن المسرة في انتهائه ، وكان
تغيري في الحالين بقدرهما ارتياحاً للأولى ، وارتياحاً للآخرى “ .



وكتب في البخل :

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلح الله أمركم وجمع شملكم وعلمكم الخير وجعلكم من أهله . قال الأحف بن فريس :
يا معشر بني تميم ، لا تُسرِعُوا الى الفتنة فان أسرع الناس الى القتال أقلهم حياء من الفرار .
وقد كانوا يقولون : اذا أردت أن ترى العيوب جمّة فتأمل عيًّا فإنه إنما يعيب الناس
بفضل ما فيه من العيب . ومن أعيب العيب أن يعيب ما ليس بعيب . وقبيح أن تنبئ
مرشدًا وأن تُغري بمُشقيق . وما أردنا بقلد إلا هديتك وتقويمك . وإصلاح فسادك .
وابقاء النعمة عليكم . وما أخطأ سبيل حسن النية فيما بيننا وبينك . وقد أعلمون
أنا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لكم ، ولأقسنا قبلكم . وشهرة به في الآفاق دونكم . ثم نقول
في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ لِي مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ
إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) . فما كان آحقنا
منكم في حرمتنا بكم أن نزعوا حق قصدي ، بذلك اليكم على ما رعيه من واجب حقكم ؛
فلا العُدْرُ الميسوط بلتّم ولا بواجب الحرمة قُتّم . ولو كان ذكرُ عيوب يُردُّ به نفرُ رأيين
في أنفسنا من ذلك شغلا .

عَبْتُمُونِي بِقَوْلِي لِخَادِمِي : أَجِيدِي الْعَجِينَ فَهُوَ أَطْيَبُ لَطْعَمِهِ وَأَزِيدُ فِي رَيْعِهِ .^(١) وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَمْلِكُوا الْعَجِينَ فَإِنَّهُ أَحَدُ الرَّيِّينِ .

وَعَبْتُمُونِي حِينَ خَتَمْتُ عَلَى مَا فِيهِ شَيْءٌ ثَمِينٌ مِنْ فَاكِهَةٍ رَطْبَةٍ يَقْبَسُهُ وَمِنْ رَطْبَةِ غَرِيْبَةٍ عَلَى عَبْدِ نَيْيْمٍ وَسَبَّحَ جَشَّعٌ وَأَمَةً لِكُتْمَاءَ وَزَوْجَةً مُضْبِعَةٍ .^(٢)

وَعَبْتُمُونِي بِأَنْتُمْ وَقَدْ خَتَمَ بَعْضُ الْأَيَّامَةِ عَلَى مِرْزُودٍ سَوِيْقٍ وَطَى كَهْسٍ فَارِغٍ . وَقَالَ : طِبْنَةُ خَيْرٌ مِنْ طَبِيَّةٍ ، فَامْسَكْتُمْ عَنْ خَتَمٍ عَلَى لَأْشَاءٍ وَعَبْتُمْ مِنْ خَتَمٍ عَلَى شَيْءٍ .

وَعَبْتُمُونِي أَنْ قُلْتُ لِلْعَلَامِ : إِذَا زِدْتَ فِي الْمَرْقِ قَرْدٌ فِي الْإِنْفُسَاجِ لِيَجْتَمَعَ مَعَ الْقَادِمِ بِأَلْقَمِ طَيْبِ الْمَرْقِ .

وَعَبْتُمُونِي بِمُخَصَّفِ النَّسْلِ وَبِتَصْدِيرِ الْقَمِيصِ وَحِينَ زَعَمْتُ أَنَّ الْمُخْصُوفَةَ مِنَ النَّعْلِ أَيْنَى وَأَقْوَى وَأَشْبَهَ بِالشَّدِّ وَأَنَّ التَّرْقِيْعَ مِنَ الْحَزْمِ وَالتَّقْرِيطَ مِنَ التَّضْيِيعِ . وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيُرْقِعُ ثَوْبَهُ وَيَقُولُ : لَوْ أَهْدَى إِلَى ذِرَاعٍ لَقَبِلْتُ ، وَلَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ . وَقَالَتِ الْحَكَمَاءُ : لَا جَدِيدَ لِمَنْ لَمْ يَلْبَسِ الْخَلْقَ . وَبَسَتْ زِيَادُ رَجُلًا يَرْتَادُ لَهُ مُحَدَّثًا وَأَشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا فَأَتَاهُ بِهِ مُوَافِقًا فَقَالَ لَهُ : أَكُنْتَ بِهِ ذَا مَعْرِفَةٍ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُهُ فِي يَوْمٍ فَأَنْظَرَ يَلْبَسُ خَلْقًا وَيَلْبَسُ النَّاسُ جَدِيدًا ، فَتَفَرَّسْتُ فِيهِ الْعَقْلَ وَالْأَدَبَ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْخَلْقَ فِي مَوْضِعِهِ مِثْلُ الْجَدِيدِ فِي مَوْضِعِهِ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا وَمِمَّا بِهِ مَوْضِعًا كَمَا جَعَلَ لِكُلِّ زَمَانٍ رَجُلًا وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا . وَقَدْ أَحْيَا اللَّهُ بِالسَّمِّ وَأَمَاتَ بِالْإِدْوَاءِ وَأَفْضَى بِالمَاءِ . وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْإِصْلَاحَ أَحَدُ الْكَاسِبِينَ كَمَا زَعَمُوا أَنَّ قِلَّةَ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينَ . وَقَدْ جَبَرَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ يَدَ عَتَرٍ وَأَمَرَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ

(١) الرِّيعُ : النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ . (٢) إِمْلَاكُ الْعَجِينَ : إِقَامُهُ . (٣) الْكُتْمَاءُ : الْحَقَمَاءُ .

(٤) الْمِرْزُودُ : عَوَاءُ الزَّادِ . وَالسَوِيْقُ : طَعَامٌ يَخْذُ مِنَ الْخَبْثَةِ أَوِ الشَّعِيرِ . (٥) حَصَفَ النَّعْلَ : نَحَرَزَهَا .

(٦) تَصْدِيرُ الْقَمِيصِ : أَنْ يَجْعَلَ لِعَصْدَرِهِ بَطَانَةً .

يُفْرَكُ التَّمَلُّ . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكل بَيْضَةً فقد أكل دَجَاجَةً .
وليس سالم بن عبد الله جِلْدٌ أَصْحِيَّةٌ . وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أهدى إليك
دجاجة . فقال : إن كان لابد فأجعلها بَيُوضًا .

وعبتمونى حين قلت : من لم يعرف مواضع السَّرَفِ فى الموجود الرخيص لم يعرف
مواضع الاقتصاد فى المُنْتَعِ الغالى . ولقد أُتِيَتْ بِمَاءٍ لِلوَضوءِ على مبلغ الكِفَايَةِ وأشدَّ من
الكِفَايَةِ ، فلما صرت الى تفريق أجزائه على الأعضاء والى التوفير عليها من وَضِيعَةِ الْمَاءِ^(١)
وجدتُ فى الأعضاء قُصْلًا عن الماء ، فلمتُ أن لو كنتُ سَلَكْتُ الاقتصادَ فى أوائله
لخرج آخره على كِفَايَةِ أوْلهِ ولكن نصيبُ الأول كنصيب الآخر . فعبتمونى بذلك وشعتم
على ، وقد قال الحسن وذَكَرَ السرف : أما إنه لَيَكُونُ فى الماء والكَلَّا فلم يَرْضَ بذكر
الماء حتى أردفه الكَلَّا .

وعبتمونى أن قلت : لا يَفْتَرِقُ أَحَدُكُمْ بطول عمره وتقويس ظهره وِرْقَةً عَظْمِهِ وَوَهْنُ
قُوَّتِهِ وَأَن يَرى نحوه أَكْثَرُ ذُرِّيَّتِهِ ، فيدعوه ذلك الى إخراج ما له من يده ونحويله الى مِلْكٍ
غيره والى تحكيم السرف فيه وقسليط الشهوات عليه ، فاعله لَيَكُونُ مُعْتَمِرًا وهو لا يدري ،
وممدودًا له فى السِّنِّ وهو لا يَشْعُرُ ، ولعله أن يُرْزَقَ الولد على اليأس ويحدث عنه من آفات
الدهر ما لا يَحْطُرُ على بال ولا يَدْرِكُه عقل : فيسترقه ممن لا يردّه ويُظْهِرُ الشكوى انى من
لا يرحمه أَصْعَبَ ما كان عليه الطلَبُ وأقبح ما كان به أن يَطْلُبَ . فعبتمونى بذلك ،
وقد قال عمرو بن العاص : ” اِعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَمِيشُ أَبَدًا ، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ
مَيِّتٌ فَدَا ”

وعبتمونى بان قلت : فإن السرف والتبذير الى مال المواريث وأموال المثلوك وأن
الحفظ لئال المكتسب والغنى المجتلب وانى من لا يُعَرِّضُ فيه بنهات الدين وأهتضام
لعرض ونَصَبِ البدن واهتمام القلب أسرع ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دَخَنَهُ

ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الأصل . ومن لم يعرف للغنى قدره فقد آوذن بالفقر وطاب نفساً بالذل .

وعبتموني بأن قلت : إن كسب الحلال يضمن الإثفاق في الحلال . وإن الخبيث يتّرع إلى الخبيث ، وإن الطيّب يدعو إلى الطيّب ، وإن الإثفاق في المولى يحجب دون الهدى ، فعبتم على هذا القول ، وقد قال معاوية : لم أرتبذيراً قط إلا وإلى جنبه حقّ مضيق . وقد قال الحسن : إن أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا فيما إذا يتفق فإن الخبيث إنما يتفق في السرف . وقلت لكم بالشفقة عليكم وحسن النظر منى لكم وأنتم في دار الآفات ، والجوائح غير مأمونات : فإن أحاطت بآل أحدكم آفة لم يرجع إلا إلى نفسه . فاحذروا النعم باختلاف الأمكنة فإن البلية لا تجرى في الجميع إلا بموت الجميع .

وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في العبد والأمة والشاة والبعير : قوّقوا بين المنايا . وقال ابن سيرين لبعض البحريين : كيف تصمتون بأموالكم ؟ قالوا : نفزقها في السفن فإن عطلب بعض سيم بعض . ولولا أن السلامة أكثر ماحلنا أموالنا في البحر . قال ابن سيرين : " نخسبها ترقاء وهى صنّاع " .

وعبتموني بأن قلت لكم عند إشتاق طيكم : إن للغنى كسراً وللال لتروة فمن لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال لخوف الفقر فقد أهمله .

فعبتموني بذلك وقد قال زيد بن جبلة : ليس أحد أقصر عقلاً من غنى أمين الفقير ، وسكر الغنى أكثر من سكر الخمر . وقد قال الشاعر في يحيى بن خالد بن برمك :
وهوبُ تلاد المال فيما يتوبه * متنوع إذا ما متعه كان أحزنا

وعبتموني حين زعمتم أني أقدم المال على العلم ، لأن المال به يُقاد العلم وبه تقوم النفس ، قبل أن تعرف فضل العلم ، فهو أصل والأصل أحق بالفضل من الفرع ، فقلت :

كيف هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟ قال : العلماء . قيل له : فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال وجهل الأغنياء بحق العلم . قلت : حالهما هي القاضية بينهما . وكيف يستوى شيء حاجة العامة اليه وشيء يفتنى فيه بعضهم عن بعض .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء بالتخادع والفقراء بالتخادع التجاج . وقال أبو بكر رضى الله عنه : إني لأبغض أهل بيت يُنفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لولده : إذا بسط الله لك الرزق فأبسطه وإذا قبض فاقبض .

وعبتموني حين قلت : فضل الفنى على القوت إنما هو كفضل الالة تكون في البهت إذا أحييت اليها استعملت وإن استغنى عنها كانت عُدَّة . وقد قال الحصين بن المنذر : وِدِدْتُ أَنْ لِي مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا لَا أَنْتَعِ مِنْهُ شَيْءٌ . قيل له : فما كنتَ تَصْنَعُ بِهِ ؟ قال : لكثرة من كان يَحْتُمِنِي عَلَيْهِ لِأَنِّ الْمَالَ غَدُومٌ . وقد قال بعض الحكماء : عليك بطلب الفنى فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك وفل في قلب عدوك لكن الحظ فيه جسيما والنفع فيه عظيما .

ولسنا ندع سيرة الأنبياء وتعليم الخلفاء وتأديب الحكماء لأصحاب آلهو ؛ ونستمع عن تردون ولا رأي تفتنون ، تقدموا النظر قبل العزم وتذكروا ما لكم قبل أن تذكروا ما لكم . والسلام عليكم .

وسئل هو القائل :

تَحَسَّنِي هَإِنِ قَدْ كَسَفَا بَايَ . - وَقَدْ تَرَكَا قَلْبِي حَسَنَةً يَبَيَّ
هَإِ أَذْرِيَا دَمَعِي وَلَمْ تُذَرِ عَيْنِي . - رَهِينَةً خَذْتُ ذَاتُ حِمِيْظٍ وَخَنَعَانِ
وَلَا قَهْوَةَ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى النَّفْسِ . - عَنِ أَنْ تُحَاكِى النَّوَارَ رِ رَأْسِ ذَيْنِ

تَحَلَّلْ مِنْهَا جُرْمُهَا وَتَمَاسَكَتْ * لَهَا نَفْسٌ مَعْدُومٌ عَلَى الزَّمَنِ الْخَالِ
 وَلَكِنَّا أَبْيَى بَعِيْبَ سَخِيَّةٍ * عَلَى حَدِيثِ تَبَيَّنَ لَهُ عَيْنُ امْثَالِ
 فِرَاقُ خَلِيلٍ لَا يَقُومُ بِهِ الْأَتَى * وَخَلَّةٌ حُرٌّ لَا يَقُومُ بِهَا مَالِ
 فَوَاحِشْرَقِي حَتَّى مَتَى الْقَلْبُ مُوجِعٌ * لِنَقْرِ خَلِيلٍ أَوْ تَعْدُرُ إِفْضَالِ
 وَمَا الْفَضْلُ إِلَّا أَنْ تَجُودَ بِنَائِلِ * وَإِلَّا لِقَاءَ الْخَلِّ ذِي الْخُلُقِ الْعَالِي
 وَهُوَ الْقَائِلُ :

إِذَا أَمْرٌ ضَاقَ عَنِّي لَمْ يَضِقْ خُلُقِي * مَنْ أَنْ يَرَانِي غَنِيًّا عَنْهُ بِالْيَاسِ
 لَا أَطْلُبُ الْمَالَ كِي أَغْنَى بِفَضْلِيهِ * مَا كَانَ مَطْلَبُهُ فَقْرًا مِنَ النَّاسِ

(ز) عمرو بن مسعدة

كان كاتباً بليغاً، جرحَ العبارة وجيزها، سديد المقاصد، فضله شائع، وبه ذائع،
أشهر من أن يُنبه عليه، أو يُدَلَّ بالوصف إليه، قد وُيِّدَ للأمون الأعمال الجليّة، وألحق
بنيوي المراتب النبيلة، وسمّاه بعض الشعراء وزيراً لعظم منزله لا لأنه كان وزيراً، وهو قوله:
لقد أسعد الله الوزير بن مسعدة * وبث له في الناس شكرًا ومحمد

(١) هو عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول بن صول (بضم الصاد) كان رجلاً تركياً وكان ملك
وأخوه فريد على جرجان وبجانب المدينة وقبيلته بالقرن.

بدأ عمرو بن مسعدة في خدمة الدولة عاملاً من المال فظهرت كفايته وبلاغته، وبالإضافة توصّل إلى الخليفة
فقد أحد أفراد للائل في رجاله، قال أحمد بن يوسف الكاتب: دخلت يوماً على المأمون وبسده كتاب يأمور
قرايته فآراءه أخرى، ويصدق فيه ويصوّب، طامرت على ذلك مدة من زمانه التفت لي وقال: يا أحمد، رأيت
مفكرًا فما تراه مني، قلت: نعم، قال: إن في هذا الكتاب كلاماً ظهروا سمعت الرشيد يقول في ثلاثة، زعم
أن البلاغة إنما هي التباين عن الاطالة، والتعقّب من معنى البنية، والدلالة بالقليل من العظم، على الكثير من
المعنى، وما كنت أقوم أن أحداً يقدر على ذلك. وقال: هذا كتاب عمرو بن مسعدة اليك، هكذا دأبنا به:
«تكلّم إلى أمير المؤمنين، ومن قبل من قواده، وروّاه، أجهاده، في الاضهاد والظلمة، على حسن ما يكون طاعة
جند تأملت أذنهم، واتهاد كفاة تراخت أعطيتهم». حدثت بذلك خواهر. واللائل منه أموره. «...»
قرايته قال: إن استصافى إليك بعض أن أمرت بخلد قلبه بأعطيت له لحة شهب. و... على عهده نكتب ما يستحقه
من حل محله في صناعته. وفي رواية أن المأمون أمر لعمرو بن مسعدة بوزن ثمانية أمتار و... لآدم بن يوسف.
فهو در عمرو ما أبلغه! ألا ترى إلى إدمانه الخسالة في الأحبار، وإصعاقه سطوته من الأختار.

وكان عمرو بن مسعدة وكنيته أبو الفضل أبيص، أحر نوحه، وكان المأمون يسميه الروي نبيض وجهه وكان
يغضب وتوفي بأذنة سنة سبع عشرة ومائين. ولم تصرف منشأه ومولده وأساتيده وقاية، عرفه، أنه كان أحد
أخوة أربعة أحسن أروم — وكان كاتباً أيضاً — تربيتهم كل الإحسان حتى جاءت من أحدهم هذه الدلالة
النادرة التي كان من أثرها أن أصبح عشير المأمون، وكان هو الموعود ثابت من يحيى يكنى بن يديده ويضرب
منه ويمازجانه. ولكن يصل الرجل إلى هذا المقام مع مثل هذه الخليفة العظمى في كل شؤون يجب أن يصور من
صفات طالعة من مثلها في الأكرام والأتراب.

قال عمرو بن مسعدة: كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي رقعاً فيه عنه له ورقة يستريح به في رواقه
فمرى بها إلى وقال: أجب عنها فكنت: «قليل دائم خير من كثير منقطع» فصر به من ضهري وذا...

فهو كما كتب الحسن بن سهل إلى محمد بن سيماعة القاضي وقد احتج إلى رجل يوثقه بعض الأعمال فقال: إنه يريد رجلا جامعا لخصال الخير، ذا عفة وتزاهدة طيبة؛ قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب، ليس بظنين في رأيه، ولا بملطون في حسبه إن أوتمن على الأسرار قام بها. وإن قلد مهما من الأمور أجزأ فيه، له سن مع أدب ولسان، تُعقده الرئانة، ويسكته الحلم، قد فُرعن ذكاه وفطنة، وعص على قارحة من الكمال، تكفيه الخلفة، وتُرشد السكة، قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها، وقام في أمور عُمد فيها، له أناة الوزراء، وصولة الأمراء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، وجواب الحكماء، لا يبيع نصيب يومه بجرمان فله، يكاد يسترق قلوب الرجال بملأوة لسانه، وحسن بيانه، دلائل الفضل عليه لاعة، وأمارات العلم له شاهدة، مضطلعا بما استهض، مستقلا بما حمل.

أي وزير في جلدك. وقد شهد عمرو بن مسعدة بالبلاغة أحيان أحيان في صوره ومنهم الفضل بن سهل فقال فيه: إنه أبلغ الناس، ومن بلاغته أن كل أحد إذا سمع كلامه ظن أنه يكتب منه فاذا رآه بعد طيه. وهذا كما قيل لأحد العلماء: ما حد البلاغة؟ قال: التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يقدر على مثلها، فاذا رآها استعصبت عليه.

ولم يؤثر عن عمرو أنه ألف في موضوع خاص وأفرد مسألة في التأليف، وعده ابن النديم في الثمراء الكتاب ولم يذكر إلا أن له وأخيه مجاشع خمسين ورقة من الشروعي من الضائع أيضا. والغالاب أن مهام النولة لم تترك له وقتا يصره في درس خاص، أو وضع كتاب أو رسالة: وما تقتطه البلاء والأداء من كلامه، فهو مما صدره بالمناسبات، ورواه له المعجبون به، وما أعظم المفقود منه. والمثلثون أن لو كانت جمعت له رسائله على إيجازها لكان منها ديوان كبير، لأن من صرف أحواما طويلة وهو قابض على يراحتة يخالجها الموضوعات السياسية والإدارية في ذلك المجمع العظيم لا شك أنه تجتمع له صفحات كثيرة مهما كان مقلا معروفًا بالإيجاز. ٨١٠ من محاضرة لامتاز الباحث محمد كرد علي نشرها بمجلة المجمع العلمي العربي. وفي عمرو بن مسعدة قال محمد الينقي وقد احتل:

قالوا أبو الفضل مثل قلقت لم * قصي القدا له من كل محذور

يا ليت طه بي غير أنت له * أبو الطليل ولاني غير ما جور

وتجيد ترجمته في معجم الأدباء: لياقوت (ج ٦ ص ٨٨) وابن خلكان (ج ١ ص ٥٥٥) والوافي بالوفيات الصفدي (ج ٥ ص ٥٠٢) قسم ثالث من الأصل المتوفر في المخطوط بدار الكتب المصرية).

(١) في الأساس: ومن الجياز ثلاث طب الطمة وعييت الطمة (بالكسر) وهي الجهة التي منها يرتق (بروزن الحرية). (٢) أجزأ كذا: كفاني. (٣) قرع ذكاه، وظنة، أي جرب واعتبر فيها. (٤) وعص على قارحة، كتابة من لوجه دوية الكمال.

ومن كلام عمرو بن مسعدة :

أعظم الناس أجراً، وأنبهم ذكراً، مَنْ لم يَرْضَ بموت العدل في دولته ، وظهور الحق في سلطانه ، وإيصال المنافع الى رعيته في حياته ، وأسعد الرعاة مَنْ دامت سعادته الحق في أيامه ، وبعد وفاته وانقراضه .

وقال : انلخط صور الكتيب رَدَّ اليها أرواحها .

وقال : انلخط صورة ضئيلة لها معانٍ جليلة ، وربما ضاق عن العيون ، وقد ملا أخطار الفنون .

وقال : لا تستصحب مَنْ يكون استغناؤه بمالك وجهك ، أكثر من إمتاعه لك بشكر لسانه وفوائده عليه ، وَمَنْ كانت غايته الاحتياال على مالك وإطرامك في وجهك ، فإن هذا لا يكون إلا ردىء الغيب ، سريعاً الى الندم .

وكتب الى الحسن بن سهل :

أما بعد ، فإنك مَنْ اذا غَرَسَ سقى ، واذا أَسَسَ بقى ، ليستمَّ تشييد أسسه ، ويعتني ثمار غرسه ، وثناؤك عندي قد شارف الدروس ، وغرسك مُشِف على اليوس . فدارك بناء ما أسست ، وسقى ما غرست إن شاء الله .

وكتب الى بعض أصحابه في شخص يعز عليه :

أما بعد ، فوصل كتابي اليك سالم والسلام . أراد قول الشاعر :

يُديروني عن سالم وأدبرهم - وجِلْدَةُ بين العين والأنف سالم

أى يحل منى هذا المحل .

وكتب الى المأمون في رجل من بني ضبة يستشف له بالزيادة في منزله وجعل كتابه تعريضا :

أما بعد ، فقد استشف بى فلان يا أمير المؤمنين لتصونات على - في إلحاقه بخطره من الخاصة فيما يرتقون به ، وأعلنته أن أمير مؤمنين له يعانى في مراتب المستنعمين - وفى ابتدائه بذلك تعنى طاعته والسلام .

فكتب اليه المأمون : "قد عرفنا توطئتَكَ له ، وتريضَكَ لنفسك ، وأجبتَكَ اليهما ، وواقفناكَ عليهما" . وقوله : "إن أمير المؤمنين لم يحلني في مراتب المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك تعدى طاعته" : من الكلام السري الذي يدل على مبلغ أدب عمرو وبعيد غوره في السياسة ووقوفه على رُوح عصره ونفسية الخلفاء .

قَدِمَ رجل من أبناء دَهَاقين قريش^(١) . على المأمون لِعِدَّة سلفت منه ، فقال على الرجل انتظارُ خروج أمر المأمون ، فقال لعمرو بن مسعدة : تَوَصَّلْ مِنِّي رُقْعَةً إلى أمير المؤمنين تكون أنت الذي تكتبها تكن لك على نعمتان . فكتب : "إن رأى أمير المؤمنين أن يَفُكَّ أَمْرَ عبيده من رِبْقَةِ المَظْل بقضاء حاجته ، أو يَأْذَنَ له بالانصراف الى بلده فعل إن شاء الله" .

فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمرا بفعل يَسْجَب من حسن لفظها ، ولِيُجَاوِزَ المراد . فقال عمرو : فما نَتِجْتُهَا يا أمير المؤمنين ؟ قال : الكتاب له في هذا الوقت بما وعدناه ، لئلا يتأثر فضلُ استحساننا كلامه ، ويحاذرة مائة ألف درهم ، حِسْلَةً عن دناءة المَظْل . وسَمَاجِيَةِ الإغضال .

وهذا مما يدل على سعة عقل المأمون وولوعه بالبلاغة وقدره أهلها حق قدرهم ، دَع ما هنالك من نفس ما أحبتْ إلا الجودَ والعطاء .

ومن حِكْمِ عمرو بن مسعدة :

العبودية عبوديةُ الإخاء . لا عبوديةُ الرِّق . الودَّ أعطف من الرِّحم . إن الكريمَ لَيَرعى من المعرفة ما رعى الوَصْل من القرابة . عليكم بالإخوان فإنهم زينةُ في الرخاء ، وُعْدَةٌ للبلاء . مثلُ الإخوان مثلُ النار . قليلها متاعٌ ، وكثيرها بؤار . النفس بالصدق ، آسُ منها بالعشيق ، وغَزْلُ المودة ، أرقُّ من غَزْلِ الصبابة . من حقوق المودة ، عفوُ الإخوان ، والإغضَاء عن قصصهم إن كان . ذكر رجل رجلا فقال : حسبك أنه خَلَقَ كما تستهى إخوانه . المودةُ قرابةٌ

(١) الدهاقين : الرعاء أبواب الأملانك بالسواد ، وأحدهم دهقان (بكر الله ال مال مريب) .

مستفادة . ما توأصل اثنان فندام توأصلهما ، الا لفضلهما أو فضل أحدهما . أسرع الأشياء
 انقطاعا مودة الأشرار . المحروم من حريم صالحى الإخوان . لقاء الخليل يشفاء الغليل .
 قلة الزيارة ، أمان من الملالة . إخوان السوء كشجر النار يحرق بعضه بعضا . علامة الصديق
 اذا أراد القطيعة أن يؤخر الجواب ، ولا يندى بالكتاب . لا يفسدك الظن على صديق
 قد أصلحك اليقين له . من لم يقدم الامتحان قبل الثقة ، والحقبة قبل الأمن ، أثمرت مودته
 ندما . اذا قدمت الحُرمة ، تشبهت بالقرابة . العتاب حياة المودة . ظاهر العتاب خير من
 باطن الحقد . ما أكثر من يُعاتب لطلب علة ، ويبقى الود ما بقى العتاب . تكون الحقد
 فى الفؤاد ككُيون النار فى الزناد . القريب بعيد بعداوته . والبعيد قريب بمودته . لا تأمن
 عدوك وإن كان مقهورا ، واحذرهُ وإن كان مفقودا ، فإن حد السيف فيموت وإن كان مفقودا
 لا تنمض لعدوك فى دولته ، فإنها اذا زالت كفتك مؤونته . نصيح الصديق تأديب ، ونصح
 العدو تأنيب .

روى البيهقي قال : أخبرنا بعض أصحابنا قال : شهدت المأمون يوما وقد خرج من
 باب البستان ببغداد فصاح به رجل بصري : يا أمير المؤمنين إني تزوجت بأمرأة من
 آل زياد وإن أبا الرازي فرق بيننا وقال : هي امرأة من قريش ؟ قال : فأمر عمرو بن
 مسعدة فكتب الى أبي الرازي :

إنه قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من الزيادة وخلفك إيها إذ كانت من قريش . فنى
 تحاكت اليك العرب ؟ لا أم لك فى أنسابها ، ومتى وكلتك قريش يا ابن الحناء بأن تُصيق
 بها من لبس منها ؟ خلف بين الرجل وامراته ، ففى كان زياد من قريش ، إنه لكان تسمية
 بنى عاهرة ، لا يقتحروا بقرابتها ولا يتطاول بولادتها . وثنى كان ابن عبيد ، لقد بدأ بأمر
 عظيم ، إذ أذعى الى غير أبيه ، لحظ تتجلاه ، ومُلك قهره .

وأمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب لرجل به عية أن بعض النمل فى قضاء
 حقه ، وأن يتنصر كتابه ما أمكنه ، حتى يكون ما يكتب به فى سطر واحد لازية عليه .
 فكتب عمرو :

كتابك إليك كتاب واثمي بمن كتبت إليه ، معنى بمن كتبت له ، ولن يضع بين الثقة والعناية حامله .

وكتب الى بعض الرؤساء ، وقد تزوجت أمه فساء ذلك ، فلما قرأها ذلك الرئيس تسلى بها ، وذهب عنه ما كان يحميه . وقيل : إن هذه الرسالة من إنشاء ابن العميد وهي :

الحمد لله الذي كشف عنا ستر الحيرة ، وهدانا لستر العورة . وجدع بما شرع من الحلال أنف الغيرة ، ومنع من عضل الأهيات ، كما منع من وأد البنات ، استنزالا للنفوس الأبية . عن الحمية حمية الجاهلية ، ثم عرض لجزيل الأجر ، من استسلم لواقع قضائه ، وعوض جليل الذر من صبر على نازل بلائه ، وهناك الذي شرح للتقوى صدرك ، ووسع في البسوى صبرك ، وأهلك من التسليم لمشيئته ، والرضا بقضيته ، ما وثقك له من قضاء الواجب في أحد أبويك ، ومن عظم حقه عليك ، وجعل الله تعالى جثمه ما تجزعه من أنف ، وكظلمته من أسف ، معدودا فيما يُعظم به أجرك ، ويحزل عليه ذنورك ، وقرن بال حاضر من امتاضك بفعلها ، المنتظر من ارتماضك بدفنها ، فتستوفي بها المصيبة ، وتستكمل عنها المثوبة ، فوصل الله لسيدى ما استشعره من الصبر على عُرُسها ، بما يكتسبه من الصبر على نفسها ، وعوضه من أسيرة فورتها ، أحواد نعشها ، وجعل تعالى جثمه ما ينعم به عليه بعدها من نعمة ، معروى من نعمة ، وما يوليه بعد قبضها من منحة ، مبرا من محنة ، فأحكام الله تعالى جثمه ، وتقدس أسماؤه جارية على غير مُراد المخلوقين ، لكنه تعالى يختار لعباده المؤمنين ما هو خير لهم في العاجلة ، وأبقى لهم في الآجلة ، اختار الله لك في قبضها إليه ، وقُدومها عليه ، ما هو أنفع لها ، وأولى بها ، وجعل القبر ، كقود لها والسلام .

وقال عبد العزيز بن يحيى المكي الذي ناظر بشر بن غياث الميربسي بمصرة أمير المؤمنين في مسألة خلق القرآن :

جاءني خليفة عمرو بن مسعدة ومعه جمع من الفرسان والرجال لعماني مكرما على دابته حة ، صار الى باب أمير المؤمنين فأوقفني حتى جاء عمرو بن مسعدة فدخل بفلس في مجرته

التي كان يجلس فيها ثم أخذ لي بالدخول عليه فدخلت فلما صيرت بين يديه أجلسني ثم قال لي : أنت مقيم على ما كنت عليه أو قد رجعت عنه ؟ فقلت : بل مقيم على ما كنت وقد ازدددت بتوفيق الله تعالى إياي بصيرة في أمري ، فقال لي عمرو بن مسعدة : أيها الرجل ، قد حملت نفسك على أمر عظيم ، وبلغت الغاية في مكروهاها . وتعرضت لما لا يقوام لك به في مخالفة أمير المؤمنين ، وأدعيت بما لا يثبت لك به حجة على مخالفتك ، ولا لأحد غيرك . وليس ورايك بعد الحجة عليك إلا السيوف ، فانظر لنفسك وبادر أمرك ، قبل أن تقع المناظرة وتظهر عليك الحجة ، فلا تنفعك الندامة ولا يقبل منك معذرة ولا يقال لك عثرة ، فقد رحمتك وأشفقت عليك مما هو نازل بك ، وأنا أستقبل لك أمير المؤمنين وأساله النصيحة عن جرمك ، وعظيم ما كان منك إذا أظهرت الرجوع عنه والندم على ما كان ، وتأخذ لك الأمان منه والجائزة ، فإن كانت لك ظلامة أزلتها عنك وإن كانت لك حاجة قضيتها لك ، فانما جلست رحمة لك مما هو نازل بك بعد ساعة إن أفتت على ما أنت عليه ورجوت أن يخلصك الله تعالى على يدي من عظيم ما أوقعت نفسك فيه .

شعره :

نقلنا أمثلة قليلة من شعر عمرو بن مسعدة ، أما شعره فقيل جدا . ذكر المترجمون له أنه كان له فارس أدهم أغر . لم يكن لاحد مثله قراة وحسا . فمع المدهون خبره . ونح عمرو ابن مسعدة ذلك . تخاف أن يامر بقوده اليه فلا يكون له فيه تحمده . فوجه به اليه هدية وكتب معه :

يا إماما لا يُدَا نيه إذا عُدَّ إمام
فَضَلَ النَّاسَ كَمَا يَفْ ضَلَ نَقَصَانَهُ تَمَام
قَدْ بَعَثَ بِجَوَادٍ مِثْلَهُ لَيْسَ بِرَأ
فَرَسٌ يُزْهِى بِهِ لَد حُسْنُ سَرَجٍ وَجَاه
دُونَهُ انْفِيسٌ كَمَا مِث لَكَ فِي الْفَضْلِ الْأَمَام

وَجْهَهُ صُبْحٌ وَلَكِنْ : سائر الجِسم ظِلَامٌ
والَّذِي يَصْلُحُ لَلْو . نَى عَلَى الْعَبْدِ حَرَامٌ

وعمر هو القائل :

وَمُسْتَعِيبٌ لِلْهَجْرِ وَالْوَصْلِ أَغْذَبُ . أَكَاثِمُهُ حُسْبَى قَيْنَاى
إِذَا جَدْتُ نِى بِالرَّضَا جَادَ بِالْخَفَا . وَيَزُحُّمُ أَيْ مُذْنِبٌ وَهُوَ أَذْنِبُ
تَعَلَّمْتُ أَلْوَانَ الرِّضَا خَوْفَ هَجْرِهِ . وَعَلِمَهُ حُسْبَى لَهُ كَيْفَ يَفْضُبُ
وَلِى غَيْرُ وَجْهِ قَدْ صَرَفْتُ طَرِيقَهُ . وَلَكِنْ بَلَ قَلْبِ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ

وَوَقَعَ مَرَّةً فِي ظَهْرِ رُقْعَةٍ لِرَجُلٍ :

أَعِزُّزٌ عَلَى بَاسِى أَنْتَ طَالِبٌ . لَمْ يُمَكِّنِ التُّجْعُ فِيهِ وَأَهْضَى أَمْدَهُ

ولعمرو بن مسعدة حكايات منها ما حكاها القاضي التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة :
قال عمرو بن مسعدة : كنت مع المامون عند قدومه من بلاد الروم حتى اذا نزلت الرقعة
قال : يا عمرو، ما ترى الرجحي قد احتوى على الأهواز، وهي سلة الخبز وجميع المال قبله
وطمع فيها . وكنته متصلة بمجملها، وهو يتعلل ويتبرص بى الدوائر؟ فقلت : أنا أكنى
أمير المؤمنين هذا، وأنفذ من يضطره الى حمل ما عليه، فقال : ما يقضى هذا، فقلت :
فيا امر أمير المؤمنين بأمره، فقال : فانرج اليه بنفسك حتى تصفده بالحديد، فتصمله الى
بغداد وتقبض على جميع ما فى يده من أموالنا، وتنظر فى أعمالنا وترتب لها عمالاً، فقلت :
السمع والطاعة، فلما كان فى غد دخلت عليه فقال : ما فعلت فى أمرتك به ؟ قلت :
أنا على ذلك، قال : أتريد أن تجيء فى غد مؤدماً؟ قلت : السمع والطاعة، فلما كان
فى غد جئته مؤدماً، فقال : أريد أن تحلف لى أنك لا تهيم ببغداد إلا يوماً واحداً،
فاضطربت من ذلك الى أن حضنى وأستحلفنى ألا أقيم فيها أكثر من ثلاثة أيام، فخرجت

حتى قدمت بغداد . فلم أقيم بها إلا ثلاثة أيام وأحدثت في زلالي أريد البصرة وجعل لي في الزلالي خيش واستكرت من الثلج لشدة الحر .

فلما صرت بين بجران وجبل سمعت صوتا من الشاطئ يصيح : يا ملاح ، قرصت خفيف الزلالي وإذا بشيخ كبير السن جالس حابر الرأس حافي القدمين خلق القميص . قلت للغلام : أجبه ، فأجابه ، قال : يا غلام . أنا شيخ كبير السن على هذه الصورة التي ترى ، وقد أحرقتني الشمس وكادت لتلغني . وأريد جبل ، فأحملوني معك فإن الله يحسن أجر صاحبكم ، قال : فنتممه الملاح وأشهره . فأدركني رقة عليه وقلت : خذوه معنا ، فتقدمنا الشط وصحنا به وحملناه ، فلما صار معنا في الزلالي وأحدثنا نتقدم فدفعت اليه قبضا ويمد يدا وغسل وجهه واستراح وكأنه كان ميتا وعاد إلى الدنيا فحضر وقت الغداء وتقدمت وقلت للغلام : هات يا كل معنا ، بغاء وقعد على الطعام . فأكل أكل أديب نضيف خير أن الجوع أثر فيه ، فلما رُفعت المائدة أردت أن يقوم ويقبل يده ناحية كما يفعل العامة في مجالس الخاصة فلم يفعل . فسلت يدي وتذممت أن آمر بقيامه . فقات : قدموا له الطشت فسل يده ، وأردت بعدها أن يقوم لأنام فلم يفعل . قلت : يا شيخ . أي شيء صناعتك ؟ قال : حائك أصلحك الله . فقلت في نفسي : هذه أخياكة علمته سوء الأدب . فتناومت عليه ومددت رجلي فقال : قد رأتني عن صناعتي وأنت أعزك الله ما صناعتك ؟ فأكبرت ذلك وقلت : أنا جئت على نسي هذه الحنية ولا بد من حنينا ، ثمه لأحق لا يرى زلالي وفلساني ونعمتي وث مثلي لا يقا له هذا ، فقت : كاتب . فقال : كاتب كامل أم كاتب ناقص فإن الكتاب خمسة . فتيه أنت ؟ فورد على قول الخائف موردا عظيما وسمعت كلاما أكبره وكنت متكاخفت . ثم قلت : فصل الخمسة قال :

نعم . كاتب تراجيح يحتاج أن يكون عايفا بالشروض والطسوت وخسب والمساحة والبهوق والفتشوق والرتوق . وكاتب أحكام يحتاج أن يكون عايفا بالحلال والحرام

والاحتجاج والإجماع والأصول والفروع . وكاتبٌ مَعُونَةٌ يحتاج أن يكون عالماً بالقصاص والحدود والجراحات والمواثبات والسياسات . وكاتبٌ جَهْشٌ يحتاج أن يكون عالماً بمحلِّ الرجال وشيآت الدوابِّ ومُدَاراةِ الأولياء وشيئا من العلم بالنسب والحساب . وكاتبٌ رسائل يحتاج أن يكون عالماً بالصدور والفصول والإطالة والإيجاز وحُسن البلاغة والخط، قال : فقلت : إني كاتبٌ رسائل، قال : فأسألك عن بعضها، قلت : قل، فقال لي :

أصلحك الله، لو أنَّ رجلا من إخوانك تزوج أُمك فأردت أن تكتبه مهتتا فكيف كنتَ تكتبه ؟ فكثرتُ في الحال فلم يخطر ببالي شيء، فقلتُ : ما أرى للتهتة وجهًا، قال : فكيف تكتب إليه تعزيه فكثرت فلم يخطر ببالي شيء، فقلت : اعفني، قال : قد فعلت، ولكك لست بکاتبِ رسائل، قلت : أنا كاتبٌ نَراج، قال : لا بأس، لو أنَّ أمير المؤمنين ولَاك ناحية وأمرک فيها بالعدل والإنصاف وتقضى حاجة السلطان فيتظلم اليك بعضهم من مسأحيك وأحضرتهم للنظر بينهم وبين رجبك، خلف المسأح بالله العظيم لقد أنصفوا وما ظلموا، وحلفت الرعية بالله إنهم لقد جاروا وظلموا، وقالت الرعية : قف معنا على ما مسَّحوه وأنظر من الصادق من الكاذب . ففرجت لتقف عليه ، فوقفوا على براح شكِّه قاتل قتا، كيف كنتَ تمسحه ؟ قلت : كنت أخذ طولہ على أنعراجہ وعرضه ثم أضربه في مثله ، قال : إنَّ شكل قاتل قتا أن يكون زاويته محدودتين وفي تحديده تقويس ، قلت : فأخذ الوَسَطَ فأضربه في العَرَضِ ، قال : إذا يتثنى طيك العمود، فأسكتني ، فقلت : ولستُ كاتبٌ نَراج، قال : فإذا ما أنت ؟ قلت : أنا كاتبٌ قاضٍ ، قال : أرايتَ لو أنَّ رجلا توفى وخلف امرأين حاملتين إحداها حُرَّةً والأخرى سَيرِيَّةً ، فولدت السرية غلاما والحرة جارية، فسَدَّتْ الحرة الى ولد السرية فأخذته ، وتركَّتْ بلده الجارية فاختصما في ذلك، فكيف الحُكْمُ بينهما ؟ قلتُ : لا أدري، قال : فلست بکاتبِ قاضٍ، قلتُ : فانا كاتبٌ جيش، فقال : لا بأس ، أرايتَ لو أنَّ رجلين جاءا اليك لُحْطِيَّهما وكلَّ واحد منهما أسمه وأسم أبيه كاسم الآخر إلا أنَّ أحدهما مشقوق الشفة العليا، والآخر مشقوق

الشفة السفلى؟ كيف كنت تحلبهما، قال : قلت : فلان الأملح وعلان الأظم، قال : إن رزقهما مختلفان وكل واحد منهما يحيى في دعوة الآخر. قلت : لا أدري. قال : فلست بكتاب جيش، قلت : أنا كاتب مَعُونَة. قال : لا تسأل. لو أن رجلين رُفعا إليك قد فُجَّ أحدهما الآخر شجرة موضحة^(١)، وشج الآخر شجرة مأمونة، كيف كنت تحصل بينهما؟ قلت : لا أدري، قال : لست إذا كاتب مَعُونَة، اطلب لنفسك أيها الرجل شقلا غير هذا. قال : فصغرت إلى نفسي وغاظني، فقلت : قد سألت عن هذه الأمور ويعوز ألا يكون عندك جوابها كما لم يكن عندي، فإن كنت عالما بالجواب فقل. فقال :

نعم، أما الذي تزوج أمك فتكتب إليه : أما بعد. فإن الأمور تجري من عند الله بغير محبة عباده ولا اختيارهم. بل هو تعالى يختار لهم ما أحب، وقد بلغني تزويج الوالدة خا الله لك في قبضها. وإن القبور أكرم الأزواج وأستر الميوب والسلام.

وأما براح قاتل قنا فتمسح العمود حتى إذا صار علدا في يدك ضربته في مثله ومثله ثلثه فما خرج فهو المساحة.

وأما الجارية والغلام فيوزن تين الاثنين. فأيهما كان أخف فالجارية له.

وأما الجنديان المتفقان المسمين. فإن كان الشق في الشفة العليا قيل فلان الأظم. وإذا كان في الشفة السفلى قنت فلان الأفلح.

وأما صاحب الشجتين فصاحب الموضحة ثنت الدية. وصاحب المأمونة نصف الدية، فلما أجاب بهذه المسائل تعجبت منه وامتحنته بأشياء كثيرة غيرها فوجدته ههنا في جميعها حاذقا بليغا. فقلت : ألسنت زعمت أنك حاث. فقال : أنا أصلحك الله حاث كلام ولست بمالك قساجه. وأنشأ يقول :

مَا مَرَّ بِؤُسٍّ وَلَا نَسِيمٍ . وَلَا وَفٍّ مِمَّا يَصِيبُ

فَذَقْتُ حُلُولًا وَذَقْتُ مَرًّا . كَذَلِكَ عَيْشٌ تَلْقَى ضَرْبُ

نَوَائِبِ الدَّهْرِ تُدْبِقُ . وَتَمَّا يُوعَظُ الْأَدِيبُ

(١) الموضحة : الشجة التي تسمى وضع نعاه.

عصر المأمون

قلت : فما الذي بك من الحال ؟ قال : أنا رجلٌ كاتبٌ دامت عُطْلتي ، وكثُرَتْ عَيْنتي ، وتواصلتِ مَحَنِي ، وقلَّتْ حِيلتي ، نَفَرَجْتُ أَطْلَبُ تَصَرُّفاً يَقْطِيعُ عَلَى الطَّرِيقِ فَصَرْتُ كَمَا تَرَى . فَنَشِيتُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَمَّا لَاحَ لِيَ الزَّوَالَى اسْتَفْتَيْتُ بِكَ ، قُلْتُ : فَإِنِّي قَدْ نَزِجْتُ إِلَى مُتَصَرِّفٍ جَلِيلٍ أُخْتِاجُ فِيهِ إِلَى جَمَاعَةٍ مِثْلِكَ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِخُلْعَةٍ حَسَنَةٍ تَصْلُحُ لِمِثْلِكَ وَنَحْمِسَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ تُصْلِحُ بِهَا أَمْرَكَ . وَتُنْفِذُ مِنْهَا إِلَى عِيَالِكَ ، وَتُقَوِّى نَفْسَكَ بِبَاقِيهَا ، وَتَصْبِرُ مَعِيَ إِلَى عَمَلِي فَأُولَئِكَ أَجَلُهُ ، فَقَالَ : أَحْسَنَ اللَّهُ جِرَامَكَ إِذَا تَجَدَّدُنِي بِمِثِّ أُسْرِكَ ، وَلَا أَقُومُ مَقَامَ مُعْذَرِ الْبَيْتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأَمَرْتُ بِتَقْيِيزِهِ مَا رَسِمْتُ لَهُ قَبْضَهُ ، وَانْحَدَرْتُ إِلَى الْأَهْوَازِ مَعِيَ ، بِجِلْعَتِهِ الْمُنَاطَرَةَ لِلرَّحْمَى وَالْحَسَابِ لَهُ بِمَحْضَرِي ، وَالْمُسْتَخْرَجَ لِمَا طَلِبَهُ ، فَقَامَ بِذَلِكَ أَحْسَنَ قِيَامٍ وَعَظُمَتْ حَالُهُ مَعِيَ ، وَعَادَتْ نِعْمَتُهُ إِلَى أَحْسَنَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ .

وفي عمرو بن مسعدة يقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي :

أَعْنَى عَلَى بَارِقٍ نَاضِبٍ « خَفِيٌّ كَوَحْيِكَ بِالْحَاجِبِ
كَأَنَّ تَأَلُّفَهُ فِي السَّمَاءِ « يَدَا كَاتِبٍ أَوْ يَدَا حَاسِبٍ
فَرَوَى مَنَازِلَ تَذَكُّرُهَا « يُبَيِّجُ مِنْ شَوْقِكَ الْغَالِبِ
غَرِيبٌ يَمِينٌ لِأَوْطَانِهِ « وَيَتَكِي عَلَى عَصَاهِ النَّاهِبِ
كَفَانَهُ أَبُو الْفَضْلِ عَمْرُو النَّدَى « مَطَالَعَةُ الْأَمَلِ الْكَاذِبِ
وَصَدَقَ الرَّجَاءُ وَحُسْنُ الْوَفَاءِ « لِعَمْرُو بْنِ مَسْعَدَةَ الْكَاتِبِ
عَرِيضُ الْفِتَنِ طَوِيلُ الْبِنَا « فِي الْعِزِّ وَالشَّرَفِ الشَّاقِبِ
بَنَى الْمَلِكُ طَوْدَهُ لَهُ يَتُّهُ « وَأَهْلُ الْخِلَافَةِ مِنْ غَالِبِ
هُوَ الْمُرْتَجَى ائِمْرُوفُ الزَّمَانِ « وَبُعْتَمَاشُ الرَّاهِبِ
جَوَادٌ بِمَا مَلَكَتْ كَفَّهُ « عَلَى الضَّيْفِ وَالْخَارِ وَالصَّاحِبِ
بِأَدَمِ الرُّكَّابِ وَفَوْحَى التِّيَا « يَبِ وَالطَّرْفِ وَالطُّفْلَةِ الْكَاهِبِ
تَوَمَّلْهُ بِحَسَامِ الْأُمُورِ « وَزِيَّجِهِ بِالْجَلِيلِ الْكَارِبِ

خَصِيْبُ الْجَنَابِ مَطِيرُ السَّحَابِ * بِشَيْمَتِهِ لَيْزُنُ الْجَنَابِ
 يُرَوِّى الْقَنَا مِنْ نَحْوِ الْعِدَا * وَيُفَرِّقُ فِي الْجُودِ كَالْأَحَابِ
 إِلَيْكَ تَبَلَّتْ بِأَكْوَادِهَا * حَرَجِيحُ فِي مَهْمِهِ لِأَحَابِ
 كَأَنْتَ نَعَامًا تَبَارَى بِنَا * بِسَوَائِلٍ مِنْ بَرْدِ عَاصِبِ
 يَرِدُّنَ نَدَى كَفِّكَ الْمُرْتَجَى * وَيَقْضِيْنَ مِنْ حَقِّكَ الْوَاجِبِ
 وَفَقَّ مَا أَنْتَ مِنْ خَابِرِ * بِسَجَلٍ لِقُورٍ وَمِنْ خَارِبِ
 قَسَتْكَ الْعِدَا بِكَزُوسِ الرَّدَى * وَتَسْقِيْ مِثْلَةَ الْعَالِبِ
 وَكَمْ رَاغِبٍ نَفْسُهُ بِالْعَطَا * وَكَمْ تَلَتْ بِالْعَطْفِ مِنْ هَارِبِ
 وَتِلْكَ انْخِلَاقُ أُعْطِيَتِنَا * وَقَفْضُلُ مِنَ الْمَنْعِ الْوَاجِبِ
 كَسَبَتْ الثَّنَاءَ وَكَسَبُ الثَّنَا * أَفْضَلُ مَكْنِيَةِ الْكَاسِبِ
 يَقْبُضُكَ يَحْلُو سِتْرَ الدُّجَى * وَظَنُّكَ يُخَيِّرُ بِالْعَائِبِ

رسائل الجاحظ

رسائله في بنى أمية

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ^(١) : أطال الله بقاءك ، وأتم نعمته عليك ، وكرامته لك . أعلم أرشد الله أمرك ، أن هذه الأمة قد صارت بعد إسلامها ، والخروج من جاهليتها ، الى طبقات متفاوتة ، ومنازل مختلفة : فالطبقة الأولى عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، وست سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه ، كانوا على التوحيد الصحيح ، والإخلاص المحض ، مع الألفة واجتماع الكلمة على الكتاب والسنة ، وليس هناك عمل قبيح ، ولا بدعة فاحشة ، ولا تزج يد من طاعة ، ولا حسد ولا غل ولا تأول ، حتى كان الذى كان : من قتل عثمان ، رضى الله عنه ، وما آتته منه ، ومن تخبطهم لآياه بالسلاح ، وبتج بطنه بالحرايب ، وفرى أوداجه بالمشاقص ، وشذخ

(١) هو إمام الأدب أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى صاحب الصانيف المتعة والرسائل المبدعة . وقد تقدم الكلام عليه فى المجلد الأول من هذا الكتاب (ص ٤٢١) .

وبعد حوالي سنة ١٦٠ هـ بمدينة الصرة ونشأ بها فتاوى كل فن وماوس كل علم عرف فى زمانه مما وضع فى الاسلام أو قل عن الأم الأوائل فصح له مشاركة فى علم كل ما يقع عليه الحس أو يضطر بالبال فهو راوية . متكلم . فيلسوف . كاتب . مصنف . مترجم . مؤرخ . عالم بالحيوان والنبات والموت . وصاف لأحوال الناس وديعوه مدائهم واضطراهم وأحلامهم وحيلهم إلا أنه علب عليه أمران : الكلام على طريقة المعتزلة فهو بذلك إمام الفحمة الجاحظية من المعتزلة والأدب المزوج بالمسفة والمكاهة فهو أول من ألف الكتب الجامعة لقنونه ككتاب البيان والبيان وكتاب الحيوان وغيرهما .

وكان غاية فى المذاهب ودقة الحس وحسن المراساة إلى دعاية وشية ، وقلة اعتداد بما يأخذ به الناس انفسهم ويختلونه من الرسوم والعادات وأنواع العصبية المنعوية وعدم مبالاة بوقوع المتويعين فيه . وكان سمعا جوادا كثير المواساة لإخراجه وكان على دماثة خلقه وتفاض خلقه خفيف الروح ، فكاه المجلس ، غاية فى الفرف وطيب المكاهة وحلاوة الكلام وهو على الجملة أحد أظفار العالم وأحد جميع اللسان العربى . توفي سنة ٢٥٥ هـ ببغداد بمقبرة الخيران . وتجد ترجمته فى معجم الأدباء لباقوت (ج ٦ ص ٥٦ - ٨٠) وأبى حنبلان (ج ١ ص ٥٥٣) .

(٢) فى الأصل : « المخلص » .

سامة بجمده، مع بعه عن البسطة، وبه عن الامتاع، مع عريته هم قبل ذلك : من
كم وجه يجوز قتل من شهد الشهادة، وصل القبله، وأكل الذبيحة، ومع ضرب نسائه
بمحضرته، وإلحاق الرجال على حرمة، مع انتهاء نائلة بنت الفرافصة عنه بيدها، حتى أطلقوا^(١)
إصبعين من أصابعها، وقد كشفت عن قناعها، ورفعت عن ذيلها ليكون ذلك وادعا لهم،
وكاسرا من غرهم، مع وطنهم في أضلاعه بعد موته، وإلقائهم على المذلة جسده مجزوا
بعد محبه، وهي الجزرة التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا لبناته وأيامه وعقائله .
بعد السب والتعطيش والحصر الشديد، والمنع من القوت، مع احتجاجه عليهم وإلحاقه لهم .
ومع اجتماعهم على أقد دم الفاسق حرام، كدم المؤمن، إلا من ارتد بعد إسلامه . أو زنى
بعد إحسان، أو قتل مؤمنا على عمد، أو رجل عدا على الناس بسيفه فكان في امتناعهم
منه عطيه، ومع اجتماعهم على ألا يقتل من هذه الأمة، ولا يُجهز منها على جريح .
ثم مع ذلك كله دُمروا^(٢) عليه وعلى أزواجه وحريمه وهو جالس في محرابه ومعه حقه ينوح
في حجره، لن يرى أقد موحدا يقيم على قتل من كان في مثل صفته وحاله .

لأجرم لقد احتلبوا به دما لا تطير دغومته . ولا تسكن فورته . ولا يموت نثره . ولا يكل
طالبه، وكيف يضعف الله دم وليه، والمتقم له . وما سمعنا بدم يحمي بن زكريا عليها
السلام، فلا غياؤه، وقيل سألته، وأدرك بها ثنته . وبيع كل محبته، كدمه رحمة الله
عليه .

ولقد كان لهم في أخذه . وفي إقامته للناس، والاقتصاص منه . وفي بيع ما ظهر من
رباعه، وحادثه، وسائر أمواله، وفي حبسه بما بقي عليه، وفي طرده حتى لا يجس .
بذكره، ما يُغنيهم عن قتله إن كان قد ركب كل ما قد نفوه به . وأدعوه عليه . وهذا كله
بمحضه رجلة المهاجرين والسلف المقدمين . والأئصار والتابعين .

(١) قال في شرح القاموس : كل ما في العرب من هذا الاسم «فرصة» فهو يوم لقاء . لا فراسة لها صلة
فهو بالفتح لا بغير . (٢) أضرا : قطعوا . (٣) حص : حصص . حص عليه متبذرين .

ولكن الناس كانوا على طبقات مختلفة، ومراتب متباينة : من قاتل ومن شاذ على عضده، ومن خافل عن نصرته، والعاجز فاصريارادته، ومطيع بحسن نيته، وإنما الشك متافيه، وفي خافله، ومن أراد عزله والاستبدال به؛ فأما قاتله، والمعين على دمه، والمريد لذلك منه، فضلال لا شك فيهم، ومراق لا امتراء في حكمهم؛ على أن هذا لم يعد منهم الفجور : إما على سوء تأويل، وإما على تعمد للشقاء، ثم ما زالت الفتن متصلة، والحروب متدافة، تحرب الجبل، وكوقائع صفيين، ويوم الثهروان، وقبل ذلك يوم الزابوقة^(١)، وفيه أسرا بن حنيف، وقتل حكيم بن جبلة، إلى أن قتل أشقاها على بن أبي طالب رضوان الله عليه، فأسعده الله بالشهادة، وأوجب لقاتله النار واللعة؛ إلى أن كان من اعتزال الحسن عليه السلام الحروب وتحليلته الأمور، عند انتثار أصحابه، وما رأى من الخلل في عسكره. وما عرف من اختلافهم على أبيه. وكثرة تلونهم عليه؛ فمئذها استوى معاوية على الملك، واستبذ على بقية الشورى، وعلى جماعة المسلمين، من الأنصار والمهاجرين، في العام الذي ستموه عام الجماعة، وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وظلّة، والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكا كسرويا، والخلافة غصبا قيصريا، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق. ثم ما زالت معاصيه من جنس ماحكينا. وعلى منازل مارتبنا، حتى ردت قضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ردا مكشوبا، وبجهد حكمة بجهدا ظاهرا، في ولد الفيراش وما يجب للعاهر. مع اجتماع الأمة أن تسمية لم تكن لأبي سفيان فراشا، وأنه إنما كان بها عاهرا. فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار. وليس قتل مجبر بن عدي. وإعطام عمرو بن العاص نراج مصر، وبيعة يزيد الخليل، والاستئثار بالنهي، واختيار الولاة على الهوى، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة، من جنس محمد الأحكام المنصوصة، والشرائع المشهورة، والسنن المنصوبة، وسواء في باب ما يستحق من الكفار بجهد الكتاب، ورد السنة إذا كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره، إلا أن أحدهما

(١) الزابوقة : موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجبل أول النهار .

أعظم ، وعقاب الانحراف عليه أشد ، فهذه أول كفرة . كانت من الأفة . ثم لم تكن إلا فيمن
يدعى إمامتها ، والخلافة عليها ، على أن كثيرا من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره ،
وقد أربت عليهم ثابتة عصرا ، ومبتدعة دهرنا ، فقالت : لا تسبوه ، فإن له محبة ، وسب
معاوية بدعة ، ومن يفضضه فقد خالف السنة . فزعمت أن من السنة ترك البراءة . من
جحد السنة ، ثم الذي كان من يزيد أبيه . ومن عماله . وأهل نصرته . ثم غزوا مكة ، ورمى
الكعبة ، واستباحة المدينة ، وقتل الحسين عليه السلام . في أكثر أهل بيته . مصاييح
الظلام ، وأواد الإسلام . بعد الذي أعظم من نفسه ، من تفريق أتباعه ، ولجوع إلى
داره وسرته ، أو اللهاب في الأرض ، حتى لا يُحسَّ به أو المقام حيث أمر به . فبوا إلى
قتله ، والتزول على حكمهم . وسواء قتل نفسه بيده . أو أسأها إلى عدوه . وخير فيها من
لا يرد عليه إلا بشرب دمه . فاحسبوا قتله ليس بكفر ، وإباحة المنسنة ، وهناك الحرم .
ليس بمحبة ، كيف تقولون في رمي الكعبة ، وهدم البيت الحرام . وقبلة المسلمين ؟ فإن قلتم
ليس ذلك أرادوا بل إنما أرادوا المتحز به . والمتحصن بمحطانه . إنما كان في حق البيت وحريمه
أن يحصروه فيه ، إلى أن يعطى بيده ! وأى شيء بقي من رجاء قد احذرنا

إلا موضع قدمه ! واحسبوا ما رويوا عليه من لأشعار . حتى قو

شيئا مصنوعا ، كيف تصنع بنقر القضيبي بين شيتور الحسين

رسول الله صلى الله عليه وسلم حواسر على لأكتاب العارية ، والإيل النصاب ، والكشف
عن عورة علي بن الحسين عند أشك في بلوفه ! تنهم إن وجدوه . وقد أبت قتلوه
وإن لم يكن أبت حملوه ، كما يصنع أمير جيش المسلمين : بنزاري المشكة : ككف .
تقول في قول عبيد الله بن زياد لإخوته وخاصته . دعوني أقتله : فإنه بقية هذا النسل :
فأحجم به هذا القرن ، وأبيت به هذا النداء ، وأقطع به هذه المدة !

خبرونا علام تكدل هذه القسوة ، وهذه لقلطة : بعد أن شقوا أنفسهم بقتلهم . وبنوا

ما أحبوا فيهم : أقتل على نصب . وسوء رأي وحقد ، وبغضة ونفاق . وعلى يقين مدخول

وإيمانٍ مخروج ! أم تدلّ على الإخلاص ، وعلى حبّ النبي صلى الله عليه وسلم ، والحفظ له ، وعلى براءة الساحة وصحة السريرة ! فإن كان على ما وصفنا لا يمسدو الفسق والضلال ، وذلك أدنى منازل ، فالتفاسق ملعون ، ومن نهي عن نهي الملعون فلعون .

وزعمت نابتة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا ، أن سبّ ولادة السوء فتنة ، ولعن الجورة بدعة ، وإن كانوا يأخذون السميّ بالسمي ، والوليّ بالولي ، والقريب بالقريب ، وأخافوا الأولياء ، وأثموا الأعداء ، وحكوا بالشفاعة والهوى ، وإظهار الغدرة والتهاون بالأئمة ، والقمع للزوجة ، وأنهم في غير مداواة ولا حقبة ، وإن عدا ذلك إلى الكفر ، وجاوز الضلال إلى المجهّد ، فذاك أضلّ ممن كفّ عن شتمهم ، والبراءة منهم ، على أنه ليس من استحق اسم الكفر بالقتل كنّ استحقّه برّد السنة وهدم الكعبة ، وليس من استحقّ اسم الكفر بذلك كنّ شبه الله بخلقه ، وليس من استحقّ الكفر بالتشبيه كنّ استحقّه بالتجوير ، والنابتة في هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه ، وابن زياد وأبيه ، ولو ثبت أيضا على يزيد أنه تمثل بقول بن الزبير :

ليت أشياخي يبذّر شهدوا .. جريح الخزيّج من وقع الأسل
لاستطاروا واستهلّوا قرحاً .. ثم قالوا يا يزيد لا ته
قد قتلنا الغر من ساداتهم .. وعدلناه ببذر فاضدل

كان تجوير النابغ لربه ، وتشبيهه بخلق ، أعظم من ذلك وأقطع ، على أنهم مجمعون على أنه ملعون من قتل مؤمناً متعمداً أو متأولاً ، فإذا كان القاتل سلطاناً جائراً ، أو أميراً عاصياً ، لم يستحلوا سبّه ، ولا خلقه ، ولا نفيه ، ولا عيبه ، وإن أخاف الصلحاء ، وقتل الفقهاء ، وأجاع الفقير ، وظلم الضعيف . وعطل الحدود والثغور ، وشرب الخمر ، وأظهر الفجور : ثم ما زال الناس يتسكعون مرة ، ويدهنونهم مرة ، ويقاربونهم مرة ، ويشاركونهم مرة إلا بقيّة من عصمه الله تعالى ذكره . حتى قام عبد الملك بن مروان ، وابنه الوليد ،

وعاملهما الحاج بن يوسف : ومولاه يزيد بن أبي مسلم . فأعدوا على البيت بالهدم . وعلى
حرم المدينة بالغزو ، فهدموا الكعبة ، واستباحوا الحرم ، وحولوا قبلة واسط ، وأخرو
صلاة الجمعة ، إلى مغير بن الشمس ، فإن قتل رجل لأحدهم : اتق الله فقد آخرت الصلاة
عن وقتها ، قتله على هذا القول جهارا غير ختل ، وعلاية غير سر ، ولا يعلم القتل على
ذلك إلا أقبح من إنكاره ، فكيف يكفر العبد بنى ولا يكفر بأعظم منه :

وقد كان بعض الصالحين رجا وعظ الجبارة . وخوفهم العواقب ، وأراهم أن في الناس بقية
ينهون عن الفساد في الأرض ، حتى قام عبد الملك بن مروان . والحجاج بن يوسف . فزجرا
عن ذلك ، وعاقبا عليه ، وقتلا فيه ، فصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه . فاحسب تحويل القبلة
كان غلطا ، وهدم البيت كان تأويلا . واحسب ما روي من كل وجه . أنهم كانوا يزعمون أن
خليفة المرء في أهله أرفع عنده من رسوله اليهم ، باطلا وسموعا مولدا . واحسب وشم أيدي
المسلمين وتقتل أيدي المسلمين ، وندم بعد الهجرة إلى قراهم . وقتل الفقهاء . وسب أئمة
الهدى ، والنصب لعتة رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا يكون كفرا ، كيف تحول في جمع
ثلاث صلوات فيمن الجمعة ، ولا يصلون أولاها ، حتى تعير الشمس على أعلى الجدران .
كألاء المعصقر . فإن نطق مسلم ، خبط بالسيف . وأخذته لعمد ، وشك بالزواج . وإن
قال قائل : اتق الله أخذته العزة بالإثم . ثم لم يرش إلا بثر دماغه على صدره . وبصيه حيث
تراه عياله . وما يدل على أن القوم لم يكونوا إلا في طريق تهرؤ على الله عز وجل .
والاستخفاف بالدين . ولتباين المسلمين ، والابتذال لأهل حق . أكل أمرائهم الضعاف .
وشربهم الشراب على منابرهم أيام جمعهم وجموعهم . قتل فلان حبيش بن دبلجة ، وطارق
مولى عثمان ، والحجاج بن يوسف . وغيرهم ، وفك أن كان كفرا كله فلم يسلب كفرا بة

(١) يشهد بذلك ابن مازويه عن هاجج أنه قال في كلامه : ويحك حبيبة أمة في أهل البيت عليه السلام

اليهم ، يريد بذلك تفضيل مقدم الخلافة على مقام الرئاسة . ومن هذا روى هاجج بأسكر وقد نفسه ابن عمره
في العقد الثريد فصل في زعم أن الحجاج كان كافرا راجع العقد المريد ج ٣ ص ٢٢

(٢) في الأصل : أحسنه وهو حسن . وموسم . أئمة . كما في شرح قاموس وغیری .

عصرنا، وروافض دهرنا، لأق جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك. كان اختلاف الناس في القدر على أن طائفة تقول كل شيء بقضاء وقدر، وتقول طائفة أخرى كل شيء بقضاء وقدر إلا المصاحي، ولم يكن أحد يقول إن الله يعذب الأبناء ليغيظ الآباء، وإن الكفر والإيمان مخلوقان في الإنسان، مثل العمى والبصر، وكانت طائفة منهم تقول إن الله يرى، لا تزيد على ذلك، فإن خافت أن يُعْطَن بها التشبيه قالت يرى بلا كيف تَهَرَّزًا من التجسيم والتصوير، حتى نبقت هذه الثابتة، وتكلمت هذه الرافضة، فقالت جسيما، وجعلت له صورة وحدئا، وأكفرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير، ثم زعم أكثرهم أن كلام الله حسن وبين وحيته وبرهان، وأن التوراة غير الزبور، والزبور غير الإنجيل، والإنجيل غير القرآن. والبقرة غير آل عمران؛ وأن الله تولى تأليفه، وجعله برهانه على صدق رسوله، وأنه لو شاء أن يزيد فيه زاد، ولو شاء أن ينقص منه نقص، ولو شاء أن يبدله بقله، ولو شاء أن ينسخه كله بغيره نسخا، وأنه أنزله تنزيلا، وأنه فصله تفصيلا، وأنه بالله كان دون غيره، ولا يقدر عليه إلا هو، غير أن الله مع ذلك كله لم يخلقهم، فأصطلوا جميع صفات الخلق، ومنعوا اسم الخلق.

والعجب أن الخلق عند العرب إنما هو التقدير نفسه، فلما قالوا: خلق كذا وكذا، ولذلك قال: **أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**. وقال: **يَخْلُقُونَ إِفْكًَا** وقال: **وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ** فقالوا: صنعوه وجعلوه وقدره. وأنزله وفصله وأحدثه، ومنعوا خلقه، وليس تأويل خلقه أكثر من قدره. ولو قالوا بدل قولهم: قدره ولم يخلقوه خلقه ولم يقدره ما كانت المسألة عليهم إلا من وجه واحد؛ والعجب أن الذي منعه بزعمه أن يزعم أنه مخلوق. أنه لم يسمع ذلك من سلفه، وهو مسلم أنه لم يسمع أيضا من سلفه أنه ليس بمخلوق. وليس ذلك يجهل. ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثل خروج الصوت من الجوف. وعلى جهة تقطيع الحروف، وإعمال اللسان والشفوتين، وما كان على غير هذه الصورة والصفة فلاس بكلام. ولما كان عندهم على غير هذه الصفة،

وكنا لِكلامنا غير خالقين ، وجب أن الله عز وجل لكلامه غير خالق ؛ إذ كما غير خالقين
لكلامنا ، فأنما قالوا ذلك ، لأنهم لم يعدوا بين كلامنا وكلامه فرقاً ، وإن لم يُفروا بذلك
بالستهم فذلك معانهم وقصدهم .

وقد كانت هذه الأمة لا تتجاوز معاصيها الإثم والضلال ، إلا ما حكيت لك من بنى أمية ،
وبنى مروان ، وعملهم ، ومن لم يدين بكفارهم حتى نجت النوات . وتابعتها هذه العوام .
فصار الغالب على هذا القرن الكفر ، وهو التشبيه والجر . فصار كفرهم أعظم من كفر من
مضى في الأعمال التي هي الفسق ، وشركاء من كفر منهم بتوليهم ، وترك كفارهم ، قال
الله عز وجل من قائل : **وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ** .

وأرجو أن يكون الله قد أغاث المحقين . وريحهم وقوى ضعفهم . وكثر قلتهم . حتى
صار ولادة أمرنا في هذا الدهر الصعب والزمن العاسد أشد استبصاراً في التشبيه من
عليقنا ، وأعلم بما يلزم فيه منا ، واكشف للفتاع من رؤسائنا ، وصاروا الناس وقد انتظموا
معان الفساد أجمع ، وبلغوا غايات البدع ، ثم قروا بذلك العصية التي هلك بها عالم بعد
عالم ، والحية التي لا تُثنى ديناً إلا أفسدته ، ولا دنيا إلا أهلكتها ، وهو ما صدرت إليه العجم
من مذهب الشعوبية ، وما قد صار إليه الموائ من الفخرو على العجم والعرب . وقد نجت
من الموائ ناجمة ، ونبتت منهم نابتة ، تزعم أن الموائ بولائه قد صار عربياً . لقول النبي
صلّى الله عليه وسلّم : **«مَوَالِي الْقَوْمِ مِنْهُمْ»** ولقوله : **«الْوَلَاءُ لِحُكْمَةِ النَّسَبِ لَا لِسَاءِ
وَلَا يَوْمٍ»** .

قال : فقد علمنا أن العجم حين كان فيهم الملك والنبوة كانوا أشرف من العرب .
ولما حوّل ذلك إلى العرب صارت العرب أشرف منهم ، قالوا : فنحن معاشرة الموائ
بقديمتنا في العجم أشرف من العرب . وبالحنث الذي صار لنا في العرب أشرف من العجم .
وللعرب القديم دون الحديث . ولنا خصتان جميعاً وافرة فينا . وصاحب الخصتين

(١) كذا في الأصل . ونحوه . وصار شركاء . (٢) مع . فتح الميم . ومن : المذمة والميز .

أفضل من صاحب الخصلة ، وقد جعل الله المولى بعد أن كان عجمياً عربياً بولائه ، كما جعل حليف قُرَيْش من العرب قرشياً بحليفه ، وجعل اسماعيل بعد أن كان أعجمياً عربياً ولولا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن اسماعيل كان عربياً » ما كان عندنا إلا أعجمياً لأن الأعجمي لا يصير عربياً ، كما أن العربي لا يصير أعجمياً ، وإنما صلينا أن اسماعيل صيره الله عربياً بعد أن كان أعجمياً ، بقول النبي صلى الله عليه وسلم ، فكذلك حكم قوله « مولى القوم منهم » وقوله : « والولاء ثمة » . قالوا : وقد جعل الله إبراهيم عليه السلام أباً لمن لم يلد ، كما جعله أباً لمن ولد ، وجعل أزواج النبي أمهات المؤمنين ، ولم يلدن منهم أحدا ، وجعل الجار والد من لم يلد في قول غير هذا كثير قد أتينا عليه في موضعه ، وليس أدعى إلى الفساد ، ولا أحلب للشر من المغامرة ، وليس على ظهرها إلا نخور (الآ قليل) وأى شيء أغبط من أن يكون عبدك يزعم أنه أشرف منك ، وهو مَقْرَأته صار شريفاً بِعِتْقِكَ لِيَأْه .

وقد كتبت — مد الله في عمرك — كتباً في مُفَاخَرَةِ عَطَّان ، وفي تفضيل عَدْنَان ، وفي رد الموالى إلى مكانهم من الفضل والنقص ، وإلى قدر ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من الشرف ؛ وأرجو أن يكون عدلاً بينهم ، وداعية إلى صلاحهم ، ومُنْهبة عليهم ولم ؛ وقد أردت أن أرسل بالجزء الأول اليك ثم رأيت ألا يكون إلا بعد استئذانك ، واستئثارك ، والانتباه في ذلك إلى رِجْعِكَ ، فرائك فيه موفق إن شاء الله عز وجل وبه الثقة .

وكتب إلى بعض إخوانه في ذم الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم

حَفِظَكَ اللهُ حِفْظَ مَنْ وَقَّعَهُ لِلْقَاعَةِ . وَأَسْتَعْمَلُهُ بِالطَّاعَةِ ؛ كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَحَالِي حَالٌ مِنْ كَثُفَتِ غُومُهُ ، وَأَشْكَتْ عَلَيْهِ أُمُورُهُ ، وَأَشْتَبِهَ عَلَيْهِ حَالُ دَهْرِهِ ، وَخَرَجَ أَمْرُهُ ، وَقَلَّ عِنْدَهُ مِنْ يَثِقُ بَوَفَائِهِ ، أَوْ يَحْدُ مَغِيبَةِ إِخْوَانِهِ ، لِاسْتِحَالَةِ زَمَانِنَا ، وَفَسَادِ أَيَامِنَا ، وَدَوْلَةِ أُنْدَالِنَا ؛ وَهَذَا مَا كَانَ . قَدِمَ الْحَيَاءُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَحَكَمَ الصَّدَقُ فِي قَوْلِهِ ، وَآثَرَ الْحَقُّ فِي أُمُورِهِ ، وَنَبَذَ الْمُشْتَبَاهَاتِ عَلَيْهِ مِنْ شُؤْنِهِ . تَمَّتْ لَهُ السَّلَامَةُ ، وَقَازَ بِوُفُورِ حِفْظِ الْعَاقِبَةِ ، وَحَدَّ مَغِيبَةِ مَكْرُوهِ

العاقبة ؛ فنظرنا إذ حل عندنا حكمه ، ونحولت دوتسه ؛ فوجدنا الحياء متصلا بالحرمان والصدق آفة على المال ، والقصد في الطلب بترك استعمال القسعة ، وإخلاق العرض من طريق التوكل دليلا على سخافة الرأي ، إذ صارت الخطوة البالغة ، والنعمة السابغة ، في لوم المشيئة ؛ وساء الرزق من جهة عماشاة الرخاء ، وملازمة معزة العار ؛ ثم نظرنا في تعقب المتعقب لقولنا ، والكاشر لثقتنا ؛ فالحق له علينا واضح ، وشاهد قائم ، ومناوذا يتأد ؛ إذ وجدنا من فيه السقوية الواضحة ، والمطالب الفاضحة . والكذب المبرج . ونخلف المصرح ، والجهالة المقرطة ، والزكاة المستغففة ، وضعف اليقين والاستثبات ، وسرعة الغضب والجرأة . قد استكمل سروره ، وأحصدت أموره ، وفاز بالسهم الأظلم ، وأخط الأوفر ، والقدر الرفيع . ونحوذ الطامع ، والأمر النافذ ؛ إن زلّ قيل حكم ، وإن أخطأ قيل أصاب . وإن هذى في كلامه وهو يقظان قيل رؤيا صادقة من قسمة مباركة ؛ فهذه محجتها والله على من زعم أن الجهل يخفى ، وإن التوك يؤدى ، وإن الكذب يعثر ، وأن الخلف يبرى ؛ ثم نظرنا في الوفاء والأمانة والتبذل والبلاغة وحسن المذهب وكمال المروءة وسعة الصدر وقلة الغضب وكرم الطبيعة ، والفائق في سعة علمه . والحاكم على نفسه . ونحالب لهواه . فوجدنا فلان بن فلان ؛ ثم وجدنا الزمان لم ينصفه من حقه ، ولا قام له بوضائف قرضه . ووجدنا فضائله النافذة له قاعدة به ؛ فهذا دليل أن الطلاح أجدى من انصلاح ، وأن تفضل قد مضى زمانه . رعت آثاره ، وصارت الدائرة عليه كما كانت الدائرة على ضده ؛ ووجدنا العقل يشقى به نريته ، كما أن الجهل والحق يحتل به خديته ؛ ووجدنا الشعر ناطقا على الزمان ، ومُعربا عن الأيام حيث يقول :

تَحَامَقَ مَعَ الْحَقِّ إِذَا مَا نَجَّيْتَهُمْ . وَلَا فَيْهَ بِالْجَهْلِ فَهَلْ أُنْهِ الْجَهْلُ
وَحَلَّطَ إِذَا لَا قِيَتَ يَوْمًا مَحَلُّنَا . يَحَلُّطُ فِي قَوْلٍ صَحِيحٍ وَفِي هَزَلٍ
فَوَيْ رَأَيْتَ الْمَرْءَ يَشْقَى بِعَقْلِهِ . كَمَا كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَسْعَدُ بِأَعْقَلٍ

فَبَقِيْتُ - أَبْكَاءُ اللَّهِ - مِثْلَ مَنْ أَصْبَحَ عَلَى أَوْفَازٍ، وَمِنَ الثَّقَلَةِ عَلَى جِهَازٍ، لَا يَسُوغُ لَهُ نِعْمَةٌ، وَلَا تَطْلُمُ عَيْنُهُ غَمَضَةً، فِي أَهْوَائِلِ بَيَاكِرِهِ مَكْرُوهُهَا، وَيُرَاوِحِهِ عَقَابِهَا، فَلَوْ أَنَّ الدُّعَاءَ أَجِيبَ، وَالتَّضَرُّعَ يُسْمِعَ، لَكَانَتِ الْعِدَّةُ الْعَظِيمَى، وَالرَّحْمَةُ الْكُبْرَى، فَلَيْتَ أَيْ أُنْحَى مَا اسْتَبَطَنَهُ مِنَ النَّفْخَةِ، وَمِنَ بَقَاةِ الصَّبِيحَةِ، تُقْضَى لِحَانٌ، وَأُذِنَ بِهِ فَكَانَ، فَوَاقَهُ مَا عَذَّبَتْ أُمَّةَ بَرَجَفَةٍ، وَلَا رِيحٍ وَلَا مَخْطُطَةٍ، عَذَابَ عَيْنِي بِرُؤْيَةِ الْمَغَايِطَةِ الْمُدْمَنَةِ، وَالْأَخْبَارِ الْمَهْلَكَةِ، كَأَنَّ الزَّيَانَ يُوَكِّلُ بَعْدَايَ، أَوْ يُنْصَبُ بِأَيَّامِي، فَمَا عَيْشُ مَنْ لَا يُسَرِّبُ أَخَ شَفِيقٍ، وَلَا يَصْطَلِحُ فِي أَوَّلِ نَهَارِهِ، إِلَّا بِرُؤْيَةِ مَنْ يَكْرَهُهُ، وَيَقْتَمُهُ بِطَلْعَتِهِ، فَقَدْ طَالَتِ النُّفُتُ، وَوَاظَبَتِ الْكُرْبَةُ، وَادَّهَمَّتِ الظُّلُمَةُ، وَنَحَدَّ السَّرَاجُ، وَتَبَاطَأَ الْإِفْرَاجُ .

وصف الجاحظ لقريش وبني هاشم

فَدَعَا النَّاسُ كَيْفَ كَرُمُ قُرَيْشٍ وَصَفَاؤُهَا، وَكَيْفَ عَقُولُهَا وَدَهَاقُهَا، وَكَيْفَ رَأْيُهَا وَذَكَائُهَا، وَكَيْفَ سِيَاسَتُهَا وَتَدْبِيرُهَا، وَكَيْفَ إِيمَازُهَا وَتَحْسِيرُهَا، وَكَيْفَ رَجَاحَةُ أَحْلَامِهَا إِذَا خَفَّ الْحَلِيمُ، وَحِدَّةُ أَذْهَانِهَا إِذَا كَلَّ الْحَلِيدُ، وَكَيْفَ صَبْرُهَا عِنْدَ الْلِقَاءِ، وَثَبَاتُهَا فِي الْأَوَاءِ، وَكَيْفَ وَفَاؤُهَا إِذَا اسْتَحْسَنَ الْفَدْرُ، وَكَيْفَ جَوْدُهَا إِذَا حُبَّ الْمَالُ، وَكَيْفَ ذِكْرُهَا لِأَحَادِيثِ قَدٍ، وَقَلَّةُ صَدُودِهَا عَنِ جِهَةِ الْقَصْدِ، وَكَيْفَ إِقْرَارُهَا بِالْحَقِّ وَصَبْرُهَا عَلَيْهِ، وَكَيْفَ وَصْفُهَا لَهُ وَدُعَاؤُهَا إِلَيْهِ، وَكَيْفَ سَمَاحَةُ أَخْلَاقِهَا، وَصَوْنُهَا لِأَعْرَاقِهَا، وَكَيْفَ وَصْلُهَا قَدِيمَتِهِمْ بِجَدِيدَتِهِمْ . وَطَرِيقَتُهُمْ بِتَلِيدَتِهِمْ، وَكَيْفَ أَشْبَهَ عِلَالَتِهِمْ سُرْمَ، وَقَوْلُهُمْ فَعْلُهُمْ، وَهَلْ سَلَامَةُ صَدْرِ أَحَدِهِمْ إِلَّا عَلَى قَدَرٍ بَعْدَ غَدِيرِهِ، وَهَلْ غَفْلَتُهُ إِلَّا فِي وَزْنِ صِدْقِ ظَنِّهِ، وَهَلْ ظَنُّهُ إِلَّا كَيْقِينِ غَيْرِهِ .

وكتب في الاعتذار :

أما بعد فتم البديل من الزلة الاعتذار، وبئس العوض من التوبة الإصرار، وإن أحق من عطف عليه بحملك من لم يستشفع إليك بفيرك، وإن حق بحرقي بملك حملك وغاية عفوك، ضمنت لنفسى العفو من زلتها عندك، وقد مسنى من الألم ما لم يشفه غير مواسلتك .

وله في الاستعفاف :

ليس عندى أعزك الله سبب ولا أقدر على شفع إلا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة والتأميل الذى لا يكون إلا من نتائج حسن الفطن وإثبات الفضل بحال المأمون وأرجو أن تكون من الشاكرين فتكون خير مُستب. وأكون أفضل شاكر. ولعل الله يجعل هذا الأمر سببا لهذا الإمام، وهذا الإمام سببا للإيقضاع إليك والكون تحت أجنحتك، فيكون لأعظم بركة، ولا أنمى بقية من ذنب أصبحت فيه، وبملك - جُمِلْتُ فذلك - عاد الذنب وسيلة، والسبب حسنة، ومثلك من أعطب به الشر خيرا والفهم غنما .

من عاقب فقد أخذ حقه، وإنما الأحرى الآخرة، وطيب الذكر فى الدنيا، على قدر الاحتمال وتجرع المرار وأرجو، ألا أصبح وأهلك فيما بين كرمك وعقلك. وما أكثر من يفو عن صغر ذنبه وعظم حقه. وإنما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة. وإن كان العفو عظيما مستطرا من غيركم فهو بلاد فيكم، حتى ربما دعا ذلك كثيرا من الناس إلى مخالفة أمركم، فلا أتم عن ذلك تتكلمون، ولا على سالف حسابكم تتدبرون. وما مثلك إلا كمثل عيسى بن مريم عليه السلام حين كان لا يتردد من بنى إسرائيل إلا أسمعوه شرًا وأسمعهم حيرا، فقال له شتمون العفا : ، رأيت كأيوم كلب أسمعوك شرًا أسمعهم حيرا فقال : كل امرئ يفيق فما عنده وليس عندك إلا اخبر ولا فى أوعيتكم إلا الرحمة "وكل إناء بالذى فيه ينضح" .

وله في ذم الحسد :

الحسد - أبغاك الله - داء ينهك الجسد، علاجه عسير وصاحبه مجير وهو باب فاض، وما ظهر منه فلا يدأوى وما يعلن منه قدأويه في صآء، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « دَبَّ اليك داء الأُم من قبلكم : الحسد والبغضاء » . الحسد حديد الكفر، وحليف الباطل ، وضد الحق منه تتولد العداوة وهو سبب كل قطيعة ومفرق كل جماعة، وقاطع كل رَحم من الأقرباء وتُحِلُّ التفريق بين القرناء، وتُلَقِّح الشر بين الحلفاء .

دفاع الجاحظ عن مؤلفاته :

وقد ذكر الجاحظ جلُّ مؤلفاته في كتاب "الحَيوان" ودافع عنها بعد أن وصفها فقال: ^(١)
جَنَّبَكَ اللهُ الشَّبهة، وعَصَمَكَ مِنَ الحَيْرة وجعل بينك وبين المعرفة سَبْبا، وبين الصديق سَبْبا، وَجَبَّ اليك التَّنَبُّت، وزَيْن في عينك الإِنصاف، وأَذَانك حلاوة التقوى، وأَشْرَقَ قَلْبُكَ عِزَّ الحَقِّ، وأَوْدَعَ صَدْرُكَ بَرْدَ اليقين، وطَرَدَ عَنْكَ ذُلَّ الطَّمع، وعَرَّفَكَ ما في الباطل مِنَ النَّفْثَةِ، وما في الجَهِلِ مِنَ القِلَّةِ، وَلَعَمْرِي لقد كانَ غيرُ هذا الدِّماءِ أَصُوبَ في أَمْرِكَ، وأَدْلَى على مِقْدَارِ وَزْنِكَ، وعلى الحَالِ التي وَضَعْتَ نَفْسَكَ فيها، ووَسَّمتَ عِرْضَكَ بها، وَرَضِيتَها لِدِينِكَ حِفْظًا، وَلِرُوءَاكَ شُكْلًا؛ فقد أَتَيْتَنِي إلى مَيْلِكَ على أَيْ حِصْحاقٍ، وَحَمَلْتَ عَلَيَّ، وطَعَنْتَ عَلَيَّ مَعْبَدًا، وَتَنَقَّصْتَ لِي في الَّذِي كانَ جَرَى بينهما في مَساوِي الدِّيكِ ومحاسنه، وفي ذِكْرِ مَنافِعِ الكَلْبِ ومَضارِئِهِ؛ وَالَّذِي خَرَجَا إِلَيْهِ مِنْ أَسْتَقْصَاءِ ذَلِكِ وَجْمِعِهِ، وَمِنْ تَبَتُّعِهِ وَنَظْمِهِ، وَمِنْ المِوازَنَةِ بينهما . والحكمُ فِهما .

ثم عَيَّنَتْنِي بِكُتَابِ حَبِيلِ اللُّصُوصِ ، وَكُتُبِ غِشِّ الصَّناعاتِ ؛ وَعَيَّنَتْنِي بِكُتَابِ المَلَحِّ والطَّرَفِ، وما حَرَّ مِنَ النُّوادرِ وَبَرْدِ، وعادَ بارِدُها حارًّا بفرطِ بَرْدِهِ، حَتَّى أَمْتَعَ بِاكَتَرِ مِنَ أَمْتاعِ الحارِّ؛ وَعَيَّنَتْنِي بِكُتَابِ أَحتِجاجاتِ البُخلاءِ، وَمَنافِضَتِهِمُ لِلسُّمَّاءِ، والقولِ في الفَرَقِ بين

(١) اعتمدنا في تصحيح هذه الفصول على الأصل المتوفر في المخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٨٥

آداب ، لأن النسخة المطبوعة من كتاب الحيوان مطبوعة السعادة بمصر في غاية التعريف وملائي الأخطاء .

الصدق اذا كان ضاراً في العاجل ، والكذب اذا كان نافعاً في الآجل . ولم جعلنا الصدق أبداً محموداً ، والكذب أبداً مذموماً ، والفرق بين القية وإضاعة الحرمة . وبين الإفراط في الحية والآفة ، وبين التقصير في حفظ حق الحرمة ، وقلة الاكتراث بسوء الغالة ؛ وهل الغيرة آكتساب وعادة ، وبعض ما يعرض من جهة الديانة وبعض التريث فيه والتحسن به ، أو يكون ذلك شيطاً في طبع الحرية وحقيقة الجوهرية ، ما كانت المقول سليمة . والآفات متغيرة ، والأخلاق متغيرة ، وعبثى بكاتب الصرحاء والمهجناء ، ومفانحة السودان والحرمان . والموازنة بين حق الخوالة والعمومة ، وعبثى بكاتب الزرع والنخل . والزيتون والإعتاب . وأقسام فضول الصناعات ، ومرايب التجارات ؛ وبكاتب فضل ما بين الرجل والنساء . وفرق ما بين الذكور والإناث ، وفي أى موضع يقبلن ويفضّلن ، وفي أى موضع يكنّ المغلوبات والمفضولات ، ونصيب أيهما في الوند أوفر ، وفي أى موضع يكون حقهن أوجب ، وأى عمل هو بين أليق ، وأى صناعة هن فيها أبلغ ، وعبثى بكاتب القحطانية وكاتب العدنانية في الرد على القحطانية ، وزعمت أنى تجاوزت فيه حد الحية . أنى حد العصية ، وأنى لم أصل الى تفضيل العدنانية إلا بتقص القحطانية ؛ وعبثى بكاتب العرب والموالى ، وزعمت أنى بحثت الموالى حقوقهم ، كما أنى أعطيت العرب ما ليس لهم ؛ وعبثى بكاتب العرب والعجم ، وزعمت أن القول في فرق ما بين العرب والعجم هو القول في فرق ما بين الموالى والعرب ، ونسبتنى الى التكرار والترداد . والى التكثير والجهل بما فى العدد من الخلط ، وحمل الناس المؤن ؛ وعبثى بكاتب الأصنام ؛ وبذكر اعتلالات المنهها . وسبب عبادة العرب إلهها ، وكيف اختلفا في جهة العلة مع اتحادهما على جملة المدينة . وكيف صار عباد البسدة^١ والمتسكون بعبادة الأوثان المنحوتة ، والأصنام المعبودة . أشد الناس نفقاً لما دانوا به ، وشغفا بما تعبدوا له ، وأظهرهم حذاً ، وأشدّهم علماً من خلعهم ضغناً . وبما دانوا صباه وتعجّباً . وما افرق بين البُدْ وأوتر . وما افرق بين الوثن وأنصم ، وما افرق

(١) نبددة جمع بد ، وهو بيت به مصم أو نغمسة كقوله ابن جرير .

بين الذئبة والبقعة ، ولم يحوروا في محاريبهم وبيوت عباداتهم صور عظامهم ورجال دعوتهم ، ولم تأتقوا في التصوي ، وتجردوا في إقامة التركيب ، وبالنوا في التحسين والتفخيم ، وكيف كانت أولية تلك العبادات ، وكيف افترقت تلك النعل ، ومن أى شئ كانت خدع تلك السدنة ، وكيف لم يزالوا أكثر الأصناف عددا ، وكيف شمل ذلك المذهب الأجناس المختصة !

وعتق بكاتب المعادن ، والقول في جواهر الأرض ، وفي اختلاف أجناس الفلز ، والإخبار عن ذائبها وجامدها ، وخلقها ومصنوعها ، وكيف يسرع الانقلاب الى بعضها ويعطى عن بعضها ، وكيف صار بعض الألوان يصبغ ولا يصبغ ، وبعضها ينصبغ ولا يصبغ ، وبعضها يصبغ وينصبغ ، وما القول في الإكسير والتلطيف ، وعتق بكاتب فرق ما بين هاشم وعبد شمس ، وبكاتب فرق ما بين الجن والإنس ، وفرق ما بين الملائكة والجن ، وكيف القول في معرفة الهدد وأستطاعة العفريت ، وفي الذى كان عنده علم من الكتاب ، وما ذلك العلم ، وما تأويل قولهم : كان عنده اسم الله الأعظم ، وعتق بكاتب الأوفاق والرياضات ، وما القول في الأرزاق والإنفاقات ، وكيف أسباب التثمين والترقيع وكيف تجلب ابتجار الحرفاء ، وكيف الاحتيال للودائع ، وكيف التسبب الى الوصايا ، وما الذى يوجب لهم التمديل . ويصرف اليهم باب حسن الظن ، وكيف ذكرنا غش الصناعات والتجارات . وكيف التسبب الى تصرف ما قد سترؤا ، وكشف ما مؤهوا ، وكيف باب الاحتراس منه والسلامة من أهله ! وعتق برائلى ، وبكل ما كتبت به الى إخوانى وخلطائى من مزج وجدة ، ومن إفصاح وتمريض ، ومن تفاؤل وتوقيف ، ومن هجاء لا يزال وثمة باقيا ، ومدح لا يزال أثره ناميا ، ومن ملح ، تضحك ، ومواعظ تبكى ، وعتق برائلى الهاشميات . واحتجاجى فيها ، وأستقصائى معانيها ، وتصويرى لها فى أحسن صورة ، وإطهارى لها فى أتم حلية ، وزعمت أنى قد خربت بذلك من حد المعتدلة الى حد الزيدية ،

ومن حدّ الاضلال في التشيع والاقتصاد فيه الى حدّ السرف والإفراط فيه، وزعمت أن
مقالة الزيدية خطبة مقالة الرافضة ، ومقالة الرافضة خطبة مقالة الغالية . وزعمت أن
في أصل القضية ، والذي جرت عليه العادة أن كلّ كبير فاقله صغير . وأن كلّ كبير فزعم
هو قليل يُجمع الى قليل ، وأنشدت قول الرازي :

قد يلحق الصغير بالجليل * وإنما القرم من الأفييل^(١)
« وصحى النخل من القليل »

وأنشدت قول الشاعر :

رُبّ كبيرٍ حاجه صغير * وفي البحور تفرق البحورُ
وقلت وقال يزيد بن الحكم :

وأعلم بى فإنه * بالعلم يتفجع العليم
إن الأمور دقيقتها * مما يبيح له العظيم

وقلت وقال الآخر :

صار جِدًا ما مَرَحْتُ به * رُبّ جِدٍّ ساقه اللَّعبُ
وأنشدت قول الآخر وهو صخرة^(٢) :

ما تظرون بحق وردة فيكم * تُقضى الأمور ورَهط وردة غُيبُ
قد يبعثُ الأمرَ الكبيرَ صغيره * حتى تقلدُ له الدماءُ تَصَبُّبُ

وقالت كُثَيْبَةُ بنت معد يكرب :

جَدَّعُمُ يَبْدُ أَهْ أَنْفَ قَوْمِهِ * بى ما زِلَ أَنْ سُبَ رَايَ الْخُسْرِ

وقال الآخر :

أَيُّه تَارِ قَدَحِ الْقَادِحِ * وَأَيُّ جِدٍّ بَغِ الْمَارِحِ

(١) الأفييل : صغر الإمر .

(٢) والصواب أن البيتين لخرقة وهو من جهة بيت في ديوانه .

وقول العرب : « العَصَى من العَصِيَّة ولا تَلِدُ الحَيَّةَ إِلَّا حَيَّةً » ؛ وعبت كتابي في خَلْقِ القرآن ، كما عبث كتابي في الرَّدِّ على المُشَبَّهَةِ ؛ وعبث كتابي في أصول الفُتْيَا والأحكام ، كما عبث كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن ، وغريب تأليفه ، وبدیع تركيبه ؛ وعبث مُعَارَفَتِي الزَّيْدِيَّةَ ، وتفضيل الاعتزال على كُلِّ نِحْلَةٍ ، كما عبث كتابي في الوحد والوعيد ، وكتابي على النصراني واليهود ؛ ثم عبث بجملة كُتُبِي في المعرفة ، وأتَمَسْتُ تهجينها بكلِّ حيلة ، وصغرت من شأنها ، وحطَّطْتُ من قدرها ، واعترضت على ناصيحتها والمستفيعين بها .

وعبث كتاب الجوابات وكتاب الرسائل ، وكتاب الرَّدِّ على أصحاب الإلهام ، وكتاب الحجَّة في تثبيت ثبوت النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكتاب الأخبار ؛ ثم عبث كتابي إنكارِي بِصِيَرَةِ غَنَامِ الْمُرتَدَّةِ ، وبصيرة كُلِّ جاحد ومُلحد ، وتفریق بين اعتزام الفُرمِ وبين استبصار الحَقِّ ؛ وعبث كتاب الرَّدِّ على الجَهِمِيَّةِ في الإدراك ، وفي قولهم في الجهالات ، وكتاب الفرق ما بين النَّبِيِّ وَالْمُتَلَهِّيِّ ، والفرق بين الحليل والمُخَارِقِ ، وبين الحقائق الظاهرة والأعلام القاهرة ؛ ثم قصدت الى كتابي هذا بالتصغير لقدره ، والتهجين لنظمه ، والاعتراض على لفظه ، والتحقير لمعانيه زَرَّيْتُ على نحته وسبكه ، كما زَرَّيْتُ على معناه ولفظه ، ثم طعنت في الغرض الذي اليه تَرَعَا ، والغاية التي اليها أَجْرَيْنَا ، وهنا كتاب معناه أَنَّهُ من أسمه ، وحقيقته أَنَّهُ من لفظه ، هو كتاب يحتاج اليه المتوسِّط العَامِي ، كما يحتاج اليه العالم الخَامِي ، ويحتاج اليه الرُّبُض ، كما يحتاج اليه الخَانِق .

أما الرِّض فلتتلمَّ والدُّرَّة ، وللتريِّب والرياضة ، وللتمرين وتمكين العادة ، اذ كان جليله يتقدم دقيقه ، واذا كانت مُقَدِّمَاتُهُ مُرَتَّبَةً ، وطبقات معانيه مُرتَّلَةً ؛ وأما الخَانِق فليُكْفَايَةِ الْمُؤَوَّنَةِ ، ولأنَّ كُلَّ مَنْ التَّقَطَّ كتاباً جامعاً ، وباباً من أمهات العلم مجموعاً كان له غُنْمُهُ ، وعلَّ مؤلِّفه غُرْمُهُ ، وكان له نفعه ، وعلى صاحبه كَدُّهُ ، مع تعرُّضه لمطاعن البُغَاة ، ولاعتراض

(١) الفرم مطبوع الفين : من لم يحرر الأمور - والحاصل الأبله .

(٢) أجرياً : قصدنا .

المنافسين، ومع عرضة عقله المكشود عن العقول النادرة، ومعانيه على الجهادة، وتمكينه فيه المتأولين والحسنة، متى ظفر بمنته صاحب علم، أو هم عليه طائب قلبه. وهو وادع رآفه، ونشيط جام، ومؤلفه مُتَعَب، مكشود. فقد كفى مؤونة جمعه. ونحوه وتبعه، وطالبه. وأغناه ذلك عن طول التفكير، واستغناء العمر. وقيل الحدّ، وأدرك أقصى حاجته. وهو مُجْتَمِع القوة، وعلى أن له عند ذلك أن يعمل بحسومه عليه ضرباً من التوفيق. وظفّره به باباً من التسليد.

(وهذا كتاب) تستوى فيه رغبة الأمم، ونشابه فيه العرب والعجم، لأنه وإن كان عربياً أعرابياً، وإسلامياً جماعياً، فقد أخذ من طرف الفلسفة، وجمع بين معرفة نساج وعده التجربة، وأمرك بين علم الكتاب والسنة، وبين وجدان الحاسة وإحساس التجربة. ويشتهر الفتيان كما يشتهر الشيخ، ويشتهر القانت كما يشتهر الدست. ويشتهر اللاعب ذو اللهو كما يشتهر الإحدى ذو الحزم، ويشتهر الخفل كما يشتهر الأديب. ويشتهر الغني كما يشتهر الفقير؛ وعقبى بحكاية قول العمانية والضَّرارية وأنت تسمعتني أقول في أول كتابي: وقالت العمانية والضَّرارية، وكما سمعتني أقول: وقالت الرافضة والزُّيدية. لحكت على بالنصب لحكايتي قول العمانية. فهنا حكيت على: بتشيع لحكايتي قول الرافضة. وهذا كنتُ عندك من الغالية لحكايتي مُجِيع الغالية. كما كنتُ عندك من الناصبة لحكايتي قول الناصبة. وقد حكينا في كتابنا قول الإباضية والصفيرية، كما حكينا أقوالاً في الزُّرادقة والنجدية، وعلى هذه الأركان الأربعة بُنيت 'خارجية': وكل اسم سواها إنشأ هو فرع ونتيجة واشتقاق منها. ومحول عليها، فهذا كنا عندك من المحكّة 'خارجية'. كما صرنا عندك من الضَّرارية، والناصبية! وكيف رضيت بأن تكون الشيعة إلى أعراض الناس أسرى من المارقة! اللهم إلا أن تكون وجدت حكايتي عن العمانية والضَّرارية أشع وأجمع. وأتم وأحكم وأجود صنعة، وأبعد غاية. ورايتني قد وَهَنْتُ حقاً، ودايتك بقدر ما قويتُ بأصل أعدائك، وكونك ذلك كذلك لكن شاددك من النجس 'خضر'. وبهذا تك من ما أذيعت وأصغ.

وعبثي بكتاب العباسية فهلا عبتني بحكاية مقالة من ادعى وجوب الإمامة ، ومن يرى الامتناع من طاعة الأئمة الذين زعموا أن ترك الناس سُدى بلا قيم أرد عليهم ، وهؤلاء بلا راج أريج لهم ، وأجدر أن يجمع لهم ذلك بين سلامة العاجل ، وغنيمة الآجل ، وأن تركهم نشر لا نظام لهم أبعد لهم من المفاسد ، وأجمع لهم على المراد ! بل ليس ذلك بك ، ولكنه لما بهرك ما سمعت ، وملا صدرك الذي قرأت ، وأهلك وأبترك فلم تنجبه للجنة وهي لك مُرضية ، ولم تعرف المقاتل وهي لك بادية ، ولم تعرف باب المخرج إذ جهلت باب المدخل ، ولم تعرف المصادر إذ جهلت الموارد ؛ ورأيت أن سب الأولياء أشقى لدالك ، وأبلغ في شقاء سُقمك ؛ ورأيت أن إرسال اللسان أحضر لئمة ، وأبعد من النصب ، ومن إطالة الفكرة ، ومن الاختلاف إلى أرباب هذه الصناعة ؛ ولو كنت حين طعنت لعجزك وصلت نقصك بتمام غيرك ، وأستكفيت من هو موقوف على كفاية مثلك ، وحييس على تهويم أشباهك ، كان ذلك أزين في العاجل ، وأحق بالمشوبة في الآجل ، وكنت إن أخطأتك الغنيمة لم تُخطئك السلامة ، ولقد سلم عليك المخالف ، بقدر ما أثبتى به منك الموافق ؛ وعلى أنه لم يُخل منك إلا بقدر ما ألزمت من مؤونة تنقيفك ، والتشاغل بتقويمك ؛ وهل كنت في ذلك إلا كما قال العربي : • وهل يضّر السحاب نبح الكلاب • ؟ وإلا كما قال الشاعر :

هل يضّر البحر أمسى زائرا • أنى رعى فيه غلامٌ بمجر

وهل حالنا في ذلك إلا كما قال الأول :

ما ضرّ ثعلبٌ وائلٌ أجهوتها • أم بليت حيث تتأطع البهران

وقال حسان :

ما أبلى أنيبٌ ما حزن تيس • أم لحاني بظهور غيبٍ لئيم

وما أشك أنك قد جعلت طول إعراضا عنك معلقة لك ، ووجهت حلمنا عنك إلى

النفوف منك ، وقد قال زُفر بن الحارث لبعض من لم يرحق الصفع بفعل العفو سبها

إلى سوء القول :

فَإِنْ عُدْتُ وَإِلَهُ الَّذِي فَوْقَ عَرْشِهِ • مَتَّحْتُكَ مَسُونُ الْفَرَارِينَ أَزْدَقًا
فَإِنَّ دَوَاءَ الْجَهْلِ أَنْ تُضْرَبَ الْعُلَى^(١) • وَأَنْ يُفَمَّسَ الْعَرِيضُ حَتَّى يُفَرَّقَا

وقال الأول :

وَمَا نَقَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ • كَكَيْلٍ وَلَيْسَ جُهَالًا يَجْهَلِ
فَاقْصِ إِذَا حِدَبُوا وَأَحْدَبْ إِذَا قِصُوا • وَوَايَزِ الشَّرِّ مِثْقَالَ يَمْتَدَلِ

وقال الآخر :

وَضَعَايَ دَوَائِيهَا بِضَعَائِي • حَتَّى يَمْتَنَّ بِالْخُسُودِ حُجُودَا
وَأَيُّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي سِتَانُ زُقَرِّ بْنِ الْحَارِثِ، وَلَا مُعَارَضَةُ هَوْلَاءَ : الشَّرِّ بِالشَّرِّ،
وَالْجَهْلُ بِالْجَهْلِ، وَالْحَقْدُ بِالْحَقْدِ. فَإِنْ عِنْدِي مَا قَالَ الْمَسْعُودِيُّ :

قَسَا تَرَابَ الْأَرْضِ مِنْهَا خَلْقُهَا • وَفِيهَا الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْخَيْرِ
وَلَا تَعْجَبْ أَنْ تَرِيحًا قُتِلَا • فَاحْثِي الْأَفْوَامُ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ
فَلَوْ شِئْتُ أَكْذَبْتُ فَيَكُنَا فَيُرْ وَاحِد • عَلَانِيَةً أَوْ قَالَ حَنِيدِي فِي سِتْرِ
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَمُرْ وَلَمْ أَتَّهِ عَنْكَا • ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَلْجُ وَيَسْتَشِيرِي

وقال الثَّيْرِيُّ بْنُ تَوَلَّبَ :

جَزَى اللَّهُ عَنِّي حَمَزَةَ بَنَةِ نُوْفَلٍ • جَزَاءَ مُفْلٍ بِالْأَمَانَةِ كَاذِبٍ
بِمَا خَبَرْتُ عَنِّي الْوُشَاةَ لِيَكْذِبُوا • عَلَيَّ وَقَدْ أَوْلَيْتُهَا فِي النَّوَائِبِ

يقول :. أخرجت خبري إلى من يشتهي أن أعاب عندها .

ولو شئنا لعارضناك من القول بما هو أقبح أثراً، وأبقى وثماً، وأصدق قبلاً، وأعدل
شاهداً، وليس كل من ترك المعارضة فقد صفع، كما أنه ليس كل من عارض فقد انتصر.

(١) العلى : الأعناق .

(٢) العريض : الذي يتعرض للامس بالشر .

(٣) كذا في الأصل ، وفي السناد في مادة لجح : فضا حكت حتى يبلج ويستشيري .

وقد قال الشاعر قولاً إن فهمته كفيتم مؤونة المعارضة ، وكفيت نفسك لزوم العار ، وهو قوله :

إِنْ كُنْتَ لَا تَرْهَبُ ذَنْبِي لِي • تَعْرِفُ مِنْ صَفِيحِي عَنِ الْجَاهِلِ
فَاغْشَ سَكُوتِي أَذِنًا مُنِيعَتًا • فَيْسُكَ لِمُسْجُوعٍ خَنَا الْقَائِلِ
فَالسَامِعُ الْقَمَّ مُقِرٌّ بِهِ • كَالطَّعْمِ الْمَاكُولَ لِلْأَكْلِ
مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا • أَسْرَعُ مِنْ مُنْعِدِّ سَائِلِ
وَمَنْ دَعَى النَّاسَ إِلَى ذَنْبِهِ • ذَقْنُوهُ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ
فَلَا تَنْجُ إِنْ كُنْتَ ذَا لُبٍّ • حَرْبُ أُنْحَى التَّجَرِبَةِ الْعَاقِلِ
فَإِنَّ ذَا الْعَقْلِ إِذَا هَجَّتْ • هَجَّتْ بِهِ ذَا خَبَلٍ خَابِلِ
يُصِرُّ فِي جَاهِلٍ شَذَاتِهِ • عَلَيْكَ غِبُّ الضَّرْرِ الْآجِلِ

وقد يقال : إن العفو يُفسد من النِّيم بقدر إصلاحه من الكريم ، وقد قال الشاعر :

وَالْعَفْوُ عِنْدَ لَيْبِ الْقَوْمِ مَوْعِظَةٌ • وَبَعْضُهُ لِسَفِيهِ الْقَوْمِ تَدْرِيبٌ

فإن تكافد أسناناً في هذا التقرير والتوقيف ، فالذي لم يأخذ فينا بحكم القرآن ، ولا بأدب الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يفرغ إلى ما في الفطن الصحيحة ، أو إلى ما توجبّه المقاييس المطردة ، والأمثال المضروبة ، والأشعار السائرة ، أو إلى الإساءة ، وأحق باللائمة ، قال الله جلّ شأوه : **وَإِذْ يَرْاهِمُ الَّذِي وَفَى** **الَّذِي تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : **"لَا تَجْنِ يَمِيْنُكَ عَلَى شِمَالِكَ"** وهذا حكم الله جلّ وعزّ ، وآدابُ رسوله ، والذي أنزل به الكتاب ، ودلّ عليه في تجميع العقول .

أَخَذَ الْبَرِيءُ بِذَنْبِ الْمَذْنِبِ

ثم قال في أخذ البريء بذنب المذنب : فأما ما قالوا في المثل المضروب ، **"رَمَتْنِي بِذَنْبِهَا وَاتَّسَلْتُ"** . وأما قول الشعراء وذم الخطباء لمن أخذ إنساناً بذنب غيره ، وما ضربوا في ذلك من الأمثال ، كقول الباقية حيث يقول في شعره :

وَكَلَّفَتْنِي ذَنْبَ أَمْرِي وَتَرْكَتْهُ • كَلَّفَتْنِي الْعَرِيْكَوِيَّ غَيْرُهُ وَهُوَ رَاحِعٌ

وكانوا إذا أصاب إليهم المَزْكُورُ السليم ليذهب المَزْعَن السقيم فاستقموا الصحيح من غير أن يُرَيِّروا السقيم ، وكانوا إذا كثُرَتْ إبلُ أحدهم فبغَتْ الألف فقتلوا عينَ الفعل . فإن زادت الإبلُ على الألف قتلوا عينَ الأخرى ، فذلك المُفَقُّ والمُعَيُّ اللذان سمعتَ بهما قال الفرزدق :

غلبْتُكَ بالمُفَقِّ والمُعَيِّ * وبيتَ المجتبي والخافضِ^(١)

وكانوا يزعمون أن المُفَقَّ يَطْرُدُ عنها العينَ والسَّوْفَ والغارة فقال الأول :

فَقَاتُ لَهَا عَيْنَ التَّعْيِيلِ تَعْيِفًا * وفيهِ رَعْلَاءُ الْمَسِيحِ وَالْحَامِ

الرَّعْلَاءُ : التي تُسَقُّ أذنُها وتترك مدلاةً لكرمها .

وكانوا يقولون في موضع الكفارة والأمنية . كقول الرجل إذا بغتْ إبلُ كذا وكذا . وكذلك غشى ذبعتْ عند الأولاد كذا وكذا غيره ، ونَحْتِرَةُ : من سُكِّ الرَّجِيَّةِ ، وجمع عتار ، وعتائر من الشاة ، فإذا بغتْ إبلُ أحدهم أو غنمه ذلك العدد استعمل الأول قول : إِنَّا قُلْتُ : إني أذبح كذا وكذا شاةً ، والظباء : شاة . كما أن الغنم شاة ، فجعل ذلك القربان كله مما يصيد من الظباء ، فلذلك يقول الحارث بن حِزْزَةَ الشَّكْرِيِّ :

عَتَا بِاطِلَا شَدُوخًا كَمَا تُعْدُ * تَرَعْنَ مُجْمَرَةَ الرِّبَيعِ الظُّبَاءُ

بعد أن قال :

أُمَ عَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَفْ * سَمَ غَازِيَسَمَ وَمَا ابْغَزَاءُ

وكانوا إذا أوردوا البقر فلم تشرب ، إما لكثرة الماء ، وإما لقلة العطش . ضربوا النُّوْرَ ليقضم الماء لأش البقر تبعه كما تتبع الشوْلُ التَّفْعَلَ . وكما تتبع أثنُ الوحش الخسارَ ، فقال في ذلك عوف بن الحرير :

تَمَتَّتْ طَيْءٌ جَهْلًا وَجُبْنًا * وَقَدْ حَبِيَّتْهُمْ فَأَبَوْا خِلَافِي

هَجَوْنِي أَنْ هَجَوْتُ جِبَالَ سَلَمَى * كَصَرْبِ الشُّوْرِ لِلْبَقِيَّةِ الظَّمَى

(١) في السواددة «عَدُ» . «نَحْرُ» . (٢) كما في الأصروفي السالف «انغشى» .

بالهاء المجتبي . (٣) أسواف : مرض ذئب . (٤) كما في الأصل وفي السواددة «تَرَعْنَ» و«طَبَا» .

وقال في ذلك أنس بن مُدْرِكة في قتله سُلَيْك بن السُّلَكة :

إِنِّي وَمِثْلُ سُلَيْكَا مِمَّ أَعْقَلُهُ * كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لِمَاعَاتِ الْبَقْرِ
أَهْتِ لِلرَّءِ إِذْ تُنْفِثِي حَلِيَّتَهُ * وَإِذْ يُسَدُّ عَلَى وَجْهَاتِهَا الثَّقَرُ^(٢)

وقال الهيثبان الفهمي :

كَمَا ضُرِبَ الْعُصُوبُ أَنْ طَافَ بِأَقْرُ * وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ الْمَاءَ بِأَقْرُ

ولما كَانَ الثَّوْرُ أَمِيرَ الْبَقَرِ، وَهِيَ تَطِيْعُهُ كَطَاعَةِ إِمَائِثِ النَّحْلِ لِلْعُصُوبِ سَمَاءَ بِأَسْمِ أَمِيرِ
النَّحْلِ .

وكانوا يزعمون أن الْخَنَ هِيَ الَّتِي تَصَدُّ الْبَيْرَانَ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى تُمَسِّكَ الْبَقْرَ عَنِ الشَّرْبِ
حَتَّى تَهْلِكَ ؛ وَقَالَ فِي ذَلِكَ الْأَعْمَى :

وَأِنِّي وَإِنْ كَلَفْتُمُونِي وَرَبِّكُمْ * لَا أَعْلَمُ مَنْ أَمْسَى أَحَقُّ وَأَحْوَا
لِكَالْثَّوْرِ وَالْخَنَى يُضْرَبُ ظَهْرُهُ * وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ الْمَاءَ مَشْرَبَا
وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ الْمَاءَ بِأَقْرُ * وَمَا إِنْ تَعَافَى الْمَاءُ إِلَّا لِتُضْرَبَا

كَأَنَّهُ قَالَ : إِذْ كَانَ يُضْرَبُ أَبَدًا لِأَنَّهُ عَافَتْ الْمَاءَ، فَكَأَنَّهُ إِذَا عَافَتْ الْمَاءَ لَا يُضْرَبُ ؛
وَقَالَ بِحْسِي بْنُ مَنْصُورٍ النَّحْلِيُّ فِي ذَلِكَ :

لِكَالْثَّوْرِ وَالْخَنَى يُضْرَبُ وَجْهَهُ * وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ كَانَتْ الْجَنُّ ظَالِمَةً

وقال نهشل بن جَرِي :

أَتَرَكُ عَارِضَ وَبَنُو عَدِي * وَتَغَرَّمُ دَارِمٌ وَهُمْ بُرَاءُ
كَدَابِ الثَّوْرِ يُضْرَبُ بِالْمَرَاوِي * إِذَا مَا عَافَتْ الْبَقْرَ الظَّهْرُ
وَكَيْفَ تَكَلَّفُ الشَّعْرَى سَيْلًا * وَيَنْهَمَا الْكَوَاكِبُ وَالسَّمَاءُ

(١) في السان : « غضبت » . (٢) في الأصل " وإن " والتصويب عن السان .
(٣) الثغر : السواد الذي في مؤخر السرج .

وقال أبو ثوير بن حُصَيْن حين أَخَذَ الْحَكَمُ بْنُ أَيُّوبَ بِذَنْبِ الْعَطْرُق :

أبا يوسف لو كنت تعلم طاعتي - ونصحتي إذا ما بئسنى بالخلق

ولا ساق سراق العُرَافَة صالِحٌ - يَفِيَّ ولا كُفِّتُ ذَنْبَ السَّطْرُق

وقال خَدَّاشُ بْنُ زُهَيْرٍ حين أَخَذَ بِدِمَاءِ بَنِي مُخَارِبَ :

أَكْلَفْتُ قَتْلَ مَعْبِرٍ لَسْتُ مِنْهُمْ - ولا دارهم داري ولا نصرهم نصري

أَكْلَفْتُ قَتْلَ الْعَيْسِ عَيْسٍ شَوَاحِطٍ - وذلك أمرٌ لم تُكْتَفَ لَهُ قِندَرِي

وقال الآخر :

إذا حَرَكْتَ عَجَلُ بَنَّا ذَنْبَ طَيْرٍ - مرثكاً بَقِيَتِ اللَّاتِ ذَنْبُ بَنِي عَجَلٍ

ولما وجد اليهودي أَخَا حَنِيسِ الشَّيْبَانِي فِي مِزْنَةِ نَخَصَاءِ ثَمَاتٍ ، وَأَخَذَ حَنِيسُ بْنُ عَبْسٍ بِجَنَاحَةِ الْيَهُودِيِّ قَالَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ : أَنَا خَدْنَا بِذَنْبِ غَيْرِنَا - وَتَسَالْنَا الْعَقْلَ - وَالْقَاتِلُ يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ تَيْمَاءَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ قَتَلَهُ هَيْفُ الرِّيحِ لَوَدَّيْتُمُوهُ ، فَقَالَ قَيْسُ بْنُ عَبْسٍ : الْمَوْتُ فِي بَنِي دُبْيَانَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْحَيَاةِ فِي بَنِي عَامِرٍ ، هُمْ أَنَا يَقُولُ :

أَكْلَفْتُ ذَا الْمُخْصِيَيْنِ إِنْ كَانَ ظَالِمًا - وَإِنْ كُنْتُ مَظْلُومًا وَإِنْ كُنْتُ شَاطِئًا

خَصَاءُ أُمْرُؤٍ مِنْ أَهْلِ تَيْمَاءَ طَائِرٍ - وَلَا يَصَدِّقُهُ الْإِنْسِيُّ وَابْخُنْ طَائِرُنَا

فَهَلَا بَنِي دُبْيَانَ أُمُّكَ هَائِلٌ - رَهَنْتَ بَيْتِي الرِّيحَ إِنْ كُنْتُ رَاهِنًا

إِذَا قُلْتُ قَدْ أَفْنَيْتُ مِنْ شَرِّ حَنِيسٍ - إِنَّمَا بَنِي شَرِّهِ مُتَبَايِنَانَا

فَقَدْ جَعَلَتْ أَجَادُنَا تُجْتَوِيكُمْ - كَمَا تُجْتَوِي سُوءُ الْمَضَاءِ الْكَرَازِنَا

ولما قَتَلَ لُقْمَانَ بْنُ عَادَ أَبَتَهُ وَهِيَ مُهْرُ بَنَاتِ تَيْمَانَ قَالَ حين قَتَلَهَا : أَلَسْتُ أَمْرَأَةً ؟

وذلك أَنَّهُ تَرَفَّعَ عِدَّةَ نِسَاءٍ وَكُلُّهُنَّ خَدُّهُ فِي أَهْصَيْنَ ، فَمِنَّا قَتَلَ أَنْعَارَهُ وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ كَانَ

أَوَّلَ مَنْ تَلَقَّاهُ مُهْرُ ابْنَتِهِ ، فَوَسَّطَ عَلَيْهَا فَهَتَّاهَا ، وَقَالَ وَأَنْتِ أَيْضًا أَمْرَأَةٌ ، وَكَانَ قَدْ ابْتُلِيَ أَيْضًا

بِأَنَّ أُخْتَهُ كَانَتْ مُحَقَّقَةً ، وَكَذَلِكَ كَانَ زَوْجُهَا - فَهَاتَتْ لِإِحْدَى نِسَاءِ لُقْمَانَ : هَذِهِ لَيْلَةُ طَهْرِي

وهي ليك، فدعني أتم في مضجعتك، فإن لقمان رجلٌ متعجب، فعسى أن يقع عليّ فأُنجب،
فوقع على أخته فحملت بُلَيم وفي ذلك قول الآخر بن تَوَلَب :

لَقِيمُ بَنُ لَقْمَانَ مِنْ أَخِيهِ • فَكَانَ ابْنُ أَخِي لَهُ وَابْنًا
لَيْلَى حَقٌّ فَاسْتَحْصَنَتْ • طِيَهُ فَفُضِرَ بِهَا مُظْلِمًا
فَأَحْبَلَهَا رَجُلٌ عَمَّكُمُ^(١) • بَلَغَتْ بِهِ رَجُلًا مُحْكَمًا

فضربت العرب في ذلك المثل بقتل لقمانَ بنته مُحْمَرًا فقال خُفَّاف بن تَدْبَةَ في ذلك :
وَعَبَّاسٌ يُدَبُّ لِي الْمَنَايَا • وَمَا أَذْنِبْتُ إِلَّا ذَنْبَ مُحْمَرٍ
وقال في ذلك ابنُ أَذْيَنَةَ :

أَجْمَعُ تَيْسًا مَا بَلِيلَ إِذَا نَأَتْ • وَيَهْرَانَهَا طُلُمًا كَمَا عَلِمَتْ مُحْمَرٌ

وقال الحارث بن عباد :

قَرَّبًا مَرْبُوطِ النِّعَامَةِ مَنَى • لِفَحْتِ حَرْبٍ وَائِلٍ عَنِ حِيَالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُمَاةِهَا عِلْمٌ لَدَى • وَإِنِّي بِمَحْرَمِ الْيَوْمِ صَالِي

وقال الشاعر وأظنه ابنُ المَقْقَع :

فَلَا تِلْكَ الْمَرْءَ فِي شَأْنِهِ • فَوَيْتَ مَلُومٍ وَلَمْ يُذْنِبِ

وقال آخر :

لَعَلَّ لَهُ عَذْرَا وَأَنْتَ تَلُومُ • وَكَمْ لَانَمَ قَدْلَامٌ وَهُوَ مُلِيمٌ

وقال بعض العرب في قتل بعض الملوك سِمْيَارَ الرُّومِيِّ : فَتَنَهُ لِمَا عَلَا الْخَوَرَنَقَ، وَرَأَى
بُنْيَا مَا لَمْ يَرْمَثْهُ، وَرَأَى ذَلِكَ الْمُسْتَشْرِفَ، وَخَافَ إِنَّهُ هُوَ أَسْبَقَاهُ أَنْ يَمُوتَ فَبَيَّنَ مِثْلَ ذَلِكَ
الْبُذْيَانَ لِلْمَلِكِ آخِرِهِ فَأَصْرَبَ بِهِ فَرَمَى مِنْ فَوْقِ الْقَصْرِ فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْكَلْبِيُّ فِي شَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
بعض الملوك :

جزائي جزاه الله شرَّ جزائه • جزاء سفار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البليان سبعين حجة .. يُعلل عليه بالقرايميد والسكب
فلما رأى البليان ثم سحوقه .. وأض كمثل الطود ذي الذاذع الصعب
فقلن سفار به كل حبة • وفاز لديه بلمسدة والقرب
فقال اقذفوا بالمعج من رأس شامي • فذلك لعمرك من أعظم الخطب

وجاء المسلمون يروى خلف عن سلف • وقاب عن سابق • واتجر عن أول • أنهم
لم يختلفوا في عيب قول المجتاج : لأخذن السي بالسي والولي بالولي • وابدأ بالجار •
ولم يختلفوا من لمن شاعرهم حيث يقول :

إذا أخذ البرى بغير جرم • تجنب ما يحذره السقيم

قال : وقيل لعمر بن عبيد إن فلانا ما قتله رجلاً يصيرب عقه قليل له : إنه
مجنون، قال : لولا أن المجنون يد عقلا خلعت سبله • قال فقال عمرو : وما خلق الله الذر
إلا بالحق •

ولما قالت النخيلة للبحاف بن حكيم فوقعة البشر : قصر الله عمادته • وأطال سبده •
وأقل رماده • فواته إن قتلت إلا نساء أسافهن دمي • وأعالي ندى • فقل لمن حوله : لولا
أن تلد هذه مظهر خلعت سبلها • بلغ ذلك أحسن فقال : يا أبحاف جحوة من نار جهنم •
قال ودم رجل عند الأحنف بن قيس الكفاة بالسمن • فقال عند ذلك الأحنف : رب
مكرم لا ذنب له • فهذه أسيرة سرت فينا • وما أحسن ما قال سعيد بن عبد الرحمن
ابن حسان :

وإن أمر أيمى وبصيح سالما • من الناس إلا ما جنى سعيد

وقلت : وما بال أهل العلم والنظر • والمحباب الفكر والعبر • ورب النحل • وتعلماء
بخارج الملل • وورثة الأنبياء • وأعوذ انظما • يكتبون كتب النقرة • والمناه • وكتب
الفراغ • ونظماء • وكتب المذهي • وتكاذب • وكتب المحباب • لحصومات والمراء • وكتب

أصحاب العصبية، وحمية الجاهلية، حتى كأنهم لا يحاسبون أنفسهم، ولا يوازنون بين ما عليهم ولم، ولا يخافون تصفح العلماء، ولا لائمة الأدباء، وشنف الأكفاء، ومساءة الجلساء؛ فهلاً أمسكت رحمك الله من عينا، والطن عليها، وعن المشورة والموعظة، وعن تخويف ما فيه سوء العاقبة الى أن تبلغ حال العلماء، ومراتب الأكفاء .

أقسام البيان

وبعد أن تكلم في تسميم العالم الى ثلاثة أقسام، وذكر أقسام الحيوان ، قال في أقسام البيان :

ووجدنا الحكمة على ضربين : شئٌ جُمِلَ حِكْمَةً وهو لا يعقل الحِكْمَةَ ولا عاقبة الحِكْمَةِ ، وشئٌ جُمِلَ حِكْمَةً وهو يعقل الحِكْمَةَ وعاقبة الحِكْمَةِ ، فاستوى بَدَنُ الشَّيْءِ العاقل وغير العاقل في جهة الدلالة على أنه حِكْمَةٌ ، واختلفا من جهة أن أحدهما دليلٌ لا يَسْتَدِلُّ ، والآخر دليلٌ يَسْتَدِلُّ ، فكلُّ مُسْتَدِلٍّ دليلٌ ، وليس كلُّ دليلٍ مُسْتَدِلًّا ، فشارك كلُّ الحيوان سوى الإنسان جميع الجسد في الدلالة وفي عدم الاستدلال ، واجتمع للإنسان بأن كان دليلاً مُسْتَدِلًّا ، ثم جُمِلَ لِلسْتَدِلِّ سَبَبٌ يَدُلُّ به على وجوه استدلاله ، ووجوه ما نتج له الاستدلالُ ، وتمتوا ذلك يساهياً ، وجعل ذلك البيان على أربعة أقسام : لفظي وخط وعقد وإشارة ، وجعل بيان الدليل الذي لا يَسْتَدِلُّ تَمَكِّنُهُ المُسْتَدِلُّ من نفسه واقتياده كلَّ مَنْ فُكِّرَ فيه الى معرفة ما اسْتُخِزِنَ من البرهان، وحُشِيَ من الدلالة، وأودع من عجيب الحكمة؛ فالأجسامُ الخُرُسُ الصامتةُ ناطقةٌ من جهة الدلالة ، ومُعْرِبَةٌ من جهة صحة الشهادة ، على أن الذي فيها من التدبير والحكمة تلوحان لمن استبحرهما . وينطقان لمن استنطقهما كما يبحر الهزال وتمود اللون عن سوء الحال، وكما ينطق السَّمْنُ والنصرة عن حسن الحال، وقد قال الشاعر :

فاجوا فائتوا بالذي أت أهلُه . ولوسكتوا أثنت عليك الحقائق

وقال آخر :

مَتَى تَكُنْ في عدوٍّ أو صديقٍ . تحبرك العيون عن القلوب

وقد قال العُكْلَى في صدق شمه الذئب ، وفي شدة حسه وآسرواحه :

يَسْتَعْرِضُ الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ * بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا الْمُوَجِّ

وقال عترة وهو يصف نعيمَ غراب :

حَرِّقِ الْجَنَاحَ كَانَ لِحْيَ رَأْسِهِ * جَلَامَانِ بِالْأَخْبَارِ هَتَّ مُوَجِّ

وقال الفضل بن عيسى بن أبان في قصيدته : سئل الأرض قلل : من شق أنهارك .

وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ؛ فإن لم تجب حوارا . أجابك اعتبارا . فوضوع الجسم ونصته دليل على ما فيه . وداعية إليه ومنتبة عليه . فالجهد الأكبر الأخرس من هذا الوجه قد شارك في البيان الإنسان الحي الناطق ؛ فمن جعل ألسنة آييان حصة فقد ذهب أيضا مذهبا له جواز في اللغة . وشاهد في العقل . فهذا أحد قسمي الحكمة . وأحد معني ما استخزنها الله تعالى من الودعة .

القسم الآخر ما أودع صدور صنوف مائر أخوان من ضروب المعرفة . وفكرها

على غريب الهندايات ، ويحترح حارجه أنه بضرب النغم الموزونة ؛ والأصوات الملتحنة ، والمخارج التسجية ، والأغاني المطربة . فقد يدل : إذ جمع أصوتها معدنة . وموروثة موثقة . ثم الذي سهلها من تروق العجيب في صنعة مدونه الله تعالى لتأثيرها وأحكامها .

وكيف فتحها من باب المعرفة على قدر ما هيها من الحكمة . وكيف أعطى كثير منها من الحسن اللطيف ؛ والصنعة البديعة عن غير أدب وتشنيف . وعن غير تقويم وتغني ، وعن غير تدريج وتمرين ؛ فبعت بفوقها ومقدار قوى بصرتها من جسيه والارتجان . ومن

الابتداء والاقتضاب ، ما لا يقدر عليه حذائق وحل الرأي ، وفلاسفة علمه البشر يسير ولا آلة ، بل لا يبلغ ذلك من الناس أكملهم خصالا . وثمهم حلالا . من جهة الارتجان

والاقتضاب ولا من جهة التسلف والاقتدار . ولا من جهة التقديم فيه . ولتلقى له .

والترتيب لمقدماته . ويمكن أن يسبب المنفعة عنه فصار جهرا الإنسان الشافع حاسا ،

الجامع القوى . المنتعز في وجوده مستغنى في ذاته . ويجرس عن عتو كثير منه . وينظر إلى غفر

الى ضرور ما يهيئ منها كما أُعطيَت المنكوت ، وكما أُعطيَت السُرقة ، وكما عُلِّمَ النمل ، بل عَرَفَ التَّوَتُّطَ من بديع المعرفة ، ومن غريب الصنعة في غير ذلك من أصناف الخلق ثم لم يوجد لهم العجز في أنفسهم في أكثر ذلك إلا عما قوى عليه الممَّجَّ والحشَّاش وصغار الحشرات ، ثمَّ جعل الإنسان ذا العقل والتمكين ، والاستطاعة والتصرف ، وذا التكلف والتجربة ، وذا التآني والمنافسة ، وصاحب الادخار والمتفقد لشان العاقبة متى أحسن شيئا كان كلُّ شيءٍ دونه في الغموض عليه أسهل ، وجعل سائر الحيوان وإن كان يُحسِّنُ أحدها ما لا يُحسِّنُ أحذقُّ الناس متى أحسن شيئا عجيا لم يمكنه أن يُحسِّنَ ما هو أقرب منه في الظن ، وأسهل منه في الرأي ، بل لا يحسن ما هو أقرب منه في الحقيقة ، فلا الإنسان جعل نفسه كذلك ، ولا شيء من الحيوان اختار ذلك ، فأحسَّنت هذه الأجناس بلا تعلم ما يتمتع على الإنسان ، وإن تعلم فصار لا يحاوله اذ كان لا يطمع فيه ، ولا يحسدها اذ كان لا يأمل الخالق بها ، ثم جعل تملُّ وعزَّ هاتين الحكمتين إزاء عيون الناظرين ، ونجاء أسماع المعتبرين ، ثم حثَّ على التفكير والاعتبار ، وعلى الاعتباط والأزدجار ، وعلى التعزف والتبني ، وعلى التوقف والتذكر ، فجعلها مذكِّرةً منبهةً ، وجعل الفطر تنشئ الخواطر ، وتجول بأهلها في المذاهب ، ذلك رب العالمين ، سبحان الله رب العالمين .

وهذا كتاب موعظة وتعريف ، وتفقيه وتنبه ، وأراك قد عبثته قبل أن يتقف على حدوده ، وتنفكر في فصوله . وتذكر آخره بأوله ، ومصادره بموارده ، وقد غلطك فيه بعض ما رأيت في أشائه من مزيج لم تعرف . عانيه ، ومن بطلالة لم تترك غورها ، ولم تدبر لم أجعلت ولا شيء علة تكلفت ، وأى معنى أريخ بها ، ولأى جد أحتمل ذلك الهزل ، ولأية رياضة نجشمت تلك البطالة ، ولم تدبر أن المزاح جد اذا اجتلب لأن يكون علة للجد ، وأن البطالة وقار وزمانه اذا تكلفت لتلك العاقبة ، ولما قال الخليل بن أحمد : لا يصل أحد من علم النحو الى ما يحتاج اليه حتى يتعلم ما لا يحتاج اليه ، قال أبو شمر : اذا كان لا يصل الى ما يحتاج اليه إلا بما لا يحتاج اليه فقد صار ما لا يحتاج اليه يحتاج اليه ، وذلك

مثل كتابنا هذا، لأننا إن حللنا جميع من يتكلف قراءة هذا الكتاب على مر الحق، وصعوبة الجهد، ونفل المؤونة وحقيقة الوقاء، لم يصبر عليه مع طوله إلا من قد تجرد للعلم وفهم معناه. وذاق من ثمرته، واستشعر من عزه، ونال من سروره على حسب ما يورث الطول من الكد، والكثرة من السآمة، وما أكثر من يقاد إلى حفظه بالسواجير، والسوق العنيف، وبالإخافة الشديدة.

مدح الكتب

ثم ذكر فقرات حسناً في مدح الكتب فقال :

ثم لم أرك رضية بالطن على كل كتاب لي بعينه، حتى تجاوزت ذلك، إلى أن عثت وضع الكتب كيفما دارت بها الحال، وكيف تصرفت بها الوجوه، وقد كنت أعجب من عيبك البعض بلا علم، حتى عبت الكل بلا علم، ثم تجاوزت ذلك إلى التشنيع، ثم تجاوزت التشنيع إلى نصب الحرب، فعبت الكتاب ونعم الذخر والعدة. ونعم الجليس والعمدة، ونعم النقوة والزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس ساعة الوحدة، ونعم المصرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والتزيل، والكتاب وعاء من علم، وفكر فحشى خرفا. وإنهاء شجن مزاجا ووجدان. إن شئت كان أبين من سحبان وانيل، وإن شئت كان أعيان باقل، وإن شئت صحت من بواده. وإن شئت عجت من غرائب فوائده، وإن شئت أملك نوايده. وإن شئت عجت مواعظه. ومن لك بواعظ مله. وبزاجر مغر، وبنايك فاك. وبناطي أنرس، وبنايد حار، وفي البارد الحار يقول الحسن بن هانئ :

قل زهير إذا آتني وشدا - أقلل أو أكثر فنت مهندرا
سكنت من شدة البرودة حتى صرت عني كنت النار
لا يجيب السامعون من مني ، كذلك الثلج بارد حار

وَمَنْ لَكَ طَبِيبٌ أَعْرَابِيٌّ ، وَبَرْمِيٌّ هِنْدِيٌّ ، وَبِفَارِسِيٍّ يُونَانِيٌّ ، وَبِقَدِيمٍ مَوْلَدٌ ،
وَبِمِيتٍ رَمَعٌ ، وَمَنْ لَكَ بَشِيٌّ ، يَجْعَلُ لَكَ الْأَقْوَلَ وَالْآخِرَ ، وَالنَّاقِصَ وَالْوَافِرَ ، وَالْخَفِيَّ وَالظَّاهِرَ ،
وَالشَّاهِدَ وَالغَائِبَ ، وَالرَّفِيعَ وَالْوَضِيعَ ، وَالْفَتْحَ وَالسَّمِينَ ، وَالشَّكْلَ وَخِلَافَهُ ، وَالْجُلُوسَ وَضِدَّهُ .
وبعد ، فَمَنْ رَأَيْتَ بَسْتَانًا يَجْمَلُ فِي رُؤْيَا ، أَوْ رَوْضَةً تَتَقَلَّبُ فِي حِجْرٍ ، وَاطْلُقَا يَنْطَلِقُ عَنْ
الْمَوْتِ ، وَيُتَرَجِمُ كَلَامُ الْأَحْيَاءِ ، وَمَنْ لَكَ بِمُؤْنِسٍ لَا يَتَامُ إِلَّا بِمَوْتِكَ ، وَلَا يَنْطَلِقُ إِلَّا بِمَا
تَهْوَى . آمَنَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَكْتَمَ لِلسَّرِّ مِنْ صَاحِبِ السَّرِّ ، وَأَضْبَطَ لِلْوَدِيعَةِ مِنْ أَرْبَابِ
الْوَدِيعَةِ ، وَأَحْفَظَ لِمَا اسْتَحْفَظَ مِنَ الْأَمِينِ ، وَمِنَ الْأَعْرَابِ الْمَعْرِينِ ، بَلْ مِنْ الصَّبِيَّانِ
قَبْلَ اعْتِرَاضِ الْأَشْغَالِ . وَمِنَ الْعُمَيَّانِ قَبْلَ التَّمَتُّعِ بِتَمَيُّزِ الْأَمْثَلِ ، حِينَ الْعَنَاءُ نَاقِمٌ لَمْ تَنْقُصْ ،
وَالْإِذْهَانُ فَارِغٌ لَمْ تَقْتَنِمِ ، وَالْإِرَادَةُ وَافِرَةٌ لَمْ تَسْتَبِ ، وَالطَّيْنَةُ لَيْتَةٌ فَهِيَ أَقْبَلُ مَا تَكُونُ لِلطَّاعِ ،
وَالْقَضِيبُ رَطْبٌ فَهُوَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنَ الْعُلُوقِ ، حِينَ هَذِهِ الْخِلَاصُ لَمْ يَسْلُ جَدِيدُهَا ،
وَلَمْ يَفْلُ غَرَبُهَا ، وَلَمْ تَتَفَرَّقْ قُوَاهَا ، وَكَانَتْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

أَنَا فِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى • فَمَصَادِفُ قَلْبِي فَارِغًا فَتَمَكَّنَا
وَقَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّبِيبِ :

لَا تَأْتِنَا قَوْمًا يَسْتَبِ صَبِيهِمْ • بَيْنَ الْفَوَائِلِ بِالْمَدَاوِي يُنْتَبِعُ .
هَذَا مَعَ قَوْلِهِ : التَّعَلُّمُ فِي الصِّغَرِ كَالْقَشِّ فِي الْحَجَرِ ، وَقَالَ جِرَانُ الْعَوْدِ :
تُرْكَنُ بِرِخْلَةِ الرُّوحِ ، حَتَّى • تَكُونُ الدِّيَارُ عَلَى الْبَصِيرِ
كَوَحْيٍ فِي انْجِمَارَةِ أَوْ وَشُورِ • بِأَيْدِي الزُّوْمِ بَاقِيَةِ التَّوَرِ
الْثَّوَرِ : شَيْءٌ كَانَ يُسَمَّى فِي الْخَطَايَةِ مِثْلَ احْصَرَةِ الْيَوْمِ .

وَقَالَ آخَرُهُ وَهُوَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقَدُوسِ :

وَمَاتَ مَنْ أَذْبَتَهُ فِي الْعَبَا • كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرَمِهِ
حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا أَخْصَرَ • بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُسِّهِ

(١) كَمَا فِي الْأَصْلِ ، وَلَهَا : « خَبَلٌ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَمِيرَةٌ » وَهُوَ خَطَأٌ سِوَاهُ مَا أَتَيْنَاهُ مِنَ الشَّرِّ وَالشَّرَاءِ لِأَنَّ هَيْبَةَ .

وقال آخر :

يقوم من ميل الغلام المؤدب . ولا ينفع التأديب والرأس أشيب

وقال آخر :

أدبْتُ عِرسى بعد ما هيرمت . ومن العناء رياضة الميرم

وقد قال ذو الرقة لميسى بن عمر : اكتبْ شعري فالكتابُ أحجب نلى من الحفظ ،
إن الأعرابُ ينسى الكلمة قد سهرت في طلبها ليلة ، فيضع في موضعها كلمة في وزنها
ثم يُشدها الكس ، والكتابُ لا ينسى ، ولا يُبدل كلاماً بكلام ،

وجبت الكتابُ ولا أعلم جارا أبز ، ولا خليطاً أنصف . ولا رفيقاً أطوع ، ولا معماً
أخضع . ولا صاحباً أظهر كفاية ، ولا أقلّ جناية . ولا أقلّ إملالا وإبراما . ولا أقلّ
خلاقا وإبراما . ولا أقلّ غيبة ، ولا أبعد من غيبة . ولا أكثر أجوبة وتصرفا ، ولا أقلّ
صلفاً وتكلفاً ، ولا أبعد من وراء . ولا أكثر شغب ، ولا زهداً في حديث . ولا أكف
عن قتال ، من كتاب ، ولا أعلم قريباً أحسن موئادة ، ولا أعجل مكافأة . ولا أحضر
عمونة ، ولا أخف مؤونة . ولا شجرة أضول عُمرها . ولا أجمع أمراء ، ولا أطيب ثمرة .
ولا أقرب نجوى . ولا أسرع إدراكا ، ولا أوجد في كل إبان من كتاب ، ولا أعلم نتائجاً
في حدائث سنه ، وقرب ميلاده . ورخص نميه ، وإمكان موجوده ، يجمع من التداير
العجبية ، والعلوم الغريبة . ومن آثار العقول الصحيحة ، ومجود الأذهان اللفيضة ، ومن
الحِكْمِ الزفيفة . والمذاهب القديمة . والتجارب الحكيمة . ومن لأخبار عن القسرون
المناضية . والبلاد المتراخية . والأمثال السائرة . والأمر البائدة ما يجمع لك الكتاب .

وقد قال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام : : اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ
وَالْقَلَمَ . وصف نفسه تبارك وتعالى حده بأن علم بالقلم . كما وصف نفسه بالنكرم ، وأخذت
ذلك في نعيمه العظام ، وفي أياديه الجسام . وقد قالت : القلم أحد اللسانين .
وقالوا : كل من عرّف فضل النعمة في بيان الإنسان كان بفضل النعمة في بيان القلم

أصرف ، ثم جعل هذا الأمر قرآناً ، ثم جعله في أول الترتيل ، ومستفتح الكتاب ، ثم أعلم - يرحمك الله تعالى - أن حاجة بعض الناس إلى بعض صفة لازمة لطبائعهم ، وحلقة قائمة في جواهرهم ، وثابتة لا تزالهم ، ومحيطة بجماعتهم ، مشتملة على أديانهم وأقاصيهم ، وحاجتهم إلى ما غاب عنهم ، مما يعيشهم ويحييهم ، ويأخذ بأرماقهم ، ويصلح بهم ، ويجمع شملهم ، وإلى التعاون على ذلك ، والتوازر عليه كحاجتهم إلى التعاون على معرفة ما بحضرتهم ، والتوازر على ما يحتاجون من الارتفاق في أمورهم التي لم تنب عنهم ، لحاجة الغائب موصولة بحاجة الشاهد ، لاحتياج الأدنى إلى معرفة الأقصى ، واختلال الأدنى إلى معونة الأقصى ؛ معاني متضمنة ، وأسباب متصلة ، وحبال متينة ، وجعل حاجتنا إلى معرفة أخبار من كان قبلاً حاجة من كان قبلاً إلى أخبار من كان قبلهم ، وحاجة من يكون بعدنا إلى أخبارنا ، ولذلك تهذمت في الكتب البشارات بالرسول ، ولم يستغر لهم جميع خلقه إلا وهم يحتاجون إلى الارتفاق بجميع خلقه ، وجعل الحاجة حاجتين : إحداهما قوام وقوت ، والأخرى لذة وإمتاع ، وأزدياد في الآلة ، وفي كل ما أجلل النفوس ، وجمع لهم العباد ، وذلك المقدار من جميع الصنفين وفق لكثرة حاجتهم وشهواتهم ، وعلى قدر اتساع معرفتهم ، وسد غورهم ، وعلى قدر احتمال طبع البشرية ، وفطرة الإنسانية ، ثم لم يقطع الزيادة عنهم إلا لسجراتهم عن احتمالها ، ولم يحز أن يفزق بينهم وبين العجز إلا بسدم الأعيان ، إذا كان المعجز صفة من صفات الخلق ، ونعنا من نعوت العبيد ، ولم يخلق الله تعالى أحداً يستطيع بلوغ حاجته بنفسه دون الاستعانة ببعض من تخفله ، فآذناهم مسخر لأفصاحهم ، وأجلهم ميسر لأدقهم ، وعلى ذلك أحوج الملوك إلى السوق في باب ، وأحوج السوق إلى الملوك في باب ، وكذلك الفنى والفقير ، والعبد ومسيده .

ثم جعل الله تعالى كل شيء للإنسان خولاً وفي يده مَدَلاً ميسراً ، إما بالاحتياج له ، والتلطف في إراسته وأستمالته ، إما بالسهولة عليه والفتك به ، وإما أن يأتيه سهواً ورهواً ، وعلى أن الإنسان لولا حاجته إليها لما احتال لها ، ولما صال عليها ، إلا أن الحاجة تفتقر

في الجنس والجهة، وفي الخط والتقدير، ثم تعبد الإنسان بالفكر فيها. والنظر في أصولها وبالاجتناب بما يرى، ووصل بين عقولهم، وبين معرفة تلك الحكم الشريفة، وتلك الحاجات اللازمة بالنظر والتفكير، والتتبع والتقدير، والتثبت، والتوقف، ووصل معارفهم بمواقع حاجاتهم اليها، وتساعرهم بمواضع الحكم فيها بإيثار عنها، وهو البيان الذي جعله الله تعالى سببا فيما بينهم، ومُعبرا عن حقائق حاجاتهم. ومُعروفا بمواضع سُد الخلق، ودفع الشبهة، ومُدأوة الحيرة؛ ولأن أكثر الناس عن الناس أنهم منهم عن تشابيح المفصلة. والأجسام الباطنة، والأجرام الساكنة التي لا يُتعارف فيها من دقائق الحكم وكنوز الأدب. وينابيع العلم، آلا بالعقل اللطيف الناقب، وبالنظر الناعم الذوق. وبالإشارة الكامنة، وبالأشياء الوافرة، والصبر على مكروه الفكر، والاحتراز من رجوع الخلق. والتحفيز من دواعي الهوى، ولأن الشكل أنهم عن شكله وأمكن إليه وأصب به. وذلك موجود في أجناس البهائم وضروب السباع، والنهي عن النهي فهم وله آلف. وإليه تنزع. وكذلك العالم والعالم، والباطل والباطل، وقال الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام: **يَرْوُفُونَ عَلَيْهِ مَلَكًا بَلَّغَ لَهُ رَحَلًا**. لأن الإنسان عن الإنسان أهمه. وطبائع بطباعه أنس. وعلى قدر ذلك يكون موقع ما يسمع منه، ثم يرض من البيان ثم يصنف واحداً بل جمع ذلك ولم يفرق، وكثير ولم يقل. وأظهر ولم يخف. بعلم أصناف البيان التي بها يتعارفون معانيهم، والترجمان الذي إليه يرجعون عند اختلافهم في أربعة أشياء وفي خمسة حركات. وإن قصصت عن بلوغ هذه الأربعة في جهاتنا، فقد تكلم بحسنه الذي وضع له. وصرف إليه.

وهذه الخصال الأربع : هي اللفظ والخط والإشارة والعقد، وتخصلة الخمسة : ما أوجد من صحة الدلالة، وصدق الشهادة، ووضوح البرهان في الأجرام الباطنة الصامتة. والساكنة الثابتة، التي لا تتس ولا تنهم، ولا تحس وتتحرك إلا بداخل دخل عليها. أو عند لمسك خلى عنها بعد تهيبه كان لها، ثم قسم الأقسام، ورتب المحسوسات، وحصل

الموجودات ، بفعل اللفظ السامع ، وجعل الإشارة للناظر ، وأشرك بين الناظر واللامس ، في معرفة المقدّر إلا بما فضل الله به نصيب الناظر في ذلك على نصيب اللامس ، وجعل الخط دليل على ما غاب من حوائجه عنه ، وسببا موصولا بينه وبين أعوانه ، وجعله خازنا لما لا يأمن نسيانه مما قد أحصاه وحفظه ، وأتمته وجمعه ، وتكلف الإحاطة به ، ولم يعمل للشام والذائق في ذلك نصيبا .

ولولا خطوط الهند لضاع من الحساب الكثير البسيط ، ولبطلت معرفة التضاضيف ، ولعبدوا الإحاطة بالباورات ، وباورات الباورات ، ولو أدركوا ذلك لما أدركوه ألا بعد أن تنظف المؤونة ، وتنقص المنة ، ولصاروا الى حال معجزة وحُصور ، والى حال مضیعة وكلال حدّ ، مع التشاغل بأمور لولا فقد هذه الآلة لكلف أريج لهم ، وأردّ عليهم أن يصرفوا ذلك الشغل في أبواب منافع الدّين والدنيا ، وتقع الحساب معلوم ، والخلقة في موضع قدّره معرفة ، قال الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَيْهِ عَلِيمٌ ﴾ ثم قال : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ ﴾ وبالبيان عرّف الناس القرآن ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّ وَالْحِسَابِ ﴾ فأجرى الحساب مجرى البيان وألحق البيان بالقرآن ، ومُحْسَبَانِ منازل القمر عرفنا حالات المَدَد والجَزْر ، وكيف تكون الزيادة في الأهلة وأنصاف الشهور ، وكيف يكون التقصان في خلال ذلك ، وكيف تلك المراتب وتلك الأقدار .

ولولا الكُتُب المدونة ، والَاخْبَار المُخلّدة ، والِحِكْم المخطوطة التي تمحصّر الحساب وغير الحساب ، لبطل أكثر العلم ، ونظب سلطان النسيان سلطان الذكر ، ولما كان للناس مَفَرٌّ الى موضع استذكار ، ولو تم ذلك لحُرِمْنَا أكثر النفع ، اذ كما قد علمنا ان مقدار حفظ الناس لمواجل حاجتهم وأواجلها لا يبلغ من ذلك مبلغا مذكورا ، ولا يفي فيه غناء محمودا ، ولو كُلف عامة من يطلب العلم ، وَيَصْطَنِع الكُتُب ، ألا يزال حافضا فيهرس كُتُبُه لا يحجزه ذلك ، وَلَكُف شَطَطًا ، وَلَشَغْلَه ذلك عن كثير مما هو أولى به ، فقهكم

لمعانى كلام الناس ينقطع قبل انقطاع قَهْم مَعْنِ الصوت مجزأ ، وأبعد فهمك لصوت صاحبك وهما ملك ، والمعاون لك ما كان صياحا جرفا . وصوتا مضمنا . ونداء خائفا . ولا يكون مع ذلك ألا وهو بعيد من المفاهمة . وعص من ابدانة ، بفعل الله جل وعز اللفظ لأقرب الحاجات ، والصوت لأنفس من ذلك قبلا . ولكتاب لنا نخرج من حاجات .

فأما الإشارة فأقرب المفهوم منها رفع الحواجب ، وكسر الأجنح ، ونشغف . وتحريك الأعناق ، وقبض جذة الوجه ، وأبعدها أن تنوى بنوب على مقطع جبل فجاءه عين الناظر ، ثم ينقطع عملها . ويُدْرُس أثرها . ويموت في كرها . ونصير بعد كل حي فصل عن آتيا مدة الصوت ، ومتمى الضرب في الحاجة . إلى التفاهم بخصوصه والكتاب . ذى ثغره عظم . وأى مرفق أعون من الخط . وإحاط فيه كما ذكره !

وليس للعقد حظ الإشارة في بعد الغاية . ولا للانتارة حظ الخط في بعد الغاية . فلذا وضع الله عز وجل القم في الشكان الربيع . وقوه بذكره في المنصب الشريف حين قال : **إِنِّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** فاقسم بالعلم كما أقسم بما يحفظ بالقد . إذ كان الإنسان لا يتعاضى شأوه . ولا يشق خبره . ولا يحوى في حتمه . ولا يتكلف به غيته . ولكن ت كانت حاجات الناس بالحضرة أكثر من حاجته في . إثارته كي . وكانت الحاجة إلى بيان اللسان حاجة دائمة زايدة ، وراهنة زبنة ، وكنت الحاجة إليه قديمة هرا بكون في لفيه وعند النائم . ألا ما حقت به السواير ، فإن لم يقد . له . له . وقوه عزه . فلذا فتموا الإنسان على قديمه ، فساد أن ت هوى . مع آية ومواقع آتى فيه . وحجبت التي تبغها ، في ذلك حظها وقسطها من منافع الإثارة . ثم تصبها في تهويم القم . ثم حفظها في التصوير ، ثم حفظها في الصناعات ، ثم حفظها في العقد ، ثم حفظها في الدفع عن النفس ، ثم حفظها في إيصال الطعام والشراب إلى القم ، ثم التوصل ولا ميساح . ثم آتت الذنير والذمير . ثم لمس الثياب ، وفي الدفع عن النفس أصناف الرمي ، وأصناف الضرب . وأصناف الضمن . ثم الضرب الثمن بالعود وتحريك الوتر ، ولولا ذلك لبطل الطرب كله أو عامته ، وكيف

لا تكون كذلك ولما ضرب الطبل والدَّفَّ وتحريك الصفاقتين ، وتحريك عُقارق نحروق المزامير ، وما في ذلك من الإطلاق والحبس ؛ ولو لم يكن في اليد ألا إمساك العينان والزمَامِ والخطام ، لكان ذلك من أعظم الحفظوظ .

وقد اضطربوا في الحكم بين العقْد والإشارة ، ولولا أنَّ مَفْزانا في هذا الكتاب سوى هذا الباب لقد كان هذا مما أحبَّ أن يعرفه إخواننا وخطاؤنا ، ولا ينبغي لنا أيضا أن نأخذ في هذا الباب من الكلام ألا بعد الفراغ مما هو أوَّلُ بنا منه ، إذ كنتَ لم تنازعني ، ولم تسب كُتُبِي من طريق فضل ما بين العقْد والإشارة ، ولا في تمييز ما بين اللفظ وبينهما ؛ وأنما قَصَدْنَا بكلامنا الى الإخبار عن فضل الكتب .

والكتاب هو الذى قيّد على الناس كُتُبَ عِلْمِ الدين ، وحساب الدواوين ، مع خِصَّة ثقله ، وصغر حجمه ، صامت ما أسكته ، وبلغ إذا أسنتطقته ، ومن لك بمُسامر لا يتبدُّك في حال شُغْلِكَ . ويدعوك في أوقات نشاطك ، ولا يهوجُّك الى التجمُّل له ، والتذم منه ؛ ومن لك بزائر أن شئت جعل زيارته غِبا ، ووُروته نخسا ؛ وأن شئت لزِمك لزوم ظِلِّكَ ، فكان منك مكان بعضك .

والعلم مُكْتَفٍ بنفسه ولا يحتاج الى ما عند غيره ، ولا بد ليان اللسان من أمور ، منها : إشارة اليد ، ولولا الإشارة لما فهموا عنك خاص الخاص ، اذا كان أخص الخاص قد يدخل في باب العام ، ألا أنه أدنى طبقاته ، وليس يكتفى خاص الخاص باللفظ عما أدناه ، كاكْتفاء عام العام ، والطبقات التى بينه وبين أخص الخاص .

والكتاب هو الجليس الذى لا يُطْرِكُ ، والصديق الذى لا يُفْرِكُ ، والرفيق الذى لا يَمْلِكُ ، والمستمع الذى لا يَسْتَرِيدُكَ ، والجار الذى لا يَسْتَبْطِئُكَ ، والصاحب الذى لا يريد أستخراج ما عندك بالملق ، ولا يعاملك بالمكر ، ولا يخدمك بالتفاق ، ولا يخال لك بالكذب .

والكتاب هو الذى إن نظرت فيه أطال إنشائك، وشهد طباكت، وبسط لسانك،
وجود بسانك، ونغم أفاعلك، ويصح فضك، وعمر مسدرك، ومنحك تعظيم العوام،
وصداقة الملوك، وعرفت به فى شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال فى دهر، مع السلامة
من الفرم، ومن كد الطلب، ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم. وبالجلوس بين يدي من
أنت أفضل منه خلقا، وأكرم عرفا، ومع السلامة من مجالسة البغضاء، ومقارنة
الأغبياء.

والكتاب هو الذى يطيعك بالليل كطاعته بالنهار، ويطيعك فى السفر كطاعته فى الحضر،
ولا يعتل بنوم، ولا يعتريه كلال السهر، وهو المعلم الذى إن آفقت لم يتغيرك. وإن
قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة. وإن عزلت لم يدع طاعتك. وإن هبت ريح
أعدائك لم يقلب عليك؛ ومتى كنت منه متعلقا بسبب، أو متعصما بأذى حيل. لم تضطرك
معه وحشة الوحدة إلى جليس سوء؛ ولو لم يكن من فضله عليك، وإحسانه أتيك،
إلا تمتعك لك من الجلوس على بابك، والنظر إلى المسألة بك، مع ما فى ذلك من انتمى
لحقوق التى تلزم، ومن فضول النظر، ومن عادة الخوض فيما لا يعينك. ومن ملاهية
يسغار الناس، ومن حضور أفاضلهم الساقطة، ومعانيهم الفاسدة. وأحلافهم الرديئة.
وجاهلاتهم المذمومة، لكان فى ذلك السلامة ثم القيمة، وحرار الأصل مع استعادة الفرع.
ولو لم يكن فى ذلك إلا أن يشغلك عن تخلف المني، وعن اعتياد الراحة. وعن اللب.
وكل ما أشبه اللعب. لقد كان فى ذلك على صاحبه أسير النعمة. وعظم المنفعة؛ وقد عاينا
أن أمثل ما يقطع به الفزع نهارهم، وأصحاب الفكاهات ساعات ليالهم، هو الشئ الذى
لا ترى له فيهم مع النيل أثر فى ازدياد فى تجربة ولا فى عقل، ولا فى مروءة ولا فى صوت
عزم، ولا فى إصلاح دين، ولا فى تغيير مال، ولا فى تربية صنيعة. ولا فى ابتداء بإنعام.

قال أبو عبيدة قال المهلب لبنيه فى وصيته : يا بني لا تحفوا فى الأسواق إلا على

زاد أو وراق.

وحديثي صديق لي قال : قرأت على شيخ شامي كتابا فيه ما أثر عطفان ، فقال لي :
 نعت المكارم إلا من الكتب ؛ وميمت الحسن اللؤلؤى يقول : عبرت أربعين عاما
 ما قلت ولا بيت التكاثر إلا والكتاب موضوع على صدري ؛ وقال ابن الجهم : إذا غشيتني
 النعاس في غير وقت نوم وبس النسيء النوم الفاضل عن الحاجة ، تناولت كتابا من كتب
 الحكم فاجد أهرتازي للفوائد ، والأزجيية التي تعزيني عند الفقر ببعض الحاجة ،
 والذي يثقي قلبي من سرور الاستبانة ، وعزتي التين ، أشد إيهانا من نبيق الخير ، وهذه
 الحسن .

وقال ابن الجهم : إذا استحسنت الكتاب واستجذته ، ورجوت منه الفائدة ، ورأيت
 ذلك فيه ، فلو تروني وأنا ساعة بعد ساعة أبصركم بقي من ورقه غافة استنفاده ، وأقطع
 المسادة من قبله ، وإن كان المنصف في عظيم الجهم ، وكان الورق كثير العدد ، لرأيتم كيف
 تم عيشي ، وكل مروري .

وذكر القتيبي كتابا لبعض القدماء فقال : لولا طوله ، وكثرة ورقه ، لانسخته ؛ قال
 ابن الجهم : لكنني ما رغبت فيه إلا النسيء الذي زهدك فيه ، وما قرأت كتابا قط كبيرا
 فأخذني من فائدة ، وما أحصي كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كلها دخلت .

وقال القتيبي ذات يوم لرجل الجهم : ألا تتعجب من فلان ! نظرت في كتاب الإقليدس
 مع جارية سموية في يوم واحد وساعة واحدة ، فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو
 بعد لم ينجح مئة مرة واحدة . عن أ. ح. رحمة وتلك أمة مقصورة ، وهو أحرص على قراءة
 الكتب من سموية على تعليم حايته ؛ قال ابن الجهم : قد كنت أظن أنه لا يفهم منه
 شيئا واحدا ، وأراك تبيع أنه تدفع من مئة مرة ؛ قال القتيبي : وكيف ظننت به هذا الظن
 كنه وهو رجل ذو لسان وادب ؟ تن : لأني سمعته يقول لأبيه : كم أنفقت على كتاب كذا
 وكذا ؟ قال : أنفقت كذا وكذا . قال : إنما رغبت في العلم أتى ظننت أتى أنفق قليلا
 واكتسب كثيرا ، أما دسرت ثقتي الكبير وليس ويسي منه إلا المواعيد فأني لا أريد

العلم بشئ . . والإنسان لا يعلم حتى يكثر سماعه ، ولا بد من أن تصبر كمنه أكثر من سماعه ، ولا يعلم ولا يجمع ولا يختلف حتى يكون الإفاق عليه من ماله الله عنده من الإفاق من مال صدوقه ، ومن لم تكن ثقته التي تخرج في الكتب الله عنده من عشاق الذين ، والمستحقين بالبيان ، لم يبلغ في العلم مبلغا رغبيا . وليس ينفع بإضافته حتى يؤثر أنه أخذ الكتب ليشارك الأعرابي فرسه باللبن على عياله . وحتى يؤمل في العلم مالا يؤمل الأعرابي في فرسه .

وقال إبراهيم بن السدي مرة : وجدت أنت الزادقة لم يكونوا حرساء على المغالاة بالورق النقي الأبيض ، ولا على تخير الحبر الأسود البراق ، ولا على استعادة الخط ولإرغاب لمن يخط ، فإن لم أر كورق كتبهم ورقا ، ولا كان خطوط التي فيها خطأ . وإنى غيرت مالا عظيما مع حتى لئال وبغضى للفرم ، لأن سخط النفس بالإفاق على الكتب دليل على تعظيم العلم ، وتعظيم العلم دليل على شرف النفس وعلى السلامة من سكر الآفات . وقت لإبراهيم : إن إنفاق الزادقة على الكتب كانفاق النصارى على البيع . ونو كانت كتب الزادقة كتب حكمة . وكتب فلسفة . وكانت مقاييس تبيين ، أو لو كانت كتبهم كتباً تعرف الناس أبواب الصناعات . أو سبل الحسب والتجارات ، أو كتب إرفاق ورياضات ، أو بعض ما يتعاطاه الناس من الفصن والأدب . أو كان ذلك لا يقرب من غنى . ولا يبعد من مأثم ، لكانوا ممن قد يجوز أن يُنقَ بهم تعظيم تبيين والرغبة في التبيين . ولكنهم ذهبوا فيها مذهب الديانة على طريق تعظيم الملة . فأنما نذهبهم في ذلك كانفاق الجوس على بيت النار . وكانفاق النصارى على صلبان الذهب . أو كانفاق الهند على سدة البذ . ونو كانوا العلم أرادوا انكان العلم لهم معروفا . وكتب الحكمة فهم مبدولة ، والطرق إليها سهلة معروفة . فما بهم لا يصنعون ذلك إلا يكتب ديانهم كما يُعرف النصارى بيوت عبادتهم . أو كان هذا المعنى مستحسنة عند المسلمين . وكانوا يرون أن ذلك داعية إلى العبادة وباعسة على الخشوع . آملوا في ذلك بقاؤهم ما لا ينعمه النصارى بخاتمة لجهده .

وقد رأيتُ مسجدَ دمشق حين استجاز هذه السبيلَ ملكٌ من ملوكها ، ومن رآه فقد علم أن أحدا لا يرومه ، وأن الروم لا تسخو أنفسهم به ؛ فلما قام عمر بن عبد العزيز جلّه بالجلال ، وغطاه بالكرايس^(١) ، وطبخ سلاسل القناديل حتى ذهب عنها ذلك التلألؤ والبريق ، وذهب إلى أن ذلك الصنيع بجانب لسنة الاسلام ، وأن ذلك الحسن الرائع والمحسن الدقاق مذلّة للقلوب ، مشغلة دون الخشوع ، وأن البال لا يكون مجتمعا وهناك شيء يُفترقه ويعترض عليه .

والذي يدلنا على ما قلنا أنه ليس في كتبهم مثل سائر ، ولا خبر طريف ، ولا صنعة أدب ، ولا حكمة غريزية ولا فلسفية ، ولا مسألة كلامية ، ولا تعريف صناعة ، ولا استخراج آلة ، ولا تعليم فلاحه ، ولا تدبير حرب ، ولا مقارنة دين ، ولا مناقضة عن نيحة ؛ وجلّه ذكر النور والظلمة ، وتناحُ الشياطين ، وتسافد العفاريث ، وذكر الصنيد والتهويل بعمود السنع ، والأخبار عن شقون وعن الهامة والهامة ، وهذّر وعى ودعوى وتُرافة ومخف وتكذّب ، لا ترى فيه موعظة حسنة ، ولا حديثا مؤثقا ، ولا تدبير معاش ولا سياسة عامة . ولا ترتيب خاصة ؛ فأى كتاب أجهل ، وأى تدبير أفسد من كتاب يُوجب على الناس الصناعة والبُخوع بالديانة على جهة الاستبصار والمحبة ، وليس فيه صلاح معاش . ولا تصحيح دين . والناس لا يحيون إلا دينا أو دنيا .

فأما الدنيا فاقامة سُوقها وإحضارُ نفعيها . وأما الدين فأقل ما يُطمع في استجابة العامة واستمالة الخاصة ، أن يصوّر في صورة مُغلطة ، ويؤمّه تمويه الدينار بالبرج والدرهم الزائف الذى يغلط فيه الكثير ويعرف حقيقته القليل . فليس اتفاقهم عليها من حيث ظننت . وكل دين يكون أظهر آخلاقا وأكثر فسادا يحتاج من التزقيع والتمويه ومن الاحتشاد له والتغليظ فيه إلى أكثر من غيره .

(١) الكرايس جمع كرس . كرس من انتظر الأجر وقيل : الثوب الخشن ، فارسي معرب .

وقد علمت أن النصرانية أشد انتشاراً من اليهودية قُبْدُ ، فعلى حسب ذلك يكون تركبهم في توكيده ، واحتفالهم في إظهار تعظيمه .

وقال بعضهم : كنت عند بعض العلماء فكنت أكتبُ عنه بعضاً وأدع بعضاً ، فقال لي : اكتب كل ما تسمع ، فإن أحسن ما سمع خير من مكانه أبيض . وقال الخليل بن أحمد : تكثر من العلم ليعرف ، وتقل منه ليحفظ . وقال أبو إسحاق : القليل والكثير للكتب ، والقليل وحده للصدر ، وأشد قول ابن يسير :

أما لو أعي كل ما أسمع * وأحفظ من ذاك ما أجمع
ولم أستفيد غير ما قد جمعتُ لقل هو العالم المقتنع
ولكن بقي إلى كل نو * ع من العلم نسمعه نزع
أشاهد بالحق في تجلي * وعلى في البيت مستودع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ولا أنا من جمعه أشيع
ومن يك في عليه هكنا * يكتن دهره القهقري يريج
إذا لم تكن حافظاً وإعياً * بجمعك للعلم لا ينفع

قال أبو إسحاق : كلف ابن يسير الكتب ما ليس عليها ، إن الكتب لا تنفي الموت ، ولا تحول الأحق عاقلاً ، ولا ابليد ذكياً ، وذلك أن طبيعة الإنسان كان فيها أدق قبول للكتب تشهد وتثبت وترجع وتشفى ، ومن أراد أن يعلم كل شيء فليتبني لأهله أن يدوروه ، فذلك إنما تصوّره لشيء اعتراه ، فمن كان حافظاً ذكياً حافظاً فيقصد إلى شيئين أو ثلاثة أشياء : فلا يترع عن اندرس والمطارحة ، ولا يندع أن يترع سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ما قدر عليه من سائر الأصناف فيكون عالماً بخواص ويكون غير غفل من سائر ما يجري فيه الناس ويتحوضون فيه ، ومن كان مع اندرس لا يحفظ شيئاً إلا نسي أكثر منه فهو من الحفظ من أفواه الرجال أبعد .

وحدثني موسى بن يحيى قال : « كان في حرنة كتب يحيى وفي بيت مدرسه كتاب إلا وله فيه ثلاث نسخ . »

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببابه فرأيتَه ينظر في دفتر جليسه فارغ اليد إلا اعتقدت أنه أعدل منه وأفضل .

قال أبو عمرو وقيل لنا يوماً : إن في دار فلان ناساً قد اشتلوا على سوءة ، وهم جلوس على نُخْمَةٍ لم وعندهم طُنبور ، قال : فَذَعَرْنَا عليهم في جماعة من رجال الحى ، فإذا قَتَّى جالس في وسط الدار وإذا أصحابه حوله ، وإذا هم يبيضُ الحى ، وإذا هو يقرأ عليهم كتاب شعر ، فقال الذى كان سعى بهم : السوءة في ذلك البيت ، وإن دخنموه عَثَرْتُم بها ، قال قلت : والله لا أكشف قَتَّى أصحابه شيوخ وفي يده دفتر علم ولو كان في ثوبه دم يحيى بن زكرياء . قال وأنشد رجل يونس النحوى قوله :

أُسْتَوْدِعَ الْعِلْمُ قِرطاساً قَفِيئَهُ • فَيُسْ مُسْتَوْدِعُ الْعِلْمِ الْفَرَاتِيْسُ

قال فقال يونس : قاتله الله ، ما أشد صبايته بالعلم وأحسن صيائنه له ! إن علمك من روحك ، ومالك من بدنك ، فضمه منك بمكان الروح ، وضغ مالك بمكان البدن .

وقيل لابن دأحة وأخرج كتاب أبي الشَّحْمَقِ وإذا هو في جلود كوفية ودقتين طائفتين وبخط عجيب ، فقيل له : لقد ضيع درهمه من تجوّد لشعر أبي الشحمق ، قال : لا جرم والله إن العلم ليعطيكم على حساب ما تُخطوْته ، ولو استطعت أن أودعه مُسَوِّدَاء قلمي وأجعله مخطوطاً على ناظري لعلت .

ولقد دخلت على إسحاق بن سليمان في امرته ، فرأيت السماطين بين يديه والرجال مُتَوَلِّاً كأن على رؤوسهم الطير ، ورأيت فرشته وِرْثَتَهُ ^(١) ، ثم دخلت عليه وهو معزول ، وإذا هو في بيت كتبه وحواليه الأسفاط والرفوف والفاطر والدماز والمساطر والمحابر ، فما رأيتَه قط أغفم ولا أنبل ولا أهيب ولا أجزل منه في ذلك اليوم ، إلا أنه جمع مع المهابة المحبة ، ومع القمامة الحلاوة ، ومع السؤدد الحكمة .

(١) كذا في الأصل . ولعلها رائدة . (٢) العرشة : الحية .

وقال ابن داحية : كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يُحَالِسُ الناس ، ونزل مقبرة من المقابر ، وكان لا يكاد يرى إلّا وفي يده كتاب يقرؤه ، فسُئِلَ عن ذلك وعن نزوله المقبرة ، فقال : لم أر أَوْضَعَ من قبر ، ولا أَمْنَعَ من كتاب ، ولا أَسْلَمَ من الوَحْدَةِ ؛ فقليل له : فقد جاء في الوَحْدَةِ ما قد جاء ، قال : ما أَفْسَدَهَا لِلْجَاهِلِ وَأَصْلَحَهَا لِلْعَاقِلِ !

وضروب من الخطوط بعد ذلك تَمَلَّ على قدر مَنَعَةِ الخط ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقال الله عز وجل : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ وقال : ﴿ قَالُوا مَنْ أُولَئِكَ كِتَابُهُ بِمِثْلِهِ ﴾ وقال : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُولِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ وقال : ﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ فَتْلِكَ حَسِيبًا ﴾ .

الترغيب في اصطناع الكتب

(وبعد أن تكلم عن الخط في الأرض عند الصكر وما قيل في ذلك من الأشعار ، وذَكَرَ الخط ومقدار الحاجة إليه ، وتاريخ الشعر قبل الإسلام ، وبيان أن فضيلته مقصورة على العرب ، استطرد القول بالترغيب في اصطناع الكُتُبِ) فقال :

« إِنْ عَلَى مَنْ شَكَرَ الْمَعْرِفَةَ بِمَقَاوِدِ النَّاسِ وَمُرَاشِيدِهِمْ وَمُنَافِعِهِمْ . أَنْ يَحْتَمِلَ ثِقَلَ مَوْتِهِمْ فِي مَعْرِقَتِهِمْ ، وَأَنْ يَتَوَتَّرَ إِرْشَادُهُمْ وَأَنْ جَهَلُوا فَضْلَ مَا يُسَدِّدِي إِلَيْهِمْ . وَنَنْ يُصَانِ الْعِلْمُ بِمِثْلِ بَذَلِهِ . وَلَنْ تُسْتَقْبَلَ النِّعْمَةُ فِيهِ بِمِثْلِ نَشْرِهِ . عَلَى أَنْ قِرَاءَةُ الْكُتُبِ أُنْبِغُ فِي إِرْشَادِهِمْ مِنْ تَلَاهِيهِمْ ، إِذْ كَانَ مَعَ التَّلَاقِ يَسْتَدِ التَّصْنِيعُ . وَيَكْثُرُ النِّظَامُ . وَتُقَرِّطُ الْعَصْرِيَّةُ . وَتَقْوَى الْحَبِيَّةُ . وَعِنْدَ الْمَوَاجِهَةِ وَالْمُقَابَلَةِ يَسْتَدُ حُبُّ الْقَلْبَةِ . وَشَهْوَةُ الْمُبَاهَاةِ وَالرِّيَاسَةِ مَعَ الِاسْتِحْيَاءِ مِنَ الرَّجُوعِ . وَالْأَفْنَةِ مِنَ الْخُضُوعِ . وَعَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ تَحْدُثُ الضَّغَائِنُ وَيُظْهَرُ الثِّبَائِنُ ؛ فَإِذَا كَانَتْ الْقُلُوبُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ وَعَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ . أَمْتَنَتْ مِنَ التَّعْرِفِ . وَعَمِيَتْ عَنِ مَوْضِعِ الدَّلَالَةِ ؛ وَلَيْسَتْ لِلْكِتَابِ عِلَّةٌ تَمْنَعُ مِنْ دَرَكِ الْبُغْيَةِ . وَأَصَابَةُ الْحُجَّةِ ؛ لِأَنَّ الْمُتَوَحِّدَ بِدَرْسِهَا وَالْمُتَفَرِّدَ

بفهم معانيها ، لا يباهي نفسه ، ولا يُغالب عقله ، وقد علم من له يباهي ، ومن أجله يغالب ، والكتاب قد يفضل صاحبه ويتقدم مؤلفه ، ويرجع قلبه على لسانه بأمور :

منها ، أن الكتاب يُقرأ بكل مكان ، ويظهر ما فيه على كل لسان ، ويوجد مع كل زمان على تفاوت ما بين الأعصار ، وتباعد ما بين الأمصار ، وذلك أحسن تسهيل في وضع الكتاب ، والمنازع بالمسألة والجواب ، ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان بجلس صاحبه ، ومبلغ صوته ، وقد يذهب الحكيم ويتبني كتبه ، ويفنى العقل ويبقى أثره . ولولا ما أتممت لنا الأوائل في كتبها ، وخلدت من عجيب حِكمتها ، ودوّنت من أنواع سيرها ، حتى شاهدنا بها ما غاب عنا ، ونصحتنا بها كل مُستغلق كان طينا ، فجمعنا الى قليلنا كثيرهم ، وأدركنا ما لم نكن نُدرّكه إلا بهم ، لقد خسر حظنا من الحكمة ، وضعف سبيلنا الى المعرفة ، ولو أُجِئنا الى قدر قوتنا ، ومبلغ خواطرتنا ، ومنتهى تجربتنا لما تُدرّكه حواسنا وتشاهده نفوسنا ، لقد قلت المعرفة ، وقُصرت الهمة ، وانتقصت الثقة ، وعاد الرأي عقيا ، وانحاطر فاسدا ، ولكل الخلد ، وتبدل العقل . وأكثر من كتبهم قعما ، وأشرف منها خطرا ، وأحسن موقعها ، كُتِب الله تعالى الى فيها الهدى والرحمة . والإخبار عن كل صيرة ، وتعريف كل سبقة وحسنة . وما زالت كتب الله تعالى في الأواح والصحف والمهازيق والمصاحف ، فقد قال الله عز وجل : ﴿ اَلَمْ ذٰلِكَ الْكِتٰبُ لَا رَيْبَ فِيْهِ ﴾ وقال : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتٰبِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ويقال لأهل التوراة والإنجيل : أهل الكتاب . وينبغي أن يكون سبيلنا لمن بعدنا كسبيل من كان قبلنا فينا . على أننا قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا ، كما أن من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا ، فيما ينتظر العالم بإظهار ما عنده ، وما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه ، وقد أمكن القول ، وصلح الدهر ، وهوى غيم الثقيّة ، وهبت ريح العلماء ، وكسد الريح والجهل . وقامت سوق اليان والعلم . والإنسان ليس يجد في كل حال إنسانا

(١) المهازيق جمع مهراق ، وهو ثوب حرير أبيض يسق بالصمغ ويصقل ثم يكتب فيه ، فارسي مزرب .

يُدْرُسُهُ وَيُقَوِّمُهُ بِتَقَفِّهِ، وَالصَّبْرَ عَلَى إِفْهَامِ الرِّبِّضِ شَدِيدٍ . وَصَرَفَ النَّفْسَ عَنْ مُغَالَبَةِ الْعَالَمِ أَشَدُّ مِنْهُمَا .

وَالْمُتَعَلِّمُ يَجِدُ فِي كُلِّ مَكَانٍ الْكَتَابَ حَيِّدًا، وَبِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ قَانِمًا . وَمَا أَكْثَرَ مَنْ قَوَّطَ فِي التَّعَلُّمِ أَيَّامَ نَعُولٍ ذَكَرَهُ وَأَيَّامَ حَدَاثَةِ سِنِّهِ . وَلَوْلَا جِيَادُ الْكُتُبِ وَحَسَنُهَا ، وَبُيُوتُهَا وَتَحْصُرُهَا، لَمْ تَحْرُكْ قَلَمَ هَؤُلَاءِ لِطَلَبِ الْعِلْمِ، وَنَازَعَتْ إِلَى حُبِّ الْأَدَبِ . وَأَغَتْ مِنْ حَالِ الْبُهْلِ وَأَنْ تَكُونَ فِي غِمَارِ الْحَشْوِ لَتَدْخُلَ عَلَى هَؤُلَاءِ مِنَ الضَّرَرِ وَالْمُضْطَرَّةِ وَالْجَهْلِ وَسُوءِ الْخِلَالِ مَا عَصَى إِلَّا يَمَكِّنُ الْإِخْبَارَ عَنْ مِقْدَارِهِ إِلَّا بِالْكَلَامِ الْكَثِيرِ .

وَلِذَلِكَ قَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : تَحْقُقُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا . وَقَدْ نَجَّدَ الرَّجُلَ يَطْلُبُ الْأَثَارَ وَتَأْوِيلَ الْقُرْآنِ وَيَجَالِسُ الْمُتَقَفِّينَ، نَحْسِينَ سَنَةً ، وَلَا يَمْتَدِّ قَلَمَهُ وَلَا يَحْمِلُ قَاضِيًا، وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَشْبَاهِ أَبِي حَنِيفَةَ . وَيَحْفَظُ كِتَابَ الشَّرْوَطِ فِي مِقْدَارِ سَنَةٍ أَوْ سَلْتَيْنِ حَتَّى تَمُزِّيَابَهُ قَطْعًا أَنَّهُ بَابُ بَعْضِ الْعَالِ ؛ وَبِالْحَقِّ لَا يَمُزُّ عَلَيْهِ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَّا الْيَسِيرَ حَتَّى يَصِيرَ حَاكِمًا عَلَى مَصِيرٍ مِنَ الْأُمُصَارِ . أَوْ بَلَدِيَّةً مِنَ الْبُلْدَانِ .

وَيَنْبَغِي لِمَنْ كَتَبَ كِتَابًا لَا يَكْتُبُهُ إِلَّا عَلَى أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمُ لَهُ أَعْدَاءُ . وَكُلُّهُمْ عَلَيْهِ بِالْأُمُورِ ، وَكُلُّهُمْ مُتَقَرِّعٌ لَهُ ، فَجَزَاءُ مَا يَرْضَى بِذَلِكَ حَتَّى يَدَّعِ كِتَابَهُ يَنْفَبُ وَيَحْتَمِرُ . وَلَا يَقْبَلُ بِالرَّأْيِ الْفَطِيرِ، فَإِنْ لَابَسَدَاءُ الْكَتَابِ فِتْنَةٌ وَغُجْبَةٌ . فَإِذَا سَكُنَتْ الطَّبِيعَةُ وَهَدَأَتِ الْحَرَكَةُ . وَتَرَاجَعَتِ الْأَخْلَاطُ . وَطَادَتِ النَّفْسُ وَافْتَرَتْ ، أَعَادَ النَّظَرَ فِيهِ وَتَوَقَّفَ عِنْدَ فَصْوَتِهِ تَوَقَّفَ مَنْ يَكُونُ وَزْنَ طَمَعِهِ فِي السَّلَامَةِ أَتَقَصَّ مِنْ وَزْنِ خَوْفِهِ مِنَ الْعَيْبِ ، وَيَتَفَهَّمُ مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ :

إِنَّ الْحَدِيثَ تَفَرَّقَ الْقِسْمُ خَلُوتُهُ . حَتَّى يَكُونَ لِمُسَمَّيٍّ وَإِنْ تَخَارَ

وَيَقِفُ عِنْدَ قَوْلِهِ فِي الْمَثَلِ : "كُلُّ مُجْرٍ فِي الْخِلَاءِ يُسَرُّ" . فَيَخَافُ أَنْ يَعْتَرِيَهُ مَا يَعْتَرِي مَنْ أَجْرَى فَرَسَهُ وَحَدَّدَهُ أَوْ خَلَا قَبْلَهُ عِدَّةً فَقَدْ خَصِمُوهُ وَأَهْلُ الْمُنْزِيَةِ مِنْ أَهْلِ صِنَاعَتِهِ ، وَلَيَعْلَمُ أَنَّ صَاحِبَ الْقَلَمِ يُعْتَرَبُهُ مَا يَعْتَرِي الْمُؤَدَّبَ عِدَّةً ضَرْبِهِ وَعِقَابُهُ ، فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْزِمُ عَلَى

عشرة أسواط فيضرب مائة ، لأنه ابتداء الضرب وهو ساكن الطباع فأراه السكون أن الصواب في الإقلال ، فلما ضرب تحرك دمه فأشاع فيه الحرارة وزاد في غضبه ، فأراه الغضب أن الرأي في الإكثار ، وكذلك صاحب القلم ، لما أكثر من يئدئ الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة . والحفظ مع الإقلال أمكن ، وهو مع الإكثار أبعد .

وأعلم أن العاقل إن لم يكن بالمشيع فكثيراً ما يقر من ولده ويحسن في عينه منه القبيح في عين غيره ، فليعلم أن لفظه أقرب إليه نسباً من ابنه ، وحركته أسهل به رَجاً من ولده ، لأن حركته شيء أحده من نفسه وبذاته ، ومن عين جوهره فصات ، ومن نفسه كانت ، وانما الولد كالحقطة يتخطها ، كالنخامة يقذفها ، ولا سواء إخراجك من نفسك شيئاً لم يكن منك ، واظهارك حركة لم تكن حتى كانت منك ؛ ولذلك نجد فتنة الرجل بشعره وفتنة بكلامه وكتبه ، فوق فتنة بجميع نعمته .

وليس الكتاب الى شيء أحوَج منه الى إلهام معانيه حتى لا يحتاج السامع بما فيه الى الروية فيه . ويحتاج من اللفظ الى مقدار يرتفع به عن ألفاظ السفلة والحقو ، ويحطه من غريب الأعراب ، ووحشي الكلام . وليس له أن يهدبه جدّاً ويتقعه ويصقيه ويؤوقه حتى لا ينطق إلا باللبّ والسرّ ، وباللفظ الذي قد حذف فضوله وتعرّق زوائده ، حتى عاد خالصاً لا شوب فيه ، فإنه إن فعل ذلك لم يفهم عنه إلا بأن يُحدّ لهم إلهاماً وتكراراً ، لأن الناس كلهم قد تعودوا المبسوط من الكلام ، وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم إلا بأن تعطس عليها وتؤخذ بها ؛ ألا ترى أن كتاب المنطق الذي قد وسم بهذا الاسم لو قرأته على جميع خطباء الأمصار وبلغاء الأعراب لما فهموا أكثره ، وفي كتاب إقليدس ، كلام يدور وهو عربي وقد صنّى ، ولو سمعه بعض الخطباء لما فهمه ، إلا بأن يفهمه من يريد تعليمه ؛ لأنه يحتاج الى أن يكون قد عمّر في جهة الأمر ، وتعود اللفظ المنطقي الذي استخرج من جميع الكلام .

وقد قال معاوية بن أبي سفيان رضى الله تعالى عنهما لصحار العبدى : ما الإيجاز ؟ قال أن يجيب فلا يُعطى ، وتقول فلا تُعطى ؛ قال معاوية : أو كذلك تقول . قال صحار : أظني يا أمير المؤمنين ، لا تُعطى ولا تُعطى . فلو أن سألتك عن الإيجاز قلت : لا تُعطى ولا تُعطى وبحضرتك خالد بن صفوان لما عرّف بالبدية وعند أول وهلة أن تقولك لا تُعطى مُضْمَن بالقول ، وقولك لا يُعطى مُضْمَن بالجواب . وهذا حديث — كما ترى — قد ارتضوه ورووه ؛ ولو أن قالنا قال لبعضنا : ما الإيجاز ؟ لظننت أنه كان سيقول الاختصار والإيجاز ، ليس يعني به قلة عدد الحروف واللفظ . وقد يكون البسب من الكلام من أتى عليه فيما يقع بطن طومار قد أوجز ، وكذلك الإطالة ، وإنما ينبغي أن يحذف بقدر ما لا يكون سببا لإخلاله ولا يُرَدّد وهو يُكفَى في الإفهام بشرطه ، فما فَضِّل عن المقدار فهو المخلط .

وقلت لأبى الحسن الأَخْفَش : أنت أعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها ؟ وما بالناس فهم بعضها ولا يفهم أكثرها ، وما بالك تُهْدِم بعض المويص وتؤنث بعض المفهوم ؟ قال : أنا رجل لم أضع كتبى هذه لله ، وليست هى من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذى تدعونى إليه قلت حاجتهم إلى فيه . وإنما غايى المثال . فإذا أضع بعضها هذا الوضع المفهوم لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا . وأنا قد كسبت فى هذا التدبير إذ كنت إلى التكبُّب ذعبت . ولكن ما بال إبراهيم النظام وفلان وفلان يكتبون الكتب لله بزعيمهم ، ثم يأخذها مثل فى موافقة وحسن نظره وشدة عيائنه ، فلا يفهم أكثرها ؟

وأقول لو أن يوسف السَّنى كتب هذه الشروط أيام جالس سلمان بن ربيعة شهرين للقضاء فلم يتقدم إليه رجلان والقلوب سليمة والخقوق على أهلها موقرة . لكان ذلك خطلا ولقوا ، ولو كتب فى دهرنا شروطا دهر سلمان لكان ذلك غرارة وقصا ،

وجَهَلًا بِالسِّيَاسَةِ وَمَا يَصْلُحُ لِكُلِّ دَعْرٍ؛ وَوَجَدْنَا النَّاسَ إِذَا خَطَبُوا فِي صَلَاحِ بَيْنِ الْعَشَائِرِ أَطَالُوا، وَإِذَا أَسَدُوا الشُّعْرَيْنِ السَّامِطَيْنِ فِي مَدْحِ الْمُلُوكِ أَطَالُوا؛ فَلِلْإِطَالَةِ مَوْضِعٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَحْطَلٍ، وَلِلْإِقْلَالِ مَوْضِعٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ عَجْزٍ.

وَلَوْ لَا أَتَى أَتَمُّ عَلَى أَنَّكَ لَا تَمَلُّ بِأَبِ الْقَوْلِ فِي الْبَعِيرِ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الْفِيلِ، وَفِي الذَّرَّةِ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الْبَعُوضَةِ، وَفِي الْعَقْرِبِ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الْحَيَّةِ، وَفِي الرَّجُلِ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الْمَرْأَةِ، وَفِي الذَّبَّانِ وَالنَّحْلِ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الْفِرْبَانِ وَالْعِقْبَانِ، وَفِي الْكَلْبِ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الدِّيكِ، وَفِي الذَّبِّ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الضَّبُعِ، وَفِي الطُّلْفِ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الْحَافِرِ، وَفِي الْحَافِرِ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الْخُفِّ، وَفِي الْخُفِّ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الْبُرْنِ، وَفِي الْبُرْنِ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الْخِطْبِ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الطَّيْرِ وَغَايَةِ الْأَصْنَافِ، رَأَيْتَ أَنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ الْمَلَالَ، وَيُقَبِّبُ الْفَقْرَةَ الْمَسَامَةَ مِنَ الْبُلُوغِ فِي الْفَهْمِ، وَتَعْرِفُ مَا يَحْتَاجُ مِنْهُ إِلَى التَّعْرِفِ، فَرَأَيْتَ أَنَّ جُمْلَةَ الْكُتُبِ وَإِنْ كَثُرَ مَدَدُ وَرَقِهِ، أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِمَا تَمَلُّ مِنْ كَثْرَةِ قِرَائَتِهِ أَبَدًا وَتَعْتَدُّ عَلَى فِيهِ بِالْإِطَالَةِ، لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ كِتَابًا وَاحِدًا فَإِنَّهُ كُتِبَ كَثِيرَةً، وَكُلُّ مَصْحَفٍ مِنْهَا أَمٌّ عَلَى حِدَةٍ. فَإِنْ أَرَادَ قِرَاءَةَ الْجَمِيعِ لَمْ يَطْلُ عَلَيْهِ الْبَابُ الْأَوَّلُ حَتَّى يَهْجُمَ عَلَى الثَّانِي، وَلَا الثَّانِي حَتَّى يَهْجُمَ عَلَى الثَّلَاثِ، فَهُوَ أَبَدًا مُسْتَفِيدٌ وَمُسْتَطَرِفٌ، وَبَعْضُهُ يَكُونُ جَمَاعًا لِبَعْضٍ، وَلَا يَزَالُ نَشَاطُهُ زَائِدًا، وَمَتَى خَرَجَ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ صَارَ إِلَى آخِرٍ، وَمَتَى خَرَجَ مِنْ آخِرٍ صَارَ إِلَى خَبَرٍ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ الْخَبَرِ إِلَى شَعْرٍ، وَمِنَ الشَّعْرِ إِلَى نَوَادِرَ، وَمِنَ النُّوَادِرِ إِلَى حِكْمٍ عَقْلِيَّةٍ وَمَقَاسِيدٍ سِدَادٍ، ثُمَّ لَا يَبْرُكُ هَذَا الْبَابُ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ أَثْقَلُ، وَالْمَلَالُ إِلَيْهِ أَسْرَعُ، حَتَّى يَقْضَى بِهِ إِلَى مَرْحٍ وَفُكَاهَةٍ وَإِلَى مَخْفٍ وَخُرَافَةٍ. وَلَسْتُ أَرَاهُ مَخْفًا إِذْ كُنْتُ لَأَتِمَّا اسْتَعْمَلْتُ مَسِيرَةَ الْحِكْمَاءِ وَمَأْذِبَةَ الْعُلَمَاءِ، وَرَأَيْنَا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا خَاطَبَ الْعَرَبَ وَالْأَعْرَابَ أَنْعَجَ الْكَلَامُ تَخْرُجُ الْإِشَارَةُ وَالْوَحْيُ وَالْحَشْفُ، وَإِذَا خَاطَبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْحَى عَنْهُمْ جَعَلَهُ مَبْسُوطًا وَزَادَ فِي الْكَلِمِ. فَاصُوبِ الْعَمَلَ اتِّبَاعَ آثَارِ الْعُلَمَاءِ وَالْاِحْتِذَاءِ

على مثال القدماء ، والأخذ بما عليه الجماعة . وقال ابن يسير في صفة الكتب في كلمة له :

أقبلت أهرُب لا آلو مُبَاعَدَةً . في الأرض منهم فلم يُخَصِّنِي الْهَرَبُ
يَقْصُرُ أَوْسٍ لَهَا وَآلَتْ خَنَادِقُهُ . إلى التواويس فالساخور فالخرب
فأبما تووِِّل منها أتعصمتُ به . فمن ورأى حَيْثَا مِنْهُمْ الطَّلَبُ
لما رأيتُ بأبي غَيْرُ مُعْجِزِهِمْ . قَوْنَا وَلَا هَرَبًا قَرَبْتُ أَحْتَجِبُ
وَصِرْتُ فِي الْبَيْتِ مَسْرُورًا بِهِ جَذَلًا . جَارًا لِقَوْمَةٍ لَا شَعَكَوِي وَلَا شَقَبُ
قَرَدًا لِمُحَمَّدِي الْمَوْتِ وَتَطْلُقُ لِي . عن علم ما غلب عَنِّي مِنْهُمْ الْكُتُبُ
هُمْ مُؤَسُّوْنَ وَالْأَفْ غَيْثُ يَوْمٍ . فليس في أنيس غيرهم أَرْبُ
لَهُ مِنْ جُلَسَاءٍ لَا جَلِيسُهُمْ . وَلَا عَشِيرُهُمْ لَشَوْءٍ مُرْتَقِبُ
لَا بِإِدْرَاكِ الْأَذَى يَخْشَى رِفْقَهُمْ . وَلَا يُلَاقِيهِ مِنْهُمْ مَنَظِقُ ذَرْبُ
أَبْهَوَا لَنَا حِكْمًا تَبَقَى مَنَائِمُهَا . أُتْرَى أَلْيَالِي عَلَى الْأَيَّامِ وَأَتَسَبَّوْا
فَأَبْمَا أَدَبٍ مِنْهُمْ مَدَدَتْ يَدِي . يَوْمًا إِلَيْهِ فَنَانٍ مِنْ بَدَى كَتَبُ
إِنْ شِئْتُ مِنْ مُحْكَمِ الْأَنْوَاعِ رَفَعُهَا . إلى النسي يَفَاتُ بِسَرَّةٍ حُجُبُ
أَوْ شِئْتُ مِنْ عَرَبٍ عَلِمًا بِأَوَّلِهَا . في الجاهلية أثبتني به الْعَرَبُ
أَوْ شِئْتُ مِنْ سَيْرِ الْأَمْلَاقِ مِنْ عَجِيم . تَلِي وَتَحْرِكَ كَيْفَ الرُّؤْيُ وَالْأَدَبُ
حَقٌّ كَأَنِّي قَدْ شَاهَدْتُ عَصْرَهُمْ . وَقَدْ مَضَتْ دَوْنَهُ مِنْ دَعْوِهِمْ حَقَبُ
يَا قَائِلًا قَصَّرْتُ فِي الْعِلْمِ نَيْتَهُ . أَمْسَى أَنِي الْجَهْلُ فِيمَا قَالَ يَتَيَسَّبُ
إِنِّي الْأَوَائِلُ قَدْ بَانُوا بِعِلْمِهِمْ . خِلَافَ قَوْلِكَ قَدْ تَوَا وَقَدْ ذَهَبُوا
مَا مَاتَ مِنَّا امْرُؤٌ أَبْقَى لَنَا أَدَبًا . يَكُونُ مِنْهُ إِذَا مَا مَاتَ يُكْتَسَبُ

وقال أبو وجرة وهو يصف صحيفة كُتِبَ له فيها بسَتين وسَقا :
 راحت بسَتين وسَقا في حَقِيقَتِها • ما حُمِلَتْ حِمْلُها الأَدنى ولا السَدَا
 ولا رَأَيْتُ قَلُوصًا قَبْلَها حَمَلَتْ • سِتِينَ وسَقًا ولا جَابَتْ بِها بِلَدًا

وقال الرابض :

تَعْلَمُنْ أَكَّ الدَّوَاةِ وَالْقَلَمِ • تَتَقَيَّ وَيُغْنِي حَادِثُ النُّعْرِ الْغَنَمِ

يقول كتابك الذي تَكُتُبُهُ عَلَيَّ بَقِيَّةً فَتَأْخُذُنِي بِهِ وَتَنْدُبُ غَنَمِي فِيمَا يُلْهَبُ • وَمَا يَدُلُّ عَلَيَّ
 قَعِ الْكَتَابِ أَنَّهُ لَوْلَا الْكَتَابُ لَمْ يَحْزَنْ أَنْ يَعْلَمَ أَهْلُ الرِّقَّةِ وَالْمَوْصِلِ وَبَغْدَادَ وَوَاسِطَ مَا كَانَ
 بِالْبَصْرَةِ وَحَدَّثَ بِالْكُوفَةِ فِي بَيَاضِ يَوْمٍ ، فَكَوْنُ الْحَادِثَةِ بِالْكُوفَةِ غُنُوءَةً فَيَعْلَمُهَا أَهْلُ الْبَصْرَةِ
 قَبْلَ الْمَسَاءِ •

وذلك مشهور في الحسام المهدى : إِذَا جُعِلَتْ بُرْدًا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ، وَذَكَرَ سُلَيْمَانَ
 وَمُلْكُهُ الَّذِي لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِثْلَهُ ، فَقَالَ : (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْمُنْعَدَ) إِلَى
 قَوْلِهِ : (أَوْ لَا ذُبَّهِنَّ أَوْ لَبَّائِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) • فَلَمْ يَلَيْتَ أَنْ قَالَ الْمُنْعَدُ : (وَجِئْتُكَ مِنْ
 سَبَاٍ يَبْنِي يَحْيَى إِنْ وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأَوْثِقَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَمَا عَرِشٌ عَظِيمٌ) •
 قَالَ سُلَيْمَانُ : (أَذْهَبَ يَكْأَبِي هَذَا فَأَلْفِقْهُ الْيَوْمَ) وَقَدْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ يُبَلِّغِ الرِّسَالَةَ عَلَى تَمَامِهَا مِنْ
 عِفْرِيتٍ وَمِنْ بَعْضٍ مَنَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكَتَابِ فَرَأَى أَنَّ الْكَتَابَ أَبْهَى وَأَنْبَلَ وَأَكْرَمَ وَأَنْفَمَ
 مِنَ الرِّسَالَةِ عَنْ ظَهْرِ لِسَانٍ وَإِنْ أَحَاطَ بِجَمِيعِ مَا فِي الْكَتَابِ • وَقَالَتْ مَلِكَةُ سَبَا : (يَا أَبَا
 الْمَثَلِ إِنِّي أُلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمٌ) فَهَذَا مَا يَدُلُّ عَلَى قَدْرِ اخْتِيَارِ الْكُتُبِ وَقَدْ يَرِيدُ بَعْضُ
 الْجُلَّةِ الْكِبَارِ وَبَعْضُ الْأَدْبَاءِ وَالْحُكَمَاءِ أَنْ يَدْعُو بَعْضَ مَنْ يَجْرَى جِوَارُهُ فِي سُلْطَانٍ أَوْ أَدَبٍ إِلَى
 مَادَّةٍ أَوْ نِدَامٍ أَوْ خُرُوجٍ إِلَى مُتَنَزَّهٍ أَوْ بَعْضٍ مَا يُشْبِهُ ذَلِكَ ، فَلَوْ شَاءَ أَنْ يُبَلِّغَهُ الرِّسُولَ إِرَادَتَهُ
 وَمَعْنَاهُ لِأَصَابِ مَنْ يَحْسُنُ الْأَدَاءَ وَيَصْدُقُ فِي الْإِبْلَاحِ فَيَرَى أَنَّ الْكَتَابَ فِي ذَلِكَ أَمْرِي
 وَأَنَّهُ وَأَبْلَغُ وَلَوْ شَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَّا يَكْتُبَ الْكُتُبَ إِلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيِّ

والمقوس وإلى بنى الحنندين وإلى العبايلة من حمير وإلى هودة بن علي وإلى الملوك العظماء والسادة الشجاء لفعل ولوجده المبلغ المعصوم من الخطأ والتبديل، ولكنه عليه السلام علم أن الكتاب أشبه بتلك الحال، وأليس بتلك المراتب، وأبلغ في تعظيم ما حواه الكتاب، ولو شاء الله أن يحصل البشارات على الألسنة بالمرسلين ولم يودعها الكتب لفعل ولكنه تعالى وعزّ علم أن ذلك أتم وأكمل، وأجمع وأنبأ؛ وقد يكتب بعض من له مرتبة في سلطان أو ديانة إلى بعض من يشاكله أو يتحرى مجراه فلا يرضى بالكتاب حتى يتجزمه ويحتمه، وربما لم يرض بذلك حتى يعتونه ويعظمه.

قال الله جل وعزّ: ﴿أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ فقد ذكر مصحف موسى الموجودة ومصحف إبراهيم البائدة المصدومة ليُعرف الناس مقدار الضع والمصلحة في الكتب. قالوا: وكانت فلاسفة اليونانية تورث البنات العين وتورث البنين الدين؛ وكانت تصل السجز بالكفاية والمؤونة بالكلفة وكانت تقول: لا توزنوا الذن من المال إلا ما يكون حونا له على طلب المال، وأغذوه بحلاوة العلم وأطعموه على تعظيم الحكمة ليصير جمع العلم أظلم عليه من جمع المال، وليرى أنه العنة والنداء، وأنه أكرم مستفاد، وكانوا يقولون: لا توزنوا الذن من المال إلا ما يسد الخلة، ويكون له حونا على ترك الفضول إن كان لا بد من الفضول، فإنه إن كان فاسدا زادت تلك الفضول في فساد، وإن كان صالحا كان فيما أورثوه من العلم، وبقية له من الكفاية ما يحسبه الحال، فإن الحال أفضل من المال، ولأن المال لم يزل تابعا للحال، وقد لا يتبع الحال المال، وصاحب الفضول بمرض فساد وصل شفا لإضاعة مع تمام الحكمة واجتماع القوة؛ لها ظنكم بها مع حرارة الحداثة وسوء الاعتبار وقلة التجربة! وكانوا يقولون: خير ميراث ما كسبك الأركان الأربعة، وأحاط بأصول المنفعة وعجل لك حلاوة المحبة، وبقي لك الأحداث الحسنة، وأعطاك عاجل الخير وآجله، وظاهره وباطنه، وليس يجمع ذلك إلا أكرام الكتب النفيسة المشتملة على يتابع العلم، والجامعة لكنوز الأدب ومعرفة الصناعات وفوائد الإرفاق؛

وجميع الذين الذي بصحته وعند وضوح برهانه تسكن النفوس وتتج الصذور، ويعود القلب معمورا، والعز راسخا، والأصل فسيحا، وهذه الكتب هي التي تزيد في العقل وتُسحّده، وتُدأويه وتُصلّحه، وتَهْدِيه وتنقى الخبث عنه، وتُعِيدك العلم وتُصادق بينك وبين الحق، وتُؤدك الأخذ بالثقة وتُجلب الحلال وتُكسب المال. ووراثه الكتب الشريفة والأبواب الرفيعة منبهة للورث وكثر عند الوارث، إلا أنه كثر لا يُجب فيه الزكاة ولا حق السلطان، وإذا كانت الكنوز جامدة ينقصها ما أخذ منها كان ذلك الكثر ما لم يزيده ما أخذ منه، ولا يزال بها المورث مذكورا في الحكاء ومُنوّها باسمه في الأسماء، وإماما متهبوا، وعلماء متصوبا، ولا يزال الوارث محفوظا، ومن أجله محبوبا ممنوّا، ولا تزال تلك المحبة نائمة ما كانت تلك الفوائد قائمة ولن تزال فوائدها موجودة ما كانت الدار دار حاجة، ولن يزال من تعظيمها في القلوب أثر ما كان من فوائدها على الناس أثر.

وقالوا: متى ورثته كتابا وأودعته علما فقد ورثته ما يفيل ولا يستفيل، وقد ورثته الضيعة التي لا تحتاج إلى إثارة، ولا إلى سقي، ولا إلى إسجال بإغار، ولا إلى شرط ولا تحتاج إلى أكار ولا إلى أن يثار، وليس عليها عُشر ولا للسلطان عليها نزع، وسواء أفدته علما أو ورثته آلة علم، وسواء دفعك إليه الكفاية أو ما يجلب الكفاية، وإنما تجري الأمور وتُصرف الأفعال على قدر الإمكان، فمن لم يقدر إلا على دفع السب لم يجب عليه إحضار المسبب، فكذب الآباء تحييب للأحياء، ونحيا لذكر الموتى.

وقالوا: متى كان الأب جامعا بارعا وكانت موارثه كتباً بارعة، وآدابا جامعة، كان الولد أجدر أن يرى التعلم حفظا وأجدر أن يُسرّع التعليم إليه ويرى تركه خطأ، وأجدر أن يجري من الأدب على طريق قد أنجح له، ومنهاج قد وطئ له، وأجدر أن يسرى إليه عرق من تجلّه وسقى من غرسه. وأجدر أن يحمل بدل الطلب للكتب النظر في الكتب، فلا يأتي عليه من الأيام مقدار الشغل يجمع الكتب، والاختلاف في سماع العلم، إلا وقد بلغ بالكفاية غاية الحاجة وإنما تُفقد الكفاية من تمت آدابه، وتوافت إليه أسبابه، فأما

الحدّث القَرير، والمَقْصُوفُ الفقير، غير موارِيثه الكِفَايَةُ إِنْ أَنْ يَلْقَ التَّامُّ، وَبِكُلِّ لِلطَّلَبِ .
 غَيْرِ مِيرَاثٍ وَرَثَ كَتَبٌ وَعِلْمٌ، وَخَيْرُ الْمَوْرَثِينَ مَنْ أَوْرَثَ مَا يَجْمَعُ وَلَا يُفَرِّقُ، وَيُبَصِّرُ وَلَا
 يُعْمِي، وَيُعْطِي وَلَا يَأْخُذُ، وَيَسُودُ بِالْكُلِّ دُونَ الْبَعْضِ، وَيَدْعُ لَكَ الْكَفَرُ الَّذِي لَيْسَ
 لِلسُّلْطَانِ فِيهِ حَقٌّ، وَالرَّكَازُ الَّذِي لَيْسَ لِلْفَقْرَاءِ فِيهِ نَصِيبٌ، وَالنِّعْمَةُ الَّتِي لَيْسَ لِلْحَاسِدِ فِيهَا
 حِيلَةٌ، وَلَا لِلصَّوْصِ فِيهَا رَهْبَةٌ، وَلَيْسَ يَنْقُصُ عَلَيْهِ فِي حِجَّةٍ، وَلَا عَلَى الْخَارِ فِيهِ مَوْئِنَةٌ .

وَأَمَّا دِيمَقْرَاطُ فَإِنَّهُ قَالَ: يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ كِتَابٍ مِلْ وَضَعَهُ
 أَحَدٌ مِنَ الْحِكَمَاءِ ثَمَانِيَةُ أَجْزَاءٍ، مِنْهَا الْهِمَّةُ وَالنِّعْمَةُ، وَالنَّسَبُ وَالصَّعَّةُ، وَالصَّنْفُ وَالنَّالِيفُ .
 وَالْإِسْنَادُ وَالتَّدِيرُ، فَأَقُولُ أَنْ يَكُونَ لِمُصَنِّفِهِ هِمَّةٌ . وَأَنْ يَكُونَ فِيهَا وَضْعٌ مَنَعَةٌ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ
 نِسْبَةٌ يَنْسَبُ إِلَيْهَا، وَأَنْ يَكُونَ صَحِيحًا، وَأَنْ يَكُونَ عَلَى صَنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الْكُتُبِ مَعْرُوفًا بِهِ .
 وَأَنْ يَكُونَ مُؤْتَفًا مِنْ أَجْزَاءِ نَعْمَةٍ . وَأَنْ يَكُونَ مُسْتَدًا إِلَى وَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ الْحِكْمَةِ، وَأَنْ يَكُونَ
 لَهُ تَدِيرٌ مَوْصُوفٌ . فَذَكَرَ أَنْ دِيمَقْرَاطُ قَدْ جَمَعَ هَذِهِ الثَّمَانِيَةَ الْأَجْزَاءَ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَهُوَ
 كِتَابُهُ الَّذِي يُسَمَّى «أَفْقُورِيَسْمُوَا» تَفْسِيرُهُ: كِتَابُ الْفُصُولِ . وَقَوْلُهُ وَمَا يَلِغُ مِنْ قَدْرِ الْكُتُبِ
 مَعَ لَوْ أَنَّ أَصْلَهُ، وَخُبْتُ طَبْعَهُ . وَسُقُوطُ قَدْرِهِ . وَمَهَانَةُ نَعْمِهِ . وَمَعَ قِلَّةِ خَيْرِهِ وَكَثْرَةِ شَرِّهِ،
 وَاجْتِنَاعُ الْأُمَمِ كُلِّهَا عَلَى اسْتِسْقَاطِهِ وَاسْتِسْقَالِهِ . وَمَعَ ضَرْبِهِمْ لِنَقْلِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِهِ . وَمَعَ
 حَالِهِ الَّتِي يَعْرِفُ بِهَا مِنَ الْعَجْزِ عَنْ صَسُوتَةِ السَّبْعِ، وَتَقْصِيرِهَا . وَمِنْ تَعَمُّقِهَا وَتَشْرِفِهَا
 وَتَوْحُشِهَا . وَقِلَّةِ إِسْتِمَاعِهَا، وَعَنْ مَسَامَةِ نَبَاهَتِهَا وَمَوَادِعِهَا، وَلَقَمَكَيْنِ مِنْ إِهَامَةِ مَصْلَحَتِهَا .
 وَالْإِسْتِفْغَاعِ بِهَا . إِذْ لَا يَكُنْ فِي طَبْعِهَا دَفْعُ السَّبْعِ عَنْ أَنْفُسِهَا . وَلَا الْإِحْتِيَانُ لِمُعَاشِهَا . وَلَا
 الْمَعْرِفَةُ بِالْمَوَاضِعِ الْحَرِيْزَةِ مِنَ الْمَوَاضِعِ الْمُخَوَّفَةِ . وَلِأَنَّ الْكُتُبَ لَيْسَ بِسَبْعٍ تَامٌ وَلَا بِهَيْمَةٍ تَامَةٍ
 حَقٌّ كَأَنَّهُ مِنَ الْخَلْقِ الْمُرَكَّبِ . وَالطَّبِيعُ الْمُتَّفَقَّةُ . وَالْإِخْلَاطُ الْمُجْتَلِبُ، كَنْبَغِلُ الْمُنْتَظَنِّ فِي أَحْلَاقِهِ
 الْكَثِيرِ الْعُيُوبِ الْمُتَوَدِّعَةِ عَنْ مِرَاجِهِ . وَنَمَرُ الْخَبَائِعِ مَا تُجَدِّدُهُ بِأَعْرَاقِ الْمُتَضَعَّةِ وَالْأَحْلَاقِ
 الْمُتَفَاوِتَةِ، وَالْعَوَاصِرُ الْمُتَبَاعِدَةُ، كَالزَّاعِمِ مِنَ الْجَمْعِ الَّذِي ذَهَبَتْ عَنْهُ هِدْيَةُ الْجَمْعِ . وَشَكْلُ
 هَدْيِهِ وَسُرْعَةُ طَيْرَانِهِ . وَبَهْلُ عَيْنِهِ عَمْرُ الْوَرَشَانِ . وَقُوَّةُ جُنَاحِهِ . وَتَسَدُّهُ عَيْنِهِ . وَحَسَنُ

صوته، وشجا حقيقه، وشكل لحونه وثقله إطرابه، وأحتماله لوقع البنادق، وجرح الخالب.
وفي الراعي أنه مُسرول مُثقل، وحلت له عظم بدن وثقل وزن لم يكن لأبيه ولا لأمه.
وكذلك البغل نخرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ويعيش نتاجهما ويبقى بقاها،
وهو لا يعيش له ولد وليس بعقيم، ولا يبقى للبغلة ولد وليس بعاقرة؛ فلو كان البغل حقيقا
والبغلة عاقرا لكان ذلك أزيد في قوتها وأتم لشئتهما، فمع البغل من الشبق والنغظ ما ليس
مع أبيه، ومع البغلة من الشؤس وطلب السفاد ما ليس مع أمها؛ وذلك كله قدح في القوة
ونقص في البنية، ونخرج غُرْمُولَه أعظم من غراميل أعمامه وأخواله، فترك شبيههما ونزع
الى شيء ليس له في الأرض أصل، ونخرج أطول عُمرًا من أبويه وأصبر على الأثقال من
أبويه؛ أو كابن المذكرة من النساء، والمؤث من الرجال، فإنه يكون أخبث نتاجا من البغل
وأفسد أحرافا من السمع، وأكثر عيوبًا من السببار، ومن كل خلق خُلِق إذا تركب من
ضد، ومن كل شجرة مُطعمه بخلاف؛ وليس يعتري مثل ذلك الخلاسي^(١) من الدجاج،
ولا الورداني^(٢) من الحمام؛ وكل صنف دخل على الخلقة، وكل رقة عرّضت للحيوان، فعلى
قدر جنسه وعلى وزن مقداره وتمكنه يظهر العجز والعيب. وزعم الأصمعي أنه لم يسبق
الخلبة فرس أهدم قط. وقال محمد بن سلام لم يسبق الخلبة أبلى قط ولا بقاء.

والهداية في الحمام والقوة على بعد الغاية إنما هي للصنعة من الخضر. وزعموا أن
الشيأت كلها ضعف ونقص، والشيء: كل لون دخل على لون. وقال الله جل وعز: (قَالَ إِنَّهُ
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَمَّاةٌ لِأَشْيَةٍ فِيهَا). وزعم عثمان
ابن الحكم أن ابن المذكرة من المؤث يأخذ أسوأ خصال أبيه وأردأ خصال أمه فتجتمع

(١) السمع بكسر السين وإسكان الميم والهمزة المهملة: ولد الدئب من الضبع وهو سبع مركب فيه شدة الصبح
وقوتها وجراءة الدئب ونخفه (راجع حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ٣٢). (٢) السببار بكسر السين والهمزة
السكونية والألف عصابة: ولد الضع من الدئب ورجله عصابة (راجع حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ١٣٩).
(٣) الخلاسي: الولد بين أبوين أبيض وأسود، والديك بين دجاجتين هندية وعارسية. (٤) الورداني
إبراء المهمة طائر متولد بين الوردان والحمام وله غرابة لون وظرافة قد.

فيه عظام النواهي وأعيان المساوي، وأنه اذا خرج كذلك لم يجمع فيه أدب ولا يقطع
في علاجه طيب، وأنه رأى في دور تقيف قتي أجتمعت فيه هذه الخصال . فسا كان
في الأرض يوم ألا وهم يتحدثون عنه بشئ، يصغر في جنبه أكبر ذنب كان ينسب اليه .
وزعمت أن الكلب في ذلك كان شقي الذي هو لا ذكر ولا أنثى، أو كان ليحيى الذي
لما قطع منه ما صار به الذكر فلا يخرج من حد كمال الذكر فيقدان الذكر، ولم يكمل لأن
يصير أنثى للفرزة الأصلية وبقية الجوهريّة، وزعمت أنه يصير كالتيث الذي يقسده إفراط
الحز، فيخرجه من حد الخل، ولا يدخله في حد التيث . وقال مرداس بن خنزام :

سَقِينَا عَقَالًا بِالنَّيَّةِ شَرْبُهُ • فَالَتْ بَلْبُ الْكَاهِلِ عِقَالِ

قَلْتُ اصْطَلَحَهَا يَا عِقَالُ فَإِنَّمَا • هِيَ الْخَمْرُ خَيَلْنَا لَهَا بَجَالِ

رَمَيْتُ بِأَمِ الْخَلِّ حَبَّةَ قَلْبِهِ • فَلَمْ يَكْمَشْ مِنْهَا ثَلَاثَ لَيَالِ

بفعل الخمر أتم الخل قد يتولد عنها ، وقد يتولد عن الخل اذا كان خمرًا مرة الخمر .

وقال سعيد بن وهب

هَلَا وَأَنْتَ بِمَاءِ وَجْهِكَ تُشْتَبَى • رُودُ الشَّبَابِ قَلِيلُ شَعْرِ الْعَارِضِ

فَالْآنَ حِينَ بَدَتْ بِخَلِّكَ لِحْيَةٌ • ذَهَبَتْ بِمَنْعِكَ مَلْءُ كَفِّ الْقَابِضِ

مِثْلَ السَّلَافَةِ عَادَ خَمْرُ عَصِيرِهَا • أَمَدَ اللَّذَازَةِ خَلَّ خَمْرُ حَامِضِ

ويعبر أيضا كالشعر الوسط والغذاء الوسط . والسادرة العائرة التي لم تخرج من الخمر

الى البرد فتضحك السن ولم تخرج من البرد الى الخمر فتضحك السن .

باب الرسائل

١ - الفصول المختبة من الرسائل المختارة في كل فن^(١)

كتب رجل الى صديق له :

إن أباطك شادوا أكارمهم بالفضائل التي كانت فيهم ، وإنك قد كنت أخذت في مدرجتهم فأوفيت على فائتهم ، ثم أختلجك الهوى ببعض جديتك وجودك ، من لباس فضلك الذي كنت تطول به على أكفائك ، وتملك به أحنة كافة جنلك ، وألقيت مالك على شر حواجه طيسك لا لك إن زلت مكاره بوادره عنك .

فصل - قيل : إن مروءة الرجل في نفسه تسب لقوم آخرين ، فإنه إذا فعل الخير عرف له ، وبقى في الأعقاب والأصحاب ، ولقيته يوم الحساب .

فصل - إن حق الله على المسلمين أن ينظروا في دينهم بالنصيحة لأئمتهم ، فإن الأئمة إذا صلحوا بذل الهوى بالقوى في قلوبهم ، وماتت سورة الغضب فيهم لأحلامهم ، وسكنت العاتمة الى علمهم وذات الإنصافهم . وإذا كان للحسن من الحق ما يقته ، والظالم من النكير ما يقمعه ، بذل المحسن الحق عليه رغبة ، وذلل المسيء بالحق عليه رهبة . فأقول ما أمرك به رجاء الله وتقواه . فاما رجاءه فإن تحسن به في الصنع إذا أطلعه . ويكون لك وقاية إذا أثرته مطمئا . وأما تقواه فإن تكون له فيما أمرك به ونهاك عنه مراقبا ، فإن يقية المؤمن تزيد في أنتراح صدره ، وإن شدة خوفه تزد هواه على عقله .

(١) نقلنا عن اختيار المتكلم والمشور لأن طبعه .

(٢) الجديلة : الناصبة واحدة والطريقة .

فصل — تنبه اذا نهيت، وأذكر اذا ذكرت. وأتفع قد وعظمت، وأسمع قد نويت، نهيك الوعيد. وحذرك الزاجر، وأمرك ونهاك الكتاب. ونفست آثار الموت، ودعاك الى الجنة ملي، جواد، فالحذ الحذ. فقبل المهجرة يريح المدلج .

فصل — ما نظرت في معروف عند أحد، فوجدته قصر عن أملة وكان يمكنني أن يكون أكثر منه، إلا عندته سيئة لي عنده، لأني ذوقته ما أحب، ثم منعه إياه، وكأني قصدت لإخفاص قلبه . ولا نظرت في معروف عند أحد فوجدته قد تنهى عند تنهى أملة وكان يمكنني أن يكون أكثر منه، إلا رأيته في ذلك وتراعى . لأنه كفى عيالا وإزوا بها، أن أفنع ... فضل تقضه بمثل ما أفنع رجلا من فضل تقضه طيه .

فصل — ما أنت من يعلم من جهل به . ولا تمنس منه بادرة زلة، ولا يقابل بين أمرين إلا عارف خيرهما قآوره، وشرها فاجتنبه. وقد رأيت ما ساءت اليك الهامة من حظ العاجلة، فلا تتعرض لزوال ما أنت فيه . فتعسر الحظين . وتدم في الدارين . فقد رأيت من عائد الحق كيف صرعه الله وبسط يده ونيه على سمع دمه . وإحلال النعمة به، فصار بعد أن كان في الأمانة مثلا . وجميع انخلق غاية وأملا، فكرة في الاعتبار، وعظمة للأبصار . فلا يمد الله إلا من علم وحتر، وفهب عن الحق وذبر . وانت اليوم محكم في أمرك، مخير في رأيك، تدعى اني حظك باخط الخزيل بتدليل . فاهتيل ما قد هدف لك وهو يمكن ليدك . فإنك إن أهملت وتراخيت . لم يكن باخط ووليه وحشة اليك، ومضت أحكام الله في نصرها وتأبيدها عن اذلالها . وصفرت يذك بك لا يشرف لك بمثله . وأخطرت بدمك وأسته أخت مسيل وأصل سليل . حيث لا تبكي عليك السماء والأرض .

(١) يناصر والأمر . وسه : ما يقع هو مصر تقضه شر ما يقع رجلا ح .

(٢) عن أذلال : عن وجوهه وصرفه .

فصل — الناس رجلان : عالمٌ لا يفتي به عن الازدياد، وجاهلٌ به أعظم الحاجة الى التعلم ، وليس في كل حال يكون العالم لما يبتغى من الأمور مُعَدًّا ، ولا المتعلم على ما يستفيد منه قَادِرًا وقِيًّا .

فصل — إن أنت عطَلْتنا من أمورك ، وأعقبت ظهورنا من أهالك ومؤونتك ، وتركنا أحمالا في ولايتك من تنهيك وتحريكك ، فقد أثرتنا منزلة من لا خير عنده ، وجعلت نفسك أسوة من لا يُعين له ، وكفى بذلك ظلما .

فصل — إن إعلاني إياك ... غير محسَدٌ شيئا ، ولكنه أقرب من الجليل في معرفة عذر المعتذر، وأهل للأمة على المسيء المقصر .

فصل — الذي أتمدنا عليه من رأيك ، ونبتق به من جميل نظرك ، قد خلطني بأهل صنالك ، وانخلاصة من عتاتك ، وبسط أمل فيك الى غاية خير يُرثي ، أو جزيل حقد يُؤمل .

فصل — ليس يسوغ لأحد في الأمير أمل ، ولا يتوجه اليه منه رغبة ، ولا يلزمه في قضاء حقه ، ودانة مؤونته إلا وفضله مستغرق لها .

فصل — من أحمَد الأمور وأجمل المذاهب ، ما كان آخره موصولا بأوله ، ومؤديا بذره الى حشد طاقته ، لحافظ على الأمور التي حسن فيها عند أمير المؤمنين أترك ، مستقلا فيها لكثير ما يكون منك ، مُتَمَكِّنا بها في النعم عندك ، والإحسان الواصل اليك ، فيما يوفقك الله له منها ويخصك به من التفضل في اختيارها ، وأمير المؤمنين يستحفظه الله لك ، ويستمتع به في النعمة فيك .

فصل — قد كان يجب أن تجعلنا بتابعة النعم علينا في خاصة الشاكرين لفضلك ، ولا تجعلنا بتواتر الإساءات الينا في عامة الشاكرين لك .

(١) يفاض في الأصل . ولعل الكلمة المروكة «بحاجتي» . والظاهر أن كلمة «معدد» محذوفة عن كلمة «مجد» .

(٢) كذا بالأصل .

فصل - عِلي بن أبي الله عليه أخلاق الأمير أكرمه الله، وجعل عليه رأيه في بسط العدل على رعيته، وبث الفضل على مُتَميِّس فضله . يمتحن على الكتاب في مثل ما كتبت إليه فيه ، من علامة مظلوم يستعِذ فيها بعلله ، وحاجة ملهوف يرجع فيها إلى فضله ؛ فأجمع إلى ما أحسن من الثواب في ذلك مُوافقة رأي الأمير ، وإذا كاره ما يجب أن يذكر به ؛ فزاد الله الأمير من نعمه ، وأوزعه من الشكر طيلما ما يُوجب له ثابتهما عنده . وترادفها له .

فصل - أنت والحمد لله من أحسن الصليحة . وقيل لأدب . وصدق الحيلة وخلص على الهنة وحسن الظن ؛ فاستقامت طريقته وقدمه جميل منعبه وآثاره . وجرئت على قصد السبيل طاعته ، واشتدلت على السريرة والعلانية مُناصحته ؛ فأصبح أمير المؤمنين لا يتناهى في ريك وتكرمك . إلا رآك مُستحقاً لها وليك فوقها . ولا يرقى إلى درجة إلا رآك أهلاً لأشرف منها ، صنعا من الله لك بما وفقك له من طاعته . ووهب لك من جميل مراتبه ، والمكان منه والأثرة عنده .

فصل - فضل مشاركتنا إياك في محبوب الأمور ومكروهها يعلمنا في السرور بالنعمة عندك - بجلدها الله لك - ويوجب الشكر بما يكون حقها فاضب . ولأزيد فيها موجبا .

سعيد بن حميد - شُفلك يقصنا عن مطالبك بالحق في جوابات كتبتك ثبت . وصدق مودتنا لك بمتنا من التقوى في أجنة طيكت . ومن يكك في رأيك فإنه لا يفي بك إلا لك ؛ صلة إخوانك والتعاهد لم من ريك ، بما يشبه فضلك والنعمة عنهم فيك .

وفلان يبنى وينسه مودة أقدمه بها على الأخوة ؛ لأنك نسم قرب ما بين المودة والقربة . وقد بلوته على حالات كلها . فم يزدني خبائره إلا اختيار له ؛ ولا أعم بهسكرب جليلا إلا وهو في صديق ، يشكر بشكره ويوجب عى نفسه لينة في آتى إليه ؛ فأما من بين إخوانه فليست أعدل عن قضاء حقه . ولا أثار عن معروف أسدى إليه ؛ فمن رأيت أن

ثُمَّ لَمْ يَلَمْزِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ بِنَفْسِهِ وَسَلَفِهِ ، فَوَاقَهُ مَا رَأَيْتُ سَوْقَ الْإِحْرَارِ أَتَقَى مِنْهَا عِنْدَكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ، أَيْقِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَقْبَاطِكُمْ وَرَحِمَ مَا ضَيْقَكُمْ .

فصل — إِنَّ أَحَدًا لَيْسَ بِمُسْتَخْلَصٍ شَيْئًا مِنْ غَضَارَةِ عَيْشٍ إِلَّا مِنْ بَيْنِ خِلَالِ مَكَارِهِ ، فَمَنْ أُنْتَظِرَ بِعَاجِلِ الدَّرَكِ أَجَلَ الْإِسْتِقْصَاءِ سَلَبَتْهُ الْأَيَّامُ قُرْصَتَهُ ، لِأَنَّ مِنْ صِنَاعَتِهَا السَّلْبُ ، وَمِنْ شَرَطِ الزَّمَانِ الْإِفَاقَةُ .

فصل — إِنَّ الْأَمِيرَ قَدْ جَلَّ فَضْلُهُ عَنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ وَصْفٌ ، أَوْ يَأْتِيَ عَلَى تَعْدَادِهِ اجْتِهَادٌ ، فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَكْثَرَ مِنَ الشُّكْرِ لَكَانَ الْأَمِيرُ يَسْتَحِقُّهُ طِينًا ، وَيَسْتَوْجِبُهُ نِيًّا .

فصل — قَدْ أَصْبَحَ الْمُخْطَفُونَ مَجْتَمِعِينَ عَلَى تَهْرِيطِهِ وَمُنْذِهِ ، حَتَّى إِنَّ الْعَدُوَّ يَقُولُ اضْطَرَارًّا مَا يَقُولُهُ الْوَلِيُّ اخْتِيَارًا ، وَالْبَعِيدُ يَتَّقِي مِنْ إِيْمَانِهِ طِينًا بِمَا يَتَّقِي بِهِ الْقَرِيبُ خَاصًّا .

فصل — الْمَالِكُونَ إِلَيْهِ بَيْنَ نَيْمٍ مُكْتَنِفَةٍ مِنْ تَالِدٍ بِهِ يَسْتَدِيمُونَهُ ، وَمَطَارِفٍ مِنْهُ يَسْتَعِيدُونَهُ ، وَمَوَاهِبٍ مُنْجِدَّةٍ ، وَفَوَائِدٍ مُتَرَادِفَةٍ ، هِيَ مَبْسُوطَةٌ بِهِ إِلَى بَرَكَةِ أَيَّامِهِ ، وَطُوقُ حَظٍّ^(١) مَنْ أَنْصَلَ بِهِ ، فَزَادَهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَزَادَ أَوْلِيَائَهُ بِهِ وَبِعَرَكَةِ دَوْلَتِهِ .

فصل — أَضْمَدْتُ أَخَا لَا يُدَيِّمُ إِخَاؤُهُ ، وَلَا تُشْكِرُ أحوَالُهُ ، عَلَى بَعْدِ الدَّارِ وَقُرْبِهَا ، وَأَنْصَالَ الْمَكْتَابَةِ وَأَقْطَاعِهَا ، تَجِدُهُ مُتَصَرِّفًا مَعَكَ فِي الْخَطُوبِ الَّتِي يَطْرُقُ بِهَا الزَّمَانُ ، وَيَدَا لَكَ فِي الْأُمُورِ الَّتِي يُتَمَحَّنُ فِيهَا الْإِخْوَانُ .

فصل — أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مَا تَطُولُ بِهِ فِيهِ مِنَ الْجَلَالَةِ فِي الْقُلُوبِ وَالْعِيُونِ عِنْدَ الْوَلِيِّ وَالْعَدُوِّ مَوْصُولًا بِالْإِنْسَاءِ فِي مُدَّتِهِ ، وَالْإِدَامَةِ لِعَزَّةٍ وَسَلَامَتِهِ ، وَالْأَعْلَاءَ لِيَدِهِ وَكَلِمَتِهِ .

أحمد بن يوسف — عِنْدِي فَلَانٌ وَفَلَانٌ ، فَإِنْ كُنَّا مِنْ شَأْنِكَ فَقَدْ آذَنَّاكَ .

في صفة حرب — كَانَتْ لَكُمْ الْكَرَّةُ ، وَعَلَيْهِمُ الدَّبْرَةُ ، فَعْمَلُوا حِمْلَةً كَاذِبَةً ، أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى صَادِقَةً .

(١) في الأصل : « حَقَّة » والسياق يقتضيه ما أئْتِناه .

فصل في هَلِيَّة - قد أهديت إليك من فنون كلامي وعمود مقالتي، دقترا ظريف المعاني، شريف المباني، صحيح الألفاظ، يَدُّ بأفواه الناطقين، ويلين على أسماع الصامتين.

فصل في شَفَاعَة - لفلان قَبْلَكَ حاجة، ليس يحتاج فيها إلى مَعْدَتِكَ وَتَصَفِيكَ الميسوتين لمن لا يتوصل بِمُطْلَقِكَ ومعرفتك، ولكنه يريد ما في ذلك العسل والإصناف من الرفق والإحسان المَذْخُورَيْنِ لخاصة الإخوان .

فصل لرجل تمجيم - ضَعُفَ حالي يدعوني إلى كثرة الطلب، وتفرقي بيجل وإيك تمجيزي عن الإلحاح عليك، خوفاً أن أكون جاهلاً بمنابيتك وحسن نظرتك، والكريم يستحي بمضنه لبعض، ويبتئ بمضنه بعضاً، ودين حيلته الغير على العقود، بعته كرمه للنهوض، أو دعاه هواه إلى المنع، بخافه عقله على البذل، وحان جاحدة لدى فضلك ونعمة الله عليك من سد خلتها، ومداواة عتتها بهذهك للوسع، ووفدتك النافع .

أحمد بن يوسف - قد بدلت لنا من نفسك أهرز مبتلون وأفسه . ولمودة التي كلما يُجَدُّ من صاحبها . فهو نافع . وثقتنا بك واستنامتنا إلى حاجتك . على أحسن ما أكرم الله بيننا وبينك . وإن كان مدى اللقاء بيننا لم يُعَلِّ فأقول له ما يره أهل الوفاء والمخالصة، ويقصر في المحافظة عليه وعلى أكثره . من دُخِلَتْ نيتته . وضَعُفَتْ خُلَّتُهُ .

فصل - قد أصبحت لخاصة عذو، ولعمامة عصمة، وبالذات نعمة في . وصحت .

فصل في الصفح لأبي علي - رب كد قوط منك . وإن تجوز مني ما أرضه لك . لم يبلغ ما يقضي عليك . وجبت انتهى ، يخافني من قولك وفعت . فون وراه تفضلاً مني لإسهائك وصفة عن زنتك . فون تأمداً لا تخنت . وإن يسؤ ظنتك فإني نحتاج إلى إصلاحه منك .

أحمد بن يوسف - إن رهم بن نهدي في هدية استغنىه :

بلغني استقلالك بنا أنطقك . وأمدى من عيه من رأس سبلى عليه قبة الحشد لك في البر، فهدينا هدية من لا يخشيتك من لا يخشيتك .

كتب عَقَّال بن شَبَّة — الى خالد بن عبد الله في شفاعه :

إِنَّ الله اتَّهَبَكَ مِنْ جَوْهَرَةٍ كَرَمَ وَمَنِّتْ شَرَفَ ، وَقَسَمَ لَكَ خَطَرًا شَمَّرَتْهُ الْعَرَبُ وَتَحَدَّثَتْ بِهِ الْحَاضِرَةُ وَالْبَادِيَةُ ، وَأَعَانَ خَطَرَكَ بِقُدْرَةِ مَبْسُوطَةٍ ، وَمَقَرَّةٍ مَلْحُوظَةٍ ، بِفَيْجِ أَكْفَاثِكَ مِنْ جَمَاهِيرِ الْعَرَبِ ، بِعَرَفِ فَضْلِكَ ، وَبِسِرِّهِ مَا خَارَ اللهُ لَكَ ، وَلَيْسَ كُلُّهُمْ أَدَالَةُ الزَّمَانِ وَلَا سَاعِدَةُ الْحَقِّ ، وَأَنْتَ أَحَقُّ مِنْ تَعَلُّفِ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ ، وَعَادِلُهُمْ بِمَا سَبَقَ لَهُ ذِكْرُهُ وَيُحْسِنُ بِهِ نَشْرَهُ . مِثْلُكَ . وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ فَلَانًا ، وَهُوَ مِنْ دِينِيهِ قِرَاجِي ، وَذَوِي الْهَيْعَةِ مِنْ أَسْرَقِي ، وَعَرَفَ مَعْرُوفَكَ ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تُكَلِّسَهُ نِعْمَتَكَ وَتَصْرِفَهُ إِلَيَّ وَقَدْ أَوْدَعْنِي وَإِيَّاهُ مَا تَجِدُهُ بَاقِيًا عَلَى النَّشْرِ . جَمِيلًا فِي الْيَبِّ .

فصل في التوديع

أَسْتَوْدِعُ اللهَ الْأَمِيرَ بِأَحْسَنِ وَدَّاعِهِ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَ فِي كَفِّهِ وَيُحْزِزُهُ ، فَقَدْ أَكْرَمَ الْمُتَوَّيَّ ، وَأَحْسَنَ الْإِبْتِغَاءَ ، فَأَطَالَ اللهُ لَهُ الْبَقَاءَ ، وَأَدَامَ عَلَيْهِ النِّعَمَاءَ .

في الصّفع

بَلَفَنِي كِتَابُكَ ، تَذَكَّرْتُكَ الْبَيْتَ بَوْضِي عَنْكَ تَوَجَّدْتَنِي ، وَرَدَّيْتُ لَكَ إِلَى أَحْسَنِ مَا عَمِدْتُ مِنْ مِثْرَتِكَ عِنْدِي ، وَقَدْ حَلَّتْ مِنِّي الْمَحَلَّ الَّذِي خَلَطْتَكَ فِيهِ بِنَفْسَتَا ، وَأَدْخَلْتَكَ مِنْهُ مَدَاخِلَ أَهْلِ ثِقَّتِنَا ، وَلَسْتُ تُؤْتِي مِنْ جِهَالَةٍ بِمَا أَنْتَ فِيهِ ، وَلِبَعْضِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّجَارِبِ تُسْتَفَادُ بِمِثْلِهَا الْيَعْرَ ، وَيُتَنَفَّعُ بِهَا فِي عَطْفِ الْأُمُورِ .

جواب في فتح

كتب سالم بن هشام الى يوسف بن عمر حين قَتَلَ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ :

قَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابُكَ بِمَا أَمَلَ اللهُ فِي مِثْرِهِ السُّوءَ ، وَأَتَتْهُ لَهَا عَضْبَتُهُمُ الْحَرْبُ ، وَالْمُهْمُ الْحَدِيدُ ، حَادُوا بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، قَدْ أَكْذَبَ اللهُ ظَنُونَهُمْ ، وَخَدَّلَ مَخْرَجَهُمْ ، وَقَتَلَ إِمَامَ ضَلَالَتِهِمْ ، وَحَفِظَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا ضَيَعُوا مِنْ حَقِّهِ ، وَحَاطَ لَهُ مَا أَبَاحُوا مِنَ الْفُسْطَرِ فِيهِ ، وَقَدْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ شُكْرِ اللهِ عَلَى نِعْمِهِ ، الصَّفْحَ عَنْهُمْ ، وَتَقَعَّدَ حَرِيْبَهُمْ

وأن يسمهم من صله، بما يرد به الجاهل عن جهله، والنوى عن غوايته، ويسلمون مكانه من الله، واستجابته لعزه ونصروه، وأنه الخليفة المتقى، والإمام المتألف؛ وأنه يُقَسِّمُ الغنم في الطاعة، على الجثة في العقوبة، والحسبة في الاستصلاح، على القوة في التأيد؛ فامسك منهم بيدك؛ فإن أمير المؤمنين قد وهب ذلك كله لله، ورجا به ما ليس ضالعا عنده من نوابه .

في الصفح عن الجفاء

لو كان من نازع إلى الغدر، قلده عنان الحجر، لم يكن أقرب منا إلى الذنب، ونحن نرد عليك من نفسك، وتأخذ لنفسك منك، حتى يكون تركا إياك، وصدرا فيه وافرا .

فصل — الحمد لله على البلية التي طال أمدها، وبعد ما بين طرقها .

آخر — آتلفت في التثبت أناة ذوى الجحى، وفقدت المقدم من الأناة على السجلة، وأطعت في أمرك النظرة، واهتيت إلى الصدرة والمعرفة، فلكت ما ملكك، وحكت على الذي حكم عليك، فأخذت مثل الذي أعطيت .

فصل — بدء أسباب الأمور دليل على عواقب الأمل فيها، والخيرة بعد الله عز وجل .

فصل اعتذار

لو كان الناس يقضون الحقوق التي يجب عليهم، ويحافظون على الأمور التي تلزمهم، لقلت اللئمة، وخلصت الموتة، وارتفعت أسباب العتاب؛ ولكنهم عجزة متفوصون، يضعفون عن العلم، بأكثر ما تدركه عقولهم، وتوقعهم عن ذلك أشغال لا يجب بها العذر، ولا تستحق الإيثار؛ ولم أزل عاتبا على نفسي فيما ضيقت من مكاتبتك، مع معرفتي بفضلك، وموقع ذلك عندك، وما اعتذارى إليك، سوء ظن بك، ولا مخافة للامتك، ولئن فلت ما ظلمت، غير أنني أحببت أن أكفيك المؤونة، فيما عسيت أن تقبض عنه من مقايستي ومعاتبتي؛ وأنا أحب أن تقبل العذر، وتعين على مستقبل البر .

فصل — أنت في زمان إن لم تغالط أهله ، وتخطئهم على ما في أيديهم ، وتصبر على مكاره الأمور بعد المطالبة ، لم تصل إلى شيء ، ولم تجد أحدا ما على فضل منك وإن عرفه فيك ، ولم يفتنه من محاسنك شيء ، إلا رأى في مساوئ خبيرك عوضا منه ؛ فكان بذلك أطلع ، واليه أسكن ؛ فطبك بالصبر ، فإن غايته إلى خير ، وأقل ما فيه أن صاحبه لا يلوم نفسه ، ولا يلومه أحد ، ولما يظفر أو يدل .

إلى المأمون من عامل

قل من يسارع إلى بذل الحق من نفسه . إذا كانت الحق مُضْرا به ، وقل من يدع الاستانة بالباطل ، إذا كان فيه صلاح معاشه . وسبب مكتسبه ؛ وإذا تفرق الحق في أيدي جماعة فطوبت به ، تشابهت في الكثرة لبذله . وتعاونت على دفعه ومنعه ، بالحيل والشبهة قولاً وفعلًا ؛ واحتاج المُبتلى باستخراج ذلك الحق من أيديها ، إلى استعمال مجاهدتها ومصابرتها على الحيلة في مدافعتها .

ابن الكلبي

كان خبر ما أهلك الله في فلان بعد أمانه ما عزمته عليه من الأمان ، خبراً عظماً مكائنه من أمير المؤمنين ، وحسن موقعه من الدين ؛ ثم ردف خبرك بإذعانته عند ما عضه من بأسك . ومته من مؤلم إيقاعك للاستسلام ، وطلب عقد الأمان ؛ وإنك بذلت له ما طلب لا إرهبة بقيت في ناحيتك ، إلا الاحتذاء على مثال أمير المؤمنين وأدبه ؛ فكان إياؤه ما عرضت عليه في أول أمره ذخيرة حفظ فيما كشفت عنه البلوى من محمود أثرك ، واجتمع لك في ذلك حفظان : الظفر اتعرا ، والدرك لما حاولته أولاً ، فلا زلت على نصيبك من الحظ . مؤيدا بالنصر والمعونة ، والحمد لله على ما حقق من الظن ... من هذه النعمة على يديك وبسعيك .

(١) ياص في الأصل . ولعل الكلمة المزروعة « دوق » .

ابراهيم بن اسماعيل بن داود الى ذى الرياستين

وصل الى كتابك بخط يدك المباركة، فلم أوقللاً أجمع، ولا إنجازاً أكفاً من إطناب، ولا اختصاراً أبلغ في معرفة وفهم منه؛ وما رأيت كتاباً على وجاهته، أحاط بما أحاط، وضربت ظني في فلان فعظم ذلك سرورى، وقد يستعطف الظالم، ويستعجب المتحجى؛ وفي رقك وعلمك بالأمور ما يصلح الفاسد، ويكذل الصعب. ويقل المدبر، ولا يمتنعك جور من جار عليك، من الاعتقاد في الحجة طيه، والأخذ بالثقة في أمره، فإن الله عز وجل لم يجعل عليك في ذلك متعصاً ولا خصاصة، بل فيه الإعذار والإنذار والاستبصار، وقضاء حاجة النفس، مع التأدية الى السلامة، والأمن من التنامة.

فصل — أنا في حال عافية، تتجاوز الى حال نعمة، والمحمد لله حتى يرضى، فقد أروى؛ فأتانا ما أشرت به، وخبرت من إمضاء رأيك فيه، والإمساك عنه، فثلك جعل لمن نصحه شركاء في كل أمره، ولم يجعل رأيه قرصاً لبعضه أن يتعدى،^(١) وذكرت أدب فلائحة، وعندنا لفلائحة الطمع المستعجل مع الإنعام المتقدم، مع أنه لا شيء لها عندنا قل ولا جل. ولو كان ما استحلنا حبسه صفة كفى، ولا تقيض طرف؛ وذكرت أنه لا يستغنى مثلاً عن مثيلها، وأبدال الله كثيرة عتيدة، وما بان علينا فقد أحد ممن كان قبلها في دارنا، لخال بيننا وبينه حائل، ولا اختلنا له مع نظر الله تبارك وتعالى وأخلافه؛ وبعد هذا فأحسن الله جزاءك، وحاط لي فيك ما أحب منك، وكفالك المهمل وكفانيه بك، فما تقوم نفس لو كانت لي أخرى مقامك في نصيحتي وبرى. والاحتياح لي، بما أنا عنه ساهية لاهية من أمرى، لا أضرميك الله ولا النصيحة منك.

فصل — قال أبو جعفر الكرماني للحسن بن سهل ووعده شيئاً فأبطأ عليه :
أما أعيرف تكامل الثقة فيك، ورجاحة الفضل بك، وأعلم أن فعلك يربى على قواك، وأن إنجازك أكثر من وعدك؛ فقدم لي من كرمك، ما أتمره إلى أن يالحقه المتأخر

(١) بياض في الأصل - وما وضته يناسب المقام .

عنه ، وإلا فُلِّتْ على ما أقول اذا سألني مَنْ بَشَّته على شركك ، عما بلغته من الخلف على نيتك .
فقال الحسن : تقول ما ينبغي ، فقال : فاضل ما ينبغي أقوله .

عمرو بن مسعدة

وصل الى كتابك ، على ظلم مني اليه ، وتطلع شديد ، وبعد عهد بعيد ، ولوم مني على ما مستقى به ، من جفاك ، على كثرة ما تابعت من الكتب ، وعلقت من الجواب ، فكان أول ما سبق الى من كتابك السرور بالنظر اليه أنسا بما تجمده لي من رأيك ، في المواصلات بالكتابة ، ثم تضاعف المصرة ، بنجر السلامة ، وعلم الحال في الهيئة ؛ ورأيك بما تظاهرت من الاحتجاج ، في ترك الكتاب ، سالكا سبيل التخلص مما أنا مُحَلَّصُك منه ، بالإغضاء عن إلزامك الجمة ، في ترك الابتداء والإجابة . وذكرت شغلك بوجوه من الأشغال كثيرة متظاهرة ممكنة . لا أجثمك متابعة الكتب ، ولا أحمل عليك المشاكلة بالجواب ؛ ويقنعني منك في كل شهر كتاب ، ولن [تُزَم] ^(١) من نفسك في البر قليلا ، إلا ألزمت نفسي عنه كثيرا ، وإن كنت لا أستكثر شيئا منك ؛ أدام الله مودتك وثبت إيمانك ، وأستقبح لي منك ؛ فرأيك في متابعة الكتب ومحادثتي فيها بنجرك موقفا إن شاء الله .

عيسى بن واضح الى الفضل بن الربيع

قد أمد الله من حرمتي بك ، ووصل من الشعب بيني وبينك ما جعله ذخيرة ليوم الحاجة ، وعدة عند ملأ النازلة .

جبل بن يزيد

أما بعد فإن من صحب الدنيا لم يخل من تصرف أحوالها ، وكثرة معاريف بغائرها ، في اختتام الأنفس في خواصها ، ومواقع البلايا بين ذلك فيما يهتدأ ، ويفر من الأشياء عليها ؛ وكان ذلك لا سبيل ان دفعه ، ولا حيلة يستعان بها عند نزوله ، إلا الرضا عن الله عز وجل فيما قضى ، والتسليم لأمره في كل ما أتى . والسكون الى الأسوة التي نهج الله سبلها ، وخفف

(١) السياق يقتضيه وضع هذه الكلمة ، وهي متروكة في الأصل .

بها مواقع المصيبات على أهلها؛ ثم الرجاء بعد ذلك لحسن ثواب الله، [وقد] جعله الله لمن لزم أمره وأجتمت نفسه مكروها في مواطن الصبر على المصيبة، والشكر في حال العافية .

وله في المطر

قد كنت كتبتُ إلى أمير المؤمنين أهلُهِ المَطَرَةُ التي أصابتنا، وما أنزل الله بها من رحمته ثم عادت لنا بعدها من الله عائدة رحمة، بوليّ مَطَرٍ أنزله الله بأحسن ما رأينا من المطر وأبلا جوداً، لا يفتر غزيره ولا يَعرِى جودُهُ، إلّا إلى دِعة من دِيمة، يتراعى إليها يسيراً ريثما تعود، فأقامت علينا سماءه مُستَهلةً بذلك وكذلك إلى غروب الشمس؛ ثم أقطع مطرها بسكون من الريح، وكُدود من القَر، وفضل من الله عظيم، يَنشُر به رحمته، وَيَسُط به رزقه، فأسبغ النعمة، وأوسع البركة، وأبقى بعمد الله معارف الخُصب والحى . والله محمود على آلائه ومشكورٌ على بلائه، وما أنزل الله من سُقياه ورحمته، بعد الذي أقبلت به السنة البرية والقحط ومنم الإمطار، وشدة ما بلغ الناس من القنوط وسوء الظنون .

وله إلى بعض إخوانه

أما بعد، فإن أعظم الأمور فيا بين الناس حقاً أمران: منهما الإخاء في الدين، فهو سبب وصية الله بين عباده بالألفة والمحبة التي أقطعت بها قرائن القلوب من بعضهم إلى بعض، فأتصلت بحبالهم سرائرُ جلها، وتقطعت فيا بينهم عاطفاتُ وصلها، وهما جملة جميل الأعداء، وحفظ ما يحق لأهل حسن البلاء؛ ثم الصنائع بعد ذلك في مواقعها فضائل بقدر ما جرت به أسبابها ولطفت مداخلها .

فصل — الصناعة ليست يزيدنا الأخلاق الجميلة، ويزيد في أسبابها أو أضر المودة؛ وقد جعلك الله في صناعتك مُقدّماً، وفي مودتك مُتفضلاً؛ فلا زالت عنك نعم الله، ولا برحت سكا لإخوانك، وأنسا وموضعا لما تستميتون من معروفك، ويستمترون من يدبرك .

فصل - إنك من قبي لموضعا معمورا بالمودة والثقة ، والاسترسال
والألفة ، فلا يُخرج فلانا من سعة جيل برك ، الى عُقب استحقاقه .

آخر

قد طالبت الصباية اليك ، وللدهر حُقب عائدة بالنفع والصنع ، ولا سيما لمن كان على
مثل شاكلتك في أدبك وفضلك وإنصافك إخوانك وبرك بهم ، وما توجهه على نفسك
لم مما يُقصرون عن شأوك فيه .

الكلبي

كان أسلافنا همادوا ديونا من الصفاء يستأديها كل حُقب من صاحبه ، وقد أورتونا
مودة لا تعجز عن اكتساب مثلها .

ابن أعين كاتب الخيزران

ليس يكون منك شيء ، وإن حسن ، إلا وحسن ظني بك بيلغنه ، فاستم أحسن ما كان
منك ، يتم لك أحسن ما يُحب مني . ولا يمنحك الاكتفاء بحالك اليوم من طلب الزيادة
في غد ، فإنه لقل شيء لا يزيد إلا نقص ، والزمان يحق الكثير ، كما يربو على الزيادة القليل ما

ابن الكلبي

أنت من أطول بمكانه وأثني بجميل رأيه ، واعتمد على رِفده ، وأرجو دُرُك كل فضيلة
به ، ومما أحب عليه مَقَرِّم الله عز وجل لديك ما

علي بن عبيدة الى ابن الكلبي

وصل الله أيام عُمرى باتباع ، وافتك ، ولولا موعد أخذ علي ، لأطعنتك فيما أمرت به ،
متبعا مع إجابتك سرور نفسي برؤيتك في السلامة .

أما بعد ، فإني أصبحت وقد استفرغ الأمير مني كل مودة ونصيحة ، ومبلغ جهد
وطاقة فيما عرفت له فيه موافقة .

فصل - فإنَّ الذي شَبَّ الله بيننا من التواصل والكتاب، يدعوني الى متابعة الكتب اليك في تمهيد حقك ، وإن كان انلخر من ظاهر الحال قلباً بغيري. فإنَّ له من الأئس والموقع في الكتب ما ليس مُستعرضات الأخبار .

فصل - قد كنتُ أطلت الأمير اقطاع بنى فلان الى فلان ، بأهوائهم وبصائرهم وشراء ما قبله بغيره ، وما كان وصل اليها في ذلك من الأمور التي حلوا إضرها ، وبقي لنا أجراً وذكراً ونافعتها وسابقتها ؛ فنحن عند الأمير وخباياه وذخائره ، ومن يأمل يومه وفده ، ولا متخطئ له عنه ولا مقتصر دونه .

عمارة

بلفني كتابك يصف كذا . فإن رأيت ألا تتيمد على ما لصقت [به] من عذرك . وأطلت فيه الهوى من قبول عقوقك ، وتجعلني أحد من يسر بسرورك ، وتسررك في مهمات أمورك ، فإنني أحذهم وأوسطهم عناية بما عنك وتوسطا لما عراك ، فعلت .

فصل - والدق من دارك إذ الدار جامعة والحبل متصل ، إذ نحن في الاستيفاء بالخبر والعلم بدخلة الحال ، بمنزلة من كأنه يمانى من يشاق اليه ويصوبه في كل يوم ، حتى نأث النوى ، وأنت في اللقاء والإنظار في كل أمر وعلى كل حال من لا يُسلك في صفاء غيبه ، وصدق إخوانه .

فصل - مشاركتنا إياك في محبوب الأمور ومكروها يحلنا محلك في السرور بالنعمة يحددها الله لك ، ويوجب من الشكر علينا مثل الذي يوجب عليك . فوصل الله كل نعمة يهبها لك من الشكر بما يكون لحقها قاضيا ، ولزيد فيها موجبا .

سعيد بن عبد الملك

كنت على شغل في قطع من القرباس ، ولم يقطع بي حسن النظر بك في قبولك العذر ، وتحسينك ما أنت أهل لتحسينه ؛ فإنك تقبل دون حقك ، وتهب الذنب فيه ، فيكون شكرك

(١) في الأصل : « ... وسراء ما قبله ... » : (٢) في الأصل « طيا ... » وهو لا يؤتى الفرض المراد .

جاريا على سبيلين، كلاهما يُبين لك من فضلك، ويوجب لك مالا يَقْصُرُ معه إلا مغبونُ
الحفظ خُسْبُ النسيب .

فصل — وقد ظهر من أمير المؤمنين في فلان بعد وفاته، ما هو أعدل شاهد على
حسن مُتَقَلِّبه، وردَّ اليك من رأيه وتفقدته ما أرجو أن يكون فيه أعظم العوض . وانه
أسأل أن يتولى لك أمورك في السراء والضراء، والشدة والرخاء، والشكر وحسن العزاء .

جبل بن يزيد الى بعض إخوانه

ثم الله طينا وعليك النعم، وأجزل لنا ولك محاسن صالح القِسَم . إن الله تبارك وتعالى
أجرى بيننا وبينك لطيف مودة، وخاص أخوة، غير أن المعرفة قد تمهد بعد الخبرة،
والثقة إنما تعرف بعد التجربة، وقد أحببت أن يعلم من قبلك الذي أحدث الله لك من
حال دولتك، وأن يعلم هل أبقيت لنا منك النعمة سعة، أم تركت لنا منك صفة تعرف
بها عهدك وتأمل بها وصلك؟ فإن أصحاب السلطان، بحال بكوى في التخيُّر والانتقال،
إلا من ناله من الله تبارك وتعالى عصمة . فإن كنت على ما رجوت من الوفاء، وحسن
الحفظ للمودة والإخاء، فتلك لم يرض لنفسه إلا بأجل الأخلاق وأوقها للسداد . وإن
حجزك من ذلك ما تائق به الأقدار في مُتَصَرِّف الليل والنهار، نذكرك بما نذكرك به أهل
السلطان، اذا غيرتهم الحال، وتكرت شمائلهم بين الإخوان .

وله الى بعض إخوانه أيضا :

اعلم أني اليك مشوق، وأن صلة الإخوان كرم، وخير الصلات ما لم يكن لها وجه
إلا الرجاء والحفظ وتجديد المودة وتصحُّح الإخاء؛ فإن الذي يكتب إخوانه على حال
الرضبة يكفى القائل كتابه حيث شاء، إن أحب مال به الى الصحة، وإن شاء وضعه
للمرغبة، والرغبة أملكهما به . والذي يكتب إخوانه على حال الضرورة، فقد يستقطع الصلة
(١) في الأصل : وأجزلنا

(٢) في الأصل : « ما عليك » .

(٣) في الأصل : « وأملكها ... » .

عند الحَدَث غَلَّةُ اللَّامَةِ ^(١) من الناس على القطيعة الشَّعَاءِ المشهورة لإخوانه ؛ فإنَّ الذي لا مَوَدَّةَ له قد يصل ذلك في تلك القطيعة بأهل البلاء .

والكَلْبُ على مثل حالنا وسالك اليوم شاهدٌ على أن ذلك ليس إِلَّا صِحَّةُ الإخاء والشُّوقِ إلى المهادنة بالكَلْبِ ، حين لا يلومك الأئِمُّونَ لمُتَرَلَّةِ البلاءِ تلك اللَّامَةُ على التَّخْصِيرِ ، ولا يُوَضِّعُ منك الرِّبْضَةَ في الإطِّماعِ . إِيَّاكَ أَنْ تَمُتَلَ بِالشُّغَالِ أَنْ كُنْتَ فِي خَاصَّةِ تَهْكِ ، فإنَّ أدَاءَ الحقِّ وَصِلَةَ الإِخْوَانِ أَكْثَرُ انْخَاصَةٍ بِكَ خَاصَّةً . وإنَّا امرأنا في كلِّ هذا كَأَمْرِكَ في الذي يَسْتَنِي مِنْ خَاصَّتِكَ تِلْكَ الَّتِي لَنَا ، فإنَّ لنا ما لك . وهذه الَّتِي لَنَا لَكَ ؛ أَلَيْسَ مَاسِرَتَا مَرَكِّ وما سَلَبْنَا حِفْظًا لَكَ ، فَهَذِهِ كَذَلِكَ وَكَهَذَا . والله يُوَفِّقُنَا وَإِيَّاكَ . وَأَنْتَ أَبَا يَوْسُفَ . هَكَذَا حَالُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَا وَصَفْتُ لِأَبِي سَعِيدٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ سَأَلَنَا أَمْرًا لَمْ يَسْأَلْنَااه قَطُّ ، فَلَهُ فَضْلُ السِّبْقِ عَلَيْنَا فِي الْمَسْأَلَةِ ، وَلَنَا فَضْلُ الْمُتَرَلَّةِ عَلَيْكَ فِي اللَّامَةِ . وَلَنْ أَدْعَكَ وَالْفَعْلَ ، دُونَ أَنْ تَشْفَعَهُ بِالْعَمَلِ الَّذِي هُوَ صِلَةُ الْقَوْلِ . وَسَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، وَتَقْبَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِالْحَسَنَى لَنَا وَلَكَ .

فصل — أَتَانِي كِتَابُكَ ، فَأَنْعَمْتُ أَنْ يَسْرَى بِسَلَامَتِكَ ، وَمَا حَاقَ فِيهِ كَرَمُ بَرِّكَ ، وَلَطِيفُ عَيْنَيْكَ ، مَا لَمْ أَقِدْ فِي حَالَةٍ مِنْ حَالَاتِكَ ، فَكَانَ الْكِتَابُ مُصَنَّفًا لِمَا سَلَفَ ، مُبَشِّرًا بِمَا يَسْتَأْتِي ، مُدَكِّرًا مِنْكَ عَهْدًا مَوْصُوعًا ^(٢) مِثْلَهُ طَرَفِي وَقَلْبِي ، مُلْصَقًا ذِكْرَهُ بِلِسَانِي وَقَلْبِي . فَلَا حَمْدَ لَكَ ، بَلْ أُمْنَعِي اللَّهَ بِكَ فَاطِلًا ، وَكَثَرَنِي بِبِقَائِكَ .

فصل — أَتَانِي كِتَابُكَ فَطَامَنَ قَلْبِي وَطَرَفِي ، بَعْدَ مَا كَانَ شَاخِصًا إِلَيْهِ . مُتَشَوِّقًا إِلَى رُؤْيَيْهِ ، ثُمَّ مَلَأَنِي سُرُورًا مَا رَأَيْتُ فِيهِ مِنْ آثَارِ بَرِّكَ وَكَرِيمِ تَهَقُّدِكَ . وَأَفْضَلُ مَا عِنْدِي مِنْكَ قَبْلَهُ ، بِمَا إِنَّ ذِكْرَهُ ، فَلَا سَرَاةَ إِلَى الذِّكْرِ ، وَإِنْ أَمْسَكْتُ ، فَلَا جِزْءَ مِنَ الشُّكْرِ . فَأَمَّا الضَّمِيرُ فَبَنَى عَلَى الْإِقْرَارِ بِفَضْلِكَ ، وَالتَّيَّةُ خَالِصَةٌ بِشُكْرِكَ . وَقَلِيلٌ ذَلِكَ لَكَ ، فَأَعْطَاكَ اللَّهُ فَاطِلًا ، وَوَهَبَ فَاجْزَلُ .

(١) في الأصل : « غلة السلامة من الناس ... » . (٢) في الأصل : « ياخذ » . (٣) في الأصل : « فلا سراحة ... » .

فصل - وصل الى كتابك نجيل لي حين نظرت الى أثر يدك تجرى قلبك في بطن صهيقتك، أنك مائل بين عني: أنظر الى شخصك وأسمع من لفظك، فابتسمت ذلك مني طربا شاقا، وصباية هيجت الأحران وذكرت الإخوان. وكنت من إخواني الذين أنفر بسلامتهم للود الذي أجرى الله بيننا وبينك، فتواصلنا بحرمته، وتعاطفنا بوصله.

فصل - إن الله جل عاقبة كل نعمة وإن عظمت، تبعا لأولها، وجعل الشكر عليها سببا لتسامها وموجبا لأحسن الزيادة منها.

فصل في شكر - فإن الله جعلك للخير مَعِدًا، وللفضل مَوْضِعًا، فإِذَا حَلَّتْهُ نَفْسُكَ مِنْ ثَمَلِ أَصْبَاءِ الْمُرُوءَةِ، وَحَمَلَتْهَا عَلَيْهِ مِنْ عِظَامِ الْمَكَارِمِ، حَتَّى صِرْتَ بِمَا أَعْطَى اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ، مُنْتَهَى كُلِّ أَمَلٍ وَغَايَةِ كُلِّ رَغْبَةٍ. ثُمَّ أَتَيْتَ النِّعْمَةَ لِبَاسِ التَّوَاضُّعِ، وَنَاسَبْتَ فِي الْأَخْلَاقِ مَنْ سَبَقَتْ بِهِ عَلَيْكَ الْأُمُورُ، حَتَّى كَانَتْهُمْ فِي النِّعْمَةِ لَكَ شُرَكَاءُ. وَتَحَنَّنْتَ عَلَى الْأَقْرَبِينَ وَالْمُتَقَرِّبِينَ مِنَ الْإِخْوَانِ وَالْإِكْفَاءِ، حَتَّى كَانَتْهُمْ لَكَ وَلَدًا، وَأَجَبْتَ نَفْسَكَ حِينَ سَاعَدَكَ الدَّهْرُ، عَلَى طَبِيعَةِ التَّقَرُّبِ إِلَى الْعَامَةِ؛ فَكَلَّمَهُمْ يُبْدِلُ إِلَيْكَ بَدَلُورَغْبَتِهِ، وَيَمْتَنِحُ مِنْكَ مَتَاعَةَ فَضْلٍ؛ فَلَا عِدَمْتُ إِلَّا زَالَ تُلْغِشُ سَقَطَةً، وَتُحْمِلُ عَقْرَةً، وَتُقَسِّدُ خَلَا، وَتُؤَيِّلُ أَمَلًا؛ وَلَا مَدِيمَ مَنْ شَهِدَ ذَلِكَ مِنْكَ. أَنْ يَسْتَمِمْ هَذِهِ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ وَعَلَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْعَامَةِ أَنْ يَجْعَلَ سَائِرَهَا عِنْدَ خِيَارِهَا. وَمِنْ الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ عَلَيْهَا الْمُوجِيعُ لَهَا. أَنْ يُخَصَّ شَرَارُهَا بِمَوْضِعِ رَغْبَاتِهَا.

فَاسْلَمْ كَلَالُكَ اللَّهُ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ. غَيْرَ مُنْقَصٍ بِهَا، وَلَا مُكَدَّرٍ عَلَيْكَ صَفْوُهَا، حَتَّى تُسَلِّمَ النِّعْمَةَ الْعَاجِلَةَ إِلَى النِّعْمَةِ الْبَاقِيَةِ؛ فَإِنَّا وَإِنْ عَلِمْنَا أَنَّ مِنْ شَأْنِ الدَّهْرِ الْفُتْرَانَ فِي الْمَوَاقِبِ فَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّكَ فِيهَا أَهْدَى اللَّهُ إِلَيْكَ مِنَ النِّعْمَةِ، قَدْ أَدَّتْ حَقَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ حَقَّ إِخْوَانُكَ فِيهَا. فَكَنتُ أَنْزَحَ مَنْ نَالَ فَضْلَكَ، كَرَمًا فِي السَّاءِ، وَرِضًا فِي الْأَثَرَةِ، غَيْرَ مُتَطَاوِلٍ لِمَا نَآمِلُ، وَلَا مُتَضَعِّفٍ لِمَا تَحْذَرُ؛ فَإِنَّا نَجْزِي شُكْرَ الْمَآصِي مِنْكَ. وَرَجَاءَ الْبَاقِي،

فدى تضيقا منا في عقد الرأى، وإزراء بنا في وثائق الأمور، ألا نتمحك من أنفسنا
مودة الولد ورقة الوالد . وإذا أعطاك أمرؤ ثمرة فؤاده، فقد فرغ اليك من جميع حقك ،
لأن ذات يد امرئ في البذل أهون طيه من ذات نفسه في الشكر . وكفى لامرئ من امرئ
أن يستولى عليه حتى لا يدع لغيره فيه فضلا . وكفى بك لنا من غيرك . وكثير ما أن تقوى
على أداء أدنى صنوف حقك ، غير أن أوتى أمورنا فيك عند أنفسنا ألا نسأم النظر إلى
فناكك بهمين بك إن برزت ، وطاذرين لك إن شغلت .

فصل — إن الهدى والضلالة يقتسمان دول الأزمنة ، لغير كرامة الباطل ، ولا
هوان للحق . وأهل الحق كيف تصرفت أحوالهم في كرامة من الله عز وجل ، ونعمة بين
دولة تكون لهم ، يقومون لله فيها بحقه ويظهرون هداة ودينه ، ودولة تكون للباطل ، يكونون
فيها كُهوفا لخيرات ، ومعدنا للمسنات ، يستكن الحق في صدورهم ، ويأوى البر والصدق
اليهم ، فهم بين يومئ صبر وشكر ، ليس أحدهما دون صاحبه في الفضل .

وأهل الباطل كيف تصرفت أمورهم بين تخط الله وعقوبته ، لأن الله تعالى لم يجعل
في الباطل فرجا لأهله ، وإن كانت لهم دولة كانت إملاءً واستدراجا ، وكانوا فيها على مدرجة
هلكة وسبيل ريمة ، وإن كانت الدولة لأهل الحق ، كانوا فيها بين ذل وضيم ، وخوف
وجزع ، وقد سدت عليهم المطالع ، وضائق عليهم الأرض بما رحبت . قى أى يومئهم
مستراحهم : أيوم دولتهم ، وهم لا يشكرون النعمة ولا يقطعون أسباب النعمة ؟ أم يوم
علو الحق عليهم ، وهم لا يصبرون على الحنة ولا يصبرون من العمى ؟ وأهل الحق بين
حلى غبطة وحسبة ، وأهل الباطل بين حالى إملاء وبقمة .

فصل في صفة الجند — إن الغالب على أهواء جماعة من فظام أولياء الأمير
وجنده إعظام الأمير ومعرفة فضله ، والتعزب الى الله بحبته ومناصحته وطاعته ، ومادة
مدونه وتلك نعمة يعتكونها ويتقربون الى الله بها ، ويتوسلون الى الأمير بخيرى قوم حالقوا .

فصل — حل بين فلان وبين التشريد بهم والاجتياح لهم ، فإذ ذلك أَرْضَى
 لربك ، وأجمع للألفة ، وأقوم لعمود الخلافة الذي سَدَّدَ الله دعائم الإسلام وأَسَّسَ الدين به .
 وأعلم أنَّ مَنْ حاطَ الله دينه ، ورمَتْ عن فوقه الجماعة ، وطأدى أهل التقض لها ، ابتعثه الله
 آمناً من هول الحساب وضيق المحشر ، والله بنصره أحق وأولى . وَكَنْ قَدْ بَحِثَ اقْتَرَضَ
 طَبِيعُكَ ، فَإِنَّهُ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ) .

كتب جعفر بن محمد بن الأشعث إلى رجل لم يكن كاتبه
 لست بما صرّفت إلى من معروفك بأسر مني ، بما أهديت إلى من قضاء الحق عنك ،
 وقلة ذوى الحرمة بك ، لأنك قد تصل من لا يثق ولا يأنس إلا بمن يعتمد عليه .

كتب الفضل بن يحيى إلى رجل يُساوره في أمر حَدَثَ
 ليس كل امرئ وإن كان ذا عزيمة في رأيه ، وأصالة في عقله ، بمستغني عن مكاشفة
 أهل الرأي ، لتوزيع الله عز وجل ، أقسام الفضل في خلقه ، وإشراكه إياهم ، في عطاياء ،
 من رأيك في كذا . .

ركب إبراهيم بن المهدي إلى أحمد بن يوسف ، فكتب أحمد
 إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي
 عندي من أنا عبده ، ومُحِبُّنا إليك ، إعلامنا إياك .

توسّل

توسّل رجل إلى رجل بمحمد بن عبد الملك وأدعى قرابته منه ، وبلغ ذلك محمداً فكتب
 إلى المتوسّل إليه :

بلغني أنَّ رجلاً ادّعى قرابتي ، وأورد عليك كتاباً ذكر أنه مني ، وما أنكر أن ينتفع بي
 من توسّل بنسبي ، إلا أنه من ادّعى قرابة ، ولا قرابة له ، كان استعمال الشفاعة في أمره أولى .

كتب طاهر بن الحسين الى الفضل بن سهل
أسعدك الله بخاربتك، التي بذلت فيها مجهجتك، ومُهَجَّ مَنْ هو موصول بك منا .

محمد بن الجهم

وليس في جميع الناس أمدى لك : من صديق مؤمل، أو حميم راجح، إن منعتما شتماك
وبهتك، وإن أعتبهما لاهه احتالاك .

محمد بن مسعر

قال : كنتُ أنا ويحيى بنُ أئتم عند سُفيان، فبكى سُفيان، فقال له يحيى : ما يُبكيك
يا أبا محمد؟ قال :

بعدُ مُجالستى مَنْ جالس أصحابَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم أبليتُ بمخالستكم ؛
فقال له يحيى : فُصِيبةٌ مَنْ جالستَ منهم يخالستهم لَأَنَّكَ بعدَ أصحاب رسول الله صلَّى الله
عليه وسلم أعظمُ من مُصيبتك بنا ؛ فقال : يا غلامُ، أظنَّ السلطانَ سيحتاج إليك .

دخل ميمون بن مهران على بعض خلفاء بني أمية — وأحسبه عمر بن عبد العزيز — فقال
له وقد قعد في أحراب مجلسه : عظمي، فقال له : إنك لمن خير أهلِكَ إنْ وقيتَ ثلاثاً، قال :
ماهن؟ قال : السلطانُ وقدرته، والشبابُ وغرته، والمسالُ وفتته، فقال : أنت أولى بمكانى
مَنْى فأرتفع الى؛ فأجلسه معه على سريره .

ابن وهب في الاعتذار

لو لم تعذرَكَ لم نَعذرَ أنفسنا بقطيعتك، فكن لنا في لائمة نفسك، كما نكأ لك في ضرك .

وفي مثله

ليس في الإساءة فضلٌ عن الاعتذار، وفي عائدتك فضل عن إسامتنا، فمن أين يسقط
بين فضلك والاعتذار !

آخر

فلان من حملة المعروف، يكثر عندهم قليله في شكرهم، ويقل لهم كثيره في عظيم حقوقهم .

فصل — ثلث عمت عن أباي فيك، لقد أبصرته بك .

فصل — تيب فاشتاق، وتلق فلا أشتى .

٢ — فصول من رسائل مختارة في كل فن

وهي مثل مما كتب به الكتاب في أبواب لا نظير لها

فن ذلك ما كتبت به في التحميد لله عز وجل في أوائل الفسوح وأواخرها وأوائل الكتب التي فيها تحميد الله عز وجل .

التحميد الأول

الحمد لله القادر القاهر، المتوحد بالسلطان والروبية، والمتفرد بالبقاء والقدرة، والمتعبر بالكبرياء والعظمة، ذي الجلال والإكرام، والإفضال والإنعام، والعز والبرهان، والأسماء الحسنى، والمثل الأعلى، الأول بلا غاية، والآخر بلا نهاية، الذي لا يحيط به وصف الواصفين، ولا تبلغ مدى عظمته أوهام المتوهمين، ولا تتركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، لا يؤوده حفظ كبير، ولا يعزب عنه علم صغير، يعلم حاشية الأعين وما تخفي الصدور، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين .

التحميد الثاني

الحمد لله الذي خلق الأشياء على غير مثال ولا رسوم، وأنشأها على غير حدود، ودبر الأمور بلا مشير، وقضى في السموات بلا ظهير، وملك السماء بقدرته، وبنها على إرادته، وأسكنها ملائكته الذين أصطفاهم لمجاورته، وجبلهم على طاعته، وزههم عن معصيته،

وجعلهم حلة عرشه، وسكنهم منازلهم، ورسله إلى أنبيائه، يسبحون الليل والنهار لا يفترون؛ ودحا الأرض وبسطها لكافة خلقه، وقسم بينهم الأرزاق. وقدر لهم الأنواء، فهم في قبضته يتقلبون وعلى أفضيته يمحرون، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وصدر محمد مفرد

الحمد لله العليّ مكانه، المير برهانه، التامة كلماته، الشافية آياته، والحمد لله وليّ أوليائه وصدا أعدائه.

وصدر محمد

الحمد لله الغالب الذي لا يُغلب، والمُتقَدِّر الذي لا يُعان، والمُنْجِز وعده، والمُؤَيِّد أوليائه، وانخاتم بالفلج^(١) والظهور لهم، والمُدبِّل من أعدائه، ومحيط دائرة السوء بهم.

ولكاتب خزيمة بن خازم في فتح الصنارية محمد مختار

أما بعد، فالحمد لله ذي الملكوت والقُدرة، والجبروت والعِزة، والسلطان والقوة، أهل الحمد كلها، ومدبر الأمور ووليّها، وخالق الخلائق وبارئها، ومهيئها ومحييها، وباعثها ووارثها؛ الذي أوجب على نفسه بما نفذ من مشيئته، وسبق من علمه، وثبت في اللوح المحفوظ عنده إعزاز ديه، وإظهار حقه، وإعلاء كلمته، وإبلاج حجته، وإزهاق باطل أعدائه، الصارفين عن طاعته، والباحدين لربوبيته، المكذِّبين بكتبه ورُسُلِهِ، بلغ بذلك أمره، ونطق به كتابه؛ فإنه يقول تبارك اسمه في المثل من فرقائه: «بَلْ قَذِفْ وَالْحَقَّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ».

ومحمد لأحمد بن يوسف إلى الولاية عن الخليفة

أما بعد، فالحمد لله ذي المِنَّن الظاهرة، والحمج الظاهرة؛ الذي قطع بينه وبين عباده المعنيرة، ورادف عليهم اليقنة، ومُهَلَّة النظرة؛ وجعل ما أنعم من حظوظ الدنيا بالقسم

(١) الفلج: الطيب والطهر. يقال قح قحان على خصمه، أي طيب وطهر.

المكتوب، وما دُخِرَ لهم من ثواب الآخرة بالتَّجَمُّع المطلوب، فهم في العاجلة شركاء في النعمة، وفي الآجلة شقَى في الرحمة؛ يختص بها أهلها المتضعين بما ضرب لهم من الأمثال، وتصريف الحلال بعد الحلال؛ المبادرين بأعمالهم إلى انقضاء مَدَدِ آجالهم، قبل حلول ما يُتَوَقَّع، وفوت ما لا يُرْتَمَع.

وتحميد لإبراهيم بن العباس في فتح اسحاق بن اسماعيل

الحمد لله مُمَزِّعُ الحق ومُدْبِئُهُ، وقَامِصُ الباطل ومُزِيلُهُ، الطالب فلا يفوته من طلب، والغالب فلا يُعْجزُهُ من غلب، مُؤَيِّدُ خليفته وعبدِهِ، ونَاصِرُ أوليائه وحزبه، الذين أقام بهم دعوته، وأعلَّ بهم كلمته، وأظهر بهم دينه، وأدال بهم حَقَّهُ، وجاهد بهم أعداءَهُ، وأثار بهم سبيلَهُ، حمدًا يَقْبَلُهُ ويرضاه، ويوجب أفضل عواقب نصره، وسواجِعَ قَتهَا.

التحميد الثاني

الحمد لله الغالب ذى القُدْرَةِ، والقاهر ذى العِزَّةِ، الذى لم يُقَابَلْ بالحق باطلا في موطن من مواطنِ التَّحَاكُمِ بين عبادِهِ، إلَّا جعل أولياءَ الحق منهم حِزْبَهُ وجُنْدَهُ، وجعل الباطل بهم فلا منكوبا، ودَحِيضًا زَهُوقًا؛ إِنْ نَهَضَ به أوليائُهُ كانت مراصدُ عواقبه مُفَرَّقَةً ما جُمِعَ، ومُبْتَرِئَةً ما أُعِيدَ، وقائمةً بأشياعِهِ إلى مَصْرَعِ الظالمين، حتى يَكُونَ الحق الطالبَ الأَعَزَّ، والباطلُ المطلوبَ الأَذَلَّ؛ وأولياءَ الحق الأَعْلَى يدا وأيدا، وأشياعُ الضلال الأَخْسِرِينَ أَعْمَالًا وكَيْدًا؛ قضاءً الله وسُنتَهُ، وعادةً الله وإرادَتُهُ، في الفِئَةِ المنصورة أن تَمُزَّ فلا تُزَامَ، وأن يُمَكَّنَ لها في الأرض كما مَكَّنَ للذين من قبلها؛ وفي الفِئَةِ الناكِين عنه، أن تَرَلَّ فتَكُونَ كَلِمَتُهَا السُّفْلَى، وكَلِمَةُ الله هي العليا، والله عزيز حكيمٌ.

وتحميد له مبتدأ مقام بين يَدَي خليفته

أما بعد، فالحمد لله الأول بلا أَيْدٍ يُحْصَى، والآخِر بلا أَيْدٍ يُفْنَى؛ الظاهر خلقة بيزته، العزيز في سلطانه بعظمته، القُدْرُ في وحدانيته بقدرته، المدبِّر في ملكه بيجبروته؛ الذى نأى عن الأشياء أن يكون فيها تحوُّلاً، واتصل بها فلم يك من علمها خَلِيقًا، وهو فيها غير مُسْتَكِنٍّ،

ومعها غيرُ ثَمَّاسٍ في بلج البحار ، ومفاوز القفار ، وشواخ الجبال ، وكُنَّبان الزوال ؛ مع كلِّ خَلْقٍ ، وفي كلِّ أَقْصٍ . وعلى كلِّ شَرَفٍ ومكان ، وفي كلِّ وقتٍ وأوانٍ ؛ موجود إذا طُلِبَ ، وقريبٌ حيثُ يُدْبَ ؛ عالمٌ خُفَيَاتِ النيوبِ ، وخَطَرَاتِ القلوبِ ، وما في السموات وما في الأرضِ ، ما يكون من تَجَوَّى ثلاثَةِ الالهو رابُّهم ، ولا تَمْسِيَةِ الالهو سادُّهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثرُ آلا هو معهم ، وما تسقط من ورقة ألا يعلمها ولا حبة في طُكُمَاتِ الأرض ولا رَطَبٍ ولا يابس إلا في كتاب مبين .

وتحميد ثالث يتلو الأول

الحمد لله المتعالى عن تشبيه الجاهلين ، وتحديد الواصفين ، وتكليف الناعتين ؛ يُوصَفُ لا بالعرض والطول ، ويُتَمَّتْ بغير الشبح المَثْوُلِ ، ويُحَدِّدُ لا بالخلق المَعْدودِ ، والجسم الموجود ؛ بل يُتَنَاهَى من وصفه ، الى ما دَلَّ عليه من صُنْعه ، ويُوَقَّفُ عليه من نعمته ، على ما أَخْبَرَ به عن نفسه ؛ وكيف يُوصَفُ مَنْ لم يَرَهُ أحدٌ ، ويُحَدِّدُ مَنْ لم يَحْطَ به ؛ أو يُشَبَّه غيرُ ذِي أعضاء ، أو يُكَيَّفُ غيرُ ذِي أجزاء ؛ أَوْزُنِي أَوْصِفْ ، ولو وُصِفَ بِمَثَلٍ ، ولو مُثِّلَ لكان له نظيرٌ ؛ سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً . لا تُحِثُّه الأقطار . ولا يحويه قرار ؛ ولا تُدْرِكُهُ الأبصار . وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير ؛ لا يوصف أولاده . ولا يُدْرِكُ أشعاره ، ولا يُعرَفُ مُتَناهٍ ؛ عَظُمَ أَنْ يُحْصِرَهُ وَهْمٌ ، وجَلَّ أَنْ يُدْرِكَه قَهْمٌ ، وامتنع من أَنْ يَخْطئه عِلْمٌ ، ولا يُفْهِرُهُ لَيْلٌ ولا يَوْمٌ ؛ ولا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ ولا نَوْمٌ ، له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذى يَشْفَعُ عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يُحِيطُونَ بشيءٍ من علمه إلا بما شاء ، وسِعَ كُرْسِيُّهُ السموات والأرض ولا يُؤْودُهُ حِفْظُهُمَا ، وهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ .

وتحميد ثالث

الحمد لله الذى أَمْسَأ من الإقرار بربوبيته . والإيمان بوحْدانيته ، وأَنَّهُ غيرُ ذِي صاحبة يسكنُ اليها من وَحْشة ، ولا وليدٍ يتكثر به من ضَعْفِ قِلَّةٍ ، ولا شريكٍ يعاونه من عجز قُدْرَةٍ ، ولا ظهورٍ يكافئه لملال قُدْرَةٍ ؛ ما جعل لنا به رُتُقَ الأسبابِ لَدَيْهِ ، وأرجى الوسائل

اليه ؛ إذ كان من أنكر ما دللنا الإقرار به يصير يمسد ما أختلنا الاعتراف فيه ، الى أليم عقوبته بالمعصية التي استحكمت السُّخطة على أهلها ، وحلت النِّقمة بمن فارقها ؛ ثم جعلنا تبع إشراف كثير على أنفسنا في مشيئة منه ، بسط اليها آمالنا وأحسن عليها أطماعنا بكرم غفوه ، وعظيم حلمه ، وسعة رحمته ، التي وعد أهل الإيمان بها ؛ إذ صار من فارقهم في ذلك بما استهوت طليهم ، بقرينه لهم شياطينهم ، ورائت على أفئدتهم ... وما ظلمته^(١) قُرباؤهم الى الناس من كل طمع يُجدي وخبر يُنجي ؛ جزاء بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، إنا لله لا يغير أن يشرك به ، ويفير ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يُشرك بالله فقد حبط عمله ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

ومحميد يتلو الثالث في هذا المقام

الحمد لله الذي ابتدع لا من شيء ما أنشأ ، وابتدأ على غير مثال ما ابتدأ ؛ فجعل كثيرا من لطائف تقديره ، وصنوف تدبيره ، وتصاريف أموره ؛ مُجبا واضحة ، وآيات بينة ، وعبرا شافية ؛ تشهد له بجزء القدرة ، وقاذا الحول والقوة ؛ خلق مدبرا بلا مشورة أحد ، سبعا دحان على الماء على غير سنده ؛ مهسوطات في تكاثف أجزائهم ، على معين ماء مسخر من تحتهم ، حرر خلألق أنهارا ، وقدر فيهم من المعاش أوقاتا ، وجعل لهم من الجبال أوتادا ، ثم استوى الى السماء وهي دحان ، فقال لها وللأرض آتيا طوما أوكرها قائلا آتينا طالعين . ففطر من الدحان في خفته على الهواء سبعا ، جعل بينهم من الجلو متسعا ، سبع سموات طباقا مَرْتَفَعَات ، بلا دعائم قبلها ولا علاقات ، يُمكنهن بقدرة أن يرتفعن فوق ما جهنن عليه ، وأن يهوين الى قرار دون ما رفهنن اليه ؛ فأنهن صنعها ، وأوحى في كل سماء أمرها ، وزين السماء الدنيا بالمصابيح النيرة ، والشهب الثاقبة ، والنجوم الواضحة ؛ ومغر الشمس والقمر علما للمهتدين ، وسراجا للبصيرين ، ورجوما للشياطين ، وأوقاتا لاختلاف السنين ، ومعرفة لكل حين ؛ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل

سابق النهار وكل في فلك يسبحون ؛ ففضاهن سبع سموات في يومين . ولو شاء خلقها في أسرع من طرف العين ؛ إتمام أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ؛ بلا معاناة لقول ، ولا ضعف من حول ؛ ثم أسكنهن من خلقه ملائكة اصطفاهم لعبادته ، واجتباهم لتبليغ رسالته ، معصومين من أن يشركوا بالله ، ما لم يتوكل به سلطانا ، وأن يقولوا على الله إفكا وبهتان ؛ يسبحونه بالليل والنهار لا يفترون ولا ينامون من عبادته ، ولا يستحسرون عن طاعته ؛ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون .

ونحميد في فتح لابن العباس

أما بعد ، فالحمد لله الذي حمد نفسه ، وفرض حمده على خلقه ، وأمر دينه وأكرم بطاعته وأولياه ، وأكرم طاعته بأوليائه ، بفعل جنته منهم المنصورين ، وحزبه منهم الغالين ؛ نهج بهم سبيله ، وأقام بهم محبته ، وجاهد بهم أعداءه ، وأظهر بهم حقه ، وقمع بهم الباطل وأهله ، وأعلى كلمتهم ، وأبد نصرهم ، وألف لهم وبهم . ومكن لهم في الأرض ، فجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين .

والحمد لله العزيز لدينه ، المظهر لحقه ، الناصر لخلفائه ، المكن لحزبه ، المستقم بهم ممن صدف عنه ، مؤيدا لدينه بالنصر ، ليظهره على الأديان ، وحقه بالعرز ، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ وجنوده بالقلاع فهم الأعلون إن استنصر بهم ، والأعزون إن كادهم ؛ والأقربون منه إخلاصا وعملا ؛ حمدا يؤازر نعمه ، ويمتري بمثله فواضله ومزيده .

وله في فتح ابن البعيث لما خلفه به

أما بعد ، فالحمد لله ناصر أنبيائه وخلفائه ، وهادي أوليائه ، وأولياء الحق وحزب الهدى ؛ الذين أقام بهم سبل الرشاد ، ونصب بهم مناهج الدين ، فأظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

وله صدر كتاب الخميس في تمجيد الله وتمجيده

أما بعد ، فالحمد لله الذي جلت نعمة ، وتظاهرت منته ، وثابتت أياديه ، وعم احسانه ؛ إليه كل شيء وخالفه ، وبارئ ومصوره ؛ والكائن قبله ، والباقي بعده ، كما قال في كتابه : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) . العالی فی مشیتہ والقاهر فوق عباده ، المتعالی عن شبه خلقه ، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ، خلق العباد بقدرته ، وهدام برحمته ، وأوضح لهم السبيل الى معرفته بما نصب لهم من دلائله ، وأراهم من صبره ، وصرفهم فيه من صنعه ، كما قال جل جلاله : (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) .

وذلك كله ين خلقه لإياهم بخيله ما مثل لهم من الدلائل التي نصبها لهم ، والأعلام التي جعلها إزاء قلوبهم ، وأسماعهم وأبصارهم ، وبسر لهم خواطرم وفكرهم ، والهيئة التي هيأهم لها ليقع الأمر والنهي عليهم ؛ فلا يكلفهم فوق طاقتهم ، ولا يُحسِّمهم ما يقصر عنه وسعهم ، نظرا منه تبارك وتعالى إليهم ورحمة بهم ؛ ليؤمنوا به ويعبدوه ، فيستحقوا به رحمته ورضوانه ، والخلود في النعيم المقيم ، والظل المديد ، والعيش الدائم ؛ كما قال تعالى ذكره : (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) . وكان من نظره ورأفته بهم أن يبعث فيهم أنبياء ورسله ، يدعوهم الى طاعته ، ويبينون لهم هداه ، ويوضحون لهم سبيله ؛ ويهدونهم الى رحمته ، ويبينونهم ثوابه ، ويبنونهم عقابه ، ويسلطون لهم قوبته ، ويحذرونهم نخطه ، ويبينون لهم سنته وشرائعه ، ويكشفون لهم مواعظه ، ويأمنونهم كتابه وحكمته ، كما قال تبارك وتعالى : (لِيَلْئِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَحَيْمًا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) . وكان من رأفته بهم ، ونظره لهم ، أن بعثهم اليهم بالجمع الظاهرة ، والأعلام البينة ، والشواهد الناطقة ، التي أظهر بها صدقهم ، وأقام بها برهانهم ، وأوضح

بها دليلهم ، وأتابهم عمل سواهم ، ليكون أدعى لهم الى تصديقهم ، والقبول عنهم ، وأؤكد
للحجة على من أبى ذلك منهم .

ومحمد أحمد بن يوسف في صدر رسالة الخليس التي كانت تقرأ بخراسان

أما بعد ، فالحمد لله القادر القاهر ، الباعث الوارث ، ذى العز والسلطان ، والنور
والبرهان ، فاطر السماء والأرض وما بينهما ، والمتقن بالمرء والطول على أهلها ، قبل
استحقاقهم لمثوبته ، بالمحافظة على شرائع طاعته ، الذى جعل ما أودع عباده من نعمته ،
دليلا هاديا لهم الى معرفته ، بما أفادهم من الألباب ، التى يفهمون بها فصل الخطاب ، حتى
أقتنوا علم موارد الاختبار ، ويتفقا مصادر الاختبار ، وحكموا على ما بطن بما ظهر ، وعلى
ما ظاه بما خسر ، واستدلوا بما أراهم من بالغ حكمته ، ومُتَقَن صناعته ، وحاجة مُتَرَاوِل
خلقِهِ ومُتَوَاصِلِهِ ، الى القوام بما يُلْمُهُ ويُصْلِحُهُ ، على أن له بارئا هو أنشأه وابتدأه ، وبسر
بعضه لبعض ، فكان من أقرب وجودهم ، ما يباشرون به من أنفسهم ، فى تصرف أحوالهم ،
وفنون انتقالها ، وما يُظْهِرون عليه من العجز عن التأتى لما تكاملت به قواهم ، ونمت به
أدواتهم ، مع أثر التدبير والتقدير فيهم ، حتى صاروا الى انطفئة الحكمة ، والصورة المُعْجِبة ،
ليس لهم فى شئ منها تَلَفُّفٌ يَتِمُّونَهُ ، ولا مَقْصِدٌ يَتِمُّدُونَهُ من أنفسهم ، فإنه قال تعالى
ذِكْرُهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبُّكَ أَكَرِّمَ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ
مَا شَاءَ رَجَّكَ ﴾ . وما يتفكرون فيه من خلق السماء ، وما يجرى فيها من الشمس والقمر ، والنجوم
مُسَخَّرَاتٍ على مسير لا يثبت العالم إلا به ، من تصاريف الأزمنة ، التى بها صلاحُ الحُرث
والنَّسْلِ ، وإحياء الأرض ، ولقاح النبات والأشجار ، وتعاور الليل والنهار ، وموَّزَ الشهور
والأيام ، والستين التى تُحصى بها الأوقات ، ثم ما يوجد من دليل التركيب ، فى طبقات
السقف المرفوع ، وللهاد الموضوع ، باختلاف أجزائه والتتامها ، وتحرُّق الانهار ، وإرساء
الجبال ، ومن النظام الشاهد على ما أخبر الله به من إنشائه الخلق وحدوثه بعد أن لم يكن ،
مُتَرَقِّيا فى النَّسَاء ، وشبَّاه الى أجله فى البقاء ، ثم تحاره مُتَضَيِّيا الى آخر الفناء ؛ ولم يكن له

مُفْتَحُ عَدَدٍ ، وَلَا مُقْطَعُ أَمَدٍ ، وَمَا أَزْدَادُ بَشَوءٍ ، وَلَا تَحْقِيقُهُ تَقْصَانٌ ، وَلَا تَقَاوُتُ عَلَى الْأَزْمَانِ ؛ لِأَنَّ مَا لَا حَدَّ لَهُ وَلَا نِهَايَةَ ، فَيُرْمَكُنِ الْإِحْتِمَالُ لِلتَّعْصِ وَالزِّيَادَةِ ؛ ثُمَّ أُجْرَى فَيَاذَكَرُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَخَلَقِ الْإِنْسَانَ إِلَى ذِكْرِ مَا تَفْضِلُ اللَّهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَا اخْتَصَمَ بِهِ مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى ذِكْرِ الْخُلُقَاءِ أَوَّلًا ، ثُمَّ إِلَى ذِكْرِ الْمَأْمُونِ وَدَوْلَتِهِ .

وَمَجْدٌ لِلْعَبَّاسِ فِي مَقَامٍ لَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ عَلَيْنَا ، وَإِحْسَانِهِ إِلَيْنَا ، بِالْأَرْضِ الْمَبْسُوطَةِ ، وَالسَّمَاءِ الْمَرْفُوعَةِ ، وَالرِّيحِ الْمُسْفَرَةِ ، وَالْأَمْطَارِ النَّازِلَةِ ، وَالْأَوْرَاقِ الْقَائِمَةِ ، وَالْمَنَافِعِ الدَّاعَةِ ، وَالْدِّينِ الْمُبِينِ ، وَالْأَدَبِ الْقَوِيمِ ؛ حَمْدًا يَكُونُ إِلَيْهِ صَاعِدًا ، وَلَدَيْهِ نَازِلًا ، وَلَمَّا كَوْنُهُ مَالًا ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَثْبُتُ رِضْوَانُهُ ، وَيُورِثُ إِحْسَانَهُ ، وَيُوجِبُ مَزِيدَهُ ؛ فَهُوَ الْمُنْعَمُ الْمَحْمُودُ ، وَالْمُتَطَوِّلُ الْمَشْكُورُ ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا شَرِيكَ لَهُ ، كَمَا شَهِدَ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

وَمَجْدٌ لِعَبْدِ الْحَمِيدِ فِي أَبِي الْعَلَاءِ الْحَرَوِيِّ

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاصِرِ لِنَبِيِّهِ ، وَأَوْلِيَانِهِ وَخُلُقَانِهِ ، الْمُظْهِرِ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ ، وَالْمُنْدِلِ لِأَعْدَائِهِ وَأَهْلِهِ الْيَدَةِ وَالضَّلَالَةِ ؛ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَ حَقٍّ وَبَاطِلٍ ، وَأَهْلِ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ ، إِلَّا جَعَلَ النُّصْرَةَ وَالْقَلْبَ وَالْعَاقِبَةَ لِأَهْلِ حَقِّهِ وَطَاعَتِهِ ، وَجَعَلَ الْخِزْيَ وَالذُّلَّ وَالصَّغَارَ ، عَلَى أَهْلِ الْبَاطِلِ وَالْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ ؛ حَمْدًا يَقْبَلُهُ وَيَرْضَاهُ ، وَيُوجِبُ بِهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ الزِّيَادَةَ الَّتِي وَعَدَ مِنْ شُكْرِهِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا يَتَسَوَّلُ مِنْ إِعْزَازِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَصْرِهِ وَإِفْلَاحِهِ وَإِظْهَارِ حَقِّهِ ، عَلَى مَا وَقَعَ بِأَعْدَائِهِ وَأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ وَالْخِلَافِ عَلَيْهِ مِنْ سَطْوَاتِهِ وَقَهَاتِهِ وَبُاسِهِ ، فَيَا وَلِيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مُوَالَةِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعِدَاوَةِ مَنْ بَنَى عَلَيْهِ وَطَادَاهُ ؛ لَا يَكْلُهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ إِلَى نَفْسِهِ ، وَلَا إِلَى حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَمَكِيدَتِهِ ، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِهِ .

ونحميد في آخر فتح

الحمد لله المُرَّزَ للينه ، المُنْظَرُ لحقه ، الناصِرُ لأوليائه ، المنتقم من أعدائه أهل الكفر ،
المتَّكِلُ بهم من بأسه ، وقمته وجَوائِده ، الذي لم يجمع بين أهل حقّه ، وباطل عدوه ، في موطن
من مواطن التعاكم ، إلّا جعل فيه لأوليائه الظفر ، وأفرغ عليهم الصبر ، ومنعهم النصر ،
وجعل الدائرة وسوء العاقبة على عدوه ، وأهل الكفر ، حمدا كثيرا يرضاه من الشكر ،
ويحسن به المزيد .

ونحميد في فتح الى أمير لقمامة

الحمد لله الفتح العليم ، الذي خصَّ الأميرَ بأفضل الكرامة وأتمَّ النعمة ، وأحسنَ الولاية ،
وأعظمَ الكفاية ، وحفظ ما استرماه ، وأعزَّزَ أوليائه ، ولَمَحَ بالمُدَّةِ أعداءه ، وجعل حسن
المسابقة له ولأهل طاعته ، ودائرة السوء على أهل معاندته ، حمدا يحسن به القضاء ،
وتريد به النماء .

وصدر نحميد لفسان بن عبد الحميد في خطبة موجزة

الحمد لله الذي لا يُدْرَكُ خيرٌ إلّا برحمته ، ولا يُنَالُ الفضلُ إلّا بنعمته ، وليَّ التَّسديدِ
للمسائتِ ، والعصمة من السيئات .

نحميد لعبد الحميد في فتح

الحمد لله العليّ مكانته ، المتبرِّ برهائه ، العزيز سلطانه ، الثابتة كلماته ، الشافية آياته ، النافذ
قضاؤه ، الصادق وعده ، الذي قدر على خلقه بملكه ، وعزَّز في سماواته بعظامته ، ودبر الأمور
بعلمه ، وقدرها بحلمه ، على ما يشاء من عزِّمه ، مُبْتَدِعاً لها بآفائنه إياها ، وقدرته عليها ،
واستصغاره عظيمها ، نافذة إرادته فيها ، لا تُجْرَى إلّا على تقديره ، ولا تُنْتَهَى إلّا إلى تأجيله ،
ولا تَقَعُ إلّا على سبق من حتمه ، على كلِّ ذلك بلطفه وقدرته ، وتصريف وحيه ، لا مَعْدِلَ
لها عنه ، ولا سبيل لها غيره ، ولا عِلْمَ أحدٍ بخفاياها ومعادها إلّا هو ، فإنّه يقول في كتابه
الصادق : رُوِيَ عَنْهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ ... إلى آخر الآية .

ونحمد

الحمد لله الذى علا بالجُحْب التى استتر بها عن جميع خلقه ، وأستغنى بها عنهم لما تَوَحَّد به دونهم من عبادة الذين فطروهم على المعرفة ، رعوفا عليهم بمنه وتُتَكَوَّلوا وهو فيها يُغْنى من أقداره ، مفصلا لهم بابتدائه خلقهم فى أحسن قويم ، وإعطائهم إياهم طاجل كل خير مقسوم ، وتسخيره لهم جميع ما فى السموات والأرض ، وبسطه لهم فى معاشهم أوسع الرزق ، وإسباغه عليهم فيها أفضل النعم التى لطفت فبطنت ، وعظمت فظهرت ، وليست فعمت ، وانتشرت بقلَّت ، وكثرت فلا يحصيا عاد ، وجرأت فلا يؤدى حق ما أقترض منها شاكر ، فإنه يقول : ﴿ وَإِنْ تَسْلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

والحمد لله الذى لم يقتصر بهم فى إكرامه وتفضيله إياهم على طاجل ، فإنه مُضْمِلٌ زائل مما أعظام إياه ولم يكلمهم فى معرفة خالقهم تبارك وتعالى ، وتوتل النعم عليهم ، والاحسان إليهم ، والارتياش لهم ، ولا فى مُبْتَنى سبيل طاعته ، وأداء حقه ، وشكر نعمته ، واستيجاب غبطة ألمعاد اليه الى أن يموتوا ذلك بمقولهم ، والنظريه بالبابهم ، والتصريف له على أهوائهم ؛ فإنه لو ألبأ ذلك إليهم ، وأفردهم فيه الى أنفسهم ، ووكلمهم فيما أمرهم به الى مقدرتهم ، لحارت عنه منهم الأبصار ، ولتاهت فيه منهم العقول ، ولأضلهم عن قصده العلى ، ولمال بهم الى غيره الهوى ، ولا استحكم عليهم ترك الردى ؛ ولكنه بعث فيها أنبياء الهادين ، يدعوهم الى الصراط المستقيم ، بنوره المضى ، ودينه القويم ، وآياته الينة ، وكُتِبَ الفارقة التى بين فيها تجاهة ومكر وهه ، وطاعته ومعصيته ، وثواب الفريقين فى ذلك من عباده ليحذروا ما حذرهم فيه من مخطئه ، وزل بهم فيه من تقمته ؛ وليسارعوا فيما جعل لأهله به الى أفضل المثوبة ، وأحسن العاقبة فى الدنيا والآخرة ، وكشف لهم الجهالة ، وهدى من الضلالة ، وبصرهم سبيل الحق ، وبين لهم معالم الإسلام ، ليرجع جائز ، ويقصد زائع ، ويعرف جاهل ، ويعبد الرب بما وحد به نفسه ، وليستين العلم ، ويستغنى الحق ، وليتغنى من الله الثواب بلزوم دينه الذى شرع ، وأداء فرائضه التى قرض ، وإيثار طاعته التى أوجب ، وليكون لله

الجمعة البالغة على عباده فيما تركوا من ذلك وسفّوها بعد استبانتهم لهم ، واستفاضته فيهم
واعذاره اليهم ، فانه يقول : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ويقول ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ ﴾ .

لأخس بن أبي شيخ

الحمد لله الذي بالقلوب معرفته ، وبالعقول حُجَّتْهُ ، الذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم
أميناً فوق له ، ومبلغاً فاذى عنه فحج به المنكر ، وآلف به المذير ، وثبت به المستبصر ، الى
أن توفاه على منهاج طاعته ، وشرعية دينه ، ثم أوردكم عهده وخصمكم بكلمة التقوى ، وجعلكم
الأمة الوسطى .

ولعبد الحميد في فتح

يُعَظَّمُ فِيهِ أَمْرُ الْإِسْلَامِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أما بعد ، فالحمد لله الذي أصطفى الإسلام ديناً رضى شرائعه ، وبين أحكامه ونور هداياه ،
ثم كَفَّه بِالْعَزْمِ الْمُؤَيَّدِ ، وَأَيَّدَهُ بِالظَّفَرِ الْقَاهِرِ ، وَأَزْرَهُ بِالسَّعَادَةِ الْمُتَجَبِّةِ ، وَجَعَلَ مَنْ قَامَ بِهِ
دَاعِياً إِلَيْهِ مِنْ جُنْدِهِ الْغَالِبِينَ ، وَأَنْصَارِهِ الْمُسْلُطِينَ ، كَلِمَةً قَهَرَتْ بِهِمْ مَنَاوِثَ أَوْرَثَهُمْ رِبَاقَتَهُمْ
الْمَامُولَةَ ، وَأَمَاطَهُمُ الْمُثَرِّيَةَ ، وَدَارَهُمُ الْفَسِيحَةَ ، وَدَوَلَّتْهُمْ الْمُطُولَةُ ، أَمْرًا حَتَمَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، ثُمَّ
جَعَلَ مَنْ طَاعَهُمْ وَأَبْغَى غَيْرَ سَبِيلِهِمْ مُسْلِمًا قَدْ أَسْتَهْوَتْهُ ذِلَّةُ الْكُفْرِ بِظُلُمِهَا ، وَحَيْرَةُ الْجَهْلَةِ
بِمَحَارِبِهَا ، وَتَبَهُ الشَّقَاءُ بِمَغَاوِيهِ ، وَكَلِمًا أَزْدَادُوا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ بِإِيَّاهُ . أَزْدَادَ الْجُلُوعِ إِلَيْهِمْ أَزْدِلَافًا ،
وَعَلِيمِ عُنُقُوغًا ، وَفِيهِمْ إِقَامَةٌ ، إِلَى أَنْ يَحُلَّ بِهِمْ عِزُّ الْقَلْبَةِ ، وَنَجَاةُ الْمُنْتَجَاوِزِ ، رَاغِبِينَ فِيمَا شَوْقُهُمْ
إِلَيْهِ . مُحَافِظِينَ عَلَى مَا نَبَّهَتْهُمْ لَهُ ، قَدْ بَدَّلُوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ دِمَاعَهُمْ ، وَقَبِلُوا الْمَعْرَضَ عَلَيْهِمْ فِي مَبَايِعَةِ
رَبِّهِمْ لَمْ يَنْصَبْهُمْ الْجَنَّةَ . مَحْمُودٌ صَبْرُهُمْ ، مُسْتَهْلِكٌ بِهِمْ عِزُّهُمْ ، إِلَى خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

والحمد لله الذي أكرم محمداً صلى الله عليه وسلم بما حَفِظَ لَهُ مِنْ أَمُورِ أُمَّتِهِ ، أَنْ اخْتَارَ
لِمَوَارِيثِ نُبُوَّتِهِ مَا أَصَارَ إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ تَطْوِيقِهِ مَا حَلَّ بِحَسَنِ نُهْرِيضٍ بِهِ وَنُحَّعٌ عَلَيْهِ ،
وَمُسَافِيَةٍ فِيهِ . أَنْ فَعَلَ وَفَعَلَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَمَّ وَعَدُهُ لِرَسُولِهِ وَحَلِيقَتِهِ فِي أُمَّةٍ نَبِيٍّ مُسَدِّدًا

له فيما أعزّم عليه . والحمد لله المعزّل بينه ، المتوفّي نصرأته بنبّه المتخلّي من عاداهم وثأوهم ، حمداً يزيد به من رضى شكره ، وحداً يعلو حدّ الحامدين من أوليائه الذين تكاملت عليهم نعمه فلا توصف ، وجلّت أياديه فلا تُحصى ، الذى حملنا ما لا قوة بنا على شكره إلا بموهبه ، وياقه يستعين أمير المؤمنين على ذلك ، واليه يرضى ، إنه على كل شىء قدير .

ولعبد الحميد أيضاً

أما بعد ، فالحمد لله الذى اصطفى الإسلام لنفسه ، وأرضاه ديناً لملكته ، وأهل طاعته من عباده ، وجعله رحمةً وكرامةً ونجاةً وسعادةً لمن هدى به من خلقه ، وأكرمهم وفضلهم وجعلهم بما أنعم عليهم منه أوليائه المقربين ، وحزبه الغالبين ، وجنّته المنصورين ، وتوكل لهم بالظهور والفتوح ، وقضى لهم بالعزّ والتمكين ، وجعل من خالفه وعزّب عنه وابتنى سبيل غيره أعداءه الأتقين ، وأولياءه الشيطان الأخسرين ، وأهل الضلالة الأسفلين ، مع ما عليهم فى دنياهم من الذل والصغار ، وما تجلّ لهم فيها من الخذلان والانتقام ، إلى ما أخذ لهم فى آخرتهم من الخزي والهوان المقيم ، والمذاب الأليم ، إنه عزيزٌ ذو انتقام .

وفى ذكر الإسلام وأهله وما فضلهم الله تعالى به

أما بعد ، فالحمد لله الذى عظم الإسلام تعظيماً ، وفضله تفضيلاً ، فلم يبق ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا إمام لأهل حق مهتد إلا دانّ به ، واتصل الى ولاية الله بما هداه له منه ، وليس فى دين الله الذى ارتضى ، وخيرته من أهل الإسلام الذين اصطفى ، تغاشم ولا تقالّم ، ولا تحاسد ، ولا تقاطع ولا تدابر ، ولكنهم كما وصفهم الله عزّ وجلّ بالتباز والتراحم ، والتوادّ والتناصّف ، قلوبهم متفقّة ، وأهواؤهم مؤلفة ، وأيديهم على أهل معصيته مبسوطة ، أعوانا على الحق ، وإخوانا فى الدين ، ألّف الله بينهم ، وجعل الإسلام نسبهم ، فقال فى كتابه : **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَاللَّهُ رَاضٍ عَنْهُمْ** ... إلى آخر الآية . فهذه صفة الله أهل دينه فيما بينهم ، وكذلك كان أسلاف الحق قبلهم ، فى توادّ وتبازّهم ، وتواصلهم وتعاونهم ، وبذلك دانّ أهل السماء ، فلم يختلفوا فيه ، ولم يرغبوا عنه ، ولم يحتذوا مثالا غيره ، وبه يدين

الله الباقون من خلقه، المتمسكون بحقه إلى يوم القيامة، ستة مستونة، وشريعة متبوعة، لا يفتنون بها بدلاً، ولا يريدون عنها حولا، فأهل طاعة الله أهل سلامة في دنياهم، وإخوان كما قال الله عز وجل في آخرتهم، لم تنقطع الولاية فيما بينهم، لا تقطاع الدنيا عنهم، ولكن الله وصلها بالآخرة لهم، بغفمهم في داره وجواره، كما آلف في الدنيا بين قلوبهم، وعصم بالإسلام ألقمتهم.

تحميد

الحمد لله المنيب على حمده وهو ابتداءؤه، والمنعم بشكره وعليه جزاؤه، والمثني بالإيمان وهو عطاؤه.

ولقأمه

الحمد لله الذي أكرم الإسلام وفضله، وشرّفه وعظمه، وأعلى منزلته، وجعل أهله القائمين به، والحامدين عليه، أولياءه وحزبه الذين قضى لهم بالحقين، والظهور على الدين كله ولو كره المشركون.

ولزيد بن علي رحمة الله عليه خطبة

الحمد لله الواصل النعم بالشكر، والشكر بالمزيد، حمد من يعلم أن الحمد فريضة واجبة، وأن تركه خطيئة مهلكة، وأؤمن بالله إيماناً نقي إخلاصه الشرك، ويضنه الشك، وأتوكل عليه توكل الواثق به ثقة أهل الرجاء، ومفزع أهل التوكل.

تحميد في الإسلام

الحمد لله الذي اختار الإسلام ديناً لنفسه، وأنبيائه ورسله، وشرّفه وعظمه، وأثاره، وأظهره، ونزهه وأحزه ومنعه، ولم يقبل غيره، ولم يحصل حسن الجزاء إلا لأهله، الذين كتب لمن أسعده بالوليعة فيه منهم الرضوان والمنفرة والرأفة، وعلى من خالفه وابتنى غير سبيله الحسرة والندامة، واللثة والصغار في الآخرة والأولى، والممات والحميا، إذ يقول الله عز وجل: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

والحمد لله الذي اجتبى محمداً صلى الله عليه وسلم بما اصطفاه من نبوته ، واختاره له من رسالته ،
 وجّاه بفضيلته ، واجتبه من أفضل عمائر العرب ، وأشرفها متعباً ، وأعرقها حسباً ،
 وأكرمها نسباً ، وأورأها زناداً ، وأرضها عماداً ، فبعثه بالنور ساحطاً ، وبالحق صادماً ، وبالهدى
 آمراً ، وعن الكفر زاجراً ، وعلى التبين مهيمناً ، وإلى سبيل ربه داعياً ، وبالكتاب عاملاً ،
 فيبلغ عن الله الرسالة ، ويهدي من الضلالة ، وانتاش من الهلكة ، وأنجى معالم الدين وأدى
 فرائضه ، وبين شرائعه ، وأوضح سنته ، ونصح لأمته ، وجاهد في سبيل الله حتى جهّاده
 حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وسلم .

تمجيد لأبي عبيد الله

الحمد لله الذي شرع لإظهار حقه وإنفاذ سابق قضائه فيمن ذرأ وبراً من عباده ،
 بإدخال من أراد أن يدخل في رحمته ، وإنجاز ما حق له من العبادة على خلقه ، بإبتدائه
 خلقهم ، ومظاهرته الآلاء طيبهم ، وإحسانه البلاء عندهم ، وإبلاغه في الحجج إلى عامتهم ،
 ديناً رضيهم لنفسه وملائكته الذين أسكن سماواته ورسله ، فآمن على وجه من لم يرخص
 إلا به ، ولم يقبل إلا إياه ، ثم كان ما أمر به نفسه ، وأظهر به نوره ، وأراد أن يسلبه
 عباده ، تحقيقاً لما سبق به علمه ، وإنفاذاً لما جرت به مقاديره ، أن بعث لِمَا شرع من
 دينه ، وأصطفى لتسيحه وتقديسه من ملائكته المقربين ، من ارتضى واختار من أنبيائه
 ورسله المحبين ، لتبليغ رسالته وإظهار حقه ، وأسئلاً^(١) من أراد سعادته من خلقه بالرحمة
 التي أطلعت عليهم وعظمهم ، ليعبد مخلصاً له ، محموداً بما استحمد به إلى خلقه ، مشموداً له
 بما أشهد به من كلمة الحق ، فكان منهم التبليغ لِمَا أُرسلوا به ، والتصيحة لمن أُرسلوا إليه ،
 غير مختفين فيما بُعثوا له ، ولا متفرقين فيما استعملوا فيه ، يدعهم آخر إلى ما دعاهم إليه
 أقول ، فيصدق بذلك بعضهم بعضاً ، ويهتدون إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ففضت
 رسل الله وأنبيأؤه على ذلك سالكين منهاج الحق وسبيله ، والدُّعَاء إلى الله عز وجل وإلى

طاعته، هادين مهديين غير مبجوسين شيطا مما كانوا أهلُه في المنزلة عند الله، والقربة منه، والوسيلة إليه، هم ومن آمن بهم وعززهم، وأتبع النور الذي أنزل معهم، حتى تخلصت بهم الأعمار، وتقطعت بهم الآثار، وتحرمهم الأجال .

وكذا لأبي عبيد الله

الحمد لله الذي جعل الإسلام رحمةً قلَّما لعباده قبل خلقه إياهم، واستبجابه إياها منه، فاصطفاه لنفسه وشرَّعه لهم ديناً يبينون به، ثم جعل تعديده وحيه ومتابعة رُسله رحمةً تلازم بها بعد تعديدها، ومِنَّةً ظاهرها عليهم قبل استبجابه لها، تطولاً على العباد بالنعماء، وإحذاراً إليهم بالحجج، وتقديمةً بالوعد، وإنذاراً إليهم عواقب منتهى في العباد .

والحمد لله الذي ابتعث محمداً صلى الله عليه وسلم بهذه وشرائع حقَّه على قَترَةٍ من الرسل، وطُيُوس من معالم الحق، ودروس من سبُل الهدى، عند الوقت الذي بلغ في سابق طبعه ومقاديره، أن يجتبي لنفسه الأصفياء، ويختار له الأولياء، الظاهرين بحقه، القاهرين لمن ابتنى سبيلاً غير سبيله، فعظم حرمة، ووسَّع حوزته، وصدَّع بأمره، وجاهد عن حقه في حَوامِ الضلالة وظلمات الكفر، بالحق المبين، والسراج المنير، ثم جعله مصدقاً لمن سبقه من الرسل ومُجدِّداً لما يُنبأ له وهدى ورحمة، ثم جعل لنفسه وظائف وظفها على أهلِه، وشرائع شرَّعها لهم لا يَكُلُّ دينهم إلا بها، وجعل أدامها إليه، واعتصامهم بها إماماً لنفسه، ونظاماً لنوره، وقواماً لحقه، واستبجابه لما وعد طبعه من ثوابه، وأُتِمَّ لما أوعده من خالفه من عقابه، فليس يسع أهل الإيمان بالله الذين أكرمهم به وأجزل لهم فضله وأجره، وجعل لهم عزَّه وعُلُوَّه، واختار لهم النبله والمقامة على من فارقه في إلا معرفتها، وأداؤها بما يُستكمل به حدودها، ومما لها من كذا وكذا .

إبراهيم بن المهدي — صدر رسالة له في الخميس

الحمد لله الذي اختار الإسلام ديناً لنفسه، ورضى أن يعبدَه من في سمواته من الملائكة المقربين، ومن في أرضه من النبيين والمرسلين، ومن آمن بالنور الذي هداهم له من الظلمات،

واختار لرسائله في سابق علمه ، والدكر الحكيم عنده ، محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه كتابه وجعل طاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم موصولةً بكنا فقال : (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ) .

تحميد

الحمد لله المتكبر في جبروته المتعزّز بسلطانه ، المتعالى في سمواته ، المحتجب عن خلقه ، فلا تُدرّكه في الدنيا أبصار الناظرين ، ولا تُحيط به أوهام المتوهمين ، ولا تبلغه صفات الواصفين ، الذى لا يؤوده عظيم ، ولا يفوته مطلوب ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو الصميع العليم .

تحميد آخر

الحمد لله الحكيم العدل ، الذى فصل بين الحق والباطل ، فغذ قضاؤه في خلقه ، وحكم فيهم بغرى حكمه على إرادته ، يقضى بالنصر والتأييد ، والعز والفعلج ، والتكفين للحق وأهله ، وبالنذل والوقم والغزى والصغار للباطل وأهله ، وجعل ذلك من فضله وحكمه مادةً جاريةً باقيةً ، وسنةً ماضيةً ، لا رادّ فيما قضى منه لقضائه .

والحمد لله الذى اختص محمداً صلى الله عليه بكراماته ، واصطنعه لرسالاته ، وأنزل عليه كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، بما أحل وحرم ، ورضى ومحط ، وأمر به ونهى عنه ، وجعله خاتم النبيين والمهيمن عليهم ، وكتابه الذى أنزل ، آخر الكتب المصدق بها النبي صلى الله عليه وسلم .

تحميد في الإسلام وما أمتن به على أهله من مبعث النبي

صلى الله عليه وسلم ، وهو في صدر الجهاد

أما بعد ، فإنّ لدين الله الذى ارتضاه لنفسه ، ولين اصطفاه من خلقه ، واجتباؤه من عباده وجعله معلمي بين الهدى والضلالة ، وفرقانا بين الحق والباطل ، وحاجرا بين الكفر والإيمان ، وظفها على أهلها ، وشرائع شرعها لهم ، بفعل أدامها إليه ومعرفة لها ، وعما فطنتهم عليها ،

واحتصامهم بها قواما لدينه ، وظلما لنوره وثباتا لحقه ، واستيجابا لما وعد من ثوابه ، وأما لما أوعد من عقابه ؛ فليس يَسُحَّ أهل الإيمان بالله والإقامة على حقه من المسلمين الذين ستمهم المسلمين بالإسلام ، وأحرز لهم فضله وعزّه ، وأصار لهم القلبة على من خالفهم وفارقهم بما ركنوا إليه من الصدود عن سبيله ، والكذب بكتبه ورسليه ، ودلتهم فيه قُرْأَنهم ، وقادتهم إليه أهواؤهم ، من اللال الضالة ، والأديان المجموعة التي لم يَقِرل بها من الله سُلطانٌ ، ولا تابٌ ولا برهان ، إلا معرفتها وأداؤها بما يُستكمل من حدودها ومعاملها .

تمجيد في الجهاد وما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم

أما بعد ، فإن الله خلق الخلاق بقدرته ، وقلدر الأمور بعلمه ، وأنفذ على ما مضى من مشيئته ، من غير أن يكون له ظهير في ملكه ، أو مُعين على ما يرى من عجائب خلقه ، واحتذاء منه على سائقي من صنعة غيره ، فوجد نفسه بما تفرد به دون غيره من خلقه ، يُعبد مُخلصا مبرا من الأنداد ، إتماما لنوره ، وتعزيزا لتوحيده ، وتأييدا لدينه ، وإعلاء لمن أحصم به ، وإقلا لا لمن خالفه وعَد عنه وعبد غيره ، وإحقاقا لكتبه ، فإنه يقول : ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ الآية ؛ بذلك أنزل نُكْبِه ، وأرسل رُسله ، وأحتج بهم وبما أنزل إليهم على من مضى من القرون السالفة ، والأُمم الخالية ، يدعو آخرهم إلى ما سبق إليه أولهم ، من عبادته وتوحيده ، لا يستوحشون من قلة ، ولا يؤتون من كثرة ؛ يُعزّمهم الله بقوته ، ويُؤيدهم بيئته ، وينصرهم وينصرهم إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بما خصهم به ، وجعله مُصَدِّقا لهم ، ومُهيّئا عليهم ، وخاتم النبيين بعدهم ؛ يُمضي لأمر الله ، ويحاهد من لم يُجِبه إلى الدخول في دين الله ، فأظهره الله وأثار حقه ، وأرقى عدوه ، وأنجز له ما وعده وأتم بذلك النعمة عليه وعلى من اتبعه ، فإنه يقول : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ﴾ .

تمجيد في فتح

الحمد لله الفتح العليم ، الرحمن الرحيم ، العزيز الحكيم ، الذي أعز الإسلام بقدرته ، وأيده بنصره ؛ فلم يُعِد فيه مُلْعِدٌ ، ويتسع في تشتيت الكلمة وشق المصا باع ، ويُوضَع

في الكفر والمعصية موضح ، ويتنوع من فضائه وإرادته مُتَنَعٌ إِلَّا أَنَّهُ اللهُ وَقَصَمَهُ ، وَأَضَرَعَ خَدَّهُ ، وَأَنْسَجَ جَدَّهُ ، وَضَلَّ سَبِيَّهُ ، وَعَجَلَ يَوَارَهُ وَاسْتَنْصَلَهُ ؛ حَمْدًا دَائِمًا لَا انْقِطَاعَ لَهُ ، وَلَا نِفَادَ لِمَدَّتِهِ .

تمجيد ثالث

والحمد لله الذي اختار الإسلام وشرفه ، وكرمه وطهره ، وأظهره وأعزّه ، وفطر عليه ملائكته ، وبعث به أنبياءه ورُسُلَه ، واختار له خيرته من خلقه عَمْدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ ، فَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ، وَأَكْرَمَهُ بِوَحْيِهِ ، وَأَصْطَفَاهُ عَلَى خَلْقِهِ ؛ يُبَشِّرُ بِالْجَنَّةِ مَنْ أَطَاعَهُ ، وَيُنْذِرُ بِالنَّارِ مَنْ عَصَاهُ ؛ وَجَعَلَ دِينَهُ الْقِيمَ الَّذِي لَا يَقْبَلُ دِينًا غَيْرَهُ وَلَا يُثِيبُ أَحَدًا إِلَّا عَلَيْهِ .

تمجيد في فتح

الحمد لله العزيز في ملكوته القاهر فوق برائته ، الذي خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَأَنْفَذَ فِيهِمْ إِرَادَتَهُ وَمَشِيتَهُ ، وَقَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ وَأَتَمَّهُ وَأَحْكَمَهُ ، وَأَحَاطَ جَمِيعًا بِهِ ؛ فَلَا يَحْزِبُ عَنْهُ يَهْجَالُ ذَرَّةٌ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ .

صدر تمجيد في فتح

الحمد لله الذي ابتدع الخلق لا من شيء ، وجعل الليل والنهار عَمْدًا وَمُسْتَجْتَبَاً لِكُلِّ شَيْءٍ ؛ بِقُدْرَتِهِ تَجَعَّرَتِ الْجِبَارُ ، وَجَرَتْ لِمَوَاقِيتِهَا الْأَنْهَارُ ؛ فَدَارَ وَتَطَارَدَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ .

والحمد لله الذي فأت بعظمته أَبْصَارَ الْمُتَمَيِّنِّ ، وَعَلَا بِعَجْزِهِ عَنْ خَطَرَاتِ الْخَاسِمِينَ ، وَأَحْتَجَبَ بِأَسْتَارِ جَبَرُوتِهِ عَنْ مَوَاقِعِ فِكْرِ الْمُحْصِلِينَ الْمُتَعَمِّقِينَ ؛ فَلَمْ تَحْوِهِ الْكَيْفِيَّةُ ، وَلَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ أَدَوَاتُ التَّحْصِيلِ وَالْكِيفِيَّةِ ، وَلَا أَدْرَكَهُ هَاجِسُ تَبْعِيضٍ وَلَا كُفْيَةٍ ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى زِيَادَةٍ فِي حِينٍ ، وَلَا إِلَى تَقْصِيرٍ فِي شُهُورٍ وَلَا سَنِينَ ، فَكُلُّ أَمْرِهِ — عَزَّ جَلَالُهُ — تَمَامٌ وَدَوَامٌ ، وَكُلُّ صِفَاتِ صُنْعِهِ أَعْتَدَالٌ وَكَمَالٌ ؛ وَكُلُّ مَا دُونَهُ يَحْتَكِمُ فِيهِ الْقَنَاءَ وَالزَّوَالَ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ .

والحمد لله الذى عرفنا ربوبيته إماما ، ونهج لنا سبيل طاعته متا وإكراما ، وتعيّنا
بفرضه تقويما وتعلينا وأماننا ؛ فقامت علينا وصل الخلق مجتبه ، بالصادع بأمره ، والمبلغ
لرسله ، والمجاهد فيه حق جهاده ، عهد صلى الله عليه وسلم . والحمد لله الذى أعز دينه ، وأظهر
ثمكته ، ونصر وليه ، وخذل عدوه ، وأوقع بأسه وتهمته بجل الفرية ، وبحرثومة الضلالة ،
ومناخ الشرك ، ومركز الكفر ؛ بعد طول الإملاء ، والاعتداء فى سفك السماء ، والمثلة
بالأسرى ، وقلة المراقبة والأرصاء .

تمجيد

الحمد لله حمدا يكون رضاه متناه ، والمزيد من فضله جزاءه . والحمد لله حمدا اليه يتناهى
حمد الحامدين ، وشكر الشاكرين . والحمد لله الذى لا تحصى ثمائه ، ولا تُجْزَى آلاؤه ، ولا
يُكَافَأُ بِلَاؤِهِ ، ولا يُبْلَغُ شُكْرُهُ إِلَّا بِتَمَنِّهِ وتوفيقه ؛ حمدا يرضاه ويتقبله ، ويزكو لذيته ، ويوجب
ما تأذن للشاكرين من يده .

تمجيد على فتح

أما بعد ، فالحمد لله الواحد القهار ، العزيز الجبار ، ذى المن والإعلاء ، والجلال والإكرام ؛
الذى أصطفى الإسلام ديننا ، وأصطفى له من عباده أهلا هداما له ، وأكرمهم به ويرث
لهم ما يأتون ، ولم يتركهم فى ريب من أمرهم ، ولا شبهة من دينهم ؛ فله المحبة البالغة ليعلمك
من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة ، وإن الله لسميع عليم .

والحمد لله الذى ختم محمد صلى الله عليه وسلم النبوة ، وأتجهبه لتبليغ الرسالة ، وبعثه إلى
خلقه كافة ، قبّل رسالته ، وصدع بأمره ، وقام فيما بعثه له بحقه ، ثم أنجز له وصده ، وأتم له
كلمته ، وأظهر دين الإسلام به على الذين كلّه ولو كره المشركون .

تمجيد فى فتح

أما بعد ، فالحمد لله الأَوَّلُ الآخر ، الظاهر الباطن ، الولي الحميد ، القوى العزيز ؛
الذى لا يقدر العباد قدره ، ولا يُحصون نعمه ، ولا يبلغون شكره ؛ المحيط بكل شيء علما ،

وَأَتَّعَى كُلَّ شَيْءٍ عِدْدًا ؛ فَلَا يُعْجِزُهُ كَبِيرٌ ، وَلَا يَمْزِجُ عَنْهُ صَغِيرٌ ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

تحميد

الحمد لله المتوحد بالخلق والأمر ، قادرا قاهرا أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء
عددا ، وملاّ عظمة ، ووسعه عدلا ، وأتممه صنعا . والحمد لله الذي أعزّ بالحق من أطاعه ،
وأذلّ بالباطل من عصاه ، وجعل الطاعة والجماعة حرزا حريزا ، وموتلا مئيّنا ؛ فلم يجمع بين
أهل كفر وإيمان ، وطاعة وعصيان ، إلّا توحد بالصنع لأهل طاعته ، وأنجح سعيهم ،
وأعلّ كلمتهم ، وأفلح مجتهدهم ، وأزّل بأهل الكفر المعاندين عنه ، الراذنين لأمره الذلّة
والضنار في عاجلهم وآجلهم ؛ حمدا يكون ليزيده موجبا ، ولحقه مؤذيا .

تحميد في فتح لسعيد بن حميد عن وصيف

أما بعد ، فالحمد لله الحميد الحميد ، الفعال لما يريد ؛ الذي خلق الخلق بقدرته ،
وأضاه على مشيئته ، ودبره بعلمه ، وأظهر فيه آثار حكمته التي تدعو العقول إلى معرفته ،
وتنبه لذوى الأبواب بربوبيته ، وتدلّ على وحدانيته ؛ لم يكن له شريك في ملكه فينازعه ،
ولا معين على ما خلق وتلزمه الحاجة إليه ؛ فليس يتصرف عباده في حال إلّا كانت دليلا
عليه ، ولا تقع الأبصار على شيء إلّا كان شاهدا له ، بما رسم فيه من آثار صنعه ، وأبان فيه
من دلائل تدبره ، إظهارا بحجته ، وتطوّلا بنعمته ، وهداية إلى حقه ، وإرشادا إلى سبيل
طاعته ، وهو الذي يبدأ الخلق ثم يُعِيده ، وهو أهون عليه ؛ وله المثل الأعلى في السموات
والأرض ، وهو العزيز الحكيم .

والحمد لله العزيز القهار ، الملك الجبار ، الذي أصطفى الإسلام وأختره ، وأرفضاه
وطهره ، وأعلاه وأظهره ؛ بفعله حجة أهله على من شاقهم ، ووسيتهم إلى النضر على [من]
عاد في حقهم ، وأبشى غير سبيلهم ؛ وبعث به رسلا يهدون إلى حقه ، ويهدون إلى سبيله ،

بِآيَاتِ الَّتِي يَتَّبِعُونَ بِهَا عَنِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَيُوجِبُونَ بِهَا الْحُجَّةَ عَلَى الْخَافِقِينَ ، حَتَّى آتَتْهُ كَرَامَةُ اللَّهِ إِلَى خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ ، وَحَامِلِ كِتَابِهِ ، وَبِفَتْحِ رَحْمَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ عَلَى حِينِ قُبَّةٍ مِنَ الرِّسْلِ ، وَاخْتِلَافِ مِنَ الْمَلَلِ ، وَدُثُورٍ مِنَ أَعْلَامِ الْحَقِّ ، وَاسْتِعْلَاءِ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَالنَّاسِ هَانِدُونَ عَنْ سَبِيلِ رَبِّهِمْ ، يَتَسَافَكُونَ دِمَاعَهُمْ ، وَيُحْمِلُونَ مَاحَرَمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَأَيْدِيَهُ بِالْبَرَهَانِ الْوَاضِحِ ، وَالْمُجْتَمِعِ الْفَوَاطِغِ ، وَالْآيَاتِ الشَّوَاهِدِ ، فَنَازِلٍ عَلَيْهِ كِتَابُهُ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجُلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ، وَجَعَلَ فِيهِ أَوْضَحَ الدَّلِيلِ عَلَى رِسَالَتِهِ ، وَأَعَدَّ الشَّوَاهِدَ عَلَى نُبُوَّتِهِ ؛ إِذْ عَجَزَ الْمَخْلُوقُونَ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ عَلَى مَرَّةٍ الْأَيَّامِ ، وَكَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ وَالْمُنَازَعِينَ ، يَتَحَدَّثُ بِهِ فِي الْمَوَاسِمِ ، وَيَقْصِدُهُمْ بِحُجَّتِهِ فِي الْمَحَافِلِ ، وَلَا يَزْدَادُونَ عَنْهُ إِلَّا حُسُورًا وَعَجْزًا ، وَلَا تَرْدَادَ حُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِلَّا تَظَاهِرًا وَعُلُوًّا ، ثُمَّ أَتَيْهِ بِالنَّصْرِ بِأَنْصَارٍ آتَفَ بَيْنَهُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَجَمَعَهُمْ عَلَى حَقِّهِ ، وَلَمْ تَشْغَبْهُمُ بِنُصْرَةِ دِينِهِ ، بَعْدَ الشَّقَاقِ الْمُتَّصِلِ بَيْنَهُمْ ، وَالْحَرْبِ الْمُفَرِّقَةِ لِمَجَاعَتِهِمْ ؛ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنُصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَعَدَهُ بِالنُّصْرَةِ وَاتَّحَكَّنَ بِفِعْلِهِ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَحُجَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ، وَدَلِيلًا عَلَى مَا بَعَثَهُ بِهِ مِنَ الدِّينِ ، فَهَزَمَ بِالْقَلِيلِ مِنْ عَدَدِهِمُ الْكَثِيرَ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، وَأَعْدَائِهِمْ ، وَغَلَبَ بِضَعْفَاتِهِمْ أَهْلَ الْقُوَّةِ تَمَّ نَاوَاهُمْ ؛ فَقَلَّ بِهِ حُدُومُهُمْ ، وَفُضَّ جُوعُهُمْ ، وَأَتَّحَ حَصُونُهُمْ ، وَحَرِّزَ مَعَالِقَهُمْ ؛ وَأَظْهَرَ بِحُجَّتِهِ وَنُصْرِهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَتَّجَزَ سَابِقُ وَعْدِهِ لَهُمْ وَفِيهِمْ ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ .

تحميد لابن المقفع

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْعِزَّةِ الْقَاهِرَةِ ، وَالْأَلَاءِ الظَّاهِرَةِ ؛ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ . وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْهُ ، وَلَا يَذْفَعُ قَضَائِهِ وَلَا أَمْرُهُ ؛ ﴿ وَإِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ ، وَدَبَّرَ الْأُمُورَ بِحُكْمِهِ ، وَأَنْفَذَ فِيهَا اخْتَارَ وَأَصْطَلَقَى مِنْهَا عَزَمَهُ ؛ بِقُدْرَةِ مَنْهُ عَلَيْهَا ، وَمَلَكَتْهُ مِنْهَا ، لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ . مَا كَانَ لِلنَّاسِ الْخِيَرَةُ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِهِمْ . سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

والحمد لله الذى جعل صَفْوَةَ ما أختار من الأمور دينَه الذى أرتضى لنفسه ولبن أراد كرامته من عبادِه ، فقام به ملائكتُه المقربون ، يُعْظَمُونَ جلاله ، ويُقَدِّسون أسمائه ، ويذكرون آلاءه ، لا يستحسرون عن عبادته ولا يستكبرون ، يُسَبِّحُونَ الليل والنهار لا يفترون ، وقام به مَنْ أختار من أنبيائه وخلفائه وأوليائه فى أرضه ، يُطِيعُونَ أمره ، ويذُبُّون عن محارمه ، وَيُصَدِّقُونَ بوَعْدِه ، ويؤفون بعهده ، ويأخذون بحَقِّه ، ويُجاهدون عدوه ؛ وكان لهم عند ما وعدهم مِنْ تصديقه قولهم وإفلاجه محبتهم ، وإعزازِه دينهم ، وإظهاره حقهم ، ومُحْكِمَتِه لهم ؛ وكان لعدوه وعدوهم عند ما أوعدهم من نِزْيه ، وإحلالِه بأنهم ، وأنتقامه منهم ، وغَضَبِه عليهم ، مَضَى على ذلك أمرُه ، وفُتِى فيه قضاؤه فيما مَضَى ، وهو مُمِيزُه ومُتَقَدِّمُه على ذلك فيما بَقِيَ ، لِيَتِمَّ نوره ولو كره الكافرون ؛ وَلِيُحَقِّقَ الحقَّ وَيُسْطَلَّ الباطل ولو كره المجرمون .

والحمد لله الذى لا يَقْضِي فى الأمور ولا يُدَبِّرُها غيرُه ، ابتدأها بعلمه ، وأمضاها بقُدْرَتِه ، وهو وليها ومنهاها ، وولى الخيرة فيها ، والإمضاء لما أحبَّ أَنْ يُمِضِيَ منها ، يَخْلُقُ ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يُشْرِكُونَ .

والحمد لله الفتاح العليم ، العزيز الحكيم ، ذى المَنِّ والطول ، والقُدْرَةِ والحَوْل ، الذى لا تَمْسُكُ لما نفع لأوليائه من رحمته ، ولا دافع لما أنزل بأعدائه من تقمته ، ولا راد لأمره فى ذلك وقضائه بفعل ما يشاء ، ويحكم ما يُريد .

والحمد لله الكَتِيبَ بحمده ويمنه ابتداءه ، والمُنِيعَ بشكره وعليه جراؤه ، والمُنْثَى بالإيمان وهو عطاؤه .

لَا خَيْرَ

الحمد لله الذى يَتَعَطَّلُ بالنعم مُبْتَدِئًا ، وَيُسْطَلُّ بالخير مَنْ يَشَاءُ وَيُثْبِتُ عليه .

تحميد لقّسان بن عبد الحميد

كاتب جعفر بن سليمان في المطر :

الحمد لله الذي نثر رحته في بلاده ، وبسط ستمته على عباده ، الذي لا يزال الباء منه في رزق يقتسمونه ، وفضل ينظرونه ، لا ينقضه ما قبله ، ولا ينقض ما بعده .

لأحمد بن يوسف في فتح السند

الحمد لله وليّ الحمد ، وأهل الثناء والمجد ، خالق الخلق ، ومُدرّ الأمر ، المسيح على عباده والمُوجِب عليهم حُجّته ، فليسوا يرجون إلا سعة فضله ، ولا يتحدّون إلا ما أجترحوا من معصيته ، لما سبق من جزيل إحسانه ، وتظاهر من امتنانه ، وتقدم به الإعذار والإنذار اللذان لا يستخف بما عظم منهما إلا من استحوذ عليه الشيطان ، وأستولى عليه الخذلان ، وقاده الحين إلى موارد الملكة .

التحميد الثاني

الحمد لله الذي أصطفى الإسلام ديناً فطهره وأسناه ، وأظهره وأعلاه ، وزينه بكل حسنة ، ونقى عنه كل سيئة ، وجعله إلى مدّخور كرامته سبباً واصلاً ، وسبباً نهجاً ، وبعث به محمداً صلى الله عليه وسلم ليهدى من كان حياً ، ويحقّ القول على الكافرين .

تقريفه في الخليفة

الحمد لله الذي أصطفى أمير المؤمنين لخلافته ، وتلاقى الأمة بسُلطانه ، فجعله القائم فيهم بقسطه ، وألّستبرغ في آفئاس مصلحتهم همه .

لأحمد بن يوسف

عن ذى الرباستين إلى إبراهيم بن إسماعيل بن داود صدر فتح :

أما بعد ، فالحمد لله الذي حفظ من دينه ما ضيع المحدثون ، ورأب منه ما [فرقه] ^(١) الصدقة ، وأعاد من حبله ما حاولوا تقضيه ، حتى أعاد لعباده أحسن ألقبهم ، وردّ إليهم أجمل

(١) ياض في الأصل . وما أنبأه يناسب المقام .

وَدَعَمَ، مِنْ الْإِسْتِثْلَاءِ بَعْدَ التَّرَدُّي فِي حَقِّهِ الْمَعَاطِبِ، وَالْإِسْتِغْنَاءِ بَعْدَ التَّوْرِيضِ فِي الْمَهَالِكِ؛ وَبَلَغَ خَلِيقَتَهُ الْقَائِمَ بِحَقِّهِ، الْمُؤْتَمِّ بِكَتَابِهِ، الذَّائِدَ عَنْ حَرِيمِ الدِّينِ، وَبِوَرَاثِ النَّبِيِّينَ، أَجَزَلَ مَا يُلَاحِظُ لِقَائِهِ الرَّاغِبِينَ الْمُهْدِيِّينَ، مِنْ إِعْلَاءِ الْكَلِمَةِ، وَغَلْبَةِ الْأَعْدَاءِ، وَالْفَوْزِ بِالْعَاقِبَةِ الَّتِي وَعَدَهَا الْمُتَّقِينَ؛ وَفَرَضَهُ لَهَا أَشْعَرَ قَلْبِهِ، وَشَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ، مِنْ إِمْعَانِ حُكْمِ الْفَرَائِضِ الْمُؤَبَّجَةِ؛ وَاقْتَضَاءِ السَّنَنِ الْمَهَادِيَةِ، حَيْثُ سَلَكَ بِهِ مِنَ الْمَتَابِ؛ حِمْدًا يُوَازِي نِعْمَهُ، وَيَبْلُغُ أَدَاءَ شُكْرِهِ، وَيُوجِبُ مَزِيدَهُ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ إِعْلَاءِ الدَّرَجَةِ، وَإِسَاءَةِ الرِّبَةِ، فِي مَشَايِعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
— أَيْدَهُ اللَّهُ — وَالْمُجَاهِدَةِ عَنْ حَقِّهِ، وَالْوَفَاءِ لَهُ بِمَا عَقَدَهُ لَهُ؛ لَا نَزِيدَ بِمَا كَانَ مِنَّا إِلَّا وَجْهَهُ، وَلَا نَنْسَى فِيهِ إِلَّا لِرِضَاهُ؛ حِمْدًا لَا يَحْصِي صَدْرُهُ، وَلَا يَنْقُطِعُ أَمْدُهُ .

تَحْمِيدُ الْأَبِيِّ عَمِيدِ اللَّهِ

أَمَّا بَعْدُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْإِلَآءِ وَالْقُدْرَةِ، وَالْعُزْلِ وَالْعِزَّةِ؛ الَّذِي أَصْطَفَى الْإِسْلَامَ دِينًا لِنَفْسِهِ، وَمَلَائِكَتَهُ وَأَنْبِيَآئَهُ وَمَنْ كَرَّمَ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ؛ فَبَعَثَ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتِصَامًا لَهُ فِي ذَلِكَ بِكَرَامَاتِهِ، وَأَصْطَفَاءً لَهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ؛ فَأَهْرَءَ مِنْهُ، وَكَفَاهُ وَحَاطَهُ، وَتَوَكَّلَ لِأَهْلِهِ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمِ، وَالظُّهُورِ وَالنَّائِدِ؛ فَلَمْ يُعْجِدْ فِيهِ مَلْجِدٌ، وَلَمْ يَزِغْ عَنْ قَبُولِ حَقِّهِ زَائِعٌ، بَعْدَ إِعْذَارِ اللَّهِ إِلَيْهِ، وَإِعَادَةِ الْجَنَّةِ لَهُ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْزَلَ بِهِ مِنَ الذَّلِّ وَالصَّغَارِ وَالْأَجْتِيَاحِ وَالِاسْتِغْثَالِ مَا يَحْصِلُ لَهُ فِيهِ قَعًا؛ حِمْدًا كَثِيرًا دَائِمًا مُرَضِيًا لَهُ، مُؤْمِنًا مِنْ غَيْرِهِ، مُوَجِّبًا لِأَفْضَلِ مَزِيدِ ثَوَابِهِ .

تَحْمِيدُ لِسَعِيدِ بْنِ حُمَيْدٍ فِي فَتْحِ

أَمَّا بَعْدُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَمِّ فَلَا يَبْلُغُ أَحَدٌ شُكْرَ نِعْمَتِهِ، وَالْقَادِرِ فَلَا يَمَازِي فِي قُدْرَتِهِ، وَالْعَزِيزِ فَلَا يُغَالِبُ فِي أَمْرِهِ، وَالْحَكِيمِ الْمُنْذِلِ فَلَا يُرَدُّ حُكْمُهُ، وَالنَّاصِرِ فَلَا يَكُونُ نَصْرُهُ إِلَّا لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَالْمَالِكِ لِكُلِّ شَيْءٍ فَلَا يَخْرِجُ أَحَدٌ عَنْ سُلْطَانِهِ، وَالْمُهَادِي إِلَى سَبِيلِ رَحْمَتِهِ فَلَا يَضِلُّ مِنْ آتِقَادِ لَهَا حَتَّى، وَالْمُقَدِّمِ إِعْذَارَهُ لِيُظَاهِرَ بِهِ حُجَّتَهُ؛ الَّذِي جَمَلَ دِينَهُ لِقَبُولِهِ رَحْمَةً، وَخَلَقَتْهُ عَصَمَةً، وَطَاعَةَ خُلَفَائِهِ قَرَضًا وَاجِبًا عَلَى كَافَّةِ الْأُمَمِ؛ فَهُمْ الْمُسْتَحْفَظُونَ فِي أَرْضِهِ

على ما بحث به رُسله ، وأماؤه على خلقه نيا دُعاهم إليه من دينه ، والحاصلون لهم على نتائج حقه ، لئلا تُشعب بهم الطرق المخالفة لسيده ، والمهادون لهم إلى صراطه ليجمعهم على الحاجة التي تدب إليها جباهه ، بهم تُمى الدين من البُغاة الطاغين ، وحُفِظت معالم الحق من الفؤاة المخالفين ، عُتِجِينَ على الأمم بكتاب الله عز وجل الذي أستمعهم به ، ورُعاة للأمر بحق الله الذي اختارهم له ، إن جادلوا كانت حُجة الله معهم ، وإن حاربوا فالنصر لهم ، وإن جاهدوا كان في طاعة الله نصرهم ، وإن بشاهم عُدُو كانت نِكاية الله حالته دونهم ، ومَقِيلًا لهم ، وإن كادهم كائد فآله في عونهم ، نصبهم الله لإعزاز دينه ، فمن عاداهم فأُتِمَّ عادى الذين عزبهم وحُرس بهم حقه ، ومن ناوَاهم فأُتِمَّ طعن على الحق الذي تكلَّوه حراسُهم ، جيوشهم بالرُعب منصوره ، وكُتِبَ لهم بسلطان الله من عُدُوهم حَوطه ، وأُيَسِّم بنبأ عن دين الله عالية ، وأشياعهم بتناصرهم غالبه ، وأحزابُ أعدائهم ببقيهم مَقْمُوعه ، ومُجْتَنَبهم عند الله وخَلْفه داحضة ، ووسائلهم إلى النصر مردودة ، وأحكامُ الله بخذلانهم واقعة ، وأقدارُه بإسلامهم إلى أوليائه جارية ، وعادته فيهم وفي الأمم السالفة والقرون الخالية ماضية ، ليكون أهل الحق على ثقة من إنجاز ما بقى الوعد ، وأعداؤه محجوجين بما قَدَّم إليهم من الإنذار ، مُتَجَبِّلة لهم ثِقَمَةُ الله بأيدي أوليائه ، مُعَذَّاة لهم العذاب عند رُثَمِ إليه خزيًا موصولًا بنواصيرهم في دُنْيَاهُمْ ، وعذابُ الآخرة من ورائهم وما الله بظلام للعبيد . وصلى الله على محمد أمينه المصطفى ، ورسوله المرتضى ، والمُتَّقِد من الضلالة والعمى ، صلاة نامية بركاتها ، دائماً آتصالها ، وسلم تسليمًا .

والحمد لله تواضعًا لعظمته ، والحمد لله إقرارًا بربوبيته ، والحمد لله اعترافًا بقصور أنفسى منازل الشكر عن أدنى منزلة من منازل كرامته .

فَمَا يُقَرِّظُ بِهِ الْخَلِيفَةُ

والحمد لله الذى حاز لأمر المؤمنين وراثته ، وساق إليه خِلاقته ، بالحاجة منها إليه ، والرغبة منه عنها ، واستخلص من خلقه من جملة ظهيرها للهواري ، وعُدَّة للتوازل ؛ فلما

أَفَضْتُ الْخِلَافَةَ إِلَيْهِ حَسِرَ أَمَامَهُ أَحَاجِلَتُهُ ، وَكُشِفَ قِنَاعُهُ لُحَارِبَتُهُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَصَّ
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخِلَافَتِهِ ، وَأَرْتَضَاهُ لَوْلَايَةِ أَمْرِ أُمَّةٍ نَبِيَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ ،
 وَالذَّبَّ عَنْ حُرْمَتِهِ ، وَحَاطَ لَهُ مَا اسْتَرْطَاهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَلَّدَهُ بِحَسَنِ الْوَلَايَةِ وَالْكَفَايَةِ ، وَتَوَكَّلَ
 لَهُ بِالْحِفْظِ وَالْتِائِيدِ ، وَالنَّصْرَ وَالْعِزَّةَ وَالظُّهْرَ عَلَى مَنْ عِنْدَ طَاعَتِهِ ، وَصَدَفَ عَنْ حَقِّهِ ،
 وَأَبْتَنَى خَيْرَ سَبِيلِهِ ، كَرَامَةً مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِهَا عَلَيْهِ ، وَمِنَّةً مِنْهُ تَوْحَّدَ بِهَا لَهُ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ نِيَّةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَزِينَتَهُ ، وَفِكْرَهُ رَوِيَّتَهُ ، مِنْذُ أَفْضَى اللَّهُ
 بِالْخِلَافَةِ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَهُ الْقَائِمَ بِأَرْثِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْتَحْفَظُهُ مِنْ عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ
 نِيَامًا فِيهِ عِزُّ الدِّينِ ، وَنِظَامُ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ وَتَرْهِيْنُ الشُّكْرِ ، وَإِذْ لَأُلُ الْأَعْدَاءِ ، وَإِشْجَاؤُهُمْ
 وَوَقْفُهُمْ ، وَتَحْصِيْنُ الْيَبُضَةِ ، وَإِشْجَاؤُ النَّفُورِ ، وَلَمْ الْمُتَشْرِ ، وَضَمَّ الْأَطْرَافَ ، لَا يَفْتَاَهُ عَنْ
 ذَلِكَ فَائِي ، وَلَا يَهْلِكُهُ عَنْ تَحْقُدِ كَبِيرِ أَمْرِهِ وَصَغِيرِهِ وَمُقَابَلَتِهِ ذَاهِلٌ ، يَسْتَقِلُّ كَثِيرٌ مَا يُتَّفِقُ
 مِنَ الْأَمْوَالِ فِي سَدِّ النَّفُورِ ، وَتَحْصِيْنِهَا وَحِرَاسَتِهَا ، لِمَا يَرْجُو فِيهِ مِنْ جِسْمِ الْحَفْظِ ، وَجَزِيلِ
 الذُّخْرِ ، وَكَثِيرِ الْأَجْرِ ، تَهْتَرِبُ إِلَى اللَّهِ وَاحْتِسَابًا لَهُ فِي جَنْبِ ثَوَابِهِ ، وَكَرِيمَ مَا بِهِ ، حَتَّى رَأَى
 بِهِ الصَّدْعَ ، وَرَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ ، وَأَتَمَّنَ بِهِ السَّبْلَ ، وَأَقَامَ بِهِ الْعَوَجَ ، وَأَطْلَجَ بِهِ الْمَجْجَ ، وَأَصْلَ
 بِهِ الدَّرَجَ ، وَأَزَقَ بِهِ الْبَاطِلَ ، وَأَحْيَا بِهِ الْحَقَّ ، وَأَشَامَ بِهِ سِيُوفَ أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالْفِتْنَةِ ،
 لَا تَأْخُذُهُ فِي الْقِيَامِ بِحَقِّ اللَّهِ وَالْإِتِّصَارِ لِدِينِهِ ، وَالْإِتِّصَاحِ لِأُمَّةٍ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَوَلَدِهِ ، وَالذَّبَّ عَنْ حُوزَتِهِمْ ، وَالرِّمَى مِنْ رَأْسِهِمْ ، وَدَفْعَ بَاقِيَةِ أَهْلِ الشَّقَاقِ وَالنِّفَاقِ
 وَالْخِلَافِ وَالْمُتَّصِيَةِ عَنْهُمْ قَرَّةً وَلَا سَآمَةً ، تَوْفِيقًا مِنَ اللَّهِ ، وَكَسْبِيْدًا لِحُرْمَتِهِ ، وَتَأْيِيْدًا لِعَزْمِهِ ،
 إِذْ كَانَ اللَّهُ شَاكِرًا ، وَلَدِينَهُ نَاصِرًا ، وَبِحَقِّهِ قَائِمًا ، وَمَا تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ،
 عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَعَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ مِنْذُ أَفْضَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِخِلَافَتِهِ ، وَحَيَّاهُ بِكَرَامَتِهِ ، يَخْتَصُّهُ
 بِالْخِيَرَةِ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ ، مِنْ أَمْرِهِ ، وَيَتَوَلَّاهُ بِالتَّوْفِيقِ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ مِنْ تَدْبِيرِهِ ، وَيَجْعَلُ عَنْهُ

أجباء ما حمله ، ويُسَيِّمُهُ بِتَأْيِيدِهِ عَلَى مَا قَلَّدَهُ ، وَيَحْرُطُهُ بِجَبِيلِ الصَّنْعِ فِيهَا وَلَاهَ ، وَأَسْتَحْفَظُهُ ، وَيُثَمِّمُهُ جِهَادَ عَدُوهِ ، وَيَجْبُوهُ بِنَصْرِهِ ؛ حَمْدًا قَاضِيًا لِحَقِّ نِعْمَتِهِ ، مُوجِبًا أَفْضَلَ مَزِيدِهِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْرَثَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَوَارِيثَ نُبُوَّتِهِ ، وَصَيَّرَ إِلَيْهِ مَقَالِيدَ خِلَافَتِهِ ، وَأَوْجِبَ ذَلِكَ لَهُ بِالْقِرَابَةِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْوَرَاثَةِ لَوْرَاتِهِ مِنْ عَصْبَتِهِ وَأَوَّلَى النَّاسِ بِهِ ؛ ثُمَّ أَحَزَّ نَصْرَهُ ، وَأَعْلَى كَلِمَتِهِ ، وَأَطْلَعَ نُجْمَتَهُ ، وَأَخْطَرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ، وَمِنْ حَادِهِ وَعَانَدِهِ مِنَ النَّاكِثِينَ وَالْمَارِقِينَ ، وَالْبَاطِلِينَ وَالْمُلْحَدِينَ ، فَاتَمَّسَ جُدُودَهُمْ وَفُضِّلَ وَفَعَلَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَرَّفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْذَ اسْتَخْلَفَهُ فِي أَرْضِهِ ، وَأَتَمَّنَّهُ عَلَى خَلْقِهِ ، مِنْ عَظِيمِ نِعْمَةٍ ، وَلَطِيفِ مُنْعَةٍ ، وَجَبِيلِ بِلَاقَةٍ ، وَأَحْزَازِ نَصْرَةٍ ، وَأَعْلَاءِ يَدِهِ وَكَلِمَتِهِ ، وَإِفْلَاجِ حُجَّتِهِ عَلَى مَنْ ضَادَهُ وَحَادَهُ ، إِنَّ اللَّهَ بِعَظِيمِ طَوْلِهِ وَمَتْنِ أَرْضَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَدَيْتِهِ ، وَأَصْطَنَعَهُ لَخِلَافَتِهِ ؛ غَلَاةَ سِرْبَالِهَا ، وَرَدَاءَ بَهَائِهَا وَجَمَالِهَا ، فَاسْتَعْمَلَهُ بِالْكَتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِيهَا ؛ فَاتَّيَدَ بِقُوَّتِهِ ، وَأَحْزَرَ بِنَصْرِهِ ، وَحَاطَهُ بِكَفَايَتِهِ ، وَتَوَلَّى الصُّنْعَ لَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ؛ فَلَمْ يَكْذِبْ كَاثِدٌ ، وَيُعَانِدَهُ مُعَانِدٌ ، وَيَسْرِقُ عَنْ طَاعَتِهِ الْوَاجِبَةَ مَارِقٌ ، وَيُلْعَدُ فِي إِمَامَتِهِ مُلْحَدٌ ، تَمُنُ بِعَالِنٍ بِمَعْصِيَةِ وَشِقَاقٍ ، أَوْ يَنْطَوِي عَلَى غِلٍّ وَنِفَاقٍ ، إِلَّا أَوْعَنَ اللَّهُ كَيْدَهُ ، وَأَتَمَّسَ جَزْدَهُ ، وَعَاجَلَ الْمُبَادِيَّ بَعْدَاوَتِهِ ، الشَّاهِرَ عَلَى الدِّينِ وَالْمُسْلِمِينَ سَيْفَهُ ، بِاصْطِلَامِ وَبَوَارٍ ، وَأَمَكَّنَ مِنْهُ يَدْلَةً وَصَفَارًا ، وَقَتَلَ الْمُسْرِغِيْرَةَ ، الْمُتَنَطَوِيَّ عَلَى غِلٍّ بِغَيْظِهِ وَغَمٍّ ، وَأَمَاتَهُ بِدَائِهِ وَحَسْرَتِهِ ؛ لِنَجَازِهَا مِنْهُ جَلَّ تَأَوُّهُ لَوْعَدِهِ ، وَإِتْمَامِا لِكَلِمَتِهِ فِيَا وَمَدِّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ أَسْتَخْلَافِهِمْ فِي أَرْضِهِ ، وَالتَّحْكِيمِ فِي دِينِهِ ؛ وَلَهُ الْحَمْدُ دَائِمًا ، وَالشُّكْرُ خَالصًا ، كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَكَأَيُّهَا يَنْبَغِي أَنْ يُتِمَّحَدَ وَيُسْتَشْكَرَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُنَيِّقْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَدُوًّا مِنَ النَّاكِثِينَ وَالْجَاهِلِينَ ، وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ، حَاوَلَ نَقْضَ إِمَامَتِهِ الَّتِي صَيَّرَهَا اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَقَلَّدَهُ إِيَّاهَا ؛ أَوْ صَوَّلَ جَيْشًا مِنْ جَبَرُوتِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِلْعَامَةِ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَتَحَارُمِهِ ، وَإِقَامَةِ سُنَنِهِ وَمَعَالِمِهِ ، إِلَّا أَحَقَّ بِهِ التَّقْدِيمُ ، وَأَصَارُهُ إِلَى الصَّغَارِ وَالثَّلَّةِ ، وَالْبَوَارِ وَالْهَلَكَةِ ، وَتَعْجَلُهُ إِلَى ثَارِهِ وَعَذَابِهِ .

والحمد لله الذى لم يزل يتولى أمير المؤمنين بحياطته ، ويتوحد له من إحراز نصره وإعلاء كلمته ، وإفلاج حجته ، وتأيد أوليائه وأنصار حقه ، وأزل البأس والقمعة والمكائلات والسلوة بمن عانده ، والدب عن حريم المسلمين وأهله ؛ بما يبين به عن مكانه منه ، ومتزلة عنده ؛ حميدا ربنا بذلك كما هو أهله ومستحقه ، مشكورا بعظيم منه فيه وطوله ، مسؤولا لتسام أحسن عائلته وساضى سنته ؛ فإن الله المحمود على نعمه ، المشكور بالآلته ، لم يزل ما يتوحد به لأمر المؤمنين بسلطانه من التميز ، وفي أوليائه من التأيد بنصره ، عادة يبين بها برهانه ، ويضلع بها حجته ، ويذل بها على كرامته عليه ، ويخبر بها عن متزلة عنده ؛ ويعمل ما تزل بأعدائه المتولين عنه ، الراغبين إلى غيره ، الملحين فى حقه ، عظة لمن قسا قلبه ، وران عليه سوء عمله ، ليكون ما يطمعه من البسط فى ملكه ، والتمهيد فيما حوّل له ، ويوقعه من السلوة بصدوه ، والتنكيل بمن خلفه ، محجّين متظاهرين ، وعبريين معن ؛ فيعتصم منهم ، ويخبر ناچ ، وليشجب [شاحب] ^(٢) ويهلك هالك ، وقد مضت من الله المشيئة ، ووضع منه الإعداء ، وكان الله عباده عليا ، وباعمالهم خيرا .

والحمد لله الذى أكرم أمير المؤمنين بخلافته : وجعله وارث وحيه ، وقيمه بكتاب فى عبادته ، وأكرم هذه الأمة التى جعلها خير أمة أخرجت للناس به ؛ فهو الميمون فى تديره المنجح حويله ، الميمون فى النية ، الموفق الرأى والسياسة ؛ فإن الله عز وجل خلق الخلاق بقدرته ، وأختارهم بعلمه ، فاختار أمير المؤمنين لخلافته ، وأصطلمه للقيام فى العباد والبلاد بأمره وقسطه ، وألمحه إقامة أحكامه وفرائضه ، والعمل بحقه وعنده ، وأبلى أهل الشرك به ، وأتروا الى أيام دولته ، وحظروا عن كان قبله ؛ حتى حاز له أجراها ، وأبقى له سنامها وذكراها ، ونشرته أهدوتها وسماعها ؛ وفتح عليه البلدان القاصية ، والمدائن المتناثية ، التى لم تكن ترام من أهلها ، ولا يطمع فى زوالها ، وذلت له الملوك القديم عتوها وعنادها ، والأئم المستصعب مراسها وجهادها ، الحامية فى آباد الدهور حماها ؛ فأنفذ فيهم مكيدته ، وأنجح

(١) كذا فى الأصل ، ولعلها بالنسب . (٢) كذا فى الأصل ، ولعلها وليشجب .

سعيه، ورامهم بالتعريف، وملأ قلوبهم رُعباً منه؛ فأذن مَدِينَتَهُمْ بطاعته، وأتقنوا لأمره، وصاروا يداً وأعواناً لأوليائه على أعدائه.

أما بعد، فإن أعظم النعم قدرها، وأجلها أمراً، وأسررها مَوْقِعاً. وأوجبها شُكراً، ما مع الإسلام والمسلمين نَقَمُها، وعادت عليهم طائفتها، وجعل الله فيه عز الدين، وكذل المشركين؛ وقد جعل الله ذلك في خلافة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يمينه وبركاته، وما أخلص الله من نيته وطاعته، وتأدية حقه فيما استحقه من أمر دينه وعباده، وفرغ له نفسه، وأنصب فيه بدنه، وأسهر فيه ليله، من حياطة حريم الإسلام، والزيادة في حدودها متصلاً متتابعاً، والنعم متظاهرة ومتوافرة، فسئل الصعب، وذلل له العزيز، وقصم عُتاة الأعداء ومتكبريهم، والمستعصين والمستصيعين منهم. في آباد الدهور على من رامهم، وفتح عليهم حصون مدائنهم؛ ومنع قلاعهم، وأغذ مكيده فيهم؛ فبين مقتول ومأسور، وشريد طريد عن محنته، وموضع عزه ومنعته، مُسْتَسْلِمٌ مُعْطِ قِيَادَهُ باخِع بطاعته، وكذا فإن الله بته وطوله قد أوصل لأمر المؤمنين من صُنْته له فيما قلده من خلافته، وحياطته إياها فيما يحوطه من دينه، وعرفه من كفايته فيما قام به من حقه، وأيده من نصره فيما جاهد عنه في سبيله، ما قد جعل النعمة به عامة، والشكر به لازماً، وإتته به واجبة، والصنع عظيماً؛ فالحمد لله على نعمه في ذلك كثيراً.

والحمد لله الذي جعل أجداد أمير المؤمنين ومقام أمره وتدييره، في آتاء الليل ونهاره، فيما فيه صلاح عباده، وإعزاز دينه وإقامة حقه.

تمهيد

الحمد لله الذي لمّا أقرض من الطاعة لوكالة الأمر من خلفائه جعل أولها ناطقة عن فضل وأمرها، وبوادئها تحمّرة عن حميد عواقبها، ومواردّها مبشرة بالعلو في مصادرها، بما يَتَّقِيه أهلها من السعادة في الماضين من أوليائها القائمين بحقوقها؛ وعاد من التقوية على مقارفي المعصية المُلْحَدِين إليها؛ حين أقبلت بهم هوائى الفتن، وكشفت لهم تواليها عن البوار

والهلكة ؛ مُتَعَذِّرين حين لا عذر ولا حُجَّة ، طالين لِقَهَّارِب بعد أن كانت منازلُ السلامة بهم مُطَهَّنةً ، وخائفين وقد كانت سُبُلُ الأمان لم واضحةً ؛ قد جعلتهم النعمة الواقعة بهم أمثالا سائرةً ، ونُفُوت بينهم وبين النعم الشاملة ، وحصلت السعادة لمن آتاهم بهم باقيةً ستة من الله فيهم ماضيةً ، وعادة جاريةً ، وإن تعبد لِسنة الله تبديلا وإن تعبد لِسنة الله تحويلا .

والحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين لِحِلاَقه غرس به دينه من البُغاة الناكين عنه ، وأختصه بإعلاء رُتب كرامته ، وأقرض طاعته على عبادته ، وجعلها بمواقفها في دينه نظاما لسائر فرائضه ، فتركها مُفَارِق لِعِصمة حقه ، خارج من جملة الأئمة التى سبقت لما رحمته ؛ يستنصر أشياخ الباطل والله خاذله ، ويُطالب الحق والله غالبه ، ويطلب مالا سبيلا له إليه والله طالبه ؛ حتى يَجْلِبْجِبُه أجله عن أمله ، وأقدارُ الله فيه عن تقديره ، وفؤدُ قضاء الله فيه عن نفوذ حيله ؛ ففضلا من الله على أوليائه وقضاء منه عدلا في أعدائه ، والله ذو الفضل العظيم .

والحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين لِرِعاية عبادته ، وحِفْظ بلادِهِ ، وتنفيذ أحكامِهِ ، وإقامة حدودِهِ ؛ بجمع به الأئمة ، وكف به بوائق الفتن ، وأصلح به أمور الأئمة ، وسكن به الدماء ، ودفع به عظيم البلاء ، وأخذ به من الجُهد والألواء ؛ وجدد لِرِعيته العبر الشافية ، والعظة الناهية ، وجعل همه السعى لِرَبِّهِ ، وطلب الحق الذى أوجبه له من خلافة ، ليؤدَّى فرضه في الأمانة التى حملها ؛ فيُوجب له بذلك مالا يزول ولا يتقطع من ثوابه ، فأعمل رأيه في الرأفة بين ولّاء أمره ، والحياطة له ، والنيابة بصلاحهم ؛ فأعطاه إين الموحظة في وقت التانى ، والنزود لإقامة أئمة واليئمة ، وشدة السطوة على مَنْ عمط النعمة وعند به الإضرار عن الترويع والفيئة ؛ متا من الله ومفضلا ، وإحسانا وتطولا ، والله ذو فضل عظيم .

ويسأل الله أمير المؤمنين مُبْتَدئا ومُعقبا ، وأولا وآخر ، وقبل كل مسألة ، وأمام كل رغبة ، ومقدمة كل طلبية ؛ أن يُصلِّ على صفوته من عبادته ، وخيرته وأتباعه وأتباعه ، ويُجِىءه بفضله ورسوله ، أفضل صلواته ، ويُبارك أكثر بركاته ، وأن يُديم له كرامته ، ويُجِىءه عنده أجل طاداته ، ويُتمِّم له ما أختص به من إحسانه ؛ حتى يملأ الأرض عدلا وقسطا ،

والإسلام تأييدا وعِزا، والشُّرك ذُلا وقُعا؛ إنه وليّ كلّ نعمة، ومُنهى كلّ رغبة، وغاية كلّ حاجة .

ولم يزل أمير المؤمنين منذ الوقت الذي أفضى الله إليه بحلافته ، وأكرمه برؤيته ، من إرث نبوته ، يتلقى عظيم النعمة في ذلك بالإخلاص للنسبة والطَّوية في الصَّغَر عن كلّ زَلَّة ، والإفالة لكلِّ عَثَّة ، والتَّعمد للهْوَة وقبول القِيَّة ، والإقامة من عظم جرمه ، وجلّ ذنبه ، وظنّ أن لا توبةَ له ؛ ولكنَّما جَدَّد الله له نعمة ، جَدَّد له في ذلك نيةَ حَسَنَة ، شكرًا لله عزَّ وجلَّ على ما ابتدأه به ، وارثانًا لِنِعْمَةِ عنده ، واستِزادةً من جميل مَواهبه .
وتهديم الاهتمام بما فيه صلاح رعيته ، واستقامة أمورها ، وحياطتها واللُّبُّ عنها . وكفُّ الأذى والمكروه عن الداني والقاصي منها ؛ ويختلص إلى ذلك بكلِّ ما يَجِدُّ إليه السَّيْلَ ويصْهَدُ فيه ، ويعملُ لكثرة أوقات دهره في كلّ ما يُلْغِي حُبَّه نظرًا لها ، وحَدِّبا على كَافَتِها ، وإشفاقا من سوء حالها ؛ إذ كان لها والدًا برًّا ، وراعيا كالِيا ، وناظرا لطيفا ؛ ويستعمل كلّ ما يريحو اشتغالها ، والإبقاء على أحوالها ، والسلامة لها في دينها ودُنياها ؛ وينصَّب لذلك ليله ونهاره ، ويُذَيِّبُ فيه نفسه ، ويعمله شُغْلَهُ دون غيره .

والحمد لله الذي أصطفى أمير المؤمنين بحلافته ، وأكرمه بإرث نبوته ، وجعل خِلافته خلافةً يُمْنٌ وبركة ، ولطيف وسعادة ؛ انتاش بها أوليائه من «وارد الملكة لُجُوج مَزلَّتْهم ، وشرَّف درجَتْهم ، وأعلَّ كَلِمَتْهم ، وأذلَّ بها أهداءَهم ، وجَدَّد دوابَّهم ، ورَدَّ دائرة السوء عليهم ؛ وجابه مَرِيَّةَ نَفْسِهِ وتمَكَّيته ، وإعزازِهِ وتأييده ؛ وإظهارِهِ على من نالواهِ وعَتَدَ عن حقِّهِ ، وصَدَفَ عن طاعته ؛ فإنَّ الله لما اختار أمير المؤمنين لخلافته فأَيَّدَهُ بها ، جعل الحقَّ نِيَّتَهُ ، وإعزازَ الدِّينِ بُغْيَتَهُ ؛ ومجاهدةَ أعداءِ الله تَرْقا وغربا وبرأ ومجرا نَهْمَتَهُ وإرادته ؛ ثم يسره في ذلك لما أحسن به عونهُ ، على من استَحَفَّظَهُ وقلَّده ، فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم .

والحمد لله الذي كان لسابق عليه وسالف قضائه، الذي لا يستطيع الناس رده، ولا منعه ولا صرفه، ما ولى أمير المؤمنين من خلافته، وما آتته له من النصر لدينه، والطلب لحقه، والجهاد لأعدائه؛ وأحسن في ذلك عونه فيه وبلاءه، وأيده في نفسه، لم ينقصه خذلان خذل، ولا مخالفة من خالف، ولم يزد أمره في شيء من ذلك إلا تماما وإحكاما؛ حتى أظهر حقه، وأطاع حجتَه، وعق باطل أعدائه، وأدحض حججهم، وجعل أهل طاعته حربه الغالين، وجنته المنصورين؛ وجعل عدوه وعدوكم حزب الشيطان الخاسرين، وأولياءه الأذلين؛ بغير حول من أمير المؤمنين في شيء مما ولّاه وأبلاه، ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

لأبي عبيد الله

والحمد لله الذي أكرم أمير المؤمنين بما أصار إليه من الخلافة وإرث النبوة، وجعله القائم بأمر عباده وبلايه، وأتمى لسنه، والذّاب عن دينه وحقه، والمُناصب لأهل الشرك والجحود به؛ ثم نصره وأظهر فضله أيامه ودوّته، ومكّن له في بلاد عدوه، وجعل كلبته العليا وأنصاره الغالين، ومن نأوا من أهل الخلاف الأذلين المجهورين؛ وعرفه من نعمته في ذلك وميته وجميل صنعه وطاعته، أحسن ما عود أحدا من أوليائه النّائين عن الإسلام وأهله؛ حمدا متتابعا لا أقطع له ولا أنصرام، دون بلوغ حقه، وقد كان كذا وكذا .

ما يكتب به في المخالفين في وقت الهزيمة

نكسوا على أديارهم منكوبين مهزومين، قد ضرب الله وجوههم، وقت في أعضادهم، ومنع الأولياء أكفّهم؛ قتلهم في كلّ فج، وعلى رأس كلّ قلعة ومهرب ومسلك؛ أباد الله خضراءهم وفضراءهم، وحصد شوكتهم. وفلّ حنم، وأباخ نيران ضلالتهم وكفرهم، وشقّى منهم الصدور، وأدرك منهم الإحن؛ ونقل المسلمين أموالهم وذرايرهم، وجعلهم لهم حولا وعيدا، وأورثهم أرضهم وديارهم، وأحلّ الله بهم من البأس والظمة والجائحة

والظهور والقلبة جزاء من الله لمن أخذ إلى المعصية وأبغى غير سبيله المسلوكه . وكذلك يفعل الله بالقوم الظالمين ، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ، إن الله لا يخلف الميعاد . ثم أنزل الله عز وجل من صار إلى الأمصار منهم هرباً ، وأعصم بالحصون ، وتعوذ بالجلال ، ولاذ بالقلاع ، ولبأ إلى الأودية ، من صياصيهم ، وأمكن من نواصيهم : واستخرجهم من أوزارهم ومعاقلهم ومتعوذهم ، وأخذ أسيراً ذليلاً منكوباً خائفاً قد نصب الوجل قلبه وملاً الرعب صدره ، متوقفاً أن يقتل الله به من الثقات والمثلاث ما لا مرد له عن مثله من القوم الظالمين ، وفشت في الكفرة الجراحات ، وعضت السيوف ، وشربت فيهم القنا ، ودهرتهم نار الحرب ، وغلم التزال ، ومارسهم الأبطال ، واستحز فيهم القتل ، فصرلهم الأولياء أحسن صبر ، فلم يطيقوا بالموت تراماً ولا على الحرب مقاماً .

في صفة الخالعين

الناصين لدين الله . المكذبن بآياته ، الجاحدين رسله . الجاحلين معه إلهاً ، لا إله إلا هو ، لطول مدتهم ، وشدة شوكتهم ، وصعوبة مرامهم . وقطعهم السبل وأنتهاهم المهارم وسفكهم الدماء التي أوجب الله على من سفكها بسير حلها وأقترف وأحتمل وزرها ، أليم العذاب وشديد العقاب ، فأبوا إلا تمادياً في ضلالتهم . وعثوا في طغيانهم ، وثبوتاً على عصيانهم ، ومقاماً على كفرهم ، لأحذائه السالفة . وغوائله المتقدمة ، وبوائقه المشجية ، فوقف بملايين تكل التقدم وحقيقة الأصطلام في التأثير . دعاهم إلى الفئدة والمراجعة والإنابة وقبول الأمان والدخول في الطاعة ، استظهروا بالجمعة عليهم ، ورجاء لصنع الله فيهم . فلما بلغهم نزول فيمن معي ، جمع أصحابه ، وضم جنده . وتحرز في معسكره ، وخذق على منزله ، وأحترس بجهده . فآقت معسكرى ، وأنا مع ذلك في كل يوم أوجه رُسلى وأدعوه إلى حقله ، من طاعة أمير المؤمنين والدخول في أمانه ، وأعلمه أن له نظراء ممن عظم الطاعة ، وسيف الجماعة ، وقد ركضوا في الفتنة عمرهم وسعوا فيه دهرهم ، فانتشر خبرهم ، وكثرت تبعهم ، وكبر وزرهم ، وتقل وقهرهم ، ثم أذعنوا لطاعتهم . وأستقلوا

ناهضين من عَثَرَتِهِمْ ، ومتمشّين من زَلَّتِهِمْ ، ففُفِرَتْ ذُنُوبُهُمْ ، وَقُبِلَتْ تَوْبَتُهُمْ ، وَفُتِحَ لَهُمْ فِي أَمَانِهِمْ ، وَشُرِفَتْ مَقَرَّتُهُمْ ، وَأَسْبَدَلُوا بِالْخَوْفِ أَمْنًا وَبِالذِّلِّ مَرْءًا ، فَأَبَى بِهِ مِيلَ الْهَوَى ، وَغَلَبَتِ الشَّقْوَةُ ، وَمَسْتَعْلَى الْقَوَايَا ، وَالْقَدَرُ الْحَارِبُ ، وَالْقَضَاءُ الْمُحْتَوَمُ . وَتَقَدَّمَتْ فِي مَوَاقِفِهِمْ وَتَرْغِيهِمْ ، وَالْأَخْذُ بِالْمُخَفِّقِ مِنْهُمْ ، مِنْ فِرَاقِ قِتَالٍ ، وَلَا تَأْوِيلَ سِيَالٍ^(١) ، وَعَرَضَتْ عَلَيْهِمُ التَّوْبَةُ ، وَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِنَابَةِ ، وَأَعْلَيْتُهُمُ الْأَمَانَ ، وَأَعْلَيْتُهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ قَبِلُوا حِمْدَهُمْ وَأَسْمَدَتْ نَارَ الْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا تَمَادِيًا فِي غِيَمِهِمْ وَنُكُوصًا عَلَى شَقَائِهِمْ ، وَلَيْتُ مَنَاجِرَتَهُمْ وَعَرَفْتُ مِنْ أَفْهِمِ الْخَبِيرَةِ فِي مَحَارِبَتِهِمْ ، وَأَسْتَعْتَهُ طَعِيمَ وَأَسْتَكْفِيَتْهُ أَمْرُهُمْ ، وَرَجُوتُ حَسَنِ عِلْدَتِهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْتَالِهِمْ . ثُمَّ وَجَّهَتْ الْأَوْلِيَاءُ فَضْلَهُنَّ نَحْوَ عَسْكَرِهِمْ لِئَلَّا وَهَمَ مَغْتَرِفُونَ فِي رَحْلِهِمْ ، مَغْتَرِفُونَ فِي أَوْطَانِهِمْ ، قَدْ أَسْنَوْا خِدْعَ الْحَرْبِ وَمَكْرَهَا وَمَكِينَتَهَا ، وَوَقَعَتِ الْيَبَاتُ وَهَوْلَهَا ، إِلَّا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَهْلُ عِدَدٍ وَعُدَّةٍ ، وَبِأَسْنِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَقُوَّةٍ ، اتَّخَذُوا اللَّيْلَ جَهْلًا ، وَسَرَّوْا نَحْوَنَا يَرْجُونَ غَيْرَتَنَا وَيَأْمُلُونَ غَفْلَتَنَا ، فَوَقَفَ جَنْدُنَا بِمَكَانِهِمْ أَخَذِينَ أَهْبَتَهُمْ . مَحْسُكِينَ بِالطَّاعَةِ نِيَا بِهِ لِأَمْرَتِهِمْ ، فَاسْرَعَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ طَائِفَةٌ فَدَفَعُوهُمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَتَالَوْهُمْ بِبِرَّاحَاتٍ مَعَ قَتْلِ مِنْهُمْ عِنْدَ تَأَوُّسِهِمْ ، ثُمَّ نَكَصُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ ، وَرَجَعُوا الْقَهْقَرَى عَلَى أَعْقَابِهِمْ إِلَى الْبَاقِينَ مِنْ سَرِيَّتِهِمْ ، فَاسْتَجَاشُوهُمْ فَاجَاهَمَ بِالْمُكَافَةِ وَالْمُؤَاوِزَةِ ، وَأَقْبَلُوا بِمِجْمَعَتِهِمْ وَحَقَّقَهُمْ حَتَّى حَمَلُوا حِمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَضَاقَ الْقَضَاءُ وَطَارَتْ أَفْتَدَةُ جَنْدُنَا رُجْبًا مِنْ حِمْلَتِهِمْ ، وَبَلَّغَتْ الْقُلُوبُ الْخُنَاجَرُ مِنْهُمْ ، إِلَّا طَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ مِنْ لَوَائِقِ الْحَرْبِ وَمَوَاضِي رَوَافِعِهَا وَأَشْبَالِ لَيْدَتِهَا ، تَزَيَّنُوا بِالطَّاعَةِ فَأَمَّوْا حَسَنَ الْعَاقِبَةِ ، وَنَصَرُوا الدِّينَ . فَوَثَّقُوا بِالْمَكِينِ . أَتَتْهُمْ بِأَحْوَالِهِمْ ، وَوَقَفُوا لَهُمْ ، وَازْدَادُوا بِصِيرَةٍ فِي أَمْرِهِمْ ، وَغَاظُوا وَجْدًا فِي أَجْتِهَادِهِمْ وَمِجَاهَدَتِهِمْ ، فَخَبِتُوا قَائِمِينَ بِالْقِسْطِ فِي أَحْوَالِهِمْ ، قَائِلِينَ بِالْعَدْلِ فِي أَمْلَانِهِمْ . يَسْأَلُونَهُمُ الْكُرَّةَ بَعْدَ الْكُرَّةِ . وَيَمْدُونَهُمُ الْغَلْبَةَ ، وَيُثْنُونَهِمُ الصَّلَامَةَ ، وَيُضْمِنُونَ لَهُمُ الْغَنِيمَةَ ، فَفَاعَلُوا إِلَيْهِمْ ، وَرَجَعُوا إِلَى الْحَقِّ قَهْرًا وَجَلَّ عَلَيْهِمْ ، فَشَافَعُوا سَاعَةَ الْبَقِي

(١) السِيَالُ مصدر سَالَى عَلَى قَرْنَةٍ : سَطَا عَلَيْهِ .

بعد تلاميهم إرشافاً . بالسهام فلما رأى أعداء الله يحكمهم ، وصرخوا صدقهم ، وخافوا حكمهم ،
 تكسبوا على أعقابهم ، يريدون المصالح بمسكرهم ، وتحرك أصحابنا في طلبهم ، ورجعوا بسوء
 الصباح لهم ، فأمنوا في أثرهم ، فلما أحسوا الفساق أعطوهم الضمة وولّوا إلى ديارهم
 لا يلقى قريب على قريب ، ولا دورح على حبيب ؛ واثمهم الثقيّ ففسدتهم ، وعظمت
 هامهم السيوف فكلمتهم ، وحيل بينهم وبين الدخول من باب عسكرهم ، فأخذوا في غير طريقه
 منهزمين ، قد فل الله حكمهم ، وقُتل كثيرهم ، وقتل عاقبتهم ، ورجع أصحابنا إلى معسكر أعدائهم
 بعد التشريد والتفريق بجاعتهم ، فأحاطوا بهم في أنزلتهم ، فلما رأوا قتلهم ، وأمنوا
 غرتهم ، وأتجزوا مكان الفرصة منهم أحاطوا بهم وهم نائمون ، فازدوا غافلون متفرقون ،
 فوضعوا السلاح فيهم . ضرباً بالسيوف ، وطعنًا بالرماح ، وضرباً بالأممعة ، وذبحاً بالشفار ،
 لا يشعرون من جرحوا ، ولا ييقنون من كملوا ؛ غير مدفوعين ولا ممنوعين ، حتى أثنت
 السيوف ، وتحطمت الثقيّ وأندقت الأممعة ، وكُتلت الشفار ، وبقيت منهم علة يسيرة
 وشذمة قليلة ممن لم ينله القتل ، فأخذوا أسرى ، وأوثقوا حديدًا ، وجُكِّلوا قيوداً . وكان
 أول رأس أتاني بخبرة بتسريحهم وأسرع به إلى ذو المعرفة منهم رأس عدو الله المارق
 الباغي ، الشاق لمصا المسلمين . ملأني رئيس ضلالتهم ، وقائد جهالتهم ، ومستغوى
 جماعتهم ، عرفته بحليته ونعته وصعته في عدد كثير من رموس قواده وأهل الفتنة وأئمة
 البدعة ، فلم يلبثوا إلا ريثما تصدعوا في كل جبل وتحرر منهزمين هارين ، لا يستطيعون لما
 ألهم من عذاب الله دفعا ولا منعا بأيدي ولا قوة ؛ ولا يلجئون إلى دكن وعصمة ، قد تشقت
 بهم نظامهم ، وفارقهم وجوههم وأعلامهم . فأخذهم أسرى قسراً قدمهم النصب ، وملأ
 قلوبهم الرعب ونحزمتهم الوقائع ، ونحبتهم المزامم ، وتحيفهم القتل . وغلظ الله عز وجل
 لأئمة المؤمنين على حصنه الذي كان منافع عزّه . وموضع منته في نفسه ، ومجتمع عدته ،
 ومادة قوته ، فقوضوا عساكرهم . وأقتعوا عن حصنهم يتبع تحريم أولهم . متعبرين متلذذين .

أذلّة خاسرين، ففترقوا لا نظام لهم ولا جامع لشتاتهم . فلبا أسعجرت القتلى فيهم، وقشّت الجراحات في عانتهم، وطحنتم الحرب بگلکها، وألما وقع حديد أنيابها ومساخرها، قذف الله الرعب في قلوبهم وزلزل بهم أقدامهم، فولّوا منزوين مغلولين، وركب المسلمون أكتافهم، يقتلونهم في رهوس جبالهم، وخلال غياضهم، وطلون أوديتهم، ومقاصي تلامعهم، وفي كل ناحية من نواحيهم، حتى عجز الليل دونهم، وأعجزهم هربا في معاقلهم .

وفي العصاة

حتى إذا ظن أن قد مرّ بضلاله، وتحصن بمعاقله، وأستكمل قواه، وكثف تقيده، ولبا إلى مانع منه ودافع عنه، عطفت عليه حواطف الحق بأولياء الحق وأنصاره، نافضين ما أبرم، ومتداولين ما سدد، ومتوغلين إلى غيه ببصائرهم، وإلى باطله بحقهم، فاستترّل عن موضع عزّه قسرا، وأمكن الله أولياءه أسرا؛ سنة الله فيمن عاهد عن سبيله، وألحد في دينه، ومزق عن الطاعة وثاقها، وأستبدل بالحق ومنهاجه، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا، ولن تجد من دونه مُتّحدا ولا نصبرا؛ حتى إذا تراءى الجمعان تبرا الشيطان من حربه، وأرهق الله باطلهم بحقه، وجعل الفلج والظفر لأولى الحزبين به، بذلك جرت سنة الله في الماضين من خلقه، وذلك ما وعد من تمسك بأمره وطاعته .

وفي مدح قواد الجيوش وصفة الأولياء في أحوالهم

لما بَلَا من طاعته، وأخبر من نصيحته، ويُنّ نهيته، وشنة شكيمته، وصحة عزيمته، وصدق نيته، وتقل طاعته على أعداء الله وأعداء الدين والمسلمين، وعلمه بمراوضة الحرب وممارستها، ومكايده الأعداء ومواقفتهم فيها، فشرّ تسمير أهل الحسبة وحسن الظن بالله من غير ونيّة ولا قرة ولا بقاء جدّ ولا اجتهد، راجيا أن يُفجّع الله سعيه، ويُفلج حجه، ويظهره على عدوه من الاستقلال الذي حله، والاضطلاع بما أسند إليه، والامتثال لسيرته، والالتناء إلى أمره، والقبول لأدبه، والخفوف بما يستنضه له من حروبه وأموره مثل الذي جعل عند فلان : يفضّلهم بطوله، ويطوّلهم بمحاسنه، ويتقنّمهم بحسن بلائه وقنّاته،

ومواقفه ومساعديه، لم يختبره أمير المؤمنين في جميع خصاله إلا وجده عند الاختبار والتحصيل سالكا لما فيه، قابلا لأمره، متبعا لأمره، ساميا بهيمته إلى أقصى الغايات وأصل الدرجات، حتى صار عند أمير المؤمنين مقدما في القدر والرتبة، مخصوصا بالمتلة والرفعة، يرى ذلك قليلا في كثير ما وجب بطاعته ونصيحته، فبارك الله عليه وليا ظهيرا . فاقدموا متوكئين على الله مسائين لأمره صابرين على ما نالهم من الآواء والجهد والتعب وكلب الشتاء وحارة القيظ، وصعوبة الكرام من أعداء الله الكفرة، يرجون نصر الله وتتميم ما وعد الصابرين والمجاهدين في سبيله من الظفر والنصر والقبلة على مدووم، توحد به من نصرهم وإعزازهم أن كان الله عز وجل تكفل لأوليائه بالنصر والعز والخطة، وجعل حسن العاقبة لهم، وكبت من حاقهم وأخذ إلى المعصية والكفر والأمر، ليكونوا بذلك عظة ونكالا لمن أمهله الله منهم، ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، والله عزير حكيم، أعظمهم غفاه، وأحسنهم بلاء، وأشدتهم صولة، وأقساهم نكاية، وأمنهم سريرة، وأضاهم عزيمة، وأربطهم جاشا، وأصدقهم بأسا، وأملأهم للأقران، وأراطهم لوثائق الإيمان، وأشدتهم تحديا على السلطان، قازره بهم، وحسن أطراف خلافته بأبيهم، فكفوه المهمل وقاموا دونه بالملم، غير مستطيلين بغناه، ولا متعززين لطالب جزاء، قد تعبدهم الوفاء، وغفوا بقرية الولاء؛ فإن الله جعل آباءه أعلاما في الطاعة يبدون إليها وأوليائه قادة إلى سبيل النصيحة يتمسك المناصرون بآثارهم فيها، باقيا على ذكر الأيام ذكر مساعيمهم، وزائدا على تصرف الأيام حقوقهم، وياديا للعبون حميد أنعامهم، لا تنصرم الأخبار عن سالف لهم إلا وصلوه بمحادث، ولا يتقدم لهم من بلائهم أقل إلا أتبعه آخر. ففلان يجري في أمره على منهاج قد أوضحوه له، ويسلك في الطاعة طريقا قد سهلوا له مذهبهم، ويتمسك بعرا وثيقة قد رأى آثارها على من نقلته، والله محمود . ولم يزل الله يعزف أمير المؤمنين في كل ما أسنده إلى فلان من أعماله وقلة من أموره، المبالغة في قضاء الحق عليه وبمن التقيبة فيما يتولاه، والاجتهاد في كل ما توبه من الله وخليفته . وأمير المؤمنين يعمد الله على ما يخصه

به من نعمته، وإياه يستعين على قضاء حقه، إنه سميع قريب . فإن كتابك ورد على أمير المؤمنين بما لم يزل يتطلع اليه منك ويؤمله عندك، ويرجو أن يوفقك الله فيه لرشدك، ويؤثرك منه بحفظك، للذي كان يلغسه وينتهى اليه من خبرك، في أحوالك وتصرفك في خصال الخير، وتتقك في درجتها . مساميا لاهل الفضل في مراتبهم، مترينا بصالح أفعال الملوك في قصد سيرتهم، وحسن طريقتهم، ولين أكافهم . لحقق الله ظنه بك، وأجاب دعاءه لك، وبلغ بك أميته، وأعطاه فيك رغبته . وكنت فيما هُديت له بأخبارك إليه راغبا، ودخولك فيه محسبا، مستوليا على أسنى الأمور مؤونة، وأفضلها ذخيرة، وأعلاها درجة، وخيرها عاقبة، وأتمها سلامة، وأمنها كهفا، وأبقاها شرفا، وأصلها حكما، وأطولها سائما، مستحقا بذلك على الله عز وجل زيادة الملك فيها، وبهاء الثروة، وأنساض القدرة، وأنساع المملكة، وظهور القلبة وعز التمكين، والنصرة في الدار التي حُيت فيها بقليل ما ترجو أن تصير اليه من ثواب الله عز وجل وحسن مجازاته بالنعيم المقيم في دار الأمد، ومحل الأبد، بما لا يبلغه إحصاء، ولا يكون له انتهاء، وملاؤه فرحا وأبتهاجا، يسرورا وجدلا، ورجاء لك من الله عز وجل حسن عونه وتوفيقه أن يغلب لك على حفظك، وأن يأخذ إلى تقواه بقلبك ويعمل فيا عنده رغبته، وإلى ذلك سموك وهتك . وليس ينك أمير المؤمنين مقتفرا فيك أثرا يحمده، ومتصفحا بخبر يهجه، ومستحدثا نعمة من الله عز وجل يرجو اتصالها وأنساقها لديه بك، حتى يتناهى إلى الدرجة العليا، والغاية القصوى، فيا يتفقه^(١) من آجنتات أرومة الفسقة وقطع دابرهم . وباقه الثقة والحوول والقوة، مستزفا من الله فيا فارقه من جهاد عدوه أتم مصادق وعد القائمين بحقه، الصابرين في جنبه، وأحسن ما ألى، ذاذا عن حريم، ومحصنا أبيضة، ومدافعا عن مله، فشمس شاريا لله نفسه، طارحا عنه لباس الغفلة . متجافيا عن مهاد الوطاة، وليس تدخله الخلة والوحشة على من كنت قريبا منه، ولا يتمتع لأمر المؤمنين طرف أنت فيه، ولا أمر يمين عليه ويتمسك بسبب من أسبابه .

(١) جاز في الأمر والسياق يقتضيه ما نشأه .

وصف الأولياء في الكتب

وصار أهل السُّمُو إلى الدرجة العليا، والاعتصام بالعرفه الوثقى، من أولياء أمير المؤمنين وشيعته، مُنْشَرَحَةٌ صدورهم بِمَكَافَتِهِ، مُنْصِطَّةٌ أَيْدِيَهُمْ بِمَعَاوَتِهِ؛ وَفِيمَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَوْلِيَاءِ دِينِهِ وَأَنْصَارِهِ، قَوْمٌ آزَرَهُمُ بِالنَّصْرِ، وَكَفَّفَهُمُ بِالْيَقِينِ، وَأَلَّفَ بِصَابِرِهِمْ حُلِيَ الْحَقِّ، وَأَيَّدَهُمْ بِمُؤَيَّدَاتِ التَّقْوَى؛ فَلَمَّا أَمَرَهُمْ أَطَاعُوا أَمْرَهُ، وَلَمَّا فَرَضُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ طَاعَتَهُ، فَضَّضَ اللَّهُ نَصْرَهُمْ وَتَمَكَّنَهُمْ، بِفَاهِدِ مُجَاهَدِهِمْ مُسْتَبِيرًا مُحْتَسِبًا، وَقَامَ قَائِمُهُمْ بِالْحَقِّ عَلَيْهِ مُخَالِفًا مُجْتَبِهًا؛ وَقَادَتْهُمْ طُلُوعُ الدِّينِ وَدَوَاعِيهِ أَرْسَالًا قُدُّمًا، فَاتَّبَعُوا سَبِيلَهُ لَا تَاكِلِينَ عَنْ إِقْدَامِ، وَلَا مُتَوَقِّعِينَ عَنْ آرْتِيَابِ، وَلَا مُتَبَيِّتِينَ، مَعَ دَخَالِهِمْ وَبَصَائِرِهِمْ، صَدُوا وَلَا عَنَادًا؛ طَالِبِينَ بِثَارِ الدِّينِ بُغَاءَهُ، وَبَطَوَائِلِ الْإِسْلَامِ عِدَائَهُ : مِنْ صَنُوفِ أُمَمِ الْكُفْرِ وَرَدَّةِ الْفِتَاكِ وَأُتَمَّةِ الْمُفْلَحِينَ؛ مُتَقَلِّدِينَ لِلْحَقِّ وَنُصْرَتِهِ، وَثَنٌ ثُمَّ الْحَقِّ بِهِمْ وَمَضَى، وَلَيْتَ مَعَ الْحَقِّ مَن نَكَثَ عَنْهُ بِالْهَسْتِمْ وَأَيْدِيَهُمْ، حَتَّى نَحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَاقِلَ الشُّرْكِ وَأُتَمَّةَ، وَأَنَاخَ الْبَاطِلِ وَأَرْكَانَهُ، وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ وَأَتْبَاعَهَا، فَضَّلَا مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ؛ إِنْ هَزَزْتَهُمْ قَطَعُوا قَطْعَ الْحُسَامِ، وَإِنْ أَجْرَيْتَهُمْ فِي عَظِيمَةٍ وَقَعُوا وَقَعَ الْجِيَادِ، وَإِنْ اسْتَفْنَيْتَ وَدَامَ الْفَنَاءُ لَكَ عَنْ جَمِيعِ الْعَامِلِينَ، كَانُوا رَصْدًا لَكَ فَوْقَ أَعْنَاقِ الْخَاسِدِينَ .

ما يُقَرِّظُ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَوَانِرِ الْكُتُبِ

لَيَعْرِفُوا مَوْقِعَ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، يَحُوطُهُ بِهِ فِي أَوْلِيَائِهِ، مِنَ النَّصْرِ وَالْتِمَكِينِ، وَعَلَى أَوْلِيَائِهِ مِنَ الْوَقْفِ وَالتَّوَهُينِ^(١)؛ وَيُشْكِرُ اللَّهُ حُلَّ النِّعْمَةِ فِي ذَلِكَ، إِنْ الشُّكْرُ مَحْصَنٌ لِلنِّعَمِ، وَأَمَانٌ مِنَ الْغَيْرِ، لِحُكُومِ مَوَاقِعِ النِّعْمَةِ طَلِيمِ، فَيَا يَجْعَلُ اللَّهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَلِمَتِهِمْ، وَيَحُوطُ مِنْ حَرِيمِهِمْ، وَيُحِيلُ مِنْ بَاسِهِ وَقَمْعَتِهِ بَيْنَ صَدْفٍ عَنْ سَبِيلِهِ وَحَاوِلَ تَشْتِيتِ جَاهَتِهِمْ وَتَوَهُينِ حَقِّهِمْ، وَيُحَابِلُونَ ذَلِكَ بِمَا تُرْتَبِطُ بِهِ نِعْمُهُ، وَيُسْتَدْرَجُ مَزِيدُهُ .

سعيد بن حميد

ليشكروا الله على ما منع خليفته من هؤلاء الأتراك الخارجين من جماعة المسلمين، فإن الشكر أمان من الغير ومادة للزهد .

٣ - التحاميد في أواخر الكتب

تحميد لسعيد بن نصر في آخر كتاب فتح له

الحمد لله المفضل لدينه، المظهر لحقه، المؤيد لأوليائه، الصانع للإسلام وأهله، الناصر لخليفته، الحافظ لما استحفظه، المتوحد بالنعمة عليه فيما حمله .

تحميد لإبراهيم بن العباس في آخر كتاب فتح

فالحمد لله المزيل لما يهتد المبطلون، ويمكر به الساكرون، ويكيد به الملعدون، محمينا لعبده وخليفته، وذبا عن دينه وحقه، وإظهارا لأوليائه وحزبه، وإمضاء لعزائمه وقدرته، منما قادرا، ومثليا ممهلا، عدلا إذا استدريج، متفضلا إذا أنعم، حمدا يستنزل به نصره، ويبلغ به رضوانه، ويمتري بمثله فواضل مزیده .

تحميد في فتح لإبراهيم بن العباس

والحمد لله بجميع محامده التي تحمد بها، على جميع آلائه وجميل بلائه . فيما ولي به خليفته، ونصر به دينه، وأقام به حقه، وأعز به وليه، وقمع به من ألحد عن سبيله، حمدا يؤدى حق نعمته، ويوجب به أفضل مزیده بمنه وطوله .

تحميد لأبي عبيد الله في آخر كتاب

فالحمد لله على ما يحدث لأمر المؤمنين في دولته وسلطانه، ولعامته المسلمين من صنعه وكراماته، في جسيم الأمور ولطيفها، وخاصها وعامها، بما يحمله للنعمة تماما، وصل ما يصل بملكوته من بأسه وقوارعه، ويوقع بهم من جوائمه وأستنصهاله . ما يكون لموعدده إنجازا، حمدا يبلغ رضاه ويستوجب مزیده .

تمجيد آخر

الحمد لله الذي تمّ لأمر المؤمنين نعمته، وأكمل دعوته، وجعل العاقبة فيه لمن اختاره لخلافته، وردّ إليه من شدّ عنه من رعيته، وأتى أمير المؤمنين بعنقه على حدّ نيته وقدر أمنيته، ولم يُفِضْ رأيَه ولم يُخْلَفْ ظنّه، حمدا كثيرا دائما بما يزكو عنده فيقبله، ويرفع إليه فيبلغ رضاه، حمدا يكون لأسبغ نعمه جزاء، ولأفضل إحسانه كفاء، وللازيد من فضله وإحسانه موجبا، وإلى أعلى الدرجات عنده مؤذيا، وللخلود في جنته وسيلة وسببا .

آخر :

الحمد لله الذي جمع لأمر المؤمنين ما حباّه بمزية نصره وتمكينه وإعزازته وتأيدته، وإظهاره على من ناواه وصدّ عن حقه، وصدّف عن طاعته، ووقّفه لأختصاص فلان بما وكّله إليه وعصبه به من أعباء أموره وجلال أعماله، وأجرى بفلان وعلى يديه وبركته وسعادة جدّه ويمن طائره، من نتائج الفتح، وتواتر النصر، وإقبال الصنع، وإعلاء الحق وإنارته، وإزالة الباطل وإبادته، حمدا يؤدّي حقه، ويرى عزه، ويمير من أحسن^(١) مزيده، بكرمه وجوده .

آخر :

الحمد لله الذي أكرم أمير المؤمنين بالخلافة، وخصّه بالإمامة، وقلّده من أمور عباده وبلاده ما تولّاه بكفائيته وكلايته وتأيدته وحياطته . حمدا يوجب المزيد من فضله .

ولإبراهيم بن العباس

الحمد لله البنى أنجز وعده، ونصر عبده، وأيدّ جنده، وجعل فتوح أمير المؤمنين شرقا وغربا مشفوعة بين إقامة حق وإدالة باطل وإزالة عائد وإبادة عائد وإقالة مستقبل .

ويسأل الله أمير المؤمنين، مسألة العبد سيده ومولاه رغبة إليه متذلّلا له أن يصلّ أفضل صلواته عنده على أكرم أنبيائه .

(١) سقطت في الأصل كلمات فائتة ما يقوم مقامها .

دعاء أمير المؤمنين في الكتب والدعاء له

وأمير المؤمنين يسأل الله ربه ووليه : أن يكفه فيما حياه وأستحفظه عليه بأفضل تأييده وأعز نصره، وأن يهب له مع كل نعمة يحلها له حارسا من شكرها، يتابع به أفضل مزيده، فإن النعمة منه، والشكر بتوفيقه، والمزيد لمن شكره .

وأمير المؤمنين يسأل الله ربه وربكم وولى النعم عليه وعليكم، أن يكمه وإياكم أداء حقه وشكر نعمته وحده عليها، ويطوقه وإياكم أفضل الأعمال وأرضاها عنده وأشدّها استجابة لما وعد الشاكرين من مزيده، إنه سميع قريب .

وأمير المؤمنين يسأل الله الذى ولّاه خلافته وأعلاه بها، أن يطوقه ما حمله، ويلهمه العدل بين رعيته، ويلهمهم نصيحته وطاعته، ويصلح أمرهم به فى ولايته وخلافته . ويرغب الى الله الذى أيدّه بنصره ومكن له بغير حول منه ولا قوة، أن يلهمه وإياكم شكره وذكره وخشيته، ويشمله وإياكم بطاعته ومَرْضاته ومحبه، وأن يوفيه وإياكم الزيادة فى نعمه والنصر على عدوه والتمكين فى بلاده، إنه ذو فضل عظيم .

والى الله يرغب أمير المؤمنين فى إعانتة على نيته وتبليغه منتهى سؤله وظاية همتهم وإعزاز دينه وإذلال من صدّ عن سبيله، إنه سميع قريب . وأمير المؤمنين يسأل الله الذى دلّ على الدعاء تظؤلا وتكفل بالإجابة حتما، فقال : (أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) أن يجمع على رضاه ألفتكم وأن يصل على الطاعة جلّكم، وأن يتممكم بأحسن ما عودكم من مثته، ويوزعكم عليها من شكره ما يواصل لكم به مزيده، وأن يكفّكم كيد الكائدين، وحسد الباغين، ويحفظ أمير المؤمنين فيكم، أفضل ما حفظ به إمام هدى فى أوليائه وشيعته، ويحمل عنه ثقل ما حمله من أصرم، والله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوي من جزائكم بالحسن، وتحليلكم على الطريقة المثلّى، وبه يرضى لكم ناصرا ووليا، وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا .

ويسأل الله أمير المؤمنين، أن يحمّس على صلاح نيته وعونه، وأن يتولاه فيما استرعاه، ولاية جامعة، لصلاح ما قلّده، إنه سميع قريب .

ويسأل الله أمير المؤمنين الذي بيده مفاتيح مقاديره وفواضله ، أن يُصَلِّىَ أَفْضَلَ صَلَواتِهِ عَلَى أَفْضَلِ أَنْبيائِهِ ، وَأَنْ يُعْمَلَ مَا أَذْخَلَ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى دُورِهِ وَخَلَاقَتِهِ ، وَجَبَّاهُ بِهِ مِنْ وَسَائِلِ الْخَيْرِ عِنْدَهُ ، أَنْ يَجْعَلَ إِلَى أَحْسَنِ تَوْفِيقِهِ لِمَا يَرْضَى مِنْ شُكْرِهِ وَحَسَنِ مَعُونَتِهِ عَلَى مَا أَصْلَحَ لَهُ رَبِّهِ ، فَإِنَّهُ شَاكِرٌ يُحِبُّ مِنْ شُكْرِهِ وَيُوجِبُ لِمَنْ وَفَّقَ لَشُكْرِهِ مَزِيدًا مِنْهُ وَعَظْمًا وَفَضْلًا وَإِعْلَامًا ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

ويسأل الله أمير المؤمنين مُبْتَدَأَ مُعَقَّبًا وَأَوَّلًا وَآخِرًا ، وَقَبْلَ كُلِّ مَسْأَلَةٍ ، وَأَمَامَ كُلِّ رَغْبَةٍ وَمُقَدِّمَةً كُلِّ طَلِبَةٍ ، أَنْ يُصَلِّىَ عَلَى صَفْوَتِهِ مِنْ عِبَادِهِ وَخَيْرِ خَلْقِهِ وَخَاتَمِ أَنْبيائِهِ وَرَسُولِهِ ، مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ، أَفْضَلَ صَلَواتِهِ ، وَيَبَارِكْ عَلَيْهِ أَكْثَرَ بَرَكَاتِهِ ، وَأَنْ يَدِيمَ لَهُ كَرَامَتَهُ . وَيَجْعَلَ عِنْدَهُ عَلَى أَجْمَلِ عَادَاتِهِ ، وَأَنْ يَتِمَّ لَهُ مَا اخْتَصَّ بِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ ، حَتَّى يَمْلَأَ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا ، وَالْإِسْلَامَ ثَابِتًا وَعِزًّا ، وَالشُّرْكَ ذُلًّا وَقَعًّا ، إِنَّهُ وَلِيُّ نِعْمَتِهِ وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ ، وَغَايَةُ كُلِّ حَاجَةٍ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

وأمير المؤمنين يقول : اُحْمَدُ اللَّهَ طَاعَةً لِأَمْرِهِ ، وَأَعْتَصَامًا مِنَ الْفِتْنَةِ بِشُكْرِهِ . وَأَسْتَدَامَةً لِنِعْمَةِ الْمُتَرَايِدَةِ عِنْدَهُ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ .

وأمير المؤمنين ، يسأل الله السامعَ كَلَامَ مَنْ جَهَرَ ، وَالْعَالِمَ بَغِيْبَ مَنْ أَسْرَعَ ، الْمُطَّلِعَ عَلَى ضَمَائِرِ الْعِبَادِ وَوَسْوَستِهِمْ ، وَالْمُسْتَفْقِدَ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ ، وَالْمُخْتَنَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِقُدْرَتِهِ ، أَنْ يَجْعَلَ عَلَى الْحَقِّ أَهْوَاءَكُمْ وَيَنْصَرِّكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ وَيُصْلِحَ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَلَا يَكِلْكُمْ فِي مَوْطِنٍ مِنْ مَوَاطِنِ الْقَاءِ ، وَالْتِمَاحِ وَالتَّاجِرِ ، إِلَى أَنْفُسِكُمْ . وَيَكْفِيَكُمْ وَيَكْفِيَكُمْ بِكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ .

الدعاء لأمير المؤمنين في أواخر الكتب

ونسأل الله أن يَتَنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا صَنَعَ لَهُ ، وَنُحِبَّهُ عَلَى شُكْرٍ مَا أَوْلَاهُ ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَإِنَّا إِلَيْهِ فِيهِ رَاغِبُونَ وَالسَّلَامُ .

وله :

ونسأل الله أن يَهَيِّئَ أمير المؤمنين الكراماتُ التي يُتَابِعُها ، والنعمُ التي يَظَاهِرُها عليه ،
والفتوحَ التي جعلها في خِلاقه ، وِلايته ودولته ، ويَهَيِّبُ له من المعرفة بحَقِّه في ذلك والشكر
له بحسن بلائه فيه ، ما يبلغ أعظم رغبة وأقصَى أمنية ، من ذخائر الخير وفضيلة الأجر
وحسن الثواب في الدنيا والآخرة .

أَسْأَلُ اللهَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ في ظَاهِرِ أُمُورِهِ ، أَحْسَنَ مَا عَوَّدَهُ في سَالِفِهَا ، مِنَ السَّلَامَةِ الَّتِي
حَرَسَهُ بِهَا مِنَ الْمَكَارِهِ ، وَالْمَزَالِ الَّذِي قَهَرَ لَهُ بِهِ الْأَعْدَاءُ ، وَالنَّصْرِ الَّذِي مَكَّنَّ لَهُ فِي الْبِلَادِ ،
وَالْمُهْدَى الَّذِي وَهَبَ لَهُ بِهِ الْمَحَبَّةَ ، وَالرِّفْقَ الَّذِي أَدْرَكَ بِهِ الْحَلَبَ ، وَالِاسْتِصْلَاحَ الَّذِي
آتَسَقَتْ لَهُ بِهِ الرِّغْبَةُ ، حَتَّى يَكُونَ بِمَا أَعْطَاهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَمَا هُوَ مُسْتَقْبِلٌ بِهِ ، أَبَدَ خَلْقَانِهِ
ذِكْرًا ، وَأَبْقَامَ في الْعَدْلِ أَثَرًا ، وَأَعْلَوْتَهُمُ فِي الْعِمْرَةِ مُدَّةً ، وَأَحْسَنَهُمُ فِي الْمَعَادِ مُتَقَلِّبًا .

أَسْأَلُ اللهَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نِعْمَةً لَا تَزُولُ ، وَكَرَامَةً لَا تَفُتُّ ، وَعِزًّا لَا يَضَامُ ، وَنَصْرًا
لَا يَظْلُبُ ، وَكَفَايَةً يَنْظُمُ بِهَا جَمِيعَ الصَّلَاحِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ بِأَوَّلِ مَنْ ذَلِكَ أَسْعَدَ مِنْهُ بِآخِرِ ،
وَلَا بِمَاضٍ أَسْرَمَ مِنْهُ بِمُسْتَقْبَلِ .

أَسْأَلُ اللهَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَاقِبَةِ كُلِّ نِعْمَةٍ أَفْضَلَ مَا وَهَبَ لَهُ فِي طَاجِلِهَا ، حَتَّى يَجْعَلَ
كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ ، وَكَرَامَةٍ حَازَهَا لَهُ ، مَوْصُولَةً بِالتَّامِّ ، مَحْوَطَةً بِالْحِفْظِ ، مَكْلُومَةً مِنَ الْغِيَرِ ،
مَمْدُودَةً إِلَى طُولِ غَايَاتِ الْبَقَاءِ ، لَا يَشُوبُ صَفْوَهَا كَدْرٌ ، وَلَا سَلَامَتُهَا غَيْرٌ ، وَلَا سُرُورُهَا
تَنْقِصٌ ، وَهَذَا اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الظُّفَرَ ، وَأَدَامَ لَهُ طَاعَةَ النَّصْرِ وَالْتِمَكِينَ الْمَوْضِعَ ، وَجُتْنَهُ
الْمُدْحِضَةَ لِحِجَةِ أَعْدَائِهِ ، وَالْقَلْبَةَ الْمُظْهِرَةَ لِحَقِّهِ ، الْمُجْتَاحَةَ لِمَنْ خَالَفَهُ ، ثُمَّ لَا يَرِثُ نِعْمَةَ اللهِ
رَاهِنَةً بِمِثْلِهِ فِي الْأَوْلِيَاءِ نَصْرًا ، وَفِي الْأَعْدَاءِ إِبَاحَةً ، وَفِي النَّاكِثِينَ تَنْكِيلًا .

سِرَّ اللهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَهْدَى لَهُ مِنْ كِفَايَتِهِ ، وَحَاطَهُ بِهِ مِنْ مَنَعَتِهِ ، وَأَيَّدَهُ بِهِ مِنْ
نَصْرِهِ ، وَجَمَلَهُ وَمَا اسْتَرَاهُ مِنْ دِينِهِ وَسُلْطَانِهِ ، فِي كَنْفِهِ الَّذِي لَا يُسْتَبَاحُ وَتَحْتَ يَدِهِ الْمَانِعَةُ
وَجَنَاحَهُ الْمَحْفُوظُ .

أدام الله لأمر المؤمنين السرور بما يُقْدَى به عيون أعدائه في تمكينه وتوحيدهم، ونصره وخذلانهم، وإعزازه والمجاهدة لهم؛ ولا زالت نعمة الله تزيده في قوة الظفر، وعزّة النصر، وتحميد من آفاق الأرض بالمشاورات والفتوح، حتى تملأ له ما بين طرفي ملكه أمنا وعزا، ويملأ به قلوب أعدائه خوفا ورعبا، ويسلم على خلافة سطوة وتبجلا .

أحمد بن يوسف

وهنا الله أمير المؤمنين نعمة، وملاؤه كرامته، وأولى له نُصْرته، وأدام إعزازه، وتولى حياته وكفايته، فبدأ منه وما ظب عنه، وأطال بقاءه والامتناع به .

مختار ما كتب من باب التهاني في كل فن

تهنئة خليفة بظفر

الحمد لله الذي جمع لأمر المؤمنين مع الغلبة المجتبة، ومع الظفر المعذرة، وجمع لعدوه مع الذل السطوة، ومع دُحُوض المجتبة النكال؛ فلم يجمعه والتاكثين موطن من مواطن الصبر، إلا جعل المجتبة عليهم فيه، ولسان العذر فيه معه، ويد الظهور فيه له؛ ثم وهب له عند الظفر من الشكر، وعند الفلج من التواضع، وعند القدرة من العفو، ما جعله مستوجباً لما أصفاه به، مُعْرِفاً بأن العذر مُنْقَطِعٌ مِن نَكْبِهِ، وَأَنَّ مُسْتَرَادَّ الْجُتَّةِ وَمَطْلَبُ السَّلَامَةِ، فِي التَّمَسُّكِ بِطَاعَتِهِ وَمَنَاصَحَتِهِ، وَالْمُجَاهَدَةِ دُونَهُ .

وفي مثله :

أدام الله لأمر المؤمنين السرور بما يُقْدَى به عيون أعدائه .

وكتب إبراهيم بن المهدي إلى المعتصم يهنئه بخروجه عن أرض الروم

بعد فتح عمورية

الحمد لله الذي تم لأمر المؤمنين غزوته، فأذل بها رقاب المشركين وشفق بها صدور قوم مؤمنين؛ ثم سهل الله له الأوبة سالماً غانماً، وكذا وكذا؛ ولييته ما كتب الله له، مما

أحصاه فلا ينساه، ليقفه به موقعا يرضاه، فإنه عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ الآية، فطوى الله لأمر المؤمنين نازح البعد بزا وبجرا، ووقاه وصب السفر سهلا ووعرا، وحاطه بحراسته كالثاء، ودافع عنه بحفظه راعيا؛ حتى يؤديه إلى المحل من داره، والوطن من قراره؛ وجزاه عن الإسلام خاصة، وعن رعيته كافة، بقضيه مستغلقا عليهم، وقائما مقامه فيهم هروئا ابن أمير المؤمنين؛ فقد استخلفه رفيقا شقيقا، حليبا وقورا، بظان ساكنا؛ لم يشتد عليه أمر، ولم يتشر عليه طرف، ولم يضع معه سبيل، ولم يسخط وليا مكانا، ولا عدوا مخالفا، بلا سيف أشرعه، ولا سور أقرع به؛ فقتل جزاء أمير المؤمنين في تحيته إياه، بجزاه الله على ما حفظ من وصاته، على محمود مقامه، إنه مجيب الداعي .

وكتب أحمد بن يوسف إلى عبد الله بن طاهر

يهته بظفر

بلقي - فتح الله عليك - خروج ابن السرى إليك، فالحمد لله الناصر لدينه المعز لوليّه وخليفته على عبادته، المذل لمن صد عن حقه ورضب عن طاعته، ونسال الله أن يظهر النعم ويفتح بلدان الشرك به؛ والحمد لله على ما والاك منذ طلعت لوجهك، فإننا نتذاكر سيرتك في حربك ويسلك، ونكثير التحجب لما وقفت له، من وضع الشدة والليان بموضعهما، ولا نعلم سائر جند ولا رعية ضل بينهم عدلك، ولا عفا بعد القدرة عمن أسفه وأضفته صفوك .

تهته خليفة ببحج

أصلح الله أمير المؤمنين وأراه من الزيادة في نعمه، ما يكون تماما لما ابتدأ به من فضله؛ والحمد لله على ما خص به أمير المؤمنين من كرامته، وأعطاه من الفضل في نيته، وجعله يستعين على دينه، بما بسط له في دنياه، ويحمل على بدنه التعب فيما يتقرب به إليه؛ فيجفئو عن دعتيه على لينها، ويشخص عن طمأنينته على فضلها، إيثارا لآخرته، وأداء لحق ربه؛ بأدله بذلك ليكرمه به، ثم يستعمل فيه نفسه، تقربا إليه، فيسعد بالإذن

في ذلك حين كان من الله له ، وبالعمل فيه حين كان الله منه ؛ فيكون قبوله الخير حين يرضه له ، دليلا على قبوله الخير حين يعمل لربه ؛ وكان من ذلك ما أذن الله لأئمة المؤمنين في زيارة نبيه صلى الله عليه وسلم العام ، وموافقة مشاعره العظام ، في وقتها من الأيام ، التي لا تنافي إلا معها ، ولا تكون مناسكة إلا فيها ، فكتب الله له في ذلك الآثار الصالحة والأعمال المبرورة ، فدخل في الإحرام له بتعظيم حقه ، ونحج منه بقضاء نفسه ، أبرأ حقه الله عليه في آبئائه ، ثم آتاه له باستيفائه .

ولمحمد بن مكرم تهنئة لحاج

بَلِّغْكَ اللهُ الرِّضَا فِي أَمَلِكَ مِنْ نَجْحِ كُلِّ حَاجَةٍ وَإِبْلَاحِ كُلِّ أَمْنِيَةٍ ، وَتَقَبُّلِ كُلِّ دَعْوَةٍ خَصَّصْتَ بِهَا نَفْسَكَ أَوْ عَمِمْتَ بِهَا أَحَدًا مِنْ أَهْلِكَ ، فِي مَجَامِعِ وَفُودِهِ ، وَمُعْتَرِلِ قَرَارِهِ ، فَكُنْتَ شَافِعًا مَنْ شَهِدَكَ ، وَوَاقِدًا مَنْ ظَلَمَكَ ، يَسْتَفْتِحُ بِدَعَاكَ ، وَيُرْجَى بِرَكَّةِ حَضْرِكَ ، وَالْقُرْبَةِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِفَضْلِ جَاهِكَ .

تهنئة بولاية

نرى ما أحدث الله لك من الولاية ، لنا خاصا وإلينا واسلا .

آخر :

وَلَمْ تَقْطَعْ النِّعْمَةَ إِذْ أَصَابَكَ ، وَلَمْ تَتَعَدَّنِي إِذْ دَخَلْتُ بِكَ ، وَلَمْ أَخُلْ مِنْ لَازِمِ شُكْرُهَا ، وَمَا يَنْفُكُ اللهُ مِنْهَا ، إِذْ قُلَّدْتَهَا ، أَعْدَادًا بِكُلِّ مَا طَوَّقْتُ مِنَ الْإِثْنِ ، وَلِإِعْصَابِ عَلَى نَفْسِي مَا حَمَلْتُ مِنَ الشُّكْرِ .

ولسعيد بن حميد الى بعض إخوانه

سُرَّكَ اللهُ بِتَأْيِجِ نِعَمِهِ ، وَتَرَادُفِ إِحْسَانِهِ ، وَزَادَكَ مِنْ فَوَاضِلِ أُنْسَامِهِ . بَلِّغْنِي — أَوْ كَرَّمَكِ اللهُ — مَا وَهَبَ اللهُ لَكَ مِنْ سُلْطَانِكَ ، فَقَوَّكَ اللهُ عَلَى مَا اسْتَرْتَاكَ . وَرَزَقَكَ الشُّكْرَ عَلَى مَا أَوْلَاكَ .

وفي مثل ذلك :

أَجَلُ اللَّهِ لَكَ السَّعَادَةُ ، وَزَادَكَ فِي الْكَرَامَةِ ، وَخَصَّكَ بِدَوَامِ النِّعْمَةِ . بَلَّغْنِي مَا وَهَبَ اللَّهُ لَكَ مِنْ سُلْطَانِكَ ، فَسُرَّرتَ بِهِ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ إِتِمَامَ نِعْمِهِ عَلَيْكَ فِيهِ بِتَأْيِيدِكَ ، وَتَوْفِيقِكَ لِلْعَدْلِ فِي سَيْرَتِكَ ، وَغَرَمَ الْحُبَّةَ لَكَ فِي قُلُوبِ رَعِيَّتِكَ ، وَأَنْ يُعِينَكَ عَلَيْهِ ، وَيَرْزُقَكَ السَّلَامَةَ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا .

وله في مثله :

أَنَا أَهْتَمُّ بِكَ الْعَمَلِ الَّذِي وُئِيَتْ ، وَلَا أَهْتَمُّكَ بِهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ أَصَابَهُ إِلَى مَنْ يُورِدُهُ مَوَارِدَ الصَّوَابِ ، وَيَصْدِرُهُ مَصَادِرَ الْحُجَّةِ ، وَيَصُونُهُ مِنْ كُلِّ خَلٍّ وَتَقْصِيرٍ ، وَيُخْضِئُهُ بِالرَّأْيِ الْأَمِصِيلِ ، وَالْمَعْرِفَةِ الْكَامِلَةِ ، قَرَنَ اللَّهُ لَكَ كُلَّ نِعْمَةٍ بِشُكْرِكُمَا ، وَأَوْجِبَ لَكَ بِطَوْلِهِ الْمَزِيدَ مِنْهَا ، وَأَوْزَعَكَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِهَا مَا يَصُونُهَا مِنَ الْفِتَنِ ، وَيَحُوطُهَا مِنَ النِّقْصِ .

آخر :

قَدْ وُئِيَتْ مِنَ الْعَمَلِ مَا أَسْأَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْزُقَكَ بَرَكَاتِهِ وَعَاقِبَتِهِ ، وَيُعْطِيكَ الرِّضَا مِنْ وَلِيَّتِهِ لَهُ وَعَلَيْهِ .

آخر :

هَئَاكَ اللَّهُ هَذِهِ النِّعْمَةُ الْمَقْبَلَةُ ، الدَّالُّ أَقْوَمًا عَلَى تَمَامِهَا ، وَأَوْزَعُ شُكْرُهَا .

آخر :

أَسْعَدَكَ اللَّهُ بِهَذِهِ الْوَلَايَةِ وَجَعَلَهَا مَبَارَكَةً ، تَنْتَقِلُ بِظِلِّ السَّلَامَةِ مِنْهَا ، وَتَنْبِلُ الْكَفَايَةَ فِيهَا إِلَى أَمَلِكَ بِنَهَايَتِهِ وَرِجَالِكَ بِغَايَتِهِ ، وَوَرَزَقَكَ السَّلَامَةَ مِنْ وَلِيَّتِهِ لَهُ وَعَلَيْهِ .

آخر :

سَرَّكَ اللَّهُ بِمَا جَدَّدَكَ مِنْ هَذِهِ الْمَتَرَةِ ، وَفَعَّلَكَ بِهَذِهِ الْوَلَايَةِ ، وَأَرْضَى عَنْكَ مِنْ وَلِيَّتِهِ لَهُ وَمِنْ وَلِيَّتِهِ عَلَيْهِ .

وكتب محمد بن مكرم الى أحمد بن دينار :

نحن من السرور أيها الأمير بما قد استفاض من جيل أثرك فيما نل من أعمالك ،
وزمك لماها بمزمتك وعزمتك ، وأتياشك أهلها من جور من وليهم قبلك ، ومروهم بتناول
أيامك والكون في ظل يدك وجناحك ، في إغاة من تخصه وتمه نعمتك ، وتحول به
الجول حيث حالت بك ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لك ، ولم يرد علينا آمالنا فيك
منكوسة ، كما ردها على غيرنا في غيرك . ولوددت أن أباك كان عين آثارك هذه ومناقبك ،
وإن كان الاقتراق لم يقع بينكما حتى علم أنك خلقه ، وألقى إليك بأمره ومعاقده فقهه ،
وجعلك موضع اختصاصه وأثرته ، وصرف ذلك عن كان لا يستحقه ، وذم سالف رأيه
فيك وفيه وسجد آخره ، ثم نعمة اتصلت لك بما قبلها ، انتظمت بها أمورك فاعتدلت ،
وتلاحمت عليها وآسفت ، ما منعت في كاتبك ، ومستقر فتنك ، وحامل أعبائك ، من
الكفاية والنصيحة ، ووضع عن قلبك مؤونة التهمة والقص لأثره ، وإدخاله راحة الطائفة
إليه وروح الثقة به ، لا كما ابتلى أخوك ، فإنه محبه غفلت عليه أمره ، وأفشى أسرارها الى
صاحب بريده ، فأفل ذلك بينهم ، وقطع حبالهم . حتى هجنت آثاره مع حسنها ووضوحها ،
وصفرت يده من حفظ عمله ، ولزومه النثم من أهله ، فهذه كُتِبَ إلى ، في أطراح نصيحة له
كانت فيه ، ويسألني أن أخص إليه كتابا يحمل ثقله ، ويفتح له ما أرتجيه من أمره . وهذا
من سعادة جدك ، ويمن طائررك ، وإقبال الأمور إليك ، وسعيها على طريق مؤانفتك ،
وهيئا هنالك الله بِنَمَةٍ خاصها وطامها ، وأوزتك شكرها ، وأوجب لك بالشكر أحسن المزيدي فيها .

تهنئة بعزل

كتب رجل الى مالك بن طوق لما عُزل عن عمله :

أصبحت والله فاضحا متعبا : أما فاضحا فللكل وإل قبلك بحسن سيرتك ، وأما متعبا

فللكل وإل بعدك إن يلحقك .

(١) اتياشك أهلها : استفادهم .

فصل

سواء علينا أوليت أم صُرفت، إنا لنشهد بك الولاية، بما بسط الله من يدك ببذل العُرف، ونهنتك بالعرف بما يلحقك من ثناء ما أسلفت من الجليل؛ ولا نخاف عليك أن تخارق عملا وأنت عمل له، ولا أن تصعبه وليس به فاقّة اليك. فهناك الله النعمة، وأعطاك على الشكر، وأيدك بالمزيد.

تهنئة بعزل عامل عن عمله

بلغني صرّك، فخار الله لك، وهنالك لطيف نظره وجيل إحسانه، فإني أرى الرجل عند خروجه من العمل سالما نقيّا من مائمه ودّأسه، أولى بالتهنئة منه عند دخوله فيه، وأرى الدماء له عند بدء تلبّسه به بالخلاص منه معصوما بريئا من تبعاته ورواج آثامه، أولى بمن عُني به وأحبّ صلاحه، ولذلك قدّمتُ تهنيتك.

ولسعيد بن حميد في مثله الى بعض إخوانه :

حفظك الله بحفظه، وأسبغ عليك كرامته، وأدام اليك إحسانه. إن سروري بصرك، أكثر من سرور أهل عملك بما خُصوا به من ولايتك. وقد كنت — أعزك الله — فيما يُربأ بك عنه، بما أنت عليه في قدرك وأستبالك؛ ولكنا رجونا أن يكون سببا لك الى ما تستحق، فطبتنا نفسا بالذي رجونا. فالحمد لله الذي سألناك منه، ونسأله تمام نعيمه عليك وطينا فيك، بتبليغك أملاك وآماننا فيك، وشفاع ما كان من ولايتك بأعظم الدرجات وأشرف المراتب؛ ثم خصك الله بجميل الصنع، وبلغك غاية المؤمنين. إن من سعادة الوالي — حفظك الله — وأعظم ما يُختص به في عمله وولايته السلامة من بوائق الإثم، ونوايب الدنيا وفترها، والعاقبة مما يُخاف منها؛ وقد خصك الله منها بتمه وطوله ما نرجو أن يكون سببا لك الى نيل ما تستحق من المراتب. والله نسأل إيزاكَ شُكرا من به عليك، وتبليغك غاية أملاك في جميع أمورك، برحمته وفضله.

آخر :

ما أحسن ما كَشَفَتْ عَنْكَ الْوَلَايَةُ ، وَأَجَلْ مَا أَبْرَزَتْكَ الْعَمَلُ ، قَدْ كَسَبَكَ اللَّهُ حَمْدَ
وَلَايَتِكَ وَعَزَلَ عَنْكَ لَائِمَتَهَا ، بِمَا أَنْشَرَتْكَ مِنْ عَذَابِكَ ، وَظَهَّرَتْكَ مِنْ مَعْرُوفِكَ ، فَإِذَا سَاءَكَ
هَذَا فَلْيَسْرُرْكَ .

وكتب محمد بن مكرم الى ابراهيم بن المدبر :

الحمد لله رب العالمين حمداً يحوز حمد الحامدين ، الذى جعل قضائه خيرة لك ؛ فإن
زادك نعمة وثقت لشكرها ، وإن امتنعتك يلقى من ثقت حاسد أو كيد كائد ، أثار
برهانك وأطع مُجْتَنِبَكَ وَجَمَعَ بَيْنَ وَلِيكَ وَعَدُوِّكَ فِي الشَّهَادَةِ لَكَ ؛ وَإِنْ ثَقَلَ أَسْرَا عَنْ
يَدِكَ ، فَرَبِّمَا يَرْجِعُهُ إِلَيْكَ غَنَائاً لِفَقْدِكَ . هَذَا إِلَى مَا جَعَلَ عَنْدَكَ مِنْ خَوَاصِّ النِّعَمِ الَّتِي إِنْ
ذَكَرْتَهَا فَاطْنَتْنَا أَوْ تَجَوَّزْنَا فَقَصَرْنَا ، كَانْ غَايَتُنَا إِلَى الْحُسُورِ دُونَ مَدَى غَايَتِكَ . وَقَدْ زَادَكَ
اللَّهُ بِهَذَا الْحَادِثِ فَضْلاً عَظِيماً ؛ لِمَا ظَهَرَ مِنْ وَلِيَّةِ الْعَامَةِ إِلَيْكَ وَتَطَلُّمِهَا إِلَى مَا كَانَتْ فِيهِ ؛
مِنْ لَيْلٍ إِنْصَافِكَ وَكَرِيمِ أَخْلَاقِكَ ، وَوَحْشَةِ الْخَاصَّةِ لِمَا فَتَدَّتْ مِنْ حُسْنِ مُعَامَلَتِكَ وَكَثِيرِ
تَهْفُؤِكَ . وَأَيُّقِنَ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالتَّامُّلِ لِمَصْنَعَاتِ الْأُمُورِ ، أَنَّ كُلَّ مَا تَخْرُجُ عَنْكَ فَعَائِدُ
إِلَيْكَ وَتَتَصَلُّ بِهْ غَيْرُهُ ، حَتَّى تَسْتَقَرَّ فِي يَدِكَ عُمَرَا الْأُمُورِ وَمَعَاقِدُهَا ، وَتُقْتَضَعَ بِرَأْيِكَ وَتُدِيرَكَ
أَبْوَابُهَا وَمَغَالِقُهَا ، فَلَيْسَتْ أَنْ كُلَّ مَا زَادَ غَيْرَكَ تَهْصَا زَادَكَ فَضْلاً ، وَكُلَّ مَا تَهْصَى مِنَ الرِّجَالِ
وَحِطَّتْهَا الْحَقُّ بِكَ شَرْقاً . فَزَادَكَ اللَّهُ وَزَادَانَا مِنْكَ ، وَجَعَلْنَا مِنْ يَقْبَلُهُ رَأْيَكَ ، وَيَقْدِمُهُ
أَخْتِيَارُكَ ، وَيَقَعُّ مِنَ الْأُمُورِ بِمُؤَافَقَتِكَ ، وَيَجْرَى مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ .

وكتب سعيد بن حميد الى بعض إخوانه :

جعلني الله من السوء والمكروه فداؤك ، وأطال في الخير والسرور بقاءك ، وأتم نعمة
عليك ، وأحسن منها ميزيدك ، وبلغك أقصى أهبتك ، وقدمني أمامك ، وقد بلغني ما أختار الله لك ،
فسررت من حيث يتم لك من لا يعرف قدر النعمة عليك ، ولا يراك بعين استحقاقك .

ولئن ساءنى ما ساء إخوانك من عزك ، لقد سرتنى ما يسر الله لك . والحمد لله الذى جعل
انصرافك محمودا ، وقضى لك فى عاقبتك الحسنى ، وأقول :

ليبتك أن أصبحت تجتمع الحمد * ورأى المعالي والمخامى من المجد
وأنت صلت الأمر فيما وليته * ففوت ما بين الغواية والرشد
فلا يحسب الباغون عزك مفعلا * فإك الى الإصدار عاقبة الورد
وما كنت إلا السيف جرد للوئى * فأحمد فيها ثم رد الى الفند
وقد قال الأول :

فمن يكن بورود العزل مكتبا * فإنى بورود العزل مسرور
بعد الولاية عزل يستين به * طول الولاة وبعد العزل تأمير

أما ما عندى مع تصور العاقبة لك فى نفسى ، فيمتنى فى أمرك فى حال الهنة
ما يخصنى منه فى وقت تجدد النعمة . وبحسب ضميرك الشاهد على ما عندى ما أجده لك
فى نفسى . فلا زلت فى نعيم متابعة متجددة ، ولا عيشت الثروة والزيادة ، وبلغك الله أقصى
أملك ، وأمل أخيك لك ، وكبت أعدائك ، وجعلنى وقامك المقدم عنك . أحب أن
تشرح لى صورة الأمر إلآم تأدت ، وكيف كان الابتداء ، فإنى لا أشك أنها حيلة
ونية من عز صاحب الجليل القدر ، ولما عاقبة منه إن شاء الله محمود ، وتغضى من ذلك
الى ما تسكن اليه نفسى ، إن شاء الله .

تهنئة بتزويج وبناء بأهل

بطائر النين فليكن هذا البناء ، وبأسباب السعادة فليتعلم عقد هذا الاجتماع ، وبكل ذكاء
الولد ، وتزوة العدد ، فتجرك الأقدار ، وفى أطول غايات البقاء فلتبتم هذه النبطة والسرور .

تهنئة بتزويج

بلغنى تزويجك من فلانة ، فبالرفاء والبين ، تهنئة السلف الصالحين ، وبلغ سنة المجتهدين
المتبحرين ، وهول على نين الطائر ، وسادة الجدد ، ونماء العدد ، وأخلاق الهوى ، وطيب

المناسمة، واجتماع السَّمَل، وثبات الرِّيع، وتَمَلِّ النَّم . أسأل الله الذي قضاه أن يجعلها لك مَسْكًا ويصنعك لها تَجَمًّا ، وأن يُؤَنِّزَ جَمَاهَا الى آتِهَاءِ نَفْسِكَ عنها ، وجعلك جازًا تُرَبِّها ، ووليتَ المال وهنأة المِيش وملاهة الفَوَانِي بعدها .

تهنئة لغسان بن عبد الحميد بتزويج

قد بلغني بجمع الأمير أهله على الحال التي جمعهم عليها من نعمة الله عليه . فالجُدُّه على كل ما يرى الأمير فيها له فيه نعمة . فأسأل الله أن يجعل الطائر في ذلك مَتِينًا ، والسَّمَل مجتمعا ، والبركة عظيمة ، والأُمُور سليمة ، وكذلك فقد عَظَّمَ الله القَسَم منه لزوجه ، جَعَلَ الأمير مَسْكًا لها ، وأجرى المودة والرحمة بينهما ، فإنه يقول عز وجل : ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ . فلما كان الأمير هو المنظور إليه ، وهي المنظور إليها ، اختارها الأمير لنفسه واختار نفسه لها ، وأراد الله عز وجل أن يزيدها مع فضلها في نفسها فضلًا باختيار الأمير إياها ، وباختصاص الله لها بالأمير دون غيرها ، فكان ذلك فضلًا من الله زَيْنَةً بفضل ، وكرامةً من الله وَصَلَ بِعَظْمَا بَعْضُهَا . فَرَضَ الى الله عز وجل في أن يزيده الأمير في كُلِّ سَعَةٍ مَبْسُوطَةٍ ، ونعمة مَقْسُومَةٍ ، ويعطيه في ذلك شكرًا يكون لرضاه مُوجِبًا ، كما أعطاه فضلًا كان الشكر له به واجبًا ، ثم يَمَلِّي الأمير ذلك بأحسن ما مَلَّى أَحَدًا من خلقه كرامةً أعطتها عنده .

تهنئة بمولود

كتب العباس بن الحسن الطالبي الى المأمون يهنئه بمولود له :
قد كان أجذني ما أحدث الله لأمر المؤمنين من المَوْجِبَةِ التي ليس ، وإن كان أولى بها من غيره . بأعظم فيها حفظًا من رِيعَتِهِ . فمَرَّ الله لك يا أمير المؤمنين قلوبهم بنور الحكمة وأبصارهم حتى يَشُدَّ بِهِمْ عَضْدُكَ ، وَيُسَدِّ بِهِمْ ثَلَمَتُكَ . وَيُلَقِّفُهُم الغاية المأمول لهم بلوغها بعلمك ، غير مُقَعَّد بك مَهْلٍ ، ولا مَحَل بك أَجَلٍ ، ولا مُكَدِّبَكَ أَمَلٍ ، ولا مُنْقَطِعَةَ أَيَامِكَ . حتى تُحْتَرَمَ أَنْفُسُنَا قَبْلَكَ .

وكتب أحمد بن يوسف الى بعض إخوانه يهته بمولود له :

بارك الله في مولودك الذى أتاك، وهتاك نعمته بعمليه ، وملاك كرامته بفائدته ،
وأدام سرورك بزيادته ، وجعله باراً تقياً ، ميمونا مباركاً زكياً ، ممدوداً له في البقاء ، مُبْلِغاً غاية
الآمل ، مشدوداً به عَضُدُكَ ، مُكَثِّراً به وَلَدُكَ ، مُدَاماً به سرورك ، مدفوعاً به الآفات عنك ،
مشغوعاً بأكثر العدد ، من طيب الولد .

وله في مثل ذلك :

هتاك الله هذه الفائدة التى أفادكها ، وبارك الله في الهبة التى رزقكها ، وشفعها بإخوة
متواترين ، يَسْرُونَكَ فى حياتك وَيُخَفِّفُونَكَ فى عَقَبِكَ .

تهنئة بمولود

كتب رجل الى رجل يهته بمولود :

جُيِّئْتُ فداك . للبقاء مولودك ، فى السناء نباته ، وفى الأيمن شبابه ، وعلى البركة ميلاده .

تهنئة بمولود .

كتب الحسن بن سهل الى ذى الرياستين :

إنه ليس من نعم الله ، وفوائده قِسْمُهُ — وإنْ خُصَّ موقعها ووجب شكرها — نعمةٌ تعبد
النعمة فى الولد ، لثباتها فى العدد ، وزيادتها فى قوة العضد ، وما يُتَعَبَّلُ به من عظيم بهجتها ،
ويُرى من باقى ذكرها فى الخُلُوف والأعقاب ، ولاحق بركتها فى الدماء والاستغفار . وإن
الله قد أفادك وأنا لك غلاماً سِيراً ، سَمَّيْتَهُ فلاناً ، فكان ميلاده عند فتح الله على أمير المؤمنين .
فرجوت أن تكون موافاته بالنصر الذى أظهرنا الله به على صدق الدين والمسلمين من دلائل
بركته ويُمْنِهِ ، وشواهد سعادته والسعادة به . فبارك الله لأمر المؤمنين فى طارف نعمه
وتألهما ، وشفّع له قديم منته بجاهها ، ورزقه ذكورا طيبين مهذبين ، يأنس بهم رُبُّهُ ،
ويتصل بهم نجاحه ، ويصلهم ذرية زاكية ، وبقية صالحه .

آخر :

بلغني الذي وهب الله لك ، بجملة الله دُخْرًا سخيًّا ، وحقًّا كريمًا .

عمرو بن مَسْعَدَةَ الى الحسن بن سهل

أما بعد ، فإنَّ هبةَ الله لك هبةٌ لأُمير المؤمنين ، وزيادته لِمالك في صلته لِمالك عنده
ومكانك في دولتك من دولته . وقد بلغ أمير المؤمنين أن الله وهب لك غلامًا ميريًّا ، فبارك
الله لك فيه ، وجعله بائزًا نقيًّا ، مباركًا سعيدًا زكيًّا .

تهنئة بمولود

الحمد لله الذي رضى منّا بيسير القول عند عظيم النعمة ، حمدًا نستوجب به بقاء هذه
الموهبة للأبناء والفائدة ؛ فإنَّ نعمة الله وإن كانت لم تزل متتابعة ، فقد كان ما يقبض الأمل
منّا ذكر أنفراد الأمير بنفسه وقلة أنسله ، وما لا يؤمن من انقطاع الذكر بفوات الأجل ،
ومن دُخْر الأمان ، بواقع الحماة ، وقد أصبحنا من الله من يدين في قُسْعة المهمل ، ومدة
مواقع الأجل ، لمن أراد فيه موضع أملنا في حسن الخلافة من الأمير وإحياء ذكره .

تهنئة بمولود

سرورك سرور يَحْضِي منه ما يَحْضِيكَ ، وتَلَسِّي فيه النعمة ما تَلَسِّسْكَ ، والحمد لله على
النعمة فيك وعندك .

كتب أحمد بن يوسف الى بعض إخوانه يهنئه بمولود :

أما بعد ، فقد بلغني من متجدد نعم الله عز وجل عليك ، وإحسانه إليك فيما رَزَقَكَ
من الهبة ما أشتد جذلُ به ، وسألت الله أن يشفعه بأمثاله ؛ ولذلك أقول :
قد شُفِعَ الواحد بالواحد * وأزفيم الأتق من الحاسد
أبا حُسَيْن قَرِّبْنَا بِمَا * أُعْطِيتَه من هبة المساجد

قد قلتُ لَمَّا بُشِّرْتُ به * بورك في المولود للوالد
إِنَّا نترجو وافداً مثله * والطارئ الميمون للوافد

وله الى بعض إخوانه يهته بمولود :

أما بعد، فإنه ليس من أمر يجعل الله لك فيه سرورا وفرحا، إِلَّا كُنْتُ به بهجاء، أحتد
فيه بالنعمة من الله الذي أوجب عليّ من حَقِّكَ وعرفني من جميل رأيك . فزادك الله
خيرا، وأدام إحسانه إليك . وقد بلغني أَنَّ الله وَهَبَ لك غلاما سريّا، أَكَلْ لك صُورته،
وأتمَّ خلقه، وأحسن البلاء فيه عندك، فاشتدَّ سروري بذلك، وأكثرت حمد الله عليه .
فبارك الله فيه، وجعله بارًا قَيًّا، يَشُدَّ عَضُدَكَ، وَيُكْثِرُ عَدَدَكَ، وَيُقِرُّ عَيْنَكَ .

وكتب إسحاق بن يحيى الى بعض إخوانه يهته بابتنة له :

رُبُّ مَكْرُوهِ أَهْقَبَ مَسْرَةً، ومحبوب أَهْقَبَ مَعْرَةً . وخالقُ المنفعة والمضرة، أعلمُ
بمواضع الخيرة .

كتب ابن المقفع الى صديق له ولدت له جارية :

بارك الله لك في الأبنسة المستغادة، وجعلها لكم زينا، وأجرى لكم بها خيرا، فلا
تكريها، فإنَّهنَّ الأتهات والأخوات، والعبات والخالات، ومنهنَّ الباقيات الصالحات،
وربَّ غلام ساء أهله بعد مسرتهم، وربَّ جارية قرحت أهلها بعد مساعدتهم .

وكتب عبد الحميد بن يحيى الى أخ له في مولود ولد له وهو أول

مولود كان :

أما بعد، فإن مما أعترف من مواهب الله، نعمة خُصِّصْتُ بِمَزِينِهَا، وَأَصْطَفَيْتُ
بِخَصِيصَتِهَا، كانت أسرلى من هبة الله ولداً سميتُه فلانا، وأملتُ ببقائه بعدى حياة وذ كرى،
وحسن خلأقي في حُرْمَتِي، وإشراكه ليأي في دعائه، شافعا الى ربه عند خلواته في صلاته
وحجّه، وكلَّ مؤمن من مواطن طاعته، فإذا نظرتُ الى تحضبه تحرك به وجدى وظهر به

سرورى، وتعطقت عليه منه أنه الولد، وتولت عني به ونحشة الوحدة، فأنا به جليل
في مَنِيّ ومَشْهَدِي، أحاول من جسده يبدى في الظلم، وتارة أعاقه وأرشفه، ليس يحيله
عندي عظيما التوائد، ولا مضسات الرغائب، سرتي به وأهبه لي حل حين حاجتي،
فشد به أزرى، وتحتني من شكره فيه ما قد آتني بتقل حمل النعم السائلة التي به، المقرونة
سراؤها في العجب بقدر ما يدركني به من رقة الشفقة عليه، عذابة مجاذبة المنايا إياه،
ووجلا من عواطف الأيام عليه. فأسأل الله الذي آمنَ علينا بحسن صنعه في الأرحام،
وتأديته بالزكاة، وحرمه بالعافية، أن يرزقنا شكر ما حملنا فيه وفي غيره، وأن يجعل ما يهب لنا
من سلامته والمكة في عمره موصولا بالزيادة، معروفا بالعافية، محوطا من المكروه، فإنه
المتان بالمواهب والواهب بالمتى، لا شريك له. تحتني على الكلب اليك لعم ما سررت به
على بحالك فيه وشرك إياي في كل نعمة أسداها التي ولي النعم. وأهل الشكر أولى
بالمزيد من الله جلّ ذكره. والسلام عليك.

تهنئة بنقلة الى دار جديدة

تأهى الى تَقُلُّكَ الى الدار التي أرجو أن يجعلها الله ثقله المكروه عنك، وثقله المرور
اليك، ودوام نعمة الله عليك. جعلها الله لك أيمنا دار وأعظمها بركة، ووصل نعمه فينا
عندك ونعمه عندنا فيك.

تهنئة لمحمد بن مكرم الى نصراني أسلم

أنا أقول الحمد لله الذي وفقك لشكره، وعرفك هدايته، فظهر من الارتباب قلبك،
ومن الاقتراب عليه لسانك. وما زالت عنايتك مُمَثِّلَةً لنا جليل ما وهب الله لك، حتى كأنك لم
تزل بالإسلام مؤسوما، وإن كنت على غيره مقبلا، وكنا مؤمِلين لِمَا صِرْتَ اليه، مشفقين
لك مما كنت عليه، واذكاد لإشفاقنا يستعل رجاؤنا، أنت السعادة بما لم تزل الأنفس
تعد منك. فأسأل الله الذي تورك في رأيك وأضاء لك سبيل رُشدك، أن يوفقك
لصالح العمل، وأن يؤتيك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ويقيك عذاب النار.

باب المنظوم

١ - أبو نواس^(١)

كان أبو نواس ينادم ولد المهدي ولا يلزمهم فلم يلق مع أحد من الناس غيرهم ، ثم نادى القاسم بن الرشيد ولقى منه أشياء كرهها وكُرِهَتْ له ، فغادره .

(١) هو أبو علي الحسن بن هاني ، الشاعر المخفّن ، أبلّج الماسن ، صاحب الصيت الطائر ، والشعر السائر ، ورأس المحدثين بعد بشار . وهو فارسي الأصل . وله بقية من كورة خوزستان سنة ١٤٥ هـ ونشأ بها فقدمت به أمه البصرة فندست من مولده ، فتمم العربية ورغب في الأدب ، فلم يبق له مجاله وأسلمت إلى طارط بالبصرة ، فلبث عنده لا يفتر عن سنانة الشعر والاختلاف إلى الأدياء والمجان ، إلى أن صادفه عند الطارط والبة بن الحباب الشاعر الماسن الكوفي في إحدى لدماته إلى البصرة ، فأعجب كل منهما بالآخر ، فأترجه والبة معه إلى الكوفة ، فبقى معه ومع لدماته من خلطاء الكوفة وقهرج عليهم في الشعر وقافهم جميعا . وقدم بغداد وقد أريت من كل التلائم ، فاقصص بعض الأمراء ومنهم ، وبلغ حبه الرشيد فأذن له في مدحه ، فمدحه بقصائد طنانة وحبه مرة على مجوده مضر .

وكان يقصد بعض عمال الولايات ويمدحهم وينهم الخصب عامل مصر ، ثم انقطع إلى ملج محمد الأمين ، وثبت عنده بعض ما يوجب تمزيقه فسجّه ، ولم يلبث بعد خروجه من السجن أن مات ببغداد .
وكان أبو نواس جميل الصورة ، فكه المخضر ، كثير الطبابة ، حاضر البدنية ، متينا في اللغة والشعر والأدب ، متصبا لليانية على المصرفة . وأجمع أكثر علماء الشعر وقدرته ونحوله الشعراء على أن أبا نواس أشعر المحدثين بعد بشار وأكثرهم فطنا وأرصنهم قولاً وأبدعهم خيالاً مع دقة لفظ وبدع معنى ، وأنه شاعر مطبوع يبرز في كل فن من فنون الشعر .

وامتاز عن كل الشعراء بقصائده النغميات ومقطعاته المجرنيات ، وكان شعره لقاح الفساد والقندرة السيئة ، نقله الزل من أوصاف الموت إلى المذكر والخروج بذلك عن مألوف العرب وآدابهم إذ لم يكن ذلك مروقاً قبله وقبل شيطانه والبه . وزاد على ذلك اقتراده بالإبداع في وصف الخمر ، فكان نموذج سوء لمن تأخر ، فافتن بشعره الشبان في زمانه وبسده وحاكوه وظلّ عليهم هذا اللحن حتى صار الشاعر لا يمدح ظريفاً إلا إذا مزج شعره بشيء من ذلك ، وإن لم يقع في محظوراته .

وصفه عبد الله أجماز فقال : كان أغرف الناس منطقاً ، وأعزهم أدباً ، وأقدمهم على الكلام ، وأسرهم جواباً ، وأكثرهم حياة ، وكان أبيض اللون ، جميل الوجه ، مليح النضة والاشارة ، ملتف الأعضاء بين الطويل والقصير ، مسنون الوجه ، قائم الأنف ، حسن العينين والمضحك ، حلو الصورة ، لطيف الكف والأطراف ، وكان فصيح اللسان ، جيد البيان ، مذهب الألفاظ ، حلو النماثل ، كثير النوادر ، وأمل الناس كيف تكلمت العرب ، =

ثم جلس أبو نواس الى الناثي الراوية فقرأ عليه شعرني الرمة، فاقبل الناثي على أبيه هاني وقال له : إن عاش أبنتك هذا وقل الشعر ليقولته بلسان شتوم .

ثم اتصل بوالية بن الحباب الأسدي ، لقيه بدار النجاشي الأسدي والى الأهواز للنصور، فقال له والية : لني أرى فيك غاييل فلاح ، وأرى أنك لا تضييها ، وستقول الشعر وتعلو فيه ، فاصحني حتى أخرجك ، فقال : ومن أنت ؟ قال : أبو أسامة ، قال : والية ؟ قال : نعم ، قال : أنا والله جيلت فذاك في طلبك ، وقد أردت الخروج الى الكوفة والى بندگان من أجلك ، قال : ولماذا ؟ قال : شهوة للقائك ولأبيات سمعتها لك ، قال : وما هي ؟ فأنشده :

ولما ولا ذنب لها • حب كاطراف الزلاج
جرحت فؤادي بالهوى • فالقلب مجروح النواحي
سل الخليفة صارما • هو للفساد وللصلاح
أجده كف أبي الويسد بدا مبارية الرياح
ألقي بجانب خصره • أمضى من الأجل المتاج
وكانما ذر الهبا • عليه أنفاس الرياح

فمضى معه ، ثم سأله أن يخرج الى البادية مع وفد بني أسد ليتعلم العربية والغريب ، فأخرجه مع قوم منهم ، فأقام بالبادية سنة ، ثم قدم ففارق والبة ورجع الى بندگان .

وكان أبو نواس متكلماً جيداً راوية خفلاً ، وحق الطبع ثابت الفهم في الكلام اللطيف .

وبدل على معرفته بالكلام أشياء من شعره ، منها قوله :

وذا خد مورد • فضبة المتجرّد
تأكل العين منها • محاسنا ليس تقفد

== راوية للأشعار ، علامة بالأخبار ، كان كلامه شعرياً موزوناً . توفي سنة ١٩٩ هـ . وتجد ترجمته وأخباره وأشعاره في كتاب خاص باسم « أحاديث نواس » لأبن منظور طبع مصر سنة ١٩٢٤ والأخاني (ج ١٨ ص ٢) و (ج ٦ ص ١١٠ ، ١٧٠ ، ١٨٦) و (ج ١٦ ص ١٤٨) وابن حلكات (ج ١ ص ١٢٥) وطبقات الأدباء (ص ٩٦) والشعر والشعراء (ص ٥٠١) والعهدة العربية (ج ٣ ص ٣٣٧) .

فبعضه قد شامى * وبعضه يتسوّد

والحسن في كل شيء * منها مُعاد مردّد

ومنها قوله :

يا طاقد القلب عني * هلا تذكّرت حلاً

تركت غي قلبلاً * من القليل أقلّ

يكاد لا يتجزّى * أقلّ في اللفظ من لا

ومنها قوله في امرأة اسمها حُسن :

إن اسم حُسن لوجهها صفة * ولا أرى ذا في غيرها جُمعا

فهى إذا تُثبتت فقد وُصفت * فيجمعُ الاسم معنيين معاً

ومن قوله فيما يتعلق بالحكمة :

قل زهير إذا حدا رشداً * أقلّ أو أكثر فانت مهذار

تخفّت من شلة البرودة حتى صرت عندى كأنك النار

لا يسبّ السامعون من صفى * كذلك الثلج بارد حار

هذا شيء أخذه أبو نواس من مذهب حكماء الهند، فانهم يقولون: إن الشيء إذا أفرط

في البرودة اقلب حاراً، وقالوا: إن الصنديل يحكّ منه اليسير فيبرد، فإذا أكثر منه سخن .

قالوا: كان أبو نواس دعياً يخلط في دعويه . فمن ذلك قوله يهجو عرب البصرة :

ألا كل بصرى يرى أنما العلاء * مكّهة تمسّق لمن جرّين^(١)

فان تغرّسوا نخلاً فان غرّاسنا * ضراب وطعن في الحوز تهيّين

فان أك بصرياً فان مهاجرى * دمسّق ولكن الحديث فنون

جاور قوم ليس يبنى وبينهم * أوامر إلا دعوة وظنون

إذا مادعا باسمي العريف أجبتّه * الى دعوة مما على تهون

(١) المكّهة : الفراس الكثيرة . والحقق : الطويلة ، يريد الحل . والجرين ها : موضع تمجيف القر .

ثم فما اليمن في هذه القصيدة بقوله :

لأزدد عُمانَ بالملهبِ نزوةً * إذا أفضخر الأحمومَ ثمَّ طينٌ
وبكر ترى أن النبوةَ أنزلت * على مسمعٍ في الرَّمِّ وهو جينٌ
وقالت تميمٌ لا زرى أن واحدا * كأحضنا حتى المماتِ يكونُ
فما كنتُ قيساً بعدها في قُحبة * ونغير به إن القطار فنوتُ
ولأنما نشأ أبو نواس بالبصرة وليس له بدمشق قبل ولا بعد .

وما هما به اليمن أيضا قوله لماشم بن حديج :

وردنا على هاشم مصره * فبارت نهارتنا عنده

يقول فيها :

رأيتك عند حضور انلوا * ن شديدا على العبد والعبد
وتخذ حتى يخاف الجليل * من شذاك عليه من الحلة
وتختم ذاك بغدير عليه * يكندة فاسلح على كنده
فإن حديجا له هجرة * ولكنها زمن الردة
وما كان إيمانكم بالرسول * سوى قتلكم صهره بعده
تعدونها في مساعكم * كمة الأهلّة معنّه
وما كان قاتله في الرجال * بجمل لظهر ولا يرشده
فلو شهدته قريش البطا * ح لما تحت تأركم جلده^(١)

وقوله أيضا :

ما منك سبي ولا أطلالها الدرس * ولا نواطق من طير ولا نرس
يا هاشم بن حديج لو عدت أبا * مثل القلمس لم يلقى بك القدس
إذ أصبح الملك النعمان وافته * ومن قضاة أسرى عنده حبس

(١) المحض : قتل الجلد عن اللحم .

فابتاعهم بإخاء الدهر ما عَمَرُوا * فلم ينل مثلها من مثلهم أَسْ
أورحت مثل حوى في مكارمه * هيات منك حوى حين يَتَمَسَّ
أو كالسَّمَوِل اذ طاف الهامُ به * في تخفل لِحِبِ الأصواتِ يَتَمَسَّ
فاختار ثُكُلًا ولم يَفِدْ بدمته * اذ قيل أَشْرَفَ تَرِ الأوداجِ تَبَجَسَّ
ما زاد ذاك على تيبه خُصِمَتْ به * وكيف يَعدِلُ غير السوءة الغرْسُ
وقوله :

يا هاشمُ بَنَ حُدَيْجٍ لَيْسَ غُفْرُكُم * بقتل صمير رسول الله بالسَّدِ
أَدْرَجْتُمْ فِي إهابِ العَيْرِ جَتَه * فبئسَ ما قَدَّمْتُمُ أَيْدِيكُم لِنَفِ
إِذْ تَقْتُلُوا ابْنَ أَبِي بَكْرٍ قَدْ قَتَلْتُم * مُحْجَرًا بِدَارَةِ مَلْحُوبِ بَنُو أَسِ
وطردوكم الى الأَجَالِ من أَجَا * طردَ النِّعامَ إِذَا مَا تَاهُ فِي الْبَلَدِ
وقد أَصَابَ شَرَّاجِلًا أَبُو حَنِينٍ * يَوْمَ الْكَلَابِ لَمَّا دَافَسْتُمُ بَيْدِ
ويومَ قَلِمَ لَزِيدٌ وَهُوَ يَفْتَلِكُمْ * قتل الكلاب لقد أُرِجَتْ من وَلَدِ
وكلُّ كَنْدِيَّةٍ قَالَتْ لِحَارَتِهَا * وَالدمْعُ يَنْهَلُ مِنْ مَتْنِي وَمَغْشُودِ
أَلْهَى امْرَأُ الْقَيْسِ تَشْبِيهًُ بِغَانِيَةٍ * عَنْ ثَاوَرٍ وَصِفَاتُ التَّوْءِ وَالْوَيْدِ

وقد رَفَى أَبُو نَوَاسٍ خَلْفًا لِأَحْمَرَ بَعْدَ مَوْتِهِ بِقِصَائِدٍ مِنْ شِعْرِهِ، مِنْهَا قَصِيدَتُهُ الَّتِي أَوَّلُهَا

قوله :

لَوْ كَانَتْ حَيٌّ وَاللَّامُ مِنَ الْكَلَفِ (١) * لَوِ انْتُ شَفَوَاءُ فِي أَعْلَى شَعَفِ
أُمِّ قُزَيْخٍ أَحْرَزْتُهُ فِي بَلَفِ (٢) * مُرْغَبَ الْأَلْفَادِ لَمْ يَأْكُلْ بِكَفِ
كَأَنَّهُ مُسْتَعْدٌّ مِنَ الْخَسْرِفِ * هَاتِيكَ أَوْ عَصَاءٍ فِي أَعْلَى شَرْفِ
تَرْوَعُ فِي الطَّبَاقِ (٣) وَالْتَرَعُ الْآلَفِ * أَوْدَى جَمَاعُ الْعِلْمِ مَدَى أَوْدَى خَلَفِ

(١) واللام : اجبا . ورائت : بلغت . والشعواء : العقاب . والشعف : رموس الجبال .

(٢) الكف : العادي الجليل . ومرغب : صار ذا زغب ، والزغب صغار الریش . والألفاد جمع لعد بالضم

وهو لحق في الحلق . (٣) الطباق والريح : بوطان من الشجر .

من لا يبدُ العلم إلا ما عَرَفَ • قَلِيلٌ مِنَ الْعَالَمِ الْخُسْفُ
كَمَا مَنَى نَسَاءُ مِنْهُ نَعْرِفُ • رَوَايَةٌ لَا تُجَنُّ مِنَ الصَّحَفِ
ومنها قوله يرثيه :

لَا تَعْلُ الْعُصْمُ فِي الْمَضَابِ وَلَا • شَفَوَاءُ تَقْدُو فَرْخَيْنِ فِي بَلْفِ
يُكْنِبُهَا الْجَوْفُ فِي النَّهَارِ وَيُؤْ • وَيَا سَوَادُ الدُّجَى إِلَى شَرَفِ
تَحْشُو يُجْشِشُوهَا عَلَى خَيْرِ • كَقَعْدَةِ الْمُتَحَنِّي مِنَ الْخَرَفِ
وَلَا شَبُوبَ بَاتَتْ قَرْفُهُ النَّشْثَةُ مِنْهَا بِوَابِلِ قِصْفِ
ذَا نَ عَلَى الْأَرْضِ وَالْوَمِيدِ فِي • بَيِّوَامِينَ الْإِيَادِ ذِي هَدَفِ^(١)
يَدَيْهِ ذَاكَ طَوَّلَ لَيْلِيهِ • حَتَّى إِذَا أَكْبَابُ حَاجِبُ السَّنَفِ
غَدَا كَوَقَفَ الْمَلُوكُ يَهْفَتُ الشَّقِيقُ قَطْعًا مِنْ مَنِيَّتِهِ وَالصَّكْفِ^(٢)
كَأَنَّ شَذْرًا وَهَتْ مَعَاظِدُهُ • يَنْ صَلَاةَ فَلَعَبَ الشَّنَفِ
وَأَخْدَرَى صُلْبَ النَّوَاقِ صَلَاحِ أَمِينِ الْقُصُوصِ وَالْوُطَيْفِ
مُفْرَدٌ فِي السَّلَاةِ تُوسِعُهُ • رِيًّا وَمَا يَحْتَلِبُهُ مِنْ عَقْفِ
مَا تَرَكَ الْمَوْتَ مِنْ أَوْلَى شَبَعًا • يَادَتْ بَتْلَكَ الْفَلَالِ وَالشَّنَفِ
لَمَّا رَأَيْتُ الْمَنُوتَ آخِذَةً • كُلُّ شَدِيدٍ وَكُلُّ ذِي ضَعْفِ
بَتْ أَعَزَّى الْقِسْوَادَ عَنْ خَلْفِ • وَبَاتَ دُمَى إِلَّا يَفْضُ يَكْفِ
أَنْسَى الرِّزَابَا مَبْتُ رَجَحْتُ بِهِ • أَمْسَى رَهِينَ التُّرَابِ فِي جَدْفِ

(١) القليل : البر العزيرة • والعالم : جمع عيل وهو البر الكثير الماء • وانحلف جمع حنفة
وهو البر التي حمرت في هجارة مع منها ماء عزيز لا يتقطع • (٢) الجوشوش : الصدر • وصم :
قرح العناب • (٣) الشيب : الشب من اشتراد والعلم : والنثرة : مربة من مازلة القمر •
(٤) الوصيد : بيت كالخظيرة يحذر من الهجارة لئلا أي الغم ويبرها في الجبال • والإياد : التراب يحصل حول
الحوض أو انخلاء يقوى به أو يجمع ماء المطر • والهدف : كل مرعى من بناء أو كتيب دمل أو جبل •
(٥) يهمت : يتعاطى ويغفص • والتقطيع : الخطر الصغير أو الشئ الطميع المتطويع في هودون الرداد ويزن
الهداد أو صمارة •

كَانَ يُسَمَّى^(١) بِرَفَقَةٍ عُلْفًا * فِي غَيْرِ عِيٍّ مِنْهُ وَلَا عُنْفٍ
يَحِبُّ عَنْكَ الَّتِي خُشِيتَ بِهَا * مِنْ قَبْلُ حَتَّى يَشْفِيكَ فِي لَعْفٍ
لَا يَبِيحُ الْحَاءَ فِي الْقِرَاعَةِ بَالِهَا * وَلَا لَامَهَا مَعَ الْأَلْفِ
وَلَا يُسَمَّى مَعْنَى الْكَلَامِ وَلَا * يَكُونُ إِشَادُهُ عَنِ الصُّحُفِ
وَكَانَ مِنْ مَضَى لَنَا خَلْفًا * فَلَيْسَ مِنْهُ إِذْ بَانَ مِنْ خَلْفٍ

واختلف أبو نواس الى أبي زيد فكتب الغريب من اللفاظ، ثم نظروا لمجوسيوه،
ثم طلب الحديث فكتب عن عبد الواحد بن زياد ويحيى القطان وأزهر السمان وغيرهم،
فلم يختلف عن أحد منهم، وأدرك الناس فعلم، ثم قديم بغداد بعد ذلك .

وكان أيضا يتترو ويُدعى للغززدق . ثم وقع بينه وبين الحكم بن قنبر المازني، فهجاه
الحكم وذكر برية العمود وبني عليه ونكبه . ولما قال أبو نواس قصيدته التي يججو بها
خفيف، وهي :

أَلَمْ تَرَبِّحْ عَلَى الطَّلَلِ الطَّلَاسَ * عَفَاهُ كُلُّ أَحْمَمٍ ذِي أَرْجَاسٍ^(٢)
وَذَارِي التُّرْبِ مَرْتِكُمْ حَصَاهُ * نَسِجَ الْمِيثِ مِعْتَقَةَ النَّحَاسِ^(٣)
سَوَى سُفْعٍ أَطَارَتْهَا اللَّيَالِ * سَوَادَ اللَّيْلِ مِنْ بَعْدِ أَضْهَاسِ^(٤)
وَأَوْرَقَ حَالِفِ الْمَشْوَاةِ هَابٍ * كَضَاوِي الْفِرَاحِ مِنَ الْمَلَّاسِ^(٥)
مَنَازِلُ مِنْ عَفْيَةٍ أَوْسَلِمَى * أَوِ الدِّهْمَاءِ أُخْتِ بَنِي الْجِمَاسِ
كَأَنَّ مَعَاذَ الْأَوْضَاحِ مِنْهَا * يَجِيدُ أَغْنَى قَوْمٍ فِي الْكِتَاسِ
وَتَبَسُّمٍ عَنْ أَغْرَ كَأَنَّ فِيهِ * مُجَاجَ سُلَافَةٍ مِنْ بَيْتِ رَاسِ^(٦)
فَنَ بَا مِلْعَ عَمْرًا رَسُولًا * فَقَدْ ذَكَّرْتَ وَدُكَّ خَيْرَ نَاسِ

(١) سناه تسنية : سهله وضعه . (٢) طلاس بالكسر : دارس . والأحمم : السحاب . والارجاس :

الزهد . (٣) المعقعة : حبل في الرمل .

(٤) الاضهاس : يياص فيه كدرة . والسمع : يريد بها الأثافي . (٥) المللاس : الصمور وهاب :

لونه لون الهباء . (٦) بقعة بالشام تنسب اليها الخمر .

فلم أفرّك هجرتي ولكن * نوابث لا يزال لها ثغاسي
 نوابث تسيّر الأبداء عنها * وبعيا دونها اللين الثغاسي
 وقد نالت عن أصحاب قورم * هم ورتوا مكارم ذي نواس
 فإن تلك أوقدت للحرب نار * فاعطيت خوف الحرب راسي
 سألي خير ما ألي محارم * اذا ما النبيل ألجم بالقياس^(١)
 وسمت الوائلين بغاقرات * بين وسمت رعد أبي فراس
 وقالت كاهل وبنو قمين * حنّك إنا لنا بناس
 فما بال التماج قمت بشتي * وفي زمعاتهم دم الفراس
 وما حامت عن الأحساب إلا * لترفع ذكرها بأبي نواس

عارضه الحكم وهما ، فاقبل على التزارية وأدعى أنه من حاء وحكم ، فزجره يزيد بن منصور الحميري خال المهدي وقال له : أنت خوزي ، فالك ولحاء وحكم ! فقال له : أنا موى لم ، فتركوه ، وقال بعضهم لبعض : إنه اغريف اللسان غزير العلوم فدعوه ، وبهذا الولاء يتعصب لنا ويكابد عنا ويهجو التزارية ، فكان كما قالوا وكما ظنوا ، فاقبل الى اليمن وعمل عن كنيته بأبي فراس واكتفى بأبي نواس ، تشبهاً بكنية ذي نواس كما كانت اليمن تكتفى ، وندم على هجاء اليمن ، ووجدتم له أنصر ولدعوته أقبل ، فاعتذر الى هاشم بن حديج الكندي من هجائه ، ومنح اليمن فقال :

هاشم خذني رضاك وإن آني * رضاك على نفسي فغير ملوم
 فأقسم ما جاوزت بالشم والدي * ومرضى وما مرتفت غير أدبي
 فعدت بحقوي هاشم فاطنني * كريم أراه فوق كل كريم
 وإن أمراً أغضى على مثل زتي * وإن جرح فيه لمجد حليم
 تطاول فوق الناس حتى كأنما * يرون به تبجا أمام نجوم

إذا امتازت الأحسابُ يوما بأهلها * أتاخ إلى ماديةٍ وشمم
إلى كلِّ معصوبٍ به التاجُ مقول * إليه أيادي عامي وشمم

وكان قبل أن ينتهي لليمن ويدعى لتتار يتماجم في شعره، فمن ذلك قوله :
فاسقنيها وغنَّ صو * تأ، لك الخير، أعجبا
ليس في نيتِ دمنية * لا ولا زجر أشاما .

وكان الجاحظ يقول : ما أعرف لأبي نواس شعرا يفضل هذه القصيدة وهي :
ودارٍ تدأى عطلوها وأدبلجوا * بها أثرُ منهم جديدٌ ودارسٌ
مُساحبٌ من جرِّ الزقاق على الترى * وأضغاثُ ريحانٍ جنىً وبابسٌ
حبستُ بها حصىً بفقدتُ ههلمهم * وإني على أمثال تلك لحابسٌ
ولم أدر منهم خيرٌ ما شيدتُ به * بشرقٍ ساباطٍ الديارُ الباسِسُ
ألقتُ بها يوماً ويوماً وثالثا * ويوما له يومُ الترحُّلِ خامسٌ
تُدار علينا الرُاحُ في عسجدية * حَبَّتْها بأنواعِ التَّصاويرِ فارسٌ
قَرَّارتُها كسرى وى جَنابِها * مَهَّا تَدْرِيا بالقِسى الفوارِسُ
فلاخمر ما زُوت عليه جُيوبُها * ولأء ما دارت عليه القلائِسُ^(١)

وقوله يصف كرمه ومبر عنها بالهجمة وهو يريد الدنان :

لنا هجمة لا يدرك الذئبُ مظهرها * ولا راعها تزو الفعالة والخطر
إذا امتحنت ألوانها مالَ صفوها .. إلى الكنت إلا أن أوبارها خضر
وإن قام فيها الحالبون آتتهم * بتجلاء ثقب الجوفِ دَرَّتْها انهر
مسارحها الغربى من نهر صرصر * فقطربل فالصالحية فالعقر

(١) يعنى أن انهر مصوب فيها الى حلق الصور صرفا . وقوله : ولأء، يعنى انهم صبوا الماء في مزجها حتى

ثُرْتُ أَبِي مَامَانَ كَسَرِي وَلَمْ تَكُنْ * مَوَارِيثَ مَا أَهَيْتَ نَمِيمٌ وَلَا بَكَرُ
قَصَرْتُ بِهَا لَيْلِي وَلَيْلَ ابْنِ حُرَّةٍ * لَهُ حَسَبٌ ذَاكَ وَلَيْسَ لَهُ وَفَرُ

وَفِي تَعَابِيهِ أَبِي نَوَاسٍ فِي شِعْرِهِ يَقُولُ الرَّقَاشِيُّ يَهْجُوهُ :

نَبَطِيٌّ * فَإِذَا قِيلَ لَهُ * أَنْتَ مَوْلَى حَكِيمٍ قَالَ أَجَلُ
هُوَ مَوْلَى اللَّهِ إِذْ كَانَ بِهِ * لَاحِقًا قَالَهُ أَعْلَى وَأَجَلُ
وَاضِمًا نَسَبَهُ حَيْثُ اشْتَبَى * فَإِذَا مَا رَأَاهُ رَبُّ رَحَلُ

فَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ يَهْجُوهُ :

هَجَوْتُ الْفَضْلَ دَهْرِي وَهُوَ عِنْدِي * رَقَاشِيُّ كَمَا زَعَمَ الْمَسْوُولُ
فَلَمَّا سُوِّلْتُ عَنْهُ رَقَاشٌ * لَتَعْلَمَ مَا تَقُولُ وَمَا يَقُولُ
وَلَمَّا ابْنُ نَصْنَاءٍ إِلَيْهَا * لَتَعْلَمَ مَا يُقَالُ وَمَا تَقُولُ
وَجَدْنَا الْفَضْلَ أَبَعَدَ مِنْ رَقَاشٍ * مِنَ الْآنُ أَتَعْتَ فِيهَا الْفَيْسُولُ
وَجَدْنَا الْفَضْلَ أَكْرَمَ مِنْ رَقَاشٍ * لِأَنَّ الْفَضْلَ مَوْلَاهُ الرَّسُولُ
يُرِيدُ بِذَلِكَ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَنَا مَوْلَى مَنْ لَا مَوْلَى لَهُ» .

وَقَالَ أَيْضًا يَهْجُوهُ :

قُلْتُ لِلرَّقَاشِيِّ إِذَا جِئْتَهُ * لَوْ مِتَّ يَا أَحْمَقُ لَمْ أَهْجُكَ
لَأَتَيْتُ أَكْثَرِمَ عَرَضِي وَلَا * أَقْرَنُهُ يَوْمًا إِلَى عِرْضِكَ
إِنْ تَهَجَّنِي تَهْجُ قَتِي مَا جَدَا * لَا يَرْفَعُ الْعُرْفُ إِلَى مِثْلِكَ
دُونَكَ عِرْضِي فَأَهْجُجْهُ رَاشِدًا * لَا تَدْنِسُ الْأَعْرَاضُ مِنْ هَجْوِكَ
وَأَنْتَ لَوْ كُنْتُ جَرِيرًا لَمَّا * كُنْتُ بِأَهْجِي لَكَ مِنْ أَصْلِكَ

وَقَالَ أَيْضًا يَهْجُوهُ :

يَا عَرَبِيًّا مِنْ صَنْعَةِ السُّوقِ * وَصَنْعَةِ السُّوقِ ذَاتُ تَشْطِيقِ
مَا رَأَيْتُكُمْ يَنْزَارُ فِي رَجُلٍ * يَدْخُلُ فِيكُمْ مِنْ خَلْقِ غُلُوقِ

ويحمل الوُطْبَ والمِلَابَ ولا * يصلح إلّا لحمل البرق
لقد ضربنا بالطبل أنك في الشوم صحيحٌ وصيِّحٌ في البوق
قد أخذ الله من رقائش على * تركهم المجد بالمواثيق
فالناس يسعون للعلا قُدماً * وهم وراء مكسرو السويق
هذا كما كن وفي الهياج اذا * هيج فما شئت من بواشيق^(١)

وقال أيضاً يهجو :

أصبح الفضل ظاهر التيه * وذلك مذ صرتُ أهاجيه
له شعري، أى مَفَوَاهِيه * لكل من دوني قوافيه
كم بين فضلي منذ حاجته * وبينه قبل أهاجيه
فالحمد لله وإن كنتُ لم * أحفل بقوم قصعوا فيه
رضيت أن يشتمنى ماقط * شئى خير من مواليه

وكان أبو نواس في دعاويه يتماجن ويثبت ويثني نسيبه واسم أمه لثلا يهجي ، وذلك مشهور عنه . ولو غضب هو نفسه على أبيه لمجاه ولم يتحشم . والمذكور من أمره أنه كان مولى الحكيمين ، يفخر باليمن ويمدح العجم ويذكرهم لأنه منهم ، فلذلك قال في العجم ما قال .

قال ابو الفرج الأصفهاني : كان أبو عبيدة يقول : ذهب اليمَنُ يبيد الشعر وهزله : امرؤ القيس يبيده ، وأبو نواس بهزله . وكان يقول : ذهب اليمَنُ يبيد الشعر في قديمه وحديثه : امرؤ القيس في الأوائل ، وأبو نواس في المحدثين . وكان يقول : شعراء اليمَن ثلاثة : امرؤ القيس وحسان بن ثابت وأبو نواس . وقال أيضاً : أبو نواس في المحدثين مثل امرؤ القيس في المتقدمين ، فتح لهم هذه الفطن ودلهم على المعاني وأرشدهم الى طريق الأدب والتصرف في فنونه . وكان يقول : يسجني من شعرا أبي نواس قوله :

(١) جمع باشق وهو اسم طائر، أعجمى موزب .

بَنِينَا عَلَى كَسْرِي سَمَاءٌ مُدَامِيَّةٌ • مَكَلَّلَةٌ حَاقِقَاتُهَا بِجُيُومٍ
فَلَوْ رُودُ فِي كَسْرِي بَنِ سَاسَانَ رُوحَهُ • إِذَا لَا مُصْطَفَايَ دُونَ كُلِّ نَدِيمٍ

وسئل يعقوب بن السُّكَيْتِ عما يَخْتَارُ رِوَايَتَهُ مِنْ أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ، فَقَالَ: إِذَا أُرِدْتُ مِنْ
الْجَاهِلِيَّينَ فَلَا كَسْرِي الْقَيْسِ وَالْأَحْشَى، وَمِنْ الْإِسْلَامِيِّينَ فَتَجَرِي وَالتَّوْرِدَقُ، وَمِنْ الْمُحَدِّثِينَ
فَلَأْبِي نُوَاسٍ خُصَّبٌ. وَقِيلَ: لِلْمُتَنِيِّ مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ؟ قَالَ: عِنْدَ النَّاسِ أُمُّ عُنْدَى؟ قِيلَ
عِنْدَ النَّاسِ؟ قَالَ: أَمْرُؤُ الْقَيْسِ؟ قِيلَ: فَمَنْ ذَاكَ؟ قَالَ: أَبُو نُوَاسٍ.

وَقَالَ جَدُّهُ بَنِي مُحَمَّدِ بْنِ حَاشِيَةَ: مَنْ طَلَبَ الْأَدَبَ فَلَمْ يَرَوْهُ شِعْرَ أَبِي نُوَاسٍ فَلَيْسَ
بِتَأَمُّ الْأَدَبِ. وَسُئِلَ: مَنْ أَشْعَرُ الْمُحَدِّثِينَ؟ فَقَالَ: الَّذِي يَقُولُ:

كَأَنَّ نِيَابَهُ أَطْلَعَهُ • مِنْ مَنْ أَزْدَادُهُ قَرَأَ
يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حَسَنًا • إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا
بَيْنَ خَالِطِ التَّغْيِبِ • مِنْ أَجْفَانِهَا الْخَوْرَا
وَوَجْهِ سَارِيٍّ لَوْ • تَصَوَّبَ مَاؤُهُ قَطَرًا
وَقَدْ خَطَّتْ حَوَاضَتُهُ • لَهُ مِنْ عَنِيبٍ طُرُورًا

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الطَّوِيلُ: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحْفَظُ شِعْرَ أَبِي نُوَاسٍ عَلِمْتَ أَنَّ
ذَلِكَ عَتَوَانُ أَدَبِهِ وَرَأَيْتُكَ خَرَفَهُ.

وَكَانَ أَبُو نُوَاسٍ يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ: سَفُلْتُ عَنْ طَبَقَةٍ مِنْ تَهْتَنِي مِنَ الشُّعْرَاءِ وَطَلُوتٍ
عَنْ طَبَقَةٍ مِّنْ مَّعَى وَمِنْ يَمِينِي بَعْدِي، فَأَنَا نَسِيجٌ وَحْدِي.

وَحَدَّثَ جَمَاعَةٌ مِنَ الرِّوَاةِ مِنْ شَاهِدِ أَبِي نُوَاسٍ قَالُوا: كَانَ أَقْلُ مَا فِي أَبِي نُوَاسٍ قَوْلُ
الشُّعْرِ، وَكَانَ فُخْرًا رَاوِيَةً عَالِمًا.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا نُوَاسٍ يَتَعَاطَى قَرَضَ الشُّعْرِ فَتَقَاتِي وَهُوَ سَكَرَانُ مَا طَرَّ
شَارِبُهُ بَدُ، فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ فَلَانٌ عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: تَهْيِيلُ الظِّلِّ، جَامِدُ النَّسِيمِ، فَقُلْتُ:
زَيْدٌ، فَقَالَ: مَظْلَمُ الْهَوَاءِ، مَتْنُ الْفَنَاءِ، فَقُلْتُ: زَيْدٌ، فَقَالَ: غَلِيظُ الطَّبَعِ، بَارِدُ الشَّكْلِ،

قلت : زد ، فقال : وَخَمِ الطَّلْمَةُ ؛ حَسِرَ القَلْمَةُ ؛ قلت : زد ، قال : نَالِيُ الجَنَابَاتِ ، بارد
الحركات ؛ قال : تَلَفَّفْتُ عَنْهُ ؛ فقال : زِدْنِي سَوْالًا ؛ أَزِدُكَ جَوَابًا ؛ قلت : « كفى من
القلادة ما أحاط بالعنق » .

وقال سليمان بن أبي سهل لأبي نواس : ما الذى استُجِيد من أجناس شعرك ؟ فقال :
أشعارى فى انحر لم يُقَلْ مثلها ، وأشعارى فى الغزل فوق أشعار الناس ، وهما أجود شعرى
إن لم يزاحم غزلى ما قلته فى الطرد .

وكان يقول : ما قلت الشعر حتى رَوَيْتُ امرأة من العرب منهن الخنساء وليل ،
فما ظنك بالرجال ؟ وإنى لأروى سبعمائة أربوزة ما تُعرف .

وكان قد استأذن خَلْقًا فى نظم الشعر ، فقال : لا أَذْنُ لك فى عمل الشعر إلا أن تحفظ
ألف مقطوع للعرب ما بين أربوزة وقصيدة ومقطوعة ؛ فغاب عنه مدة وحضر إليه فقال
له : قد حفظتها ؛ فقال : أنشدنا ، فأنشده أكثرها فى عدة أيام ، ثم سأله أن يأذن له فى نظم
الشعر ؛ فقال له : لا أَذْنُ لك إلا أن تنسى هذه الألف أربوزة كأنك لم تحفظها ، فقال له :
هذا أمر يصعب على منى قد أنشئت حفظها ، فقال له : لا أَذْنُ لك إلا أن تنساها ، فذهب
الى بعض الديرة وخلأ بنفسه وأقام مدة حتى نسيها ، ثم حضر فقال : قد نسيتها حتى كأن
لم أكن قد حفظتها قط ؛ فقال له : الان فانظم الشعر .

وكان أبو نواس يقول : لا أكاد أقول شعراً جيداً حتى تكون نفسى طيبة ، وأكون
فى بستان موزق ، وعلى حال أرتضيها من صلبة أوصل بها أو وعد بصله ، وقد قلت وأنا على
غير هذه الحال أشعاراً لا أرضاها . وكان يعمل القصيدة ثم يتركها أياماً ، ثم يعرضها على نفسه
فيسقط كثيراً منها ويترك صافيتها ، ولا يسره كل ما يقذف به خاطره . وكان يهمله الشعر
فى انحر فلا يعمله إلا فى وقت نشاطه . ولم يكن فى الشعر بالبطىء ولا بالسريع بل كان
فى منزلة وسطى .

وكان الإصحى يقول : يحبنى من شعر الشاعر بيت واحد قد أجاد قائله وهو :

ضعفَةُ كَرِّ الطرفِ تحسبُ أنها * قريضةٌ عهدُ الإفاقة من سُقيمِ
وإني لآتي الأمرَ من حيث يُتَّقَى * ويعلمُ مني حينَ أنزعَ من أرمي

قال العتّابي لرجلين تناظرا في شعر أبي نواس : والله لو أدرك الخبيثُ الجاهلية ما نُقِلَ عليه أحد .

وقال أبو عمرو الشيباني : أشعرُ الناس في وصف الخمر ثلاثة : الأحنى والأخطل وأبو نَواس .

قال محمد بن عمر : لم يكن شاعراً في عصر أبي نواس إلا وهو يحسده ليل الناس إليه وشهورتهم لمعاشرته ، وبُعْدِ صيته وظرف لسانه .

وقال أبو حاتم : سئل أبو نواس عن شعره فقال : إذا أردتُ أن أجِدَ ، قلتُ مثل قصيدي « أيها المتأبُّ عن عُفْرِه » ، وإذا أردتُ العبثَ قلتُ مثل قصيدي : « طاب الهوى لميمده » ، فاما الذي أنا فيه وحدي وكلُّه جيدٌ فاذا وصفت الخمر .

وقال أبو ذؤؤان : كنا عند التوزي فذكرتُ عنده أبا نواس ، فوضع منه بعضُ الحاضرين ، فقال له التوزي : أهول هذا لرجل يقول :

يخافُه الناسُ ويرجُّونه * كأنه الجنةُ والنارُ

ويقول :

فما جازه جودٌ ولا حلٌّ دونه * ولكن يصير الجودُ حيث يصيرُ

ويقول :

فتمشَّت في مفاصلهم * كتمشى البرء في السقمِ

قال ابن الأعرابي يوما جلسائه : ما أشعرُ ما قال أبو نواس في الخمر؟ فقال بعضهم : إذا عابَ فيها شاربُ القومِ خلته * يُقبَلُ في داجٍ من الليل كوكبا

وقال آخر :

كَأَنَّ كُبْرَى وَصُفْرَى مِنْ قَفَّاعِهَا * حَصْبَاءُ دُوَّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ اللَّحَبِ

وقال آخر :

تَرَى حَيْثُ مَا كَانَتْ مِنَ الْبَيْتِ مَشْرِقًا * وَمَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ مِنَ الْبَيْتِ مَغْرِبًا

وقال آخر :

فَكَأَنَّ الْكَلُوسَ فِيْنَا نَجُومٌ * دَائِرَاتُ بَرُوجِهَا أَيْدِينَا

وقال آخر :

صَفْرَاهُ لَا تَنْزِلُ الْإِحْرَاقُ سَاحَتَهَا * لَوْ مَمَّهَا حَجَرٌ مَسْتَهْ سَرَّاهُ

فقال ابن الأعرابي : إن هذا كله لشاعر أفرد بالإحسان فيه ، وهتلم من سبقه ومن تأخر عنه ، ولكنه أشعر من هذا كله في قوله :

لَا يَتَرَلُّ اللَّيْلُ حَيْثُ حَلَّتْ * فَدَهْرٌ تُرَابُهَا نَهَارٌ

قال مسلم بن بهرام : لَقِيتُ أَبَا التَّاهِرَةِ فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قَالَ : تَرِيدُ جَاهِلِيًّا أَوْ إِسْلَامِيًّا أَوْ مَوْلِدَهَا ؟ قَالَ : كُلُّهُ أُرِيدُ ، قَالَ : الَّذِي يَقُولُ فِي الْمَدِيحِ :

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا طِيْلِكَ بِصَالِحٍ * فَأَنْتَ بِمَا تُنْفِي وَفَوْقَ الَّذِي تُنْفِي

وَأَنْ جَرِيَتْ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمَدْحِهِ * لَفِيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي تَنْعِي

والذي يقول في الزهد :

أَلَا رَبِّ وَجْهِ فِي التُّرَابِ حَبِيْبِي * وَيَارَبَّ حُسْنٍ فِي التُّرَابِ رَفِيْقِي

وَيَارَبَّ حَزْمٍ فِي التُّرَابِ وَتَجَمُّدِي * وَيَارَبَّ رَأْيٍ فِي التُّرَابِ وَثَبِيْقِي

فَقُلْ لِقَرِيْبِ الدَّارِ إِنَّكَ رَاحِلٌ * إِلَى مَقَرٍ نَائِي الْمَحَلِّ صَحِيْبِي

وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَأَبْنُ هَالِكٍ * وَكُلُّ نَسَبٍ فِي الْمَالِكِيْنَ عَرِيْقِي

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشِفُ * لَهُ عَنْ عُلُوِّ ثِيَابِ صَدِيْقِي

وكان يقول : سبقني أبو نواس الى ثلاثة أبيات وحدثت أنى سبقته إليها بكل ما قلته فإنه أشعر الناس فيها ، منها قوله :

يا كبير الذنب عفو الله • من ذنبك أكبر

وقوله :

من لم يكن لله مثما • لم يمس محتاجا الى أحد

وقوله :

إذا امتحن الدنيا ليئب تكشف • له عن عذوق ثياب صديقي

ثم قال : قلت في الزهد ستة عشر ألف بيت وحدثت أن أبا نواس له ثلثها بهذه الأبيات .

وقال الملاحظ : سمعت النظم يقول ، وقد أشد شعرا لأبي نواس : كأن هذا الفتى بجمع له الكلام فاختار أحسنه . وقال بعضهم : كأن المعاني حوسست عليه ، فأخذ حاجته وقرق الباقي على الناس . وقال أبو حاتم : كانت المعاني مدفونة حتى أثارها أبو نواس .

حدثت الحسين بن الخصب الكاتب ، قال : قال أحمد بن يوسف الكاتب : كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون ، وهو مستلق على قفاه ، فقال لعبد الله بن طاهر : يا أبا العباس ، من أشعر من قال الشعر في خلافة بني هاشم ؟ فقال : أمير المؤمنين أعرف بهذا وأعل حياء فقال له المأمون : على ذلك قف ، تكلم أنت يا أحمد بن يوسف ، فقال عبد الله بن طاهر : أشعرهم الذي يقول :

ويا قبر من كنت أول حفرة • من الأرض حطت للسماحة مثلا

قال أحمد بن يوسف الكاتب : فقلت : بل أشعرهم الذي يقول :

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم • إذ كان حظي منك حظي منهم

فقال المأمون : يا أحمد آيت لا غزلا ! أين أتم عن الذي يقول :

يا شقيق النفس من حكم • نمت عن ليلى ولم أتم

فقلنا : صدقت يا أمير المؤمنين .

وكان المأمون يقول : لو سُطت الدنيا عن نعمها فنطقت ، لما وصفت نفسها
كما وصفها أبو نواس في قوله :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تَكَشَّفَتْ * له عن عدوٍّ في ثياب صديق
وَرَدَ على العنابي بحلبِ عِنةً من البكار من أهلِ قنسرين ، فدخلوا وساموا ، وكان في يده
رُقعة ينظر إليها ، فقال لم : لقد سَلَكَ صاحبُ هذه الرُقعة وادياً ما سَلَكَه أحدٌ قبله ،
فَنظَرُوا فإذا هو شرابي نواس في جنان جارية آل عبد الوهَّاب التقي ، وهو قوله :
رَجَّحَ الكَرَى بين الجفونِ مُجِيلٌ * عَنَى عليه بُكْيٌ طويْلُ
يا فاضلاً ما أَقْلَمْتُ لخطائِهِ * حتى تَشَحَّطَ بينهن قَبِيلُ
أَحْلَلْتُ قَلْبِي من هَوَاكَ حِمْلَةً * ما حلَّها المشروبُ والمأكولُ
بِكالِ صورتك التي من دونها * يَخْضِرُ التشْيِهُ والتَّحْيِلُ
فوقَ القصيرةِ والقصيرةِ فوقها * دون السمينِ ودونها المهزولُ
وبما أَثْنَدَ العنابي لأبي نواس فقال أحسن وأجاد :

متابِئُهُ بِمالِهِ صَافٍ * لا يَسْتَطَاعُ كَلَامُهُ تَبَاهٍ
لِحسنِ فِي وَجَنَاتِهِ يَدْعُ * ما إن يَمْلُ الدرسَ قَارِئها
لو كانت الأثيَلُ تَعْقِلُهُ * أَجْلَانَهُ لِجَلالِ بَارِئها
لو تَسْتَطِيعُ الأَرْضُ لَأَقْبَضَتْ * حتى يَصِيرَ جَمِيعُهُ فِيها

وقوله :

إن السعابَ تَسْمَحِي إذا نَظَرْتُ * الى نِداكَ فقاَسَنَهُ بِما فِيها
حتى تَهْمَ بِإِصلاحِ فِئَمَتِها * خوفاً من السُّخْطِ من إجلالِ منشِئها

قال محمد بن صالح بن تيمس الكلَّابي : لما دخلتُ المَراقَ صرْتُ الى مدينة السلام
فسألتُ عَمَّنْ بها من الشعراءِ المحسِنين ، وذلك في أيام خلافة الأمين أو عند موته قبل
دخول المأمون يسير ، ف قيل لي : قد غلب عليهم قَتَى من أهل البصرة يقال له الحسن

ابن هاني ويعرف بابي نواس ، وقد كنت سمعتُ شيئا من شعره ، فأتاني قتي كان من أهل الأدب ، فقلت له : هل تروى لأبي نواسكم هذا شيئا ؟ قال : أروى له أبياتا في الزهد وليس هو من طريقته ، فقلت أنشدنيها ، فأنشدني :

أني ما بأل قلبك ليس يَنقَى • كأنك لا تظُنُّ الموتَ حَقًّا
ألا يا بنَ الدينِ فَنُؤا وبَادُوا • أما والله ما ذَهَبُوا لَبَقًّا
وما للنفسِ عندك من مُقام • إذا ما أَسَكَلْتَ أَجَلًا وَيَزَقَّا
وما أَحَدٌ بِزادك منك أَخْلَى • ولا أَحَدٌ بِنَبِيك منك أَشَقَّ
ولا لك غيرَ عَوى الله زادٌ • إذا جَعَلْتَ إلى اللّهُواتِ تَرَقَّ

فقلت له : أحسن والله ! قال : أفلا أنشدك أحسن من هذا ؟ قلت بلى ؟ فأنشدني في رثاء محمد الأمين :

طوى الموتُ ما بيني وبين محمد • وليس لما تَطَوَّى المنيَةُ ناشِرُ
فلا وصلَ إلا عَبرَةً تُستَدِيمُها • أحاديثُ نَفسٍ ما لها النَعمَ ذاكَرُ
لئن عَمَرْتُ دورَ بنِ لا أوقه • لقد عَمَرْتُ من أحبِّ المقابرِ
وكنْتُ عليه أحضرُ الموتِ وحدَه • فلم يَنقَى لي شيءٌ عليه أَحْذِرُ
فقال : بحق ما ظب هذا على أهل الأدب وقدموه على غيره .

قال محمد بن جعفر الأصم : كنا عند أبي نُعَيم ، فصاكرنا قول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين ذكرتُ شعرَ لَيدِ يَرثي أخاه أربد :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ في أَكْثافِهِم • وَبَقِيَتْ في خَلْفٍ بِجِلْدِ الأَجْرِبِ

ولقد أنشدني أبو نعيم أبياتا ، قلنا : أنشدناها ، فقال :

ذَهَبَ النَّاسُ فَاسْتَقَلُّوا وَصَرْنَا • حَلَفَ في أَرَاذِلِ النَّسَائِ
في أَناسٍ تُسَلِّمُ من عَدِيدٍ • فَأَذا قَشَّشُوا فَلَيْسُوا بِناسِ

كلما جئتُ أبتغي الفضلَ منهم * بدروني قبل السؤالِ ببأس
وبصكوا لي حتى تمنيتُ أني * مُفلتٌ عند ذاك رأساً برأس

ثم قال : أتدرون لمن الشعر؟ قلنا : لا، قال : الحسن بن هانيء .

قال أبو عبد الرحمن الضرير : رأيتُ مسلم بن الوليد يُخرجان وهو يتولاها، فسألني عن خَلْفَتِ من الشعراء؛ قلتُ له : أما من الكوفيين فأبو نواس، وهو مقمٌ عندهم؛ فقال : ويحك ! كيف يتقدم وهو يقول : رُوَيْدَكَ يَا إِنْسَانُ لَا أَنْتَ تَخْفِزُ أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ : « تَخْفِزُ » نَحِجْتُ مِنْ بَيْنِ قَتْنِي شَامِرٍ قَطْلًا ! ثم قال : ويحك ! وكيف يكون كذلك وهو يُجِيلُ وَيَتَضَلَّى مِنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَى صِفَةِ الْخَالِقِ ؟ قلتُ : مثل ماذا من قوله ؟ قال : أما فيما أحال فكقولهُ : وَأَخَفَتِ أَهْلَ الشَّرِّكَ حَتَّى إِنَّهُ * لَتَخَافُكَ التُّخْلُفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ
وهذا من الإغراق المستحيل في العقول ومما ليس على منجذب القوم ؛ وأما في تَحْطِيقِهِ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَى صِفَةِ الْخَالِقِ فكقولهُ :

يَحْتَلُ أَنْ تَلْحَقَ الصِّفَاتُ بِهِ * فَكَلَّ خُلُقِي لَخْلُفِهِ مِثْلُ
وكقولهُ :

* بَرَىءٌ مِنَ الْأَشْبَاهِ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ *

ومما قيل عن أبي نواس إن الشعر إنما هو بين المدح والهجاء وأبو نواس لا يُحَسِّنُهَا، وأجود شعره في الغمر والطرد، وأحسن ما فيهما ما خوذ ليس له وإنما سَرَقَهُ، وحُسْبُكَ من رجل يرد المضي ليأخذه فلا يُحَسِّنُ أَنْ يَبْنَى عَلَيْهِ حَتَّى يَبْجَى بِهِ قَبِيحًا، مثل قوله : « وَدَاوِنِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ » أخذه من قول الأعشى : « وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا » والذي أخذه منه أحسن . ومنها أيضا قولهُ : « إِنْ الشَّبَابَ مَطِيَّةً لِجَاهِلٍ » أخذه من قول النابغة الجعدي : « فَاتَ مَطِيَّةَ الْجَاهِلِ الشَّبَابُ » . وقوله : « كَطَلَمَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ إِيَابِهِ » أخذه من قول أبي النجم : « كَطَلَمَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ كِسَابِهِ » . ولكن رَزَقَ أَبُو نَوَاسٍ فِي شِعْرِهِ أَنْ سَارَ وَحَمَلَهُ النَّاسُ وَقَدَّمَهُ أَهْلُ عَصْرِهِ، وَإِنْ لَهُ عَلَى ذَلِكَ لِأَشْيَاءَ حِسَابًا لَا يَدْفَعُهَا وَلَا يَطْرَحُهَا إِلَّا جَاهِلٌ بِالْكَلَامِ أَوْ حَاسِدٌ .

ومن أحسن مدائح أبي نواس قوله من أرجو ذته التي يمدح بها الفضل بن الربيع وهي :

وبلدة فيها زور • صرّاء تحظى في صعر
صرت إذا الذئب اقتصر • بها من القوم الأثر
كان له من الجزر • كل جين ما اشكر^(١)
ولا تملأ شمر • بيت الناحي الثغر
عسفتها على خطر • وغريد من القصر
بيازب حين فطر • يهزه حين الأثر
لا مثلك من سدر • ولا قريب من خسور^(٢)
كانه بعد الضمر • وبعد ما جال الضفر^(٣)
والتح في حشر : • جاب رباع المثفر^(٤)
يحدو بحب كالأكز • ترى بأبجاق القصر^(٥)
منه توشم الجذر • رعين أبنكار الخضر
شهرى ربيع وصفر • حتى إذا الفعل جفر^(٦)
وأشبه السقى الإبر • ونش أذخار الثغر^(٧)
قلن له : ما تأتمر ؟ • وهن إذ قلن : أشتر
غير صايس ما أمر • كأتها لمن تظفر
ركب يشيمون مطر • حتى إذا الظل قصر

- (١) المرت : الأرض لا نبات فيها ، والضر الأثر : الضياء ربه . (٢) الجزر (يختصن) : ما يذبح من الشاء ذكرا كان أو أنثى . واحدة : جزرة . وما اشكر : لم يثبت له الشكر وهو الضعيف من الشعر الذي لا يكاد يظهر . (٣) صفها : سلكها متعطلا ، والعر : الخطر . (٤) السدر : التحير . (٥) الضمر (العم وبضمين) : الخزال . والضفر : جمع ضمار (بالفتح) وهو ما يشد به البحر من شعر مضفور . (٦) الجاب : الحمار اللطيف من حمار الوحش . (٧) الأبجاق جمع ثبع وهو وسط الشىء ، والقصر جمع قصرة وهي أحل العنق . (٨) جمر : امتنع عن العراب . (٩) السق : كل شجرة له شوك ، ونش : غضب ، والقمر : جمع قرة وهي الوحدة المستديرة من الأرض .

يَمَنَّ مَن جَنِّي هَجَرَ * أَخْضَرَ طَلَامَ الْعَكْرِ
 وَبَيْنَ أَحْقَافِ الْقَتَرِ * سَارَ وَابِسَ لِلْسَمَرِ
 وَلَا تَلَاوَاتِ السُّورَ * يَمَسُّ مِرْنَانًا بِسَرِ^(١)
 زُمْتُ بِمَشْزُورِ الْمِرْزِ * لَا أَمَّ حُلُقُومِ النَّفَرِ^(٢)
 حَتَّى إِذَا اصْطَلَفَ السُّطْرُ * أَهْدَى لَهَا لَوْ لَمْ تُجْزَرْ
 دَهْيَاءَ يَحْدُوها الْقَدَرُ * فَيَلْكَ عَنَسٌ لَمْ تُدَّرْ
 شَهْبًا إِذَا الْآلُ ظَهَرَ * إِلَيْكَ كَلَفْنَا السُّفَرِ
 خَوْصًا يُحَاذِرُ النَّظَرَ * قَدْ انْطَوَتْ مِنْهَا السَّرَرُ
 طَى الْقَرَارَى الْحَبَرُ^(٣) * لَمْ تَقْعُدْهَا الطَّيَرُ
 وَلَا السَّيْبُ الْمَزْدَجَرُ * يَافُضُّ لِلْقَوْمِ الْبَطَرُ
 إِذْ لَيْسَ فِي النَّاسِ عَقَرُ * وَلَا مِنْ الْخُوفِ وَزَرُ
 وَزَلْتُ إِحْدَى الْكُبَرِ * وَقَبْلَ صَمَاءِ الْفَيْرِ
 فَالنَّاسُ أَبْنَاءُ الْحَذَرِ * فَرَجَتْ هَانِيكَ الْقَمَرُ
 عَنَّا * وَقَدْ صَابَتْ بَقَرُ^(٤) * كَالشَّمْسِ فِي تَخْصِصِ بَشَرِ
 أَعْيَا مُجَارِيكَ الْخَطَرُ * أَبُوكَ سَبَلَى عَنْ مُضَرِ
 يَسُومُ الرُّوَاقَ الْمُخْتَصِرُ * وَالْخُوفُ يَقْصِرِي وَيَنْزُرُ
 لَهَا رَأَى الْأَمَرَ الْعَطَرُ^(٥) * قَامَ كَرِيمًا فَاتَّصَرَ
 كَهْزَةِ الْعَضْبِ الدَّشْكُرِ * مَا مَسَّ مِنْ شَيْءٍ هَبَرِ^(٦)

(١) المِرْنَانُ : القوس . (٢) زُمْتُ : شَدْتُ ، وَمَشْزُورٌ مَفْعُولٌ ، وَالْمِرْزُ : جَمْعُ مِرْزَةٍ وَهِيَ قُوَّةُ الْعَنْلِ ،

وَاللَّامُ : الشَّدِيدُ ، وَالْعَمَرُ : كَهْرُ الدَّابِلِ . وَالْمَرْبُ تَشْبِيهُ الدَّقِيقِ بِالْأَوْتَارِ - لِاحْتِمَالِ التَّخَرُّاتِ . (٣) الْقَرَارَى : الْخِلَاطُ

(٤) الْقَرُ : الْقَرَارُ ، يُقَالُ إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ مَوْقِعُهُ : صَابَتْ قَرُ وَوَقَعَتْ بَقَرُ . قَالَ طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ الْبَكْرِيِّ :

كَفَتْ مِنْهُمْ كَالْمَطِيِّ رَأْسَهُ * فَانْجَبَلِ الْيَوْمَ عَطَاقُ وَنَمِرِ

سَادَرًا أَحْسَبُ غَيِّ وَشَدَا * فَتَاهَيْتُ وَقَدْ صَابَتْ بَقَرُ

(٥) أَشْبَدُ . (٦) هَبَرُ : قَطَعَ .

وَأَنْتَ تَخْتَأَفُ الْأَثَرَ * مِنْ ذِي جُحُولٍ وَقُرَّرَ
 مَعِيدٌ وَرَيْدٌ وَمَصْدَرٌ * وَإِنْ عَلَا الْأَمْرَ أَقْصَرُ
 فَأَيْنَ أَصْحَابُ الْقَمَرِ * أَذْشَرُوا كَأْسَ الْمِقَرِ^(١)
 وَتُصَرُّوا فِيمَنْ قُصِرَ * هِمَاتٌ لَا يَنْفَى الْقَمَرُ
 أَحْمَرَتْ أَذْذَبُوا الْخَمْرَ * شَكْرًا، وَحَرْمٌ مِنْ شَكْرٍ^(٢)
 فَاقَهُ يُعْطِيكَ الشَّيْبَ * وَفِي أَعَادِيكَ الْقَفَرُ^(٣)
 وَاقَهُ مَنْ شَاءَ نَصَرَ * وَأَنْتَ إِنْ خِفْنَا الْحَصَرَ^(٤)
 وَهَرَدَهُمْ وَكَحَثَرُ * عَنْ نَاجِيذِهِ وَبَسَرِ^(٥)
 أَغْنَيْتَ مَا أَغْنَى الْمَطَرُ * وَفِيكَ أَخْلَاقُ الْبَسَرِ
 فَأَنْ أَبَا إِلَّا الْعَسْرَ * أَمَرْتُ حَبَلًا فَاسْتَوَى^(٦)
 حَقٌّ تَرَى تِلْكَ الزَّمْرَ * تَهْوِي لِأَذْقَانِ الْقَفَرِ^(٧)
 مِنْ جُلْبٍ أَلْوَى لَوْ تَرَى * إِلَيْهِ طَوْدًا لَا تَطُورُ^(٨)
 صَبِيءٌ إِذَا لَاقَى أَبْرَ * وَلَنْ هَقَّ الْقَوْمُ وَقَرَّ
 أَوْ رَهَبُوا الْأَمْرَ جَسَرَ * ثُمَّ قَسَامِي قَفَقَرُ
 عَنْ شَفَقَتِي ثُمَّ هَدَرَ * ثُمَّ تَتَابَعَى لَخَطَرُ^(٩)
 بَذَى سَيْبٍ وَعُذِرُ * يَمْضِعُ أَطْرَافَ الْوَبَرِ
 هَلْ لَكَ وَالْمَلْ خَيْرٌ * فِيمَنْ إِذَا غَبَتْ حَضَرُ^(١٠)
 أَوْ نَالَكَ الْقَوْمُ تَأَرَّ * وَإِنْ رَأَى خَيْرًا شَكَرُ
 * أَوْ كَانَ تَقْصِيرٌ عَنَّا *

(١) القمر: المرء. (٢) أَحْمَرَتْ: برزت إلى الصمراء. وَذْذَبُوا: مشوا بحصنين. وَخَمْرٌ: ما سترك من خمر أو بهاء أو نحوه. (٣) الحمر والقوة. (٤) الضيق. (٥) كثيرا بدي عن ناجذيه، وبسر: عيس. (٦) أَى أَحْكَمَتْ ظَهْرًا. (٧) جمع قشرة وهي قرة النحر. (٨) الألوى: الشديد الصلابة. (٩) أسوح وأغنى. (١٠) السيب: ثمر الذنب والعرف والنامية، والمذرع: عذار. (١١) قصد لفظ هل الاستهزاء فأدخل عليها الألف واللام.

ولما عمل أبو نواس القصيدة التي أولها : * ومستعبد إخوانه بثرانه * بلغت
الأمين ، فبعث إليه ، وعنده سليمان بن جعفر . فلما دخل عليه قال له : يا طامس بظُرِ أمته
العاهرة ، ويا مدعى ولائِه حاءَ وحكم ! أتعمرى يا بنَ القَتاة من توليت والى من أَدعيت ؟
الى الأمِ فيلئين في اليمن ، طُلُوج باضين . أنت تكتسب بشرك أوساخِ أيدي الناس اللثام ،
وتقول : * ولا صاحب التاج المحجَّب في القصر * أما والله ما نلتَ مني شيئاً بعد ذلك
أبداً ! قال له سليمان بن أبي جعفر : إى والله ! نعم هو مع هذا من كبار التَّوْبَةِ^(١) (وكان يُرى
بذلك) ؟ فقال له محمد الأمين : وهل يشهد عليه شاهد بشيء من ذلك ؟ فأفاه سليمان بعثة
فقير ، فشهدوا عليه أنه شرب في يوم مَطِير فوضع قدحه تحت السماء في المطر فوقع فيه
المطر ، فقالوا له : ما تصنع بذلك ويحك ؟ قال : أتم تَرْمَعُونَ أنه يتزل مع كل قطرة
ملك ، فكم ترائى أشرب من الملائكة ! ثم شرب ما في القدح ، فغضب محمد ، وأمر به
الى السجن . فلذلك قول أبي نواس :

يأربُ إنَّ القومَ قد ظلموني * وبلا اقرارٍ معطِّلِ حبسوني
والى الجهود بما عرفتَ خلافة * ربِّي إليك بِكُنْهِم تَسْبُونِي
ما كان إلَّا الجُرئى في مَسْدايهم * في كُلِّ نِزْى والمُجَانَّةُ ديني
لا المنذرُ يُقْبَل لى ويَفُوقُ شاهدي * منهم ، ولا يَرْضَوْنَ حَلْفَ يميني
ما كان - لو يدرون - أولُ عَجْبا * في دار متَّقصَة ومنزل هُوبِ
أما الأمينُ فطسْتُ أرجو دفعه * عني ، فرب لى اليَوْمَ بالمأمون

فبلغت أيسأته المأمون ، فقال : والله لئن لحقته لأغنيته غنى لا يؤمله . فمات قبل دخول
المأمون بغداد .

لما وصلت الخلافة الى محمد الأمين وولى الفضل بن الربيع الوزارة ، فخرج محمد
للهم والصيد والزهرة ، وكان لا يخرج إلا لصيد أو لزهرة . فخرج ذات يوم وقد أمر الجند

(١) التوبة أصحاب الاثنين الأولين وهم الذين يزعمون أن النور والعللة أزليان قديمان ، بخلاف المجرس
قاتهم قالوا بحدوث الظلام .

والقوَادَ فركبوا، وليس ثيابَه وتقلده سيفه، وأُصِلَّت الحَرَاقَاتُ وَالزُّلَاجَاتُ فِي دِجْلَةٍ،
فَقَالَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُصَيِّحٍ - وَكَانَ كَاتِبَ بَيْتِهِ - : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ قَوَادَكَ وَجَنَدَكَ وَعَاقَةَ
رَعِيَتِكَ قَدْ خُبِلَتْ نَفُوسُهُمْ، وَسَاعَتْ ظَنُونُهُمْ، وَكَبُرَ عِنْدَهُمْ مَا يَرُونَ مِنْ احْتِجَاكِ عَنْهُمْ،
فَلَوْ جَلَسْتَ لَهُمْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَدَخَلُوا عَلَيْكَ ! فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَسْكِينًا لَهُمْ وَمَرَاجَعَةً لَأَمَالِهِمْ !
بِفُلْسٍ فِي مَجَاسِهِ وَأُذُنٍ لِلنَّاسِ عَامَةً فَدَخَلُوا عَلَى مَرَاتِبِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، وَقَامَ الْخَطْبَاءُ نَظَّطَبُوا،
وَالشُّعْرَاءُ فَأَنشَدُوا، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَتَعَدَّى إِلَى الْإِطْنَابِ وَالطَّوِيلِ، إِلَّا أَسِرَ بِالسَّكُوتِ
وَمُنِيعٍ مِنَ الْقَوْلِ .

وَقَامَ فِيمَنْ قَامَ أَبُو نَوَاسٍ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! هَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءُ أَهْلُ حَجَرٍ وَمَدَرٍ،
وَأَيْلٍ وَوَصِيفٍ لِلْبَقْرِ وَبُيُوتِ الشَّعْرِ، قَدْ جَفَّتْ أَلْقَائُهُمْ، وَغُلُظَتْ مَعَانِيهِمْ، لَيْسَ لَهُمْ
بَصَرٌ بِمَدْحِ الْخُلَفَاءِ وَتَأْثِيرِ مَكَارِمِهِمْ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي إِنْشَادِهِ فَلْيَفْعَلْ،
فَأْذَنَ لَهُ فَأَنشَدَ :

أَيَا دَارِهَا بِالمَاءِ حَتَّى تُبْلِيَنِيَا * فَلَنْ تُكْرِمَ الصَّبِيَاءَ حَتَّى تُبَيِّنِيَا
أَغْلَى بِهَا حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتُهَا * أَهَنْتُ لِأَكْرَامِ الْخَلِيلِ مَصُونِيَا
وَصَفْرَاءَ قَبْلَ الْمَرْجِ بِيضَاءَ بَعْدَهُ * كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ يَلْقَاكَ دُونِيَا
تَرَى الْعَيْنَ تَسْتَعْفِيكَ مِنْ لَمَعَانِيَا * وَتَحْسُرُ حَتَّى مَا يُحِيلُ جَفُونِيَا
تُزَوِّجُ بِنَفْسِ الْمَرْءِ عَمَّا يَسُوهُ * وَيُخَيِّنُهُ إِلَّا يَزَالُ قَرِينِيَا
كَأَنَّ يَوَاقِيَتَا رَوَاكِدَ حَوْلِيَا * وَزُرُوقَ سَنَانِيرٍ تَدِيرُ عُيُونِيَا
وَتَقْطَعُ حُلَّ الدَّهْرِ مِنْهَا بِقِيَّةٍ * دَلَفْتُ إِلَيْهَا فَاسْتَلْتُ جَبِينِيَا
كَأَنَّ حُلُولَ بَيْنِ أَتَافٍ رَوْضَةٍ .. إِذَا مَا سَلَبْنَاهَا مَعَ اللَّيْلِ طِينِيَا

إِلَى أَنْ أَكْمَلَ الْقَصِيدَةَ . فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : أَلَمْ أَتُهَكَ عَنْ شَرِبِ الْخَمْرِ ! قَالَ : بَلَى
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهِ مَا شَرِبْتُهَا مِنْذُ نَهَيْتَنِي عَنْهَا وَمَنْعَتَنِي مِنْ شُرْبِهَا، وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ :

أيتها الراعين باللوم لوما • لا أنوق المدام الا قتيماً
 ثاني بالسلام فيها إمام • لا أرى لى خلافه مستقيماً
 فاصرفها الى سواى فإنى • لست الا على الحديث ندماً
 كبر حطى منها لئلا هي تارث • أن أراها وأن أشم النسباً
 فكأنى وما ازيّن منها • قعدى يحسن التحكماً^(١)
 كل عن حيله السلاح الى الحر • ب فأوصى الميطيق ألا يقياً

فهبهم محمداً، وقال له : أحسنت ! وقام بعض الشعراء فأنشد :

ترقى في فضاله الامين • وزايله المشاكلى والقرين
 وأوردق زهرة التقوى وعزّت • خلافة وصدقت الظنون
 تمس منابر الخلقاء منه • يد بخلاف طاعتها المتون
 يخاف الخوف صولته ويرجو • نداه الجسود فهو له خدين

فقال علة من حضر : قد أوجز وأجاد، أكرم الله أمير المؤمنين ! فقال أبو نواس : أشعر
 منه يا أمير المؤمنين الذى يقول :

ألا يا خير من رأيت العيون • تظهرك لا يحس ولا يكون
 وفضلك لا يحسد ولا يجارى • ولا تحوى حيازته الظنون
 فانت تسبيح وحيدك لا شبه • تحاشيه طيبك ولا خدين
 خلقت بلا مشاكلة لشيء • فانت الفسوق والضلال دون
 كأن الملك لم يك قبل شيئاً • الى أن قام بالملك الامين

قال : ففضله محمداً وأحسن جائزته . ويقال : إنه قالها بديها .

(١) القعدى من الخواارج : الذى يرى رأى القعدة الذين يرون الحكيم حقاً، غير أنهم قعدوا عن الخروج
 على الناس .

ثم نهض محمد من مجلسه ذلك، فركب الحرقة الى الثبائية، واصطفقت له الخيل وطبها الرجال على شاطئ دجلة، وجملت معه المطايح والغزائن. وكان ركوبه حرقة^(١) على مثال الأسد. لما رأى الناس منظرًا كان أبهى ولا مبدأ كان أحسن من ذلك المنظر والمسير. وركب أبو نواس معه يومئذ وهو يناديه، فقال :

تَحَرَّ اللهُ لِلْأَمِينِ مَطَايَا • لَمْ تَسْخَرْ لِمُصَاحِبِ الْهَرَابِ^(٢)
فَإِذَا مَا رَكَابُهُ سِرَرَتْ بِحَرًّا • سَارِقِي الْمَاءِ رَايَا لَيْثَ غَايِبِ
أَسَدًا بِاسْطَا فِرَاحِيهِ يَمْدُو • أَهْرَتِ الشَّقِيقِ كُلِّجِ الْأَنْيَابِ^(٣)
لَا يَمَانِيهِ بِالْبَقَامِ وَلَا السُّو • طِ وَلَا تَحْزَنِي رَجُلِيهِ فِي الرُّكْبِ
عَجِبَ النَّاسُ إِذْ رَأَوْكَ عَلَى صَو • رَةِ لَيْتَ تَعَمَّرَ مَرَّ السَّحَابِ
سَبَّحُوا إِذْ رَأَوْكَ سَرَتْ عَلَيْهِ • كَيْفَ لَوْ أَبْصَرُوكَ نَوَقَ الْعُقَابِ
ذَاتَ زَوْرٍ وَيَسِيرٍ وَجَنَاحِ • بَيْنَ تَشْقَى الْعُبَابِ بَعْدَ الْعُبَابِ
تَسْبِيحِ الطَّيْرِ فِي السَّمَاءِ إِذَا مَا سَ • تَجَلَّوْهَا بِجَيْشِي وَنَهَابِ
بَارَكَ اللهُ لِلْأَمِينِ وَأَبْقَا • وَأَبْقَى لَهُ رَدَاءَ الشَّبَابِ
مَلِكٌ تَقْصُرُ الْمَدَائِحُ عَنْهُ • هَامِيٌّ مُوَفَّقٌ لِلصَّوَابِ

ويقال : ان هذا الشعر قاله أبو نواس في محمد ، وقد ركب حرقة الدلفين ، فقال له شيخ الى جانبه : اتق الله يا هذا ! فقال له أبو نواس : يا شيخ ، إن الله لم يسخر لصاحب الهرب الدلفين ، وقد سخر له ما هو خير من الدلفين ، فأى شيء تشكر من هذا ؟

قل ابن حبيب : كنت مع مؤنس بن عمران ، ونحن نريد الفضل بن الربيع بيفداد ، فقال مؤنس : لو دخلنا على أبي نواس في السجن فسلمنا عليه ! فقلنا ؛ فقال أبو نواس

(١) وذلك أنه كان لأمين ثلاث من السفن المسروقة بالخرقات لركوبه خاصة ، وهي الليث والعقاب

والدلفين . (٢) صاحب الهرب هو سليمان بن داود عليه السلام لأنه بن بيت المقدس .

(٣) أهرت الشقيق : واسمه . وكان الخيل الأنثى : كاشرها .

لمؤنس: أين تريد ؟ فقال : أريد أبا العباس الفضل بن الربيع ، قال فبلغه رقعةً أعطيكها ، قال : نعم ، فأعطاه رقعةً فيها :

ما من يد في الناس واجدة * كيد أبو العباس مولاها
نام البُشةُ على مضاجعهم * وسرى الى نفسى فأجياها
قد كنتُ خِفْتُكَ ثم أمتنى * من أن أخافك خوفاً لك الله
فصوت غنى عفو مقتدر * وجبت له يقسم فالفاها

فكانت هذه الأبيات سبب خروجه من السجن .

انصرف أبو نواس من بعض المواخير سكاناً ، فربم مسجد قد حضرت فيه الصلاة ، فدخل فقام في الصف الأول ، فقرأ الأمام : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ فقال أبو نواس من خلفه : ليكَ ، فلما قضيت الصلاة لبَّيْوه وقالوا له : يا كافر نشهد عليك بالكفر ودفعوه . فبلغ خبره الرشيد ، فدعا له حمدويه صاحب الزندقة ، وأحضر أبا نواس فقال له حمدويه : يا أمير المؤمنين ، إن هذا ماجن ، وليس هو بحيث يُظنَّ ، فقال له الرشيد : ويحك ! إنه وقع في نفسى منه شيء ، فامسحنه . قال : نَقَطْ له صورة ماني ، وقال له : أبصق عليها ، فأهوى أبو نواس بفيه ليقب عليها ، فقال له حمدويه : قد قلت لك يا أمير المؤمنين إنه ماجن . قال : ودعا برجل من الزنادقة مشهور ، وقال له : ابصق عليها ، فقال : وما معنى البصاق ! إنه من أخلاق الشرك ولا أفعله ، وأبى أن يفعل . فقال الرشيد لبعض خدام القصر : امض بهذا (بني أبا نواس) الى السندي ، فقل له : أدبه وأطلقه ،

(١) لبوه : أخذوا عليه ، وهو موضع القلادة في الصدر . (٢) هومان بن فاطك الحكيم ، الذي طهر في زمن سابور ذي الاكثاف بن أزدشير ، وقتله جهرام بن هرم بن سابور ، وذلك بعد حصى طيه السلام . اتخذ له ديناً بين اليهودية والنصرانية . وكان يقول بغيرة المسيح طيه السلام ، ولا يقبل نبوة موسى طيه السلام . حكى محمد بن هارون المعروف بابي عيسى الوراق ، وكان في الأصل مجوسياً طرقت به مذاهب القوم ، أن الحكيم ماني زعم أنسب العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين : أحدهما نور والآخرة غلبة ، وأنها أزيان لم يزالا ولا يزالان ، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم ، وأنها لا يزالان قوتين حاسمتين سميتين بصيرتين ، وهما مع ذلك في النفس والصورة والعمل والتدبير متضادتان ، وفي الحيز متضادتان تحاذى الشخص والظل .

(انظر الملل والنحل للشمسرتاني)

وهذا (يعني الزنديق) قتل له : أحبسه قبلك الى أن تستتيه ، فان تاب وإلا قتلناه .
 قال : فضي بهما الخادم ، فلما صار في آخر الصحن ، قال أبو نواس للخادم : الى أين
 تلعب بنا ؟ قال : الى السندی ، قال : فما تقول له ؟ قال : أقول له : يحبسك قبلك
 حتى تستتاب أو تموت ، ويؤدب هذا ويطلقه . قال : فرجع أبو نواس يده ولطمه ، وقال
 له : يا ابن الزانية ، من الساعة نسيت ! . وبصر بهم الرشيد ، فقال : رُدوهم ، فقال
 لأبي نواس : ما هذا الذي رأيت منك ؟ قال : أراد والله أن يهلكني ويطرحنى بحبث
 أنسى أبدا أو أبقي محمدا ، سألته يا أمير المؤمنين عن الرسالة ، فاذا هو قد ضيها ، فضحك
 من أبي نواس وأطلقه .

قال رزّين الكاتب : اجتمعنا يوما أنا وأبو نواس وعلي بن الخليل في سوق الكرخ ،
 وكنا مجتمع ونناشد الأشعار ونذاكر الأخبار وتحدث بها . فقال أبو نواس : أدبر من
 كان في نفسي وكان أسرع الخلق في طاعتي ، فما أدري ما أحتال له ؟ فقال علي بن الخليل
 يمازحه : يا أبا علي ، سل شيخك وأستاذك يعطفه عليك ، فقال له أبو نواس : من تعني ؟
 قال : من أنت في طاعته ليك ونهارك (يعني ابليس) فلان لم يقض لك هذه الحاجة ،
 فما ينبغي لك أن تسأله مسألة ولا أن تهر عينه بمصيبة ؛ فقال : هو أسد رأيه من أن يهلك
 بي أو يهلكني ، واقضى مجلسنا ذلك . فلما كان بعد أيام اجتمعنا في ذلك الموضع ، وأخذنا
 في أحاديثنا ، فضحك أبو نواس ، فقلنا له : ما أضحكك ؟ فقال : ذكرت قول علي بن
 الخليل يومئذ : سل شيخك يعطفه عليك ، حينئذ قد سألته يا أبا الحسن فقضى الحاجة ،
 وما مضت والله ثالثة حتى أتاني من غير أن أبعث اليه ومن غير أن أستريه ، لعائني
 واسترضاني ، وكان الغضب منه والهجني ، وأحسب الشيخ (يعني ابليس) كان يتسمع علينا
 في وقت كلامنا ، وقد قلت أبياتا في ذلك ، فقلنا : هاتها ، فأنشد :

لما جفاني الحبيب وامتنعت . عني الرسالات منه وانجبر
 واشتد شوق فكلاد يقطني . ذكر حبيبي والمهم والتعجبر

دعوت إبليس ثم قلت له * في خلوة والدموع تتصدر:
أما ترى كيف قد ليئت وقد * أفرح جفنى البكاء والسهرة؟
إن أنت لم تأتني في المودة في * صدر حبي وأنت مقتدر
لا قلت شعرا ولا سمعت حنا * ولا جرى في مفاصيل السكر
ولا أزال القرآن أدركه * أروح في درسه وأبتكر
وأزم الصوم والصلاة ولا * أزال دهرى بالغير آتمر
فما مضت بعد ذاك ثالثة * حتى أتاني الحبيب بمنذر
ويطلب الود والوصال على * أفضل ما كان قبل يتجر
فيا لها منة لقد عظمتم * عندى لإبليس ما لها خطر

لما قدم أبو نواس على الخصب بمصر أذن له وعنده جماعة من الشعراء فاستنشدته ،
قال له : هنا جماعة من الشعراء هم أقدم منى وأسن ، فأذن لهم في الإنشاد ، فان كان شعري
نظير أشعارهم أنشدت وإلا أمسكت ، فاستنشدهم الخصب ، فأنشدوا مديحا في الخصب ،
فلم تكن أشعارهم مقاربة لشعرا بى نواس ، فتهنأ أبو نواس ثم قال : أنشدك أيها الأمير
قصيدة هي بمنزلة قصيدة موسى تنقف ما يفيكون؟ قال هات ، فأنشده قصيدته التي أولها :
أجارة بيتنا أبوك غيور * وميسور ما يرجى لديك عير
حتى أتى على آخرها ، فانفض الشعراء من حوله .

ويقال : إن أبو نواس كان خرج الى مصر في زى الشطار^(٢) وتطعيمهم بطرزة قد صقفها
وكئين واسعين وذيل مجرور ونسل مطبق ، وكان خروجه مع سليمان بن أبي سهل ، فلما
دخل على الخصب بهذه الصورة ازدراه واستخف به ، وكان تورد عليه كتب الحلة من

(١) هو الخصب بن عبد الحميد الميمى أمير مصر على الخراج . وإليه تسب منة الخصب بالوجه القليل
وليس ما صاحب نهر أبي الخصب ، ذلك عبد النصور يقال له مرزوق . وكان هذا رئيسا في أراضيه .
فانتقل الى بغداد وصار كاتب مهوريه الرازي ، ثم انتقل الى الامارة .

(٢) الشطار : جمع شاطر وهو من أعيا أهل بيت .

بباب السلطان، ووردت كتب أبى نواس فيها قراءها ولم يستشهد، فانصرف مهموما .

وجاءه أهل الأدب فاستمعوا شعره وكتبوه وأنشدوه فحصب، فاستحضره فأنشده :

أَجَارَةَ يَتَيْنَا أَبُوكَ فَيُورُ * وَمَيُورُ مَا يُرَى لَدَيْكَ عَسِيرُ
فَإِنْ كُنْتَ لَا خِلْمًا وَلَا أَنْتَ زَوْجَةٌ * فَلَا بَرَحَتْ دُونِي عَلَيْكَ سُورُ
وَجَاوَرْتُ قَوْمًا لَا تَزَاوَرُ بَيْنَهُمْ * وَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نُورُ
لَا أَنَا بِالْمَشْغُوفِ ضَرِيَّةً لِزَيْبِ * وَلَا كُلُّ سُلْطَانٍ عَلَى قَدِيرِ
وَأَتَى لَعُكُوفَ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ زَاجِرُ * قَدْ كُذِّبْتُ لَا يَتَّقَى عَلَى ضَمِيرِ
كَأَنَّ ظِلَّ الرَّيْحِ سَاكِنَةٌ هَا * عَقَابُ بَارِصِ الْيَدَيْنِ نُورُ^(٢)
طَوْتُ لَيْلَتَيْنِ الْقَوْتَ عَنْ ذِي ضَرُورَةٍ * أَزْيَبَ لَمْ يَنْتِ عَلَيْهِ شَكِيرُ^(٣)
فَاوَتْ عَلَى عَلَاءٍ حِينَ بَدَا لَهَا * مِنَ الشَّمْسِ قَرْنٌ وَالضَّرِيبُ يَمُورُ^(٤)
تَحَلَّبُ طَرَفًا فِي حِمَايَ مَفَارِجِ * مِنَ الرَّأْسِ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ دُرُورُ^(٥)

ولما قال أبو نواس :

تَقُولُ أَلَيْسَ مِنْ بَيْنِهَا خَفَّ مَرَكَبِي : * عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَزَاكَ نَسِيرُ
أَمَّا دُونَ مَعِيرٍ لَفَنِي مُتَطَلِّبُ ؟ * بَلَى إِنَّ أَسْبَابَ الْفَنَى لَكَثِيرُ
فَقُلْتُ لَهَا وَاسْتَحَبَّتْهَا بَوَادِرُ * جَرَتْ بِحَرَى فِي جَرِينِ حَيْرُ
ذَرِينِي أَكْثَرَ حَاسِدِيكَ بِرَحْلَةٍ * إِلَى بَلَدٍ فِيهِ الْخَصِيبُ أَمِيرُ

قال له الخصب : إذا يكثر حسادها وتبلغ أملها، وأمر له بالف دينار .

(١) انظم : الصديق . (٢) النور : خروج العظم من موضعه أو زواله وفي البيت من سوء التركيب ما فيه ، والتقدير فيه كما ظنرت عقاب لما بارصاع اليدين تدور والريح ساكنة . (٣) أزيب تصغير أزم وهو القروح ذو الرغب أى الریش الحقيق العين . والشكير : الریش أول ما ينبت . (٤) الضريب : الطعج أو الخليلد . ويمور : يلح أو يهيم . ويذهب أو يميل كل وجه الأرض . (٥) الهجاءان متى هجاء وهو العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب . والقنود : ما يذور فى العين من القراء .

وتأما :

إذا لم تَرُزْ أرضَ الخصبِ ركبنا * فأى قى بعد الخصبِ تروا !
 فما جازه جودٌ ولا حلّ دونه * ولكن يصير الجودُ حيث يضير
 قى يشتري حننَ الشتاءِ بماله * ويعلم أن الدائراتِ تكوّرُ
 ولم ترَ عني سُودًا مثلَ سُودِي * يحلُّ أبو نصرٍ به ويسير
 وأطرقَ حَيَاتِ البلادِ حُلِيَّةُ * خَصِيْبَةِ التَّصَمِيمِ حينَ تُسودُ^(١)
 سموت لأهل الجودِ في حالِ أمنهم * فاحضروا وكلُّ في الوثاقِ أسيرُ
 إذا قام غبته على الساقِ حُلِيَّةُ * لما خطوه عند القيامِ قصيرُ
 فمن يك أسي جاهلاً بمِقَالِي * فان أميرَ المؤمنينَ خيرُ^(٢)
 فما زلتَ تُؤليه النصيحةَ يافعا * إلى أن بدا في العارضينَ قصيرُ
 إذا غاله أمرٌ فأما كَفَيْتَهُ * وإما عليه بالكفَاءِ تُشيرُ
 إليك رمت بالقومِ هُوجُ كأنما * بجامها تحت الرّحالِ قبورُ
 رحلن بنا من عَرَقُوفٍ وقد بدا^(٣) * من الصبحِ مفتوقُ الأديمِ شهيدُ
 فما تَجِدُتُ بالماءِ حتى رأيتها * مع الشمسِ في عيني أباحُ تَفُورُ^(٤)
 وعُكْسَرُنَ من ماءِ النقيبِ بَشْرِيَّةُ * وقد حان من ديكِ الصباحِ زَمِيرُ
 وواقينَ إشرافا كأنسَ تَدْمِي * وهنَّ إلى رُعنِ المدخنِ صُورُ^(٥)
 يؤمّنُ أهلُ القُوطِينِ كأنما * لها عند أهلِ القُوطِينِ نُورُ
 وأصبحنَ بالجلولانِ يَرُحْنَنَ صُغْرَهَا * ولم يبق من أجراحهنِ شُطُورُ
 وقاسينَ لَيلادونَ يَسَانَ لم يكده * سَنًا صبيحه للناظرينَ سِيرُ^(٦)
 وأصبحنَ قد فَوَزْنَ من نهرِ فطرسِ * وهنَّ عن البيتِ المقدسِ زُورُ^(٧)

(١) تسود : تلب . (٢) القبير : الشيب . (٣) عرقوف : اسم موضع .

(٤) تجدت : عرقت .

(٥) صور : مائلات . (٦) يرحنن : يكرن . (٧) زور : جمع زوراء بمعنى مائلة .

طوالب بالركبان غرة هاشم • وفي القمرا من حاجن شقور^(١)
ولما أنت فسطاط مصر أجارها • على ركبا أن لا تزال مجير
من القوم بسام كان جينته • سنا الفجر يبري ضوؤه وينير
زها بالخصيب السيف والريح في الوغى • وفي السلم يزهو ينبر وسرير
جواد إذا الأيدي كففت عن الندى • ومن دون عورات النساء خيود
له سلف في الأعجمين كأنهم • إذا استؤذنوا يوم السلام بدور
وإني جدير إذ بلغتك بالمني • وأنت بما آملت منك جدير
فإن تولي منك الجيـل فأهله • وإلا فإني عاذر وشكـور

وقال يمدح العباس بن الفضل بن الربيع وأجاد :

ساد الملوك ثلاثة ما منهم • إن حصلوا إلا أغر قريع
ساد الربيع وساد فضل بعده • وعلت بعباس الكرم فروغ
عباس عباس إذا احتدم الوغى • والفضل فضل والربيع ربيع

وقال يعاتب عمر الوراق :

يا من جفاني وملا • نسبت أهلا وسهلا
ومات مرحبـا • رأيت مالى قلا
إني أظنك تحيى • فيما فعلت القيرى^(٢)
تلقاه في الشر يتأى • وفي الرخا يتدلى

وله في عزة النفس :

ومستعبد إخوانه يثرأه • ليست له كبرا أبر على الكبر
إذا خمتني يوما وإياه تحفل • يرى جاني وعسرا يزيد على الوعر

(١) جمع شقور وهو الأمر الملتصق بالقلب المهم له .

(٢) القزى : كان ملير وكان لا يسمع لأحد شيئا إلا جاء إليه وداحه ولا يطف عن طعام لأحد ، وإذا جمع

بخصومة لم يقرب ذلك ، فصر به المثل حتى قيل ملير من طيور الماء يرق عليه : القزى .

أخالفه في شكله وأجره • على المنطق المبرور والنظر المنزور
وقد زادني تيمًا على الناس أني • أرايَ أغانهم وإن كنتُ ذا فقير
فواقه لا يبيد لسانى بلآجة • الى أحد حتى أُغيب في قبرى
فلا يطمعن في ذاك منى طامع • ولا صاحبُ التاج المحجب في القصر
فلولم أُرث غمرًا لكات صياتي • عن الناس حسبي من سؤالي من القفر
دخل أبو نواس بعد ما نسك على قوم من إخوانه عندهم شرابٌ ومغن، فمضوا عليه
الجلوس فإني، وأخذ الدواة والقرطاس وكتب :

إذا لم تشه نفسك من هواها • وتحسن صوتها فاليك عني
فإني قد شيعتُ من المعاصي • ومن إيمانها وشيعتُ مني
ومن أسوا وأفجع من لبيب • يرى مطلقًا في مثل سفي

ومن شر أبي نواس :

عنى المصل وأقوت الكُتب • مِنى فالمربدان فاللهب
منازل قد عمرتها يفا • حتى بدا في مذارى الشهب
في قبية كالسيوف همهم • شرخ شباب وزاتهم أدب
ثم أراب الزمان فاقسموا • أيدى سبًا في البلاد فانشعروا
لن يخلِف العمر مثلهم أبدا • على هيات شائهم عجب
لما تيقنت أن روحهم • ليس لها ما حيث متقلب
أبليت صبرا لم يئله أحد • واقسمتني مارب شعب
لذلك أتى إذا رزئت أعا • فليس يئني وبينه نسب
فقطربل مربى ولى بقرى ال • كرخ ميعف وأمى العنب
ترضى دَرًا وتلحفنى • بطلها والهجير يتهب
إذا تكته الفصون جلتي • فينان ما في أديمه جرب

(١) القيان : الظل الكثيف، والجرب، أى لاحتل به .

تَبَيَّتْ فِي مَائِمَ حَامِمِهِ • كَمَا تَرَأَى الْفَوَاقِدُ السُّلْبُ
يُهْبُ شَوْقِي وَشَوْقُهُن مَعَا • كَأَنَّمَا يَسْتَحِفُّنَا الطَّرَبُ
فَقَعْتُ أَحْبُوَالِي الرِّضَاعَ كَمَا • تَحَامِلُ الطِّفْلُ مَعَهُ السَّعْبُ
حَتَّى تَخْبِرْتُ بَنَاتَ دَسَكْرَةٍ • قَدْ عَجَمَتْهَا السُّنُونُ وَالْحَقْبُ
هَتَكَتْ عَنْهَا وَاللَّيْلُ مَعْتَكُرٌ • مَهْلَهُلُ النَّسْجِ مَالَهُ هُدْبُ
مَنْ تَسْجُ تَرْقَاهُ لَا تُسَدِّ لَهَا • أُخْيَافُ فِي الرُّقَى وَلَا طُنْبُ
فَمَ تَوَجَّاتُ خَصَرَهَا بِشَبَابِهَا • بِإِثْنَى بَغَاءَاتٍ كَانَتْهَا لَهْبُ
فَاسْتَوَسَّقِ الشَّرْبُ لِلنَّدَامِ وَأَجِدُ • رَاهَا عَلَيْنَا الْمُجِبِّينَ وَالْغَرْبُ
أَقُولُ لِمَا تَحَاكَّ شَيْبَا • أَيْمًا لِلتَّشَابُهِ الذَّهَبُ
هِيَ سَوَاءٌ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمَا • أَنَّهُمَا جَامِدٌ وَمُنْكَسَبُ
مُلْسٌ وَأَمْثَالُهَا عَفْرَةٌ • صُورٌ فِيهَا الْقُسُوسُ وَالصُّلْبُ
يَتَلَوْنَ لِمَجْلِهِمْ وَفَوْقَهُمْ • سَمَاءٌ نَحْمِرُ نَحْمُومُهَا حَبُّ
كَانَتْهَا لَوْلَوْ تَبَدَّدَتْ • أَيْدِي عَدَارَى أَقْفَى بِهَا اللَّعْبُ

ومن جيد شعره قوله لما منعه الأيمن من شرب الخمر، وذلك أن المأمون أمر الخطباء
بخراسان أن يعيَّبوا الأيمن بشعر أبي نواس ويقولوا هو جليسه وتديته وينشدوا على المنابر
شعره، فمنعه الأيمن فقال :

غَنَّا بِالطَّلُولِ كَيْفَ بَلَيْنَا • وَأَسْقَيْنَا نَمِطَكَ النِّشَاءَ النَّمِينَا
مَنْ سُلَافٍ كَأَنَّهُ كُلُّ طَلِيبٍ • يَمُتُّ غَضَبُ أَنْ يَكُونَ
أَكَلَ الدَّهْرُ مَا تَجَسَّمُ مِنْهَا • وَتَبَقَّى لُبَابُهَا الْمَكْنُونَا
ثُمَّ تُجِثُّ فَاسْتَضَحَكَتْ عَنْ لَأَلٍ • لَوْ تَجَمَّرَ فِي يَدٍ لَأَقْتَنِينَا
وَإِذَا مَا لَمَسَتْهَا فَهَيَّاءُ • تَمْنَعُ الْكَفَّ مَا يُرِيغُ الْعُيُونَا

في كؤوس كأنهن نُجُومٌ * جارياتٌ برُوجها أيدينا
 طامعاتٌ من السَّقاءِ علينا * فإذا ما هَرَبْنَ يَسْرُبنَ فينا
 لو ترى الشَّربَ حولما من بعيد * قلتَ قَومٌ من قِيرةٍ يَصْطَلُونَا
 وغرَّ إلٍ يُديرُها بَنَاتُ * ناعِساتٌ يزيدها العُسرُ لِينَا
 ذاكَ عيشٌ لو دام لى غيرِ أُنَى * عِفَّتُهُ مَكْرَهَا وَخِفَّتُ الْأَمِينَا
 أديرُ الكأسَ حانَ أنْ نَسْفِيتَا * وأنْقَرِ المِوَدَّ إنَّه يُلْهِيتَا
 ودَّعِ الذِّكْرَ لِلطَّلُولِ إذا ما * دارتِ الكأسُ بَسْرَةً وَبِمِينَا

ومن قول أبي نواس يمدح العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر :

غرَّدَ الديكُ الصَّدُوحُ * فاسقني طاب الصَّبُوحُ
 اسقني حتى تَرَانِي * حَسَنًا عِنْدِي التَّبِيحُ
 قهوةٌ تَذَكِّرُ نَوْحًا * حينَ شَادَ الفَلَكَ نَوْحُ
 نحنُ نُخَفِّئُهَا وَيَأْتِي * طِيبُ عَرَفٍ فَيُفْجَحُ
 لَكَانَ القَوْمُ نُهْبَى * بَيْنَهُمْ مَسْكٌ ذَبِيحُ
 أَنَا فِي دُنْيَا مِنَ الْعَبَا * مَسْ أَغْدُو وَأَرْوَحُ
 هَاشِمِيُّ قَبْدَلِي * ضَنْدُهُ يَغْلُو المَدِيحُ
 عَلمُ الجُودِ كِتَابٌ * بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَلُوحُ
 كُلُّ جُورٍ يَا أَمِيرِي * مَا خَلَا جُودَكَ رِيحُ
 إِنَّمَا أَنْتَ عَطَايَا * أَبَدًا مَا تَسْتَرِيحُ
 يَجِّ صَوْتُ المَالِ مِمَّا * مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ
 مَا لِهَذَا أَحَدٌ فَو * قَى يَدَيْهِ أَوْ نَصِيحُ
 جُنُدتَ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى * قَبْلَ مَا هَذَا صَحِيحُ
 فَهُوَ بِالمَالِ جَوَادٌ * وَهُوَ بِالْعَرِضِ تَبِيحُ
 صُورَ الجُودِ مِثَالًا * وَلَهُ الْعَبَاسُ رُوحُ

قال محمد بن حُيَينة : لقيت أبا نُؤَاسٍ بِسِكْرِ مُكْرَمٍ قُلْتُ لَهُ : أَحَبُّ أَنْ تَشْدُنِي مِنْ شَعْرِكَ شَيْئًا تَقْضِيَنِي بِهِ عَلَى ضِرَى ، فَأَشْدُنِي :

يَكْفِي الْكَرِيمَ مِنَ الْكَلَا * مَ لِمَنْ يَجَادُهُ أَقْبَلُهُ
وَالشَّيْءُ شَيْءٌ لَمْ يَزَلْ * بِأَدَقِّهِ يَأْتِي أَجَلُهُ
إِنْ لَمْ يُصِيبَكَ مِنَ الْكَرْدِ * سَمِ الْحُرُّ وَابُلُهُ فَطَلُّهُ
يُنْدِي مُحْكَلَرَمَهُ كَمَا * يُبْدِي فِرْقَةَ السَّيْفِ سَلَّهُ
وَالنَّذْلُ يُوقِعُ نَفْسَهُ * مَتَمِّدًا فِيهَا يُبْذَلُهُ
وَالْحَرْ يُكْرِمُ نَفْسَهُ * بِالْمَصْفَعِ عَمَّنْ لَا يُحِيلُهُ

وقال أبو نؤاس يمدح الأمين :

صَبِيتُ عَلَى الْأَمِينِ ثِيَابَ مَدْحِي * فَكُلُّ النَّاسِ حَسَنٌ وَأَسْتَجِدَا
وَلَوْلَا فَضْلُهُ مَا جَادَ شِعْرِي * وَلَا أَعْطَنِي النَّيْفُ الْقِيَادَا
وَقَالُوا قَدْ أَجَدْتَ قُلْتُ إِنْ * وَجَدْتُ الْقَوْلَ يَمَكِّنِي بِفَادَا

ومن نغماته :

ذَكَرَ الصُّبُوحَ بِسُحْرَةٍ فَأَرَاتَا * وَأَمْلَهُ دِيكَ الصَّبَاحِ صَبَا
أَوْقَى عَلَى شَرَفِ الْجِدَارِ بِسُذْفَةٍ * غَرِدَا بِصَفْقِ الْجَنَاحِ جَنَاحَا
فَادِرْ صِبَاحَكَ بِالصُّبُوحِ وَلَا تَكُنْ * كَتُسُوفَيْنِ غَدَوَا عَلَيْكَ شَحَا
إِنَّ الصُّبُوحَ جَلَاءُ كُلِّ حَجَرٍ * بَدَرْتُ يَدَاهُ بِكَاسِهِ الْإِصْبَاحَا
وَحَدِيدِي لَأَنْتِ مَعْلَى صَاحِبٍ * تَقَاتُ مِنْهُ فَكَاهَةٌ وَمَزَا
نَبْهَتُهُ وَاللَّيْلُ مَلْبَسٌ بِهِ * وَأَزَحْتُ عَنْهُ ثَمَّاسَهُ فَأَزَا
قَالَ ابْنُ الْمُبَارِقِ ، قُلْتُ لَهُ أَتَيْدُ * حَسْبِي وَحَسْبُكَ ضَوْكُهَا مَصْبَاحَا
فَسَكَبْتُ مِنْهَا فِي الزَّجَاجَةِ شَرِبَةً * كَانَتْ لَهُ حَقِي الصَّبَاحِ صَبَا

من قهوة جاءك قبل مزاجها • عكلاً فالهسا المزاج وشاحاً
 شك الزال فؤادها فكانها • أهلت اليك برميها مخاحاً
 صفراء تهرس الغوس فلا ترى • منها بين سوى السبات جراحاً
 ومنها :

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند • وأشرب على الورد من حمراء كالورد
 كاساً اذا انحدرت في حلق شاربها • أجنته حمرتها في العين وانحد
 فالنمر ياقوته والكأس لؤلؤة • من كف لؤلؤة مشوقة القد
 نسقيك من طرفها نمرأ ومن يدها • نمرأفا لك من سكرين من بد
 لي نشوان وللندمان واحدة • شيء خيضت به من دونهم وحدي
 كان الأصمى يفضل أبا نواس على شعراء زمانه بهذه القصيدة :

أما ترى الشمس حلت الخلاء • وطاب وقت الزمان واعتدلاً
 وقنت الطير بعد عجمتها • واستوفت النمر حوفاً كلاً
 واكتست الأرض من زخايرها • ونشئ ثياب نخاله حلاً
 فاشرب على جنة الزمان فقد • أصبح وجه الزمان مقبلاً
 من قهوة تلهب المحوم فلا • أربب فيها الملام والعدلاً
 كزخية ترك الطويل من العيد • ش قصيراً وتبسط الأملأ
 تلح لمع السراب في قدح ال • قوم اذا ما حباها اتصالاً
 يقول صرف اذا مزجت له • من لم يكن للكثير محتملاً
 فسق هذا بقدر طاقته • وأحل على ذا بقدر ما احتملاً
 غنماً بشيين من طبائنها • حسني وطيب ترى به المثلاً

كان أبو نواس لا يُستَشَدُّ شيئاً من شعره إلا أشد هذه القصيدة :

وَحَيْمَةَ تَأْطُورُ بِرَأْسِ مُيْنَةٍ * تَهْمُ يَدَا مَنْ رَامَهَا بَزْلِيلٍ ^(١)
 إِذَا عَارَضَتْهَا الشَّمْسُ فَأَهْ ظِلَالُهَا * وَإِنْ وَاجَهَتْهَا أَذْنْتُ بِخُحُولِ
 حَطَلَتْنَا بِهَا الْإِتْمَالُ قُلْ هَجِيرَةٌ ^(٢) * صُورِيَّةٌ تُدَكِّي بِغَيْرِ قِصِيلِ
 تَأْتِي قَلِيلًا شَمَّ فَاهَتْ بِمَذْقَةٍ * مِنَ الظِّلِّ فِي رَثِّ الْأَبَاءِ ضَبِيلِ
 كَأَنَّا لَدَيْهَا بَيْنَ عِطْفَى نَعَامَةٍ * جَفَا زَوْرُهَا عَنِ مَبْرَكٍ وَمَقِيلِ
 حَبِطْتُ لِأَهْوَائِي بِهَا دِرَّةَ الصَّبَا * بِصَبَّاءَ مِنْ مَاءِ الْكُرْمِ تَحْمُولِ
 إِذَا مَا أَنْتَ دُونَ اللَّهِامَةِ مِنَ النِّقَى * دَعَاهُمُ مِنْ صَدْرِهِ بَرَجِيلِ
 فَلَمَّا تَوَقَّى الشَّمْسَ رَجَحْتُ مِنَ الدُّجَى * نَعَابِيْتُ وَأَسْتَجَمَلْتُ غَيْرَ جَمِيلِ
 وَطَاطَيْتُ مِنْ أَهْوَى الْحَدِيثِ كَمَا بَدَا * وَذَلْتُ صَعْبًا كَأَنْ غَيْرَ ذَلِيلِ
 فَفَنَى وَقَدْ وَصَدْتُ يُسْرَى خَدَّهُ * أَلَا رُبَّمَا طَالَبْتُ غَيْرَ مُيْلِ
 وَأَنْزَلْتُ حَاجَتِي بِمَحْقَوَى مُسَاعِدِ * وَإِنْ كَانَ أَدْنَى صَاحِبِ وَخِيلِ
 وَأَصْبَحْتُ أَلْحَى السَّكْرَ وَالسَّكْرَ حَمِيْنِ * أَلَا رَبُّ إِحْسَانٍ عَلَيْكَ تَهْمِيلِ
 كَفَى حَزَنًا أَنْ الْجَوَادَ مَقْتَرٌ * عَلَيْهِ وَلَا مَعْرُوفٌ عِنْدَ تَهْمِيلِ
 سَأْبَغِي النَّقَى إِمَّا جَلِيْسَ خَلِيفَةٍ * يَقُومُ سِوَاهُ أَوْ غَيْفَ مَسِيلِ
 بِكُلِّ نَفَقَى لَا يُسْتَطَارُ جَنَانُهُ * إِذَا نَوَّهَ الرَّحْفَانِ بِاسْمِ قَبِيلِ
 لَتَخْمِسَ مَالَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ * أَيْ بِطَنِيَّةٍ لِلطَّيَّاتِ أَكْثُولِ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ عَوْنٌ عَلَى النَّدَى * وَلَيْسَ جِسَادٌ مَقْتَرٌ كَبْغِيلِ

(١) الباطور : حافظ النخل والكرم والوزع والبارح : الناصر والباطور بالحاء المهملة حافظ الزرع ، من كلام أهل البوادى وليس برحى محض . (٢) الزليل مصدر كالزلى . (٣) أى منزى هاجرة ، وهجورية نسبها إلى الشعرى المبرور وأيام طلوعها أيام الحر الشديد . (٤) أى توقفت فى الجوع عند زوالها . وقامت بملة ، أى دخلت عليهم من تلك الخليفة الخلفة التى ثبتت على الأبناء الصغيف من القصب الرث فلم تقو الشمس وطولهم لم تمنهم الحيرة بستر قوى يصير ملا وكله شمس وظل ، فشبت بالغدوق من الين ، أى الفروج .

فإن استريد أنشد هذه القصيدة الأخرى :

كان الشباب مطية الجهل * وعسن الضحكات والمزحل
 كان الجمال إذا أريدت به * ومشيت أخطر صيت النمل
 كان البالغ إذا نطق به * وأصاحت الآذان للملي
 كان المشقع في مآربه * عند الفتاة ومدرك التبلي
 والامري حتى إذا عزمت * فقي أعان يدي بالفعل
 فالآن صرت إلى مقاربة * وحططت عن ظهر الصبار حلي
 والراح أهواها وإن رزأت * بلغ الماش وقلت فضل
 صفراء مجدها مرازبها * جلت عن النظر والمثيل
 فخرت لآدم قبل خلقه * فقتلته بخطوة القبيل
 فأتاك شيء لا تلاميسه * إلا بحسن غير ذرة العقل
 فترود منها العين في بئر * حر الصفيحة ناصع سهل
 فإذا علاها الماء ألبسها * حياء شية جلاجل الجبل
 حتى إذا سكنت جوائعها * خطت بمنزل أكارع الثمل
 خطين من شئ وجمع * ففيل من الإعجام والشكل
 فاعذر أخاك فإنه رجل * مرث ممامه على العذل

ومن طيب شعره، والشرط الأول من القصيدة لفظ ابن الدمينه :

أعاذل ما على وجهي قسوم * ولا عرضي لأول من يسوم
 يفتني على الفتان ألى * أبيت فلا ألام ولا ألوم
 أعاذل إن يكن برداي رثا * فلا يملكك بينهما كريم
 شفتت من الصبا واشتق مني * كما اشتقت من الكرم الكروم
 فليست أسوم للذات فقي * مياومة كما دفع الغريم

ومتصلٍ بأسباب المعالي * له في حكل مكرمة قديم
 رفعت له النداء بقم تغلعا * وقد أخذت مطالعها النجوم
 بتقسية تزال النفس فيها * وتحنن الحسولة والعموم
 فقام وقت من أخوين حابا * على طرب وليلها يسيم
 أجز الزق وهو يحتر رجلا * يحور به الناس ويستقيم
 سئل الثمان ما أولته منها * وسلها ما احتوى منها الكريم
 كلا الشخصين متصف ولكن * قضت وطرا وذا منها سقيم

وقال :

أني صرفت الهوى الى قبر * لم تبخله البيوت بالنظر
 اذا تأملته تماظلك آل * باقرار أنه من الهدير

ومن قوله :

يا شقيق الغيس من حكم * نمت عن يسلى ولم أنم
 فأنقني البكر التي آخمرت * بخمار الشيب في الرحم
 نمت أنصات الشاب لها * بعد ما جازت مدى الحرم
 فهي لليوم التي بزلت * وهي رب البهر في القدم
 عفت حتى لو اتصلت * بلسان ناطق وقم
 لا حبت في القوم مائلة * ثم قصت قصة الأمم
 فرعتها بالمزاج يد * خلقت للسيف والقلم
 في تدامى سادة زهر * أخذوا اللذات من أعم
 فتمشت في مفاصلهم * كتمشى البره في السقم
 فعلت في البيت اذ مزجت * مثل فعل المصباح في القلم
 فاحتدى سارى الظلام بها * كاحتداء السقر بالعلم

ومن طَرْدِيَّاتِ أَبِي نَوَاسٍ فِي صِفَةِ الْكَلْبِ :

أَمْتُ كَلْبًا أَهْلُهُ مِنْ كَدَّةٍ * قَدْ سَعِدْتُ جُدُوهُمْ بِمَحَدَّةٍ
فَكُلَّ خَيْرٍ عِنْدَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ * وَكُلَّ رِفْدٍ نَالَهُمْ مِنْ رِفْدِهِ
يُظَلُّ مَوْلَاهُ لَهُ كَعَبْدِهِ * يَبْتَئُ أَذَى صَاحِبٍ مِنْ مَهْنِهِ
وَإِنْ عَمِيَ جِلَالُهُ بِبَرْئِهِ * فَأُفْرُوْةٌ حَجَلًا بِرِزْدِهِ
تَلَذُّ مِنْهُ الْعَيْنُ حَسَنَ قَدِّهِ * يَا حُسْنَ شِدْقِهِ وَطَوَّلَ قَدِّهِ
تَلَقَّى الظَّبَاءُ عَتَا مِنْ طَرْدِهِ * يَشْرَبُ كَأَمَّا شُدُّهَا مِنْ شَدِّهِ
* يَا لَكَ مِنْ كَلْبٍ نَسِيجَ وَحِيدِهِ *

أَبُو نَوَاسٍ وَجَنَانُ

قال أبو الفرج : كانت جَنَانُ هذه جارية آلِ عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ، وكانت حلوة جميلة المنظر أدبية ، ويقال : إن أبا نواس لم يَصْدُقْ في حبِّ امرأةٍ غيرها ، وقيل له يوما إن جنانَ قد عزمْتُ على الحج ، فكان هذا سببَ حجه وقال : أما والله لا يهوتني المسيرُ معها والحجُّ طامي هذا إن أقامت على عزيمتها ، وقال وقد حج وطاد :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَفْنَيْتُ عَمْرِي * بِمَطْلِبِهَا وَمَطْلِبُهَا عَسِيرُ
فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ سَبِيلًا إِلَيْهَا * يَقْرُبُنِي وَأَعْيَتُنِي الْأُمُورُ
حَجَجْتُ وَقُلْتُ قَدْ حَجَّجْتُ جَنَانُ * فَيَجْمَعُنِي وَإِيَّاهَا الْمَسِيرُ

قال مَنْ شَهِدَهُ حِينَ حَجَّ مَعَ جَنَانٍ وَقَدْ أَحْرَمَ : لَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ جَمَلَ إِلَيْهَا بِشَعْرِهَا وَيَحْتَوِبُهُ وَيَطْرَبُ ، فَفَتَى بِهِ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ :

إِنَّمَا مَا أَعْدَلْتُكَ * مَيْلَكَ كُلُّ مَنْ مَلَكَ
لَيْسَ قَدْ لَيْتُ لَكَ * لَيْسَ إِنْ الْحَمْدَ لَكَ
وَالْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ * وَاللَّيْلُ لَمَّا أَنْ حَلَّكَ

والساجدات في الفلك * على مجاري المثلث
 ما خاب عبد أملك * أنت له حيث ملك
 لولاك يا رب ملك * كل نبى وملك
 وكل من أهل لك * سج أو لى فلك
 يا غطط ما أغضك * عجل وبادر أجلك
 واختم بخير عملك * لىك ان الملك لك
 والحمد والنعمة لك * والمزلا شريك لك

وفى يقول :

جئن عيني قد كاديس * نقط من طول ما اختاج
 وفؤادى من حرج * بك والمجير قد فزع
 خبرني فديك قد * سى وأهل منى الفرج
 كان ميعادنا نعو * ج زياد قد خرج
 أنت من قتل عايد * بك فى أضيق الحرج

قال الأصفهاني : قال محمد بن ابراهيم بن كثير الصوفى : دخلنا على أبى نواس فعُوده
 فى علته التى مات فيها ، فقال له على بن صالح الهاشمى : يا أبى على ، أنت فى أول يوم من أيام
 الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ، وبينك وبين الله عز وجل هنأت ، فُتِبَ الى الله عز وجل ،
 فبكى ساعة ثم قال : سائِدُونى سائِدُونى ، ثم قال : أَلْأَخَوْفُ بالله عز وجل وقد حدثنى حماد
 ابن مسلم عن زيد الرقائشى عن أنيس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « لكل نبى شفاعَةٌ وإنى اختبأتُ شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى يومَ القيامة » أفتراى
 لا أكونُ منهم ؟

ومن قوله في مرض موته :

دَبَّ فِي السَّعَامِ عُلُوًّا وَسُفْلًا * وَأَرَانِي أَمُوتُ عُضُوزًا فُعُضُوزًا
لَيْسَ تَمِضُ مِنْ لَحْظَةٍ بِي إِلَّا * تَقْصِنِي بِمَرِّهَا فِي بَرْزَا
نَهَبْتُ جِدَّتِي بِحَاجَةِ قَمِي * وَتَطْلُبُ طَاعَةَ اللَّهِ يَنْصُوا
لَهْفَ قَمِي عَلَى لَيْلٍ وَأَيَا * مِمْجَاوِزُهُنَّ لِبَا وَلَقُوا
قَدْ أَسَاكَ كُلَّ الْإِسَاءَةِ فَالَا * هُمْ صَفَحَا عَنَا وَغَفَرَا وَغَفَرَا

ثم قال :

يَشْرَحُ أَتَاكَ مِنْ لَفْظٍ تَمَيَّتِ * صَارِيَيْنِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَقَفَا
قَدْ بَرَّثَ جَسَدَهُ الْحَوَادِثُ حَتَّى * كَادَ عَنْ عَيْنِ الْخِلَاقِ يَتَحَقَّى
لَوْ تَأَمَّلْتَنِي تُبَيِّرَ وَجْهِي * لَمْ يَنْ مِنْ كِتَابِ وَجْهِي حَقَّا
وَلَكَّرَزْتَ طَرَفَ حَيْلِكَ فِيمَنْ * قَدْ بَرَاهَ السَّعَامُ حَتَّى تَعْنَى

وكان عمر أبي نواس تسعا وخمسين سنة ، وكانت ولأئذ قبل دخول المأمون مدينة

السلام بست سنين (سنة ١٩٨) .

٢ - العتّابي^(١)

قال أحمد بن سهل: تذاكرنا شعر العتّابي فقال بعضنا: فيه تكلف، ونصره بعضنا.

فقال: شيخ حاضر، ويحكم! أيّ حال إن في شعره تكلفا وهو القائل:

رُسِّلَ الضمير اليك تترى * بالشوق ظالمة وحسرى
مترجّبات^(٢) ما يلد * نَعل الوِجَانِ بعد مَصرى
ما جفّ للعينين به * ملك يا قير العين جمرى
فاسلم سلّمت مبرا * من صَبُونِ أبدا مَصرى

(١) هو كُتُوم بن عمرو بن أيوب العتّابي التميمي من ولد حناب بن أسيد ثم من بني قُتَيْب بن وائل، شاعر مترسل بلغ مبلغ مصروف في فنون الشعر مقدم، من شعراء الدولة الباسية، وكان منقطعا إلى اليرامكة فوصفه الفرشيد ووصلوه به، فبلغ عنده كل مبلغ وعظمت فوائده منه.

وكان حسن الاختلاف في شعره ورسائله وله مصنفات في المنطق والأدب واللغة وكان يقيم في رأس عين بيسدا من دور الخلفاء والأمراء. وبلغ الرشيد قصيدة قالها فأعجب بها فطلب إحصاءه إليه بغاء وعابه ليس غليظ وفروة ونخف، وهل كلفه ملحمة جالية بغير سراويل، فلما رجع الأخير بقدمه إلى الرشيد أمر بأن تفرش له بجرة وتقام له وظيفة ففعلوا، فكانت المائدة إذا قدمت إليه أخذ منها رقاقة وعلما وحلطا للمحرمات فأكلمها، فإذا كان وقت النوم قام حل الأرض، والخدم يتفقدونه ويتسعون من فعله. وسأل الرشيد عنه فأخبروه بأمر بطرده فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد البجلي وهو في منزله فسلم عليه واتسب له مرحب به وقال له «ارتفع» فقال «لم آتكم لملوس» قال «فما حاجتك» قال «دابة أبلغ عليها إلى رأس عين» فقال «يا غلام» أعطه الفرس الفلاني فقال: لا حاجة لي في ذلك ولكن تأمر أن تشتري لي دابة أتبلغ عليها فقال لعلام «أعني مع فانيح له ما يريد» ففنى مع فانيح له العتّابي بل سوق الأخير فقال للعلام: إنما أمرني أن ابتاع لك دابة فقال له: أنه أرسلك معي ولم يرسلني معك فأن عملت ما تريد والآن انصرف ففنى مع ما شترى حارًا بائة وخمسين درهما وقال: ادفع إليه ثمنه فدفعه إليه فرك الحمار عبرا يجره عليه ويردعه وساقاه مكشوفتان فقال له يحيى بن سعيد «ضحكي! أمتلئ يحمل ملكك على هذا!» ضحك وقال «ما رأيت قنودك يستوجب أكثر من ذلك» وصلى إلى رأس عين.

توفي سنة ٢٢٠ هـ وتجد أحباره في الأغاني (ج ١٢ ص ٢) وروايت الوفيات (ح ٢ ص ١٣٧).

(٢) أي منبيلات بالقليل حتى يصل إلى اليك.

إِنَّ الصَّبَابَةَ لَمْ تَدْعُ * مَنَى سَوَى عَظِيمٍ مُبَرَّى
وَمَدَامِ عَبَّرَى عَلَى * كَيْدِ عَيْلِكَ الدَّعَرِ حَرَّى

أَوْ يُقَالُ إِنَّهُ مُتَكَافٍ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

فَلَوْ كَانَ لِلشَّكْرِ خُصْمٌ بَيْنَ * إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاضِرُ
لَمُنْعُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ * لَتَعْلَمَ أَيُّ أَمْرٍ شَاكِرُ

وَيَحَدِّثُ الرَّشِيدُ عَلَى الْعَتَابِيِّ فَيَدْخُلُ سِرَاعَ الْمُتَطَلِّمِينَ بِغَيْرِ إِذْنٍ ، فَيَقْتُلُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ وَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ آذَنِي النَّاسُ لَكَ وَلِنُضَى فَيْكَ ، وَرَدَّقَنِي أَبْتِلَاؤُهُمْ إِلَى شُكْرِكَ ، وَمَا مَعَ تَذَكُّرِكَ قِنَاعَةَ بَغِيرِكَ ، وَلَيْتِمُ الصَّائِرُ لِنُضَى كُنْتُ لَوْ أَعَانِي طَيْكَ الصَّبْرُ ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :

أَخْضَفَنِي الْمَقَامَ الْفَمْرَانِ كَانَ فَرَنِي * مَنَا خُلَيْبٍ أَوْزَلَتْ الْقَدَمَانِ
أَتَرَكْنِي جَذَبَ الْمَيْشَةِ مُقْتَرَا * وَكَفَّكَ مِنْ مَاءِ النَّدَى يَكْفَانِ
وَيَجْعَلُنِي سَهْمَ الْمَطَامِعِ بِمَدَا * بَلَّغْتَ يَمِينِي بِالنَّدَى وَلِسَانِي

فَانجَبَ الرَّشِيدُ قَوْلُهُ ، وَنَحَرَ وَطِيَهُ انْخَلَعَ ، وَقَدْ أَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ .

كَلَّمَ الْعَتَابِيُّ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ فِي حَاجَةِ بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى : لَقَدْ زُرَّ كَلَامُكَ الْيَوْمَ وَقُلْ ، فَقَالَ لَهُ : وَكَيْفَ لَا يَقُلْ وَقَدْ تَكْتَفِي ذَلَّ الْمَسْأَلَةُ وَحَبْرَةُ الطَّلَبِ وَخَوْفُ الرَّدِّ ؟ فَقَالَ : وَانْهَ لَنْ قُلْ كَلَامُكَ لَقَدْ كَثُرَتْ فَوَائِدُهُ ، وَقَفَّيْ حَاجَتَهُ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدِ الْبَرِمَكِيِّ لَوْلَهُ : إِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَكْتَبُوا أَنْفَاسَ كُلِّ نَفْسٍ بَنَ عَمْرُو الْعَتَابِيُّ فَضْلًا عَنْ رِسَالَتِهِ وَشِعْرِهِ ، فَلَنْ تَرَوْا أَبَدًا مِثْلَهُ .

وَقَفَّ الْعَتَابِيُّ بِيَابِ الْمَأْمُونِ يَلْتَمِسُ الْوَصُولَ إِلَيْهِ ، فَصَادَفَ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمٍ جَالِسًا يَنْتَظِرُ الْإِذْنَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَيْتُ أَعَزَّكَ اللَّهُ أَنْ تَذْكُرَ أَمْرِي لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دَخَلْتَ فَاضِلَ ، قَالَ لَهُ : لَسْتُ أَعَزَّكَ اللَّهُ بِحَاجَتِهِ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَاجِبًا فَقَدْ يَفْعَلُ مِثْلُكَ مَا سَأَلْتُ ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ زَكَاةً ، وَجَعَلَ زَكَاةَ الْمَالِ رِفْقَ الْمُسْتَعِينِ ، وَزَكَاةَ الْجَاهِ إِفَاطَةُ الْمَلُوفِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَقْبِلٌ عَلَيْكَ بِالْزِيَادَةِ إِنْ شَكَرْتَ ، أَوِ التَّخْفِيرَ إِنْ كَفَرْتَ .

وإني لك اليوم أصلح منك لنفسك، لأنني أدعوك إلى آزيد نعمتك وأنت تأتي، فقال له يحيى: أقبل وكرامة، ونخرج الإذن ليحيى، فلما دخل لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن استأذن المأمون للتأبى، فأذن له .

وقيل له : لو تزوجت، فقال : إني وجدت مكابدة البقرة أيسر علي من الاحتيال لمصلحة العيال .

قال دحبل : ما حسدت أحدا قط على شر كما حسدت التأبى على قوله :

هَيْبَةُ الْإِخْوَانِ قَاطِعَةٌ • لَأَنْتِ الْحَاجَاتُ عَنْ طَلْبِهِ

فَإِذَا مَا هَيْبَتْ ذَا أَمَلٍ • مَاتَ مَا أَمَلَتْ مِنْ مَسْئَلِهِ

كان التأبى جالسا ذات يوم ينظر في كتاب، فتربه بعض جيرانه، فقال : أيش ينفع العلم والأدب من لا مال له ؟ فأنشد التأبى قوله :

يَا قَاتِلَ اللَّهِ أَقْوَامًا إِذَا تَخَفُوا • ذَا اللَّبِّ يَنْظُرُ فِي الْأَدَابِ وَالْحِكَمِ

قَالُوا وَلَيْسَ بِهِمْ إِلَّا تَفَاسُتُهُ^(١) • أَتَأْنَعُ ذَا مِنْ الْإِحْقَارِ وَالْعُسْمِ

وَلَيْسَ يَدْرُونَ مَا الْحَقُّ الَّذِي حُرِّمُوا • — لِحَالِمِ اللَّهِ — مِنْ مِلْمٍ وَمِنْ فَوَاحِشِ

ومن قوله أيضا :

لَنْ تَكُنْتَ الدُّنْيَا أَتَانَتْكَ ثَرْوَةٌ • فَأَصْبَحْتَ ذَا يُسْرِ وَقَدِ كُنْتَ ذَا حُسْرِ

لَقَدْ كَشَفَ الْإِثْرَاءُ مِنْكَ عَجَازًا • مِنْ الْكُلُومِ كَانَتْ تَحْتَ سِتْرِ مِنَ الْفَقْرِ

وقال أيضا :

رَحَلَ الرَّجَاءُ إِلَيْكَ مَغْتَرِبًا • حُشِنَتْ عَلَيْهِ نَوَائِبُ الدَّهْرِ

رَدَّتْ إِلَيْكَ قَدَامِي أَسْمَلِ • وَشَا إِلَيْكَ عَيْنَانِ شَكْرِي

وَجَعَلْتُ حَبْلَكَ عَقَبَ مَوْعِظَةٍ • وَرَجَاءَ عَفْوِكَ مَتْنِي أَسْمَلِ

لما سمى منصور الأثرى بالتأبى إلى الرشيد أغتاض عليه فطلبه، فستره جعفر بن يحيى

عنه مائة وجعل يستعطفه عليه حتى استل ما في نفسه وأمنه، فقال يمدح جعفر بن يحيى :

ما زلتُ في غمرات الموت مُطرحًا • قد ضاق عني فسحُ الأرض من حيل
ولم تزل دائباً تسعى بلفك لي • حتى أختلست حياتي من يدَي أَجَل
عاد عبد الله بن طاهر وإسحاق بن إبراهيم بن مُصعب كلثوم بن عمرو العتّابي في علة
أهملها، فقال الناس : هذه خُطرة خَطَرَتْ ، فبلغ ذلك العتّابي ، فكتب الى عبد الله بن
طاهر :

قالوا الزيادة خُطرة خَطَرَتْ • ويحارُّ رِثكِ ليس بالتَطَرُّ
أهْلُ مَقَاتِلِهِمْ بِثَانِيَةِ • تَسْتَعِدُّ المَعْرُوفَ مِنْ شَكْرِ
فلما بلغت أبياتهُ عبد الله بن طاهر ضحك من قوله وركب هو وإسحاق فعاداه مرة
ثانية .

كانت له امرأة من باهلة، فلما مضى الى رأس عين قالت له : هذا منصور الثّرى ؛
قد أخذ الأموال حتى نساءه وبني داره وأشتري ضياعاً وأنت ههنا كما ترى ، فأنشأ يقول :
تلوم علي ترك النّبي باهليّة • ذوى الفقر عنها كلّ طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرقلن في الثرى • مقلّدة أعناقها بالقلائد
أسرّك أنى نلتُ ما نال جعفر • من العيش أو ما نال يحيى بن خالد
وأنف أمير المؤمنين أغصني • مفصهما بالمرهفات البوارد
رايتُ رقيعات الامور مشوبة • بمستودعات في بطون الأسود
دعني تَجَنّبي مَبِيتي مطمئنة • ولم اتجشّم هوَلُ تلك الموارد

لما قديم العتّابي مدينة السلام على المأمون أذن له ، فدخل عليه وعنده إسحاق بن إبراهيم
الموصلى ، وكان العتّابي شيخاً جليلاً نبلاً ، فلم فردّ عليه وأدناه وقربه حتى قُرب منه ، فقبل
يده ، ثم أمره بالخلوص بقلس ، وأقبل عليه يسأله عن حاله وهو يحببه بلسان دُلّقى طُلّقى ،
فاستظرف المأمون ذلك وأقبل عليه بالمداخبة والمزاح ، فظن الشيخ أنه استخف به ، فقال :
يا أمير المؤمنين ، الإبتاس قبل الإبتاس ، فاشتبه على المأمون قوله ، فنظر الى إسحاق مستغهما ،
(١)

فأومأ إليه وعظمه على معناه حتى فهم، فقال: يا غلام، ألف دينار، فأني بذلك، فوضع بين يدي العتابي وأخذوا في الحديث، وعجز المأمونُ إسماعق بن إبراهيم عليه، بفصل العتابي لا يأخذ في شيء إلا عارضه إسماعق، فبقى العتابي متعجبا، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أأفذل في سؤال هذا الشيخ عن اسمه؟ قال: نعم سَلْ، فقال لإسماعق يا شيخ، من أنت وما اسمك؟ قال: أنا من الناس وأسمي كُلُّ بَصَلٍ، فهمم العتابي وقال: أما أنتَ فمعروف وأما الاسم فمُنكر، فقال إسماعق: ما أقلُ إنصافك! أُنكر أن يكون اسمي كل بصل، واسمك كلثوم، وكلثوم من الأسماء، أوليس البصل أطيب من الثوم؟ فقال له العتابي: لله ذلك! فما أُجَبَك، أأفذل لي يا أمير المؤمنين في أن أصله بما وصلتني به؟ فقال المأمون: بل ذلك موَفَّرٌ عليك وثأمر له بمثله: فقال له إسماعق: أما إذ أقررت بهذه خوقمتني بجدني، فقال: ما أظنك إلا إسماعق الموصلي الذي يَنفُثُ الينا خبره، قال: أنا حيثُ ظننت، وأقبل طيه بالتحية والسلام، فقال المأمون — وقد طال الحديث بينهما —: أما إذ قد اتفقتما على المودة فانصيرفا متتاديين، فانصرف العتابي الى منزل إسماعق فأقام عنده.

قال عثمان الوراق: رأيت العتابي يأكل خبزا على الطريق بباب الشام، فقلت له: وَيَحْك! أما تستحي؟ فقال لي: أرايت لو كنا في دار بها بقر كنت تستحي وتحشم أن تأكل وهي تراك؟ فقال: لا، قال: فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر، فقام فوَعَضَ وقَصَّ ودعا حتى كثر الزحام عليه ثم قال لهم: روي لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبة أنه لم يدخل النار، فما بقي أحد إلا أنخرج لسانه يومئذ به نحو أرنبة أنه ويقدره حتى يباينها أم لا، فلما تفزعوا قال لي العتابي: ألم أخبرك أنهم بقر؟

قال الفضل: رأيت العتابي بين يدي المأمون وقد أسَّ، فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده واعتمد الشيخ على المأمون، فإزال المأمون يَنْهَضُه رويدا رويدا حتى أقبله فنهَضَ.

وكتب كثوم بن عمرو العنابي الى صديق له يستجديه :

أما بعد - أطل الله بقاءك وجعله يمتد بك الى رضوانه والجنة - فإنك كنت
عندنا روضة من رياض الكرم، تنبع النور بها، وتستريح القلوب اليها، وكنا نغنيها
من النجمة^(١) استئاما لزهرتها، وشفقة على خضرتها، وأذخارا لثمرتها، حتى أصابتنا سنة
كانت حندي قطعة من ميني يوسف أشند علينا كلبها، وغابت قطتها، وكذبنا غيومها،
وأخفنا بروقها، وقدنا صالح الإخوان فيها، فاتحصنك^(٢). وأنا بالتجاعي إياك شديد الشفقة
عليك، مع علمي بأنك موضع الرائد^(٣)، وأنت تغلى عين الحاسد. والله يعلم أني ما أصدك
إلا في حومة الأهل^(٤). وأعلم أن الكريم اذا استحيا من إعطاء القليل ولم يمكنه الكثير،
لم يعرف جوده ولم تظهر منه. وأنا أقول في ذلك :

إذا تكومت عن بلل القليل ولم * تحيد على سعة لم يظهر الجود

بث النوال ولا تمنك قلته * فكل ما صدقنا فهو محمود

قبل فشاطره جميع ماله .

(١) النجمة : طلب الكلاء في موضعه . (٢) الكلب : القبط وبلاء الشتاء ومرض يصيب
الكلاب . (٣) الرائد : الطالب . (٤) الحومة ها : الجماعة والطائفة .

۳ - دغیر (۱)

شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من وزراءهم ولا أولادهم ولا ذريته أحسن إليه أم لم يُحسن، ولا أظن منه كبيراً أو صغيراً.

وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالليل الى على صلوات الله عليه . وقصيدته : «مدارس
آيات خلت من تلاوة» من أحسن الشعر وفان المدائح المَقُولَة في أهل البيت عليهم السلام ،
وقصد بها أبا علي بن موسى الرضا بخراسان ، فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة
باسمه وخلع عليه خلعة من ثيابه ، فأعطاه بها أهل قُم ثلاثين ألف درهم ، فلم يَحبها فقطعوا
عليه الطريق فأخذوها ، فقال لهم : إنها إنما تُراد لله عز وجل وهي عزمة عليكم ، فدفعوها اليه
ثلاثين ألف درهم ، فحلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون في كفته ، فأعطوه فردَّهم ،
فكان من أكفانه .

قال إبراهيم بن المهدي لأمون قولا في دجل يحترضه عليه ؛ فضحك المأمون وقال :
إنما تحترضني عليه لقوله فك :

يا معشر الأجناد لا تقنطوا • وأرضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تُعْطَوْنَ حَنِينَةً^(٢) • يَتَذَكَّرُ الْأَمْرَدُ وَالْأَثَمُ
وَالْمُعْبِدَاتِ لِقُودِكُمْ • لا تدخل الكيس ولا تُربط
وهكذا رَزَقَ قُودَهُ • خَلِيفَةُ مُصْحَفِ الْبَرَبِطِ

(١) هو دعل بن علي بن رزين من خراة، أصله الكوفة وجاء بغداد بطلب من الرشيد . وهو شاعر مطيع عجا، حيث السان، لم يسلمه أحد من الخلفاء ولا فزادتهم ولا أولادهم ولا ذرية أئمة حسن إليه أو لم يحسن، ولا أظف له كبير أو صغير . فكان الدرس يحفظونه ويتقونه حتى أنما يكون منه بجاه بجاه شديدا واحتمل ذلك منه . توفي سنة ٢٤٩ هـ . وتجد أخباره في الأغانى ج ١٨ ص ٢٩ وأن خلكان ج ١ ص ١٧٨ والشعر والشعراء .

(٢) يريد أصواتا منسوبة إلى حنين الجوى المنفى .

(٣) يريد أصواتا منسوبة إلى عبد المنفى .

قَدْ حَقَّ الصَّكُّ بِأَرْزَاقِكُمْ • وَصَحَّ الْعَزَمُ فَلَا تَسْخَطُوا
بَيْعَةَ إِبْرَاهِيمَ مَشْغُومَةً • يُقْتَلُ فِيهَا الْخَلْقُ أَوْ يُقْحَطُوا

فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : فَقَدْ وَاقَهُ هَاجَكَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَقَالَ : دَعْ هَذَا عَنْكَ فَقَدْ صَفَوْتَ عَنْهُ فِي هَاجَائِهِ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ هَذَا، وَصَحَّكَ • ثُمَّ دَخَلَ أَبُو عِبَادَ، فَلَمَّا رَأَى الْمَأْمُونَ مِنْ بَعْدِ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ : دَعْبِلْ يَحْسِرْ عَلَى أَبِي عِبَادَ فِي الْهَجَاءِ وَيُحْجِمُ عَنْ أَحَدٍ ! فَقَالَ لَهُ : وَكَأَنَّ أَبَا عِبَادَ أَسْطُ بَدَا مِنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ : لَا ! وَلَكِنَّهُ حَدِيدٌ جَاهِلٌ لَا يُؤْمِنُ، وَأَنَا أَحْمُ وَأَصْفَحُ، وَاقَهُ مَا رَأَيْتُ أَبَا عِبَادَ مَقْبِلًا إِلَّا أَصْحَكُنِي قَوْلُ دَعْبِلِ فِيهِ :

أَوَّلَى الْأُمُورِ بَقِيْعَةُ وَفَسَادُ • أَمْرٌ يَذْبُرُهُ أَبُو عِبَادَ
نَعْرِقٌ عَلَى جُلَسَاءِهِ فَكَانَهُمْ • حَضَرُوا اللَّحْمَةَ وَيَوْمَ جِلَادِ
يَسْطُو عَلَى كِتَابِهِ بِدَوَاتِهِ • تَقْضَمُخُ بِدَمٍ وَتَضْحِكُ بِمَدَادِ
وَكَاثِهِ مِنْ دَيْرٍ هِرَقْلٍ مُثَلَّتْ • حَرْدٌ يَمُوتُ سِلَاسِلُ الْأَقْيَادِ
فَاشْدُدْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَاقَهُ • فَاصْحُ مِنْهُ بِقِيَةِ الْحَدَادِ
وَكَانَ «بَقِيْعَةُ» هَذَا مَجْنُونًا فِي الْبَهَارِ اسْتَانَ .

قَالَ أَبُو خَالِدٍ الْخَزَاعِيُّ لِدَعْبِلِ : وَيْحَكَ ! قَدْ هَجَوْتَ الْخُلَفَاءَ وَالْوُزَرَءَ وَالْقَوَادِ وَوَرَّتَ النَّاسُ جَمِيعًا، فَأَنْتَ دَهْرَكَ كُلَّهُ شَرُّ طَرِيدٍ هَارِبٍ خَائِفٍ، فَلَوْ كَفَفْتَ عَنْ هَذَا وَمَصْرَفْتَ هَذَا الشَّرَّ عَنْ نَفْسِكَ ! قَالَ : وَيْحَكَ ! إِنِّي نَامَلْتُ مَا تَقُولُ فَوَجَدْتُ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُنْتَفِعُ بِهِمْ إِلَّا عَلَى الرَّهْبَةِ، وَلَا يَبَالِي الشَّاعِرُ وَإِنْ كَانَ مُجِيدًا إِذَا لَمْ يُخَفَّ شَرُّهُ، وَلَنْ يَتَّقِيكَ عَلَى مَرَضِهِ أَكْثَرُ مَنْ يَرْغِبُ إِلَيْكَ فِي تَشْرِيفِهِ، وَعَيُوبُ النَّاسِ أَكْثَرُ مِنْ مَحَاسِنِهِمْ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ شَرَّفَتْهُ شَرَفٌ، وَلَا كُلُّ مَنْ وَصَفَتْهُ بِالْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالشَّجَاعَةِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِيهِ أَنْتَفَعُ بِقَوْلِكَ، فَإِذَا رَأَيْتَ أَوْجَعْتَ عَرَضَ غَيْرِهِ وَفَضَحْتَ آثَمَكَ وَخَافَ مِنْ مِثْلِ مَا جَرَى عَلَى الْآخَرِ، وَيْحَكَ يَا أَبَا خَالِدٍ ! إِنَّ الْهَجَاءَ الْمَقْدَحَ آخَذُ بَضِيْعُ الشَّاعِرِ مِنَ الْمَدِيحِ الْمَضْرَعِ، فَضَحَكَ أَبُو خَالِدٍ وَقَالَ : هَذَا وَاقَهُ مَقَالَ مَنْ لَا يَمُوتُ حَتَّى أَنْفِهِ .

كان سببُ خروج دجبل من الكوفة أنه كان يَشْطُر ويصحب الشطار، فخرج هو ورجل من أخصب فيما بين المشاء والسَّنة، بغلسا على طريق رجل من الصَّيارفة، وكان يروح كل ليلة بكيسه الى منزله، فلما طلع مقيلا اليهما وثبا اليه بفرحاه وأخذاهما في عُقَّة، فلذا هي ثلاث رُمَّانات في نِرقَة، ولم يكن كيسه ليلتذ معه، ومات الرجل مكانه، وأسترد دجبل وصاحبه وجَدَ أولياء الرجل في طلبهما وجَدَ السلطان في ذلك، فطال على دجبل الاستتار فاضطر الى أن هرب من الكوفة، فلما دخلها حتى لم يبق من أولياء الرجل أحد.

قال أحمد بن خالد: كذا يوما بدار صالح بن علي من عبد القيس ببغداد ومنا جماعة من أصحابنا، فسقط على سطح البيت ديك طار من دار دجبل، فلما رأيناه قلنا: هذا صَيِّدنا، فأخذناه، فقال صالح: ما تصنع به؟ قلنا: نذبحه، فنحنناه وشويناه. وخرج دجبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح، فطلبه منا لمجدهناه وشربنا يومنا، فلما كان من الفد خرج دجبل فصلَّى الغداة ثم جلس على باب المسجد—وكان ذلك المسجد مجتمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء ويتأهبهم الناس—فجلس دجبل على باب المسجد وقال:

أَسْرَ الْمُؤَذِّنَ صَالِحٌ وَضِيؤُهُ = أَسْرَ الْكَيِّ هَقَا خِلَالِ الْمَاقِطِ

بَعَثُوا عَلَيْهِ بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ = مِنْ بَيْنِ نَافِثَةٍ وَآخِرِ سَامِطِ

يَنْتَازِعُونَ كَانَهُمْ قَدْ أَوْتَهُوا = خَاقَانُ أَوْ هَزَمُوا قِبَالَ نَاعِطِ^(١)

نَهَشُوهُ فَأَنْتَرَتْ لَهُ أَسْنَانُهُمْ = وَتَهَشَّمَتْ أَفْقَاؤُهُمْ بِالْحَنَائِطِ

فكتبها الناس عنه وَمَضُوا، فقال لي أبي، وقد رجع الى البيت: ويحك! ضاقت عليك المأكَل فلم تجدوا شيئا تأكلونه سوى ديك دجبل! ثم ألتشدنا الشعر، وقال: لا تدع ديكنا ولا دجاجة تقدر عليه إلا أشرتريته وبشت به الى دجبل وإلا وقتنا في لسانه، ففعلت ذلك. قال أحمد بن أبي كامل: كان دجبل ينشدني كثيرا: هَيَّا هُ، فأقول له فيمن هذا؟

فيقول ما أستحقه أحدٌ بعينه بعد، وليس له صاحب، فإذا وجد على رجل جعل ذلك الشعر فيه وذكر اسمه في الشعر.

(١) نيلة من همدان، ناصلة جيل رنوايه صبوا به.

كان دجبل يختلف الى الفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث، وهو نرجسه
 ورفقه وأدبه، فظهر له منه جفاء وبلغه أنه يعيبه ويذكره ويثأل منه، فقال حجوه :
 يا يؤس للفضل لو لم يأت نا طابة * يستفرغ السم من سماء قيرضاية
 ما إن يزال وفيه الميبُ يحمه * جهلا لأعراض أهل المجد عيابه
 إن طابى لم يصب إلا مؤدبه * ونفسه عاب لها عاب أذابه
 فكان كالكلب خثره مكبله * لنفيه فمدا فاصطاد كلابه
 كان دجبل يقول : ما كنت لأحد قط عندى مئة إلا تمتت موته .

كتب دجبل الى أبي نبتل بن حميد الطوسي قوله :

إنما العيش في متاعمة الإخوا * ن لا في الجلوس عند الكهاب
 ويصرف كأنها السن البر * في إذا استعرضت رقيق السحاب
 إن تكونوا ترعكم لثة العبد * خش حذار العقاب يوم العقاب
 فدعوني وما ألد وأهوى * وأدفعوا في صدر يوم الحساب

قال محمد بن زكريا الفرغاني : سمعت دجبل يقول في كلام جرى «لأسك» فأنكره عليه،
 فقال : دخل زيد النخيل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : «يا زيد ما وُصف لي
 رجل إلا رأيت دون وصفه أسك» يريد فترك .

قال عمرو بن مسعدة : حضرت أبا دلف عند المأمون وقد قال له المأمون : أي شيء
 ترى لأخى خراعة يا قاسم ؟ فقال : وأى أخى خراعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن تعريف فيهم
 شاعر ! فقال : أنا من أنفسهم فأبو الشيص ودجل وابن أبي الشيص وداود بن أبي رزيق،
 وأما من مواليم فظاهر وأبنة عبد الله ، فقال : ومن عسى من هؤلاء أن يسأل عن شعره
 سوى دجبل ! هات أي شيء عندك فيه ؟ فقال : وأى شيء ، أقول في رجل لم يسلم عليه أهل
 بيته حتى هاجم ، فقرن إحسانهم بالإساءة وبكلم المنع وجودهم باليخل ، حتى جعل كل
 حسنة منهم يزاها سيئة منه ؟ قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول في المطالب بن عبد الله

أبن مالك، وهو أصدق الناس له وأقربهم منه، وقد وفد إليه إلى مصر فأعطاه الجزيل وولاه، ولم يمنعه ذلك أن قال فيه :

إِضْرِبْ نَدَى طَلْعَةِ الطُّلُوعَاتِ مَنِيْدَا * بِلُؤْمِ مَطْلِبٍ فِينَا وَكُنْ حَصْبَا
تُخْرِجُ تُرَاعَةً مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ * فَلَا تَحْسَرْ لَهَا لَوْ مَا وَلَا كَرَمَا

قال المأمون : قاتله الله ! ما أغرّسه وأطفه وأدعاه، وجعل يضحك . ثم دخل جده الله
أبن طاهر فقال : أى شئ تحفظ يا جده الله لدعبل ؟ فقال : أحفظ آياتا له في أهل بيت
أمير المؤمنين، قال : هاتها ويحك ! فأنشد :

سَقِيًّا وَرَعِيًّا لَا يَامُ الصَّبَابَاتِ * أِيَامِ أَرْقُضُ فِي أَوْبَابِ لَنَائِ
أِيَامِ غَضَنِ رَطِيبٍ مِنْ لِيَانَتِهِ * أَصْبُوَالِ غَيْرِ جَارِيَةٍ وَكُنْتُ
دَعَاكَ ذِكْرُ زَمَانٍ فَاتٍ مَطْلَبُهُ * وَأَقْنِفُ بِرَحْلِكَ عَنْ مَتْنِ الْجَهْلَالَاتِ
وَأَقْصِدُ بِكُلِّ مَدْيَحٍ أَنْتَ قَائِلُهُ * نَحْوَ الْهُدَاةِ بَنَى بَيْتَ الْكَرَامَاتِ

فقال المأمون : إنه قد وجد والله مقالا فقال، وقال بعيد ذكرك ما لا يتاله في وصف غيرهم .

ومن قول دعبل وفيه غناء :

أَبْنُ الشَّبَابِ وَأَيَّةُ سَلَاكَ * لَا أَيْنَ يُطْلَبُ ضَلَّ مِنْ هَلَاكَ
لَا تَعْجِبْ يَا سَلَمَ مَنْ رَجُلٍ * ضَحِكَ الْمَشْهَبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَ
يَا لَيْتَ شَعْرَى كَيْفَ يَوْمُكَ * يَا صَاحِبِي إِذَا دَيَّ سَفَاكَ
لَا تَأْخُذُوا بِظُلَامَتِي أَحَدًا * قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دَمِي أَشْرَكَ

قال إبراهيم بن المدبر : لقيت دعبل بن علي قتلته له : أنت أجسرُ الناس عندي

وأقدمهم حيث تقول :

إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَيُونُهُمْ * قَتَلْتُ أَحَاكَ وَشَرَّكَ بِمَقْعَدِ
رَفَعُوا عَمَّاكَ بَعْدَ طَوْلِ نَحْوِهِ * وَأَمْتَقْدُوكَ مِنَ الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ

وأولاً :

أخذ المشيبُ من الشباب الأغيذ * والثابتُ من الأنام بمَرُصد .
 فقال : يا أبا اسحاق ، أنا أحمل خَشَقِي منذ أربعين سنة ، فلا أجد من يصليني طليها .

كان دجيل يخرج فيغيب سنين يَلُور الدنيا كلها ويرجع وقد أفاد وأثرى ، وكانت
 الشراة والعماليك يلقونه فلا يؤذونه ويؤاكلونه وينشاربونه ويبرون به ، وكان اذا لقيهم وضع
 طعامه وشرا به ودعاهم اليه ودعا بخلابه : تنف وشعف ، وكأنا مفتين ، فأقصدهما يفتيان
 وسقام وشرب معهم وأنشدتم ، فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره ، وكانوا يواصلونه
 ويصلونه . وأنشد دجيل لنفسه في بعد أسفاره :

حَلَّتْ حَمَلًا يَقْصُرُ الْبَرْقُ دُونَهُ * ويعجز عنه الطيفُ أن يتجسَّما

قال البحتري : دجيل بن حل أشعر عندي من مسلم بن الوليد ، لأن كلام دجيل
 أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومنهجه أشبه بمناهجهم ، وكان يتمصّب له .

كان المعتصم يُفَضُّ دجيلا لطول لسانه . وبلغ دجيلا أنه يريد اغتياله وقله ، فهرب
 الى الجبل ، وقال يهجوهُ :

بَكَى لِسَانَاتُ الدِّينِ مَكْتِيبُ صَبٍّ * وفاض بفرط الدمع من عينه حَرْبُ
 وقام إمام لم يكن ذا هِدَايَةٍ * فليس له دين وليس له لُب
 وما كانت الأنبياء تأتي بمثله * يُمَلِّكُ يوماً أو تدين له العُرب
 ولكن كما قال الذين تتابعوا * من السلف المايزين اذ عظم الخطب
 ملوك بني العباس في الكُتُبِ سبعة * ولم تأت من ثامن لم تُكْتَبْ
 كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة * خِيَارٌ اذا ضلُّوا وثامنهم قَلْبُ
 وإني لأعجلُ كلَّهم عنك رفعة * لأنك ذو ذَنْبٍ وليس له ذنب
 لقد ضاع ملكُ الناس اذ ساس مُلْكُهم * وصيِّفٌ وأشناس وقد عظم الكرب
 وفَضْلُ بن مروان يُسَلِّمُ ثَمَلَةً * يظل لها الإسلام ليس له شُعب

لما مات المنعم قال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه :

قد قلت إذ حيّوه وأنصرفوا * في خير قبر خير مدفون
لن يبرأ الله أنما فعلت * مثلك إلا بمثل هارون

فقال دعليل يمارضه :

قد قلت إذ حيّوه وأنصرفوا * في شر قبر شر مدفون
إنهض إلى النار والعذاب لما * خلقك إلا من الشياطين
مازلت حتى عقدت بيعة من * أضرت بالمسلمين والدين

وقال في ذلك وفي قيام الوائق :

الحمد لله لا صبر ولا جلد * ولا عزاء إذا أهل البلاء قدوا
خليفة مات لم يصرن له أحد * وأثر قام لم يصرح به أحد
ولقد أحسن في وصف سفر سافره ، فقال ذلك السفر طيه ، فقال فيه :

ألم يأن للسفر الذين تمحلوا * إلى وطن قبل المات رجوع
فقلت ولم أملك سواي عبء * تطلق بما شئت عليه ضلوع
نين فكم دار تشرق شملها * وتنبئ شيت هاد وهو جمع
كذلك الليالي صرهن كما ترى * لكل أناس جدبه وريبع

ثم قال : ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عني في سفرى وهجرأى ومسلمنى حتى أعود .

ومن قول دعليل وفيه خفاء :

سرى طيف ليل حين آن هبوب * وقضيت تسوقا حين كاد يذوب
فلم أر مطروقا يحل رحلة * ولا طارقا يقيرى لئلى ويثيب

ومن قوله :

لقد عجبت سلمى وذاك عجيب * رأت بي شيئا عجته حطوب
وما شيتنى ككبر غير أنى * بدعير به رأس القطيع يشيب

وقال في صالح بن عطية الأعمى وكان من أقيح الناس وجهاً، وخطب فيها المصطفى :

قل للإمام إمام آل محمد * قول امرئ حبيب عليك محام

أنكرت أن تفرغ عنك صديعة * في صالح بن عطية انجم

ليس الصنائع عنده بصنائع * لكنهن طوائف الإسلام

إضرب به جيش المدوفاته * جيش من الطاعون والبرام

قال أبو تمام : ما زال دجل مائلاً إلى مسلم بن الوليد مقراً بأستذيتته، حتى ورد عليه

بهرجان بغناه مسلم، وكان فيه بخل، فهجره دجل وكتب إليه :

أبا محمد كذا عبيد مودة * هوأنا وقلباناً جيماً معاً

أحوطك بالغيث الذي أنت حاطي * وأجزع إشفافاً من أن توجعاً

فصبرني بعد استكائك منيها * لنفسي طيماً أَرْهَبُ الخلق أجمعاً

عشت الهوى حتى تداعت أصوله * بنا وأبتذلت الوصل حتى تقطعاً

وأزلت من بين الجوانح والحشى * ذخيرة ودُّ طالما قد تمتعاً

فلا تلحني ليس لي فيك مطمع * تخزفت حتى لم أجد لك مرعاً

فهبك يميني استاككت قطعتيها * وجشمت قلبي صبره قشعاً

ثم تاجراً فألتقيا بعد ذلك .

أجرى الرشيد على دجل رزقاً سنياً، فكان أول من حرّضه على قول الشعر . فوافقه ما يأنه

أن الرشيد مات حتى كافاه على فعله من المعطاء السنّي والنفي بعد الفقر والرفة بعد انجول

بأقيح مكافأة، وقال فيه يهجو من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام :

وليس حتى من الأحياء فعله * من ذى يمان ومن بكر ومن مضر

إلا وهم شركاء في دماهم * كما تشارك أيسار على جرد

قتل وأسروا وتحرقوا ونهبة * فعل الفزاة بأرض الروم والخزرد

أرى أمة معنودين إن قتلوا * ولا أرى لبني العباس من عذر

أُرْبَعُ يَطْلُوسُ عَلَى الْقَبْرِ لَزِكِّي إِذَا * مَا كُنْتُ تَرَجُّعُ مِنْ دِينَ عَلَى وَطَرِ
 قَبْرَانِ فِي طَوْسٍ خَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ * وَقَبْرُ شَرِّهِمْ هَذَا مِنَ الصِّبْرِ
 مَا يَنْفَعُ الرَّجْسَ مِنْ قَرَبِ الزَّكِيِّ وَلَا * عَلَى الزَّكِيِّ بِقَرَبِ الرَّجْسِ مِنْ ضَرَرِ
 هِيَّاتٍ، كُلُّ أَمْرٍ يَرْهَقُ بِمَا كَسَبَتْ * لَهُ يَدَاهُ نَحْسُهُ مَا شَلَّتْ أَوْ قَدَّرَ
 اسْتَدْعَى بَعْضُ بَنِي هَاشِمٍ دَجَلًا وَهُوَ يَتَوَلَّى لِمَنْتَصِمٍ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الشَّامِ، فَقَصَّصَهُ
 إِلَيْهَا فَلَمْ يَفْعَ مِنْهُ بِحَسَنِ ظَنٍّ وَجَفَاءً، فَكُتِبَ إِلَيْهِ دَجَلٌ :

دَلَّيْتَنِي بِسُرُورٍ وَعَدَكْ فِي * مُتَلَاظِمٍ مِنْ حَوْمَةِ الْفَرْقِ
 حَتَّى إِذَا شِمْتَ الْعَدُوَّ وَقَدْ * شُهِرَ اسْتِقْصَاكَ شُهْرَةُ الْبَلَقِ
 أَنْشَأْتَ مَخْلَفَ أَنْ ذَكَرَ لِي * صَافٍ وَجْهَكَ غَيْرَ مَنَحْنَقِ
 وَحَسْبَتَنِي فَقَعًا بِقَرَقَرَةٍ * فَوِطَّئْتَنِي وَطْأًا عَلَى حَقِّ
 وَنَصَبْتَنِي طَلْمًا عَلَى غَرَضٍ * تَرْمِيْنِي الْأَعْدَاءُ بِالْمَلَقِ
 وَظَنَنْتُ أَرْضَ اللَّهِ حَقِيقَةً * عَنِّي وَأَرْضُ اللَّهِ لَمْ تَفْسُقْ
 مِنْ غَيْرِ مَا جُرِّمَ سِوَى ثِقَةٍ * مَنِّي بَوْمَعِكَ حِينَ قَلَّتْ نَفِي
 وَمَسْوَدَةٍ تَحْنُو عَلَيْكَ بِهَا * نَفْسِي بِلَا مَنٍّ وَلَا مَلَقِ
 فَسَقَى سَائِلُكَ حَاجَةً أَبَدًا * فَاسْتَدَّ بِهَا قُفْلًا عَلَى غَلَقِ
 وَقَفَّ الْإِخَاءُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ * هَارٍ فَيَعْنِي بَيْتُهَا انْخَلَقِ
 وَأَعْدَلِي قُفْلًا وَجَامَةً * فَاسْتَدَّ يَدِي بِهَا إِلَى عُنُقِ
 أَحْفِيكَ مِمَّا لَا تَحِبُّ بِهَا * وَأَسْتَدُّ عَلَى مَذَاهِبِ الْأُنُقِ
 مَا أَطْوَلَ الدُّنْيَا وَأَعْرَضَهَا * وَأَدْنَى بِمَسَالِكِ الطُّرُقِ

دَخَلَ دَجَلٌ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فَأَنْسَدَهُ وَهُوَ بِبَغْدَادَ :

جَثُّ بِلَا حُرْمَةٍ وَلَا سَبَبٍ * إِلَيْكَ إِلَّا بِحُرْمَةِ الْأَنْتَبِ
 فَاقْضِ ذِمَامِي فَوَاضَى رَجُلٌ * غَيْرُ مُلْحٍ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ

فانتقل عبدالله ودخل الحرم ووجه إليه بصره فيها ألف درهم ، وكتب إليه :

أعجلتنا فاناك عاجل ربنا • ولو أنتظرت كثيره لم يقل

نغذ القليل وكن كأنك لم تقل • ونكون نحن كأتا لم فعل

مات دهل بقرية من قرى السوس ، بعث إليه مالك بن طوق من ضرب ظهره

بعكاز لما رُج مسموم فمات من فده .

٤ - حسين بن الفضل^(١)

« شاعر ظريف شديد الظرف، ربما أقطع نظيره في شعراء العصر العباسي كله، وهو مع ظرفه وإسرافه في المجون، قليل النحش في اللفظ. غير مثاليك على القول الإجم والالفاظ المنكرة، لا يختيرها ولا يقصد إليها، وإنما يعرض لها إذا اضطر إليها اضطرابا وهو على ظرفه ورقة حاشيته وحرصه على ققاء اللفظ وطوره شاعر بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة، مجود إذا فكر، مظفر إذا بحث، موفق إلى اللفظ المتين، والأسلوب الرصين في غير جفوة ولا غلظة، لا يعرف التكلف في لفظ ولا معنى، وإنما ينطلق لسانه مع محبته، ومحبته سهلة مرسلة غنية غزيرة المادة، لا تكاد تنضب، ولا ينال إعياه أو كلال، وحياته كلها عبر وعظات ولكنها عبر وعظات مبتسمة ليست بالمظلمة ولا العابسة ولا باقية تركه وتتفرك، وتجعل للوزن والأمرى إلى قلبك سبيلا، ولعلك لا تجحد من شعراء هذا العصر رجلا مثله، تقرأ أخباره فتظن مبتسما منذ تجددى إلى أن تقهى دون أن تيس أو تطيب. وربما تجاوزت الإبتسام إلى الإغراق في الضحك من حين إلى حين، ولكك أن تترك الإبتسام إلى الحزن الشديد. وربما أعترضتك في طريقك صحابة عذبة ولكن هذه الصحابة رقيقة هادئة هينة، فهي أضعف من أن تزيل إبتسامك. وكان هذا الشاعر من المعمرين، بلغ المائة أو كاد، وطاصر طبقات من الشعراء، وألوانا من حاشية الخلفاء، ولكنه ظل محتفظا بشخصيته الوداعة المبتسمة، تغير الناس وأخطف الظروف، وظل هو واحدا

(١) هو مولد بإحلة، ولد في البصرة ونشأ فيها وتادم الخلفاء من بنى العباس، وكان خليقا فاسدا وكان مع ذلك حسن التصرف في الظن ولشعره يقول وروى، فهو من الحظين وله معان جديدة في الشعر كان أبو نواس يأخذها عنه، ومع أن أبو نواس مات سنة ١٦٨ هـ، والجاحك مات سنة ٢٥٠ هـ فقد تعاصرا لأن مولدهما متقارب لأن ابن الفضل عمر كثيرا. وهو أزل من تادم الأمين وله فيه مدائح كثيرة، وعمره طويلا حتى قارب مائة السنة ومات في خلافة المستعين أو المنصور. ومجد أخباره في الأغاني (ج ٦ ص ١٧٠) وابن خلكان (ج ١ ص ١٥٤).

(٢) من بحوث صديق الذكيرة حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية.

لم يتغير. كان خليفاً، بل كان يُعرف بالخليع، وكان كثير المحزون مُسرفاً فيه، وما أحسب أن أبانواس سبقه إلى لذة أو برز عليه في مائمه، ولهكته على خلاصته وإسرافه في المحزون وبها لكه على اللذات، احتفظ طول حياته بنهى من كرم الخلق وطهارة العنصر وجودة الأصل، كأنما كانت هذه اللذات والآثام تغزلق على نفسه وأخلاقه انزلاقاً دون أن تترك فيها أثراً باقياً، وإنما كانت الآثار التي تركها لياليه الساهرة، وأيامه المملوءة بالبُعث، هذه الأشعار الجيلة الحلوة التي سأظهرك على طرف منها .

فلم يكن هذا الرجل كثير من الشعراء الذين إنما كانوا يصلون إلى الخلفاء بعد الجهد والكد، وبعد التلطف وحسن الحيلة؛ وإنما كان متصلاً بالخلفاء اتصالاً شديداً، يماشرهم ويراقبهم ويتدخل في حياتهم الخاصة، وربما تدخل إلى أكثر مما ينبغي . وكان الخلفاء يحشون عنه، ويحرمون على عشرته ويذلون في ذلك غير قليل من الإلحاح والعطاء، وكان شعره كله أو أكثره مرآة لحياة القصر في أيام طائفة غير قليلة من الخلفاء .

فترى من هذا الوصف أنه شاعر أديب ظريف مطبوع، حسن التصرف في الشعر حلو المنصب، لشعره قبول ورويق صاف، وكان أبانواس يأخذ معانيه في النمر فيغير عليها، وإذا شاع له شعر نادى في هذا المعنى نسبته الناس إلى أبي نواس، وله معان في صفتها أبدع فيها، وهاجى مسلم بن الوليد فانتصف منه، وله غزل كثير جيد، وهو من المطبوعين الذين تخلو أشعارهم ومذاهبهم جملة من التكلف .

قال : أنشدت أبانواس قصيدتي التي قلتها في النمر وهي :

بُكِّيتَ مِنْ قَفَعَاتِ الْوَرْدِ بِالْآءِ^(١) * وَمِنْ صَبُوحِ دُرِّ الْإِنْبِلِ وَالشَّاءِ

فلما اتهمت منها إلى قولي

حتى إذا أُسْنِدْتَ فِي الْبَيْتِ وَأَحْضُرْتَ * عِنْدَ الصُّبُوحِ بِسَامِينِ^(٢) أَمْكُفَاءِ

فُضِّتْ خَوَاتِمُهَا فِي نَمَتٍ وَأَصْفَهَا * عَنِ مِثْلِ رَفْرَاقَةٍ فِي جَفْنِ مَرْهَاءِ^(٣)

(١) الآء : نمر حجر واحدة آءة . (٢) المرهء : التي لا تكمل .

فصنعت صفة أفرحتني وقال : أحسنت والله يا أشقر، فقلت : ويطك يا حسن ، إنك أفرحتني والله، فقال : بلى والله أنت أفرحتني ورفحتني ، هذا معنى من المعاني التي كان فكرو لابد أن ينتهي إليها أو أغوص عليها وأقولها ، فسبقتني إليه وأختلته مني ، وسعلم لمن يروى إلى أم لك ؟ فكان والله كما قال ، سمعت من لا يعلم يرونها له :

لما قديم المأمون من نراسان أمر بأن يُسَمَّى له قوم من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه ، فذكر له جماعة فيهم الحسين بن الضحاك ، وكان من جلساء محمد المفلوح ، فلما رأى اسمه قال : أليس هو الذي يقول في محمد :

هلا جيت لسه فاقتنا * أبدا وكان لفنيرك التلق

فلقد خلقت خلافا سقوا * ولسوف يعموز بمدك الخلق

لا حاجة لي فيه ، والله ولا يراى أبدا إلا في الطريق ، ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتريضه به ، واتخذ حسين إلى البصرة فأقام بها طول أيام المأمون .

قال أبو صالح بن الرشيد : دخلت يوما على المأمون ومعي يتان للحسين بن الضحاك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أحب أن تسمع مني بيتين ، فقال : أنشدتهما ، فأنشدتهما :

حمدنا الله شكرا إذ حَبَّانا * بنصرك يا أمير المؤمنين

فانت خليفة الرحمن حقا * جمعت سماعة وجمعت بينا

فقال : لمن هذان البيتان ؟ فقلت : لعبدك يا أمير المؤمنين حسين بن الضحاك ، قال : قد أحسن ، فقلت : وله يا أمير المؤمنين أجود من هذا ، فقال : وما هو ؟ فأنشدته قوله :

أجرني فاني قد ظلمتُ إلى الوعد * متى تُحجز الوعد المؤكد بالتهمد

أحيذك من خلف الملوك وقد بدا * تقطع أنفاس عليك من الروجد

أيضل فرد الحسن عني بنائل * قليل وقد أفردته بهوى فرد

رأى الله جبد الله خير عباده * فلألكه والله أعلم بالعبد

ألا إنما المأمون للناس عصمة * مميزة بين الضلالة والرشد

فاطرق ساعة ثم قال : ما تطيب نفسي له بخير بعد ما قال في أخى محمد ما قال .

ومن قوله يرى محمدا الأمين :

أَطْلَحَ حَرًّا وَأَبْكَ الإمامَ محمدا * بحزن وإنِ خَفَّتِ الحسام المهندا
فَلَا تَمِتِ الأشياءُ بعدَ محمد * ولا زالَ تَمَلُّ الملكَ منها مُبَكِّدا
ولا فرحَ المأمونُ بالملكِ بعده * ولا زالَ في الدنيا طويلا مشردا

ولحسن في عهد الأمين مراثٍ كثيرةٌ جيدةٌ، وكان كثيرُ التحقق به والمؤالة له لكثرة إفضاله عليه، وميله إليه، وتقديره إياه، وبلغ من جزعه عليه أنه خُوِّلَ فكان يُنكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول: إنه مستر وأنه قد وقف على دُعائه في الأمصار يدعون إلى مراجعة أمره والوفاء ببعثته حننا به وشفقة عليه .

ومن جيد مراثيه إياه قوله :

سألونا أَنْ يَفِ نَحْنُ ؟ فقلنا * من هَوَى نَجْمُهُ فكيف يكون ؟
نَحْنُ قومُ أَصْلَابنا حَنَّتْ الدَّم * بر فقلنا لَرَبِّهِ نَسْتَكِين
نَقْسَى من الأَمِينِ إِيَابا * لَهْفَ نَفْسِي وَأَيْنَ مَتَى الأَمِينِ

ومن جيد قوله في مراثيه إياه .

أَعَزَّى بِأَعْمَدِكَ نَفْسِي * معاذ الله والأيدى الحسام
فَهَلْ مَاتَ قَوْمٌ لم يَمُوتُوا * ودُفِعَ عَنْكَ لى يَوْمِ الحِجَام
كَأَنَّ المَوْتَ صَادَفَ مِنْكَ قَتْمًا * أو أَسْتَشْفَى بِهَرَبِكَ مِنْ سَقَام

وقال أيضا يرثيه :

يا خَيْرَ أَسْرَةٍ وَإِنْ زَعَمُوا .. إِنِّي عَلَيْكَ لَمُتَّبِعٌ أَيْفُ
الله يعلم أَن لى كَبِدا * حَرَى طَلِكِ وَمَقَلَّةٌ تَكْبِفُ
وَلَنْ تَنْجِيَتْ بِمَا رُزْتُ بِهِ * إِنِّي لَأُشْمَرُ فَوْقَ مَا أَيْفُ
هَلَّا قَبِيَتْ لَسَدٌ فَاقْتَنَا .. أَبداً وَكَانَ لِنَفْسِكَ التَّلَفُ
فَلَقَدْ خَلَقْتَ خَلْقًا سَلَفُوا .. وَلَسَوْفَ يُعَوِّزُ بِعَدِكَ الْخَلَفُ

لا بات رَهطُك بعد هفوتهم * إلى لَهطك بعد ما شَيْف^(١)
 هَتَكوا بحومتك التي هُتكت * حُرِّمَ الرسول ودونها السُّجُف
 وَبَتَّ أَقَارِبُكَ التي خَذَلَتْ * وجميعها بالذَّلِّ معترف
 لم يفعلوا بالشُّطْ إِذْ حضروا * ما تفعل القِيَرَانَةُ الْأَنْفُ
 تركوا حريمَ أبيهم قفلا * والخصائصُ صوايخُ هُتِفَ
 أبدت مُخَلَّعَها على دَعَش * أبكارُهم ورَّت النَّصْفُ
 سُلِّيتَ مَعايِرُهم وأجُتِيتَ^(٢) * ذاتُ القبابِ ونُوزعُ الشَّنْفُ
 فكأنهم خِلَالُ مُنْتَهَبٍ * دُرٌّ تَكشِفُ دونه الصَّنْفُ
 مَلِكٌ يَخُونُ مُلْكَهُ قَدْرٌ * قَوَى وصرفُ الدهرِ غُتْلُفُ
 هياتَ بعدك أن يدوم لنا * عِزٌّ وأن يبقى لنا شَرَفُ
 لا هَيَّيُوا مُحَفًّا مشرفة * للصادقين تحتها الجَدَفُ
 أَقْبَعَدَ عهد الله تَحْتُلُهُ * والقَتْلُ بعد أمانة مَرَفُ
 فسَمِعُوا غدا بعاقبة * عزَّ الإله فأوردوا وقُفُوا
 يامن يُنَوِّنُ نومه أَرْقُ * هَدَّتِ الشَّجُونُ وَقَبْلَهُ لَيْفُ
 قد كنتَ لي أَمَلًا غَيِّبْتُ بِهِ * فاضى وحلَّ عَلى الْأَسَفُ
 سَويجُ النَّظَامِ وعاد مُنْكَرُنا * عُرِفَا وأُنْكِرَ بعدك العُرُفُ
 فالشَّمْلُ منتشر لفقْدك وال * لدُنْيَا سُدَى والبال منكسف

وقال أيضا يرثيه :

انا دُكِرُ الْأَمِينُ نَحَى الْأَمِينَا * وإن رَقَدَ الْخَلْقُ حَمَى الْجُنُونَا
 وما بَرَحَتْ منازلُ بين بَصْرَى * وَهَكَأَذَى تَمَيَّجَ لى شَجُونَا
 عِراضُ الْمَلِكِ خَاوِيَةٌ تَهَادَى * بها الْأَوْواحُ تَنْسَجُها فَنُونَا

(١) مهبط شتر . (٢) جمع سحر : لكر وهو ثوب ينعصر به المرأة أى تشده على رأسها .

تَحْشُونَ عَزَّ سَاكِنَهَا زَمَانُ * تَلْعَبُ بِالْقُرُونِ الْأَوَّلِيَّةِ -
 فَشَقَّتْ شَمْلَهُمْ بَعْدَ اجْتِمَاعِ * وَكُنْتُ بِحَسَنِ الْفَتَنِمْ ضَنْفِيَا
 ظَمِ أَرْبَعُ لَمْ حُسْنًا سَوَامِ * وَلَمْ تَرَهُمْ حَيَوُ النَّاطِرِيَا
 فَوَاسِفًا وَإِنْ تَمَّتِ الْأَطَادِي * وَكَأَنَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيَا
 أَضَلَّ الْعُرْفَ بِعَدِكَ مَتَّعُوهُ * وَرَقَّ عَنْ مَطَايَا الزَّاهِيَا
 وَكُنْ إِلَى جَنَابِكَ كُلِّ يَوْمٍ * يَرْحَنَ عَلَى السَّعُودِ وَيَقْتَدِيَا
 هُوَ الْجَلُّ الَّذِي هُوَتِ الْمَعَالِي * لِحَسَنَتِهِ وَرِيحِ الصَّالِحِيَا
 سَتَنْتَبِ بِعَدِكَ الدُّنْيَا جَوَارَا * وَتَسْلُبُ بِعَدِكَ الدِّينَ الْمُصَوَّنَا
 قَدْ ذَهَبَتْ بِشَاةُ كُلِّ شَيْءٍ * وَعَادَ الدِّينَ مَطْرُوحَا مَهِيَا
 تَعْقِدُ عَزَّ مُتَّعِيلٌ بِكَسْرِي * وَمِلَّتْهُ وَقَدْ السَّلَامُونَا

وقال أيضا يرثيه :

أَسْعَا طِيكَ سَلَاكَ أَقْرَبُ قُرْبَةً * مَنَى وَأَحْزَانِي عَلَيْكَ تَزِيدُ

قال أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي : حسين بن الضحالك أشعر المحدثين حيث يقول :

أَيُّ دِيَا جَةِ حُسَيْنٍ * هِيَ جَتُ لَوْعَةٍ حَزْنِي
 إِذْ رَمَانِي الْقَمَرُ الزَّا * هَرَّ عَنْ قَتْرَةِ جَفْنِي
 بِأَيِّ شَمْسٍ نَهَارٍ * بَرَزْتُ فِي يَوْمِ دَجْنِي
 قَرِيبَتِي بِالْمَنَى حَ * يَ أَنَا مَا أَخْلَفْتَنِي
 تَرَكْتَنِي بَيْنَ مَيْعَا * دَ وَخُلْفٍ وَتَجَرُّ
 مَا أَرَى فِي مَنْ الْعَبْدِ * حَوَّةَ إِلَّا حَسَنَ ظَنِّي
 إِنَّمَا دَامَتْ عَلَى الْغَدِ * رَلِمَا تَعْرِيفَ مَنِّي
 أَسْتَعِذُّ اللَّهَ مِنْ إِعْرَا * ضَرَّ مِنْ أَمْرِ ضَرَّ عَنِّي

لما ولي المتعمم أمر بمكايبته بالقدم عليه ، فلما دخل وسلم أسأذنه في الإنشاده
فأذن له ، فأنشده قوله :

هَلَا سَأَلْتُ سَلَّذَ الْمَشَاقِ * وَتَنَتَّ قَبْلَ فِرَاقِهِ إِسْلَاقِ
إِنْ الرِّقَبَ لِيَسْتَرِيبُ تَنْفُسًا * صُعْدًا إِلَيْكَ وَظَاهِرَ الْإِفْلَاقِ
وَلَقَدْ أَرَبْتُ لَقَدْ نَظَرْتُ بِعَقْلَةٍ * عَبْرَى عَلَيْكَ تَحْيِينَةَ الْآمَاقِ
فَمَنْ السَّدَاءُ لِحَافِي مَرْتَقِبٍ * جَعَلَ الْوَدَاعَ إِشَارَةً بَيْنَاقِ
إِذْ لَا جَوَابَ لِمَقْعَمٍ مَحْبِرٍ * إِلَّا الدَّمُوعُ تُصَانُ بِالْإِطْرَاقِ

حتى انتهى الى قوله :

خَيْرُ الْوَفُودِ مَبَشِّرٌ بِخِلَافَةٍ * خَصَّتْ يَهْجَتَهَا أَبَا إِصْحَاقِ
وَأَقَامَهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ سَلِيمَةً * مِنْ كُلِّ مُشْكَلَةٍ وَكُلِّ يَشِقَاقِ
أَعْلَمَهُ صَفَقَتَهَا الضَّاهِرُ طَاعَةً * قَبْلَ الْأَكُفِّ بِأَوْكَدِ الْمِثْقَالِ
سَكَنَ الْأَنَامُ إِلَى إِمَامٍ سَلَامِيَةٍ * حَقَّ الضَّمِيرُ مَهْدَبُ الْأَخْلَاقِ
لَحْمِي رَجِيَّتِهِ وَدَافِعُ دُونِهَا * وَأَجَارَ مُمْلِكُهَا مِنَ الْإِمْلَاقِ

حتى أتمها ، فقال له المتعمم : أذن مني ، فدنا منه ، فلما فقه جوهرها من جوهر كان بين
يديه ، ثم أمره بأن يخرجها من فمه ، فأنحرجه وأمر بأن ينظم ويدفع اليه ويخرج الى الناس
وهو في يده ، ليعلموا موقعه من رأيه . ويعرفوا فضله ، فكان أحسن ما أُدخ به يومئذ .

ومن شعره قوله :

أَمِينَ اللَّهِ يَتَّقِي بِاللَّهِ * لَهُ تَعَطَّى الصَّبْرُ وَالنُّصْرَةُ
يَكِيلُ الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ * كَلَّاكَ اللَّهُ ذُو الْقُدْرَةِ
لَنَا النُّصْرُ يَسُونَ اللَّهُ * وَالْحِكْمَةُ لَا الْقَسْرَةَ
وَالْوَرَّاقُ أَعْدَا * نَكَ يَوْمُ السُّوءِ وَالذَّبْرَةَ
وَكَأْسُ تَلْفِظِ الْمَوْتِ * كَرِيمٌ طَعْمُهَا سُرَّةُ

سَقُونَا وَمَسْقِينَاهُمْ * وَلَكِنْ بِهِمُ الْحِرَّةُ
كَذَاكَ الْحَرْبُ أَحْيَانًا * طِينًا وَلَنَا مَرَّةٌ

ومن قوله في غضب حَظِيَّةَ للوائق من زيارته أخرى في نوبتها :

خَضِبْتُ أَنْ ذُرْتُ أُخْرَى خِلَّةً * فَلَهَا الشُّبْهِ لَدَيْنَا وَارْضَا
بِأَفْدَيْكَ الْفَضْلَ كَانَتْ هَفْوَةٌ * فَاغْضَبِيهَا وَأَصْفَحِي عَمَّا مَضَى
وَأَتْرَكِي الْعَدْلَ عَلَى مَنْ قَالَه * وَأَنْشِي جَوْرِي إِلَى حَكَمِ الْقَضَا
فَلَقَدْ نَبَيْتَنِي مِنْ رَقْدِي * وَعَلَى قَلْبِي كَيَرَانُ الْفَضَا

كان الواثق يَعْطَى جارية له فماتت ، فغزى عليها وترك الشراب أياما ، ثم سلاها وعاد
إلى حاله ، فدعا الحسين ليلة وقال له : رأيت فلانة في النوم فليت نومي كان طال قليلا
لأتمتع بلفاتها ، فقل في هذا شيئا ، فقال :

لَيْتَ عَيْنَ الدَّهْرِ مَا فَفَلَتْ * وَرَقِيبَ اللَّيْلِ مَا رَقَدَا
وَأَقَامَ النَّوْمُ فِي مَدَنِهِ * كَالَّذِي كَانَ وَكُنَّا أَبَدَا
بِأَبِي زَوْرٍ تَلَفَّتْ لَهُ * فَتَنَفَّسْتُ إِلَيْهِ الصَّمَدَا
بَيْنَا أَمْحُكُ مَسْرُورًا بِهِ * إِذْ تَهَطَّعْتُ عَلَيْهِ كَعِدَا

لما أعبته الحيلة في رضا المأمون عنه رعى بأمره إلى عمرو بن مسعدة وكتب إليه :

أَنْتَ طَوْدِي مِنْ بَيْنِ هَذِي الْمَضَابِ * وَشِهَابِي مِنْ دُونِ كُلِّ شِهَابِ
أَنْتَ يَا عَمْرُو قُوَّتِي وَحَيَاتِي * وَلِسَانِي وَأَنْتَ ظُلْفُورِي وَنَابِي
أَتُرَانِي أَنْسَى أَيْدِيكَ إِلَيَّ * خُذْ إِذَا أَسْوَدَ نَائِلُ الْأَمْصَابِ
أَيْنَ أَخْلَافِكَ الرُّضِيَّةَ حَالَتْ * فِي أُمِّ ابْنِ رِقَّةِ الْكَتَّابِ؟
أَنَا فِي ذِيَةِ السَّحَابِ وَأَعْلَمُ؟ * إِنَّ هَذَا لَوَصْمَةٌ فِي السَّحَابِ
قَمِ إِلَى سَيِّدِ الْبَرِيَّةِ عَنِّي * قَوْمَةٌ تَسْتَجِرُّ حُسْنَ الْخَطَابِ
فَلَعَلَّ إِلَاهَهُ يُطْفِئُ عَنِّي * بِكَ تَارَا عَلَى ذَاتِ الْكُتَّابِ
فَلَمْ يَزَلْ عَمْرُو يُطِيفُ لِمَا مَوَّنَ حَتَّى أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ وَأَذَرَ أَرْزَاقَهُ .

ولما عفا المأمون عنه أمر بإحضاره، فلما حضر سلم، فرد عليه السلام ردًا جافيا،
ثم أقبل عليه فقال : أخبرني عنك، هل عرفت يوم نُجِّلَ أمي محمد هاشمية قُتِلَ أو
هَتَكَ ؟ قال : لا، قال : فما معنى قولك :

وَسَرِبَ ظِبَاءٌ مِنْ ذُرَابَةِ هَاشِمٍ * هَتَنَ بِدَهْوَى خَيْرِ حَى وَمَيَّتْ
أَرَدَ يَدًا مَتَى إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ * عَلَى كَبِدِ حَرَى وَقَلْبٍ مُفَتَّتْ
فَلَا بَاتَ لَيْلُ الشَّامِيِّينَ يَنْبُطَةُ * وَلَا بَلَّتْ أَمَالُكُمْ مَا نَمَتْ

قال : يا أمير المؤمنين ، لوعة ظبتي، ورومة فاجاتي، وضمة قدنتها بعد أن غمرتني ،
وإحسان شكرته فأظفني ، وسيد فقدته فأظفني ، فإن عاقبت فبحقك ، وإن عطفت
فبفضلك ، فدمعت عينا المأمون وقال : قد عفوتُ عنك ، وأمرتُ بإدوار رزقك ،
وإعطائك ما فات منه، وجعلت عقوبتك امتناعي من استغدامك .

ومن قوله :

وَكَا لَوُرْدَةِ الْحَمَاءِ حَيًّا بِأَحْسَرِ * مِنَ الْوَرْدِ يَمْشِي فِي قَوَارِطِقِ كَالْوَرْدِ
لَهُ مَبَاتٌ عِنْدَ كُلِّ نَحِيَّةٍ * بَعِيدِهِ أَسْتَدْعَى الْحَلِيمَ إِلَى الْوَجْدِ
تَمَتَّيْتُ أَنْ أَسْقَى بِكَفِّهِ شَرِبَةً * تَذَكَّرُنِي مَا قَدْ نَسِيتُ مِنَ الْمَهْدِ
سَقَى اللَّهَ دَهْرًا لَمْ أَبْتَ فِيهِ لَيْلَةً * خَلِيًّا وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدِ

ومن قوله :

وَإِلَّا بِى مُفَحَّمٌ لَمَزَمِهِ * قُلْتُ لَهُ إِذَا خَلَوْتُ مَكْتَمًا
يُحِبُّ بِاللَّهِ مِنْ يَضَعُكَ بِالِ * يَوْدُ مَا قَالَ لَا وَلَا نَهَا
مَنْ تَوَلَّى بِمُقَلَّتَى خَيْجَلٍ * أَرَادَ رَجْعَ الْجَوَابِ فَاحْتَشَا
فَكُنْتُ كَالْمُبْتَنَى بِحَيْلِهِ * بُرَاءً مِنَ السُّقْمِ فَابْتَدَا سَقَا

وقال في هوى له :

حَالِمٌ بِحْيِهِ * مَطَرِقٌ مِنَ التَّيِّبِ
يُوسُفُ الْجَمَالِ وَفِرَ * عَوْنٌ فِي تَعْلِيهِ

لا وحق ما أنا فيه * من حطيف أريجيه
ما الحياة نافعة * لي على تأنيبه
النعم يشغل * وبالجمال يطفيه
فهو غير مكترث * للذي ألاقه
تأني * تزهده * في رغبتي فيه

ومن قوله في هوى له :

إن من لا أرى وليس يراني * نصب عيني ثمثل بالأمان
بأبي من ضيمه وضميري * أدا بالمغيب يثجيان
نحن شطمان إن نظرت ورو * حان إذا ما آخبرت يسترجان
فإذا ما هممت بالأمر أو هم * بشيء بداؤه وبداني
كان وثقا ما كان منه ومنى * فكأن حكيته وحكاني
خطرات الجفون ما سواه * وسواء محسوك الأبدان

ومن قوله :

قديت من قال لي على خفصره * وقض من جفنه على حوره
سمع بأشعارك المليح لها * ينقش شاد بها على وتره
حسبك بعض الذي أذعت ولا * حسب لعب لم يقض من وطره
وقلت يا مستعير سالفه الـ * يخشيف وحسن الثور من نظره
لا تنكره الحبيب من طرب * عاود فيك الصبا على كبره

ومن قوله :

سائل بطيئك عن ليلي وعن سهرى * وعن تساج أنفاسي وعن فكري
لم يخل قلبى من ذكراك إذ نظرت * عيني اليك على محوى ولا سكرى
سقياً ليوم مرورى إذ تنازعنى * صفو المدامة بين الأأس والخفر

وَفَضَّلَ حَسَاكَ بِأَمْنِي فَأَشْرَبَهُ * جَهْرًا وَتَشْرَبُ كَأَمْنِي غَيْرَ مُسْتَرٍ
وَكَيْفَ أَشْمِلُهُ لَيْثِي وَأَلْزَمَهُ * نَحْرِي وَتَرْفَعُهُ كَتْفِي إِلَى بَصَرِي
فَلَيْتَ مُلَّةً يَوْمِي إِذْ مَضَى سَلَفَا * كَانَتْ وَمِلَّةٌ أَيْمِي عَلَى قَدَرٍ
حَتَّى إِذَا مَا أَطْلُوتُ عَنَّا بِشَاسْتِهِ * صِرْنَا جَمِيعًا كَكُنَا جَارَيْنِ فِي الْحَفَرِ
وَمِنْ قَوْلِهِ لَهْوَى كَانَ لَهُ :

تَمَزَّيْتُ بِأَمْنِي مِنْ هَوَايَ فَإِنِّي * إِذَا أَنْصَرَفْتُ فَغَسَى فُهَيْهَاتِ عَنْ رَدْيِي
إِذَا خُنْسُكُمْ بِالْقَيْبِ وَدَى لِمَا لَكُمْ * تُبْلَوْنَ إِذْ لَالِ الْمَقِيمِ عَلَى الْعَهْدِ
وَلِي مِنْكَ بَدٌّ فَاجْتَلِبْنِي مَذْمُومًا * وَإِنْ خِلْتَ أَنِّي لَيْسَ لِي مِنْكَ مِنْ بَدٍّ
لَمَّا وَلِيَ الْوَائِقِ انْخِلَافَةَ أَنْشَبُوا حَسِينَ :

أَكَلْتُمْ وَجَدِي لِمَا يَنْكَرُكُمْ * بَنَ لَوْ شَكُوتُ إِلَيْهِ رَحِمٌ
وَأَنَّى عَلَى حَسَنِ ظَنِّي بِهِ * لِأَحْذَرُ إِنْ بُحْتُ أَنْ يَحْتَشِمَ
وَلِي عِنْدَ لِحْفَتِهِ رَوْعَةٌ * تَحْقُقُ مَا ظَنَنْتُهُ الْمَتَّهِمَ
وَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ لِي * حُبًّا وَأَحْبَبَهُ قَدْ عَلِمَ
وَأَنَّى لِمُنْضِي عَلَى لَوْعَةٍ * مِنَ الشَّوْقِ فِي كِبْدِي تَضْطَرُّمَ
عَشِيَّةً وَدَمَتْ عَنْ مَقْلَةٍ * سَفُوحٌ وَزَفْرَةٌ قَلْبِي سَلِيمَ
فَمَا كَانَ عِنْدَ النَّوَى مُسْعِدٌ * سَوَى الْعَيْنِ تَمْزِجُ دَمْعًا بِدَمٍ
سَيَذْكُرُ مَنْ بَانَ أَوْطَانُهُ * وَيَبْكِي الْمَقِيمِينَ مِنْ لَمْ يُهِمَّ

كُتِبَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ رَجَاءٍ فِي يَوْمِ شَكٍّ، وَقَدْ أَمَرَ الْوَائِقِ بِالْإِفْطَارِ، فَقَالَ :
هَزَزْتُكَ لِلصُّبُوحِ وَقَدْ نَهَانِي * أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الصَّيَامِ
وَعِنْدِي مِنْ قِيَانِ الْمَصْرَعِ عَشْرٌ * تَغْلِيْبُ بِهِنَّ عَاطِيَةَ الْمَدَامِ
وَمِنْ أَمْثَالِهِنَّ إِذَا آتَيْنَا * تَرَانَا نَجْنِي تَحْمُرُ الْفَرَامِ
فَكُنْ أَنْتَ الْجَوَابُ فَلَيْسَ تَنِي * أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَذْفِ الْكَلَامِ

فوردت رصته، وقد سبقه إليه محمد بن الحارث بن بُسَظْر ووجه إليه بسلام تظليل الوجه
ومعه ثلاثة غلابة أقران حسان الوجه، ومعهم رُقعة كتبها كما تكتب المناشير، وختمها
في أسفلها وكتب فيها يقول :

سِرْ عَلَى أَسْمِ اللَّهِ يَا أَشَدَّ * كُلَّ مَنْ خَصَنِي لِحَيِّ
فِي ثَلَاثٍ مِنْ بَنِي الرَّو * مَ إِلَى نَارِ حَسِينِ
أَخْصِصِ الْكَهْلَ إِلَى مَوْ * لَكَ يَا قُسْرَةَ حِينِي
أَيُّهُ الْمُنْفَ إِذَا آسَمَ * حَى وَطَالِبِهِ بَدِينِ
وَدَجِ اللَّفْظَ وَخَاطِبِ * هَ بِنَمَزِ الْحَاجِبِينَ
وَاحْذَرِ الرَّجْعَةَ مِنْ وَجْهٍ * يَهْكَ فِي خُفَى حُنَيْنِ

لفظي معهم .

ومن قوله لمن أعرض عنه :

تَيْبَهُ عَلَيْنَا أَنْ رُزِقَتْ مَلَاةٌ * لِهَلَّا عَلَيْنَا بَعْضُ يَمِّكَ يَا بَدْرُ
لَقَدْ طَالَ مَا كُنَّا مِلَاحًا وَرَبْمَا * صَدَدْنَا وَتَنَا نَمَ فَيَرْنَا الدَّهْرُ

وله في موى مُجِيب عنه :

ظَنَنْتُ مِنْ لَا كَانَ ظَنُّ * مَا بِمَجِيئِي غَمَامَ
أَرْصَدَ الْبَابَ رَقِيدَ * مَنْ لَهُ فَاصٌّ مَخْتَفَا
فَإِذَا مَا أَشْتَاكَ قَرِيبَ * وَلِقَائِي مَنَامَ
جَمَلُ اللَّهِ رَقِيدَ * هَ مِنْ السُّوءِ فِدَا
وَالَّذِي أَفْرَحَ فِي الشَّاءِ * دَنَ قَلْبِي وَلَوَاهُ
مَكْلُ مَشْتَاكَ إِلَيْهِ * فَمِنْ السُّوءِ فِدَا
سَيِّئًا مِنْ حَالَتِ الْأَحْ * رَاسٍ مِنْ دُونِ مُنَا

أمره المتوكل بأن ينادمه ويلزمه ، فلم يطلق ذلك لكبرسته ، فقال لتوكل بعض من حضر عنده : هو يطبق الذهاب إلى القرى والمواخير والسكر فيها ويعجز عن خدمتك ، فبلغه ذلك ، فدفع إلى أحمد بن محمد بن أبياتا قالها وسأله إصاها ، فأوصلها إلى المتوكل ، وهي :

أما في ثمانين وثمانيًا * عذير وإن أنا لم أعتذر
فكيف وقد جرت بها صاعدا * مع الصاعدين يتسع أثر
وقد رفع الله أعلامه * عن ابن ثمانين دون البشر
سوى من أصر على فتنة * وألحد في دينه أو كفر
وإني لمن أسراء الإله * في الأرض نصب شروف القدر
فإن يقض لي عملا صالحا * أطلب وإن يقض شرًا خسر
فلا تلح في كبير هتدي * فلا ذنب لي أن بلغت الكبر
هو الشيب حل بعقب الشباب * فمن ذا يلوم إذا ما عذر
وإني لقي كنف مفيد * وعز بنصر أبي المتحير
يُبارى الرياح بفضل السما * ج حتى تبلى أو تحير
له أؤكد الوحي مبرأته * ومن ذا يخالف وحى السور
وها للسود وأشباهه * ومن كذب الحق إلا الجمر

فلما أوصلها شيعها بكلام بعذره وقال : لو أطاق خدمة أمير المؤمنين لكان أسعد بها ، فقال المتوكل : صدقت ، وأمر له بعشرين ألف درهم .

• — محمد بن عبد الملك الزيات^(١)

كان محمد شاعرا مجيدا لا يُقاس به أحد من الكتاب ، وإن كان إبراهيم بن العباس مثله في ذلك ، فإن إبراهيم مُقِلٌ وصاحب قصار ومقطعات . وكان محمد شاعرا يُطيل فيجيد ، ويأتي بالقصار فيجيد ؛ وكان يلغا حسن اللفظ اذا تكلم واذا كتب .

ولما تولى محمد الوزارة اشترط ألا يلبس القباء ، وأن يلبس الدراعة ويتقلد عليها سيفا بحامل ، فُلجِب إلى ذلك .

وكان يقول : الرحمة خور في الطيمة ، وضَعَف في المنة ، ما رَحِمْتُ شيئا قط ؛ فكانوا يطعنون عليه في دينه بهذا القول ، فلما وُضِع في الثقل والحديد قال : أرحموني ، فقالوا له : وهل رحمت شيئا قط قَرَحَ؟ هذه شهادتك على نفسك وحُكْمك عليها .

لما ماتت أم أبيه عمرو رثاها بقصيدة منها :

يقول لي الخِلان لو زُرْتُ قَبْرَها • قَفَلْتُ وهل خير الفؤاد لها قَبْرُ
على حين لم أَدْحُثْ فأَجْهَل قَبْرَها • ولم أُلْغِ السَّن التي ممها الصبر

ومن شعره قوله :

ما أعجب الشيءَ ترجوه قُتِرَحمه • قد كنتُ أحسب أني قد ملأت يدي
مالى اذا جِئْتُ لم أَدْكُر بصالحه • وإن مَرِضْتُ فطال السقم لم أَعُدْ

(١) هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حوزة واشتهر بابن الزيات لأن جده (أبان) كان يطلب الزيت من مواضعه إلى بغداد ، وكان أدبيا شاعرا طليما بالعروالة ، وله ديوان شعر ومجموعة رسائل جيدة ، وكانت في أول أمره من حملة الكتاب ثم صار وزيرا للنصم ولأبيه الراجي . ولما تولى التوكل قص عليه وأمر بإدخاله في تور من حديد كان ابن الزيات أعمه لتعذيب المصادرين وأرباب الدواين المطالبين بالأموال وقبده بخمسة عشر رطلا من حديد ، ثم أمر بتراجعه بعد أن مكث فيه أربعين يوما ، فوجدوه ميتا وذلك سنة ٢٣٣ هـ . ومجد ترجمه في الأغاني (ج ٢٠ ص ٤٦) وابن خلكان (ج ٢ ص ٧٨) .

ومن شعره قوله :

ألم تعجب لمكتبٍ حزين • خلدن صبايةً وحليف صبر
يقول إذا سألت به بخير • وكيف يكون مهجورٌ بخير

وكان أحمد يردون أشهب لم ير مثله قراة وحسن، فبقي به محمد بن خالد إلى المعتصم ووصف له فراهته، فبعث إليه المعتصم فأخذه منه، فقال محمد بن عبد الملك يرثيه :

كيف العزاء وقد مضى لسبيله • هنا فودعنا الأحسم الأشهب
دبَّ الوشاة فأبعسوك وربما • بعد النقي وهو الأحب الأقرب
فه يومٌ نأيت عنى طائعا • وسليتُ قريك أى حلقى أسلب
نفسٌ مفرقة أقام فريقيها • ومضى لطيفه ففريقٌ يحب
فالآن اذ كملت أمانك كلها • ودعا البيون اليك لو لم تعجب
وأختير من سائر الحداث خيرا • لك خالصا ومن الحلى الأغرب
وغدوت طنان الجمام كأنما • فى كل عضو منك صنع يضرب
وكان سرجك إذ ملاك غمامة • وكأنما تحت الغمامة كوك
ورأى على بك الصديق جلالة • وغدا العبد ومصدره يتلهب
أنساك لا زالت إذا منيته • نفسى ولا زالت يمينى تتك
أضمرت منك الياس حين رأيتنى • وقوى حبالى من قواك تقضب
ورجعت حين رجعت منك بحسرة • فه ما فعل الأحسم الأشهب

ولما وثب إبراهيم بن المهدي على الخلافة أقترض من مياسير التجار مالا، فأخذ من عبد الملك أبي محمد عشرة آلاف درهم وقال له : أنا أردّها إذا جاني مال. ولم يمت أمره. فاستخفى ثم ظهر ورضى عنه المأمون، فطالبه الناس بأموالهم، فقال : إنما أخذتها للسامين وأردت قضاءها من قيمتهم، والأمر الآن إلى غيري، فعزل محمد بن عبد الملك قصيدة خاطب فيها المأمون ومضى إلى إبراهيم بن المهدي فأقرأه إياها وقال : واقعك ثمن لم تعطني

المال الذي اقترضته من أبي لأوصلك هذه القصيدة الى المأمون، تخاف أن يقرأها المأمون
فيتدبر ما قاله ، فيوقع به ، فقال له : خذ مني بعض المال ونجِّم علي بعضه ، ففعل ؛
والقصيدة قوله :

ألم ترَ أبنَ النُّعْءِ للشَّوْءِ حِلَّةً * تكون له كالنَّارِ تُجَدِّحُ بِالزَّيْدِ
كذلك جَرَّبَتِ الأُمُورُ وَإِنَّمَا * يُلْكَ مَا قَدْ كَانَ قَبْلُ عَلَى الْبَعْدِ
وَعَلَّنِي بِإِبْرَاهِيمَ أَنَّ مَكَانَهُ * سَيَبْتَ يَوْمًا بِمِثْلِ إِيَّامِهِ النُّكْدِ
رَأَيْتُ حُسَيْنًا حِينَ صَارَ مُحَمَّدٌ * بِغَيْرِ أَمَانٍ فِي يَدَيْهِ وَلَا عَقْدِ
فَلَوْ كَانَ أَمْضَى السَّيْفِ فِيهِ بَضْرِيَّةٌ * فَصَيَّرَهُ بِالقَاعِ مُتَعَفِّرَ الْحَدِّ
إِذَا لَمْ تَكُنْ بِالْجُنْدِ فِيهِ بَقِيَّةً * فَقَدْ كَانَ مَا بُلِّغْتُ مِنْ خَبَرِ الْجُنْدِ
هُمْ قَتَلُوهُ بَعْدَ أَنْ قَتَلُوهُ * ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنْ كُفُوهٍ وَمِنْ مُرْدِ
وَمَا نَصَرُوهُ عَنْ يَدِ سَلَفَتِ لَهُ * وَلَا قَتَلُوهُ يَوْمَ ذَلِكَ عَنْ حِقْدِ
وَلَكِنَّهُ النَّذْرُ الصَّرَاحُ وَخَفَّةُ الْإِلَ * حُلُومِ وَبُعْدُ الرَّأْيِ عَنْ سُنَنِ الْقَصْدِ
لِذَلِكَ يَوْمٌ كَانَ لِلنَّاسِ عِبْرَةً * سَبَقَ بَقَاءَ الْوَحْيِ فِي الْجَهْرِ الصَّلْدِ
وَمَا يَوْمٌ لِإِبْرَاهِيمَ إِنْ طَالَ عَمْرُهُ * بِأَبَعْدَ فِي الْمَكْرُوهِ مِنْ يَوْمِهِ عِنْدِي
تَذَكَّرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَقَامَهُ * وَأَيَّامَانَهُ فِي الْهَزْلِ مِنْهُ وَفِي الْجُدِّ
أَمَّا وَالَّذِي أَسْبَغَتْ عَبْدًا خَلِيفَةً * لَهُ شَرُّ إِيْمَانِ الْخَلِيفَةِ وَالْعَبْدِ
إِذَا هُنَّ أَعْوَادُ النَّابِرِ بِأَسْبَغِهِ * تَقْنَى بِلَيْلٍ أَوْ بِمِثْلَةِ أَوْ هِنْدِ
فَوَاللَّهِ مَا مِنْ تَوْبَةٍ تَزَعَتْ بِهِ * إِلَيْكَ وَلَا مِثْلِي إِلَيْكَ وَلَا وَدِّ
وَلَكِنْ إِخْلَاصَ الضَّمِيرِ مُقَرَّبٌ * إِلَى اللَّهِ زُلْفَى لَا تَقِيدُ وَلَا تُكْدِي
أَتَاكَ بِهَا كَرَاهَا إِلَيْكَ بِأَنْفِهِ * عَلَى رَغْمِهِ وَأَسْأَثَرُ اللَّهِ بِالْحَمْدِ
فَلَا تَتَرَكَّنِ لِلنَّاسِ مَوْضِعَ شُبْهَةٍ * فَإِنَّكَ بِحُزْنِي بِحَسَبِ الَّذِي تُسَدِّي
فَقَدْ ظَلَمُوا لِلنَّاسِ فِي نَعَبٍ مِثْلِهِ * وَمَنْ لَيْسَ لِلنَّصُورِ بَابٌ وَلَا الْمَهْدِي

فكيف بمن قد بايع الناس وألقت * بيعة الرجلين غورا الى محمد
ومن سلك تسلية الخلافة سمعه * يتأدى به بين الساطين من بعد
واى امرئ سعى بها قط نفسه * ففارقها حتى يغيبف العهد
وزعم هذى التابيتة انه * امام لها فيها ثمر وما تبدى
يقولون متى واية سنة * تيم بصمل الراس جون القفا جعد
وقد جعلوا رخص الطعام بهذه * زعيا له باليمن والكوكب السعد
اذا ما راوا يوما خلاه رأيهم * يمتحنون تحتانا الى ذلك المهيد
واقباله في العيد يوجف حوله * ويجف الحياذ واسطكالك القنا الجرد
ورجاله يمشون بالبيض قبله * وقد تبعوه بالفضيب وبالبرد
فان قلت قد رام الخلافة قبله * فلم يؤت فيما كان حاول من جد
فلم اجزه اذ خيب الله سعيه * على خطأ اذ كان منه حل محمد
ولم أرض بعد المغو حتى رفضه * ولعم أولى بالتفشد والرشد
فليس سواء خارجي رعى به * اليك سقاء الراى والراى قد يردى
تعاذت له من كل أوب عصابة * متى يوردوا لا يصيدوه عن الورد
ومن هو في بيت الخلافة تلتقى * به وبك الآباء في ذروة المجد
فولاك مولاه وجندك جنده * وهل يجمع القين الحسامين في غيد
وقد رابى من أهل بيتك أنى * رأيت لهم وجدا به أيما وجد
يقولون لا تبع من أبى مليه * صبور على الأواء ذى مرة جلد
فدانا وهانت نفسه دون ملكا * عليه لدى الحال التى قل من يقدى
على حين أعطى الناس صفق أكفهم * على بن موسى بالولاية والعهد
فما كان فينا من أبى الضيم غيره * كريم كفى ما فى القبول وفى الرد
وجرد إبراهيم للوت نفسه * وأبدى سلاحا فوق ذى ميمة تهد

وأبلى ومن يبلغ من الأمر جهنمه * فليس بمذموم وإن كان لم يمسد
فهذه أمور قد يخاف ذور النوى * مغبتها والله يهديك للرشد
وكانت الخلافة في أيام الواثق تدور على إيتاخ وكتبه سليمان بن وهب، وحل أشتاس
وكتبه أحمد بن الخصب، فعمل محمد بن عبد الملك قصيدة وأوصلها إلى الواثق على أنها
لبعض أهل السكر، وهي :

يا بن الخلائف والأملك إن شئبوا * حزت الخلافة عن آباك الأول
أجرت أم رقلت صباك عن عجب * فيه البرية من خوف ومن وهل
وليت أربعة أمر العباد معا * وكلهم حاطب في جبل مخبيل
هذا سليمان قد ملكت راحته * مشارق الأرض من سهل ومن جبل
ملكته السند والشحرين من عدن * إلى الجزيرة فالأطراف من ملل
خلافة قد حواها وحده ففضت * أحكامه في دماء القوم والنفل
وإن الخصب الذي ملكت راحته * خلافة الشام والغازين والتففل
فبيل مصر فبحر الشام قد جرى * بما أراد من الأموال والحلل
كانهم في الذي قسمت بينهم * بنو الرشيد زمان القمم للدول
حوى سليمان ما كان الأمين حوى * من الخلافة والتبليغ للأمل
وأحمد بن خصب في إمارته * كالقاسم بن الرشيد الجامع السبل
أصبحت لا فاعم يأتك مستترا * ولا علانية خوفا من الجبل
سل بيت مالك أين المال تعرفه * وسل تراجك عن أموالك الجمل
كم في حبوسك ممن لا ذنوب لهم * أمرى التكتب في الأقياد والجمل
سميت باسم الرشيد المرتضى فيه * تسمى الأمور التي تضي من الزلل
عث فيهم مثل ما عاثت يدها معا * على البرامك بالهديم للقلل

فلما قرأ الواثق هذا الشعر فاطمه، وتكب سليمان بن وهب وأحمد بن الخصب،
وأخذ منهما ومن أسابهما ألف دينار فجعلها في بيت المال .

٦ - ابن البواب^(١)

لما أتى المأمونُ بشعر ابن البواب الذي يقول فيه :

أَيُّخْلُ فَرْدُ الْحَسَنِ فَرْدُ صِفَاتِهِ * عَلَى وَقْدِ أَفْرَدْتُهُ جَهْوَى فَرْدِ
رَأَى اللَّهَ مَبْدَأَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ * فَلِلصَّكَّةِ وَاللَّهِ أَحْلَمُ بِالْمَبْدِ
أَلَا إِنَّمَا الْمَأْمُونُ لِلنَّاسِ حِصْمَةٌ * مَجْمُوعَةٌ بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالرَّشْدِ

فقال المأمون : أليس هو القاتل :

أَعْنَى جُودًا وَأَيْكًا لِي مُحَمَّدًا * وَلَا تَكُنَّا دُعَا عَلَيْهِ وَأَسْعِدَا
فَلَا فَرَحَ الْمَأْمُونُ بِالْمَلِكِ بَعْدَهُ * وَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا شَرُّ دَا مُطَوَّدَا
وَاحِدَةٌ بِوَاحِدَةٍ ، وَلَمْ يَصِلْهُ شَيْءٌ . وَلَمَّا سَمِعَ عَلَيْهِ قَالَ قَصِيدَةً يمدحه بها ، ودسَّ مِنْ
قَتْلِهِ فِي بَعْضِهَا لَهَا وَجَدَ مِنْهُ فَنَاطِلًا ، فَسَأَلَ : مَنْ قَاتَلَهَا ، فَأَخْبَرَهُ ، فَرَضَى عَنْهُ وَرَدَّهُ إِلَى رِسْمِهِ
مِنْ الْخِلْمَةِ ، وَهِيَ :

هَلْ لِلْحَبِّ مُيِّنٌ * إِذْ شَطَّ عَنْهُ الْقَرِينُ
فَلَيْسَ يَسْكِي لَشَجْوَالِ * حَزِينٍ إِلَّا الْحَزِينُ
يَا ظَاغِتَا ظَابِ عَنَا * غَدَاةَ بَارِقِ الْقَطِيبِ
أَبْكَى الْعَيُونَ وَكَانَتْ * بِهِ تَحْزَنُ الْعَيُونَ
يَا أَيُّهَا الْمَأْمُونُ أَلِ * حَبَارِكُ الْمَيْمُونُ
لَقَدْ صَفَتْ بِكَ دُنْيَا * لِلْسَّالِمِينَ وَدِينُ
مَلِكِ نَوْرُ جَلَالِ * وَنُورُ مُلْكِ مُيْمِينِ

(١) هو عبد الله بن خطاب من أهل بخارى ، ورجل مجتهد وجماعة معه رعية إلى الحاج بن يوسف ، فزولوا عنه برأيه ، فأعطاهم سكناً بها ، فاحطوطوا وزلوا طول أيام بن أبيه ، ثم انقموا من الدولة العباسية إلى الربيع تلمذوه ، وكان عباده بن محمد هذا يحلف الفضل بن الربيع على حجة الخلفاء ، وكان صالحاً للشرع عليه وداوية لا يخيار الخلفاء ، طالما بأمرهم .

القول منك قَمال * والظن منك يقين
 ما من يديك شمال * حكمتا يديك يمين
 كأنما أنت في الجوى * د والتقى هارون
 من نال من كل فضل * ما ناله الامون
 تألف الناس منه * فضل وجود ولين
 كالبريد طيه * سكة وسكون
 فالرزق من راحته * مقسم مضمون
 وكل خصلة فضل * كانت فنه تكون

ومما ينشئ فيه قوله :

أفنى أيها القلب المصنوب كم تصبوا ؟ * فلا النأي عن سمالك يسأل ولا القرب
 أقول غداة استخبرت م طي ؟ * من الحب كرب ليس يشبهه كرب
 اذا أبصرتك العين من بعد غاية * فأدخلت شكايك أفتك القلب
 ولو أن ركبا يمتوك لقدام * نسبك حتى يستدل بك الركب

أماق ابن البواب حين جفاه الخليفة وطعت منه عن الخدمة، فرحل الى أبي دلف
 القاسم بن عيسى ومدحه بقصيدة، فوهب له ثلاثين ألف درهم وعاد بها الى بغداد، فما
 فقدت حتى مات، وهي قوله :

طرقك صائغة القلوب رباب * ونأت فليس لها إليك مأب
 ونصرت منها اليهود وظقت * من دون نيل طلابها الأبواب
 فلا صديق عن الهوى وطلابه * فالحب فيه بكة وعذاب
 وأخص بالمدح المهذب سيدنا * فقامته للجبين رغاب
 والى أبي دلف رحلت مطبى * قد شفاها الإرقال والإصاب

تعلو بنا قُلُلُ الجبال ودونها • مما حوت أفوية وشعاب
 فانما حلت لدى الأمير بأرضه • ثلث المني وتفضيت الآراب
 ملك تأمل عن أبيه وجده • مجدا يقصر دونه الطلّاب
 وإذا وزنت قديم ذي حسيب به • خضعت لفضل قديمه الأحساب
 قوم علوا أملاك كل قبيلة • فالناس كلهم له أذنان
 ضربت عليه المكرات ربابها • فعلا العمود وطالت الأطناب
 عقيم النساء بمثله وتعطلت • من أن تضمن مثله الأصلاب

٧ - الخضرى

كان متصلاً بحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة، وله فيه مدائحٌ جَيَّادٌ، ثم رثاه بعد موته، فقليل له : يا أبا يعقوب، مدائحك لآل منصور بن زياد أحسن من مرثيتك وأجود، فقال : تكلم يومئذ تعمل على الرجاء، ونحن اليوم نعمل على الوفاء، وبينهما بون بعيد .

وهو القائل في حليته :

أصنني الى قائدى يُخبرنى * إذا ألتقينا عن يميني
أريد أن أعيد السلام وأن * أفصل بين الشريف والدون
أسمع ما لا أرى فأكره أن * أخطئ والسمع غير مأمون
لله مبنى الى يمت بها * لو أن دهرها بها يؤاتيني
لو كنت خيّر ما أخلت بها * تعمير نوح في ملك قارون
حق أخلاقى أن يسودنى * وأن يمزوا عنى ويبكونى

وهو القائل :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً * فإن البعض من بعض قريب
يُمَتِنى الطيبُ شفاء عني * وهل غير الإله لما طيب

(١) هو إسحاق بن حسان ويكنى أبا يعقوب، من العجم، وهو القائل :

إلى أمرؤ من سرة الصند أليسنى * عرق الأجاج جلدًا طيب الخبر

وكان مولد ابن خريم ألقى يقال لأبيه : خريم التام . وهو خريم بن عمرو بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

وعنى أبو يعقوب الخضرى بعد ما أمتق، وكان يقول في ذلك شعراً، فنه قوله :

فإن تلك حتى عبا نوردا * فكلم قلبها نوردين عبا

فلم يسم على راسكنا * أوى نوردى إلى سرى

فأخرج فيه إلى نوره * مراجاً من العلم يشقى السرى

وقال يذكر بشداد والفتنة التي كانت بها :

قالوا ولم يلعب الزمانُ يَدَ * مداد وتَعَثَّرَ بها صَوَائِرُهَا
 إذ هي مثلُ العروسِ بِإِدَّتِهَا * مُهَوَّلٌ للفنَى وحَاضِرُهَا
 جَنَّةُ دُنْيَا وِدَارٌ مَقْبَطَةٌ * قَلَّ مِنَ الثَّابِتَاتِ وَأَثَرُهَا
 دَوَتْ خُلُوفُ الدُّنْيَا لِسَاكِنِهَا * وَقَلَّ مَسُورُهَا وَمَسِيرُهَا
 وَأَهْرَجَتْ بِالنَّعِيمِ وَأَنْجَمَتْ * فِيهَا بِلْقَاتُهَا حَوَاضِرُهَا
 فَالْقِسْمُ مِنْهَا فِي رَوْضَةِ أَقْيَبَ * أَشْرَقَ غَيْبُ الْقِطَارِ زَاهِرُهَا
 مِنْ غَرَمِ الْعَيْشِ فِي بُلَهْنِيَّةٍ * لَوَاتٍ دُنْيَا يَدُومَ عَائِرُهَا
 دَارُ مَلُوكٍ رَسَتْ قَوَاصِدُهَا * فِيهَا وَقَزَتْ بِهَا مَنَارُهَا
 أَهْلُ الْعِلَا وَالزُّرَى وَأَنْدِيَّةُ آلَ * غَضَرٍ إِذَا عُنْدَتْ مَفَاوِرُهَا
 أَفْرَاحُ تُنَمَّى فِي إِرْثٍ مَلَكَةٍ * شَدَّ عُرَاهَا لَهَا أَكْبَارُهَا
 فَلَمْ يَزَلْ وَالزَّمَانُ نَوَافِرَ * يَقْدَحُ فِي مُلْكِهَا أَصَاغِرُهَا
 حَتَّى تَسَاقَتْ كَأَسَا مُثْقَلَةٌ * مِنْ قَنَسَةٍ لَا يُقَالُ عَائِرُهَا
 وَأَفْتَرَقَتْ بَعْدَ أَلْقَةٍ شَيْئًا * مَقْطُوعَةً بَيْنَهَا وَأَوَاصِرُهَا
 بِأَهْلِ رَأْيَاتِ الْأَمْلَاكِ مَا صَنَعَتْ * لِذَلِكَ لَمْ يَزَعْهَا بِالنَّصِيحِ زَاوِرُهَا
 أَوْرَدَ أَمْلَاكُنَا قَوْمَهُمْ * هُوَّةٌ عَنَى أَعْيَتْ مَصَادِرُهَا
 مَا ضَرَبَهَا لَوْ وَقَتْ بِمَوَاقِفِهَا * وَأَسْتَحْكَمْتُ فِي الثَّقَى بِهَاضِرُهَا
 وَلَمْ تُسَافِكْ دِمَاءَ شَجْعَتِهَا * وَتَبَيَّنَ لَهَا قِيَّةُ تَعْكَابِرُهَا
 وَأَفْتَعَتْهَا الدُّنْيَا الَّتِي جُمِعَتْ * لَهَا وَرَغَبُ النُّفُوسِ ضَائِرُهَا
 مَا لَزَالَ حَوْضُ الْأَمْلَاكِ [...] * مَسْجُودُهَا بِالْهَوَى وَمَسِيرُهَا
 تُبْقَى فُضُولُ الدُّنْيَا مُكَاثَرَةٌ * حَتَّى أُجِيتَ حَكْرُهَا ذَمَائِرُهَا

يبيع ما بجمع الأبوّة قد * أبناء لا أربحت محابرها
 يا هل رأيت الحنان زاهرة * يروق من البصير زاهرها
 وهل رأيت القصور شاردة * تحيّر مثل الذي مقاصرها
 وهل رأيت القرى التي غرس الـ * أملاك محضرة تساهرها
 محفوفة بالكرم والتخليل والـ * ترينحان قد ديمت محابرها^(١)
 فإنها أصبحت خلايا من الـ * بإنسان قد ديمت محابرها^(١)
 قفراً خلاء تعوى الكلاب بها * ينكر منها الرسوم دائرها
 وأصبح البؤس ما يفارقها * إلقاها والسرور هاجرها
 بزند ورد والياسرية والـ * شطين حيث آتت معابرها
 وبالرحى والحيدانية الـ * حليا التي أشرفت قناطرها
 وقصر عبديوه عبدة وهدي * لكل نفس زكّت مرآثها
 فأين حراسها وحارسها * وأين تجورها وجابرها
 وأين خصيائها وحشوتها * وأين سكناها وطامرها
 أين الجرادية الصقالب والـ * أحشش تعدو هذلا مشافرها
 ينصدع الجند عن مواكبها * تعدوها سرّاً ضوامرها
 بالسند والهند والصقالب والـ * خوبة يشبت بها برابرها
 طيراً أبايل أرسلت عبثا * يقدم موداتها أحامرها
 أين الظباء الأبيكار في روضة الـ * حلك تهادي بها غراثها
 أين غضاراتها ولذتها * وأين عبورها وحابرها
 بالمسك والعنبر الهماني والـ * يلنجوج مشبوبة بمحارها
 يرقلن في انحرز والمجاسد والـ * حوثي خطومة مزمارها

فَايْن رَقاصها وزَامِرها • يُجِبْنَ حيث أَتَتْ حَتَمَها
 تَكَاد اِسْمَاعُهم تُسَلِّ اِذَا • عَارِض عِيْدَانِهَا مَزَاهِرها
 اَمَسَتْ بِكَوْفِ الحَارِ خَالِيَةً • يَسْعَرُها بِالْجَحْمِ سَاعِرها
 كَانِمَا اَصْبَحَتْ بِسَاحَتِهم • عَادُ وَمَسْتَهْم صَوَاصِرها
 لَا تَعْلَمُ النُّفْسُ مَا يَأْتِيهَا • مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ اَوْ يَأْكُرُها
 تُضْحِي وَتَمُتُ دَرِيَّةً غَرَضًا • حَيْثُ اَسْتَقَرَّتْ بِهَا شَرَاثِرها
 لَأَسْهَمُ الدَّهْرَ وَهُوَ يَرْشُقُها • تُحْنِطُها مَرَّةً وَبَاقِرها
 يَابُوسَ بِشَدَادِ دَارِ مَمْلُوكَةٍ • دَارَتْ عَلَى اَهْلِهَا دَوَائِرها
 اَمَلَهَا اللهُ ثُمَّ طَاقَبَهَا • لَمَّا اَحَاطَتْ بِهَا كِبَارُها
 بِالْحَسِيفِ وَالْقَذْفِ وَالْحَرِيقِ وَبِالْ • حَرْبِ اَتَى اَصْبَحَتْ تُسَاوِرها
 كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنَ الْمَعَاصِي بِهَا • كَالْمَاهِرِ السَّوِّءِ
 حَلَّتْ بِشَدَادٍ وَهِيَ آيِنَةٌ • نَاجِيَةٌ لَمْ تَكُنْ تُحَافِذُها
 طَالَعُهَا السَّوُّءُ مِنْ مَطَالِمِهَا • وَادْرَكَتْ اَهْلُهَا جَوَائِزُها
 رَقِيَ بِهَا الدِّينَ وَاسْتَحْفَ بِذِي الدِّينِ • غَضَلَ وَعَزَّ التَّسَاكُ فَاحِرها
 وَغَطَّمُ الْعَبْدُ أَنْفَ سَيِّدِهِ • بِالزُّلْمِ وَأَسْتَعِيدَتْ غَضَادُها
 وَصَارَ رَبُّ الْجَبَرِ اِنْفَاسُهم • وَأَبْرَأَ أَمْرَ الدُّرُوبِ فَاحِرها
 مِنْ يَرِ بِشَدَادَ وَالْجَنُودُ بِهَا • قَدْ رَبَّقَتْ حَوْطًا عَصَاكُها
 كُلَّ طَعْنٍ شَبَّاهُ بِاسْلَافِهِ • تُسْقِطُ اَحْبَالُهَا زَمَاجِرُها
 تُكَلِّفُ بَنِي الرَّدَى اَوَائِسَهَا • يُرَهِّقُهَا لِقَاءُ طَاهِرُها
 وَالشَّيْخُ يَسْدُو حَزْمًا كَلَّابُهُ • يُقْلِمُ اَعْجَازُها بِمَاورِها
 وَلِزْهَرٍ بِالْقَوْلِ مَا سَدَّ • مَرَقُومَةُ مُلَبَّةٌ مَكَاكِسُها
 كِتَابُ الْمَوْتِ تَحْتَ اَلْوِيَّةِ • اَبْرَحَ مِنْصُورُها وَنَاصِرُها

يُعلم أن الأقدار واقعة * وقعا على ما أُنْخَبَ قادِرها
تلك بغداد ما بين من الـ * بالله في دورها عصارها
عضوفة بالردى معلقة * بالصقر محصورة جبارها
وين شط الأثرات منه الى * دجلة حيث أتت معابرها
كهادي الشفراء نافرته * تركض من حولها أشايرها
يُحرقها ذا وذاك يهيمها * ويشتنى بالثَّباب شاطرها
والكنج أسوأها معطلة * يستن عيارها وعازرها
أخرجت الحرب من سواقيها * آساد غيل قلبا ثساورها
من البوارى ترأسها ومن الـ * نحو إذا استلأمت مقافرها
تندو الى الحرب في جواشنها الـ * صوف إذا ما عدت أساورها
كتائب الهرش تحت رايته * ساعد طرازها مقاسرها
لا الرزق تبني ولا العطاء ولا * يحشرها للقاء حاشرها
في كل درب وكل ناجية * خطارة يستهل خاطرها
بمثل هام الرجال من فلق الـ * صخر يزود المقلع باثرها
كأنما فوق هامها عذف * من القطا الكندر حاج نافرها
والقوم من تحتها لم زجل * وهي ترى بها خواطرها
بل هل رأيت السيوف مضلة * أشهرها في الأسواق شاهرها
والخيل تستن في أزقتها * بالترك مسنونة خناجرها
والنقط والنار في طرائقها * وهابا للدخان عامرها
والتهب تمدويه الرجال وقد * أبدت خلايلها حرارها
مُصَوِّصبات وسط الأزقة قد * أبرزها للعيون سائرها
كل رعود الضحى تحبابة * لم تبد في أهلها عابرها

بَيْقَبَة خَذَر مَكُونَة بَرَزَتْ * للناس مَنشُورَة خَدَاثَرها
 تَمَرُّدٌ فِي ثَوْبِهَا وَتَمِيلُهَا * حَكْبَة خَيْلٍ زِيَمَتْ حَوَافِرها
 تَسَالُ أَيْنَ الطَّرِيقِ وَالْهَمَّةُ * وَالنَّارُ مِنْ خَلْفِهَا تَبَادِرها
 لَمْ تَجْتَمِلِ الشَّمْسُ حَسَنَ بَهْجَتِهَا * حَتَّى أَجْلَبَتْهَا حَرْبٌ تُبَاشِرها
 يَاهِلُ رَأَيْتِ النِّكْلَى مُوَلَّوَةً * فِي الطَّرِيقِ تَسْعَى وَالْجَهْدُ بَاهِرها
 فِي لَأْمٍ نَمَشَ عَلَيْهِ وَاحِدَهَا * فِي صَدْرِهِ طَلْعَةٌ يُسَاورها
 فَرْغَاءٌ تُلْقِي النَّشَارَ مِنْ يَدِهَا ^(١) * يَهْزِئُهَا بِالسَّانِفِ شَاجِرها
 تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ وَتَهْتِفُ بِأَلِ * شَكْلٍ وَهَزَّ الدَّمْعُ خَاصِرها
 غَرَّغَرُ بِالنَّفْسِ ثُمَّ أَسْلَمَهَا * مَطْلُولَةٌ لَا يُخَافُ نَازِرها
 وَقَدْ رَأَيْتِ الْفَتَيَانَ فِي حَرَمَةِ الْ * حَمْرُوكِ مَعْفُورَةً مَنَازِرها
 كُلُّ نَفْسٍ مَنَاعٌ حَقِيقَتَهُ * تَشْقَى بِهِ فِي الْوُغَى مَسَاحِرها
 بَانتَ عَلَيْهِ الْكَلَابُ تَهْشُهُ * غَضُوبَةٌ مِنْ دِيمِ أَظْافِرها
 أَمَا رَأَيْتِ الْخَيْلَ جَائِلَةً * بِالْقَوْمِ مَكْكُوبَةً دَوَافِرها
 تَمَرُّدٌ بِالْأَوْبُجِ الْحَسَنِ مِنَ الْ * قَتْلِ وَغَلَّتْ دِمَا أَشَاحِرها
 يَطْلُتُ أَجَادَ نَفْسٍ تُجْهِدُ * يَفْلِقُ هَامَاتِهِمْ حَوَافِرها
 أَمَا رَأَيْتِ النِّسَاءَ تَحْتَ الْمَجَا * نِيْقٍ تَعَادَى شُعْتًا ضَفَائِرها
 عَقَائِلُ الْقَوْمِ وَالْعَبَائِرُ وَالْ * حَسَنُ لَمْ تُخْبِرْ مَعَاصِرها
 يَحْمِلُنَ قَوَاتٍ مِنَ الطَّمِينِ عَلَى الْ * أَكْتَافِ مَعْصُوبَةٍ مَعَاجِرها
 وَذَاتَ عَيْشٍ ضَنْكٌ وَمُقَصَّةٌ * تَشْدُخُهَا حَقِيرَةُ مُسَاورها
 تَسْأَلُ عَنْ أَهْلِهَا وَقَدْ سُلِيتِ * وَأَبْرَتْ عَنْ رَأْسِهَا غَفَائِرها
 يَا لَيْتَ مَا وَالِدُهَا ذُو دُوبٍ * تُرْجَى وَأُخْرَى تُخْشَى بِوَادِرها

(١) كذا في هامش النسخة الأوربية من الطبري . وفي نسخة بولاق وأوربا (في صلبها) :

* فَرْغَاءٌ يَنْقِي النَّشَارَ مَرِيدَهَا * وهي رواية ظاهر عليها التحريف وفساد المعنى .

هل ترجى أرضنا كما هيئت * وقد تاهت بنا مصابرها
 من مبلغ ذا الراستين ربا * لايت تأتى للنصح شاعرها
 بأن خير الولاة قد علم الد * سأس اذا طلدت مآثرها
 خليفة الله من بريته ال * حامون سائمها وجابرها
 تمت إليه آمال أمته * منقادة برها وفاجرها
 شاموا حيا العدل من غايه * وانحسرت بالثقى بمآثرها
 وأحمدوا منك سيرة جلّت ال * شك وأخرى صحت معاذرها
 وأسجعت طاعة برقك لـ * حامون تجليها وغائرها
 وأنت سمع في العالمين له * ومقلة ما يكمل ناظرها
 فاشكر لدى العرش فضل نعمته * أوجب فضل المزيد شاكرها
 وأحذر فداء لك الرعية وال * أجناد مأمورها وأمرها
 لا تردن حمرة بنفسك لا * يصدر عنها بالرأى صايرها
 عليك مخضابها فلا تلج ال * غمر متجبة زواجرها
 والقصد إن الطريق ذو شعب * أشامها وعثها وجآثرها
 أصبحت في أمة أوائلها * قد فارقت هديها وأواجرها
 وأنت سرورها وسائمها * فهل على الحق أنت قاسرها
 أدب رجلا رأيت سيرتهم * خالف حكم الكتاب سائرها
 وأمدد إلى الناس كف مرحمة * نسد منهم بها مفاقرها
 أمكك العدل إذ هممت به * وواققت مدّه مقاديرها
 وأبصر الناس قصد وجههم * وملكت أمة أخايرها
 تُشرع أعناقنا إليك اذا ال * بادات يوما جمّت عشائرها
 كم عندنا من نصيحة لك في الد * له وقربى عزّت زوافرها

وحرمية قُرْبَتِ أَوَاصِرُهَا * منك وأخو، هل أنتَ ذا كرها
 سَتَى رِجَالٍ فِي الْمَلَمِ مَطْلَبُهُم * رَأَتْهَا بِاصْكَرٍ وَبَاكَرِهَا
 دُونَكَ غِرَاءَ كَالْوَذِيلَةِ لَا * تَفْقَدُ فِي بِلَدَةِ سَوَائِرِهَا
 لَا عِلْمًا قَلْبُهَا وَلَا بَطْكَرَا * لِكُلِّ نَفْسٍ تُوَافِرُهَا
 سَيَرَهَا اللَّهُ بِالنَّصِيحَةِ وَالْ * خَشْيَةِ فَاسْتَدْبَحَتْ مَرَاتِهَا
 جَاءَكَ نَحْيِيكَ لِكَ الْأُمُورِ كَمَا * يَنْشُرُ بَزَّ التَّجَارِ نَاشِرِهَا
 حَتَّىهَا صَاحِبَا أَخَا حَقِّةِ * يَظْلِلُ عَجَبًا بِهَا يُحَاضِرُهَا

ومن جيد شعره قوله :

النَّاسُ أَخْلَاقُهُمْ شَتَّى وَإِنْ جُلُوا * عَلَى تَشَابُهٍ أَرْوَاحٍ وَأَجْسَادِ
 لِقْدِيرٍ وَالشَّرُّ أَهْلٌ وَكُتِلُوا بِهِمَا * كُلُّ لَهُ مِنْ دَوَاعِي شَهْ هَادِ
 مِنْهُمْ خَلِيلٌ صَفَاءُ ذُو عَافِيَةٍ * أَرْمَى الْوَفَاءُ أَوَاخِيهِ بِأَوْتَادِ
 وَمُشْعَرُ الْفَدْرِ عَنِّي أَضَالُهُ * عَلَى سُرُورَةٍ تَحْمُرُ ظِلْفُهَا بِادِ
 مُشَاكِسٌ خِدَعٌ جَمَّ غَوَائِلُهُ * يُدْىِ الصَّفَاءَ وَيُخْفِي ضَرِيَةَ الْهَادِ
 يَأْتِيكَ بِالْبَغْيِ فِي أَهْلِ الصَّفَاءِ وَلَا * يَنْقُكَ بِسَمَى بِاصْلَاحٍ لِإِفْسَادِ

ومن جيد شعر الخريجي قوله :

أَضَاحَكَ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ * وَيُخَصِّبُ عِنْدِي وَالْمَحَلَّ جَدِيدِ
 وَمَا لِحَصْبٍ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرَى * وَلَكِنَّا وَجْهَ الْعَكْرِيمِ تَخْصِيبِ

ومن جيد شعره قوله :

زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِفْلًا * أَنَّهُ عِنْدَكَ تَحْقُورٌ صَغِيرِ
 وَتَنَاسَبَ كَأَنَّهُ لَمْ تَأْتِهِ * وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورُ كَبِيرِ

وهو القائل :

وَإِنْ أَشَدَّ النَّاسِ فِي الْحَشْرِ حَسْرَةً * لَمْ يُورِثْ مَا لَيْ غَيْرُهُ وَهُوَ كَالِيسَبِ
 كَفَى سَفَهًا بِالْكَهْلِ أَنْ يَتَجَّ الْعُصْبَا * وَأَنْ يَأْتِيَ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ عَائِبِ

وَيُسْتَجَادُ لَهُ قَوْلُهُ :

وِدُونِ التَّدَى فِي كُلِّ قَلْبٍ ثَقِيَّةٌ • لَهَا مَصْعَدٌ وَعَرٌّ وَمُنْحَلَرٌ مَهْلٌ
وَوَدَّ الْقَى فِي كُلِّ نَيْلٍ يُبْلَى • إِذَا مَا أَتَقَضَى لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزَلٌ
وَأَعْلَمُ حَالِهَا لَيْسَ بِالْفَرْقِ أَنَّهُ • لِكُلِّ أَنَاسٍ مِنْ ضَرَائِبِهِمْ شَكْلٌ
وَأَنَّ أَخْلَاءَ الزَّمَانِ غَنَائِهِمْ • قَلِيلٌ إِذَا الْإِنْسَانُ زَلَّتْ بِهِ الْعَمَلُ
تَزَوَّدَ مِنَ الدُّنْيَا مَتَاعًا لَغِيْرَهَا • قَعْدَ شَمَرَتْ حَذَاءُ وَأَنْصَرَمَ الْحَبْلُ
وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ • لِكُلِّ أَنَاسٍ مِنْ طَوَارِقِهَا الْكُلُّ

وَفِي هَذَا الشَّعْرِ يَقُولُ :

أَبَا لَصْفَدٍ بَأْسٌ إِذَا تَعَيَّرَنِي جُمْلٌ • سَفَاهَا وَمِنْ أَخْلَاقٍ جَارَتِي الْجَهْلُ
فَإِنْ تَضَخَّرَى يَا جَمَلٌ أَوْ تَجَعَّمَلْ • فَلَا تَفْرَ إِلَّا فَوْقَهُ الدِّينَ وَالْعَقْلُ
أَرَى النَّاسَ شَرًّا فِي الْحَيَاةِ وَلَا يُرَى • لَقَبْرٍ عَلَى قَبْرِ عِلَاءٍ وَلَا فَضْلُ
وَمَا ضَرَّتْنِي أَنْ لَمْ تَلِدْنِي يُحَايِرُ • وَلَمْ تَسْتَمَلْ جَزْمٌ عَلَيَّ وَلَا عَكْلُ

وَهُوَ الْقَائِلُ :

مَا أَحْسَنَ الْفَقِيرَةَ فِي حِينِهَا • وَأَقْبَحَ الْغَنِيَّةَ فِي كُلِّ حِينٍ
مَنْ لَمْ يَزَلْ مَتْنُهَا عِرْسَهُ • مُتَّصِبًا فِيهَا لِرَبِّ الظُّنُونِ
أَوْشَكَ أَنْ يُفْرِيهَا بِالَّذِي • يَخَافُ أَنْ يُبْرِزَهَا الْعِيُونُ
حَسْبُكَ مِنْ تَحْصِينِهَا وَضَعُهَا • مِنْكَ إِلَى عِرْضٍ مَحْصِيحٍ وَدِينٍ
لَا تَطْلُعُ مِنْكَ عَلَى رِييَةٍ • فَيَتَبِعُ الْمُقْرُونُ حَبْلَ الْفَرِينِ

٨ - عبد الله بن طاهر^(١)

كان بهل من علو المترلة وِعَظَم القَدْر ولُطْف مكان من الخلقاء، يُسْتَفْتَى به عن التقريظ له والدلالة عليه، وأمره في ذلك مشهور عند الخاصة والعامة، وله في الأدب مع ذلك المهل الذي لا يُنْفَع، وفي السباحة والشجاعة مالا يقاربه فيه أحد.

وكان أدبياً ظريفاً جيد الفناء، نسب إليه صاحب الأغاني أصواتاً كثيرة أحسن فيها وقلها أهل الصنعة عنه، وله شعر رائع ورسائل ظريفة، فمن شعره قوله :

نحن قومٌ نُلِينُ الحَقَّ النَجْدَ • لى على أتنا نلِين الحبيدا
طَوَّعُ أيدى القلباء نعتادنا العيب • من وقتاد بالظلمات الأسودا
تَمَلِّك الصَّيْدَ ثم تملكنا إليه • حُسْ المصوناتُ أعيماً وخدودا
تَنَقَّى مخطئنا الأسود ونحنى • تَنَقَّط الحشَف حين يُبدى الصلودا
قَرَأنا يوم العكرية أحرا • را وفي السليم للغواني عيدا

أعطاه المأمون مائة مصرلستة، خراجها وضياعها، فوجهه كله وفوقه في الناس ورجع صيفراً من ذلك، ففانط المأمون قملُه، فدخل إليه يوم مقبمه، فأنشده أبياتا قالها في هذا المعنى، وهي :

(١) هو أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن صعب بن زنديق كان سيداً تيملاً طالى المهة شهياً، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه، حسن الانكشافات إليه قدامه ورواية الحق والده وما أسلفه من العلة في خدمته، وكان والياً على الديور طما خرج بابل على الخويز على خراسان وأوقع الخوارج بأهل قرية الخراء من أعمال نيسابور وأكثرها فيها الفساد واتصل انطهر بالمأمون بعث الى عبد الله وهو بالديور بأمره بالخروج الى خراسان، فخرج اليها وطارب الخوارج وقدم نيسابور في رجب سنة ٢١٥ هـ. وكان الممر قد انقطع عنها تلك السنة، فلما دخلها طمرت مطرا كثيراً، فقام اليه رجل يراز من حاققه وأنشده :

قد لحظ الناس في زمانهم * حتى اذا جئت جئت بالهوز

خيان في ساعة لنا قهما * فرحنا بالأمير والمطر

قول الشام والوراق بمصر . وتوفي سنة ٢٣٠ هـ . ومجد ترجمته في ابن خلكان (ج ١ ص ٣٦٩) والأغانى

(ج ١١ ص ١١)

نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَحْيَاءُ خَاضِعَةٌ • لِلثَّائِبَاتِ أَيُّهَا غَيْرِ مُهْتَضَمٍ
إِلَيْكَ أَتَيْتُكَ مِنْ أَرْضِ أَلْتُ بِهَا • حَوَّلِينَ بِعَدْلِكَ فِي شَوْقِي وَفِي أَلَمِ
أَقْفُو مَسَامِكَ الْإِلَهِ تُخَيِّصَتَ بِهَا • حَلَوُ الشَّرَاكِ عَلَى مِثْلِ مِنَ الْأَلَمِ
فَكَانَ قَضَائِي فِيهَا أَتَنَّى تَبَسُّعٌ • لِيَا سَلَّتْ مِنَ الْإِنْسَامِ وَالنَّهَمِ
وَلَوْ وَكَلْتُ إِلَى نَفْسِي حَيِّتَ بِهَا • لَكِنْ بَدَأَتْ فَسَلِمَ أَعْجَزُ وَلَمْ أَلَمْ

فضحك المأمون وقال : والله ما قُيِّسْتُ عليك مَكْرَمَةً تَقَّهَا ، وَلَا أُخْدِثُوهَ حَسَنَ عِنْدَكَ
ذِكْرَهَا ، وَلَكِنْ هَذَا شَيْءٌ إِذَا عَوَّدْتَهُ نَفْسَكَ انْفَقَرَتْ ، وَلَمْ تَهْتَدِ عَلَى أَلَمِ شَعْنِكَ وَإِصْلَاحِ
حَالِكَ . وَزَالَ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ .

لَمَّا فَتَحَ عَبْدُ اللَّهِ مَصْرَ سَوْفَهُ الْمَأْمُونُ تَوَاجَعَا ، فَصَيَّدَ الْمُبْرَ فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَجَازَ بِهَا
كُلَّهَا عِلَاقَةً أَلَا فِ أَلْفِ دِينَارٍ أَوْ شَوْحَهَا ، فَأَنَاهُ مُعَلُّ الطَّائِي وَقَدْ أَطْلَمُوهُ مَا صَنَعَ بِالنَّاسِ
فِي الْحَوَائِزِ وَكَانَ عَلَيْهِ وَاجِدًا ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ تَحْتَ الْمُبْرِ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، أَنَا مُعَلُّ
الطَّائِي وَقَدْ بَلَغَ مِنِّي مَا كَانَ مِنْكَ مِنْ جَفَاءٍ وَغِلَظٍ ، فَلَا يَنْفُلُنْ عَلَى قَلْبِكَ ، وَلَا يَسْخَفَنَّكَ
الَّذِي يُلْفِكَ ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ :

يَا أَكْظَمَ النَّاسِ عَفْوًَا حِنْدَ مَقْدِيرَةٍ • وَأَكْظَمَ النَّاسِ عِنْدَ الْجُودِ لَالِ
لَوْ أَصْبَحَ النَّيْلُ يَجْرِي مَازُهُ ذَهَبًا • لَمَّا أَشْرَتْ إِلَى تَرْزِيْبٍ يَمْتَحِلِ
تُقْبَلِي بِمَا فِيهِ رِقٌّ الْحَمْدُ تَمْلِكُهُ • وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَاضَ الْحَمْدَ بِالْعَالِي
تَهَكُّ بِالْيُسْرَ كَفَّ الْعُسْرُ مِنْ زَمَنِ • إِذَا اسْتَطَالَ عَلَى قَسْوِمٍ بِإِقْسَالِ
لَمْ تَحْضَلْ كَفْكَ مِنْ جُودٍ مُتَقَبِّلِ • وَمُرْهِفٍ قَاتِلِ فِي رَأْسِ قَتَالِ
وَمَا بَثَّتَ رَيْحِلَ الْخَيْلِ فِي بَلَدٍ • إِلَّا حَصَفْنَ بَارِزَاقٍ وَأَجَالِ
إِنْ كُنْتُ مِنْكَ عَلَى بَابٍ مَنَّتَ بِهِ • فَإِنَّ شَرَكَكَ مِنْ قَلْبِي عَلَى بَالِ
مَا زِلْتُ مُقْتَضِبًا لَوْلَا بِجَاهِرَةٍ • مِنْ أَلْسِنِ خُضْنٍ فِي صَدْرِي بِأَقْوَالِ

فضحك عبد الله وسرَّ بما كان منه وقال : يا أبا السَّراء، أقرضني عشرة آلاف ديناراً
أُسيئتُ أملكها، فأقرضه فدفعها إليه .

كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر، وكان تديماً وجليسة، وكان له مؤثراً
مقدماً، فأصاب منه معروفاً كثيراً وأجازه بيوأثر سيرة هناك وقبل ذلك، ثم إنه وجد عليه
في بعض الأمر بغفاه وظهر له منه بعض ما لم يحبه، فرجع جيلداً إلى بغداد وقال :
إِنْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ خَلَّانَا * لَا مُبْدَأَ عُرفاً وإحساناً
لَحَسْبُنَا اللَّهُ رَضِينَا بِهِ * ثم ببدا الله مَولانا

يعنى به المأمون، وغنت فيه جاريته وسمعه المأمون، فاستحسنه ووصله وإياها، فبلغ
ذلك عبد الله بن طاهر، فناخه ذلك وقال : أجل ! صنعتا المعروف إلى غير أهله فضايع .
ولعبد الله الحُلانُ صاغها، فنما ومن غنارها وصدورها ومقلتها لحته في شعر أخت
عاصية فإنه صوتٌ نادرٌ جيدٌ صحيحُ العمل مُزدوجُ النعم ، بينَ لينٍ وشِدَّةٍ على رسم الحُلانِ
من القُدَّماء، وهو :

هَلَا سَقِيمٌ بَنَى سَهْمٌ أَسِيرُكُمْ * نَفْسِي فَنَادُوكَ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي
الطاعنُ الطمعةَ النجلاءَ يتبعها * مُضَرَّجٌ بعد ما جادتْ بِإزْبَادِ

ومن غنائه أيضاً :

رَاحَ مَحْبِيٍّ وَطَوَدَ الْقَلْبَ دَاءُ * مِنْ حَيِّبِ طِلَابِهِ لِي عَنَاءُ
حَسَنُ الرَّأْيِ وَالْمَوَاعِيدِ لَا يُلْثَمُنِي لَشَىءٌ مِمَّا يَقُولُ وَفَاءُ
مَنْ تَعَزَّى عَنِ مَحَبِّ فَإِنِّي * لَيْسَ لِي مَا حَيْثُ عَنْهُ عَزَاءُ

ما قيل في هجاء الأئمة ورثاته

قيل في هجاءه :

لم نبكك لماذا للطرَب * يا أبا موسى وترويح اللَّمَب
ولسرك الغمَس في أوقاتها * حرَّما منها على ماء العنب
وتسليف أنا لا أبكى له * وعلى كَوَثَر لا أخشى المَطَب
لم تكن تعرف ما حد الرضا * لا ولا تعرف ما حد الغضب
لم تكن تصلح للأك ولم * تُعطيك الطاعة بالملك المرب
أيها الباكي عليه لا بكث * حين من أبكاك إلا للعجب
لم نبكك لما عَرْضنا * للجانيق وطورا للسَّلب
ولقوم صبرونا أعْبدا * لم يبدو على الرأس الذَّب
في عذابٍ وحِصارٍ مُجْهِد * سَدَّ الطُّرُق فلا وَجَهَ طَلَب
زعموا أنك حُ حاشر * كل من قد قال هذا قد كَذَب
ليت من قد قاله في وَحْدَةٍ * من جميع ذاهبٍ حيث ذهب
أوجب الله علينا قتله * فاذا ما أوجب الأمر وجب
كان والله علينا غِنَةً * غَضِبَ الله عليه وكتب

وقال عبد الرحمن بن أبي الهذاهد يرثيه :

يا غَرْبُ جُودِي قد بُتَّ من وُدِّه * فقد فقدنا الفزير من دِيَمِه
ألوت بدنياك كُفْ ثائِبَةٌ * وصِرت مُغْضَى لنا على يَمِّه
أصبح للوت عندنا عِلْمٌ * يضحك مِن المنون من عِلْمِه
ما أَسْتَرْزَلَتْ ذَرَّةُ المنون على * أكرم من حلَّ في ثوب رِجْمِه
خليفةُ الله في برِّه * تقصُر أيدى الملوك عن شِمْه

يَفْتَرُ عَنْ وَجْهِهِ سَنَا قَر • يَنْشَقُّ عَنْ نَوْرِهِ دُجَى ظُلَمِهِ
 زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ مِنْ جَوَانِبِهَا • اذْأُولَعَ السِّيفُ مِنْ بَيْعِ دَمِهِ
 مَنْ مَسَكَتْ نَفْسُهُ لِمَصْرَمَةٍ • مِنْ عُمَمِ النَّاسِ أَوْ ذَوَى رَجَمِهِ
 رَأَيْتُهُ مِثْلَ مَا رَأَاهُ بِهِ • حَتَّى تَذُقَ الْأَمْرَ مِنْ سَقَمِهِ
 كَمْ قَدْ رَأَيْنَا عَزِيزَ مَمْلُوكَةٍ • يُنْقَلُ عَنْ أَهْلِهِ وَعَنْ بَخْدِهِ
 يَا مَلِكًا لَيْسَ بَعْدَهُ مَلِكٌ • نَحْنُ الْإِنْبِيَاءُ فِي أَيْمِهِ
 جَادَ وَحَى الَّذِي أَقْبَلَتْ بِهِ • تَحْتَ غَزِيرِ الْوَكَيْفِ مِنْ دَيْمِهِ
 لَوْ أَحْمَى الْمَوْتُ عَنْ أُنْثَى يَحْيَى • أَسْوَى فِي الْعِزِّ مُسْتَوَى قَلْبِهِ
 أَوْ مَلِكٍ لَا تَرَامُ سَطَوْتُهُ • إِلَّا مَرَامَ الشَّيْمِ فِي أَجْمِهِ
 خَلَدَكَ الْعِزُّ مَا سَرَى سَدَفٌ • أَوْ قَامَ طِفْلُ الْعَشَى فِي قَدَمِهِ
 أَصْبَحَ مُلْكُكَ إِذَا أَتَرَدْتَ بِهِ • يَقْرَعُ مِنَ الشُّقَاةِ مِنْ قَلْبِهِ
 أَتَرَدُّوْا الْعَرْشَ فِي يَدَاكَ كَمَا • أَتَرَى فِي عَادِهِ وَفِي إِرْمِهِ
 لَا يُعِدُّ اللَّهُ صَبْرَةَ تَلَيْتَ • نَحِيرِ دَاجٍ دَعَاهُ فِي حَرَمِهِ
 مَا كُنْتُ إِلَّا كَلِمَ ذِي حُلْمٍ • أَوْجَلَّ بَابَ السَّرُورِ فِي حُلْمِهِ
 حَتَّى إِذَا أَطْلَقْتُهُ رَقْدَتُهُ • عَادَ إِلَى مَا أَعْتَرَاهُ مِنْ عَقْمِهِ

وقال أيضا يرثيه :

أَقُولُ وَقَدْ دَنَوْتُ مِنَ الْفِرَارِ • سَقَيْتَ الْغَيْثَ يَا فَصْرَ الْقِرَارِ
 رَمَسَكَ يَدُ الزَّمَانِ بِسَهْمِ عَيْنٍ • فَصِرْتَ مُلَوِّحًا بِدُخَانِ نَارِ
 أَيْنَ لِي عَنْ جَمِيعِكَ أَيْنَ حَلَاوَا • وَأَيْنَ مَزَارِهِمْ بَعْدَ الْمَزَارِ
 وَأَيْنَ مُحَمَّدٌ وَأَيْنَآءُ مَالِي • أَرَى أَطْلَافَهُمْ سُودَ الدِّيَارِ
 كَأَن لَمْ يُؤْتَسُوا بِأَنْبِيَسٍ مُلْكٍ • يَطْوِلُ عَلَى الْمُلُوكِ بِخَيْرِ جَارِ
 إِمَامٌ كَانَ فِي الْحَدَثَانِ حَوَا • لَنَا وَالْغَيْثُ يَمْنَحُ بِالْقَطَارِ

لقد ترك الزمانُ بَنَى أبيه * وقد غمرتهم سُودُ البحار
أضاعوا شمسمهم بقرتُ بحس * فصاروا في الظلام بلا نهار
وأجلوا عنهم قرا منيرا * وداسَتُهُمْ خيولُ بني الشرار
ولو كانوا لهم كفواً ومثلاً * إذا ما تُوجوا تيجانَ حار
ألا بأت الأمامُ ووارثاه * لقد حَيرَ الحشَى مَنابِهار
وقالوا انخلدُ بيع فقلتُ ذلاً * يصير بياعيه الى صَفَّار
كذلك الملكُ يُتبع أوليه * إذا قُطِعَ القرار من القرار

وقال مُقدِّس بن صَيْفِي يرثيه :

خليل ما أنتك به الخطوبُ * فقد أهلك طاعته العجيب
تدلت من شماريح المنايا * متايا ما تقوم لها القلوبُ
خلالَ مقابرِ البستانِ قبر * يُجاور قبره أسدٌ غريب
لقد عظمت مُصيبته على من * له في كل مَكْرُمة نصيب
على أمثاله الصِّبَاتُ تُكْرى * وتُنتك في مآتيمه الجُيوب
وما آخَرَتْ زُبَيْدَة عنه دما * تُحْصَى به النسيبة والنَّسَب
دحوا موسى أبنه لبكاء دَهر * على موسى أبنه دخلَ الحَزَب
رأيتُ مَشاهدَ الخلفاء منه * خلاء ما بساحتها يُجيب
لَتَيْتِكَ أنى كهلٍ عليه * أذوبُ وفي الحشَى كَيْدُ تَدُوب
أُصِيبَ به البعيد نفَرٌ حزنا * وعَيْنَ يومه فيه المرُيب
أُنادى من بطون الأرض شُغْصاً * يحسِّركه النداء فما يُجيب
لئن بَغَتِ الحروبُ إليه نفساً * لقد لَحمت بمصرعه الحروب

وقال نخزيمة بن الحسن يرثيه على لسان أم جعفر :

لخير أُمَامٍ قام من خير عُصَرٍ * وأفضل سَامٍ فوق أعوادٍ مِنبرٍ
لِوَارِثِ علم الأولين وفهمهم * ولِلْكَ المامونِ من أم جعفرِ
كَتَبْتُ وعني مُسْتَهْلٌ دموعُها * اليك ابن عمي من جفوني وتَجَرى
وقد مَتْنَى ضُرٌّ ونُلٌّ كَأَيَّةٍ * وأرَّقَ عني يا ابن عمي مَحْكُورِ
وهِمَّتْ لِيَا لاقِيَتْ بعد مصابه * فأمرى عظيم مُنْكَرٌ جَدُّ مُنْكَرِ
سَأَشْكُو الذي لاقِيْتُهُ بعد فقدِهِ * اليك شَكَاةُ المستهامِ المُقْهَرِ
وأرجو لما قد مَرَّ بي مذ قدَّمُهُ * فانت لبني خير رَبِّ مُقَدِّرِ
أَتَى طَاهِرٍ لاطْهَرَهُ طَاهِرَا * فَمَا طَاهِرٍ نِيَا أَتَى بِطَاهِرِ
فَأَخْرِجْنِي مَكشُوفَةَ الوجه حَايِرَا * وَأَنْتَ أَسْوَلى وَأَحْرَقَ أَذْرِي
يَعِزُّ عَلَى هَارُونَ مَا قَدْ لَقِيْتُهُ * وَمَا مَرَّ بي مِنْ نَاقِصِ الخَلْقِ أَحْوَرِ
فَإِنْ كَانَ مَا أَسْدَى بِأَمْرِ أَمْرَتِهِ * صَبَرْتُ لِأَمْرِ مِنْ قَدِيرٍ مُقَدَّرِ
تَذَكَّرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قِرَابِي * فَدَيْتُكَ مِنْ ذِي حِرْمَةٍ مُتَذَكَّرِ

وقال أيضا يرثيه :

سَبَّحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ الصَّمَدِ * مَاذَا أَصْبَنَا بِهِ فِي صُبْحَةِ الْأَحَدِ
وَمَا أَصِيبَ بِهِ الْإِسْلَامُ قَاطِبَةً * مِنْ التَّضْمِضِ فِي رُكْنَيْهِ وَالْأَوْدِ
مَنْ لَمْ يُصَبِّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ * يُصْبِحْ بِمَهَلِكَةٍ وَالْمُ فِي صُغْدِ
قَدْ أَصِيبَتْ بِهِ حَقٌّ تَبَيَّنَ فِي * عَقْلٍ وَدِينٍ وَدُنْيَايَ وَفِي جَسَدِي
يَا لَيْلَةَ يَسْتَكِي الْإِسْلَامُ مُتَبَّهَا * وَالْعَالَمُونَ جَمِيعَا أَنْزِلْ الْأَبْدِ
غَدَرَتْ بِالْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ * وَبِالْإِمَامِ وَبِالضَّرْفَانَةِ الْأَسَدِ
سَارَتْ إِلَيْهِ الْمَنَايَا وَهِيَ تُرْعِبُهُ * فَوَاجِهَتْهُ بِأَوْفَادِ ذَوِي عَدَدِ
بُشُورِجِينَ وَاقْتِصَامٍ يَقُودُهُمْ * قُرَيْشٌ بِالْبَيْضِ فِي قُلُوبِهِ مِنَ الزُّرْدِ

فصادفوه وحينئذ لا يُعين له • عليهم قاتل الأتباع بالحد
 فجزموه المنايا غير مُمتنع • فردا فإياك من مُستعيل قسود
 يلقى الوجوه بوجه غير مُبتذل • أبهى وأبقى من القويّة الجسد
 وأحمرها وقريش قد أحاط به • والسيف مُرتعد في كف مُرتعد
 فما تحرك بل ما زال متصبا • منكس الرأس لم يُدعى ولم يُعد
 حتى إذا السيف وافى وسط مفارقة • أذنته عنه يده فعل مُتد
 وقام فاضلقت كفاه آتته • كضيق شرس مستعيل اليد
 فاجتره ثم أهوى فاستقل به • للأرض من كف لبث مُخرج حرد
 فكاد يقتله لو لم يُكاثره • وقام منفلا منه ولم يحكد
 هذا حديث أمير المؤمنين وما • قصت من أمره حفا ولم أزد
 لا زلت أكتبه حتى المات وإن • أخى عليه الذى أخى على لُبد

وذكر عمر بن شبة أن محمد بن أحمد الهاشمي حدثه أن لبابة أبنه على بن المهدي قالت
 اليتيمين الآتين وقيل أنهما لابنة عيسى بن جعفر وكانت مُملكة ب محمد :

أبيك لا للنعم والأنس • بل للعالي والرخ والترس
 أبكى على هالك بلعت به • أرملنى قبل ليلة العرس

هـاء يحيى بن أكرم

وعدناك في المجلد الأول أن نذكر مثلاً من الهجاء قاله بعض الشعراء في يحيى بن أكرم، وها هو ذا :

أزقه برح الهوى وسدِّمة * ومَلَّه الحب نبات يائنة
 طوراً يُعانيه وطوراً يَشْتُمُه * مثل الحريق في الحشا يُضرمُه
 ففاضت العين بدمع تَسْجُمُه * نمت عليه كل شوق يَكْتُمُه
 وباح بالحب الذي يُجِيجُه * ولبت والقلب يُسَامِي هِمَمُه
 من لُحْب قد تراه يرحمُه * أصبح بالبأساء غار أُنَمُّه
 طال تصايبه وطال سَقَمُه * وبلى الجسم وركت أعظمُه
 يتهدنى الله على من يَظْلُمُه * يمنعه طعم العكوى ويحرمُه
 وأما له بصير من لا بصيرُمُه * أصبح هذا الدين رثاً رِثَمُه
 عطله الجور وطال قَدَمُه * تحث من الجور عليه دِمَمُه
 قَبَاد مغنى رُبمِه وأرثَمُه * إلا بقايا قومِه وبُجَمُه
 أوطنه الجور فامضى مَعَلَمُه * برود فيه شاره ونَعَمُه
 من يشهد الجور فعن نَعْلَمُه * أتوك قاض في البلاد نعلَمُه
 يقول حقاً لا تُثبِت رَحْمُه * مذ ولي الحكم أبيع حَرَمُه
 وأثركت من القضاء حُرْمُه * واضطربت أركانه ودعمُه
 والله يبيِّه ونحب نَهْدِمُه * ياليت يحيى لم يَلِدُه أَعْنَمُه
 ولم تَطَأ أرض العراق قَدَمُه * مملونه أخلاقه وشِمَمُه^(٢)

(١) أنظر ما كتبه عن يحيى بن أكرم في المجلد الأول (ص ٤٤٠) .

(٢) حذفنا بعد هذا البيت

أربعة أبيات رأينا أنها تنافي الآداب العامة .

والله والله لقد حلّ ثَمّه • لو أن للدين عمادا يدعمه
 يسيل عنه الميل أو يقومه • لكن قد رت عليه ماتمه
 أرجو ويقضى الله لا يسألّه • من وجهه هذا ولكن يقصمه
 بالسيف اذ حلت عليه قمه •





وصف ثورة بغداد وحريقها

أما ما أصاب بغداد من سلب ونهب وتحريق وتخريب وفنسة شعواء وقتل ودماء،
فانا نترك الكلمة في ذلك لشعراء ذلك العصر.

قال الأعمى يصف دمار الحرب :

تقطعت الأرحام بين العشائر * وأسلمهم أهل التقى والبصائر
فذلك انتقام الله من خلقه بهم * لما أجترموا من ركوب الكبائر
فلا نحن أظهرنا من الذنب توبة * ولا نحن أصلحنا فساد السرائر
ولم نسمع من واطئ ومذسخر * فينجح فينا وخطئنا وإمير
فايك على الإسلام لما تقطعت * عراه وربح ضرره كل كافر
فاصبح بعض الناس يقتل بعضهم * فمن بين مقهور غزير وقاهر
وصار رئيس القوم يعمل نفسه * وصار رئيسا فيهم كل شاطر
فلا فاجر للبر يحفظ حرمة * ولا يستطيع البر دقا لفاجر
تراهم كأمثال الذئاب رأث دما * فأمنته لا تلوى على زجر زاجر
وأصبح فساق القبائل بينهم * تسل على أفرانها بالنفاجر
فايك يقتل من صديقي ومن أخ * كريم ومن جار شفيقي مجاور
ووالدة تبكي بحزن على أبنا * فيكي لها من رحمة كل ظائر
وذايت حليل أصبحت وهي أم * وتبكي عليه بالدموع البوادر
تقول له قد كنت عزرا وناصرا * فقيب عن اليوم عزى وناصري
وأبك لإحراق وهمد منازل * وقتل وإنهاب اللهى والذخائر

وإبراز ربات الخندور حواصرا * نزع من بلا نخسر ولا بماذر
 تراها حيارى ليس تعرف مذهباً * نوافر أمثال الظباء النواصر
 كأن لم تكن بغداد أحسن منظراً * وملهى رآته عين لآه وناظر
 على هكنا كانت فأذهب حسنبا * وبد منها الشملى حكم المقادر
 وحل بهم ماحل بالناس قبلهم * فاضخوا أحاديثا لبأد وحاضر
 أبغداد يا دار الملوك ومختى * صروف المنايا مستقر المنابر
 ويا جنة الدنيا ومطلب الفنى * ومستبط الأموال عند الضرائر
 أبغى لنا أين الذين عهدتهم * يحلون فى روض من العيش زاهر
 وأين ملوك فى المواكب قفدى * تشبه حسنا بالنجوم الزواهر
 وأين القضاة الحاكمون برأيهم * لورد أمور مشكلات الأوامر
 أو القائلون الناطقون بحكمة * ورصف كلام من خطيب وشاعر
 وأين مراح السلوك عهدتها ^(١) * مزخرفة فيها صنوف الجواهر
 ترقى بماء المسك والورد أرضها * يقوَّح بها من بعد ربيع القهار
 وروح الندامى فيه كل حشة * الى كل قياس كريم العناصر
 وأين قيام تستعجب لغمها * اذا هولباها حين الزامر
 وأين الملوك القرم من آل هاشم * وأشياهم فيها اكتفوا بالمصادر
 يروحون فى سلطانهم وكأنهم * يروحون فى سلطان بيض العشار
 يحادل عما نالهم كبرائهم * فتاتهمو بالكزه أيدى الأصاغر
 فأقسم لو أنب الملوك تناصروا * لزلت لها خوفاً رقاب الجبابر

وقال عمرو بن عبد الملك الوراق يبكي بغداد ويحجو طاهرا ويمرض به :

من ذا أصابك يا بغدادُ بالعين * ألم تكوني زماناً قُوة العين
 ألم يكن فيك أنوامٌ لهم شرف * بالصالحات والمعروف يلقون
 ألم يكن فيك قومٌ كان مسكنهم * وكان قريبهم زينا من الزين
 صاح الزمانُ بهم بالبين فاعرضوا * ما ذا الذي جفنتني لوعة البين
 استودعُ الله قوماً ما ذكركم * ألا تحترم ماء العين من عيني
 كانوا ففرقهم دهرٌ وصلحهم * والذهب يصدع ما بين الفريقين
 كم كان لي مُسعدٌ منهم على زمني * كم كان منهم على المعروف من عون
 لله درُ زمانٍ كان يجمعنا * أين الزمانُ الذي ولّى ومن أين
 يا من يُضربُ بغداداً ليعمرها * أهلكَت نفسك ما بين الطريقين
 كانت قلوبُ جميع الناس واحدة * حيناً وليس يكون العين كالذين
 لما استبهم فرقهم فرقا * والناس طراً جميعاً بين قطين

ولبعض فتيان بغداد :

بكيتُ دماً على بغداد لما * ففقتُ غصاةَ العيش الأنيق
 تبتلنا هموماً من مرور * ومن سعة تبدلنا بضيق
 أصابتنا من الحساد عين * فافتت أهلها بالمتجنيق
 قسومٌ أحرقوا بالنار قسراً * ونائحةٌ تسوح على غريق
 وصائحةٌ تُسادي وأصباحا * وباكيةٌ لفقدان الشفيق
 وحوراءُ المدامع ذاتُ دَل * مضطجةٌ الجاسد بالخلق
 تميز من الحريق إلى آتھاب * والدُّعا يفزأني الحريق

وَسَالِبَةُ الْغَزَالَةِ مُقَاتِلَتِهَا * مَضَاحِكُهَا كَلَامُ لُغَةِ الْبُرُوقِ
 حَيَارَى كَالْمَدَايَا مُبْجِرَاتِ * طِينِ الْقَلَائِدِ فِي الْحَلُوقِ
 يُنَادِينَ الشَّفِيقَ وَلَا شَفِيقٌ * وَقَدْ فَقِدَ الشَّفِيقُ مِنَ الشَّفِيقِ
 وَقَوْمٌ أُخْرِجُوا مِنْ ظِلِّ دُنْيَا * مَتَاعُهُمْ يُبَاعُ بِكُلِّ سُوقِ
 وَمُقْتَرَبُ قَرِيبُ الدَّارِ مُلَقًى * بَلَا رَأْسٍ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ
 تَوْسَطَ مَنْ قَتَلَهُمْ جَمِيعَا * فَا يَدْرُونَ مِنْ أَى الْقَرِيقِ
 فَلَا وَلَدٌ يُقْسِمُ عَلَى أَيْسِهِ * وَقَدْ هَرَبَ الْعَصْدِيقُ مِنَ صَدِيقِ
 وَمِمَّا أُنْسَ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّى * فَإِنِ ذَاكَ دَارَ الزُّبُقِ

بيان المصادر العربية والافرنجية الهامة

التي عولنا عليها في المراجعة لكاتب عصر المأمون

نشأت لك هنا الهام من مراجع الكتاب هذا دواوين الشعراء ومعجمات اللغة التي أشرنا إليها في مواضعها من الكتاب وهوامشه . وهي :

المصادر باللغة العربية :

تاريخ دمشق لابن عساكر، مخطوط .

تاريخ المشارقة لصليبا بن يوحنا ،
مخطوط .

تاريخ بغداد لمطيب البغدادي ،
مخطوط .

تاريخ بغداد لابن طيفور (الجزء السادس
طبعة أوروبا) .

تاريخ التشريع الاسلامي للرحوم
الحضري بك، طبعة مصر .

تاريخ الآداب السلطانية والدول
الاسلامية لابن طباطبا ، طبعة
أوروبا .

تاريخ النجوم الزاهرة لابن تغريبردي ،
طبعة أوروبا .

البدع والتاريخ لأبي زيد البلخي ، طبعة
باريس سنة ١٨٩٩ «أرنست لرو» .

الآثار الباقية لليبروني ، طبعة ليسك .

تاريخ الطبري ، طبعة مصر وليدن .

تاريخ الكامل لابن الأثير، طبعة مصر .

تاريخ مروج الذهب للسعودي ، طبعة
مصر وباريس .

تاريخ اليعقوبي ، طبعة لندن بإشراف
المسيو هتسما .

تاريخ أبي الفدا لللك المؤيد ، طبعة
الأستانة .

تاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد عبد الله
محمد بن يوسف ، طبعة أوروبا .

تجارب الامم لابن مسكويه ، طبعة مصر .

تاريخ العبر والمبتدا والخبر لابن خلدون ،
طبعة مصر .

الأخبار الطوال لأبي حنيفة البينوري ،
طبعة لندن .

تظم الجوهر لابن البطريق ، طبعة
أكسفورد سنة ١٦٥٩ للشرق
ادوار بوكوك .

- تراجيم الحكماء للقفطي، طبعة مصر .
 طبقات الأدباء لعبد الرحمن الأتباري،
 طبعة مصر .
 وفيات الأعيان لابن خلكان، طبعة
 مصر .
 فوات الوفيات لابن شاكر الكنتي،
 طبعة مصر .
 الملل والنحل للشهرستاني، طبعة مصر .
 ألف باء ليوسف البلوي، طبعة مصر .
 مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري،
 طبعة دار الكتب .
 فتوح البلدان للبلاذري، طبعة لندن .
 كتاب البلدان لابن الفقيه الحمصاني،
 طبعة لندن .
 كتاب البلدان لليقوي، طبعة لندن .
 مسالك الممالك للاصطخري، طبعة
 لندن .
 المسالك والممالك لابن حوقل، طبعة
 لندن .
 أحسن التقاسيم للقدسي، طبعة لندن .
 المسالك والممالك لابن نرداذبه، طبعة
 لندن .
 الأعلام للناس للابيدي، طبعة مصر .
 كتاب المعارف لابن قتيبة، طبعة أوروبا .
 معجم الأدباء لياقوت الرومي، طبعة
 مصر واشراف مرجليوث .
 الفهرست لابن النديم، طبعة ليسك .
 طبقات الأئمة لابن صاعد، طبعة بيروت .
 طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة،
 طبعة مصر .
- تاريخ الدولة لأبي الفرج الملقب،
 طبعة بيروت .
 تاريخ الاصلح، طبعة أوروبا .
 فتوح الشام للواقدي، طبعة مصر .
 نشوات المحاضرة وأخبار المذاكرة، طبعة
 مصر .
 ولاية مصر وقضاها للكندي، طبعة
 بيروت .
 مختصر أخبار الخلفاء لابن الساعي،
 طبعة مصر .
 كشف الظنون لحاجي خليفة، طبعة
 الأستانة ولبسك ومصر .
 المستطرف للاشبيهي، طبعة بولاق .
 معجم البلدان لياقوت الحموي، طبعة
 ليسك ومصر .
 المزهرة للسيوطي، طبعة بولاق .
 الأحكام السلطانية للساوري، طبعة
 أوروبا .
 أعلام الناس للابيدي، طبعة مصر .
 كتاب المعارف لابن قتيبة، طبعة أوروبا .
 معجم الأدباء لياقوت الرومي، طبعة
 مصر واشراف مرجليوث .
 الفهرست لابن النديم، طبعة ليسك .
 طبقات الأئمة لابن صاعد، طبعة بيروت .
 طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة،
 طبعة مصر .

كتاب الكشكول للعامل، طبعة مصر.
سراج الملوك للطرموشى، طبعة مصر.
كتاب الخراج لقدامة بن جعفر، طبعة
لندن.

كتاب الخراج لأبى يوسف، طبعة
بولاق.

تاريخ الوزراء المنسوب للصوى، طبعة
بيروت.

أشهر مشاهير الاسلام، للرحوم رفيق
العظم بك، طبعة مصر.

كتاب فتح القليب، طبعة مصر وأوربا.

مفاتيح العلوم للخوازمى، طبعة مصر.

مفيد العلوم للخوازمى، طبعة مصر.

كتاب المواهب الفتحية للرحوم

الشيخ حمزة فتح الله، طبعة مصر.

كتاب السيرة لابن هشام، طبعة مصر.

مقدمة ابن خلدون، طبعة مصر.

خطط الشام للاستاذ محمد كرد على،

طبعة دمشق.

مجموعة مجلة المشرق، طبعة بيروت.

مجموعة مجلة المجمع العلمى، طبعة دمشق.

مجموعة مجلة الهلال، طبعة مصر.

مجموعة مجلة المقتطف، طبعة مصر.

بعض فصول ومباحث من المجلة

الأسبوعية.

حديث الأرباء الدكتور طه حسين،

طبعة مصر.

حضارة الاسلام فى دار السلام بجميل
مدكور، طبعة مصر.

كتاب الأغانى للاصبهانى، طبعة بولاق
والساقى.

الجزء الأول من كتاب الأغانى، طبع
مطبعة دار الكتب المصرية.

نهاية الأرب، طبع مطبعة دار الكتب
المصرية والنسخة الفتوغرافية
بالدار.

صبح الأعشى، طبع مطبعة دار الكتب
المصرية.

كتاب التاج المنسوب للماحظ، طبع
مطبعة دار الكتب المصرية.

كتاب الأمالى لأبى على القالى، طبع
مطبعة دار الكتب المصرية.

كتاب الكامل للبرد، طبعة مصر.

كتاب البيان والتهين للماحظ، طبعة
مصر.

العمدة لابن رشيقي، طبعة مصر.

كتاب المحاسن والمساوى لليبقي، طبعة
فودرك شوالى.

كتاب المحاسن والاضداد للماحظ، طبعة
لندن.

كتاب البغلاء للماحظ، طبعة مصر.

كتاب الحيوان للماحظ، (نسخة
فتوغرافية محفوظة بدار الكتب

المصرية).

حلبة الكيت، طبعة بولاق .
 خزانة الأدب لابن حجة الجوزي، طبعة
 بولاق .
 خزانة الأدب للبغدادي، طبعة بولاق .
 محاضرات الفلاسفة لستلائله بالجامعة
 المصرية .
 محاضرات علم الفلك بالجامعة المصرية
 للسيدور كزولوني، طبعة روما .
 مفتاح السعادة ومصباح السيادة
 لطاشكبري زاده، طبعة
 حيدر آباد .
 محاضرات الشيخ عبد الوهاب النجار
 بالجامعة المصرية .
 محاضرات المرحوم الشيخ محمد المهدي
 بالجامعة المصرية .
 محاضرات الأستاذ الخضري بك في تاريخ
 الأمم الإسلامية، طبعة مصر .
 محاضرات الأستاذ الخضري بك في تاريخ
 الدولة الأموية، طبعة مصر .
 التمدن الإسلامي للرحوم جورجى بك
 زيدان، طبعة مصر .
 تاريخ آداب اللغة العربية للرحوم
 جورجى بك زيدان، طبعة مصر .
 طبقات ابن سعد، طبعة أوروبا .
 طبقات الشافعية للسبكي، طبعة مصر .
 المشور والمنظوم لابن طيفور .
 رسالة بنى أمية للجاحظ، خطية .

منهل الرقاد في علم الانتقاد لقسطاكي
 الجمعي بك، طبعة مصر .
 محاضرات الأستاذ الأسكندري
 المدرس بدار العلوم، طبعة مصر .
 الوسيط للأستاذ الأسكندري المدرس
 بدار العلوم، طبعة مصر .
 أدبيات اللغة العربية للأستاذ مصطفى
 صادق الرافعي، طبعة مصر .
 أدبيات اللغة العربية للرحوم طاطف
 بركات بك وزملائه، طبعة مصر .
 مهذب الأغانى للرحوم الخضري بك،
 طبعة مصر .
 بلاغة العرب للدكتور أحمد ضيف،
 طبعة مصر .
 الشعراء والنحراء لابن قتيبة، طبعة لندن .
 طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمعي،
 طبعة لندن ومصر .
 كتاب الأذكياء لابن الجوزي، طبعة
 مصر .
 العقد الفريد لللك السعيد، طبعة مصر .
 العقد الفريد لابن عبد ربه، طبعة
 مصر .
 لطائف المعارف للثعالبي، طبعة لندن .
 حيون الأخبار لابن قتيبة، طبعة
 دار الكتب وأوروبا .

- الأوراق للصولي، خطية .
- مطبوعات تذكار جيب الانجليزية
- وخاصة مؤلفات الأستاذين
- مرجليوث وبرون .
- زهر الآداب للعصرى، طبعة مصر .
- المشتبه في أسماء الرجال للنهبي، طبعة
- أوربا .
- الوافى بالوفيات للصغدي (المحفوظ
- بدار الكتب المصرية تحت
- رقم ١٢١٩) .
- أخبار أبي نواس لابن منظور، طبعة
- مصر .
- رسائل البلاء للأستاذ محمد كرد علي ،
- طبع مصر .
- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد . طبعة
- مصر .
- المفضليات للنهبي، طبعة مصر .
- حماسة البحري، طبعة بيروت .
- الصناعتين لأبي هلال العسكري، طبعة
- مصر .
- الموشى لأبي الطيب، طبعة أوربا .
- ديوان الحماسة لأبي تمام، طبعة مصر .
- مجانى الأدب وشرحه، طبعة بيروت .
- مختارات البارودي، طبعة مصر .
- حياة الحيوان للدميري، طبعة مصر .
- عيون التواريخ لابن شاعر الكتي
- (أجزاء منه محفوظة بدار الكتب
- المصرية) .
- الفرج بعد الشدة للتونجي، طبعة
- مصر .

المصادر الانجليزية :

- Histoire des Arabes par Cl. Huart: Paris.
- Life of Mohamet by Sir W. Muir. (London).
- The Life and Teachings of Mohammed and the Spirit of Islam by Ameer Ali. (London).
- D. S. Margoliouth: Mohammed and the Rise of Islam. (London) in "Heroes of the Nations' Series".
- H. Lammens: "Etudes sur les régnes des Califs Omayyades Moawia 1^{er} et Yasid 1^{er}". (Beyrouth).
- Library of Universal History (N. Y.).
- History of Arabic Literature: Cl. Huart. (London).
- A Literary History of Persia: Ed. G. Browne. (London).
- A Literary History of the Arabs by R. A. Nicholson. (London).
- Short History of the Saracens by Ameer Ali, (London).
- The Caliphate: its rise decline and fall by Sir W. Muir. (London).
- Annals of the Early Caliphate by Sir W. Muir. (London).
- Baghdad during the Abbasia Caliph by G. le Strange. (Oxford)./
- Encyclopaedia of Islam. (Luzac).¹
- Encyclopaedia Britannica. (London).
- La Grande Encyclopédie. Paris.
- The Historians' History of the World by H. S. Williams. (New York).²
- Ency. of Religion & Ethics by I. Hastings. (London).¹
- The History of the Declins and Fall of the Roman Empire by Gibbon. (London).
- The History of Philosophy in Islam by J. de Boer translated by Jones. (London).
- Muhammedanische Studien by Ignaz Goldziher, (Halle).
- Histoire des Musulmans d'Espagne Jusqu' à la Conquête de l'Andalusie par les Almoravides by R. Dozy. (London).
- Development of Muslim Theology, Jurisprudence and Constitutional Theory by D. B. Macdonald. (London).
- Margoliouth's Works Etc.

(مطبعة دار الكتب المصرية ٥٤٩/١٩٢٧/٢١٥٠)
